

UNIVERSAL
LIBRARY

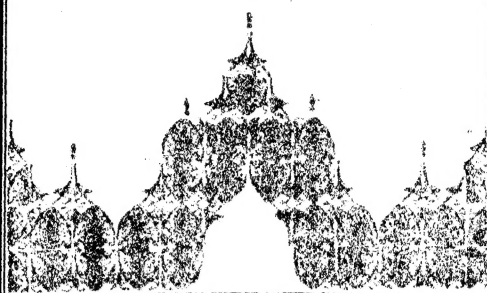
OU_232508

UNIVERSAL
LIBRARY

فهرسة الجزء الاول من تفسير الخطيب الشربيني

سورة النساء ٢٧٨	سورة آل عمران ١٩٣	سورة البقرة ٠١٤	سورة فاتحة الكتاب ٣
سورة الانفال ٥٥١	سورة الاعراف ٤٦٢	سورة الانعام ٤٠٨	سورة المائدة ٣٥٠
سورة التوبة ٥٨٦			

الجزء الاول من السراج المنير في الاغاثة
على معرفة بعض دعاء السلام ربنا
الحكيم الخبير الشفيخ الامام
المطيب الشريف في قدس
الله روحه وعم بالرحمة
ضر يحسنه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك السلام المهيمن العلام شارع الاحكام ذي الجلال والاكرام الذي أنزل القرآن بحسب المصالح منفعما وجعله بالتحميد مفتحا وبالاستعاذة محتما وأوحاه على قسعين متشابهة ومحكما فسبحان من استأنز بالاثولية والقدم ووسم كل شئ سواء بالحدوث عن العدم ومن علينا بنينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم علينا بكتابه المفترق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على خير من أوحى إليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الامي المنيب بالصفعة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدد ساعات الليلي والايام وعلى آله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة الاخبار صلاة وسلاما دائمين متلازمين آناه الليل وأطراف النهار (أما بعد) فيقول فقير رحمة وبه القريب محمد الشريفي الخطيب ان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشير المؤمنين ونذير للمخالفين أكمل به نبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأنزل عليه بفضله كتابا ساطعا ببياناه فاطعا برهانه ناطقا ببياناته وجمع قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية حسنا ظاهرا باهرة في وجهه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أعجز الخليفة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلة ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته وبسر على اللسان قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر فهو كلام معجز في رفائق منظوقه ودقائق مفهومة لانهاية لاسرار علومه (وقد ألف أئمة السلف) كتباً

في معرفة أحكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى عليهم ورحمهم كافهم
 ثم خطر لي أن أقتني أثرهم وأسلك طريقهم لعل الله أن يرزقني من مددهم ويعود علي من
 بركتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشان لقوله صلى الله عليه
 وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وقول سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه وفي رواية بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وقول أبي بكر
 رضي الله تعالى عنه لما سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأنا نقال أي سماء تطلق وأي أرض تفلح
 إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم إلى أن يسر الله تعالى لي زيادة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عليه
 وعلى سائر النبيين والاول والاصحاب أجمعين في أقول عام تسعمائة واحد وستين فاستغفرت
 الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن يسر لي أمرى فشرح
 الله سبحانه وتعالى لي ذلك صدرى فلما رجعت من سفري واستمريت ذلك الانشراح معي وكنت
 ذلك في سري حتى قال لي شخص من أصحابي رأيت في منامى أمالي النبي صلى الله عليه وسلم
 أو الشافعي يقول لي قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن فعن قليل الا وقد تترت في وظيفة
 مشيخة تفسير في الجمارستان ثم سألني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس
 العلم مقبلين بعد ان رأوني فرغت من شرح منهاج الطالبين أن أجعل لهم تفسيراً وسطاً بين
 الطويل الممل والقصير المخل فأجبتهم إلى ذلك عملاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
 فيما روي أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجلاً بالاً يؤتيكم
 من أقطار الارض يتفهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوهم خيراً واقدموا عليهم من
 السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من
 تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجهد والجهد تنبها للمتوقفين وتخريضا للمتنبطين
 وليكون ذلك عوناً لي وللقاصرين من مثلي مقتصر اقبه على أربع الاقوال واعراب ما يحتاج
 اليه عند السؤال وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية واعراب محلها كتب العربية
 وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات وقد أذكر بعض أقوال
 واعراب لقوة مداركها أو لورودها ولكن بسخفة قبل اعلم ان المرضى أولها (وسميته)
 السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وأسأله من فضله
 واحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلاً متقبلاً مرضياً كاي بعد
 من صالح الاعمال (وقد تلبقت) التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن
 أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت ما ترجم جعني الله وياهم والمسلمين في
 مستقر رحمة بحمدوا له وصحابته (وهنا أنا لأن أشرع) وبمسن توفيقه أقول وهو الموفق
 لكل خير يعطى كل مسؤل

قوله فقال أي سماء
 كثيراً ما تستعمل
 إعادة العامل لطول
 الفصل وهو في
 القول كثيراً

مصححه

(سورة فاتحة الكتاب)

وتسمى أم القرآن لانها حقيقته ومبدؤه فكانها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً وأولاً لأنها
تشتغل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعدته وأعلى جملة
معليه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سالك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكثر لانها نزلت من كثرة نعم العرش والوافية
والكافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفاة
لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسمع المثنى لانها سبع آيات باتفاق لكن
من هذا السجدة آية منها جعل السابعة صراط الذين الى آخرها ومن لم يعدّها آية منها جعل
السابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وسميت مثنى لانها تنفي في الصلاة أي تكثر فيها بان ققرأ
في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تنفي في كل ركعة فيه تجوز وهي مكينة على قول الاكثر
وقال مجاهد مدنية وقبل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوّلت
القبلة ولذلك سميت مثنى قال البغوي والاول أصح وقال البضاوي وقد صرح أنها مكينة بقوله
تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثنى وهو مكى بالنص انتهى وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك
عن ابن عباس وقول العيصي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم
والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة
وسورة التهويض وفاحة القرآن وأم الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة
السؤال والصلاة لطبر سميت الصلاة بيني وبين عبدي ثم فين قصصها الى نصفها العبدى ولعبدى
ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم
يقول الله أني على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدى ماسأل يقول العبد
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله
فهو لا لعبدي ولعبدى ماسأل ولا نهجر وهافهم ومن باب تسمية جزء النبي باسم كله وقوله
تعالى (بسم الله) أي الملك الاعظم الذي لا نعبد الاياه (الرحمن) أي الذي هم ينعمي ايحاده
وبيانه جميع خلقه أسفله وأعله أذناه وأقصاه (الرحيم) أي الذي خص من بينهم أهل وقده برضاه
آية فمن الفاتحة وعليه قرا امك والكوفة وفقها وهما وابن المبارك والشافعي وقيل ليست منها
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك ويدل للاول ما روى أنه
صلى الله عليه وسلم عند الفاتحة سبع آيات وعبد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رآه البصري
في تاريخه وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم عبد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين الى آخرها
ست آيات وآية من كل سورة البراء لا يجتمع العبدية على اثباتها في المصحف بجملة اوائل السور

سوى براءة مع المبالغة في تجريد القرآن من الاعشار وترجم السور والتعويض لم يكتب امين
فلو لم تكن قرأنا لما اجازوا ذلك لانه يحصل على اعتقاد ليس بقرآن قرأنا وأيضا هي آية من
القرآن في سورة النحل قطعاً ثم انارها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما بالمارأينا
قوله فبأي آلاء ربكم تكذبون وقوله ويل يومئذ للمكذبين مكررا في القرآن بخط واحد وبصورة
واحدة قلنا ان الكل من القرآن (فان قيل) لعلها ثبتت للفصل (أجيب) بأنه يلزم عليه اعتقاد ما
ليس بقرآن قرأنا وثبتت في أول براءة ولم تثبت في أول الفاتحة (فان قيل) القرآن انما ثبت
بالتواتر (أجيب) بأن محله فيما ثبت قرأنا قطعاً أما ما ثبت قرأنا حكماً فيكفي فيه الظن كما يكفي
في كل ظني خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني وأيضا اثباتها في المصحف بخطه من غير تكثير في معنى
التواتر وأيضا قد ثبت التواتر عند قوم دون آخرين (فان قلت) لو كانت قرأنا لكفر جاحداها
(أجيب) بأنهم لو لم تكن قرأنا لكفر منبتها وأيضا التكفير لا يكون بالظنات وقد وضعت
ذلك مع زيادة في شرح التنبية والمنهاج أما براءة فليست بالبسمة آية منها باجماع * (فائدة) *
ما ثبت في المصحف الآن من أسماء السور والاعشار شيئا ابتدعها الخلاج في زمنه والباء في بسم
الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقرأه اذ كل فاعل يبدأ في فعله باسم
الله يضرع بما يجعل التسمية مبدأه كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
كان المعنى بسم الله أحل بسم الله ارتحل وذلك أولى من أن يضرع بأبداء لم يأت به وما يبدل
عليه ومن أن يضرع ابتداء في المذكرنا (فان قيل) المصدر لا يعمل بمحذوف (أجيب) بأنه
يتوسع في الطرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيره ما وتقديره مؤخر كما قال الامام الرازي
أولى كما في الباء نعبداً والناك نستعين لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق
للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذات الاله قديم واجب الوجود لانه فقدم ذكرنا (فان قيل)
قال الله تعالى اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (أجيب) بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليقها لانه أول
سورة نزل فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في
نفسه وذكرنا أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة والباء للاستعانة وللصحابة
والملايسة على جهة التبرك والمهني متبرك باسم الله اقرأ والثاني أولى لما فيه من التهاني عن
جعل اسمه تعالى آله والاحسن أن تكون لهما أعمال اللفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقيين
والهجازي عندهم من يجوزهما كما منا الشافعي والبسمة وما بعدها في آخر السورة مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويستل من فضله ويقدر في أول الفاتحة
قولوا كما قال الجلال الهلي ليكون ما قبل الباء تعبد مناسباً لبيكونه من مقول العباد (فان
قيل) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحه التي هي أخت
السكون نحو واو العطف وفائه (أجيب) بأنها انما كسرت للزومها الحرفية والجزم ولتشابه
حركات عملها وحذفت الالف من بسم خطأ كما حذفت لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط
على حكم الابتداء دون الديرج لكثرة الاستعمال وقالوا طوت الباء تعويداً من طرح الالف

والحق بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وان لم تكتب في القرآن الامة واحدة تشبهها لها صورة (فان قيل) لم حذف في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم (أجيب) خطان لا يقاس عليهما خط المحصف وخط العرويين ولا تحذف الالف اذا أضف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء * والاسم مشتق من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعاره فهو من الاسماء المحذوفة الابعاز كيدودم لكثرة الاستعمال ونبئت وأائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأها همزة الوصل لتعذر الابتداء بالسكان ولأن من دأبهم أن يتنذروا بالتعزك ويقفوا على الساكن وقيل من الوم وهو العلامة فوزنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذوف الفاء وفيه عشر لغات نظمتها بهاضهم في بيت فقال

سم وسما واسم يتلث أول * لهن سماء عاشرت النجلى

والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الائم والاعصار ويتعد تناوذة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سجع اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعات لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقسم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر

وان أريد به الصفة كما هو رأى أى الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة فعنده الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخلاق والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهم ائذ ان على الذات وليسا غير الذات لان المراد بالغير ما يتفق عن الذات وهما لا يتفكان (فان قيل) لم بدأ بيسم الله دون الله (أجيب) بأن التعزك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين الميم واليمين * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد وأصله قال الرافعي كامام ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذفوا همزة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللام بلا ميم متعزكين ثم سكنت الاولى وادغمت في الثانية للتسهيل انتهى والاله في الاصل يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على القربا والحق انه أصل بنفسه غير مأخوذ من شئ بل وضع علما ابتداء فكأن ذاته لا يحيط بها شئ ولا ترجع الى شئ فكذا اسمه تعالى وقيل مأخوذ من اله اذا تحير اذ العقول تحير في معرفته وقيل غير ذلك وهو عربى عند اكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في الفلين وثلاثه وستين موضعا واخبار النورى تبع الجماعة أنه الهى القيوم قال ولذلك لم يذكر في القرآن الا في ثلاثة مواضع في البقرة وآل عمران وطه * والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم تستنزه منزلة اللازم ويجعله لازما ونقله الى فعل بالضم والرحمة لغة رقة في القلب تقتضى التفضل والاحسان فالتفضل غايةها وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادئ التى تكون انفعالات فرجة

الله تعالى ارادة ابدال الفضل والاحسان أو نفس ابدال ذلك فهي من صفات الذات على الاول
ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كأن قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد (فان قيل) حذراً ببلغ من حذر (أجيب) بأن ذلك أكثرى
لا كلى وبأن الكلام فيما اذا كان المتلاقين في الاشتقاق متحدى النوع في المعنى كغفر
وغفران لا تحذروا حذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسم صفة والرحمن على
الرحيم لانه خاص اذ لا يقال لغير الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم
والقياس يقتضى الترقى من الأدنى الى الأعلى كقولهم عالم بخير لانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره ولذلك رجع جماعة انه علم ولانه لم يدل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم
كالتاسع والثمة والرديف لتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقى بل من باب التعميم
والتكميل وللمحافظة على رؤس الآتى وهل الرحمن مصروف أولافيه قولان مال السعد
التقاراني الى جواز الامرين لأن شرط منع صرف فعلا صفة وجود فعلي وشرط صرفه
وجود فعلا لانه وكلاهما منتف هما لكن أظهرهما أنه ممنوع الصرف الحاقاله بما هو الغالب من
نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف الحاقاله بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف
هذامع ان المختار في منع صرف ما ذكر انتفاء فعلا لانه لا وجود فعلي والحاصل انه تعارض في
صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب (فان قيل) هذا اذ لم تدخله ال (أجيب) بأن المختار ان غير
المصروف اذا دخلت عليه ال والعلمان فيه باق على منع صرفه وان جرت بالكسرة (فوائد الاولى)
الوقف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام
(الثانية) عدد صرف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفاً وعدد ملائكة خزنة النار تسعة عشر
قال ابن مسعود من أراد أن ينحبه الله تعالى من الزبانية فليقلها يجعل الله تعالى له بكل حرف جنة
أى وقاية من واحد (الثالثة) قال التسي في تفسيره قيل الكتب المنزل من السماء الى الدنيا
مائة وأربعة مصحف شيت ستون ومصحف ابراهيم ثلاثون ومصحف موسى قبل التوراة عشرة
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة
مجموعة في البسملة ومعانيها مجموعة في بائها ومعناها هي كان ما كان وبى يكون ما يكون زاد بعضهم
ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة التي هي الله والرحمن والرحيم لعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى التسم
كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فيتوجه العارف بمجملته حراً ومحبته الى جناب القدس
وتتمسك بجبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد للفظى لغة
الثناء باللسان على الجليل الاختيارى على قصد التجميل أى التعظيم سواء أعلقى بالفضائل وهي
النعم القاصرة أم بالفواضل وهي النعم المتعدية فدخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء
بغيره كالحمد النفسى وبالجميل الثناء باللسان على غير الجليل ان قلنا برأى ابن عبد السلام ان
الثناء حقيقة في الخير والشر وان قلنا برأى الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط فائدة

ذلك تحقيق الماهية أو دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز وبالاختباري المدح فانه بعم الاختباري وغيره تقول مدحت اللؤلؤة على حسنها دون حمدتها وظاهر قول الزمخشري الحمد والمدح أخوان انهما مترادفان وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهما مترادفان بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة أقسام كبير وأكبر وأصغر وقد يعبر عنه بالصغير والكبير أن يشترك اللفظان في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح والاكبر أن يشتر كافي أكثر الحروف الاصول كالفلق والفلق والقلم والقد مع اتحاد في المعنى أو تناسب والاصغر أن يشتر كافي الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب وبعلى قصد التبجيل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد وخالفه أفعال الجوارح لم يكن حمدا بل تهكما أو تمليح وهذا لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبارية شرط الاسطرار وعرفا فعل بي عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد أو غيره سواء كان ذكر باللسان أم اعتقادا ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة بالاركان كما قيل

أفادتكم النعماء في ثلاثة * يدي ولساني والصغير المحجبا

فورد اللغوي هو اللسان وحده ومتعلقه بعم النعمة وغيره ما مورد العرفي بعم اللسان وغيره ومتعلقه يكون النعمة وحدها فاللغوي أهم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والعرفي بالعكس والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل فالشكر أهم من الحمد والمدح من وجه لانه لا يختص باللسان وأخص منهما من وجه آخر لانه يختص بالثناء على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران وضد المدح الهجوم ووجه الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى لحصول الحمد بالتكليم مع الاذعان لمدولها ويجوز أن تكون موضوعا شرعا للثناء وقبل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا أنها جملة انشاء الحامد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية بمعنى * ولا ملة للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وقيل التعليل والاولى أهم الاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك والاستحقاق بالالمعنى الاخص المقابل لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية سواء أجهات لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر أم الجنس كما عليه الزمخشري لان لام للاختصاص كما مر فلا فرد منه لغيره أم للعهد كاتفي في قوله تعالى اذ هما في النار كما نقله ابن عبد السلام وأجازه الواحدي على معنى أن الحمد الذي حمد الله به نفسه وحده به أنبأه وأولياؤه مختص به والعبرة بعمد من ذكر فلا فرد منه لغيره وأولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم والاسكال كما أفاده سيبويه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوي اذا الحمد

في الحقيقة كله اذ ما من خير الا وهو مولى بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمه فمن الله انتهى (فان قيل) بل هو مولى مطا بغير وسط (أجيب) بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة أولا ثم تنقل منه الى غيره لأنه وسط في التأثير (فان قيل) لم خص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق أو فحده من بقية الصفات (أجيب) بأن لا يوههم اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوي وفيه اشعار بأنه تعالى حتى قادر مر يد عالم اذا الحمد لا يتحقق الا من كان هذا شأنه (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويريه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعا له لان العالم عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لها واعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى أنه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا في تفسير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب أبو الحسن الى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهري وذهب أبو عبيدة الى انه أصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة وقيل هي به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير ووجه اشتغال الصغير وهو الانسان على نظائر ما في الكبير وهو ما سوى الله تعالى أن تفصيله شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والباطن معقول كعالم الملكوت وهو ما أوجده سبحانه وتعالى بالامر الاولي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الاولية بما هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراك الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (فان قيل) لم جمع جمع قلة مع ان المقام يستدعي الاتيان بجمع الكثرة (أجيب) بأن فيه تنبيه على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب فيه كانه يقول خلقتهك أولا فان الله ثم ربيتهك بوجود النعمة فان ارب ثم عصيت فسترت عليك فان ارحمن ثم ثبت عليك فان ارحيم ثم لا بد من اتصال الجزاء اليك فان امالك يوم الدين (فان قيل) انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الاسماء الثلاثة الباقية في الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الحكمة في ذلك كانه قال تعالى اذكر أني اله ورب مرة واحدة واذ كراني رحمن رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغفروا بذلك فاني مالك يوم الدين وتظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقرأ عاصم والكسائي مالك

بألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون بغير
 ألف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهم ما هموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعدم ولاية
 الملك التزاما لمطابقة ولا يقدح فيها أن تقول مالك الدواب والأنعام والوحوش والطير دون
 ملكها لأن ذلك ليس من جهة عدم شمول حياطته لذلك بل من جهة أنه انما يضاف عرفا إلى ما
 فيه انقياد وامثال وينفذ فيه التصرف بالأمر والنهي فإله السعد التقنازاني وقيل هما
 بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم
 الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كاتدين تدان وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهر فيه
 لاحد الا الله تعالى ان الملك اليوم لله (فان قيل) اضافة اسم الفاعل غير حقيقية فلان يكون معطية
 معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (أجيب) بأن انما تكون غير حقيقية اذا
 أُريد باسم الفاعل المحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا
 فاما اذا قصد به معنى الاستمرار أرى هو موصوف بذلك دائما فتكون الاضافة حقيقية كغافر
 الذنب فصغ وقوعه صفة للمعرفة (فان قيل) التقييد يوم الدين ينافي الاستمرار لكونه صريحا
 في الاستقبال (أجيب) بأن معناه الثبوت والاستقرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة
 ومثل هذا المعنى لا يتبع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كأنه قيل هو ثابت المالكية في يوم
 الدين أو المراد انه جعل يوم الدين لتحقيق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر المالكية في جميع الأزمنة
 * (تنبيه) * اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجداهم منعم عليهم
 بالنعم كلها ظاهرة وباطنة عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه
 تعالى الحقيق بالجلد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواء فان ترتب الحكم على
 الوصف يشعر بعليته له (يا ايها العبد والذنتين) ايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
 والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه
 أقوال أخذ كرتها في شرح القطر (فان قيل) لم كرر ضمير اياك (أجيب) بأنه كرر للتخصيص
 على انه المستعان به لا غيره (فان قيل) لم قدمت العبادة على الاستعانة (أجيب) لتوافق رؤس
 الآتى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأيضا المناسب المتكلم
 العبادة الى نفسه أو هم ذلك فرحا واعترافا منه بما يصد عنه فعبقه بقوله وياك نستعين ليدل
 على أن العبادة أيضا مما لا يتم ولا يتيسر له الا بمعونة منه تعالى وتوفيق (فان قيل) لم عدل عن
 لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (أجيب) بأن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول من أسلوب
 الى آخر تحسينا للكلام وتشبيها للسامع فيكون أكثر اصغاء للكلام فتعدل من الخطاب الى
 الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس فيهما فهذه أقسام أربعة ذكرها البياضاي والتحقيق
 كما قاله بعض المتأخرين انما استلزم لأن الملتفت اليه اثنان وكل منهما انما غيبة أو خطاب
 أو تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرىن بهم الاصل بكم فهو التفتات من
 الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الاصل فساقه فهو

القنات من الغيبة الى التكلم * والاستعانة طلب معونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية
 فالضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاعتذار الفاعل وقصوره وحصول آله ومادة بفعل بها فيها
 وعند استجماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكافى بالفعل وغير الضرورية تحصيل
 ما يتيسر به الفعل ويسهل كل احواله في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحتمل
 عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف غالباً وقد يتوقف كأكثر الواجبات
 المتألمة (فان قيل) لم أطلقت الاستعانة (أجيب) بأنها انما أطلقت لاجل أنها تتناول المعونة
 في المهمات كلها وفي أداء العبادات واستحسن هذا الراجحى قال لتلازم الكلام
 وأخذ بعضه بجزء بعض * (تنبيه) الضمير المستكن في نعتي ونستعين للقارئ ومن معه من
 الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له وللسائر الموحدين أدرج عبادته في تضايف عبادتهم وخط
 حاجته بحاجتهم اهل عبادته تقبل ببركة عبادتهم وحاجته بحاجب اليها ببركة حاجتهم ولهذا
 شرعت الجماعة في الصلاة (فان قيل) لم قدم المفعول (أجيب) بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام به
 والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه تعبدك ولا تعبد غيرك وتقديم
 ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره الى المعبود أولاً وبالذات
 ومنه الى العبادات لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها سببة شريفة اليه
 ووصله بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس
 وغاب عما داء حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حاله من أحواله الا من حيث انها ملاحظة له
 ومتسببة اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبته محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله
 معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان معي ربى سيدى لان الاول قدم
 ذكر الله تعالى على المعية والثاني بالعكس (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة
 فكانه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا والهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير
 (فان قيل) قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم (أجيب) بأنه وارد على التكلم
 * (تنبيه) هدى أصله أن تعسدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي
 أقوم وانك لتهدى الى الصراط مستقيم فعمل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
 سبعين رجلاً لمقاتلنا وقد تعسدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضماره
 وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصى عده كإقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
 ولكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء الى
 مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل القارعة
 بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار تعالى حيث قال وهديناك النجديين أى
 طريق الخير والشر وقال وأما تودهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
 بأرسال الرسل واتزال الكتب وإياها عني بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان
 هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف لقلوبهم السرائر ويربهم بالاسماء

قوله واستحسن هذا
 الراجحى عياره
 فان قلت لم أطلقت
 الاستعانة قلت
 لتناول كل مستعان
 فيه والاحسن أن
 تراد الاستعانة به
 ويتوقفه على أداء
 العبادات ويكون قوله
 اهدنا بياناً للمطلوب
 من المعونة كأنه قيل
 كيف أعينكم فقالوا
 اهدنا الصراط
 المستقيم وانما كان
 أحسن لتلازم الخ
 اه فتأمل اهمصحه

كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
 وايامه تعالى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا (فان قيل) ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون (أجيب) بأنهم طلبوا زيادة ما منحوه
 من الهدى والنبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من قلب السين
 صاد المطابق الطاء في الاطباق وقد تشتم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب الى المبدل منه قرأ
 حجرة الصراط المعرف في هذه السورة بالانعام وهو أن يطق القارئ بحرف متواليين
 الصاد والزاي وأشتم خلف صراط الثاني كالأول وكذا جميع ما في القرآن من معرف ومنكر
 وقرأ قبل جميع ما في القرآن بالسين وقرأ الباقي بالصاد الخالصة في الجميع وهذه لغة قریش
 وهي الثابتة في الامام وهو مصحف سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه والمستقيم المستوى
 والمراد به طريق الحق وقيل له الاسلام وهذا القولان من ريان عن ابن عباس وهما متحدان
 صدقا وان اختلفا فهو ما (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية بدل من الاول بدل كل
 من كل والعامل فيه مقتدر على رأى الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو
 ظاهر مذهب سيبويه واختاره ابن لك (فان قيل) ما فائدة ذكر صراط الذين أنعمت عليهم بدلا تابعا
 وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة (أجيب) بأن فائدة التوكيد والنصب
 على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكد وجهه وأبلغه لانه جعل كالتفسير
 والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهذا
 هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد بالذين أنعمت عليهم الانبياء والملائكة
 والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبدته وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء خاصة صلوات
 الله وسلامه عليهم وقيل أصحاب موسى وعيسى قبل التعريف والنسخ * (تبيينه) * أطلق
 الانعام ليشمل كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الاصابته واشملت عليه
 ويبدل من الذين يصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
 عليه (ولا) أى وغير الضالين وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا
 الآية ونكتة البديل فائدة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم
 جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضللال
 وقيل المغضوب عليهم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدأ في أول البقرة
 بذكر المؤمنين والشاء عليهم في خمس آيات ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين
 كفروا ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله تعالى ومن انما من يقول آمنا بالله الخ وكذا هيئا
 بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم
 ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين (فان قيل) كيف صح أن يقع غير صفة المعرفة وهو
 لا يعترف وان أضيف الى المعارف (أجيب) بأنه يصح بأحد تأويلين أحدهما اجراء الموصول
 مجرى النكرة اذ لم يقصده معهود كالحلى باللام في قول القائل * ولقد أمرت على التيم يسبى * أى

لئيم يسبني اذا مرور على الكل والثاني جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد
 وهو المنعم عليه فليس في غير اذن الابهام الذي يأتي عليه أن يعرف * (تنبيه) * انما سمي كل من
 اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضال لا اختصاص كل منهم بما غلب عليه وقال
 صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى والضالين النصارى رواه ابن حبان وصححه وقيل
 المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
 لذاته والخير للعمل به فكان المقابل لمن اختل احدى قوتيه العاقله والعامله والمخل بالعمل
 فاسم مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عدا و غضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله
 تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قيل) ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس عند
 ارادة الانتقام أو قهر يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال في حقه تعالى
 (أجيب) بأنه اذا أسند الى الله تعالى أمر يديه المستهى والغاية قهضاء ارادة الانتقام من العصاة
 وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
 ونساءه ورضاه ورجته (فان قيل) أى فرق بين عليهم الاولى والثانية (أجيب) بأن محل مجرور
 الاولى نصب على المفعولة ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مثاب الفاعل (فان قيل)
 لم دخلت لافى ولا الضالين (أجيب) بأنها معنى غير كما قررته تعالى للجلال المحلى وأنها مزيدة كما قال
 الزمخشري تأكيده ما في غير معنى النفي كانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح
 بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه * (فائدة) * أول السورة مشتق على الحمد لله
 والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتق على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك
 يدل على أن مطلع الخبرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ومطلع الآفات ودأس
 الخالفات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته (فان قيل)
 ما فائدة غير المغضوب الخ بعد ذكر أنعمت عليهم (أجيب) بأن الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف
 كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا عدلا فحقوله الذين أنعمت
 عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل وحينئذ
 يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حذ السكال وقرأ أحزته عليهم غير المغضوب عليهم بضم
 الهاء وقفوا وصلوا وكذا جميع ما في القرآن وقرأ ابن كثير عليهم بواو بعد الميم في الوصل فاذا وقف
 أسقط الواو وكذا يفعل في كل ميم جمع بعد هاء حرف متحرك وأما قالون فهو مخبر في ميم الجمع
 ان شاء وصلها بواو كابن كثير وان شاء لا يصلها بواو وأما ورش فانه يصل ميم الجمع بواو وان كان
 بعدها همزة قطع فيصير عندهم منفصل وفي ولا الضالين مذهبان لازم وعارض فاللزم هو الذي
 على الالف بعد الصاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الباء قبل النون * والسنة
 للصارى أن يقول بعد غير اغم من الفاتحة امين مقصولا عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذي
 هو استعجب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه
 فقال افعل بنى على الفتح كما ين لالتقاء الساكنين وبازمة ألفه وقصرها طال يجنون ليل

يارب لاتسليني حبا أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أما بالمدة وقال جبريل لسائل الاسدى المسيح ففطعل

تساعدنى فطعل اذسألته * أمسين فزاد الله ما بيننا بعدا

فذكره مقصورا وكان من حقه التأخير لان التأمين انما يكون بعد الدعاء لكن قدمه للضرورة
وليس امين من القرآن انما قايده ليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرّت الاشارة اليه ولكن يست
ختم السورة بقوله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام امين عند فراغى من قراءة
الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كان ختم على الكتاب كما رواه أبو داود
في سننه وقال على رضى الله تعالى عنه امين ختم رب العالمين ختم به دعاء عبده ورواه الطبراني
 وغيره لكن بسند ضعيف يقوله الامام ويجهز به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر أنه
 عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا بقوله
 الامام لانه الداعى وعن أبي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يحق به والمأموم يؤمن
 مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول
 امين وان الامام يقول امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد
 الجرجاني في أماليه وما تأخر وأحسن ما فسر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال
 صفوف أهل الأرض تلى صفوف أهل السماء فاذا وافق تأمين من في الأرض تأمين من في
 السماء غفر للعبد قال ابن حجر ومن هذا الايقال بال رأى فالصبر اليه أولى وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نبي الا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
 والانجيل والقرآن مثلهما قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انما السبع المثاني والقرآن
 العظيم الذى أوتيته ورواه الترمذى وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا
 نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ناداه مناد فقال أبشروا بنورين أو تنهتما لم يؤت بهما نبي
 قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأهما الا أعطيهما وما رواه البيضاوى
 عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حقا
 مقضيا فيقرأ أصعب من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
 العذاب أربعين سنة حديث موضوع

قوله لا نبي في الكشف لابن كعب اه

(سورة البقرة هزنية)

• (وهى مائتان وسبع وعشرون آية) •

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور
من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بنظرها وننكل العلم فيها الى الله
سبحانه وتعالى وفائده كرها طلب الايمان بها والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تتحمل
الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصارا لخفايش والله تعالى استأثر بعلم لا تقدر عليه

عقول الانبياء والانباء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر
 عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل
 السور وقال على رضى الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال
 داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فوائخ السور فقال ياد اودان لكل كتاب سر أو سر
 القرآن فوائخ السور فدعها واسأل عما سوى ذلك وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى الم أنا الله أعلم وأرى
 قال الزجاج وهذا حسن فإن العرب تذكّر حرفاً من كلمة تريدونها كقولهم * قلت لها قفي فقالت فاف
 اى وقتت وقيل هي أسماء السور وعليه اطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل
 وسيبويه سميت بهم اشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب فلم تكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط
 قدرتهم عنده معارضتها ونقضه الامام الرازى بأنها لو كانت اسماءها لوجب اشتهاؤها وقد
 اشتمرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران وقيل أسماء للقرآن فانه فتادة والحكمة في الالبان
 بهذه الحرف الثلاثة أن الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
 وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع الله تعالى بينها ايماء الى أن العبد ينبغي أن يكون
 أول كلامه وأوسطه وآخره كراته تعالى ولما تكاثرو وقوع الالف واللام في تركيب الكلام
 جاء تافى معظم الفوائخ مكررتين وهي فوائخ سورة البقرة وأول آل عمران والاعراف ويونس
 وهود ويوسف والرعد وابراهيم والجر والعنكبوت والروم واقسم ان السجدة (فان قيل)
 هلا عدت هذه الحرف بأجمعها في أوائل القرآن وما لها جاءت معقوفة على السور (أجيب) بأن
 إعادة التنبيه على أن المتقدم به مؤلف منها لا غير وتجدده في غير موضع واحد أو وصل الى
 الغرض وأقرله في الاسماع والقلوب من أن يفرّد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
 فمطلوب به تذكير المكثّر في النفوس وتقريره (فان قيل) هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم تختلف
 أعداد حروفها وفردت ص و ق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين الم والم والروطمس
 على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيمعص وجمع على خمسة أحرف
 (أجيب) بأن هذا على عادة اقتنائهم في أساليب الكلام وتصرّفهم فيه على طرق شتى ومذاهب
 عدّة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك هذه الفوائخ
 تلك المسالك (فان قيل) ما وجه اختصاص كل سورة بالفتحة التي اختصت بها (أجيب) بأنه
 لما كان الغرض هو التنبيه والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة كان مطلب
 وجه الاختصاص ساقطاً كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيداً والآخر عمر لم يخصص
 ولدك هذا بزيد وولدك بعمر ولان الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك (فان قيل) هل لهذه
 الفوائخ محل من الاعراب (أجيب) بأن لها محلاً عند من جعلها أسماء لانها عنده كسائر الاعلام
 محلاً يحتمل ثلاثة أوجه أما الرفع بأنهم مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف أى هذه الم أو والنصب بفعل
 مقدّر كاذ كر أو أقرأ أوائل الم أو الجز بتقدير حذف حرف القسم (ذلك الكتاب) الذي تقرؤه

يا محمد على الناس (لا ريب فيه) لاشك في أنه من عند الله تعالى (فان قيل) لم صحت الاشارة بذلك
 الى مالم يسبغ بعد (أجيب) بأن الاشارة وقعت فيه للتعظيم ولذلك قال الطيبي أحسن ما قيل
 في توجيه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة وقيل وقعت الاشارة
 الى المبدء ماسبق التكلم به وتقصي والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل
 بحديث ثم يقول وذلك مالا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى
 لا فاض ولا بكرعوان بين ذلك وقال نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا يأتيكم طعام ترزقانه
 الا بأتكياتنا ويلي قبل أن يأتيكم ذلك كما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل سبحانه وتعالى الى
 المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حد البعد كما نقول لصاحبه وقد أعطيه شأ احتفظ بذلك
 أي تمسكه وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى اناس لن عليك قول لا نقبلأوف
 الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدنية كما مروا كثرة احتجاج على اليهود وعلى بني اسرائيل
 وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله يرسل محمدا وينزل
 عليه كتابا فقال تعالى ذلك الكتاب أي الذي أخبر الانبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبي
 المبعوث من ولد اسمعيل وقيل انه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله وأنه
 في أم الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم أخبر أمته بذلك فغير ممنوع أن يقول تعالى ذلك
 الكتاب ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثلث في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر مسمى به
 المفعول للمبالغة أو فاعل بنى لانه مفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه
 مما يكتب وأصل الكتب الضم والجمع سمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء
 في القرآن على وجوه أحدها الفرض قال تعالى كتب عليكم القصص كتب عليكم الصيام
 ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان قال تعالى فأوتيناكم ان كنتم
 صادقين أي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أي
 أجل ورابعها بمعنى مكانة السيد رقبته قال تعالى والذين يبيتون لكتاب مما ملكت
 أي انكم فكانوا هم (فان قيل) كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مراتب فيه
 (أجيب) بأن الله تعالى ما نفي أن أحد الا رتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة
 له لانه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا ينبغي لاحد أن يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان
 كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأنا وبسورة من مثله فانه لم يتف عنهم الريب بل أرشدهم الى
 الطريق المزيج للريب وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سورة ويبدلوها بغاية جهدهم
 حتى اذا هجزوا عنها لم ينجحوا لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى
 النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترتبوا
 ولا فسقوا ولا تجادلوا الريب في الاصل مصدر رابى الشيء اذا حصل فيه الريبة وهي قلق
 النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريك
 الى ما لا يريك فان الشك رية والصدق طمأنينة رواه الترمذي لكن بلفظ فان الصدق

طمانينة والكذب ريبة وصححه ومعناه اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فاذا ارتابت نفسك
 في شيء فارتكبه او اطمانت اليه فافعله فان نفس المؤمن تطاعت الى الصديق وترتاب من
 الكذب وهذا مخصوص بذوى النفوس الشريفة القدسية الطاهرة * (تنبيه) * جملة
 التي خبر مبتدؤه ذلك و(هدى) خبر ثان أى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بالمشال
 الاوامر واجتناب النواهي لاتقاهم بذلك النار وتخصيص المتقين بالذكر نشرىقاهم ولائمهم
 هم المتنفعون بالهدى كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع
 الذكرو قد كان صلى الله عليه وسلم منذر الكل الناس لان هؤلاء هم الذين اتفقوا بالذرة ولها
 ثلاث مراتب * الاولى التوفى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى
 وألزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغار عند قوم
 وهذا التجنب هو المعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا
 واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداما ما فرض الله فارتزق
 الله بعد ذلك فهو خير الى خير * والثالثة أن يتزهد عما يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي
 التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر
 التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد قرأ ابن كثيره هدى في فصل الهام من فيه ياء في الوصل
 لانها مكسورة وقبلها ساكن فان كانت هاء الكناية مضمومة وقبلها ساكن وصلها بواو فان كان
 قبلها متحركا وبعد هاء متحركا فجميع القراء يصلونها مكسورة ياء ويصلونها مضمومة بواو وفصل
 المكسورة به أن يوصل ومثال المضرومة قال له صاحبه وهو وما أشبه ذلك فان كان قبلها متحركا
 وبعد هاء ساكن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك به الله وله الملك وما أشبه ذلك ويدغم أو عرو
 الهاء في الهاء بخلاف عنه وكذا كل منلزم ما لم يكن الحرف المدغم تاممكم مثل كنت ترابا وتام
 مخاطب مثل أفانت تذكره الناس أو متون مثل جميع علمهم أو مشددا مثل فتم ميعات ربه * ثم
 وصف المتقين بما هو شأنهم بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما غاب عنهم من البعث
 والجزاء والجنة والنار والصراف والميزان والايان لغة التصديق وشرعا قبل التصديق بما علم
 بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة
 أمور واعتقاد الحق والاقرباء والعمل بمقتضاه عند جهور الحديث والمعتزلة والخوارج
 والاصح أنه التصديق وحده ويدل له أنه تعالى أضاف الايمان الى القاب فقال كتب في قلوبهم
 الايمان وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال ولم يؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في
 مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طاعتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا
 كتب عليكم القتلى فلم يكن الايمان التصديق فقط بل هو وترك المعاصي
 لم يكونوا مؤمنين (فان قيل) قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره ان الايمان قول وعمل
 ويزيد وينقص (أجيب) بأن ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ ورش والسوسي بإبدال
 الهمزة الساكنة في يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة في الوقف (ويقومون الصلاة) أي يدعونها

ويحافظون عليها في مواقيتها بمجدودها وأركانها وهياتها يقال قام بالامر وقامه اذا أتى به
يعلى حقوقه لان الحقيق بالمدح من رأى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
الباطنة كالخشوع والاقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم قول لا مصلين والمراد بها الصلوات الخمس
ذكر بلفظ الوجدان كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأُنزل معهم الكتاب
بالحق يعني الكتب والصلاة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم أي ادع لهم وفي الشرع
اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتسليم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ورش بتخليط اللام
في الصلاة حيث جاء (وعارزقناهم) أي أعطيناهم (ينفقون) يخرجون المال في طاعة الله
فرضا كان أو نفلا ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والاصل فيه أو خصه بها لا اقتراها
بالصلاة لأنها ما يذكران معاني القرآن ويحتمل أن يراد به الاتفاق عما منحهم الله من النعم
الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبراني في الاوسط طر فوعائل الذي يعلم العلم ثم لا يحدث
به كمثل الذي يكنز الكثير فلا ينفق منه والى هذا ذهب من قال وبما خصصناهم به من أنوار المعرفة
يفيضون والرزق بالكسر في اللغة الخلق قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أي حظكم ونصيبكم
من القرآن أنكم تكذبون وأما بالغن فهو مصدر بمعنى اعطاء الخلق كما أنه بالكسر يكون
مصدرا أيضا كما قيل به في قوله تعالى ومن رزقناه منازر فاحسننا وفي العرف اسم لكل
ما ينتفع به حتى الولد والرقيق والمعتز لما استحق الوامن الله أن يمكن من الحرام لانه تعالى منع
من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه فالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق
ههنا إلى نفسه ابدأنا بأنهم ينفقون الحلال الصريف الطيب وأن اتفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأجاب أهل السنة عما ذكر بأن الاسناد للتعظيم والتعريض على
الاتفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقهم بالحلال للقرينة وتسمي كوالشعول
الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء عمر بن قرة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقوة فلا أرى أن رزق الامن
دفي بكفي فأذن لي في الغشاء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ولا كرامة كذبت أي عدو الله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاختر ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه
لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها (تنبيه) تقديم رزقناهم على ينفقون للاهتمام به وللمحافظة على
رؤس الآتي وادخال من التبعية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه في حق من لم يصبر
على الاضاعة والافليس باسراف فقد تصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أي القرآن باسمه والشرعية
عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقا تغليباً للموجود على ما لم يوجد فيكون

مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض أو تنزيلا للمنظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار
 تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفي كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جازع عند
 الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والانجيل وغيرهما من
 سائر الكتب السابقة على القرآن والایمان بالانزالين جملة فرض عين وبالأول دون الثاني
 تفصيلا من حيث انما تعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد
 بوجوب الحرج وبشوش المعاش وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
 وأمثاله * (فائدة) * الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب أنزل على السيد شيت ستون صحيفة
 وعلى السيد ابراهيم ثلاثون وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والاربعة الاخرى
 التوراة والانجيل والزبور والفسر فان العظيم واختلف القراء في مدة وقصر ما أنزل فقالون
 والدوري عن أبي عمرو وعبدان وبصران وابن كثير والسوسي يقصران بلا خلاف وباقي القراء
 وهم ورش وعاصم وحجرة والكسائي يمتدون بلا خلاف ويتفاوتون في طول المتفاوت لهم ممتدا
 ورش وحجرة ودونهم عاصم ودونه ابن عامر والكسائي وهكذا كل ممتد منفصل (وبالآخره هم
 يوقنون) أي يعلمون أنها كآية لأن اليقين هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاك فيه قاله الامام
 الرازي ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال يقين الله كذا ولا يتقن
 أن الكل أكبر من الجزء * (فائدة) * سميت الدنيا دنيا لدنواها من الآخرة وبسمت الآخرة آخرة
 لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا وهي تأنيث الآخرة صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
 الآخرة قرأ ورش الآخرة بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث جاء وكذا الارض وقد
 افلح ومن امن وما أشبه ذلك (أولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى) أي رشد (من ربهم)
 ونكر هدى للتعظيم فكانه أن يريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يسادر قدره وأكده تعظيمه بأن الله
 ما فقهه والموفق له * (تنبيه) * جميع القراء يمتدون أولئك بلا خلاف لانه متصل لكن مرتبة ابن
 كثير وابي عمرو ودون مرتبة ابن عامر والكسائي في المتصل والمنفصل وأولاء كلمة معناها
 المكثبة عن جماعة والكاف للخطاب كما في حرف ذلك (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون
 الجنة والناجون من النار كتر فيه اسم الإشارة تنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
 كل واحد من الاختصاصين وأن كلامهم ما كاف في تمييزهم بما عن غيرهم فلا يحتاجون فيه الى
 مجموعهما (فان قيل) لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم
 أضل أولئك هم الغافلون (أجيب) بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما ادعى
 هدى من ربهم والمفلحون وان تناسبتا تعلقا مختلفتان منه وما وجودا مقصودا لان الهدى
 في الدنيا والفلاح في العقبى وثابت كل منهما مقصود في نفسه بخلاف كالانعام والغافلون
 فانهم ما وان اختلفا منه وما قد اتفقا مقصودا ووجودا اذ لا معنى للتشبيه بالانعام المبالغة
 في الفسقة في الدنيا فاناسب العطف في الاول دون الثاني * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه
 وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة

للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لانه يظهر قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه معنى الزراع فلا حال انه يشق الارض فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة * ولما ذكر الله تعالى خاصة عبادته وخاصة ألبابه بصفتهم التي أهلهم للهدى والصلاح عقبهم بذلك أضافهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تنفع عنهم الآيات والنذر بقوله تعالى (أَن الَّذِينَ كَفَرُوا) الكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكام الثمر كفور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة بحجج الرسول به وينقسم الى أربعة أقسام كفر انكار وكفر بحجود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس واليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسمة * لوجدتني سمعاً بذل مصينا

وأما كفر النفاق فهو أن يقرب باللسان ولا يعتق بالقلب وجميع هذه الأقسام من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به * (تنبه) * احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي فجو ان الذين كفروا انا نحن نزلنا الذكر انا أرسلنا نوحا على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة الخبر عنه والقديم يستحيل أن يكون مسبوقا بغيره فأجاب أهل السنة بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث الخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه تعالى فانه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظي حدوث الكلام النفسي (سواء علمهم) أي متساو لديهم (أأذرتهم أم لم تذرتهم) أي خوفهم وحذرتهم أم لا والانداء اعلام مع تحذير وتغذير فكل منذر معل وليس كل معلم منذر وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر أهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) بما جئت به وهذه الآية في أقوام حققت عليهم كلمة الشقا في سابق علم الله تعالى كما في جهل وأبي لهب وغيرهما فلا تطمع في إيمانهم واحتج بهذه الآية

من جواز تكليف ما لا يطابق فانه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا وقع الخلف في كلامه تعالى وهو محال والحق ان التكليف بالممتنع لذاته جائز عقلا غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع لغيره كالذي تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فانه جائز وواقع اتفاقا * (تنبيه) * ههنا همزان مفتوحان من كلمة فقالون وأبو عمر ويسملان الثانية ويدخلان بينهما ألفا وكذا ورش وابن كثير الا انهم لم يدخلوا ألفا بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع ادخال ألف بينهما

والباقون بالتحقيق والقصر وجميع القرآن يحققون الاولى * ثم ذكر سبب تركهم الايمان بقوله
تعالى (ختم الله على قلوبهم) أى طبع واستوثق فلا يدخلها ايمان ولا خير والختم الكتم
سمى به الاستيناف من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له (وعلى سمعهم) أى مواضعه
فلا يتفقهون بما يسمعون من الحق وقوله تعالى (وعلى ابصارهم) أى أعينهم (غشاوة) مبتدا
وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يصررون الحق وعبر الله تعالى عن احداث هذه
الهية بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال
فى قوله تعالى ولا تسمع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاغفاء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية
وهذه الهية من حيث ان المكثات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه
تعالى ومن حيث انها مبدية عما اقترهه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى
ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وروى الاية مظهرة عليهم شناعة صفتهم
وخامة ما قبلتهم (فان قيل) لم وحد السمع دون القلوب والابصار (أجيب) بأنه على حذف
مضاف مثل وعلى حواسهم كواضعه كما رتبة قدره أو باعتبارها الاصل فانه مصدر فى أصله
والصادر لاثنى ولا تجمع والابصار جمع بصروها وادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع قال البيضاوى ولعل المراد به ما فى الاية العضو لانه أشد
مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب ويراد به العقل والمعرفة
كما قال الله تعالى ان فى ذلك لذكر لمن كان له قلب أى عقل وأمال أبو عمر وألف أبصارهم وكذا
كل ألف بعده راء مكسورة منتزعة وانما جازا ما التما مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعيلة لما فيها من التكرير (ولهم عذاب عظيم) أى قوى دائم فى الآخرة وهذا وعيد
وبيان لما يستحقونه والعذاب كل ما يعي الانسان ويشق عليه وقال الخليل العذاب ما يمنع
الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون
الكبير لان العظيم فوقه لان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير واذا كان الحقير
مقابلا للعظيم والصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا والكبير قد
يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة والعذاب للتوبيخ لانها لما قرنا
الختم على القلوب كان المعنى نوعا عظيما منه أى على أبصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو
التعمى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله * ونزل فى المنافقين حكاية
لخالصهم قوله تعالى (ومن الناس) أمال أبو عمر والالف قبل السين المكسورة إحالة محضة
وهكذا كل ألف مثلها والباقون بالغنى (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) أجمع المفسرون
على أن ذلك وصف المنافقين فالواصف الله الاصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين
فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ونفى بأضدادهم
الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا وثبت بالوصف الثالث المذهب بين القسمين وهم الذين آمنوا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكمينا للتقبيح وهذا الصنف أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله

تعالى لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين في أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث
 أنهم ينسبون الى الله تعالى ما هو برى منه كالولد والزوجة والشرىك زادوا عليهم بأمور
 منكروة منها أنهم قصدوا التليس ورضوا الانفسهم بسمة الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخطوا
 به خداعا واستتراه ولذلك طوّل الله في بيان خبيثهم وجهلهم واستهزأهم وتهكم بأفعالهم وسجل
 على عهدهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
 واللام في الناس للجنس ومن موصوفة لالعهد وكانه قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل
 للعهد والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظر اؤه فانهم من حيث
 أنهم صمموا على النفاق دخلا في عداد الكفار المحتوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
 على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس (فان قيل) خصت من بالموصوفة على تقدير الجنس
 وبالموصولة على تقدير العهد (أجيب) بأن الجنس لا يهاجمه يناسب الموصوفة لتكثيرها والعهد
 لتعينه يناسب الموصولة لتعريفها واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذات كتحصيل
 لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم اختاروا الايمان من المبداء والمعاد وأنهم
 منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يصدق به النفاق وهو عدم التصديق
 بالقلب لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر بما نكالا ايمان لا اعتقادهم
 التشبه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار ان تمسهم الايام معدودة وغير ذلك
 ويرون المسلمين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
 والاستحكام والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي أو الى أن يدخل أهل الجنة
 الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة بطرفين (وما هم بعمنين) لابطانهم الكفر
 وهذا الزكرا لما ادعوا اثنائه ووحيد الضمير في بقول نظر الى لفظة من لانها صالحة للتثنية
 والجمع والواحد وجمع فيما بعد فانظر الى معناها (فان قيل) كيف طابق قوله وما هم بعمنين
 قوله آمن بالله فان الاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
 فكان المطابق له وما آمنوا (أجيب) بأنه انما عدل الى ذلك لرد كلامهم بأبلغ وجه وأكده لان
 اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين أبلغ من نفي الايمان عنهم في ماضى الزمان ولذلك أكد النفي
 بالباء ونظيره قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك
 وما يخرجون منها وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الايمان في شئ ويحتمل أن يقيد بها
 قديومه وهو قوله تعالى بالله وباليوم الآخر لأن وما هم بعمنين جوابه والاية تدل على أن من
 ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من نفى بالشهادتين فارغ القلب
 عما وافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا (يبدعون الله والذين آمنوا) اذا ظهر واخلاف ما بطنوه من
 الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ويحفظوا أموالهم ويحفظوا أصل الخدع في اللغة
 الاخفاء وبسبب الخدع الليث الذي يخفى فيه المتاع فالخداع أظهر خلاف ما بضر والخداعة
 تكون بين اثنين وخذاعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولا أنهم

لم يقصد واخذ بعته بل المراد اما تخدعة رسوله أو وليائه على حذف المضاف لانهم لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في نفاقهم تخدعة الله تعالى فعلم أن خداعهم مع الله ليس المراد ظاهره كما في قوله تعالى وأسأل القرية أي أهلها وعلى أن معاملته الرسول معاملته الله تعالى من حيث انه خليفة كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما أن صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنيع الله معهم من اجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجهم وامثال الرسول والمؤمنين أمر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام بحجارة لهم يمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بخداعون يخدعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا أنه أخرجه في زنة قاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت لاه غالبية والفعل متى غلب فيه كان أبلغ منه اذا جاء بالمبالغة معارض استصحب الزنة ما ذكر من المبالغة وقال الجلال المحلى والتخادعة هنامن واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحيين (وما يخدعون الأنفسهم) لان وبال خداعهم راجع عليهم فيغفخون في الدنيا باطلاع نبيه على ما بطنوه ويعاقبون في الآخرة والنفس ذات النسي وحقيقته وقرآن نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وقرأ الباقون وهم عاصم وابن عامر وحزرة والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء ولألف بعدها وفتح الدال ولا خلاف بين القراء في الكلمة الاولى وهي يخدعون الله فالجميع قرأ بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال واما الرسم في الموضعين فبغير ألف (وما يشعرون) أي لا يحسبون بمعنى لا يعلمون أن خداعهم لانفسهم لتمادي غفلتهم جعل الحقوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالحسوس الذي لا يتخفى الاعلى موقف الحواس وهو المصاب بأفة (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق لان ذلك يمرض قلوبهم أي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما يمرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمال أفعالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والبغض وحب المعاصي لانها ممانعة من نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحماة الحقيقية الابدية والاية تحتمل الحقيقة والمجاز وعلى المجاز اقتصر أكثر المفسرين لانه أبلغ من الحقيقة (فزادهم الله مرضا) بما أنزل من القرآن لانه كلما أنزل آية كفر وابتغا فزادوا واشكوا وتفاعوا واسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه خلقها وأوجدناها الى السورة في قوله تعالى فزادهم رجسا لكونها اسببا وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف التي بعد الزاي محضة والباقيون بالفتح (ولهم عذاب أليم) أي ولم يفتح اللام وصف به العذاب للمبالغة اذ الالم انما هو الم عذب حقيقة لا للعذاب فلسبة الالم الى العذاب مجاز ويجوز كسر لام مؤلم كسميع بمعنى مسمع وعليه فنسبة الالم الى العذاب حقيقة (بما كانوا يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الدال أي تصكذبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الدال أي يكذبهم

في قوله أمثالاً لأن الإيمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به قال
 البيضاوي تعالى لم يخشئ وهو حرام كـله لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب على
 الكذب وما روى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات أي لما روى البخاري
 ومسلم في حديث الشفاعة فيقول إبراهيم في كذبت ثلاث كذبات وذكر قوله في الكوكب
 هذا ربي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله أني سقيم فالمراد التعريض أي وهو اللفظ المشار به
 إلى جانب والغرض جانب آخر وقيل هو خلاف التصريح وهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر
 وتسمى تعريضاً لما فيه من التعريض عن المطلوب ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
 انتهى وهذا ليس على إطلاقه فإن من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب وما هو واجب
 وما هو حرام لأن الكلام وسيلة إلى المقصود فكل مقصود محمود أن أمكن التوصل إليه بالصدق
 فالكذب فيه حرام وإن لم يمكن إلا بالكذب فهو مباح أن كان المقصود مباحاً ومندوباً أن كان
 المقصود مندوباً وواجب أن كان المقصود واجباً وفي حديث الطبراني في الكبير كل الكذب
 يكذب على ابن آدم الاثنتان الرجل يكذب في الحرب فإن الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة
 في زوجها والرجل يكذب بين الرجلين فيعلم بينهما وفي حديث في الاوسط الكذب كله اثم
 الا ما نفع به مسلم وأدفع به عن دينه (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء فهو عطف تفسير على يكذبون فحمله
 نصب لكونه معطوفاً على خبر كان فيكون جزأ من السبب الذي استحقاقه العذاب الأليم أو على
 بقول فلا محمل له من الاعراب لكونه معطوفاً على صلة من فلا يكون جزأ من السبب والقائل
 هو الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين (لأنفسدوا في الأرض) بالكفر
 والتعويق عن الإيمان والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصالح ضده والفساد يعتم كل
 ضار والصالح يعتم كل نافع وكان من افسادهم في الأرض إثارة الحروب واقتتال مجاعة
 المسلمين ومعاونة الكفار المتمعض كفرهم على المسلمين فإن ما ذكر يؤدي إلى فساد ما في الأرض
 من الناس والدواب والحشر ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فإن الاخلال بالشرائع
 والاعراض عنها مما يوجب القتل والاختلاط ويخل بنظام العالم لأن ذلك افساد لأن الافساد
 جعل الشيء فاسداً وصنيعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تنفسدوا في الأرض مجاز باعتبار المال
 أي لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد وليس معنى الافساد هنا الاتيان بالفساد ليصح حمل الكلام
 على الحقيقة نبه على ذلك السعد التفناني (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لا ذا ورد
 للناس على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شئت ليس الا اصلاح وان
 حالتنا متعضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد صبر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
 وانما يطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة اصلاح لما في قلوبهم من المرض
 كما قال تعالى أني زين له سوء عمله فراه حسناً قال الله تعالى يرد عليهم ما بلغ ردة (ألا أنهم هم
 المفسدون) أي بما ذكر (ولكن لا يشعرون) أي لا يقطنون بمعنى لا يعلمون أنهم هم المفسدون
 بذلك أي لانهم يظنون أن الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم

من العذاب ووجه الابلية في ذلك تصديره بالألمنة على تحقيق ما بعده فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي أفادت تحقيقاً وبياناً المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) هذا من تمام النصيح والارشاد فان كمال الايمان بمجدوع أمرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والايمان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) أي كايمن الناس الكاملين في الانسانية الموافق باطنهم فيه لنظايرهم العالمين بقضية العقل فاللام في الناس للجنس فان اسم الجنس كما يستعمل لسماءه مطلقاً يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصود منه أول العهد والمراد به الرسول ومن معه وأبعد الله من سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقرأ هشام والكسائي قيل بأشمام القاف وهو أن تضم القاف قبل الباء ولورش في الهمزة من آمنوا ومن المد والتوسط والقصر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فاللام في السفهاء للعهد وهم من تقدم أول جنس السفهاء بأسرهم وانما سقوهم لاعتقاد فساد رأيهم أول لتحقير شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا قراءاً ومنهم موال كصهيب وبلال أول لتجلد وعدم المبالاة بين آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشباعه قال الله تعالى رذا عليهم أبلغ رد (ألانهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء بما فعلوه من ابطان غير ما أظهره ووجه الابلية في تجهيلهم أن الجاهل يجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر (فان قيل) كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (أجيب) بأن هذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم لاعتد المؤمنين فأخبر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك والسفهاء خفة وخفاقة رأى يقتضيهما نقصان العقل والعلم يقابله (فان قيل) لم عبر في هذه الآية بلا يعلمون وفي التي قبلها بلا يشعرون (أجيب) بأن التعبير بلا يعلمون أكثر مطابقة لذكر السفه لان السفه جهل فطابقه العلم ولأن أمر الايمان أخروي يحتاج الى دقة نظر فعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يعلمون وأمر البغي والفساد ذنوبى فهو كالحسوس لا يحتاج الى دقة نظر فعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يشعرون ويشعر مضارع شعري يقال شعرت كذا أى حسست به أو أدركته أى فطنت له وقد استعمل بالمعنى الأول في قوله وما يشعرون وفي الثاني بقوله لا يشعرون كما يعلم مما به قرره في الآيتين وقرأ ابن عامر وعاصم وحجة والكسائي السفهاء ألا بتحقيق الهمزتين وكذا كل همزتين وفتحاً في كلتين اتفقنا واختلفنا والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وبإبدال الشاينة واوخالصة (رأى القوا الذين آمنوا) اللقاء المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة يقال لقيتهم ولاقيته اذا صادفته واستقبلته وأصل لقوا لقيوا حذف الضمة للاستئصال ثم الياء لالتقاءهما ساكنة مع الواو (قالوا آمننا) أي كايمنناكم (واذا خلوا) منهم ورجعوا (الى شياطينهم) أي الذين مانوا الشياطين في ثردهم وهم المظهرون كفرهم واصافتهم اليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا انامكم) أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجلالة الفعلية ومما ثلث الشياطين

بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج اداء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قاله مع الكفار (انما نحن مستهزؤن) بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى نخبرهم باظهارنا الاسلام لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه فهذا تأكيده لما قبله وأبدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر واستتاف فكان الشياطين قالوا اللهم لما قالوا اننا معكم ان صح ذلك فما بالكم وافتقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا بذلك * (تنبيه) * بين سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار روى الواحدى وغيره ولكن يستند ضعيف ان ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أردته هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ يسد أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يدعمر رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يسد على رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بنى عثم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشنه أى زوج بنته عند العاتية وعند العرب كل من كان من قبل المرأة وكل منها صحيح هنا سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وما صدر به قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بسوق لبيان مذهبهم وقهم سد نفاهم فليس بتكرير (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم بعمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سعى جزاء السيئة بسببها ما قلنا باللفظ باللفظ وألكنه مما ثلثه فى القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة أو ينزل بهم الحقايرة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والقرض منه أو يرجع وبالاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما فى الدنيا فباجراء أحكام الاسلام عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة مع القادى والطغيان وأما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يفتحون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أنه تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم وأن استهزاهم لا يبالى به لحقارتهم (ويعدهم فى طغيانهم) أى فى ضلالاتهم (بعمهون) يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انما طغى الماء حجازا كم قال البضاوى والعمه فى البصيرة كالمعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عمه وعمه وأرض عمها لامنار لها اه وظاهر كلامه اختصاص العمه بالبصيرة والعمى بالبصر وهو ما ذكره ابن عطية فينهج تباين وقال الامام وغيره العمه فى البصيرة والعمى عام فيها وفى البصر فينهج ما عمو مطلق وأمال الدورى عن الكسافى ألف طغيانهم امالة محضة وفتحها الباقون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى اختاروها عليه واستبدلوها به وأصل الشراء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب

من الاعيان فان كان أحد العوضين ناضعا عين من حيث انه لا يطلب لعينه أنه يكون غنا وبذله
 اشتراء والا فالتمن ما دخلت عليه الباء فبازله. اشتروا خذوا بائع ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن
 الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخذوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالقطرة التي فطر الناس عليها
 محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى وأمال ألف الهدى
 حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح (فأربحت تجارتهم) أي
 ما ربحت أرباحها والتجارة التصرف بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال واستناده الى
 التجارة وهو لا ربها على سبيل الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشايتها أياها من حيث أنها سبب
 الربح والخسران واتفق القراء على ادغام التاء في التاء وكذا كل مثليين الاوّل منهم ما ساكن
 (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهو لا قد أضاعوا
 الامرين لأن رأس مالهم كان القطرة السليمة والعقل المصروف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
 استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوصلون به الى ادراك الحق وينيل الكمال
 فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدون للاصل (مثلهم) أي شبههم وصفتهم في تفاهتهم
 (كمثل الذي) بمعنى الذين بدليل سياق الآية ونظيره والذي جاء بالصدق وصدق به أو ائتمهم
 المتقون وقوله تعالى وخضعتم كالذي خاضوا وقصده جنس المستوقد والنوع الذي (استوقد)
 أي أوقد (نارا) في ظلمة المأجاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل وهو بيان تصوير تلك الحقيقة
 وابرازها في معرض المشاهد المحسوس زيادة في التوضيح والتقرير فأنه أوقع في القلب وأقع
 للنصم قال البضاوي والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
 لهبها اه والاكثر على أن استوقد هنا بمعنى أوقد كما قدرته لاجب على طلب الوقود (فلما أضأت)
 أي أنارت النار وأضاء لازم ومتعدي يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاء غيره (ما حوله) أي
 المستوقد فأبصر واستدفا وأمن ما يخافه (ذهب الله بنورهم) أي أطفأه وهذا جواب
 لما واستناد الاذهاب الى الله تعالى امالان الكل بفعله أولان الاطفاء حصل بسبب خفي
 أو أمر سماوي كريح أو مطر أو له بالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
 من معنى الاستصحاب والاستمسك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه
 الله تعالى وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
 لو قيل ذهب الله بنورهم احتمل ذهابه بغير الضوء من الزيادة وبقاء ما يسي نور والغرض ازالة
 النور عنهم وأسا لا ترى كيف قتر ذلك وأكده بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
 ما حوله لهم متعدين عن الطريق خائفين فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانظماسه بالكلية
 وكيف جمع الظلمة وكيف نكروها وكيف أتمها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله لا يبصرون
 وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
 بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة الضلال وظلمة سقط الله وظلمة العقاب المرمدى وظلمة شديدة
 كأنها ظلمات متراكمة والآية وهي قوله مثلهم الخ من مثل ضربه الله لايمان المنافقين من

حيث انه يعود عليهم بمحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغام
 والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره باهلا كههم وافناء حالهم باطنافه
 الله تعالى اياها واذهاب نورها هذا هو الواو اذ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل مثل ضربه
 الله لن آتاه ضربا من الهدى واضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فيق متخييرا متعسرا انقري را
 وتو بخالما تضمنه قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الخ ويدخل تحت عموم
 ما تضمنته الآية هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا ما انقطعت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر
 واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن أثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة وأرتد عن
 دينه بعدما آمن وقرأ ورش بتريق رأي يصرون هم (صم) عن الحق فلا يسمعون به سماع قبول
 وأصل الصم صلابه من اجتماع الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به
 فقد ان حاسة السمع لان سببه أن يكون باطن الصماخ مجمعا لا يتجوف فيه يشمل على هوا يسمع
 الصوت بتوجهه (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه والخرس في الاصل عدم القدرة على
 النطق (عمى) عن طريق الهدى فلا يرويه والعمى في الاصل عدم البصر عما من شأن أن يصير
 وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه وعن
 الضلالة لتي اشتروها (أو) مثلهم (كصيب) فهو معطوف على الذي استوقد أي كمثل أصحاب
 صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأوفى الاصل للتساوي للشك ثم اتسع فيها فأطلق
 للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطلع منهم أنما وكفورا
 فانه يفيد التساوي في حسن الجمال في المثال الاول وجوب العصيان في الثاني ومن ذلك
 قوله أو كصيب من السماء ومعناه بقدر شدة السياق أن قصة المنافقين مشبهة بها تين القصتين
 وأنهما مساوي في صحة التشبيه بهما وأنت مخبر في التمثيل بهما أو بآياتهما شئت وان كان الثاني
 أبلغ كما قاله الزمخشري قال لانه أدل على فرط الخيرة وشدة الامر وقضا عته والصيب أصله صوب
 من صاب يصوب وهو النزول يقال للمطر وللصحاب والآية تختلما أي ينزل (من السماء)
 ذلك فان قدرت الصيب بالمطر فالمراد بالسماء السحاب وان قدرته بالسحاب فالمراد السماء بعينها
 والسماء كل ما علاك وأطلق وهي من أسماء الاجناس فيكون واحدا وجعا (قبة) أي الصيب
 وقيل السماء (ظلمات) جمع ظلمة فان أريد بالصيب المطر فظلمة ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه
 مع ظلمة الليل وان أريد به السحاب فظلمة سواده وتكاثفه مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع
 من السحاب قال البياضوي والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا
 ساقها الريح من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء يريقها هذا ما جرى عليه
 الجوهرى وغيره وهو المناسب هنا وان أطلق الرعد على الملك أيضا فهو مشتق من بين الصوت
 المذكور والملك الثابت في الاحاديث فني بعضها أنه ملك موكل بالسحاب يسده مخزاق من نار
 يزجر به السحاب يسوقه الى حيث شاء الله وصوته ما يسمع وفي بعضها أنه ملك ينطق بالغيث كما
 ينطق الزاعى بغيته وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسييح كما يسوق الحادى الابل بحمدائه

وفي بعضهم أنه ملك مسمى به وهو الذي تسمعون صوته (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابعهم) أى أناملها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة لما في ذلك من الأشعار بدخول أصابعهم فوق المعتاد فراراً من شدة الصوت (فى آذانهم) وقوله (من الصواعق) متعلق بجعلون أى من أجلها يجعلون وهو جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت من سماعها أو يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء روى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الزعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وأمال الدورى عن الكسائى ألف التى بعد الذال فى آذانهم أمانة المحضة والباقون بالفتح * وقوله تعالى (حذر الموت) نصب على العلة كقول الشاعر

« واغفر (أى استر) عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللقيم تكريماً
قال البيضاوى والموت زوال الحياة زاد فى الطوالع عما من شأنه الحياة وفيه تساهل اذ يلزم منه أن يكون الجنين قبل حلول الحياة فيه ميتاً والظاهر كما فى شرح المواقف أن يقال عدم الحياة بما انصف به بالفعل فيبينهما تقابل العدم والملكية على التفسيرين وقيل عرض بضادها فيبين ما تقابل التضاد لقوله تعالى خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقاً والعدم لا يخلق ورد بأن الخلق بمعنى التقدير لا بمعنى الإيجاد والاعدام مقدرة ولو سلم بأنه بمعنى الإيجاد فالعنى خلق أسباب الموت والحياة وبذلك علم أن القول الأول هو المعتمد وكلام أئمة اللغة طامح به وحاصله أن الموت مفارقة الروح الجسد وما ورد فى الأحاديث من أنه جسم حيث قيل فى بعضها أنه كبش وفى بعضها أنه على صورة كبش لا يمر على أحد الامات فيقول بأنه لم يقصد بالموت فيها حقيقته بل قصده أنه يصور بصورة كبش كما فى خبر الشيخين وغيرهما أنه يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فوقف بين الجنة والنار الخ (والله محيط بالكافرين) علماً وقدرته لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطة المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الآن يحاط بكم أى تهلكوا والجملة اعتراضية لا محل لها قال أبو حيان لأنها دخلت بين هاتين الجملتين وهما يجعلون أصابعهم ويكاد البرق وهما من قصة واحدة ويميل ورش ألف بعد الكاف بين بين وكذا الكافرين حيث جاء وقرأ أبو عمرو والدورى عن الكسائى بالامالة المحضة فيه ما حيث جاء والباقون بالفتح (يكاد البرق) يقرب لأن كاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لحصول سببه لكنه لم يوجد ما لفقد شرطاً ولعروض مانع وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقراب (يحطف أبصارهم) يحطفها والخطف الإخذ بسرعة (كلمات أضاء لهم مشوا فيه) أى ضوته (واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا وتمحيزين فأنه تعالى شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفارقة فى ليلة مظلمة أصابعهم مطر فيه ظلمات من صفاتها أن السارى لا يمكنه المشى فيها وورد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم فى آذانهم من هولاء وبرق من صفته أن يقرب من أن يحطف أبصارهم ويعمها من شدة وقده فهذا مثل

ضربه الله تعالى القرآن وصفيح الكافرين والمنافقين معه فالمرط القرآن لانه حياة القلوب
 كما أن المرط حياة الابدان والطلقات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به
 من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعود ذكر الجنة والكافرون
 والمنافقون يستدرون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه ولا زعاج ما في القرآن
 من الحجج قلوبهم وانما قال الله تعالى مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حتراس على المشي
 كل صافوا منه فرصة مما يحبون انتزوها ولا كذلك التوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا وقفوا
 كما مر ومنه قامت السوق اذا ركبت أى سكنت ويقال قامت السوق بمعنى نفقت فهو من
 الاضداد (ولو شاء الله لذهب بسبعهم) بمعنى أسمعهم (وأبصارهم) الظاهرة كما ذهب بالباطنة
 أى ولو شاء أن يذهب بسبعهم بشدة صوت الرعد وأبصارهم بلعان البرق لذهب بهم سماعا وحذف
 المفعول وهو أن يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه واقدت ككسر حذف المفعول في شاء
 وأراد اذا وقع في حيز الشك كما هنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء
 المستغرب كقول القائل

فلو شئت ان أبكى دما لبكيت * عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وأنى فيه بالمفعول لان بكاء الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه معنى الصب ولومن حروف الشرط
 قال البيضاوى وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لاتقاء الثاني ضرورة انتفاء المزوم عند
 انتفاء لازمه اه وهذا مذهب ابن الحاجب وأما مذهب الجمهور وهو الاصح فانه ما في الاصل
 لاتقاء الثاني لاتقاء الأول فعنى لو جئتنى أكرمته أن انتفاء الاكرام لاتقاء المجئ وقيل انها
 لمجرد الربط كان ومن ثم قال التقطاراني ان لو هنا مجرد الشرط بمنزلة ان لا بعناها الاصلى وفائدة
 هذه الجملة الشرطية ابداء المانع لذهاب سببهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه وهو أنه تعالى
 أمهل المنافقين فيما هم فيه ليعتادوا في الغي والفساد ليكون عذابهم أشد وللتنبيه على أن تأثير
 الاسباب في مسبباتهم مشروط بحسنة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بتدبره
 تعالى وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) أى يشاؤه (قدير) كالتصريح بما ذكره والتقرير له والشئ
 يختص بالوجود فلا يطلق على المعدوم (فان قيل) لو اختص الشئ بالوجود لما تعلق به القدرة
 لانها الصفة المؤثرة على وفق الارادة وتأثيرها لايجاد وابطعاد الموجود محال فالذى تعلق
 به القدرة معدوم وهو شئ فالمعدوم شئ (أجيب) بأن المحال ايجاد الموجود بل وجود سابق
 وهو غير لازم واللازم ايجاد موجود وهو أن ذلك لايجاد وليس بمحال والقدرة هو التمكن من
 ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يمكن من الفعل وقدرة الله
 تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال
 لما يشاء ولذلك قلنا يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدير من القدرة لان القادر يوقع
 الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفي ذلك دليل على أن الحادث حال
 حدوثه والممكن حال بقاءه مقدور وان مقدورا العبد مقدور الله تعالى خلا لا يابى على وأبى

هاشم لأنه شيء وكل شيء مقدور واحتج بعض الفرق بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى ليس
 بشيء قال لانهم اتدل على أن كل شيء مقدور لله تعالى والله سبحانه وتعالى ليس بمقدوره فوجب
 أن لا يكون شيئاً واحتج أيضاً على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شيء قال لو كان هو تعالى شيئاً فهو
 تعالى مثل مثل نفسه فكان يكذب قوله تعالى ليس كمثله شيء فوجب أن لا يكون شيئاً حتى
 لا يناقض هذه الآية واعلم أن هذا الخلاف في الاسم لأنه لا واسطة بين الموجود والمعدوم واحتج
 أصحابنا بوجوهين الأول قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله والثاني قوله تعالى كل شيء هالك
 الا وجهه والمستثنى داخل في المستثنى منه فوجب أن يكون شيئاً (واجب) عن قوله أن هذه
 الآية تدل على أن الله تعالى قادر على نفسه بأن تخصيص العام جائز في الجملة وأيضاً تخصيص
 العام جائز بدليل العقل (فان قيل) اذا كان اللفظ موضوعاً للكل ثم انه تنبأ انه غير صادق
 في الكل كان هذا كذباً وذلك يوجب الطعن في القرآن (أجيب) بأن لفظ الكل كما أنه
 مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجازاً في الاكثر فاذا كان ذلك مجازاً مشهوراً في اللغة لم يكن
 استعمال اللفظ فيه كذباً ورقق ورش الرأى من قدر وصلوا وقنوا وباقي القرآن بالترقيق وقفا
 لا وصلوا ولم يعد سبحانه وتعالى فرق المكلفين وذكر خوارصهم ومصارف أمورهم أقبل تعالى
 عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدا واربكم) تحريراً كالسامع
 وتنشيطاً واشتغالاً بأمر العبادة وتفخيماً للشأن وجبر المشقة العبادة بلذة المخاطبة وباحرف
 وضع لبدء البعيد وقد نادى به القريب تنزيلاً لمنزلة البعيد ما لفظته كقول الداعي يارب
 وبالله وهو أقرب اليه من جبل الوريداً ولغفلته وقلة فهمه أو لاعتناء بالمعدومة وزيادة الحث
 عليه ولفظ الناس بموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيوجد تنزيلاً للمعدوم منزلة الموجود
 لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
 قيام الساعة الا ما خصه الدليل وان قال الامام الرازي الاقرب أنه لا يتناول لأن يا أيها الناس
 صرف خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله لدليل منفصل وهو ما تواتر
 من دينه عليه الصلاة والسلام أن أحكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة (فان قيل)
 روى عن عتبة والحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فتكى
 ويا أيها الذين آمنوا فندى فكيف تكون هذه السورة مكية وقد نزلت بالمدينة (أجيب) بأن
 المراد بقولهم السورة مكية أو مدنية أن غالبها ذلك والاولى أن يقال ان ذلك أكثرى لا كلى وأن
 سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق وقد قال تعالى في كل منها يا أيها الناس وسورة
 الحج مكية سوى ما استثنى وفيها من غيرها يا أيها الذين آمنوا اركعوا ولا يتخص ذلك الخطاب
 بالكفار ولا بأمرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة وزيادة فيها والمواظبة
 عليها فالملطوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب تقديمه من المعرفة والقرار
 بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب مالا يتم الابه وكان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة
 فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المؤمنين ازديادهم

وبما تبهم عليها وانما قال الله تعالى ربكم تنبها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية وقوله تعالى
 (الذي خلقكم) أى أنشأكم ولم تكونوا شيئا صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقيد
 ان خص الخطاب بالشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يستؤمنها أربابا
 والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
 بالقياس وقرأ أبو عمر وخلقكم بادغام القاف في الكاف بخلف عنه (وخلق) (الذين من قبلكم)
 وهذا متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان كتقدم الجزء على الكل والواحد على
 الاثنين وهو منصوب عطف على الضمير المنصوب في خلقكم كما علم من التقدير وبالجملة أخرجت
 مخرج المتر عندهم اما الاعتراف بهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
 من خلق السموات والارض ليقولن الله أولئك كنهم من العلو به بادنى نظر وقوله تعالى (لعلكم
 تتقون) اما حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تدخلوا في سلك المتقين
 الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبيه به على أن التقوى منتهى درجات
 السالكين وهو التبرى من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي أن لا يفتري عبادة ويكون
 ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه واما
 من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من ترجى منه
 التقوى لترجى أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب تعالى المخاطبين بقوله لعلكم على
 الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا ولعل في الاصل للترجى وفي كلامه تعالى لتحقيق
 والآية تدل على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدة دانيته والعلم باستحقاقه للعبادة
 النظري صنعه والاستدلال بافعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها ما وجبت
 عليه شكر الماعده عليه من النعم السابقة فهو كاجبر أخذ الاجر قبل العمل وقوله تعالى (الذي
 جعل) أى خلق (لكم الارض فراشا) أى بساطا تنفش صفة ثانية أو منصوب بتقدير أمدح
 أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها يارزاع الماع
 ما في طبع الماء من الاطاعة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان
 يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كربة تشكها مع
 عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها فليس في ذلك الا أن الناس يقترشونها كما يفعلون
 بالمقاريس وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة (و) جعل لكم (السماء بناء) أى قبة
 مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى المتعدد كالديار والدرهم وقيل جمع
 سماء والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
 تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وقوله تعالى (وأزل من السماء ماء) معطوف على جعل والمراد
 بها اما السحاب فان ماء لال السماء واما الفلك فان المطر يتدنى امان من السماء الى السحاب ومنه
 الى الارض كما دلت عليه الظواهر من الآيات كقوله تعالى وأزلنا من السماء ماء وقوله تعالى
 أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض وعن خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من

تحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا فيجتمع في موضع فتحي السحاب
السود فتدخله فتشمر به فيسوقها الله حيث شاء واما من أسباب سماويه ثير الاجزاء الرطبة من
أعماق الارض الى جوار الهواء فتعقد منها ما طرا (فاخرج به من) أنواع الثمرات رزقا لكم
تا كلونه وتعلقون منه دوابكم وخروجها بتدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء
الممزوج بالتراب سبيبا في اخرجها ومادة لها كالمطقة للحيوان بأن أجرى عاده به باقضة صورها
وكيفياتها على المادة الممزوجة منها مأ وأبدع في الماء قوة فاعله وفي الارض قوة قابلة يتولد من
اجتماعهما أنواع النار وهو تعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها امر تقيما من حال الى حال صنائع وحكم يحدد فيها
لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة * (تنبيه) * من الاولى
للابداء ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات لآن ثمرات جمع قلة منكر
واكتشاف المتكرين لها أعني ما هو رزقا كأنه تعالى قال وأترانا من السماء بعض الماء فأخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا التبعض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السماء الماء
كام ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل بالمطر كل الرزق ويصح أن تكون من الثانية للتبعين
ورزقا مفعول وهو المبين بمعنى الرزق كقول القائل أنفقت من الدراهم ألفا فان من الدراهم
بيان لقوله عقبه ألفا (فان قيل) المحل محل جمع الكثرة فكيف أتى بجمع القلة (أجيب) بأن
الجوع يتناوب بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وأوقع جمع القلة موقع جمع
الكثرة بدليل ذكر كم وكقوله تعالى ثلاثة قروها وأوقع جمع الكثرة موضع جمع القلة لان مبرز الثلاثة
لا يكون الا جمع قلة أولان الثمرات لما كانت محلا للام خرجت عن حدة القلة (فلا يجمعوا لله
أندادا) أي شركاء في العبادة (فان قيل) لم يسمي ما يعبد المشركون من دون الله أندادا مع انهم
ما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنهم يتخالفه في افعاله (أجيب) بأنهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسعوا لها شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذات واجبة بالذات قادرة على أنها
تدفع عنهم بأس الله وتخلصهم الم يرد الله بهم من خير فتكم الله تعالى بهم وشنع عليهم بأن جعلوا
أندادا لمن يتسع أن يكون له ندو لذلك قال موحد الجاهلية يزيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه أرباوا احدا أم ألقرب * أدين اذا انقسمت الامور

أدين أي أطيع من دان أي انقاد اذا انقسمت أي تفرقت

تركب اللات والعزى جمعها * كذلك يفعل الرجل البصير

ألم تعلم بأن الله أفتى * رجلا كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين بسير قوم * فبر يومهم الطفل الصغير

وقوله تعالى (واتمتمتعوا) حال من ضمير فلا تفعلوا وتفعلوا متروك أي وحالكم انكم
من أهل العلم والنظر واصابه الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطرت عقلكم الى اشات موجبة
للممكنات منفردة بوجود الذات متعالي عن مشابهة المخلوقات أو مقسدة وهو ان الأنداد لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شيء وعلى

كون وأنتم تعاون حالاً فاقصروا منه التوابع سواء أ جعل مفعول تعلمون متروكاً أو مقدراً
 وإن كان التوابع في الأول كذلك صرح به الكشف لا تقيد الحكم وقصره وهو النهي عن
 جعلهم لله أنه إذا جهل علمهم فإن العالم والجاهل المتكبر من العلم سواء في التكلف
 * (تنبيه) قال البيضاوي وألم أن مضمون الآيتين أي يأباهما الناس عبادوا ربكم والذي
 جعل لكم إلى آخرهما هو الأمر بعبادة الله والنهي عن الاشتراك في تعالي والاشارة إلى ما هو
 العلة والمقتضى ويانه أنه تعالى رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً بأنهم العلة
 لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه في معاشهم من
 المقلة والمظلة أي الارض والسماء والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من الطعام أي قسم
 الثمرات والملابس كالطعام والرزق أعم من الماء كقول والمشروب ثم لما كانت هذه أموراً
 لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشتراك ولعله سبحانه وتعالى
 أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الاشارة إلى تفصيل خلق
 الانسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التثليل فمثل البدن بالارض
 والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة
 استعمال العقل الحواس وازدواج أي اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
 من ازدواج أي اقتران القوى السماوية والارضية المنفصلة بقدرته الفاعل المختار
 فإن لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حكمة طلعاً اه هذا روى عن الحسن مرفوعاً مرسل لا يظهر
 الآية ما ظهر من معانيها لاهل العلم الظاهر وبطنها ما انفعتهم من الاسرار التي أطلع الله
 عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها وبطنها فهمها والحد أحكام الحلال والحرام والمطاع
 الاشراف على معرفتها * ولما قرر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم
 به اذكر عقبه ما هو الحق على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته
 التي غلبت فصاحة كل بليغ مع كثرتهم وافراطهم في المضادة وتهاكمهم على الغلبة بقوله
 تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله
 (قأنو ابسورة) وانما قال تعالى مما نزلنا لان نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما يرى عليه
 أهل الشعر والخطابة بما رويهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
 نزل عليه القرآن لجهل واحدة فكان الواجب تحذيرهم على هذا الوجه ازالة للشبهة والزام اللجة
 فان أهل الشعر والخطابة يأثرون بأشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة شيئاً فشيئاً ولما كان القرآن
 منزلاً كذلك طعنوا فيه بأنه مثل كلامهم فقبل لهم ان ارتبتم في نزوله نجماً فأنوا بنجم منه لانهم
 اذا عجزوا عن نجم منه فنجحهم عن كله أولى وأضاف العبد إلى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه
 مختص به منقاد لحكمه والسورة من القرآن الطائفة منه المترجمة التي لها أول وآخر أقلها ثلاث
 آيات والحكمة في تقطيع القرآن سواء افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
 القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فان القارئ اذا ختم سورة فترج ذلك عنه بعض كربة

كما سافر إذا علم أنه قطع ميلاً وطوى بريداً والحافظ إذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من القرآن
 حظاً تاماً وفاز بها ثلثة محمودة مستقلة بنفسها فاعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غير هاتين القوائد
 وقوله تعالى (من مثله) صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للربيعض
 أو للتبيين وزائدة عند الاختصاص أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم وقيل الضمير
 لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة عن هو على حاله من كونه بشراً أمثالاً يقرأ الكتب ولم يعلم
 المعلوم والوجه الأول أولى لأنه المطابق لقوله تعالى في سورة نونس فأنا بسورة مثله ولسائر
 آيات التحدى ولأن الكلام في المنزل لا في المنزل عليه لحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
 والنظم إذا معني وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأنا بقرآن من مثله ولأن مخاطبة
 الجهم الغفير بأن يأثوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جنسهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم لمأت
 بنحو ما أتى به عبدنا آخر مثله ولأنه مجزئ في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى قل لنراجمكم
 الانس والجن على أن يأثوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن عود الضمير إلى عبدنا يؤهم إمكان
 صدوره عن لم يكن على صفته ولا بلائحه وقوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فإنه تعالى
 أمر أن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم سواء كان مثله أم لا والشهادة جمع شهيد
 بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيداً لأنه حاضر ما كان
 برجوه أو الملائكة حضره ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لأنه أدنى
 البعض من البعض ودونك هذا أي خذ من أدنى مكان منك ثم استعير للرب فقيل هم ودون
 زيد أي في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى آخر وتخطى
 أمر إلى آخر وإن خلى عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
 أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا فهي لا بداء الغاية
 والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتهم معونه من انكم وجنكم وادعوا ألهمتكم
 التي تعبدونها غير الله وتزعمون أنها تشهد لكم يوم القيامة أي استعينوا بهم في الاتيان بما ذكر
 (ان كنتم صادقين) في أن محمد صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه وان ألهمتكم تشهد
 لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف تقديره فافعلوا أي ما ذكر من الاتيان بسورة دل
 عليه قوله تعالى (فان لم تنعوا) ذلك والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد الخبر أنه
 كذلك عن دلالة أو إماراة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انزل رسول الله الم لم يعقدوا
 مطابقة ورده هذا القول بصرف التكذيب إلى قولهم تشهد لان الشهادة اخبار عما عمله
 وهم ما كانوا على يده وقوله تعالى (ولن تنعوا) جملة معترضة أي لا يقع منكم ذلك أبداً لا بهاز
 القرآن (فانقوا النار التي وقودها) أي ما تفتد به (الناس والحجارة) التي فختوها واتخذوها
 أرباباً من دون الله طمعه في شفاعتها والانتفاع بها ويدل لذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من
 دون الله حصب جهنم عذبوا بما هم مفتشاً بجرمهم كما عذب الكاذبون بما كانوا يزعمون وهما
 الكبيرت كباروا والطبراني عن ابن مسعود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما وعليه أكثر المفسرين وإن قال البيضاوي أنه تخصيص بغير دليل لأن مثل هذا التفسير
الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الاسترخاء حكم المرفوع وأيضاً بحجارة الكبريت أشد حرّاً
وأكثر اتهاوتاً وتزيد على غيرها من الحجارة سرعة الاحتراق وتنتج الريح وكثرة الدخان وشدة
الالتصاق بالابدان وقيل لجميع الحجارة * (تنبيه) * تفعلوا محذروم بل لا بان لأن لم واجبة الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالعمول ولأنها الماضية ماضياً صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وحاصله أن تقتضي
الاستقبال ولم تقتضي الماضي فربحت لم المخذ كفيكون المعنى على الماضي دون الاستقبال وقيل
أن إن بمعنى اذ ولا إشكال حينئذ وقيل كل منهما على حقيقته والمعنى إن تبن في المستقبل عدم
فعلكم في الماضي وإن تفعلوا في المستقبل فاتفقوا النار ولن كلاً في نفي المستقبل غير أنه أبلغ
وهو حرف بسيط ثنائي الوضع وقيل أصله لا أن حذف الهزة منها لكثرة ما في الكلام ثم ألف
للالتقاء الساكنين ولما كانت الآية مذبذبة نزل بعد ما نزل بحكمة قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة ويسموه سمع تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإن الصلة يجب أن
تكون معلومة وهي معلومة هنا من سورة التحريم حيث وقعت صفة (فإن قيل) الصفة أيضاً
يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف كالصلة والالكان خبراً ولهذا قالوا إن الصفات
قبل العلم بها الخبر كما أن الاخبار بعد العلم بها أو صاف فيما في الصفة في آية التحريم ما ذكر
في الصلة * (أجيب) * بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لكل سامع
وما في التحريم خطاب للمؤمنين وقد علموا ذلك لسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمع
الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارا موصوفة بتلك الجملة فجعلت فيما خوطبوا به (أعدت)
أي هيئت (للكافرين) وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل على أن النار مخلوقة معدة لهم
الآن والجملة استئناف أو حال من النار بأخبار قدو العامل في الحال اتقوا وهي حال لازمة
فلا يشك بأن النار أعدت للكافرين اتقوها أم لا * (تنبيه) * قال البيضاوي في الآية أي
آية إن كنتم في ريب وآية فإن لم تفعلوا ما يدل على التوبة من وجوه الأول ما فيها أي في مجموعهما
من التحديد والتعريض على الحد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتمالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج لأن
قوله من التحديد راجع للآية الأولى والباقي راجع إلى الثانية والثاني تضمنهما أي مجموعهما
الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سبما والطاعون فيه
أكثر من الذين عنه في كل عصر لأن ذلك راجع للآية الثانية والثالث أنه عليه الصلاة والسلام
لو شك في أمره أي نفسه لم يداعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغية مخافة أن يعارض فتذهب
حجته وهذا راجع إلى الآية الأولى * ثم عطف سبحانه وتعالى حال من آمن بالقرآن ووصف
نوابه على حال من كفره وكيفية عقابه على عادة ما جرت به العادة الإلهية من أن يسفح الترغيب

بالترهيب تشمط الاكساب ما ينبغي وتبسط عن اقتراف ما يردى بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات) أى الطاعات (أن لهم جنات) أى حدائق ذات شجر ومساكن وانما
 أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل كل عصر أو كل أحد بقدر على البشارة
 أن يبشر الذين آمنوا ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة فتغيب الشأهم وايدنا بأنهم أحق
 بأن يبشروا ويهنأ بجأ عدلهم والبشارة الخبر المصدق السار أو لافانه يظهر أثر السرور في البشارة
 لأن النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة ولذلك قال الفسقاء البشارة هو الخبر
 الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من يبشرني بقدم ولدى فهو حر فأخبروه فإدى عتق أو لهم
 ولو قال من أخبرني عتق واجبعا (فان قيل) ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم
 * (أجيب) * بأن ذلك ورد على سبيل التكميم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم
 وعطف سبحانه وتعالى العمل على الايمان مرتباً للحكم عليهم ما شعرا بأن السبب في استحقاق هذه
 البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فإن الايمان الذى هو عبارة عن التيقن والتصديق
 أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا تقع تام بأس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكر مفردين وفي عطف
 العمل على الايمان دليل على أن الصالحات خارجة عن مسمى الايمان اذا اُصل أن الشيء لا يعطف
 على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجع سبحانه وتعالى الجنة لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس
 سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
 وعلميون وفي كل واحدة من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
 والعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن أن يعمل جميع الصالحات
 واللام في لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته
 فانه لا يكفى التمسك السابقة فضلا عن أن يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع
 ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أن يستقر عليه حتى يموت وهو ومن اقلوه تعالى
 ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم واعد له سبحانه وتعالى لم
 يقيد هاهنا استغنائهم هذه الآية وأشباهاها (تجوز من تحتها) أى من تحت أشجارها ومساكنها
 (الانهار) كما تراها جارية تحت الاشجار السابقة على شواطئها وعن مسروق أنها الجنة تجري
 في غير أخذود قال الجوهرى الاخذود شق مسطيل في الارض واللام في الانهار للجنس
 كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى قال البيضاوى أو للعهد والمعهود هي الانهار
 المذكورة في قوله تعالى أنهم امن من ماء غير آسن الآية اه قال التفنازانى انما يصح هذا لو ثبت سبق
 قوله تعالى أنهم امن من ماء غير آسن في الذكر اه والنهر بالفتح والسكون الجرى الواسع فوق الجدول
 ودون البحر كالنيل والقرات والمراد بالانهار ماؤها على حذف مضاف أو تسمية الماء باسم مجرى
 مجازا واسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الارض أنثى لها (كما رزقوا منها
 من ثمرة رزقا) أى اطعموا ومن تلك الجنان ثمة ومن صله (فالواهد الذى رزقنا) أى أطعمنا
 (من قبل) أى من قبل هذا في الدنيا جعل الله تعالى ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه

أول ما يرى فإن الطبايع مائلة الى المألوف مستنفرة من غيره أى هذا من نوعه لتشابه ما يؤتون به
 في الصورة كما قال تعالى (وأتوا به متشابهاً) أى في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك
 أبلغ في باب الابهام والاداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم واقتضارهم بما وجدوا من التفاوت
 العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وقيل في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة كما
 حكى عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصفحة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول
 ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام
 قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول التمرة لباً كله أخاهي وأصله الى فيه
 حتى يتدل الله مكانها أمثلها وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وغرها أمثال
 القلال كلما زعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعاً (فان قيل) على الاول
 التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفعول بدين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس
 في الجنة من أطمعة الدنيا الا الاسماء * (أجيب) * بأن التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي
 مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه وللاية كما قال البيضاوي محمل
 آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متقاومة
 في اللذة بحسب تفاوتها فيحصل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما
 تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم
 تعملون في الوعيد (ولهم فيها) أى الجنات (أنزواج) من الحور العين والآدميات (مطهرة)
 مما يستغذرن النساء ويذمن أحوالهن كالحيض والدرن أى الوسخ وندس الطبع
 وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال ومعنى تطهيرهن مما ذكر
 كما قال التقطاز في انها منزهة عن ذلك مبرأة عنه بحيث لا يعرض لهن لا التطهر الشرعى بمعنى
 ازالة النجس الحسى أو الحكمى كما في الغسل عن الحيض والزواج يقال للذكر والانثى قال تعالى
 وأصلحنه لزوجه وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف (فان قيل) فائدة المطعوم
 هو التقوى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهذه القوائد مستغنى
 عنها في الجنة * (أجيب) * بأن مطاعم الجنة ومناكلها وسائر أحوالها انما تشارك في نظارها
 الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة واتمثيل
 ولاتشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها (وهي فيها خالدون)
 أى دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون والاصل في الخلود الثبات المديد دام أوليهم اذ لو كان
 وضعه للدوام لكان التقييد بالتأيد في قوله تعالى خالدين فيها أبدأناً كيد الاناسيس والاصل
 خلافه لكن المراد به الدوام في الآيات عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن (فان قيل)
 الابدان مر كسبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
 والافحلال فكيف يعقل خلودها في الجنات * (أجيب) * بأنه تعالى يعيدها بحيث لا تعتبرها
 الاستحالة بأن يجعل أجزاها مثلاً متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شئ منها على

احالة الاخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن ولما كان
 معظم اللذات الحسية مقصورة على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
 وكان ما آل ذلك كله الشبات والدوام وأن كل نعمة جليلة اذا فارغها خوف الزوال كانت منفصلة
 غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بالمساكن والمطاعم والمناكح فيشر بالآثر بقوله تعالى
 جنات تجري من تحتها الانهار وبالناني بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الاية وبالنات
 بقوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأحسن ما يتلذذونها وأزال
 عنهم خوف الفوات بوعده بالخلود ليدل على كمالهم في التمتع والسرور ولما ضرب الله سبحانه
 وتعالى المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى وان يسلمهم الذباب وقوله تعالى كمثل العنكبوت
 قالت اليهود ضرب المثل بذلك بما استحيوا منه لجنه فليس من عند الله تعالى فنزل رداعليهم
 (ان الله لا يستحي) أي لا يترك (أن يضرب مثلا ببعوضة) وهي صغيرة البقر لئلا يستحي أن
 يمثل بها الحشرات وأنها بصلتها بخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب باقضاء الفعل اليه
 بعد حذف من عند سيويه ويجوز كما في الكشف نصبه باقضاء الفعل اليه بنفسه فان استحي
 يتعدى بنفسه أيضا يقال استحييت منه واستحييته وما اتاها به من زيادة الذكر قبلها اياه ما وما
 مزيدة لتأكيده معنى مضمون الجلة قبلها كالتى في قوله تعالى فيمارحمة من الله ولا يراد بالزيد
 اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل المراد بالزيد ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت
 لان تذكرة مع غيرها فبقية وثاقفة وقوة وهو زيادة في الهدى غير فادح في القرآن وبعوضة عطف
 بيان أو بدل من مثلاً ومفعول ثان ليضرب معنى يجعل والحياة انقباض النفس عن الصبح مخافة
 الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذى هو
 انحصار النفس عن الفعل مطلقا فاذا وصف به البارى سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ان الله
 يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه ان الله حي كريم يستحي اذا رفع العبيد به أن يرتدما
 صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
 وغضبه اصابه المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما وتحتمل الآية خاصة أن يكون محجى
 الحياء فيها المشاكلة وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولو تقدرا كما هنا وهو قول
 الكفرة اما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ولما كان التمثيل يصار اليه
 لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وبراظه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم
 العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه
 ميل الحمى وحب المحاكاة شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
 واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل
 عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة وبمخالطة
 السفهاء بأثارة الزنايب ونصه على ما حكاه الفخر الرازى في الاول لا تكونوا كمثل بخر من منه
 الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكماء من أفواهكم وتبقون الغسل

في صدوركم وفي الشافي قلوبكم كالحصاة التي لا تطبخها النار ولا يبلتها الماء ولا ينسفها الرنج
 وفي الثالث لا تشيروا الزنا برفق بل دعكم فكذلك لا تخاطوا السفهاء فيسحقوكم وجاء في كلام العرب
 اسمع من قراد لأن العرب تزعم أنه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيخترل لها وقيل
 من مسيرة سبع لبال وأعز من مع البعوض يضرب لمن يكلف الامور الشاقة (فأفوقها) أي ما زاد
 على البعوضة في الجشعة كالذباب والعنكبوت والمعنى أنه لا يستحي من ضرب المثل بالبعوضة
 فضلا عما هو أكبر منه أو المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة بخناحها فإنه عليه
 الصلاة والسلام ضرب جناحها مثلاً لادنيابة وله في خبر الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله
 جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرة ماء ونظيره في احتمال الفوقية للجشعة والمعنى ما روى البخاري
 رغبه أن رجلاً بنى خرعى طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشكوكه فأفوقها الا كتب له بهادرجة ومحييت عنه بها
 خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكه في الالم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة
 النملة والطنب جبل الخبايا والفسطاط بيت من شعر (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه) أي ضرب
 المثل بذلك (الحق) أي الواقع موقعه (من ربه) لأن الحق هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره
 وهو يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق اذا ثبت ومنه
 ثوب محقق أي تحكم السنج وأما حرف تفصيل ينصل ما أجل ويؤكد ما به صدر ويضمن معنى
 الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيدي به أما زيد فذهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي
 هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لا النذر لكن كرهوا
 ايلاءها حرف الشرط فأدخلوا الفاء على الخبر وعوضوا المبتدأ عن جملة الشرط لفظاً (وأما الذين
 كفروا فيقولون ماذا) يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذات معنى الذي وما به مداهمته
 والمجموع خبر ما وأن تكون ما مع ذالهما واحداً بمعنى أي شيء (أراد الله بهذا) فهو منصوب المحل
 على المفعولية لا راد فاذا كما في الكشف في حكم ما وحده لوقلت ما أراد الله وكان من حقه
 وأما الذين كفروا فلا يعلمون لبطابق قرينه وهو الذين آمنوا ويقابل قسميه وهو يعلمون أنه الحق
 لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية عن عدم علمهم
 ليكون كالبرهان عليه والارادة صفة ذاتية قديمة زائدة على العلم ترجح أحدهم قدوريه على الآخر
 وتخصسه بوجه دون وجه بخلاف القدرة فإنها لا تخصص الفعل ببعض الوجوه بل هي موجودة
 للنعل مطلقاً وقوله تعالى (مثلاً) نصب على الحال من اسم الإشارة والعامل فيه اسم الإشارة أو
 التمييز والمعنى أي فائدة في ذلك فقال تعالى (يضل به كثيراً) بأن يكذبوا به (ويهدى به كثيراً) بأن
 يصدقوا به وكثرة كل واحد من القائلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس أي لا بالنظر إلى مقابليهم
 فإن المهتدين قليلون بالاضافة إلى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
 أن تكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال المتنبى
 في مدح علي بن يسار

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ * كنهم من طول ما التفتوا مرد
نقال اذا لاؤوا خنا ف اذا دعوا * قليل اذا عدوا كثيرا اذا شدوا
وقال * ان الكرام كثير (أى كرما) في البلاد وان * قلوا (أى عددا) كما غرهم قل (بضم القاف
وكسر هاءى قليل كرما) وان كثروا * أى عددا (وما ينزل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حدة
الايمن بالكفر كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم مرتب على صفة
الفسق يدل على انه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال بالمثل وسبب ضلالهم به ان
كفرهم وعدهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى
حقارة المثل به حتى يصح به جهالهم وازدادت به ضلالهم فانكروا المثل ولستزوا به وأما
المناسق في الشرع فهو الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو اصرار على صغيرة ولم تغلب طاعته
على معاصيه ولا يخبر به ذلك عن الايمان الا اذا اعتقد حل المعصية . وادأ كانت كبيرة أم صغيرة
قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة جعلوا الناسقسما نالسا نازلا بين منزلة
المؤمن والكافر لمشاركة كل واحد منهما في بعض الاحكام * ثم بين سبحانه وتعالى صفة الناسقين
بقوله (الذين ينقضون عهد الله) وهو اما المأخوذ بالعتل وهو الحجة القائمة على عبادة الدالة على
توحيد الله ووجوب وجوده وصدق رسله وعلية يدل قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم واما
المأخوذ بالرسل على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكفروا أمره ولم يخالفوا حكمه وعلية يدل قوله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الذين أوثا الكتاب
الآية وقبل عهد الله ثلاثة عهد أخذ به بواسطة العقل على جميع ذرية آدم بأن يقر بربوبية
وعهد أخذ به بواسطة الملك على النبين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذ به بواسطة
الرسل على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه وقوله تعالى (من بعد ميثاقه) أى توكيده بمخيل عود
الضمير اليه فهو من اضافة المصدر الى المفعول أو لله فهو من اضافة المصدر الى الفاعل
قال البضاوى ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر (واعترض) بأن النحويين لم يذكروا فعلا في
صبيغ المصادر وأصله أن يكون وصفا كطعام ومقام (وأجيب) بمحمل ذلك على أنه اسم واقع
موقع المصدر كإشرا إليه قوله بمعنى المصدر (وبه قطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهو الرحم
لأنهم قطعوا رحم النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والصلاة والسلام
والكتب في التصديق وترك الجماعات وسائر ما فيه رفض خيرا وتعاطي شرقا به يقطع الوصلة
بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للتعامل
وقبل مع العلق وقيل مع الاستعلاء وأن يوصل بدل من الهاء وقرأ ررش بتعليظ اللام وصل
واذا وقف ررق وعظ وأدغم خلف النون في الباء بغير غنة (ويفسدون في الارض) بالمعاصي
وتعويق الناس عن الايمان بحمد الله في الله عليه وسلم والاستمرار بالحق وقطع الوصل التي بها
نظام العالم وصلحه (أو لئلا هم الخاسرون) بفوات التوبة والمصير الى العقوبة باهمال

العقل عن النظر واقتصاص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات
بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتروا النقص بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب ثم وضح سبحانه وتعالى الكفار بقوله (كيف تكفرون بالله) أي
أخبروني على أي حال تكفرون (وكنتم أمواتا) أي نطفاني أصلا بآبائكم لا احساس لكم
(فأحياكم) في الارحام ثم في الدنيا بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالقاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي وقرأ الكسان بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقيون بالفتح (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث يوم ينفخ في الصور
أول السؤال في القبور قال التفسيراني ولم لا يجوز أن يراد مطلق الاحياء بعد الامانة على ما يعتم
الاحياء في القبور والنشور ولا بعد فيه لشدة ارتباط الاحياء بنواصلهم ما في الانقطاع عن
أمر الدنيا (ثم اليه ترجعون) تردون بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنتشرون اليه من
قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قيل) ان علوا أنهم كانوا أمواتا
فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون (أجيب) بأن تمكثهم من العلم بما نصب
لهم من الدلائل منزل منزلة عليهم في اراحة المذر سبما في الآية تنبيه على ما يدل على صحتها
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم أو لا قدر على أن يحييهم ثانيا فان ذلك المطلق ليس بأهون عليه
من اعادته (فان قيل) كيف تعدد الامانة من النعم المقتضية للشكر (أجيب) بأنها لما كانت
وصلة للعبادة الدائمة التي هي الحقيقة كما قال تعالى وإن الدار الاخرة لله الحيوان يعني الحياة
كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن
الواقع حالها هو العلم بها الكل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح حالا ويصح أن يكون الخطاب مع الكفار والمؤمنين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر كذلك بأن تعدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستبعد عنهم مع تلك النعم الجليلة
فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم وأن يكون مع المؤمنين خاصة لتقرير المنحة عليهم وتبعد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور الكفر ومنكم وكنتم أمواتا أي جهاला فأحياكم بما أفادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم
بما لا بين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحاسمة
أو ما يقضيها وبها سمي الحيوان حياوانا تجاوز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها
وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت
بازائها يقال على ما قبلها في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ومثال ما يقابل الجاهل الاول قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
ومثال ما يقابل الجاهل الثاني قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا عيش به في النام
واذا وصف بها الباري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدره اللازمة لهذه القوة فينا

أوضحني قائم بذاته تعالى * ثم أواماً إلى مشيئته وقدرته فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض) أي لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بما في مصالح أبدانكم بوسط كالادوية المركبة أو غير وسط كالغرة والادوية المفردة وفي دينكم بالاستدلال على موجدكم ففي ذلك نعمة على عباده سبحانه وتعالى وماتعت كل ما في الأرض لا الأرض إلا أن أريد بالأرض جهة السفلى كما يراد بالسما جهة العلو وقوله تعالى (جميعاً) حال من الموصول الثاني وهو ما وهي حال مؤكدة لما لا محادها ما في العموم وهذا أقرب من جعله حالاً من ضمير لكم لأن سياق الآيات انما هو في تعداد النعم لا في تعداد الذنم عليهم ولأن النعمة بتعداد الذنم أظهر من النعمة بتعداد الذنم عليهم لأن مقدار النعم يصل إلى كل أحد (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إلى خلقه بأمره وأصل الاستواء طلب السواء وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن جملة على الله تعالى لأنه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى كما قيل

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم ممرق

والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أوجهات العلو ليطابق قوله تعالى (فسواءهن سبع سموات) فجاء مع الضمير العائد إلى السماء لإرادة الجنس وقيل لأن السماء جمع سموات أي جعلهن مستويات لا شقوق فيهن ولا تفاوت قال البيضاوي * ثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين أي في القدر والعظم وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا إلا التراخي في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها اهـ (وأجيب) بأنه لا يدل على ذلك لأن تقدم خلق جرم الأرض على خلق جرم السماء لا ينافي تأخر دحوها عنه وهو بسطحها ورده التنازلي بأنه ليس على ما ينبغي لأن ثم تدل على تأخر خلق السماء عن خلق ما في الأرض من عجائب الصنع حتى أسباب اللذات والآلام وأنواع الحيوانات حتى الهوام لا عن مجرد خلق جرم الأرض قال وسند ك ر في حم السجدة ما يدل على تأخر خلق السماء عن خلق الأرض ودحوها جميعاً حتى قيل إنه خلق الأرض وما فيها من أربعة أيام ثم خلق السماء وما فيها من يومين وكثر ذلك في الروايات فلا يفيد حل ثم على تراخي الرتبة اهـ والوجه كما قاله بعض المفسرين الموافق لظاهر ما هنا وما سألني في فصلت تأويله مع الأيضاح أن يقال إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق جرم السماء وخلق وصفها أعني دحوها مقدم على خلق وصف السماء أعني تسويتها سبعة أفرج الإشارة في قوله تعالى بعد ذلك جرم السماء لا وصفها وبذلك علم أن جعل ثم للتراخي في الوقت لا يخالف ما ذكره خلافاً لما زعمه البيضاوي (فان قيل) أليس أن أصحاب الارصاد أثبتوا بالبراهين تسعة أفلاك وهي كرة القمر فكرة عطارد فكرة الزهرة فكرة الشمس فكرة المريخ فكرة المشتري فكرة زحل فالخلق الذي فيه الكواكب النابتة فالخلق الاعظم وهو متحرك كل يوم وليس له على التقريب دورة واحدة (وأجيب) بأن ما ذكره وليس مستند إلى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره قال البيضاوي

وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) أي مجمل ومفصل لافيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكيفية الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان علميا فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا لمن عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على اعادتهم وقرأ آحزة والكسائي ثم استوى وفسوا هن بالامالة وورش بالفتح وبين اللغظين والباقون بانفتح وقرأ قانون وأبو عمرو والكسائي وهو يسكون الهاء والباقون بضمها (و) اذكر يا محمد (أذ قال ربك للملائكة) وقيل اذ زائدة أي وقال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا الخوف فهذا سبيله وهو اما أن يقدر اذ كر وهو الاولى أو تكون اذ مزيدة واذا واذا ظر فاقوت الأنا اذ لما مضى واذا الله مستقبل وقدي وضع أحدهم موضع الآخر قال المبردا اذا جاء المسموع قبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى واذكركم نعمتي واذمكروا واذا جاء اذا مع الماضي كان معناه مستقبل كقوله تعالى اذا جاء نصر الله أي سيجيء وقرأ أبو عمرو وبادغام اللام في الراي بخلاف عنه والباقون بالاظهار والملائكة جمع ملك أمه ملأنا والهاء لتأنيث الجمع وهو مقولوب مألث من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله وأوصى الرسل اليهم لتوسط الانبياء بينهم وبين الناس واختلاف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنهم اذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة شقيقة ويعبرون عنها بشورية قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة والجن قادرة على ذلك واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا ربيهم أجساما لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة وزعم الحكماء يعني الفلاسفة أنهم جواهر مجردة مختلفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة أي المتصفة بفضائل العلم والعمل بخلاف الشريرة فانهم آمنهم الشياطين البشرية الناطقة بقوله البشرية وباعده صفة للنفوس الفارقة للأبدان بمعنى ما دامت في الأبدان تسمى النفوس فاذا فارقتها كانت الملائكة والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقبل ملائكة الارض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن في الارض فكشوا فيها دهر اطويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا فيها فبعث الله تعالى اليهم جنودا من الملائكة يقال له الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة وأسمهم ابليس فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال وبطون الاودية وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى الله تعالى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله الحجب وقال ما أعطاني الله تعالى هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله

تعالى له ولجنسه (أني جاعل في الأرض خليفة) وجاعل من جعل الذي له منفعولان وهما في
الأرض خليفة أعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتد على مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى
خالق فيتعدي لمفعول واحد وهو خليفة والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه أي جاعله بدلا
منكم ورافعكم الى فكره واذك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والها فيه للمبالغة
والمراد بآدم صلى الله عليه وسلم لانه كان خليفة الله في أرضه وكذا كل نبى استخلفه الله في عمارة
الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنقيذ أمره فيهم لا الحاجة به تعالى الى من ينوبه
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستغنى ملكا كما قال
تعالى ولو جئناهم بملائكة لجعلناه رجالا أي في صورة رجل ألا ترى أن الانبياء لما فأتت قوتهم
واشتغلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان من
الانبياء أعلى رتبة كلمة بلا واسطة كما كلم موسى صلالة الله وسلامه عليه في الميقات ومحمد صلى
الله عليه وسلم اليه المعراج وقبل انه خليفة من سكن الأرض قبله وقبل المراد آدم وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكر عنه أو بذكر
أعلى تأويل من يخلف وفائدة قوله هذا الملائكة تعليم المشاورة وتفضيل شأن المجمعول بأن بشر
تعالى بوجوده سكان ملائكته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من
المفاسد بسؤالهم وجوابه ويبان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خبره فان ترك الخبر الكثير
لاجل الشر القليل شر كثيرا الى غير ذلك (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصي
(ويسفك الدماء) أي يريقه بالقتل كما فعل بنو الحان نجبوا من أن يستخلف اعمارة
الأرض واصلاهم من يفسد فيها وقصد هم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة
التي هبرت تلك المفاسد وألغتها وليس باعتراف على الله تعالى ولا ظن في نبي آدم على
وجه الغيبة فانهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عبادة مكرمون لاستبقونه
بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو تلقى من اللوح أو استنباط
عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم أو قياس لاحد الثقلين على الآخر والافهم ما كانوا
يعلمون الغيب (ويحسن نسج) متلبسين (بجملتك) أي نقول سبحان الله وبجمده وهذه صلاة
ماعد الاذمين وعلها رزون قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده أي يقول سبحان
الله وبجمده روى عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال
ما اصبني الله الملائكة أو لعباده سبحان الله وبجمده وقبل ونحن نصلي بأمرك قال ابن عباس
كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة (وتقدس لك) تنزهك عما لا يليق بك فاللام
صلة والجلالة حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أتجسّن الى أعدائك وأنا الصديق المحتاج
والعسنى أنتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاه بذلك المقصود منه الاستفسار عما يحجهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وقيل تقدس
لأنظر نفوسنا عن الذنوب لاجل ذلك كانوا قابلا للفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح

وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة تبطهر النفس عن الآثام (قال) تعالى (أني أعلم
 ما لاتعلمون) من الصلحة في استخلاف آدم وإن ذريته فيهم المطبوع والعامي فيظهر العدل
 بينهم وقيل أني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس وجنوده وقيل أني أعلم أنهم مذنبون وأنا
 أخفف لهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقيون بالسكون وهم على مراتبهم في المدة
 (وعلم آدم الأسماء) أي أسماء المسمايات (كلها) حتى القصعة والمعرفة وقيل علمه اسم ما كان
 وما يكون إلى يوم القيامة وقيل صبغة كل شيء قال أهل التأويل إن الله عز وجل علم آدم جميع
 اللغات ثم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلدان واختص كل فرقة منهم بلغة وذلك
 أما بخلق علم ضروري بهافيه أو ألقي في قلبه علما أو بإرسال ملك أو بخطاب الله له أو بخلق
 الأصوات في الأجسام المسمايات والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يعلم
 و آدم اسم أجمع كسائر الأنبياء الأصالحا وشعبا ولوطا ومحمد ابل قيل إن آدم أضاع عربي وعلى
 هذا فاشتقاقه من الأدمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة أو الأدمة بفتح الهمزة
 والدال بمعنى الأسوة أي القدوة أو من أديم الأرض أي ظاهر وجهها روى الحاكم وصححه أنه
 صلى الله عليه وسلم قال إن الله قبض قبضه من جميع الأرض سهلها وحزنها وهو بفتح الحاء
 المهملة ما غلظ من الأرض وصلب أي وبغمت بالمياه المختلفة فخلق منها آدم وفتح فيه الروح فصار
 حيوانا حساسا بعد أن كان جادا فلذلك يأتي شوه مختلفة في الألوان والأخلاق والهيئات
 وأتباعه الأول فلا اشتقاق له لأن ذلك انما يأتي في الأسماء العربية والأجمعي لا اشتقاق له
 وكنيته أبو محمد وأبو البشر والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
 لأدراك أنواع المدركات والعقول والمحسوسات والخيالات والموهومات وألهمه معرفة
 ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلائها
 وقرأ ورش في الهمزة من آدم بالمد والتوسط والقصر حيث جاء وقوله تعالى (ثم عرضهم على
 الملائكة) الضم فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله تعالى وعلم آدم الأسماء إذا التقدير
 أسماء المسمايات كما مر تقريره فحذف المضاف إليه لدلالة المضاعف عليه وعوض عنه اللام في
 الأسماء كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون
 المعروض نفس الأسماء إذا العرض لا يصح فيها لأنهم من المسموعات والعرض يتخص بالمحسوسات
 بالعين تقول عرضت الجند عرض العين إذا مررتهم عليك ونظرت ما حالهم (فان قيل) لم قال
 عرضهم ولم يقل عرضها (أجيب) بأن الأسماء إذا جمعت جمع من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها
 بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والانات بالفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان
 والجماد ثم عرض تلك الشئوخ على الملائكة والنكاح راجعة إلى الشئوخ فلذلك قال عرضهم
 على الملائكة (فقال) لهم سبحانه وتعالى تسميتهم وتنبأهم على عجزهم عن أمر الخلافة
 (أبنتوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) المسمايات (أن أنتم صادقين) أني لأخلق خلقا لا كنتم
 أفضل وأعلم منه وذلك أن الملائكة قالوا لما قال أني جامع في الأرض خليفة ليخلق ربنا

ما يشاء فلن يخلق خلقاً كرم عليه مناوان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاطهر
 الله تعالى فضله عليهم بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قالوا) أي الملائكة اقراراً بالعجز
 وأشعاراً بأن مؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
 الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم
 (سبحانك) تنزيهاً عن الاعتراض عليك (لا علم لنا الا ما علمنا) اياه وفي هذا مراعاة للادب بتقويض
 العلم كله اليه سبحانه وتعالى وتصدير الكلام بسبحان اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
 الحلال فانه تعالى منزوع عن أن يفعل ما يخرج عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
 موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
 كنت من الظالمين (تنبيه) * اجتمع في قوله تعالى أنبتوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أربع
 مذات الاولى أنبتوني والثانية بأسماء والثالثة والرابعة هؤلاء ان فالاول تبدل والثاني مذكور
 متصل والثالث مذكور متصل والرابع مخبر لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول باسقاط
 احدي الهمزين فاما الاول فلورش فيه المذ والتوسط والقصر وأما الثاني فبالمذ للجمع مع لانه
 متصل وأما الثالث ففيه المذ والقصر كما تقدم لانه منفصل وأما الرابع وهو أولاد ان
 ففيه همزان مكسورتان من كلمتين فقالون والبري يسملان الاولى مع المذ والقصر وورش
 وقبل يسملان الثانية ويجعلانها حرف مذكور ويعرجو ويسقط الاولى والثانية فن قال باسقاط
 الاولى مذكور وقصر ومن قال باسقاط الثانية فبالمد فقط وباقى القراء بحقيقة الهمزين وهم على
 مراتبهم في المذ (انك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعانه الذي
 لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وأنت ضمير فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت
 وان لم يجز مررت بآنت اذ التابع يسوغ فيه ما ليسوغ في المتبوع وقيل مبتدأ خبره ما بعده
 والجملة خبران (قال) تعالى (يا آدم أنبتهم) أي أخبر الملائكة (بأسمائهم) أي المسميات فسمى
 آدم كل شئ باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله تعالى لهم موثقاً
 (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيها (وأعلم ما تبدون) أي تطهرون
 من قولكم أتجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) أي تسرون من قولكم ان يخلق أكرم عليه منا
 ولا أعلم وقيل ما أظهره وامن الطاعة وأسره ابليس من المعصية والهمزة في ألم أقل للانكار
 بمعنى النفي دخلت على حرف الجحد فآادت الاثبات والتقرير (تنبيه) * هذه الآيات وهي آية
 وعلم آدم وآية سبحانك وآية قال يا آدم تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على
 العباد والالاطهر فضل آدم بها وان العلم بما يستخلف فيه شرط في الخلافة بل العمدة فيها
 وان التعليم يصح استناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق العلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به
 وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القامها
 على المتعلم مبينا لمعانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينبغي أن يكون ذلك الوضع ممن
 كان قبل آدم من الملائكة والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم

العـ لم تغاير المتعاطفين والالتسكرك قوله انك أنت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكالاتهم
 تقبل الزيادة وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى قل هل
 يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب
 اليه أهل السنة وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها لانه أخبر عن علمه تعالى بأسماء المسعيات
 جميعها ولم تكن موجودة قبل الاخبار (و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما أنبأهم
 بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعترافا عما قالوا فيه
 أو أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
 ساجدين اختصناهم واطهارا لفضله وقضية الأول تأخيرا لامر به عن نسوية خلقه بدليل
 تأخيرهم عن انبائهم وتعليمهم المستلزمين لتسوية خلقه وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين
 وهو الظاهر وأجيب عن دليل الأول بأن الواو في قوله واذ قلنا لاتقضي الترتيب والسجود في
 الاصل تذلل مع نظام من وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إنما المعنى الشرعي
 فالسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبله سجودهم تغذية لثأله وأسبغ الوجوه
 كما جعلت الكعبة قبله للتسلاة والصلاة لله معنى اسجد والله أي اليه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث
 يكون اغوذجاً أي مثالا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ومجعلها في العالم الروحاني
 والجناني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكالات ووصلة الى ظهور ما تابخوا
 فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذلل للمأرأ وفيه من عظيم قدرته وباهر آياته
 وشكر الملائم عليهم بواسطته واما المعنى التغوي وهو التواضع لآدم تحية وتغظياله
 كسجود اخوة يوسف له في قوله تعالى وخرّوا له سجدا ولم يكن فيه وضع الجبهة بالارض انما
 كان الانحناء فلما جاء الاسلام بطل ذلك بالسلام والكلام في ان المأمورين بالسجود للملائكة
 كلهم أو طائفة منهم مثل ما مر (فسجدوا) أي الملائكة (الابليس أفي واستكبر) أي امتنع
 عما أمر به استكبارا من أن يتخذ هذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه أو يتلقاه بالتحية ويحذمه
 ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه وقال أنا خير منه والاباء امتناع واختيار والتكبر ان يرى
 الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بأكبر مما عنده يتكبر
 بذلك ويتزين بالباطل (وكان من الكافرين) أي في علم الله أو صار منهم باستقباله أمر الله
 تعالى أيام السجود لآدم اعتقادا بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع
 للمفضول والتوسل به كما يشعر به قوله تعالى أنا خير منه جوا بالقوله تعالى ما منعك أن تسجد
 لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وهو السجود وحده والالوية
 تدل على ان آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له وأن ابليس كان من الملائكة
 والام يتناوله أمرهم ولم يصح استغناؤهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الابليس كان من الجن
 لجواز أن يقال كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا (فان قيل) له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
 (أجيب) بأن ابن عباس روى أن من الملائكة نوعا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس

قوله لتغاير المتعاطفين ليس هنا متعاطفان وإنما المذموم والبيضاوي مضممه

وقيل ان الله تعالى لما اخرجهم من الملائكة جعل له ذرية وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم الانبياء والغالب في الانس عدم العصمة. ولين زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا ناشأين اظهر الملائكة وكان معصوما بالالف منهم فغلبوا عليه لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر به وهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ولانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور قال البغوي والاقول اصح لان خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله تعالى كان من الجن أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يسوغون حل الجنة وقيل ان الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فاذا علم ان الاكابر وهم الملائكة مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ايضا ان الاصاغر وهم الجن مأمورون به ايضا والضمير في فسجد اراجع للقبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس * (تنبيه) * من فوائد الآيات استنباح الاستبكار وانه يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الانتقام لامرء وترك الخوض فيما لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للرجوع وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان يحكم الوقت الحاضر ومنا (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر فيها لانما استقرار اوليت ولقطة أنت ناكدا كربة المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولاً بأن يقول اسكن تنبيهها على انه المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التى هى الاصل بالنسبة الى ما عطف عليها من الاكل وغيره والمعطوف عليه تبع له حتى في الوجود اذ لم يكن له من يؤنس في الجنة فخلقت حواء بالذم من ضلعه الا قصر من جانبه اليسر وهو ناتم فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند رأسه كاحسن ما خلق الله فقال من أنت قالت زوجتك خلقني اقله لك أسكن اليسك وتكن الى وسعت حواء لانها خلقت من حن خلقها الله من غير ان يحس بها آدم ولا وجد خلقها الما ولو وجد له الما لمعطف رجل على امرأة قط وانما صح العطف على المستكن مع ان المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعا ويعتبر في التابع ما لا يعتبر في المتبوع والجنة دار الثواب لان الام للعهود ولا معهود غيرها ومن زعم انهم لم يتخلق بعد قال ان الجنة بستان كان بأرض فلسطين اربعين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امثالا لآدم وحمل الابطاط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر (وكلامها) أكلا (رغدا) أى واسعا والذبا الحجر فيه فرغدا صفة مصدر مخذوف وقيل مصدر في موضع الحال (حيث) أى أى مكان من الجنة (شنتما) وسع الامر عليهما ازالة للعلة والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنهما من بين اخبارها التي لا تنحصر وقرأ أبو عمرو وبأدغام الشين بخلاف عنه وأبدل السوسى الهززة وقفا وصلوا وحزة في الوقف فقط (ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهى شجرة الخنطة والكافور أو شجرة

قوله وترك الخوض
فيما لا ينبغي في سر نفسه
الذى في البيضاء
وترك الخوض في
سره وفي زاده عليه
قوله وترك الخوض
بجور وبالعطف على
الانتقام أى ومن
فوائد الحث على
الامتنال لامرء
تعالى مع ترك الخوض
في سر امرء بأن لا
يستكشف سره
ولا يطلب وجهه
وحكمته كاستئصال
الملائكة اه

العنب أولتين أو ثجيرة من أصل منها أحدث والاولى كما قال البيضاوى أن لاعتين من
غير داليل قاطع أو ظاهر كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود على التعيين (فتسكونا) أى
قتصيرا (من الظالمين) أى العاصين * (تنبيه) في هذه الآية مبالغتان الأولى تعليق التوسى
بالقرب الذى هو من مقدمات تناول مبالغة في تحريره ووجوب الاجتناب عنه ونسيها على
أن القرب من الشيء يورث داعية وميل يأخذ بجماع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل
والسرع كما روى أبوداود وحكى الشيء يعنى ويصم أى يخفى عليك هيايه ويصم أذنيك عن
سماع مساويه فينبغى أن لا يحول ما حول ما حرم عليه ما يخافه أن يعاقبه الثانية جعل قربانها
الى الشجرة مسيلا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى (فأزلهما
الشيطان) أى إبليس سعى به لبعده عن الخير والرحمة وقرأ حزة بالق بعد الزاى وتخفيف اللام
أى نحاها والباقرن بغير ألف بعد الزاى وتشديد اللام أى أذهبهما (عنها) أى الجنة وأزاله
قوله هل ذلك على شجرة الخلد وملك لا يلى وقوله ما نسا كما ربكنا هذه الشجرة الآن تكونا
ما كين أو تسكونا من الخالدين ومقامته اياهما بقوله انى لك ان الناصحين واختلف في أنه
تمثل لهما ما فقال لهما ذلك أو ألقاه اليهما على طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازالتهما بعد
ما قبل له اخرج منها فانك رجيم قيل انه منع من الدخول بعد خروجه الاول على جهة التكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء فلما دخل وقف بين
يدى آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحرزتها ما وهو أول من ناح فقال له
ما يبكيك فقال أبكى عليكما وتنان فتفارقان ما أنتم فاه من النعمة وكان آدم لما رأى ما فى الجنة
من النعيم قال لو أن خلدنا فاعتم الشيطان ذلك منه فأتاه الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله
في أنفسهم ما واعتموا مضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل ذلك على شجرة الخلد فأبى
أن يقبل منه فقاما بهما باقاه لهما ما لى الناصحين فاعترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا
فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت حواء آدم حتى أكلها وكان سعد بن المسيب يحلف
بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سفته النمر حتى سكر فأذنه اليه فأكل
وقبل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم
الحية حتى دخلت به وكانت صديقا لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم
البعير وكانت من خزان الجنة فسألهما إبليس أن تدخله الجنة فى فمها فأدخلته ومزته به على الخزنة
وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقيل أرسل بهض أتباعه فأزلهما والعلم فى ذلك كما قال البيضاوى
عند الله (فأخرجهما مما كانا فيه) من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
قال الله تعالى لا آدم أليس فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن
ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبهزنى لا هبطك الى الارض ثم لا تال العيش الا كذا
فاهبطا من الجنة وكانا يا كلا فى رعدا فعمل من صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع
ثم سقى حتى إذا بلغ حصده ثم نذرته ثم طعمته ثم بعثه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه

ما شاء الله قال ابراهيم بن ادهم اوردتنا تلك الاكلة حونا طويلا وقال سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل
 يا آدم ما جعلك على ما صنعت قال يارب زينت لي حواء قال فاني أعقبتها أن لا تحمل الاكراها
 ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرت حواء عند ذلك تقبيل عليك الرنة وعلى بناتك
 قلما اكلامها سقطت عنهما ما بينهما ما وبت سواتهما وأخرجنا من الجنة فذلك قوله تعالى (وقلنا
 اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما أصل
 الانس فكانت لهما الانس كلهم أو هما وبليس أخرجهما ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة
 أو دخلها مسارقة أو من السماء لان الباب على الخلاف المتقدم وقيل هما وبليس والحية
 فهبط آدم بسر زديب بأرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وبليس بالبله وقيل
 بيسان بالبصرة على أميال والحية باصهان وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها
 عن الواو والضمير والمعنى متعادين فان كان الخطاب لآدم وحواء فقط فالمراد ببعضكم بعض
 الذرية أي بعض ذريةكم لبعض عدوكم من ظلم بعضهم بعضا وان كان الخطاب لهما وبليس
 والحية فالمراد العدوة بين المؤمنين من ذرية آدم والحية وبين ابليس قال الله عز وجل ان
 الشيطان لكنا عدو مبين وروى عكرمة عن ابن عباس انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من
 تركهن خشية أو مخافة تأثر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سألنا هن
 منذ حاربناهن وروى انه نهى عن ذوات البيوت وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أن بالمدينة جنا قد أسلوا فان رأيت منهم شيئا فأنذوه ثلاثة أيام فان بدلكم
 بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان (واصكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومناخ)
 ما تتمعون به من نياتهم (الى حين) أي وقت انقضاء آجالكم (فقلني آدم من ربه كلمات) أي
 استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وهي ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه
 اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جسدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاعف عني انه لا يغفر
 الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال آدم يارب ألم تخلفني بذلك قال بلى
 قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال ألم تسكني جنك قال بلى قال يارب ان تب
 وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم رواء الحاكم وصحبه ووقول آدم أراجعي بخفيف الباء
 اسم فاعل أضيف الى المفعول وأنت فاعل لاعتماده على الاستفهام أو مبتدا خبره ما قوله وقرأ
 ابن كثير بصب الميم من آدم ورفع التاء من كلمات على أنها ملقته والباقون برفع الميم وكسر
 التاء والكسر هذا علامة النصب لانه جمع مؤنث سالم في نصب بالكسرة (فتاب عليه) أي قبل
 توبته وانما ترتب تاب عليه بالقضاء على تلقى الكلمات لتضمن تلقى الكلمات معنى التوبة وهو
 الاعتراف بالذنب والتندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت واكتفى بذكر
 آدم لان حواء كانت تبعاله في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة (انه هو
 التواب) الرجاع على عبادته بالمغفرة والذي يكثر اعادتهم على التوبة واذا وصف بها البارئ

أريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة (الرحيم) البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة
والرحمة وعدللتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها) أي من الجنة (جميعا) كثر
للتأكيّد ولا اختلاف المقصود فان الاول دل على هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
ولا يتخلدون والثاني أشعر بأنهم اهبطوا للتكليف فن اهتدى اهذ انجاء ومن ضلّه هلك وقيل
الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض (فأما)
فيه ادغام ان الشرطية في ما المزيد (يأتينكم) ياذرية آدم (مضى هدى) أي رشد وبيان
شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداي) بأن آمن بي وعمل بطاعتي وكثر لفظ الهدى
ولم يضر أما لاظهار شأنه وخاتمته خصوصاً مع اضافته اليه أولانه أراد بالثاني أعتم من الاول
وهو ما أتى به الرسل واقضاء العقل أي من تبع ما أتاه راعيا فيه ما يشهد به العقل (فلا خوف
عليهم) فضلا من أن يحل بهم مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى
وجهه تعالى فيحزنون عليه بل يتعمون بالنظر الى وجهه تعالى فانه المقصود الاعظم فالخوف على
الواقع نفي عنهم العقاب فأثبت لهم الثواب على أكذوبه وأبلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا
ولا هم يحزنون في الآخرة وأمال الدوري عن الكسائي ألف هداي محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقيون بالفتح وانما جى بمجرى الشك واثبات الهدى واقع كائن لانه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أي كتبنا (أولئك أصحاب
النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون) ما كانوا فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها
والآية في الاصل العلامة الطاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن التيمية عن غيرها بفصل * (نفسه) في هذه الآيات
دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون
العاقبة وأن عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم
فيها خالدون واستدل بعض الخوارج بالخشوية وهم قوم جاوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على
عدم عصمة الانبياء بجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارثا لكتب المنهى والمرتكب له
عاص والثاني انه جعله بارثا لكتابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألعنة الله على
الظالمين والثالث أنه أسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى
لنفسه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة
الله له بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والسادس من يكون ذا صبيحة
والسادس أنه لو لم يذهب ما جرى عليه ما جرى (وأعجب) عن ذلك بجوه الاول أنه لم يكن
نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالدليل ولا دليل * الثاني أن النهي للتزنية وانما سمى ظالما وخاسرا
لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى وانما أجرى الله تعالى عليه ما جرى معاتبة على ترك
الاولى وفاء بما له تعالى للملائكة قبل خلق آدم اني جاعل في الارض خليفة ولا يكون خليفة
في الارض الا بالاهباط اليها وأمر بالتوبة تلافي لما فاتة الثالث أنه فعله فاسبا لقوله تعالى فغنى

ولم نجد له عزماً واصح من عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان اذ رفع الائم بالنسيان من
 خصائص هذه الائمة كما ثبت في الاخبار العديدة كغير الشيعين رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
 وروى الترمذي وصححه: أن الناس بلاء الا نباء ثم الامثل فالامثل رواء الحاكم بلفظ أشد
 الناس بلاء الا نباء ثم العلماء ثم الصالحون * الرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب
 اجتهد أخطأ فيه فانه ظن أن النهي للتنزيه أو الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غير هامن
 نوعها وكان المراد بالاشارة الاشارة الى النوع لا الى شجرة معينة كما روى أبو داود وغيره أنه عليه
 الصلاة والسلام أخذ حبراً وذهبا بيده وقال هذان حرام علي ذكر أو أمتي حل لا ناهما (فان قيل)
 المجتهدان أخطأ الا يؤخذ (أجيب) بأنه انما عوتب على ذلك تفضيلاً للشأن الخطيئة ليجنبها
 أولاده وقرأ ورش بالماله الف التاريخ بين وقرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة
 المحضة والباقون بالفتح (يا بني اسرائيل) أي أولاد يعقوب واسرائيل لقبه ومعنى اسرا
 بالعبرانية عبد وايل الله فعنه عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله وسلم عليه (أذكر وانعمني التي
 أنعمت عليكم) أي بالتمتع فيها والقيام بشكرها والذي يكون بالقلب ويكون باللسان
 وتقييد النعمة بهم لان الانسان غير وحده وبالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره حملة الغيرة
 والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما أنعم به عليه حملة حب النعمة على الرضا
 والشكر لله وقيل أراد بها ما أنعم على آباءهم من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغترافه
 وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك من النعم التي لا تحصى قال
 الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وأوفوا بعهدي) أي بامتنال أمرى ومنه
 ما عهدت اليكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أوف بعهديكم) أي الذي عهدته
 اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة * (تنبيه) * للوفاء بالعهود درجات كثيرة فأقول مراتبه
 منها هو الايمان بكلماتي الشهادتين ومن الله تعالى حق الدماء والمال وآخرها ما الاستغفراني
 في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره ومن الله تعالى الفوز بالغنى الدائم وأما
 ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن أوفوا بعهدي في اتباع محمد أوف بعهديكم
 في رفع الأصار أي الاثقال والاعلال وعن غير ابن عباس أوفوا بأداء القرائض وترك الكائن
 أوف بالمغفرة والثواب أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم
 المقيم فبالنظر الى الوسائط (وأياً فارهبون) فيما تاتون وتذرون وخصوصاً في نقض العهد
 والرهبة خوف مع تهرز * (تنبيه) * الآية متضمنة للوعد والوعيد والتعلي وجوب الشكر
 والوفاء بالعهود وأن المؤمن ينبغي ان لا يخاف أحدا الا الله (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن
 وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة مما أنزلت أو من ضميره المحذوف (لما معكم) من التوراة
 بموافقتها له ولغيره من الكتب الالهية في القصص ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والمواعيد
 والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والقوا حساً وفيها
 بحالها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في مصالح من حيث ان كل واحد منها

حتى بالاضافة الى زمانها مرامي فيها صلاح من خوطب به ساحق لوزل المتقدم في أيام المتأخر
لنزول على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الامام أحمد وغيره لو كان موسى
حيالما وسعه الاتباع وفي ذلك تنبيه على أن اتباع تلك الكتب الانهية لا ينافي الايمان
بالقرآن بل يوجبوه ولذلك عرض بقوله (ولا تكونوا أول كافرين) أي بالقرآن بل يجب
أن تكونوا أول مؤمنين به لانكم أهل نظر في معجزاته والعلم بشأنه (فان قيل) كيف نهوا عن
التقدم في الكفر وقد سبقه مشركو العرب (أجيب) بأن المراد به التعريض بما يجب عليهم
لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما نطق الظاهر كقولك لمن أساء ما أنا فلسفت بجهل أو لا تكونوا
أول كافر من أهل الكتاب لان خلفكم سبع لكم فاتهم عليكم أو عن كفر عامه فان من كفر
بالقرآن فقد كفر بما صدقه ومثل من كفر من مشركي مكة (تنبيه) * أول كافرين وقع خبرا
عن ضمير الجمع تقديرا أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافرين كقولك
كسانا حلة أي كل واحد منا (ولا تشبهوا) تستبدلوا (بأبي) التي في كتابكم من نعت محمد صلى
الله عليه وسلم (فما قليل) أي عوضا يسيرا من الدنيا أي لا تسكتوها وخوف فوات ما تأخذونه
من سفلتكم وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم ما كل يصيبونهم من سفلتهم وجهالهم
ياخذون منهم كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فحافوا أنهم ان ينمو صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن يفوتهم تلك الماس كل فغير وانته وكتموا الوجه فاختاروا
الدنيا على الآخرة فنهوا عن ذلك فان حظوظ الدنيا وان جلت قليلة مستزلة بالاضافة الى
ما يفوت من حظوظ الآخرة (واباى فاقون) خافون في ذلك دون غيري (ولا تبسوا)
أي تخطوا (الحق) الذي أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم (الباطل) الذي
تعتزونه وتكتبونه بأيديكم من تغيير صفته (ولا) (تسكتوا الحق) أي لا تسكتوا نعت النبي
صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انكم لا بسون الحق بالباطل كاتفون فانه أقم اذا جهل بعذر
(واقموا الصلاة) أي الصلوات الخمس وواقموا حدودها (وأما الزكاة) أي أدوا زكاة
أموالكم المفروضة أمرهم بفروع الاسلام بعدما أمرهم بأصوله وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بها والزكاة مأخوذة من زكاة الزرع اذا نما وكسرا ومن الزكاة بمعنى الطهارة
وكلا المعنيين موجود في الزكاة فان اخراجها يستحب بركة في المال ويمثل للنفس فضيلة
الكرم ويظهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع
المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد
بسمع وعشرين لما فيها من تظاهر أي تعاون النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن
صلاة اليهود لان صلاتهم لم يكن فيها ركوع أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع وقبل
الركوع الخضوع والاتباع لما يلزمهم الشارع قال الشاعر
لا تذلل الضعيف (وروي لتهين الفقير) علك (أي لعلك) ان تركع يوما والذهب قد رفعه
قرع من الركوع بمعنى الانحناء والميل وادبه الانحطاط من الرتبة * ونزل في علماء اليهود

وكانوا يقولون لا فخر باتهم المسلمين سرا ابتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ولا يتبعونه
 (أما أمر من الناس بالبر) أي بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك تقر ببعث مع نبي ونعيم
 والبر شرفا توسع في الخير من البر بالفتح وهو القضاء الواسع تناول كل خير ولذلك قيل البر
 ثلاثة بر في عبادة الله وبر في معاملة الأقارب وبر في معاملة الأجانب (وتنسئون أنفسكم) أي
 تتركونها من البر كالنسيات وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يصدقون (وأنتم تتلون الكتاب)
 أي التوراة وفيها الوعد على العناد وترك البر ومخالفة القول بالعمل (أفلا تعقلون) سورة فعلكم
 فصدكم عنه أو فلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون من عدم موافقة عاقبته لكم والآية ناعية
 علي من يعط غيره ولا يعط بنفسه بسوء صنيعه وخيب نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
 أو لا حق الخالي عن العقل فإن الجامع بين العلم والعقل يأبى عن كونه واعظا غير متعظ
 نفسه والمراد بها حث الواعظ على تركية النفس والاقبال عليه بالتكميل لها يقوم نفسه
 ثم يقوم غيره لامنع الفاسق عن الوعظ فإن الاخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب
 الاخلال بالآخر ولكن روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي رجلا تقرض شفاهم بقاريض من نار فقلت من هؤلاء
 يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمر من الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون
 الكتاب وعن اسامة رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه أي فتقطع أمعاؤه في النار فيدور كما
 يدور الحمار برحاه فيقع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ماشأناك أليس كنت تأمرنا بالمعروف
 ونهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وقال شعبة
 عن الامشس فيطعن فيها كطعن الحمار برحاه (واستعينوا) أي اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر)
 أي الحبس للنفس على ما تكره (والصلاة) أفرد بها لذكر تعظيم شأنها فانها جامعة لافانواع
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
 الكعبة والعكوف للعبادة وأظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة
 الشيطان ومناجاة الرحمن وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
 الاطمين وهما الاكل والجماع روى الامام أحمد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي لحا اليها وحزبه بالحاء المهملة وزاى وبامو حدة أهمه ونزل
 به وقيل الخطاب لليهود فهو متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شاق عليهم لما فيه من الكلفة
 وترك الرياسة والاعراض عن المال أمر بالصبر وهو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر
 الصبر لانه يكسر الشهوة ويرزق في الدنيا والصلاة لانها تورث الخشوع وتبني الكبر وترغب
 في الآخرة وقيل الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال تعالى وأمر أهلكم
 بالصلاة واصطبر عليها ويحتمل أن يراد بالصلاة الدعاء (وانها) أي الصلاة والكفاية اليها
 لأن الصبر داخل فيها لا يستقيم أحدهما بغير الآخر كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه

ولم يقبل رضوهما لان رضا الرسول داخل في رضا الله عز وجل أولانها أهم كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله رذائل الكفاية الى الفضة لانها أهم وقبل رذائل الكفاية الى كل منهما وأن كل خصله منهما كما قال تعالى كلنا الحسنين أنت أكلها أي كل واحدة منهما وقبل معناه واستعينوا بالصبر والله لكبير والصلاة وانما الكبيرة تحذف أحدهما اختصارا وقال الحسين بن الفضل رذائل الكفاية الى الاستعانة (الكبيرة) أي ثقله شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الاهل الخاشعين) أي الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والخشوع اللين والافتقار ولذا يقال الخشوع بالجوارح والخشوع بالقلب (الذين يظنون) أي يستيقنون واطلق الظن على العلم لتضمنه معنى التوقع (أنهم ملاقوا ربهم) بالبعث (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم وانما ثقل عليهم ثقلها على غيرهم لأن نفوسهم مر ناضجة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقه لاجل مشاقها وتستلذ بسببه متاعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) بالشيء كعليها بطاعتي كره للتوكيد وتذكير بفضل الذي هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تحويها لمن غفل عنها وأخل بحقوقها وعطف على نعمتي (وأي فضل لكم) أي أيما كمال الذين كانوا في عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده قبل أن يغيروا (على العالمين) أي على زمانهم بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في الابناء واستدل بذلك على ان الاصح لا يجب على الله لأن تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم لأن من أنى بما وجب عليه لأمنة له به على أحد (واتقوا) خافوا (يوما) أي ما فيه من الحساب والعقاب وهو يوم القيامة (لا تجزى) أي لا تقضى (نفس عن نفس) فيه (شيأ) أي حقالزمها (تنبيه) قول البضاوي وايراده أي شيأ منكرامع تنكير النفسين للتعميم والاقناظ الكلّي تبع فيه صاحب الكشف وهو جار على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الشفاعة للعصاة وسأني الجواب عن مذهبهم (ولان قيل) بالتاء على التأنيث كما قرأه ابن كثير وأبو عمرو والياء على التذكير كما قرأه الباقون (منها شفاعة) أي من النفس الثانية لقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أي فداها (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله اذ الضمير في الجملتين للنفس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى لانها المحدث عنها في قوله تعالى لا تجزي نفس عن نفس من نفس والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمد وتذكير ضمير ولا هم ينصرون مع أن الضمير راجع للنفس وكان المناسب أن بالتأنيث لانه بمعنى العباد أو الاناس كما نقول ثلاثة أنفس بالتاء مع تأنيث النفس لتأويل النفس بالانفصال والرجال والنصرة أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد عسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وأجاب أهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الآية مخصوصة بالكفار والآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة وبأن هذا أن الخطاب معهم وعلى هذا يتمنى قول البضاوي المأثور

ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاععة فتقبل كما قال تعالى حايكاهم فيها لثامن شافعين ومنها
 ان الآية تزلت وقد لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم ومنها أنهم لا تشفع الا باذن الله
 (و) اذكروا (اذنحيةكم) أي آباءكم الخطاطب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا صلى الله
 عليه وسلم بما أنتم على آباءهم نذ كبراهم بنعمة الله ليؤمنوا (من آل فرعون) أي أتباعه وأهل
 دينه والمشهور ان اصل آل أهل لان نصغيره أهيل وقال الكسائي وغيره أصله أول من آل يؤل
 أي رجع قلب الواو والفاء الصر كها وانفتاح ما قبلها ونصغيره أويل (فان قيل) رد الاول
 اختلاف أهل وآل بمعنى اذاهل القرابة والآل من يؤل الميك بقرابة أو رأى ومذهب
 ولان الالف لم يثبت ابد الهمان الهاء (أجيب) بأن القائل بالاول جرى على القول بان اللفظتين
 بمعنى أو أراد بالاهل أحدهما أي آل وأبدل الواو من الهاء لتقاربهما ما خرجا وخص بالاضافة
 الى أولى القدر والشرف ككالا نبياء والمولود وانما قيل آل فرعون لتصوره بشورة الاشراف
 أولشرفه في قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط من العماقة
 وعمراً كثر من أربعة مائة سنة (يسومونكم) يولونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي أشده
 والجملة حال من الضمير في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهم ما يجعله لان فيها ضمير كل واحد منهم
 (يذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء هذا بيان ليسومونكم
 ولذلك لم يعطف وذلك ان فرعون لعنه الله رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس
 وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاهنا ذلك وسأل الكهنة عن
 رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون
 بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل فقال له ان لا يسقطن على أيديكم غلام
 من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت وكل بالقوابل فكنت يفة لعن ذلك حتى قيل انه قتل
 في طلب موسى اثني عشر ألف صبي وقال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألفاً قالوا
 وأسرع الموت في مشيئة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
 في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون
 أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي
 يذبحون فيها (وفي ذلكم بلاء) ان أشير به الى صنيعهم فهو محنة أو الى الانحاء فهو نعمة فان
 البلاء يكون بمعنى الشدة وبمعنى النعمة ويجوز أن يشار بذلك الى الامرين فآله تعالى قد يختبر
 على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير فتنة (من
 ربكم) أي تسلط عليهم عليكم أو بعثه موسى وتوقيفه لتخليصكم أو به ما وقوله تعالى (عظيم)
 صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خيراً أو شراً اختبار من الله تعالى فعليه
 أن يشكر عند مسأته ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين (و) اذكروا (اذ فرقتا) فلقنا
 (بكم) أي بسبيكم (البحر) حتى دخلتموه هارين من عدوكم وذلك أن فرعون لما دنا هلاكه
 أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني اسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى

قومه أن يسرجوا في يوتهم السرج إلى الصبح وخرج موسى في سبعمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لآل فرعون بن العشرين لصغره ولأبن السنتين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين وسبعين إنسانا مابين رجل وامرأة فساروا وموسى على ساقهم وهرون على مقدمتهم ثم علم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصبح الديك قال ابن مسعود رضي الله عنه فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة ثم خرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخليل سوى سائر الشيات قال محمد بن كعب وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف وكان بين يديه مائة ألف نائب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف تصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا أن أدركنا قتلنا والبحر امامنا أن دخلنا غرقنا قال الله تعالى فلما تراهي الجمع انما لم ترون قال موسى كلات معي ربي سيهدين فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضر به فلم يطعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنه فضر به وقال اطلق يا أبا خالد يا ابن الله فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجلجل وأرسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يسا غضا ضفت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيه الماء كالجلجل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا انخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواتنا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبكي فصارت شبكا كالطافات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (فَأَنجَيْنَاكَ) أي من آل فرعون (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) وذلك أن فرعون لما وصل البحر فرأه منفلقا قال لقومه انظروا إلى البحر انتقل من هبتي حتى أدرك عبيدي الذين أتبعوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعني موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى فجاء جبريل على فرس أنى فقدمهم وخاض البحر فأنشمت أدهم فرعون ريجها اقصم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولا يعلل فرعون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل واقصمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستخدمهم ويسوقهم حتى لا يشد رجل منهم ويعول لهم الحقوا بأهصابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولاهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتهم عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم طرف من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اسان وذلك بحر رأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) إلى مصارعهم أو أطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضهم بعضا واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل ومن

الآيات المخبنة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصدق موسى الكليم ثم انهم اتخذوا الجبل
 وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهم معزل من القطنة والذكا وسلامة النفس وحسن
 الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ماؤا تر من مجزاته أو نظرية مثل القرآن
 واتخذت به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها
 الأذكياء (واذ وعدنا موسى) بغير ألف بين الواو والعين كما قرأ به أبو عمرو والباقون بألف بين
 الواو والعين لانه تعالى وعده موسى الوحي ووعد موسى ربه المحيى للميقات الى الطور وقيل
 هذا من المفاعلة التي تكون من الواحد كما عتبت اللص وطاوقت النعل وأمال حمزة ألف موسى
 محضة وأبو عمرو بين وورش والفتح وبين اللفظين (أربعين ليلة) أن يعطيه عند انقضاءها
 التوراة ليتعلموا بها وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
 الشهور وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء وخلق الله تعالى الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية
 لهم الليل نسلخ منه النهار و قول البيضاوى أن ذلك الوعد لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
 تبع في ذلك الكشف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما كانوا بالشأم لان اتيان موسى للميقات كان
 بطور سيناء وهو بالشأم لا بمصر وقد قال البهاء بن عقيل في تفسيره لم يصريح أحد من المفسرين
 والمؤرخين بأنهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها (فان قيل) قوله تعالى فأخرجناهم من جنات
 الى قوله تعالى وأورثناها بني اسرائيل يقتضى أنهم عادوا اليها (أجيب) بأن المعنى أن الله تعالى
 أورثهم وملكهم اياها ولم يردم اليها وجعل مساكنهم الشأم (ثم اتخذتم) قرأ ابن كثير
 وحفص عن عاصم اتخذتم باظهار المذال قبل التاء والباقون بادغام المذال في التاء (الجهل)
 الذى صاغه لكم السامرى الها ومعبودا (من بعده) أى بعد ذهابه الى ميقاتنا وذلك أن بنى
 اسرائيل لما آمنوا من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتمون اليها فوعد الله تعالى موسى
 أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه انا ذاهب لميقات ربى آتيتكم بكتاب فيه بيان ما تأتون
 وما تذكرون واستخلف أخاه هرون فلما أتاه الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
 لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فلما رآه السامرى وكان رجلا صاغا من
 قبيلة يقال لها سامرة ورأى موضع قدم الفرس يحضر من ذلك وكان منافقا يظهر الاسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر التي في روعه انه اذا التي في شئ غيره وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا
 حلما كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعمل عرس لهم فأهلك الله تعالى
 فرعون وقومه فبقيت تلك الحلى في أيدي بنى اسرائيل قال السدى فأمرهم هرون أن يلقوها
 في حفرة حتى يرجع موسى فعلموا فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى بجهل من ذهب في ثلاثة أيام
 مرصعا بالجواهر كالحسن ما يكون ثم ألقى فيه القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل
 فصارت بخور وعشي فقال السامرى هذا الهكم واله موسى فتسبى أى فتركه ههنا وخرج يطلبه
 وكانت بنو اسرائيل قد أدخلوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم
 يرجع موسى وقوموا في القطنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة قال تعالى

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناها بعشر وسبأ في الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في محله
 فكانت ففتحتهم في تلك العشرة فلما مضت السلاطون ولم يرجع موسى ورأوا العجل وسمعوا قول
 السامري عكف منهم ثمانية آلاف رجل على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبده الا هرون مع
 اخي عشر ألف رجل قال البغوي وهو الاصح وقال الحسن كلهم عبده الا هرون ولذلك قال
 تعالى (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) أي باتخاذهم لوضعكم العباداة في غير محلها (ثم عفوونا) محونا (عنكم)
 ذنوبكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عني اذا درس (من بعد ذلك) أي الاتخاذ (لعلكم
 تشكرون) أي لكي تشكروا ونعمتنا عليكم * (فتبهم) * انما قدرت لعل بكى اخذنا مما قبل ان لعل
 في القرآن بمعنى كي غير قوله تعالى في الشعراء لعلكم تخلدون فانها بمعنى كأن أي كأنهم
 تخلدون (و) اذكروا (اذا ينما موسى الكتاب) أي التوراة وقوله تعالى (والفرقان) عطف
 تفسيرا أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل أراد بالفرقان مبهجات موسى
 كافتراق البحر الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان (لعلكم تهتدون)
 أي لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكير في الآيات من الضلال (و) اذكروا (اذا قال موسى
 له وسمه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظالمون) قرأ ورش بتعظيم اللام والباقون بالترقيق
 (أنفسكم باتخاذكم العجل) الها قالوا فأى شئ نصنع قال (فتوبوا) أي ارجعوا عن عبادة
 العجل (الى بارتكم) أي خالقكم وقرأ أبو عمرو وباسكان الهمزة وروى عن الدوري باختلاس
 الحركة وروى عن السوسي ابدالها يا ساكنة وأمال الدوري عن الكسائي الالف بعد الدال بالياء
 الموحدة واذا وقف حمزة على بارتكم سهل الهمزة بين يمين قالوا كيف توب قال (فاقتلوا
 أنفسكم) أي ليقتل منكم البرى من عبادة العجل من عبده وقيل المراد بالقتل قطع الشهوة
 كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وردها جماعة باجماع المفسرين
 على أن المراد هنا القتل الحقيقي (ذلكم) أي القتل (خير لكم عند بارئكم) من حيث انه
 طهرة عن الشرك ووصله الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا
 نصبر لامر الله فجلسوا بالانفة محتبين وقيل لهم من حل حبونه أو مد طرفه الى فانه أو اتقاء يبد
 أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأسلفت القوم عليهم الخسائر فكان الرجل يرى ابنه وأباه
 وأخاه وقريه فلم يمكنه المضى لامر الله فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله عليهم ضبابه تشبه
 بحجاب تغشى الارض كال دخان وحجابة سوداء لا يصر بعضهم بعضا فكانوا يقتتلون الى المساء
 فلما كثر القتل دعاهم موسى وهرروا عليهم ما الصلاة والسلام وبكوا ونضرعوا فالابواب هلك
 بنوا اسرائيل البقية البقية فكشف الله تعالى السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل
 فكشفت عن ألوف من القتلى روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عدد القتلى سبعون
 ألفا فاستند ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة
 فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكذرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) أي فعلتم
 ما أمرتم به فتاب عليكم أي فغفروا عنكم وقبل توبتكم * (تنبيه) * ذكر البارئ في قوله تعالى

فقبولوا الى بارئكم وترتيب الامر بالقتل عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى
 تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثلهم في الغباوة وان من لم يعرف حق
 منعمه حقيق بأن يستترق منه ما أنعم به عليه ولذلك أمر وابتقل تركيب ذواتهم بالقتل (انه هو
 الثواب) أى الذى يكثر قبول التوبة من المذنبين (الرحيم) أى البالغ فى الانعام على خلقه
 (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة
 والسلام أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختر موسى سبعين
 رجلا من خيار قومه وقال لهم صوموا واطهروا واثابكم ففعلوا ذلك فخرج
 موسى الى طور سيناء لمقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال لهم افعل فلما اذا
 موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام فغشى الجبل كله فدخل فى الغمام وقال للقوم ادنوا
 فدنوا حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
 لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسعوه وهو يكلم موسى بأمره
 وينهاه وأمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا اخرجتكم من ارض يثرب شديدة فاعبدونى
 ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل عليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
 جهرة عيانا وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم أن المراد منه العيان
 روى عن السوسى امالة الالف بعد الراء فى ترى وترقيق اللام من اسم الله وروى عنه تفخيم
 اللام مع الامالة وله وجه ثالث كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام (فان قيل) كيف
 يقال الان وهى تسقط عند التقاء الساكنين (أجيب) بأنه لولا امالته ما أمليت الراء لان
 القارئ اذا أراد أن يميل الالف لا يمكن من الامالة الا بماالة ما قبله (فأخذتكم الصاعقة) أى
 الصيحة فتم وقبل جاءت نار من السماء فأحرقتم وذلك افراط العناد والتعنت وطلب المستحيل
 فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز
 المتشابهة للرائى وهى محال بل المراد أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى
 الآخرة ولافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا (وانتم تنظرون) أى ينظر بعضكم
 الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى
 يبكى ويتضرع ويقول ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لوئنت
 أهلهم من قبل واياى أنهم لكأنا فعل السفهاء مشافهم يزل يشاهد ربه حتى أحياهم الله تعالى
 رجلا بعد رجل بعد ما ماوا اليه ينظر بعضهم الى بعض كيف يحبون كما قال تعالى
 (ثم بعثناكم) أى أحييناكم والبعث اثاره الشئ عن محله يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت النائم
 فانبعث (من بعد موتكم) بسبب الصاعقة قال قتادة أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم
 ولوما توابا جالهم لم يبعثوا وقيد البعث بعد الموت لانه قد يكون عن اغما أو نوم كقوله تعالى
 فضر بنا على آذانهم فى الكهف الى أن قال ثم بعثناهم أى من النوم (لعلكم تشكرون) نعمة
 بعث أو ما كفر قومه من النعم المتتابعة (وظللنا عليكم الغمام) فى التيه يتيكم حر الشمس

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر يسمى السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه
 لم يكن لهم في التيه كن يستريحهم فشكلوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فامرسل الله غماما أبيض رقيقا
 أطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل أذا لم يكن قمر يسرون في ضوئه
 وكانت شياهم لاتسبح ولا تبلى وغلاظ ورش اللام المفتوحة بعد الغطاء (وأمرنا عليكم المن
 والساوى) في التيه والاكترون على أن المن هو الترفيعين قال مجاهد هوشى كالصنع كان
 يقع على الاشجار طعمته كالشهد وكان يقع كل ليلة على أشجارهم مثل الشج لكل انسان منهم صاع
 فقا لوا يا موسى قلنا هذا المن بجلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلاوى
 جمع سلاوة وهو الطير السمانى بضعيف الميم والقصر جمع سمائة وهو الطير المعروف وقيل
 هو طائر يشبهه بعث الله سمائة فطرت السماني في عرض ميل وطول ربح في السماء بعضه
 على بعض فكان الله تعالى ينزل عليهم المن والساوى كل صباح من طلوع الفجر
 إلى طلوع الشمس فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ
 كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت وقرأ السلاوى حزمة والكسافى
 بالامالة محضة وأبو عمرو بين ورش بالفتح وبين اللقطين (فان قيل) لم قدم في الآية المن على
 السلاوى مع أنهم اغذاه والمن حلوا والعادة تقديم الغذاء على الحلوا (أجيب) بأن نزول المن
 من السماء أمر مخالف للعادة فقدم لاستعظامه بخلاف الطيور لما كولة وأيضا هو مقدم في
 النزول عليهم (كأوا) على ارادة القول أى قلنا لهم كأوا (من طيبات) حلالات (مارزقناكم)
 ولا تدخر والغد فكفروا النعمة وادخروا فاقطع الله ذلك عنهم ودقود فسدما ذخروه وقوله
 تعالى (وما ظنونا) أى بذلك فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا بهذه النعم وما ظنونا (واكن
 كأوا أنفسهم يظلمون) لأن وبال عليهم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لولا نبوا سرايل لم يحبث الطعام ولم يحبث اللحم ولولا أخوة لم تخن أنى زوجها
 الدهر (واذ قلنا) لهم بعد خروجه من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس كما قاله
 مجاهد أو أريحا بفتح الهزرة وكسر الراء وبالهاء المهمله كما قاله ابن عباس وهى قرية الجبارين
 كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالة ورأسهم عوج بن عنق قال ابن الاثير وهى قرية
 بالغور قريبة من بيت المقدس وقيل بالمقاء وقيل الرملة والاردن وفلسطين وقيل الشام
 سميت القرية قرية لانها اتجمع أهلها ومنه المقر للعبوس لانها اتجمع الماء (فكفوا ومنها حيث
 شتم رغدا) أى واسعا لا يحرق فيه (وادخلوا الباب) أى باب من أبواب القرية وكان لها سبعة
 أبواب (مسجد) أى متطامن منضين أو ساجدين السجود الشرعى لله شكرا على اخراجكم
 من التيه (وفولوا) مسئلتنا (حطة) أى أن تحط عنا خطايانا قال قتادة أمر وانا الاستغفار
 وقال ابن عباس بلا اله الا الله لانها تحط الذنوب وقيل معناه أمرنا حطة أى شأتان نقط في
 هذه القرية ونقيم فيها حتى ندخل الباب مسجد مع التواضع (تغفر لكم خطاياكم) بسجودكم
 ودعائكم وقرأ نافع يا مضمومة على التذكير مع فتح التاء وقرأ ابن عامر تغفر بقاء مضمومة

على التآنيث مع فتح الفاء أيضا وقرأ الباقون بالنون مفتوحة مع كسر الفاء وقرأ الباقون
خطاياكم باللاملة وورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح (وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا
جعل الله تعالى امتثال قوله قولا واحدا تربة للمسئوس وسبب زيادة الثواب للمحسنين (فان قيل)
كيف عطف وسنزيد مع أنه مرفوع على نفع مرفوع أنه مجزوم جوابا للامر (أجيب) بأنه أخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد أي ما بأن المحسن يصدق ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعل لا محالة وسبب اخراج ما ذكر عن صورة الجواب الى الوعد أن الزيادة اذا كانت من وعد
الله كانت أعظم عما اذا كانت مسببة عن فعلهم (فبذل الدين ظلووا) منهم (قولا غير الذي قيل
لهم) فقالوا حجة في شعرة ودخلوا يزحفون على استاهم مخالفة في الفعل كما بدوا القول روى
معمر عن همام بن منبه أنه سمع أباه ريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني
إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاهم وقالوا حجة
في شعرة وفي رواية في شعيرة وقوله تعالى (فأنازلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع
المضمر بمالعة في تقييد أمرهم وأشعارا بأن أنزال الرب عليهم لظلمهم بوضع غير المأمورية
موضعه وأعلى أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب ثباتها الى ما يوجب هلاكها (رجوا) أي عذابا
مقدرا (من السماء) وقيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا
وقيل أربعة وعشرون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة
(وإذا استقى موسى) طاب السقيما (لقومه) وذلك أنهم سئم عيشوا في التيه فسألوا موسى أن
يستقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت من آس الجنة
بالمذ أي شجرها وهو المرسين وروى عن ابن عباس أنها كانت من هوسج طولها عشرة أذرع
على طول موسى وكان لها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها علقيق وقال مقاتل اسمها بنفة
جاءها آدم من الجنة فتوارى عنها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاهام موسى واللام في الحجر
للعهد على ما روى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حله معه كان له أربعة أوجه ينبع من كل وجه
ثلاثة أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا سقاة ألف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا
أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ودفع الى شعيب فأعطاهام موسى مع العصا والحجر الذي قرئ به لما
وضعه عليه ليغتسل وقرئ به على ملا من بني إسرائيل وهو حجر خفيف مربع كراس الرجل رخام
أو كذا وقرأ الله تعالى به عامر ومه من الادرة وهي بضم الهمزة كبر الانبياء فلما وقف أتاه
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر في فيه قدرة ولك فيه
معجزة والجنس قال البيضاوي وهذا أظهر في الحجة وبذل القول وهب لم يكن حجرا معينا
بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيمنع عيون الكل بسبط عين ثم تسيل كل عين في جدول الى
السبط الذي أمر أن يسقيهم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا ولكن لما قالوا كيف بنا
لو أنفدنا الى أرض لا حجارة فيها حل حجر في مخلائه وكان يضرب به عصاه اذا نزل فيمنع عيونهم
به اذا ارتحل فبيدس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عشا فأوحى الله تعالى اليه لا تفرح

انجارية وكلها قطعك اهلهم يعتبرون وقوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف
 أى فضربه فانفجرت أى سالت قال أبو عمرو بن العلاء انبجست هزقت وانفجرت سالت وقال
 عطاء كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة فيعرق ثم
 تنفجر الانهار ثم تسيل (قد علم كل أناس) أى سبط منهم (مشربهم) أى عينهم التى يشربون منها
 لا يدخل سبط على غيره فى شربه وقتلناهم (كلوا واشربوا من رزق الله) أى كلوا من المن والسلاوى
 واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى بآيتكم بلامسقة (ولا تعثوا) أى لا تعثوا
 (فى الارض مفسدين) أى حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس
 بفساد كما قاله الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن اصلاحا راجعا على الفساد كقتل الخضر القلام
 وخرقه السفينة * (تنبيه) * من أنكر أمثال هذه المجزآت فلغايتها جهل بالله تعالى وقلة تدبره فى
 عجائب صنعته فانه لما أمكن أن يكون من الاجبار ما يحاق الشعر كالنورة ويجذب الحديد
 كالغناطيس وينقر الخلل كالكهربان فانه اذا وضع فى اناه لا يحصل الخلل فى ذلك الاناء يمتنع أن
 يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهوام من الجوانب الاربعة وبصره
 ماء بقوة التدبير ونحو ذلك (و) اذكروا (اذ قلتم يا موسى ان نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم سم
 سموا من أكل المن والسلاوى وانما عبر عنهم باطعام واحد لعدم تبدلها ما كقول العرب طعام
 مائدة الأمير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه أو لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
 عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المجدون
 العذب أولانهم كانوا يجنون المن بالسلاوى فيصيرا واحدا أولانهم كانوا يأكلون أحدهما
 بالآخر فكانا طعام واحد وأضرب واحد لانهم ما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا أهل فلاحه
 أى أهل زراعات فاشتاقوا الى أصلهم الردى وعادتهم الخبيثة ولذا قالوا (قادع لناربك) أى
 فسل لاجل ناربك (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد وجرمه بأنه جواب فادع فان دعوه موسى
 تسبب الاجابة وقوله تعالى (مما تبث الارض) من الاسناد المجازى واقامة القابل وهى الارض
 لانها قابله للنبات مقام الفاعل ومن فى قولهم مما تبث للتبعض ومن فى قوله (من بقلها)
 للبيان والبعث ما تبثه الارض من الخضر وهو ما ليس له ساق والمراد به أطايسه التى تؤكل
 كالكرفس والنعناع والكرثات (وقتناها وقودها) وهو الخبز كما قاله ابن عباس ومنه قوموا
 لنا أى اخبروا أو الخططة كما قاله عطاء والنوم كما قاله الكلى (وعدهسا وبصلها قال) أى الله
 أو موسى (أاستبدلون الذى هو أدنى) أى أخس وأردأ وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير
 للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقبل بعيد الهمة بعيد المحل (بالذى هو خير) أى
 أشرف وهو المن والسلاوى فانه خير فى النذة والتفع وعدم الحاجة الى السعى أى أننا خذون هذا
 بدل هذا والهزة للانكار فأبوا أن يرجعوا فادع موسى ربه فقال تعالى (اهبطوا) أى انزلوا
 فان هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول ويستعمل متعديا بمن فيكون بمعنى
 الخروج من مكان الى آخر مساولة أو أهلى منه (مصرأ) من الامصار والماصر البلد العظيم

لا العلم بفتح اللام وقيل أراد به العلم وهي مصر موسى وفرعون قال البيضاوي ويؤيده أي
 القول بأن المراد بمصر العلم أنه غير ممنون في معصف ابن مسعود أي وهي قرارة شاذة وانما صرفة
 على هذا مع أن فيه العلبة والتأنيث لم يكون وسطه كما في هند ودعد لمصادلة أحد سبي منع
 الصرف بجففة الاسم لسكون وسطه وعلى تأويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد
 فانصرف (فإن لكم) فيه (ماسألتم) من نبات الارض (وضربت عليهم) أي أحبطت
 احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط (الذلة) أي الذل
 والهوان وقيل الجزية (والمسكنة) أي القروى وهي القبر مسكنة لان الفقر أسكنه وأقعدته
 عن الحركة وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجدهم يهود في غالب الامر آذلاء
 مساكين ائمال على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وقيل الذلة فقر القلب
 فلا ترى في أهل المال أذل وأحرص على المال من اليهود وقرأ حمزة والكسائي عليهم بضم الهاء
 والميم وصلوا وفي الوقف حمزة على أصله والكسائي بكسر هاء أبو جهر وبكسر الهاء والميم وقفا
 وصلوا وباقي القراء بكسر الهاء وضم الميم وصلوا وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم (وبأوا)
 رجعوا (بغضب من الله) ولا يقال باء البشر وأصل البوء المساواة وقال أبو عبيدة احتملوه
 وأقروا به ومنه الدعاء أبو نعمتك وأبوء بذنبي أي أقروا بوقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما مر من
 ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بما آتاه الله)
 بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآتاه الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن وبالمجرات
 التي من جلتها ما عده عليهم من فلق البحر واطلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون
 من الحجر (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي طلبا فانهم قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم روى
 ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في أول النهار وقاتم سوق بقتلهم آخر النهار (فان قيل) لم قال بغير
 الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق (أجيب) بأنه ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة
 بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان
 حكمه ينقسم الى الجور والحق وأنه بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقد به جوارقتهم
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أخبر بقتل الانبياء ونصر الرسل فكيف الجمع (أجيب) بأن المثل
 يختلف اذ الرسول غير النبي وبأن المراد بالنصر الغلبة باظهار الحق لا العصمة من القتل وانما
 حلهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه تعالى بقوله (ذلك جماعصوا)
 وكانوا يعتدون أي جرهم العصيان والتماذي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين
 فان صفات الذنوب أسباب تؤذي الى ارتكاب بكارها كما ان صفات الطاعات أسباب مؤدية
 الى تحري بكارها وكرر الإشارة لئلا يظن على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
 ارتكابهم المعاصي واعتدا بهم حدود الله وقيل الإشارة الى الكفر والقتل والبايع مع وعلى
 هذا انما جوزت الإشارة بالقرء الى شئين فصاعدا على تأويل ما ذكره والذي حسن ذلك ان تنبيه
 المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع وقرأ النبيين

نافع بالهمزة والباقون بالياء مورس على أصله في الهمز بالمد والتوسط والقصر (إن الذين آمنوا) بالانبياء من قبل (والذين هادوا) أي اليهود هو ابه لقولهم أنا هادنا إليك أي ملنا إليك وقيل لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة الجبل وكانهم سمو باسم أكبر وأدب يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يهودون أي ينحزكون عند قراءة التوراة ويقولون إن السموات والأرض تنحزكت حين أتى الله موسى التوراة (والتصاري) جمع نصرائي كنداحي والياء في نصرائي للمبالغة هو بذلك لأنهم نصرروا المسيح قال الحواريون نحن أنصار الله (فان قيل) هذا المسجاري على قواعد الاشتقاق فانه يقال لواحد ناصر وفاعل لا يجمع على فعالى (أجيب) بأن ذلك كاف في الاشتقاق وإن لم يجمع المفرد على فعالى وأولانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسماها باسمهم على الأقل أو من اسمها على الثاني (والصائبين) هم طائفة من النصاري وقيل من اليهود وقيل قوم بين النصاري واليهوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة أو الكواكب وقرأ نافع وحدهم بالياء أملا لأنه خفف الهمزة أولانه من صبا إذا مال لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الواحدة (من آمن بالله واليوم الآخر) (وعلى صالحا) أي من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصداق قلبه وبالبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة أيما ناطقا ودخل الإسلام دخولا صادقا (فأهم أجرحهم) أي ثواب أعمالهم (عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة وأحين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تصديق العمور وتغيب الثواب * (تنبيه) روى في ضمير آمن وعمل لغظ من وفيما بعده معناها ومن مبتدأ أخبره فلهم أجرحهم والجملة خبران أو بدل من اسم ان أخبره فلهم أجرحهم والقاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سبويه دخولها في خبران من حيث أنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (و) اذكروا (إذا أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حتى أعطينا الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكليف الشاقة كبرت عليهم لأنها كانت شريعة ثقيلة وأبوا قبولها فامر الله تعالى جبريل بقطع الطور فظله فوقهم وكان على قدر عسرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مقدرا فامة رجل كالظلة وقال لهم ان لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء بن ابن عباس رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأنهم الصراخ من خلفهم وقيل لهم فان قيامت الارض تحتكم بهذا الجبل أو أغرقتكم في هذا البحر أو أحرقتكم به هذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم من ذلك قبلوا وصعدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا (خذوا) هو على إرادة القول أي وقتلنا خذوا

(ما أتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدة وعزيمة (واذكروا ما فيه) بالعمل به أو تفكر واقع فيه فانه
تذكر بالقلب كما ان الدرس ذكره باللسان أو ادرسه ولا تنسوه (لعلكم تتقون) لكي
تتقوا النار أو المعاصي (ثم توليت) أفرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي بعد أخذه
(قلوا بفضل الله عليكم ورحمته) أي توفيقكم للتوبة أو بالإهمال وتأخير العذاب عنكم
أو بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه (لكنتم من الخاسرين) أي
من المغبونين بالانتم مالك في المعاصي أو بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة * (تنبيه) * لوفى
الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لأفاد اثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيوفيه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد
البواب مسدده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علمتم) اللام موطئة للقسم أي عرفتم
(الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم في السبت) يصيد السمك وذلك لانهم كانوا من داود عليه
الصلاة والسلام بأرض يقال لها ايلة حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان
اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من
كثرته فاذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى اذا تأتاهم حينئذ يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبقون لآتائهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ثم ان الشيطان وسوس اليهم
وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال خفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه
اليها لانهم اراها اذا كان عشية الجمعة فقصوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض
فلا تقدر على الخروج لبعدها وقلة ما فيها فاذا كان يوم الاحد أخذوها فذلك الحيس
في الحياض هو اعتدائهم ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة ففجروا على الذنب وقالوا
ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأكلوا وطمعوا وابعوا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا
نحو ما من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف أصناف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف اتهمك
الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا والله لانسا كنكم
في قرية واحدة فقصموا القرية بجدار (فقلنا لهم) لاصرارهم على المعصية (كونوا قردة خاسئين)
أي مبعدين فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يقصوا بابهم
فلما أبطأ وانسوروا على الحائط فاذا هم جميعاً قردة لها اذنان يتعاونون قال قتادة صار الشبان
قردة والشيوخ خنازير فكانوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسح فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم ففعلوا بالقردة كما مثلوا بالجار كما في قوله تعالى
كمثل الجار يحمل اسفارا رواه عنه ابن جرير ورواه وقال انه يخالف لظاهر القرآن والاحاديث
والآثار وابعاع المفسرين وقوله تعالى كونوا ليس بأمر اذا قدره لهم عليه وانما المراد به
سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما أراد بهم (جعلناها) أي تلك العقوبة (نكالاً) أي عبرة
تنبه العتبر بها أي تنفعه من ارتكاب مثل ما عملوا وانه التكرار عن العيب وهو الامتناع
(لما بين يديهم وما خلفهم) أي اللام التي في زمانها وبعدها ولما يحضر تها من القرى وما تباعد

عنها أولاهل تلك القسرية وما حو اليها أولاجل ما تقدم عليه من ذنوبهم وما تأخر منها
 (وموعظة للمتقين) الله من قومهم ولكل متق معها وخصوا بالذكرا منهم المنفعون بها
 بخلاف غيرهم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم) قرأ أبوهم وبسكون الراء
 ويرى عن الدوري اختلاس الحركة والباقون بالحركة الكاملة والحركة ضمة (أن تذبحوا
 بقرة) أول هذه القصة قوله تعالى واذ قلتم نضاً فاذا رأتم فيها وانما فكنت عنه وقدمت عليه
 لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستنزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وزلة المسارعة
 الى الامتثال وقصته أنه كان فهم رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
 قتله ليرثه وجمعه الى قرية أخرى فألقاه بياها سائماً أصبح يطلب دينه وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم
 القتل فسألهم فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى قال الكلبى وذلك قبل نزول القسامة
 في التوراة فسألوا موسى ليدعوا الله ليعين لهم بدعائه فدعا فامرهم الله تعالى بذبح بقرة
 ويضربوا القتل ببعضها ليصا فيضرب قتله فقال موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا)
 أتقتضنا هزوا) أي أنتم زى بنا نحن نسأل عن أمر القتل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك
 استبعادا لما قاله واستخفافا به قرأ حمزة بسكون الزاي في الوصل واذ وقف قال هز انصب
 الزاي من غيرهم وروى عنه الادغام وهو أن يشدد الزاي وقرأ حفص هز وانصب الزاي بعدها
 وادغم فتوحه وقفا وصلوا والباقون بضم الزاي بعدها همزة مفتوحة (قال أعوذ) أي امنع
 (بالله) من (أن أكون من الجاهلين) لأن الهز في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما ربح به
 على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استغفالا عما فعله في القوم أن ذبح البقرة
 عزم من الله استوصفوه ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا
 على أنفسهم فشدد الله عليهم وكان تحتهم حكمة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له
 ابن نفل وله بجلة في بها الغنضة وقال اللهم اني استودعك هذه البجلة لا تخي حتى يكبر
 ومات الرجل فسارت البجلة في الغنضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن
 كان بارا بوالده فكان يقسم الليل اثلاثا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمته ثلثا فاذا
 أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق ثلثه ويأكل
 ثلثه ويعطى والدة ثلثه فقالت له أمه يوما ان أبالك ورثك بجلة استودعها الله في غنضة كذا
 فانطلق وادع الله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها
 فيخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلد ها وكانت تلك البقرة تسمى الذهبية لحسنها وصغرتها
 فأبى القتي الغنضة فراهز عري فصاح بها وقال أعزم عليك يا ابراهيم واسماعيل واسحق
 ويعقوب فأقبلت تسعى اليه حتى قامت بين يديه فقبض على عنقهها يقودها فتسكمت البقرة بأذن
 الله وقامت أيها القتي البار بوالده اركبني فان ذلك أهون عليك فقال القتي ان أي لم تأمرني
 بذلك ولكن قالت خذ بعنفها فقالت البقرة يا بني اسرائيل لو ركبتي ما كنت تقصد علي أبدا
 فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن يقطع من أصله ويطلق معك لفعل ليرك بأهلك فسار القتي

بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
 فبيع هذه البقرة فقال بكم أييها قالت بثلاثه دنانير ولا تباع بغير مشورتي وكان عن البقرة ثلاثه
 دنانير فانطلق بها الى السوق فبعت الله مملكا ليرى خلقه قدرته وليعتبر القتي كيف يره بوالده
 وكان الله به خبير فقال الملك له بكم تباع هذه البقرة فقال ثلاثه دنانير واشترط عليك رضا
 والدني فقال الملك لك ستة دنانير ولا تسأمر والدتك فقال القتي لأعطيتني وزنه اذهب اأخذه
 الابرضأ أي فردة الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بستة دنانير على رضا
 مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال القتي انها أمرتني أن
 لا أنقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال الملك اني أعطيتك اثني عشر دينارا على
 أن لا تستأمرها فأبى القتي ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذي أتيتك بك في صورة
 آدمي ليشتريك فاذا أتاك فقل له أنا امرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال الملك له اذهب الى
 أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لتقيل يقتل في بني اسرائيل
 فلا تباعوها الا بجل مسكها أي جلد هاذها دنانير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل
 ذبح تلك البقرة بعينها فاذا الوايستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة لعملي بره بوالده
 فضلامه تعالى ورحمة فذلك قوله عز وجل (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ما سنها وكان من
 حقها أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي لان لفظ ما يسأل به عن الجنس غالب الكنه لما رواه
 ما أمر وابه على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقة ولم يروا مثله
 (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة لا فارض) أي مسنة وسميت فارضا لانها فرضت
 سنها أي قطعت وبلغت آخره (ولا بكر) أي صغيرة (عوان) أي نصف أي وسط قال الشاعر
 • نواهم بين أبه كاد وعون • جمع عوان (بين ذلك) أي بين ما ذكر من الفارض والبكر
 (فان قيل) بين يقتضي شيئين فصاعدا فن أن جاز دخوله على ذلك (أجيب) بأنه في معنى شيئين
 حيث وقع مشاربه الى ما ذكر كما نفقر وعوده هذه الكتابات واجراء تلك الصفات على بقرة
 يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب بالامر ومن أنكر
 ذلك زعم أن المراد بها بقرة من جانب البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
 ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال الخبر الثابت بالنص والحق جواز تأخير البيان
 عن الوقت المذكور والنسخ قبل الفعل ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه
 الصلاة والسلام لو ذهبوا أي بقرة أرادوا لاجراءاتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 وتقرعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ما تومرون) به من ذبحها (قالوا)
 ادع لنا ربك يبين لنا ما هي (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها)
 أي شديد الصفرة ولذلك تو كذب الصفرة فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حاله وعن الحسن
 سودا شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى فجالات صفراء البياض أي ولعلها عبر بالصفرة عن
 السواد لانه من مقدماته قال البغوي والاقول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال أصفر

فاقع وأسود حالك وأخضر ناصع (تسر الناظرين) اليها أى يعجبهم حسن ما وصفها لونها
 والسرور أصله لذة فى القلب عند حصول نفع أو وقوعه (قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي) أى
 أسأله أم عاملة وعلى هذا فليس تكرار للسؤال الاول (ان البقر) أى جنسه المنعوت كذا ذكر
 (تشابه) أى التباس واشتبه أمره (علينا) لكثرة فلم يهتدوا الى المقصود * (تنبيه) * لم يقل
 تشابه علينا لان المراد الجنس كما مر وألشد كبر لفظ البقر كقوله تعالى أفعار تفضل منقعر
 (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها وفى الحديث لو لم يستنوا لما بينت لهم آخر الابد
 واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وإن الامر قد ينفلك عن الارادة واللام يكن
 للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكزامية على حدوث الارادة لانها وقعت شرطا والشرط
 أمر يحدث فى المستقبل (وأجيب) بأن تعليق الاحتمال بالمشيئة التى هى الارادة باعتبار تعلق
 المشيئة بالاهتداء وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى لان التعلق
 أمر اعتبارى (قال موسى (انه) أى ربي (يقول انها بقرة لاذلول) أى غير مدالة بالعمل
 (شرا الارض) أى ثقلها للزراعة والجملة صفة ذلول داخله فى النقي (ولانسق الحشر) أى
 الارض المهينة للزراعة ولا الثانية من يده تائما كيد الاولى والافعلان صفة ذلول كأنه قال
 لاذلول مشيرة وساقية (مسئلة) من العيوب واثارة العمل (لاشية) أى لاولون (فيها) سوى لون
 جميع جلدها قال مجاهد لا يبايض فيها ولا سود (قالوا الا نجت) أى نطق (بالحق) أى
 بالبيان التام الشافى الذى لا اشكال فيه فطلبوها فوجدوها عند الفقى البار بأتمه فاشتروها بـ
 مسكها أى جلدها ذهباً كما قال له الملك وقوله تعالى (فذبجوها) فيه اختصار والتقدير فحصلوا
 البقرة المنعوتة فذبجوها (وما كادوا) أى ما قاربوا (بفعلون) لتطو يلهم وكثرة مر اجعتم
 أو لحرف الضيعة فى ظهور والقاتل أولغلامتها ولا شافى قوله وما كادوا بفعلون قوله فذبجوها
 لاختلاف وقتيهما اذ المعنى ما قاربوا أن يفعا لواحى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
 ففعلوا المضطر الملبا الى الفعل (واذ قتلتم نفسا) خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
 (فأذا رآتم) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال أى تخاصمتم وتدافعتم (فيها) أى فى شأنها
 اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه (والله
 مخبرج) أى مظهر (ما كنتم تكفون) فان القاتل كان يكتم القتل وقوله تعالى (فقلنا
 اضربوه) أى القليل عطف على اذا رآتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس وتذكير الضمير على
 تأويل الشخص أو القليل (بعضها) أى ببعض البقرة واختلافوا فى ذلك البعض فقال ابن
 عباس رضى الله عنهما وأكثرا المفسرين ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المان من
 العظام وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يلى ويركب عليه
 الخلق وقال الغصاك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال عكرمة والكلى
 بفخذها الايمن وقبل بعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القليل حيا باذن الله تعالى وأوداجه
 تشبب دما وقال قتلى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وقتل وفى الخبر ما ورث

قاتل بعد صاحب البقرة وفيه انما ارتكبه ففتر بغيره ففتر بغيره ففتر بغيره (كذلك) الاحياء (يحيى
 الله الموتى) والخطاب مع من حضر حياة القتل أو نزول الآية (ويربكم آياته) دلائل قدرته
 (لعلكم تعقلون) لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
 كلها فتؤمنون قال اليسأرى ولعله تعالى انما ليحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لحياته من
 التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتبسة على بركة التوكل أى توكل أبى اليتيم والشفقة على
 الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قرينة والمتقرب أن يصحزى الاحسن ويقال بئنه كما روى
 عن عمرو بن عيسى الله تعالى عنه أنه ضحى بغيبة أى من الابل بثلثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو
 الله تعالى اذ لا يتصور حياة ميت من غيره تعالى والاسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف
 أعدى عدوه الساعى فى أماته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية
 حين زال عنها أثر الصبأ أى عدم التكليف وهو نظير لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر أى وهو
 نظير لا فارض وكانت معجبة رائقة المنظر أى وهو نظير تسمت الناطق من غير مذلة فى طالب الدنيا
 أى وهو نظير لا ذلول تثير الارض مسلمة من دنسها الاشياء أى لا علامة بها من قبائحها بحيث يصل
 أثره أى الذبح الى نفسه فصيا حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
 والوهم من التدارؤ والتزاع أى لان العقل يأمر بالخير والوهم يأمر بالشهوات (ثم تست
 قلوبكم) أيها اليهود أى ضلت عن قبول الحق لان القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى
 الحجر وقساوة القلب مثل فى بعده عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة عن الاحياء لا للتراسخ فى
 الزمان بل للاستبعاد مجازا القرينة ما قبلها بمعنى أنه يبعد من العاقل قسوة القلب بعد ظهور تلك
 الآية العظيمة (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتل وما قبله من الآيات فان ذلك مما
 يوجب ان القلب (فهو كالحجارة) فى قسوتها قرأ قالون وأبو عمرو والكسكاس بسكون الهاء
 والباقون بكسرهما (أو أشد قسوة) من الحجارة وقيل أى بمعنى الواو كقوله تعالى مائة ألف
 أو يزيدون وانما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لان الحديد قابل للثقل فانه يلين بالنار
 وقد لا نلاد عليه الصلاة والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال
 (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) أى من بعض الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب
 عليه موسى للباسط (وان منها لما يهشق) فيه ادغام التاء فى الالف فى الشين (فيخرج منه الماء)
 أى عيون نادون الانهار (وان منها لما يهبط) أن ينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله)
 وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تتحشع بامعشر اليهود (فان قيل) الحجر جامد لا يفهم فكيف يخشى
 (أجيب) بأن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه قال البغوى ومذهب أهل السنة أن الله
 تعالى علم فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح كما
 قال جل جلاله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
 وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر الآية فيجب
 على المرء الايمان به وبكل غله الى الله سبحانه وتعالى روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على

شبروا والكفار يطلعونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف أن تؤخذ علي فبعاصبي الله بذلك
 فقال له جبل حرا إلى أي رسول الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف
 حجرا بكمه كان يسلم علي - قبل أن أبعث واني لاعرفه الا أن وروى عن علي - أنه قال كأمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بكمه فرحنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يتر
 بشجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى عن جابر أنه قال كان النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه
 اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى معها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعتقها فاسكتت وقال مجاهد لا ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله
 ويشهد لذلك قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
 (وما لقيه بغافل) أي بساء (عاصم مألون) وعبد وتمديد وقيل ببارك عقوبة ما تعملون بل
 يجازيكم به وقرأ ابن كثير بالباء على الغيبة والباقون بالياء على الخطاب (أفنتطمعون) أي
 أفترجون أي المؤمنون (أن يؤمنوا) أي اليهود (لكم) أي لاجل دعوتكم أو بصدتكم
 بما تصبرونهم به (وقد كان فريق) أي طائفة (منهم) أي أحبارهم (يسمعون كلام الله) أي
 التوراة (ثم يحرفونه) يعبرونه كعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هؤلاء من السبعين
 المختارين الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله
 يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء ففعلوا وان شئتم فلا تفعلوا (من بعد ما عقلوه)
 أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبه (وهم يعملون) أنهم مفترقون والهجرة والانكار أي
 لا تطمعون في ايمانهم فلهزم سابقه في الكفر (واذا القوا) أي منافقو اليهود (الذين آمنوا قالوا
 آمنا) بأنكم على الحق وأن رسوا بكم هو المبشر به في التوراة (واذا خلا) أي رجع (بعضهم الى
 بعض قالوا) أي رؤسائهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف وكعب بن أسد وهب بن يهودا
 لمن نافق (أفتؤذونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من نعمت محمد
 صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم) أي ليضاصوكم (به عند ربكم) أي بما أنزل ربكم في كتابه ويقعروا
 عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه جهلوا بمحاجتهم بكذب الله محاجة عند الله كما يقال
 عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في الآخرة
 وقوله تعالى (أفلا تعقلون) ائامن تمام كلام اللاتمين وهم خلص اليهود وتقديره أفلا تعقلون أنهم
 يحاجونكم فيجبونكم وأما من خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفنتطمعون والمعنى
 أفلا تعقلون حالهم وأنه لا مطمع لكم في ايمانهم (أو لا يعملون) أي اللاتئون أو المنافقون أو كلاهما
 (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاها ما فتح الله
 عليهم واظهار غيره وغير ذلك ففروا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أقمنون) أي عوام جهلة
 (لا يعملون الكتاب) أي لا يعرفون التوراة أو الكتاب فيطالعوا التوراة ويهتفون ما فيها وقوله
 تعالى (الأماني) استثناء منقطع أي لكن كاذيب تلفوها من رؤسائهم فاعتدوها

(وانهم) أى ما هم (الا قوم) (يظنون) فلذا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكالرائع عن الحق بسبب شبهة قامت عنده (فويل) أى وادى جهنم كما رواه الترمذى قال سعيد بن المسيب لو سبرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هوشدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) أى المحرف من التأويلات الزائفة وقوله تعالى (بأيديهم) تأكيد لكقولك كتبه بيحيى (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود وغير راصفة النبي صلى الله عليه وسلم فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل الله فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة لكل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فكذبوها وظلوا أزرق العينين سبط الشعر وغيروا آية الرجم بالجلد والتحميم أى تسويد الوجه (فويل لهم عما كتبت أيديهم) من المحرف (وويل لهم عما يكسبون) من الرشا (وقالوا) أى اليهود لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم النار (لن نخسنا) أى نصيبنا (النار الا أياما معدودة) محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادتنا المجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام (فان قيل) لم وصف الامام مع انما ساجع بالمفرد (أجيب) بأنها فى معنى الجماعة فتكون مفردة تقدير اولان جمع القلة كما قاله الرضى فى حكم المفرد فيوصف بالمفرد كما هنا ويوصف المفرد به كفى قوله تعالى نطفة أمشاج وقيل الامشاج مفرد وعلى هذا فلا اشكال ثم كذبهم الله تعالى بقوله (قل) لهم يا محمد (أتخذتم) حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام وقرأ ابن كثير وحقق عن عامر بن باظهار انزال عند التام والباقون بالادغام (عند الله عهدا) أى ميثاقا منه بذلك وقوله تعالى (فلن يخلف الله عهدا) جواب شرط مقدرا رأى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا وفيه دليل على ان الخلف فى خبر الله تعالى محال (أم تقولون على الله مالا تعلمون) أم امامنا منقطعة بمعنى بل أنقولون على التقرير والتقريع وامامة عادلة بهمزة الاستفهام بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التبرير للعلم بوقوع أحدهما وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم فان بلى وبل حرفا استدراك ومعناه مائى الخبر الماضى وثابت الخبر المستقبل أى بل تسكتم وتخلدون فيها (من كسب سيئة) أى قبيحة (واحاطت به خطيئته) وثرا نافع وحده خطيا آتة بالجمع أى استوات عليه وشملت جميع أحواله حتى صار كالحطام بها لا يتخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شأن الكافران وغيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم يخط الخطيئة به ولذلك فسرهما السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة ان يصير عليها لان من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مشهه والانهم ماله فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بجماع قلبه فيصير بطبعه ما مثلا الى المعاصى مستغنىا باها معتقدا أن لا لذة سوى اها مبغض الى يمتعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بايات الله الآتية والفرق بين السيئة

والخطيئة ان السبيته قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانهم امن
 الخطا والكسب استجاب النفع وتعليقه بالسبيته على التمسك كقوله تعالى فيشره بعدذاب اليم
 (فأولئك أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمه وأسماهم في الدنيا
 (هم فيها خالدون) أي داغون روعي فيه معنى من والآية كما ترى لاجحة فيها على خالد صاحب
 الكبيرة لانها في الكافر كما مر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
 خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعده لترجي رحمة ويخشى عذابه
 * (تنبيه) * عطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (و) اذكر (أذا أخذنا ميثاق
 بني اسرائيل) في التوراة وقتلناهم (لا تعبدون الا الله) هذا اخبار في معنى التهي كقوله تعالى
 ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح التهي لما فيه من ايهام ان المنهى ماسرع الى
 الانتهاء فهو مخبر عنه وقرأ ابن كثير وحجة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
 الخطاب (وبالوالدين احسانا) أي برآبهم وعطفا عليهم ما وزن ولا عند أمرهم ما فيها لا يخالف
 أمر الله تعالى قال البيضاوي وهذا متعلق بضمير تقديره ونحوه وأحسنوا انتهى ويلزمه
 ان احسانا في الآية منصوب على المصدر المؤكد لعماله المذوف مع ان حذف عامل المؤكد
 ممنوع أو نادر وقوله تعالى (وذى القربى) أي القرابة (واليتامى والمساكين) عطف على
 الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له كندم وندى وهو قليل ومسكين مفقوع
 من السكون كان الفقرا سكنه (وقولوا للناس حسنا) من الاحرام بالمعروف والنهي عن المنكر
 والصدق في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والرفق بهم وقيل هو اللين في القول والمعاشرة بحسن
 الخلق وقرأ حمزة والكسائي بفتح الحاء والسين والباقون بضم الحاء وسكون السين مصدر
 وصف به مبالغته (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال البيضاوي يريد أي الله بهم ما فرض عليهم
 في ملتهم (ثم توليتهم) في هذا التفات عن الغيبة قال البيضاوي ولعل الخطاب مع الموجودين
 منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق
 ورفضتموه (الأقليل آمنكم) أي وهو من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم
 (وأنتم) قوم (معرضون) أي عادية لكم الاعراض عن المواثيق والتولية كأعراض آبائكم
 (و) اذكروا (أذا أخذنا ميثاقكم) وقتلنا (لا تسفكون دماءكم) أي تريقونها يقتل بعضهم بعضا
 (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضهم بعضا من داره وانما جعل غير الرجل
 نفسه لاتصاله به نسباً وأدينا قتل لا تفعلوا ما يريكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل
 في الحقيقة ولا تقتروا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي (ثم أقروتم)
 بهذا العهد أنه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) على أنفسكم هذا أنكيد قولك أقروا فلان شاهدا
 على نفسه وقيل أنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار
 اليهم مجازا (ثم أنتم) يا هؤلاء تقتلون أنفسكم فيه استبعاد لما ارتكبه بعد الميثاق والاقرار
 والشهادة عليه أي ثم بعد ذلك يقتل بعضهم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم

تظاهرون قرأعاصم وحزوة والكسافي بتخفيف الطاء والباقون بتشديدها أي تتعاونون
 عليهم بالاثم أي المعصية (والعدوان) أي الظلم (وان يأتوكم أسارى) قرأ حمزة بفتح
 الهمزة وسكون السين ولا ألف بعد السين والباقون بضم الهمزة وفتح السين والف بعدها
 (تفدوهم) قرأعاصم والكسافي بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح
 التاء وسكون الفاء ولا ألف بعدها أي تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وقوله تعالى (وهو)
 أي الشأن (محرم عليكم إخراجهم) متعلق بقوله تعالى وتخرجون فريقتهم من ديارهم
 وما بينهما اعتراض ومعنى الآية قال السدي إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة
 أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم
 وأبغائهم وأمة جددتوه في بني إسرائيل فاشتروهم بما قام من ثمنه وأعتقوه وكنات قريظة
 حالوا الأوس وحالقت النضير الخرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويحرب ديارهم
 ويخرجهم فإذا أسروا فدهوهم وكانوا إذا سئلوا لم يقتلوا منهم وتقذوهم قالوا أمرنا بالقتل
 فيقال فلم تقتلواهم فيقولون حياء أن يستندل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى بقوله (أقذونون
 ببعض الكتاب) وهو النسياء (وتكفرون ببعض) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة
 (فأجزاء من بقل ذلك منكم الأخرى) أي هوان وعذاب (في الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرعات وأريحا من
 الشام (ويوم القيامة يدون إلى أشد العذاب) أي عذاب جهنم وانما رد من فعل منهم ذلك إلى
 أشد العذاب لأن عصيانه أشد (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ نافع وابن كثير وشعبة بالياء
 على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الحياة الدنيا
 بالآخرة) بأن أثروا عليها (فلا يخفف عنهم العذاب) في الدنيا بقصان الجزية والتعذيب
 في الآخرة (ولاهم ينصرون) أي يدفعها عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي
 التوراة بجله واحدة (وقضينا من بعده بالرسول) أي آتيناهم رسولا في أثر رسول كقوله تعالى
 ثم أرسلنا موسى إذا اتبعه آياه (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي المعجزات
 الواضحات كاحياء الموتى وإبراء الأكه والابرس والاخبار بالغيبات أو الانجيل وعيسى
 بالعبانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم (وأيديناه) أي قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير
 بأسكان الدال حيث جاءوا لباقون بعضهم وهذا من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح
 المقدسة وهو جبريل وصف به لطهارته وتأييده أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى يصعده
 إلى السماء وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
 أولانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث أي الحبض وقيل اسم الله الاعظم الذي كان
 يحيى به الموتى ولما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى
 كما تزعم علمت ولا كما تنقص علينا من الانبياء فقلت فأتينا بما أتى به عيسى ان كنت صادقاً فقال الله
 تعالى (أفكأنك آجاء كم) يامعشر اليهود (رسول بما لا تهوى) أي تحب (أنفسكم) من الحق

وقوله تعالى (استكبرتم) أى تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ
 (ففريقا) أى طائفة (كذبتم) كوى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والغايب السببية الاستكبار
 للكذب أو التنصّل (وفريقا يقتلون) كركزا ويحيى عليهما السلام (فان قيل) هلا قال وفريقا
 قتلتم (أجيب) بأنه انما ذكر بلفظ المنار على حكاية الحال الماضية استحضارها في النفوس
 فان الامر فطبيع ومراجعة للفواصل قال الزمخشري أو ان يراد وفريقا تقتلونهم بعد أى
 الآن لانكم درتم حول قتل محمد لولا انى أعصمهم منكم ولذلك هرعوه وسعته له الشاة وقال
 صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أو ان قطعت أبهرى (وقالوا) للنبي
 صلى الله عليه وسلم استنزاه (قلوبنا غلف) جمع أغلف أى مغشاة بأغشية لا يتوصل اليها ما جنت به
 ولا تفقههم مستعار من الأغلف الذى لم يحتم كقولهم قلوبنا فى أكنة عمائدونا اليه وقيل أصل
 غلف بالسكون غلف بالضم يخفف والمعنى انها أوعية العلم لا تسمع علم الا وعة ولا تبنى ما تقول
 أى فى قوله ليس يعلم أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ثم ردا لله تعالى عليهم أن تكون
 قلوبهم كذلك بقوله تعالى (بل) للاضراب (لعنهم الله بكفرهم) أى بسبب كفرهم والمعنى انها
 خلقت على الفطرة وافكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استدادهم
 كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم وأهم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء
 عنك (فقل لا يابؤمنون) ما زيدة لتأ كيد القلة أى ايمانهم ايمان قليل جدا وهو ايمانهم
 ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) هو القرآن (صدّق
 لما معهم) من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه (وكانوا) أى اليهود (من قبل) أى من قبل مجيئه
 (يستفحون) أى يستنصرون (على الذين كفروا) أى مشركى العرب اذا قابلوهم ويقولون
 اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نخبصفته وزعمته فى التوراة ويقولون
 لا عدا ثم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصدق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
 (فلما جاءهم) أى اليهود (ما عرفوا) من الحق وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به)
 حسدا أو خوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب لما الثانية (فلعنة الله) أى
 عذابه وطرده (على الكافرين) أى عليهم وانما أتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا كفرهم
 فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للعموم ويدخلون فيه دخولا أوليا أو قصديا لانهم
 المقصودون بالذات وتناول الكلام لغيرهم على سبيل التبعية فهو كما اذا طمك انسان فقلت
 ألعنة الله على الظالمين كان ذلك الظالم أوليا أو مقصودا فى الدعاء والباقون تبعوا (بئس
 ما اشتروا) أى باعوا (به أنفسهم) أى حفظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا ممية لفاعل بئس
 المستكن أى بئس الشيء شيئا اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم (أن يكفروا) أى كفرهم
 بما أنزل الله من القرآن (بغيا) أى حسدا وطلب الما ليس لهم وهو علة يكفروا كما قال
 البيضاوى دون اشتروا وان قاله الزمخشري لفصل المخصوص بين بغيا الذى هو العلة وبين
 العلول وهو اشتروا وحسدهم على (أن ينزل الله من فضله) أى الوحي (على من يشاء) للرسالة

(من عباده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون نون بنزل وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى (فبأولاً) أى رجعوا (بغضب على غضب) أى مع غضب واختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي الأول كفرهم بعبادة العجل والثاني الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الأول بكفرهم بهيسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وللكافرين عذاب مهين) أى ذوا هانة بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن وغيره فيعم سائر الكتب المنزلة (قالوا فمن بما أنزل علينا) أى التوراة يكفيننا ذلك (ويكفرون) الواو والهمال (بما رواه) أى بما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن استغنى عن آياتي وما ذلك أى سواه وقال أبو عبيدة بما بعده أى من القرآن وقوله تعالى (وهو) أى ما رواه (الحق) حال وقوله (مصدقاً لمعهم) أى من التوراة حال ثانية مؤكدة تفضيهم رد مقالمهم فانهم كفروا بما وافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة بقوله تعالى (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أى قتلتم (أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيت فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل آبائهم لرضاه به وعزمهم عليه قرأنا في وحده أنبياء الله بالهمز في كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش الا المدة فقط لانه متصل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى الايات السبع في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كالعصا واليد وقلق البحر) ثم اتخذتم العجل (أى الهما) من بعده (أى من بعده) الى المقات وقوله تعالى (وأنتم ظالمون) أى بالتخاذله حال أى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالاخلال بآيات الله واعتراض أى وأنتم عادة حكم الظلم (وإذا أخذنا منكم) على العمل بما في التوراة (وقد) (وعدنا فوقكم الطور) أى الجبل حين امتنعتم من قبولها السقط عليكم وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى بجهد واجتهاد (واسمعوا) ما تؤمرون به بسمع قبول (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وقيل سمعنا بالاذان وعصينا بالتقليد قال أهل المعاني انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالاذان وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتساعاً (وأشربوا في قلوبهم العجل) أى خالط حبه قلوبهم كما يتدخل الشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا (فاثمة) قال البغوي في القصص ان موسى عليه السلام أمر أن يرد العجل بالمرد ثم يذرع في النهر وأمر بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت بهالة الذهب على شارب به (بكفرهم) أى بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا بحسمة أو حلوبة ولم يروا جسماً أعجب منه فمكّن من قلوبهم ما سألهم السامري (قل) لهم يا محمد (بسماء) أى شيئاً (يا أمرك به ايمانكم) بالتوراة عبادة العجل واطراف الامر الى ايمانكم بسمكم كما قال قوم شعيب أصلوا نك نامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم في قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بعبادة العجل (قل) لهم (ان)

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) أي خاصة (من دون الناس فقتلوا الموت ان كنتم
 صادقين) في قولكم وذلك ان اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم لن نخشع النار الا يا ما
 معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او قولهم نحن أبناء الله وأحبوه فكذبهم الله عز وجل
 وأزعمهم الجنة فقال قل لهم يا محمد ذلك لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتغنى سرعة
 الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المشرىين بالجنة رضى الله
 تعالى عنهم فقد كان على رضى الله تعالى عنه يطوف بين الصفيين في غلالة فقال له ابنه الحسن
 ما هكذا نرى المحاربين فقال له يا بني لا يسالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن
 حذيفة انه كان يتغنى الموت فلما احتضر قال حبيب أي الموت جاء على فاقة أي وقت حاجتى اليه
 وقيل بل أراد بالحبيب لقاء الله لا أفلح من ندم يعنى على التفتى أراد به أنه كان يتغنى الموت وما ندم
 على التفتى حين جاء الموت وقال عمار بصفيين الآن الاق الا حبة محمد وحر به وكان كل واحد من
 العشرة يحب الموت ويحس اليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لو غنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقة فأت مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى
 الامات * (تنبيه) * خالصة نصها على الحال من الدار ومن الضمير خبر كان العائد الى الدار
 وتعلق بقتل الشيطان على ان الاول قيد في الثاني (ولن يتنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من
 موجبات النار من الكفر بمعهد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع
 الكفر والعصيان ولما كانت البدع العامة محتصة بالانسان آله لقدرة به عامته صناعته
 ومنها أكثر منافعها عن النفس تارة كما هذا وعن القدرة أخرى كما في قوله تعالى يد الله
 فوق أيديهم وهذا الجمله اخبار بالغيب وكان أخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا (فان قلت)
 من أعلم أنهم لم يتنوه (أجيب) بأنهم لو غنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من
 أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاع في الاسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك
 (فان قيل) التفتى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد غن أي علم أنهم لم يتنوه
 (أجيب) بأن التفتى ليس من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت كذا فاذا قاله
 قالوا غنى وليت كلمة غنى ومحال أن يقع التصديق بما في الضمائر والقلوب ولو كان التفتى بالقلوب
 وغنوا قالوا قد غنينا الموت في قلوبنا لم ينقل انهم قالوا ذلك (فان قيل) لم يقولوه لانهم علموا أنهم
 لا يصدقون (أجيب) بأنه كم حكى عنهم من أشياء قالوا بها المسلمون من الاقتراء على الله
 وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا عمل له الا الكذب الصرف
 ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا ان التفتى من أعمال القلوب وقد علمنا مع احتمال أن
 يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يعجز عن نفسه بالايان فيصدق
 مع احتمال أن يكون كاذبا لانه أمر خفى لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله عالم بالظالمين) أي
 الكافرين فيجازيهم في ذلك فيه تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه
 عن هولهم (ولتجدنهم) اللام لام القسم والنون تناء كيدا القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد

أى اليهود (أحرص الناس على حياة) هو من وجد معنى علم التعدى الى مفعولين ومفعولاه
 هم أحرص (فان قيل) لم قال على حياة بالتشكير (أجيب) بأنه أريد حياة مخصوصة هى فرد
 من افرادها وهى الحياة المتطاولة (و) أحرص (من الذين أشركوا) أى المنكرين البعث عليها
 عليهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (فان قيل) ألم يدخل الذين أشركوا تحت
 الناس (أجيب) بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد وفيه توبخ عظيم لان الذين أشركوا
 لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها اجتماعهم فاذا زاد
 عليهم فى الحرص من له كذب وهو مقترب بالجزء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ (وذكر) تنفى (أحد هم
 لويهم ألف سنة) لو صدر به بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يوتى يقول الله تعالى
 اليهود أحرص الناس على الحياة من الجحوس الذين يقولون ذلك لان تحية الجحوس فيما بينهم
 عش ألف سنة (وما هو) أى أحد هم (بجز حزمه) أى مبعده (من العذاب) أى النار قوله تعالى
 (أن يعمر) فاعل من حزمه أى تعميده (والله بصير بما يعملون) فيصايرهم به وسأل عبد الله بن
 صور بار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدو ناعادنا من ارا
 وأشد هاهنا لما نزل على نبينا أخبرنا أن بيت المقدس سيخرجه بختصر وأخبرنا بالبحر الذى
 يحيط به فلما كان وقته بعثنا رجلاً من بنى اسرائيل فى طلبه ليقبضه فأنطلق حتى لقيه بابل غلاماً
 مسكيناً فأخذه ليقبضه فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمرهم لا كنكم فلا يسلطكم عليه
 والافهم تقتلونوه وكبر بختصر وقوى فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) روى انه كان
 لعمر رضى الله تعالى عنه أرض بأعلى المدينة وكان حمزة على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم
 ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحبينك وأنا لنطعم فيك فقال والله ما أحبك من حبكم
 ولا أسألكم لاني شاك فى ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم
 وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذلك عدو لنا يطع محمد على اسرارنا وانه
 صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام أى السلامة فقال عمر
 وما منزلت ما من الله فالواجب لى عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهم ماعداءة فقال لئن كان
 كما تقولون فليسابعد قوين أى لقرب منزلتهما عند الله ولا فتم أكفر من الحير أى لان الكفر
 نتيجة الجهل والبلادة والحار مثل فيهما ومن كان عدواً أحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع
 فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال عليه الصلاة
 والسلام لقد وافقت ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقال
 مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدو لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا ومعنى
 جبريل عبد الله فجبر هو الله وابل هو العبد وقرأ جزءة والكسائى بفتح الجيم والراء وهمز بعد الراء
 مكسورة مدودة أى بعد هاء الفظية وقرأ شعبة كذلك لانه حذف الباء بعد الهمزة وكسر الراء
 والباءون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الا أن ابن كثير فتح الجيم ومنع الصرف فيه
 لتعريف والهمزة (فانه) أى جبريل (نزل) أى القرآن ونحو هذا الاضمار اعنى اضمار ما لا

يسبق ذكره فيه نغامة لشأن صاحبه حيث يجعل اضطراره كأنه يدل على نفسه ويكتفى
عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) يا محمد وقوله تعالى (ياذن الله) أى بأمره حال
من فاعل نزل (مصدقاً) أى موافقاً (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى) من الضلالة
(وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) هذه أحوال من مفعول نزل وجواب الشرط فانه نزل
والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع بقة الانصاف أو كفر بعامعه من الكتاب بعدادته اليك
لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتاباً مصدقاً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علقته مقامه أو
من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل الجواب محذوف مثل فليت غيظاً وفهو
عدوئى وأنا عدوه كما قال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله
عدو للكافرين) والمراد بعبادة الله مخالفته عناداً ومعاداة المقرين من عباده وصدر الكلام
بذكره تعالى تفضيلاً للشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه (فان قيل) لم أفرد
الملائكة بالذكر مع دخولهم في الملائكة (أجيب) بأن ذلك لفضلهما فكانا من جنس آخر
وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وبان المحاجة كانت فيهما
والواو فيها بمعنى أو يعنى من كان عدواً لاحدهما لانه الكافر بالواحد كافراً بالكل وقدم جبريل
لشرفه وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب
ونزولها تنزىل الملائكة وتقرى بهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب قرأ أبو عمرو
وحفص ميكال بغير همز ولا يابن الالف واللام وقرأ نافع همزة بعد الالف ولا يابعد همزة
والباقيون همزة بعد الالف وياه وهم على مراتبهم في الملائكة ونزل في ابن صوري لما قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية أى زائدة فتبعك (ولقد أنزلنا اليك)
يا محمد (آيات بينات) وأصحاحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها
الافلاسقون) أى المردة من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
أعظميته كأنه متجاوز عن حده (أو كلما عهدوا عهداً) الهمزة للانكار والواو للعطف على
محذوف تقديره أكثر وبالآيات وكلما عهدوا الله عهداً على الايمان بالنبي أو ان خرج النبي
أن لا يعاينوا عليه المشركين وقوله تعالى (تبذه) أى طرحه (فريق منهم) أى اليهود بنقصه
جواب كياره ومحل الاستفهام الانكارى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقص وقوله تعالى (بل)
للانتقال (أكثرهم لا يؤمنون) رد لما يؤولهم ان الفريق هم الافلون وقوله تعالى (ولما جاءهم رسول
من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدقاً لهم) من التوراة تبذ فريق من الذين آمنوا
الكتاب كذب الله أى التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفرهم فيها بصدقته وبذلك
فيها من وجوب الايمان بالرسول المؤمنين بالآيات وقيل كذب الله هو القرآن تبذوه بعدما أزمهم
تلقيه بالقبول وقوله تعالى (وراء ظهورهم) أى لم يعملوا بما فيها من الآيات بالرسول وغيره مثل
لاعرضهم عنه بالكلمة بالاعراض عما يرى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كانهم لا يعلمون)
ما فيها من أنه نبي حق وأفيه شك يعنى ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كبروا وعاندوا وعن سفيان

ادرجوه في الدياج والحسير وحوطوه بالذهب ولم يحاولوا حلاله ولم يحرموا حرامه وقوله تعالى
 (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتلو) أي ماتلت (الشياطين) والعرب تضع المستقبل موضع
 الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلو أي تقرأ (على) عهد (ملك سليمان)
 من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه
 وقالوا للناس انما ملككم سليمان به ذاقوا طوبى فاما علي بن اسرائيل وصلحاهم فقالوا معاذ الله
 ان يكون هذا من علم سليمان عليه الصلاة والسلام واما سفلاؤهم فقالوا هذا علم سليمان
 واذلوا على تعلمه ورفضوا كتب انبيائهم وبقيت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث
 الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل الله عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي
 كانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره
 فيأتون الكهنة ويخطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتب الناس
 ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الحسن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
 فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع أن أحد يقول ان الشياطين تعلم الغيب
 الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب
 وخلف من بعدهم خلف غفل شيطان على صورة انسان فأتى نفران من بني اسرائيل فقال هل
 أدلكم على كنز لاتنا كونه أبدا قالوا نعم قال فاحضرا تحت الكرسي وذهب معهما فأراهما
 المكان وأقام ناحبة فقالوا ادن فقال لا ولكن ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن
 أحدهما من الشياطين يدنون من الكرسي الا حترق فخرقا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان
 ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس
 ان سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر
 في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك وانزل تكذيبا لمن زعم ذلك
 واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) أي لم يعمل السحر وعبر عنه
 بالكفر لدل على أنه كفر اذا استعمله واحتج فيه الى تقدم اعتقاد كفر هذا مذهب الشافعي
 وعند أحمد يكفر مطلقا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه وقرأ
 ابن عامر وحجرة والكسائي بكسر النون من ولكن مخففة ورفع نون الشياطين والباقيون نصب
 النون من ولكن مشددة ونصب نون الشياطين (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم
 واضلالهم والجله حال من ضمير كفروا (تنبيه) * السحر لغة صرف الشيء عن وجهه يقال
 ما سحر عن كذا أي ما صرفك عنه واصطلاحا من اوله النفوس الخبيثة لاقوال وأفعال يترتب
 عليها أمور خارجة العادة * واختلف فيه هل هو تخيل أو حقيقة قال الاول المعتزلة واستدلوا
 بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى وقال الثاني أهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة
 الصحيحة والساحرة قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور ففرض أو عوت منه ويفرق به
 بين المرء وزوجه ويحرم تعليمه أو تعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر السحر الا على يد فاسق ولا تظهر

الكرامة على يد فاسق ويحرم أيضا تعليم أو تعلم الكهانة في التجسيم والضرب بالرمل واليهوى
والشعر والشعبذة ويحرم إعطاء العوض أو أخذها عنها بالقبض المبرح في حلوان الكاهن
والباقي بعنه والكاهن من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات في المستقبل بخلاف العزاف فانه
الذي يخبر عن المغيبات الواقعة كعين السارق ومكان السرور والضاالة قال في الروضة
ولا يفتخر بجهالة من يتعاطى الرمل وان نسب الى علم وأما الحديث الصحيح كان من الانبياء
يخطون في أفق خطه فذلقة مناه من علمته موافقته له فلا بأس ونحن لانعلم الموافقة فلا يجوز لنا
ذلك وقول البيضاوي وأما ما يتجرب منه كما يفعله أصحاب الجبل بمعونة الآلات كالادوية
أو يريه صاحب خفة اليد في مضموم وتسميته سحر اعلى التجو زلما فيه من الدقة لانه أي السحر
في الاصل أي اللغة لما خفي سببه مردود بل هو مضموم أي حرام كما صرح به النووي في الروضة
وغيرها وقوله تعالى (وما أنزل على الملكين) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين
وقيل عطف على ما تلوا أي واتبعوا ما أنزل أي ما الهامه وتعلمه من السحر فالانزال بمعنى
الالهام والتعليم قال البيضاوي وهما ما كان أنزل لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا
بينه وبين المجرة قال وماروى أي في كتب السير أنهم ما من لا بشرين وركب فيهما الشهوة
فتمترضا لاهرا فملكتها على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما علمت
منها فاعكس عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحده أي الرمز أو ماروى لا يخفى على ذوى
البصائر اه قال شيخنا شيخ الاسلام زكريا بأن يقال عبر عن العقل والنفس المطمئنة بالملكين
وعن النفس الامارة بالسوء بالزهوة وعن مفارقتها بالموت بالصعود الى السماء وقيل هما جلالان
بما ملكين باعتبار صلاحهما وقيل ما أنزل في معطوف على ما كثر تكذيب اليهود في هذه
القصة وقد طول البغوي في هذه القصة واعتمد ما رده البيضاوي وقال شيخنا المذكور عن
شيخه ابن حجر انهما طرفا تفيد العلم بصحتها فقد رواها هريرة فوعة الامام أحد وابن حبان والبيهقي
وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما
استبعد ما روى ولم يطلع عليه قال ولعله الخ وقوله تعالى (يبابل) ظرف أو حال من الملكين
أو الضمير في أنزل وهو بلد في سواد العراق وقوله تعالى (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان
للملكين ومنع صرفهما للعلمية والجمية ومن جعل ما فيها أنزل نافذة أبدل هاروت وماروت من
الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض (وما يعلمان) أي الملكان (من أحد) أي أحد أو من
صله (حق) ينصحه (و) (يقول) له (انما نحن قننة) أي ابتلاء من الله تعالى للناس لاختبرهم بتعليمه
وأصل القننة الاختبار والامتحان من قولهم قننت الذهب والقننة اذا أدبتهما بالنار لتمييز الجيد
من الردي وانما وحده القننة لانها مصدر والمادة لا تفي ولا تجمع (فلا تكفر) بتعليمه أي فلا
تخله معتقدا حله فتكفر على ما تقدم فان أبي الا تعليم علماء قبل انهم يقولان انما نحن قننة
فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدي فان أبي الا التعليم قال لانه انت هذا الرما د قبل عليه
فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه

وذلك غضب الله تعالى وعلى القول بأنهم جاحلون فلا يعلمانه حتى يقولوا له انما نتونان فلا تكن
 مثلنا (فيقولون منهما) الضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملوكين (ما) أي
 سحرا (يفترقون به بين المرء وزوجه) بأن يغض كل منهما في الآخر بسبب حيلة أو غمويه كالنفث
 في العود ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده الفراق ابتداء منه لأن السحر له أثر في نفسه
 بدليل قوله تعالى (وما هم) أي السحرة (بضارين به) أي السحر (من أحد) أي أحدًا ومن صلة
 (الآيات الله) أي إرادته لأن الأسباب غير مؤثرة بالذات بل بإرادته تعالى (ويؤمنون ما يضرهم)
 في الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر لأنهم يقصدون به العمل أولان العلم يجزى إلى العمل غالباً
 (ولقد) اللام لام القسم (علوا) أي اليهود (المن) اللام لام الابتداء علق علموا عن العمل ومن
 موصولة (اشترأ) أي استبدل ما تلو الشياطين بكتاب الله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق)
 أي نصيب في الجنة (ولبس ما) أي شيا (شروا) أي باعوا (به أنفسهم) أي الشارين أي حظها
 من الآخرة أن يتعلموه حيث أوجب لهم الشار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون إليه من
 العذاب ما تعلموه (وقيل) معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فإن لم يعمل بما علم ~~كان~~ كمن لم يعلم
 (ولو أنهم) أي اليهود (أمنوا) بالنبي والقرآن (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كنبذ كتاب الله
 تعالى واتباع السحر وجواب لو محذوف أي لا يبيد أول عليه (لثوبة) أي ثواب وهو مبتدأ
 واللام فيه للقسم وقوله تعالى (من عند الله خير) خبره أي خير مما اشتروا به أنفسهم
 (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله تعالى خير مما آثروه عليه فجهلهم الله تعالى لترك التدبر والعمل بالعلم
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) أمر من المراعاة وكانوا يقولون
 ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع اليهود هذه الآية من المسلمين وكانت كلمة يمسكون بها
 عبرانية أو سريانية وهو راعنا قالوا فيما بينهم كأنس محمد اسراً فأعلنوا به إلا فكأنوا بآتون
 ويقولون يا محمد راعنا وهم يعنون به تلك المسبة ويقعكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فقطع لها
 وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتم
 من أحلمكم بقوله الرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه فقالوا أو لمستم تقولونها
 فأمر الله تعالى النبي عن ذلك لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأمر وأما هو في معناها وهو قوله تعالى (وقولوا انظروا) أي انظروا بنا وقيل اسمع منا قاله مجاهد
 وقيل لا تتجمل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع اليهود حيث قالوا
 سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجملة حتى لا ترجعوا إلى ما نهيت عنه من قولكم واعنا
 (وللكافرين) أي الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) أي مؤلم وهو
 النار ونزل في تكذيب جمع من اليهود بظهور مودة المؤمنين ويزعمون أنهم سمعوا بودون لهم
 الخير (ما يؤذون كفر وامن أهل الكتاب) وقوله تعالى (ولا المشركين) أي من العرب عطف
 على أهل الكتاب ومن اللسان لأن الذين كفروا بجنس تحتهم نوعان أهل الكتاب والمشركون كتفوله
 تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والمودة محبة الشيء مع غيره ولذلك

تستعمل في كل منهما (أن ينزل عليكم من خبر من ربكم) فسر الخبر بالوحي والمعنى أنهم
يحسدونكم به وما يحجبون عنكم ينزل عليكم من شيء منه وفسر بالعلم والنصرة والمراد به ما يعترض ذلك كما
قاله البيضاوي ومن الأولى من دلة اللا تغرق ومن الثانية لا بد من الغاية (والله يحصر برحمته)
أي ينقونه كما قاله علي رضي الله تعالى عنه ومجاهداً وبالاسلام كما قاله ابن عباس ومقاتل (من يشاء)
ولا يشاء الامانة فحسبه الحكمة ولا يجب عليه شيء وليس لا حد عليه حق (والله ذو الفضل) وهو
ابتداء احسانه بلا علة رقوله تعالى (العظيم) فيه اشعار بأن اتیان النبوة والاسلام من الفضل
العظيم وبذل الاقل قوله تعالى ان فضله كان عليك كبيراً ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا ان
محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقوله الامن تلقاه نفسه يقول اليوم فلا
ويرجع عنه غداً كما أخبر الله تعالى بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما
أنت مفسر نزل (ما نسخ من آية) فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية والتسليم في اللغة
شيان أحدهما بمعنى العوّل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب الى كتاب
ففي هذا الوجه كل القرآن منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال
نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه نسخاً
وهو المراد من الآية وهذا على وجوه أحدها أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية
للاقارب وآية عدة الوفاة بالحوّل والثاني أن ترفع التلاوة وينسخ الحكم كآية الرجم والثالث
أن يرفع الحكم والتلاوة كما روي أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكر وانها
الاسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فآخبروه فقال صلى الله عليه وسلم
تلك سورة وقعت بتلاوتها وأحكامها وقبل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها
تلاوة وحكمها ثم نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس
الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى أربعة أشهر
وعشر ومصابة الواحد للعشرة بمساربه الاثنين قال المغيرة والنسخ انما يعترض على الاوامر
والنواهي دون الاخبار اه والنسخ اصطلاحاً رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي وبفارق
التخصيص بأن التخصيص لا يرد الا على متعدّد وبأنه غير مشروط بالنص بخلاف النسخ فيهما
وبأنه يفيد عدم ارادة الخروج في الاصل والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستقر
وقرأ ابن عامر نسخ بضم النون الاولى وكسر السين من أنسخ أي تأمر له أو جبريل بنسخها
والباقون بفتح النون والسين وما شرطية حزمة للنسخ منتصبة به على المفعولة (أو نساها)
أي نوخرها فلا نزل حكمها ولا نرفع تلاوتها أو نوخرها في اللوح المحفوظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بفتح النون الاولى وفتح السين وحزمة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة
وقرأ الباقون بضم النون وكسر السين ولا همزة بعد السين أي نهها أي نهى عنها من قلبك وقال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهم ما تركها لا تنسخها قال الله تعالى نسوا الله أنفسهم أي تركوه فتركهم
وجواب الشرط (فأت بغير منها) أي بما هو أرفع لكم وأسهل عليكم وأكثراً لاجركم وان كان

كلام الله كله خيرا (أو مثلها) في التكليف والثواب والمنفعة وتكون الحكمة في تبدلها بمثلها
 الاختيار (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فيقدو على التسخير والابتان بمثل المنسوخ وبما هو
 خيرا والآية دلت على جواز التسخير وتأخير الانزال إذا لاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
 المحتملة وذلك لأن الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
 الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص ككتاب المعاش فان النافع في عصر
 قد يضر في غيره واحتج بهم ممن منع التسخير بلا بدل أو يبدل أنقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة
 فان الناسخ هو المأثري به بدلا والسنة ليست كذلك قال البضاوي والكل ضعيف اذ قد
 يكون عدم الحكم والاثقل أصح والتسخير قد يعرف بغيره والسنة مأثري به الله واستدل بهذه
 الآية المعترلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازم الحدوث وأجاب أهل السنة
 بأنهم ممن عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم لا ممن عوارض هذا المعنى
 وقوله تعالى (ألم تعلم) هنا وفيما مر خطاب لمنكري النسخ فالهمزة للانكار وقيل خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والمراد أمته فالهمزة للتقرير (أن الله ملك السموات والارض) يفعل
 فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد فهو يملك أموركم ويديرها ويحكم ما يصلحكم وهو أعلم
 بما يتبعكم به من ناسخ ومنسوخ وهذا كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز
 النسخ ولذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي) أي ولي يحفظكم ومن
 صله (ولانصير) ينصع عنكم عذابه وفرق بين الولي والنصير بأن الولي قد يضرع عن النصرة
 والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فينصيرهم سماعهم وخصوص من وجهه ونزل لمسأل أهل
 مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسعها لهم وأن يجعل الصفاد بها (أم تريدون أن تسألوا
 رسولكم كما سأل موسى) أي سأله قومه (من قبل) أي من قولهم له أرنأ الله جهرة وقيل قالوا له لن
 نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا أو اثنا بكتاب نقره تنزلهم من السماء علينا ونخبرنا
 أنهم راحتي تتبعك وقال عبد الله بن أمية لن نؤمن لك حتى تأتي بكتاب فيه من الله رب العالمين
 الى ابن أمية علم اني أرسلت محمد الى الناس وأم اماما عادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه
 مالك الامور قادر على الاشياء كلها بأمر وينهى كما أراد وتقرحون بالسؤال كما اقترحت
 اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام وامانقطعة والمراد ان يوسعهم بالثقة وترك الاقتراح
 عليه (ومن يتبدل الكفر بالايان) أي يأخذ مبدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح
 غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ الطريق الحق والسواء في الاصل الوسط وقرأه قالون
 وابن كثير وعاصم بإظهاره عند الصاد حيث جاء وأدغمها الباقون ونزل في قوم من اليهود قالوا
 لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد واقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا
 فنحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت
 الله أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما غشت فقالت اليهود أمهنا هذا فقد صبا وقال
 حذيفة وأما ان فقد رضيت بالله ربنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نيا وبالإسلام ديننا وبالقرآن

اما ما زال الكعبة قبله وبالمؤمنين اخوانا ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم بذلك فقال
 أصبتم الخير وأفلحتم ما (ود) أي غني (كثير من أهل الكتاب) من اليهود (لو يردونكم)
 أي يردوكم يا معشر المؤمنين فلو مصدرية بمعنى ان فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ (من بعد
 ايمانكم كفارا) مر تدين وقوله (حسدا) مفعول له كاتنا (من عند) أي من تلقا (أنفسهم)
 أي لم يأمرهم الله بذلك وانما حلتهم عليه أنفسهم الخبيثة (من بعد ما تبين لهم) في التوراة
 (الحق) في شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم (فأعفوا) عنهم أي اتركوهم (وأصفعوا) أي أعرضوا
 عنهم فلا تجازوهم وكان هذا قبل آية القتال ولهذا قال تعالى (حتى يأتي الله بأمره) فهم من
 القتال وقد أذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا
 منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وابي النسخ جماعة من
 المفسرين والفقهاء واحتجوا بان الله تعالى لم يأمر بالعفو والصنع مطلقا وانما أمر به الى غاية
 وما بعد الغاية يخالف ما قبلها وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل يكون الاول قد انقضت
 مدته والاخر يحتاج الى حكم آخر (أن الله على كل شيء قدير) فهو بقدر على الانتقام من الكفار
 وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على قوله فأعفوا كما أنه تعالى أمرهم بالصبر
 وانما العفو والجمالية بالعبادة والبر (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي طاعة كصلاة وصدقة
 (تجدوه) أي ثوابه (عند الله) فيجازيكم به (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل عامل
 (وقالوا) أي كثير من أهل الكتاب من اليهود والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كل هودا)
 جمع هائد كعائد وعود (أو نصارى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى بقران لما تناظر وابتدى
 النبي صلى الله عليه وسلم أي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود ولادين الا دين اليهودية
 وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولادين الا دين النصرانية فجمع الله بين القولين ثقة
 بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأما من الالباس لما علم من التعادي بين القريةتين وتفضل
 كل واحد منهما بالصاحبه ونحوه (تلك) أي القولة (أما بينهم) أي شهوراتهم الباطلة التي تنوها
 على الله تعالى بغير حق (قل) لهم يا محمد (هاؤا برهاؤكم) أي تجتكم على اختصاصكم بدخول
 الجنة (ان كنتم صادقين) في دعواكم اذ كل قول لا دليل عليه فهو غير صحيح وهذه
 متصل بقولهم ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وتلك أما بينهم اعترض
 وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) أي انقاد
 لأمره وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة فغيره أولى (وهو محسن) في عمله وقيل مخلص
 وقيل مؤمن (قله أجرة) أي ثواب عمله ثابا (عند ربه) لا يضيع ولا ينقص والجمله جواب
 من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها التضمنة بمعنى الشرط فيكون
 الرتبة لله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى
 يدخلها من أسلم فلا يحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله فله أجرة عنده كلامه مطوفا
 على يدخلها من أسلم (ولا تخوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة وما قدمه نصارى بخران

على النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أحبار اليهود قنطرة واحتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم
 اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفر وابعيسى والانجيل وقالت النصارى اليهود ما أنتم على شيء
 من الدين وكفر وابعيسى والتوراة أنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء)
 أى يعتد به وكفر وابعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أى يعتد به
 وكفر وابعيسى والتوراة (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) أى المنزل عليهم وفى كتاب
 اليهود تصديق عيسى وفى كذب النصارى تصديق موسى والجملة حال وأل فى الكتاب الجنس أى
 قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب (كذلك) أى كما قال هؤلاء (قال الذين لا يعلمون) كعبدة
 الاصنام والمعتلة وهم الذين لا يثبتون الصانع وقوله تعالى (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك أى
 قال كل دى دين ليسوا على شيء وبخهم الله تعالى على المكابرة والتشبه بالجهل (فان قيل)
 لم يخفهم وقد صدقوا فان كلاً الدينين بعد النسخ ليس بشئ (أجيب) بأنهم لم يقصدوا ذلك وإنما
 قصد به كل فريق إبطال الدين الآخر من أصله والكفر بنبىه وكذابه كما مرع ان مالم ينسخ حق
 واجب القبول والعمل به * (تنبيه) * اذا وقف حمزة وهشام على شيء فلهما أربعة وجوه
 السكون والروم والادغام والروم معه وسكن حمزة قبل الهزة بخلاف عن خلا فى الوصل وأدغم
 أبو عمرو والكاف فى القاف بخلاف عنه (فالله يحكم بينهم) أى بين الفرق الثلاثة وهم اليهود
 والنصارى والذين لا يعلمون (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين فيقسم لكل
 فريق منهم من العذاب الذى استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار
 وقرأ أبو عمرو ويحكمهم يسكون الميم عند الباء والاختلاف بخلاف عنه (ومن أعظم) أى لأحد أعظم
 (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى فى خرابها) بالهدم أو التعطيل
 هذا عام لكل من خرب مسجداً وسعى فى تعطيله وان نزل فى أهل الروم الذين خربوا بيت
 المقدس وقد نوافيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابها إلى أن بناء المسلمون فى أيام عرب بن
 الخطاب رضى الله تعالى عنه أو فى المشركين لما صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن
 البيت (فان قيل) قد قال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت
 المقدس أو المسجد الحرام (أجيب) بأنه لا يمنع أن يبنى الحكم عاماً وان كان السبب خاصاً كما تقول
 لمن آذى صالحاً ومن أعظم من آذى الصالحين وكما قال الله تعالى وبلى لكل همزة نازلة والمنزول فيه
 الاخفش بن شريق (أو لئلا) أى المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى مساجد الله
 (الاختفين) أى على حال التهرب وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يسطوا بهم فضلان
 يستولوا عليها ويجزوها ويمنع النبي صلى الله عليه وسلم عنها وقال قتادة لا يوجد نصرانى
 فى بيت المقدس الا نهمك ضرباً أو بلغ اليه فى العقوبة وروى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من
 النصارى الا منكر مسارقة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجج بعد هذا العام
 مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقيل ان هذا خبر يعنى الامر أى أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها
 أحد آمننا واختلف فى جواز دخول الكافر المسجد فجوزوه أبو حنيفة ومنعه مالك ووقف

الشافعي بين المسجد الحرام وغيره فنع من الأول وجوز في الثاني بشرط أن المسلم والحاجة
 وغلط ووش اللام من أظلم بعد الظلم (لهم في الدنيا خزي) أي هوان بالقتل والسبي والجزية
 (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم وهو النار وزل للماعز اليهود المؤمنين في نسخ
 القبلة وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هذا وتارة هذا كما قاله عكرمة أوفى صلاة
 الشافعي على الراحلة في السفر حينما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر (ولله المشرق والمغرب)
 أي ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعتم أن تصلوا
 في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأيتما تولوا) وجوهكم أي
 جهة وهو الصدر في الصلاة (فتم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقال الكلبي فتم
 الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه أي الاله (إن الله واسع) أي
 غني يعطي من السعة يسع فضله كل شيء (علم) بتدبير خلقه ونزل لما قالت اليهود دعير ابن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (وقالوا اتخذ الله ولدا)
 فقال الله تعالى رداعليهم (سبحانه) تنزيه الله عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة القضاء
 وقرأ ابن عامر قالوا بغيره وأقبل القاف والباقيون بالواو قبل القاف (بل له ما في السموات
 والأرض) ملكا وخالقا ومن جلة ذلك العزيز والمسيح والملائكة والملكية تنافي الولدية وعبر
 بما تعقبها لما لا يقل لكثرة (كل له قاتون) أي مفقادون كل بما راد منه لا يمتنعون عن مشيئته
 وتكونه وفي ذلك تغليب للعاقلة لشرفه والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه الأول
 قوله سبحانه والثاني قوله بل له ما في السموات والأرض والثالث كل له قاتون واحتج بها الفقهاء
 على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه تعالى نبي الولد بائنا الملك وذلك يقتضي تنافسها (يدع
 السموات والأرض) أي موجد هما لا على مثال سبق وهذا وجه رابع يشعر بفساد ما قالوه
 أيضا لأن الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الأشياء كلها
 فاعل على الإطلاق منزوع عن الصفات فلا يكون والدا (وإذا قضى أمرا) أي أراد إيجاد شيء
 وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كان كقوله تعالى وقضى ربك وأفعلا كقوله تعالى
 فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعليق الإرادة الالهية بوجود الشيء من حيث أنه يوجبه
 (فإنما يقول له كن فيكون) وهذا مجاز من الكلام وتبدل وإنما المعنى أن ما قضاه
 من الأمور وأراد كونه فأنما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن الأمور
 المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء وفيه تقرير لمعنى الإبداع
 دائما وهذا وجه خامس يشعر بفساد ما قالوه أيضا لأن اتخاذ الولد كما يكون بأطوار ومهلة
 وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر ينصب القون من يكون جوابا للامر والباقيون
 بالرفع على معنى فهو يكون (فان قيل) المعلوم لا يحتاج (أجيب) بأنه لما قدر وجوده
 وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصع خطابه (وقال الذين لا يعلمون) فلنبي صلى الله عليه
 وسلم وهم اليهود كما قاله ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد أو مشركو العرب كما قاله

قتادة ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا) أى هلا (يكلمنا الله) كما يكلم الملائكة أوبوسى
 البنا بأنك رسوله (أو تأييداً) أى علامة مما اقترناه على صدقك (كذلك) أى كما قال هؤلاء
 (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لانبايائهم (مثل قولهم) من التعتت وطلب
 الآيات فقالوا أرنا الله جهرة وهل يستطيع ربك أن ينزل علينا ما نأمن من السماء (تشابهت
 قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى الكفر والعناد وفى هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) الحقائق ولا يعترفون بشبهة ولا عناد وفيه إشارة الى أنهم قالوا
 ذلك لاختفاء فى الآيات أو لطلب مزيد يقين وانما قالوا هو عتوا وعنادا (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق)
 أى القرآن كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم وألّا سلام وشرا فاعه كما قاله
 ابن كيسان قال تعالى وقل جاء الحق (بشيراً) أى مبشراً من أجاب الى ذلك بالجنة (ونذيراً)
 أى منذراً من لم يجب اليه بالنار أى انما أرسلناك لان تبشر وتذير لا تخبر الناس على الايمان
 وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يغمى وضيق صدره لاصرارهم وتجميعهم
 على الكفر (ولانستل عن أصحاب الجحيم) أى النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بينت
 وبلغت جهدهم فى دعوتهم كقوله تعالى فأناعليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأنا نافع تسأل
 بفتح التاء وسكون اللام على النهى قال عطاء عن ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية تنهى عن السؤال عن أحوال
 الكفرة والاهتمام بأعداء الله تعالى لكن الخبر ضعيف والمختار انها نزلت فى كفار أهل
 الكتاب وقرأ الباقون بضم التاء واللام على النفي أى واست بسؤال عنهم كما قال تعالى فأنما
 عليك البلاغ وعلينا الحساب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تبسح ملتهم) أى دينهم
 أى لن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفى هذا مبالغة فى اقتطاعه
 صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا يسألونه الهدنة ويطلبونه انه ان أمهلهم اتبعوه
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى تبسح ملتهم فكيف يتبعون ملته قال
 السبّاوى ولعلمهم قالوا مثل ذلك فكيف الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال (قل) تعليم الجواب
 (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى هو الذى يصح أن يسمى هدى وهو الهدى
 كله ليس وراءه هدى وما يدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو أهواء (الأتري الى قوله تعالى
 (ولئن) اللام لام القسم (اتبع أهواءهم) أى آراءهم الزائفة التى يدعونك اليها الخطاب معه
 صلى الله عليه وسلم والمراد منه أفته كقوله تعالى لن أشركك بعظيم عجل (بعد الذى جاءك
 من العلم) أى من الدين المعلوم صحتهم بالبراهين الصحيحة (مالك من الله من ولى) يحفظك
 (ولانصير) يبعثك منه ونزل فى جماعة من أهل الكتاب قدموا من الحبشة وأسلموا (الذين آتيناهم
 الكتاب) وهو بنى (يتلون حق تلاوته) أى يعرفونه كما أنزل لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
 من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والجملة حال مقدرة وحق نصب على المصدر والخبر (أولئك
 يؤمنون به) أى بكلامهم دون المحرفين (ومن يكفر به) أى بالكتاب المؤتى بأن يحرفه (فأولئك

هم الخاسرون) لمسيرهم الى النار المؤبدة عليهم * ولما صدر قصة بني اسرائيل بالامر بذكر النعم
 والقيام بحقوقها والحد من اضعافها والخوف من الساعة وأحوالها في قوله تعالى يا بني
 اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي الخ كرو ذلك بقوله تعالى (يا بني
 اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانهم -
 (راقبوا) أي خافوا (يوم لا تجزى) أي لا تغنى (نفس عن نفس) فيه (شيأ ولا يقبل منها عدل)
 أي فداء (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) أي ينعون من عذاب الله وختم بالمكز والكلام
 معهم بمبالغة في النصيح * (تنبيه) * اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير (و) اذكروا
 (اذ ابتلي) أي اختبر (ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر وأوفاء وابتلاء الله العباد ليس ليعلم
 أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً واختلقوا
 في الكلمات التي ابتلي الله تعالى بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال عكرمة عن ابن عباس هي
 ثلاثون من شرائع الاسلام عشر في راءة التائبون العابدون الخ وعشر في الاخراب ان المسلمين
 والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وفي سائل الى
 قوله تعالى والذين هم يشهد اداتهم قائمون وقال طاووس عن ابن عباس ابتلاء الله تعالى بعشرة أشياء
 هي الفطرة خمس في الرأس أي الشامل للوجه قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسؤال
 وفوق الرأس وخمس في الحسنة تقليم الاظفار وتف الابط وحلق العانة واغتسال بالاستحباب الماء
 وفي الخبر ان ابراهيم أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من قلم الاظفار وأول من
 رأى الشيب فلما رأى قال يارب ما هذا قال الوفا قال يارب زدني وقاراً وقال قتادة هي مناسك
 الحج أي فرائضه ومنه كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرها وقال الحسن
 ابتلاء بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر
 عليها وبالختان وبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها وقال مجاهد هي الآيات التي بعده في قوله
 تعالى اني جاعل للناس اماماً الى آخر القصة وقرأ ابن عامر ابراهيم بفتح الهاء وألف بعده جامع
 ما في هذه السورة وهي خمسة عشر حرفاً وفي النساء ثلاثة أحرف وهي الاخيرة وفي الانعام
 الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي التحمل حرفان وفي مريم
 ثلاثة أحرف وفي العنكبوت حرف وفي الشورى حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف
 وفي الحديد حرف وفي المعجدة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفاً وقرأ ابن ذكوان
 في البقرة خاصة بالوجهين وابراهيم اسم أجمع ولذلك كان غير منصرف وهو ابن آزر كما
 في سورة الانعام وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقيل بابل وقيل حران ولكن نقله أبوه
 الى بابل أرض غزوذين كنعان والضمير في ربه لابراهيم وحسن لتقديمه لقضاوان تأخر رتبة لأن
 الشرط تقدمه لفظاً وأورثته (فأتمن) أي أداها حتى تامت وقام بها حق القيام لقوله وابراهيم الذي
 وفي (قال اني جاعل للناس اماماً) يقتدى بك في الخير وجاعل من جعل الذي لمفعولان والامام
 اسم من يؤتم به وامامة ابراهيم عاقبة مؤبدة اذ لم يبعث من بعده نبي الا كان من ذريته مأموراً

بآبائه (قال) ابراهيم صلى الله عليه وسلم (ومن ذريتي) أى أولادى اجعل أئمة يقتدى بهم فى
الخير (قال) الله تعالى (لا ينال) أى لا يصيب (عهدى) بالامامة (الظالمين) منهم فى ذلك اجابة الى
مطلوبه وتنبه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله تعالى
وعهدوا الظالم لا يصلح لها وانما ياء لها البررة والانتفاء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكفر قبل النبوة وأن الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وقرأ حقص وحجرة عهدي بسكون الياء وقصها
الباقون ومن سكن الياء أسقطها فى الوصل لفظا لالتقاء الساكنين (و) اذكر (اذ جعلنا البيت)
أى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا وأدغم أبو عمرو وهشام ذال اذ فى الجيم وأظهرها
الباقون (مناجاة) أى مرجعا (لنفس) من الخلاج والعمار وغيرهم يشوبون اليه من كل جانب
(وأما) أى أمناهم من الظلم وايداء المشركين والاعادة الواقعة فى غيره قال تعالى ولم يروا
انا جعلنا حرما آمنوا ويتخطف الناس من حولهم كان الجاني يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وهذا على طريق الحكم لا على وجه الخبر فقط فلا ينافى ذلك الوقوع قال القاضى أبو يعلى وصف
البيت بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يخرج فى
الكعبة ولا فى المسجد الحرام (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وهذا أمر استحباب ومقامه
الحجر وهو بفتح الحاء والجيم الذى فيه أثر قدميه كان يقوم عليه عند بناء البيت وعند دعاء الناس
الى الحج وهو موضعه اليوم روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ يديه فمال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا تتخذوه مصلى فإلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى زلت وعن ابن عباس انه قال
قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وافقت الله تعالى فى ثلاث وافقتى ربي فى ثلاث فقلت
يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فأنزله الله تعالى هذه الآية وقلت يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر لو أمرت أئمة المؤمنين بالجلاب فأنزله الله تعالى آية الجلاب قال وبلغنى
معابة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن وقلت لهن ان اتهمتن أو ليبدلن الله
تعالى لرسوله خيرا منكن فأنزله الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وفى
الخبر الركن والمقام باقوتستان من بواقبت الجنة ولولا ما سمعنا من أيدي المشركين لأضاءت ما بين
المشرق والمغرب وقبل المراد بالتخذ والخال الامر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان أرجحهما عدم الوجوب وقبل مقام ابراهيم الحرم
كله وقبل مواقف الحج واتخذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى (تنبه) * من فى
من مقام ابراهيم لتنبه بعض (وقبل) بمعنى فى وقبل زائدة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الحاء
بالضمة الماضى عطف على جعلنا أى واتخذ الناس من مقام ابراهيم مصلى والباقون بكسر هاء لفظ
الامر (وعهدنا) أى أمرنا (الى ابراهيم واسماعيل) قيل سمى به لان ابراهيم كان يدعوا الله أن
يرزقه ولما يقول اسمع يا ايل وائل هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن) أى بأن (طهرا بئى)

من الاوثان والافجاس وما لا يليق به أو اخلاصه (للفاتنين) حوله (والعا كفين) المقيمين عنده
او المعتكفين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المسلمون وقرأ نافع وهشام
وحفص يتي بقبح الماء والباقون بالسكون (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
أى مكة أو الحرم (بلدا آمنا) أى ذا آمن كقوله تعالى فى عبثه راضية أو آمنا أهله كقول
القائل ليل نائم (وارزق أهله من الثمرات) اعتمادا بذلك لانه كان بواد غير ذى زرع وفى
القصص ان الطائف كانت من مداثر الشام باردن فلما دعا ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى
جبريل عليه الصلاة والسلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبع عام وضعها
موضعها الآن فمنها أكثر غرات مكة وقوله تعالى (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من
أهله فاس ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيد بالمؤمن كما قدرت
به (قال) تعالى (و) أرزق (من كفر) لأن الرزق رحمة دينوية تعم المؤمن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم فى الدين (فأمتعه) فى الدنيا بالرزق وقرأ ابن عامر بسكون الميم وتخفيف
التاء والباقون بفتح الميم وتشديد التاء وأما الهزمة بعد الالف فالجميع اتفقوا على زعمها (قليل)
أى مدة حياته والكفرون لم يكن بسبب التمتع لكنه بسبب تقديله بأن يجعله له مصورا بخلف
الدنيا غير متوصل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره) أى الجنة الى الآخرة
(الى عذاب النار) فلا يجدها عندها محصيا (وبئس المصير) أى المرجع والمخصوص بالذم محذوف
وهو العذاب قال مجاهد وجد عند المقام أنا لله ذوبكة أى صاحبها صنعتها يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء بآتيها رزقها
مباركة لاهلها فى المعمر والماء (و) اذكر (اذ رفع ابراهيم القواعد) أى الاسس والحدود
(من البيت) حكاية حال ماضية كأنه قال اذكر ان كان يرفع (فان قلت) وأى فرق بين العبارتين
(أجيب) بأن فى ايهام القواعد ونسبها بعد الاجسام ما ليس فى اضافتها الى الايضاح بعد
الاجسام من تفخيم شأن المبين وقوله تعالى (واسمعيلى) عطف على ابراهيم يقولان (ربنا
نقبل منا) بناءنا (انك أنت السميع) للقول فنسمع دعاءنا (العليم) بالفعل فتعلم بياتنا روت الرواة
ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بألثى عام فكانت زبدية يضاء على الماء فدحيت
الارض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزله
الله تعالى البيت المعمور ومن ياقوته من يواقيت الجنة له بيان من زمره أخضر باب شرقي وباب
غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى
وتصلى عنده كما يصلى حول عرشى وأنزل الحجر الاسود وكان أبيض فأسود من لمس الحيط فى
الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشيا بريقض الله تعالى له ملكا يده
على البيت فحج البيت وأقام المناسك قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة بدخله كل
يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبا الحجر الاودى

جبل أبي قبيس صيانة له من الفرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم ثم إن الله تعالى أمر
 إبراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه اسمه تعالى فسأل الله عز وجل أن يبين له
 موضعه قال ابن عباس فبعث الله له هابة على قدر الكعبة فجعلت تسير و إبراهيم يمشي في ظلها
 إلى أن وافق به مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن علي ظلها ولا ترد
 ولا تنقص وقيل أرسل الله تعالى جبريل ليده له على موضع البيت فذلك قوله تعالى واذبوا أنا
 لإبراهيم مكان البيت فبنى إبراهيم واسمعيل البيت فكان إبراهيم بينيه واسمعيل بناؤه بالحجارة
 ولما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا ينيان في طرفين أو على التساوب قال
 ابن عباس بنى البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا وبيتان وهو جبل بالشام
 والجودي وهو جبل بالجزيرة وفيما قوا عدهم من جبل حرا وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى
 موضع الحجر الأسود قال لاسمعيل اثني بجعر حسن يكون للناس علما فأتاه بجعر فقال اثني
 بأحسن من هذا فغضب اسمعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها
 فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل أول من بنى الكعبة آدم ثم نادر من الطوفان ثم
 أظهره الله تعالى لإبراهيم حتى بناه وقيل بنه الملائكة قبل آدم وقد بنى إلى يومنا هذا سبع مزارع
 المزة الأولى هل كان الباني الملائكة أو آدم ثم إبراهيم ثم العماقة ثم حرهم ثم قريش وقد
 حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان ينقل معهم الحجارة ثم ابن الزبير في خلافته
 ثم الحجاج الثقفي وهو الموجود اليوم (ربنا واجعلنا مسلمين) أي منقادين مخلصين خاضعين
 (لك) والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والادعاء (و) اجعل (من ذريتنا) أي أولادنا (أمة)
 أي جماعة (مسلمة) خاضعة منقادة (لك) ومن للتبعية أي واجعل بعض ذريتنا وانما خصنا
 الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولأن أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم الاتباع الا ترى أن
 المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يسيرون لسداد من وراءهم وخصا
 بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فعلم ان في ذريتهما ظلمة وأن الحكمة الالهية
 لا تقتضي اتفاق الناس كلهم على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش
 المعاش ولذلك قيل لولا الحق الذين صرفوا أنفسهم إلى الدنيا خربت الدنيا وبصر أن تكون
 من التبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وامنكم قدم على الدين وفصل به بين العاطف وهو
 واو ومن والمعطوف وهو أمة كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وقيل أراد
 بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) علمنا (مناسكا) شرائع ديننا واعلام حجتنا والهدى في
 الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصيد والتمتع باللباس
 وغيره والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما وبعث لهما جبريل عليه السلام فأراهما
 المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرف يا إبراهيم قال نعم فسمى الوقت عرفة والموضع
 عرفات وقرأ ابن كثير والسوسي أن ناسكون الزاء وقرأ الدوري عن أبي عمرو باختلاس حركة
 والراء والباقون بالحركة الكلمة (وتب علينا) سأله التوبة مع عصمتهم هضمنا لانفسنا ما

وارشاد الذريتينهما ولما سلف منهما مساهموا قبل النبوة (أنت أنت التواب) لمن تاب (الرحيم) به
(ربنا وابتغ فيهم) أي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل (رسولا منهم) أي من أنفسهم
روى أنه قيل له قد استحييت لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذ لم
يعت من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يأت نبي من ولد إسماعيل إلا النبي صلى الله عليه
وسلم والسلك من ولد إسحق فهو الهجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان آدم لم يعدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى انادعوه أبي إبراهيم
وبشرى عيسى ورؤياي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج لها نوراً ضاء له قصور الشام
وأراد بدعوة إبراهيم هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ككل الانبياء من بني اسرائيل
الاعشرة نوح وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب
ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين (يتلو) أي يقرأ (عليهم آياتك) القرآن ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي ما تكمل به
نفوسهم من المعارف والاحكام وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى
يجمع بينهما وقال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظمتك أودعتك الى مكرمة أو فنتك عن قبج فنجى
حكمة وقيل هي فهم القرآن وقيل الفقه في الدين وقيل السنة (ويزكهم) أي يطهرهم من
الشرك وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدواهم للانبياء بالبليغ والتعديل (أنت
أنت العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل هو الذي لا يوبد جدمثله وقيل هو المنبج
الذي لا تتأله الايدي ولا يصل اليه شيء (الحكيم) في صنعه (ومن) أي لا يرغب (أحد) عن ملته
إبراهيم) فيتركها الظهور وهو واضحها (الامن سفة نفسه) أي جهل أنهم مخلوقة لله تعالى
يجب عليه عبادته وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابن أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما
قد علمنا ان الله عز وجل قال في التوراة اني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد
باهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فأُنزل الله تعالى هذه الآية
قاله البضاوى وغيره قال الاسيوطي لم أقف على ذلك في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير
المسندة والمثبت مقدم على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله أوحى
الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك واعرفني فقال يا رب كيف اعرف نفسي وأعرفك
فأوحى الله تعالى اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والقناء واعرفني بالقوة والبقاء وهذا معنى
من عرف نفسه فقد عرف ربه (ولقد اصطفيناك) أي اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلقة
(وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى وفي هذه الآية بيان لخطا من
رغب عن ملته لان من جع الكرامة عند الله في الدارين وكان مشهودا بالاستقامة والصلاح يوم
القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الاسفة أو منسفة اذ لم نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر * (تنبيه) قال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناك في الدنيا
والآخرة وانك لمن الصالحين وقوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) اما طرف

لا صفتيه أي اخترناه في ذلك الوقت وأما منصوب بأضمار ذكر كانه قال اذ كر ذلك الوقت ليعلم
 انه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة الى الأذعان وإخلاص
 السرحين دعاء ربه فكأنه قال له كما قال عطاء أسلم نفسك الى الله عز وجل وقوض أمرك اليه
 قال أسلمت أي قوضت قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد
 من الملائكة حين أُلقي في النار (ووصى بها) أي بالله المتقدم ذكرها أو بأسلمت على تأويل
 الكلمة أو الجملة وقبل بكلمة الاخلاص وهي لاله الا الله وقرأ نافع وابن عامر وأوصى بسكون
 الواو الثانية وهمزة مفتوحة بين الواوين والباقيون بواوين مفتوحتين ولا همزة بينهما وهذا
 أبليغ قال الزجاج لأن أوصى يصدق بالمرء الواحد ووصى لا يكون الا لثلاث كثيرة وأمال
 ورش بين بين وحزرة والكسائي محضة والباقيون بالفتح وقوله تعالى (إبراهيم بنه) قال مقاتل وهم
 أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقد ذكر غير مقاتل انهم ثمانية وقيل أربعة
 عشر (و) وصى بها أيضا (يعقوب) بنه وهم اثنا عشر روييل وشمعون ولوا ويهوذا
 ويشعيا وخور وزبولون وودان ويثوني وكودا وأوشير وبنامين ويوسف وسمى
 بذلك لانه والعص ككانا وأمين فتقدم عص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب عقبه
 وقوله تعالى (يا أي) على أضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين (إن الله
 اصطفى لكم الدين) أي دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى (فلا تموتن الا وأنتم
 مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه الى مصادفة الموت وعن الفضيل بن عياض
 انه قال الا وأنتم مسلمون أي محسنون بربكم الظن لما روى جابر رضي الله عنه انه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموت أحد الا وهو يحسن الظن بربه
 ولما قالت اليهود والنصارى صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بالهدية
 نزل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين وقول الاسيوطي لم أفق
 على ذلك فيه ما مر (اذ حضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بتخفيف الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والباقيون بتحقيقهما وقوله تعالى (اذ) بدل
 من اذ قبله (قال لبنيه ما تعبدون من بعدى) أي بعد موتي أي أي شيء تعبدونه أو اذ به
 تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ منافعهم على الثبات فليس الاستسهام على حقيقته قال
 عطاء إن الله تعالى لم يقض نبيا حتى يخبره بين الموت والحياة فلما خبر يعقوب قال أنظرنى حتى
 أسأل ولدى وأوصيهم فتعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلى فأتعبدون
 من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك) وقوله تعالى (إبراهيم واسماعيل واسحق) عطف بيان
 لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه تغليباً للاب اسحق والجد إبراهيم أولان الم
 أب والخالة أم لاخر اطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة
 والسلام عم الرجل صنواً بيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوا الخلة وقال في العباس
 هذا بقية آبائي وقال ردوا على أبي فاني أخشى ان تفعل بي قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

مسعود وقوله تعالى (الها واحدا) بدل من اله آياتك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة
وقوله تعالى (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبدا ومن مفعوله أو منهم ما أو منقطع ذو معنى
الهمزة فيه اللانكار أى لم يحضروه وقت موته فكيف ينسبون اليه ما لا يليق به أو متصلة
بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك
وأنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقوله تعالى (تلك) مبتدأ والاشارة الى الامه
المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهم الموحدون وأنت لتأنيث خبره وهو (أمة قد
خلت) أى سلفت وقوله تعالى (لهما كسبت) أى من العمل جزاؤه استئناف (ولكنم)
الخطاب لليهود (ما كسبتهم) والمعنى ان أحد لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكذا
ان أولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما كسبتهم وذلت انهم افتخروا
بأبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتي بني الناس بأعمالهم وتأوني
بأنسابكم (ولا تستلثون عما كانوا يعملون) كما لا يستلثون عن علمكم والجملة تأكيدي لما قبلها
(وقالوا) أى أهل الكتاب (كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى فأول التفصيل قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما زلت في رؤس يهود المدينة
وفي نصارى نجران وذلك انهم خاصوا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين فقالت اليهود
نبينا موسى أفضل الانبياء وكنا بنا التوراة أفضل الكتب ودينا افضل الاديان وكفرت بعيسى
والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الانبياء وكنا الانجيل أفضل
الكتب ودينا افضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل من الفريقين
للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك وقوله تعالى (تهتدوا) جواب الامر وهو كونوا قال الله
تعالى (قل) لهم يا محمد (بل) تتبع (ملة ابراهيم) وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كأنه يقول
اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناها بل تكون على ملة ابراهيم بخذف على فصار منصوبا وقوله تعالى
(خفيضا) حال من المضاف اليه كقوله رأيت وجهه هندا قائما لكن هذا جرح حقيقة وملة كالجرح
والخفيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وقوله تعالى (وما كان من المشركين) تعريض
لاهل الكتاب وغيرهم لان كلامهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا آمنا بالله)
خطاب للمؤمنين وقول الكشف ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أى قولوا لتكونوا على
الحق والافتانتم على الباطل وكذلك قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على تأويل اتبعوا
ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته يرده قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما أنزل البنا) أى
من القرآن وانما قدم ذكره لانه أول الكتب بالنسبة للبنا ولانه سبب للايمان بغيره (وما أنزل
الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسمعي واسحق ويعقوب والاسباط) جمع سبط وهو الحافظ
وكان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ما سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حفدة
يعقوب أو أبناؤه وذراؤهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (فان قيل) الصحف انما أنزلت على
ابراهيم (أجيب) بأنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها كانت أيضا منزلة

اليهم كما أن القرآن منزل البنا (وما أوتي موسى) من التوراة (و) ما أوتي عيسى من
 الانجيل (فان قيل) لم أفرد التوراة والانجيل بحكم أبلغ وهو الايتاء لانه أبلغ من الانزال
 لكونه مقصودا منه ولم يقل والاسباط وموسى وعيسى (أجيب) بأن أمرهما بالاضافة الى
 موسى وعيسى مغاير لما سبق والتزاع وقع فيه - ما قل هذا أفردا بالذكر (وما أوتي) أى أعطى
 (النيبون) أى المذكورون (من ربهم) من الكتب والانيات وقرأ نافع بالهمزة والباقون
 بالياء ولورش في الهمز المذو والتوسط والتقصير (لا تفرق بين أحد منهم) كاليهود والنصارى
 فثمن يبعث ونكفر ببعض بل ثمن بجميعهم (فان قيل) كيف صح اضافة بين الى أحد
 وهو مفرد (أجيب) بأنه في معنى الجماعة وعمله السعد التفخار في بأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب
 يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث قال ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة
 كل أو في كلام غير موجب (وفتح له) أى الله (مسلمون) أى مدعونون أى مخلصون روى عن
 أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
 بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
 وقولوا آمنا بالله: ما أنزل اليه الآية وقوله تعالى (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (عجل
 ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التهجيز والتبكيث كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله لأن دين
 الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام قال تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فليجأ لنار من تحت
 ان مثل صله أى آمنوا بما آمنتم به كقوله تعالى ليس كمثل شيء أى ليس كهو شيء وكما في قوله تعالى
 وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أى عليه وقيل الباء صلة كافي قوله تعالى وهزى
 اليك بجذع النخلة وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى
 أعرضوا عن الايمان به (فانما هم في شقاق) أى في خلاف ومنازعة معكم يقال شاق مشاقفة
 اذا خالف كان كل واحد من المتخالفين يحرص على كل ما يشق على صاحبه (فسيكفيهم الله)
 يا محمد شقاقتهم في ذلك تسليمة وتسكين للمؤمنين ووعدهم بالحفظ والنصر على من عاداهم وقد
 كفاه اياهم يقتل بنى قريظة وثقى بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقوله تعالى
 (وهو السميع العليم) اما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
 لاحالة واتما وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يدون ويعلم ما يحقون وهو معاقبهم عليه ولا مانع
 من حمل الكلام على الوعد والوعيد معا (صبغة الله) أى دينه الذى فطر الناس عليه بظهور
 أثره على صاحبه كالصبغ للشوب أو المشاكلة فان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد أوتى عليه سبعة
 أيام غسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودية ويقولون هو طهرهم لمكان الختان فاذا فلو اياه
 ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأمرا المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله
 بالايمان صبغة لا مثل صبغكم وطهرنا به تطهير الامثل تطهيركم أى يقول المسلمون صبغنا الله
 بالايمان صبغة ولا نصبغ صبغكم وهو مصدر موكدا لا مانع منه بفعل مقدر أى صبغنا الله
 تعالى وقيل نصب على البدل من مله ابراهيم وقيل نصب على الاعراء (ومن) أى لأحد (أحسن

من الله صبغة) أي لصبغة أحسن من صبغته أي لادين احسن من دينه وصبغة تميز وقوله
 تعالى (ونحن له عابدون) عطف على أمه بالله قال الزمخشري وهذا العطف برذول من زعم
 ان صبغة الله بدل من مله ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمناقضه من فك
 النظم واخراج الكلام عن التساميه وانساقه وانصافها على أنها مصدر مؤكده الذي ذكره
 سيبويه والقول ما قالت حذام اه نعم ان قدر قولوا في ونحن له عابدون معطوفا على الزموا
 بتقدير الاغراء واتبعوا مله ابراهيم بتقدير البدل لم يلزم ما قاله ولما قالت اليهود للمسلمين نحن
 أهل الكتاب الاول وقبلنا أقدم ولم تكن الانبياء من العرب لانهم عبدة الاوثان ولو كان محمد
 نبيا لكان منا لاننا أهل الكتاب نزل (قل) لهم (أتحتاجوننا) أي تجادلوننا أو تحتاجوننا
 (في الله) أي في شأنه أن اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم ويقولون لو أنزل
 الله على أحد لانزل علينا وترون انكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا
 في أتباعه وهو يصيب برحمته وكرامته من بشأن عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به بمعنى
 دون عربي اذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا) نجازي بها (ولكم أعمالكم) تجازون
 بها أي كما ان لكم أعمالا لا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها ففهم كذلك فالعمل هو أساس
 الامر به العبرة (ونحن له مخلصون) في الدين والعمل دونكم ففهم أولى بالاصطفاء فلا
 تستبعدوا أن يوحى لاهل اخلاصه لكرامته بالنبوة والهمزة للانكار والجل الثلاث أحوال
 وقرأ أبو عمرو وبادغام التنوين في اللام بخلاف عنه وله فيه الروم والاشمام وقوله تعالى (أم يقولون)
 قرأه ابن عامر وحفص عن عاصم وحزرة والكسافي بالياء والباقون بالياء على الغيبة فعلى القراءة
 الثانية أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى القراءة الاولى يحتمل أن تكون معادلة للهمزة
 في أتحتاجوننا بمعنى أي الامرين تأتون الحاجة وادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء في قولكم
 (ان ابراهيم واسماعيل وامحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا ونصارى قل) لهم يا محمد (أنتم
 اعلم أم الله) الله أعلم وقد نفي الله تعالى الامر من عن ابراهيم بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا
 ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما واحتج تعالى على ذلك بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والانجيل
 الا لمن بعده والمذكورون معه تبع لهم اتباعه في الدين وفاقا (ومن) أي لأحد (أظلم ممن كنتم)
 أي أخفى عن الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) أي شهادة الله تعالى لابراهيم بالحنيفية
 والبراءة عن اليهودية والنصرانية وهم أهل الكتاب لانهم كنوا هذه الشهادة وكفوا شهادة الله
 تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن لا ابتداء كاف في قوله تعالى براة من الله ورسوله أي شهادة
 كائنة من الله فمن الله صفة لشهادة وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم وقوله
 تعالى (تلك امة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تكرير
 للمبالغة في التحذير والزجر استحكم في الطائعات من الاقتضار بالآباء والامتثال عليهم وقيل
 الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لتأخيرهم عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول
 الانبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيعقول السقهاء) أي الجهال الذين خفت

أحلامهم (من الناس) وهم اليهود ~~كراهتهم~~ التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون السخ
(ما ولاهم) أى اى شئ سوى الله تعالى (عن قبلتهم التى كانوا عليها) وهى بيت المقدس
وقبلهم المنافقون لحرصهم على الطعن والاستمراء وقيل المشركون قالوا قد رد على محمد
أمره واشتاق الى مولاه وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم والاتبان بالسبب الدالة على
الاستقبال من الاخبار بالغيب (فان قيل) ما فائدة الاخبار بذلك قبل وقوعه (أجيب) بأن
فائدته توطئ النفس واعداد الجواب فان مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد عن
الاضطراب اذا وقع وقبل الرمي يراش السهم والقنبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان
مأخوذة من الاستقبال وصارت عرفا له ~~كان~~ المتوجه نحو الصلاة قال الله تعالى (قل)
لهم يا محمد (لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها ملكا وخلق عبده لا يختص به مكان دون
مكان بخاصصة ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وانما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان فإمر
بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) أى طريق
(مستقيم) وهو ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من توجيههم نارة الى بيت المقدس وأخرى الى
الكعبة وقوله تعالى (وكذلك) الكاف فيه لتشبيهه أى كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم
(جعلناكم) بأمة محمد (أمة وسطا) أى خيارا عدولا قال تعالى قال أو طعمهم أى خبيرهم
وأعد لهم وخيرا للاشياء أو وسطها لا إفراطها ولا تفريطها لأن الإفراط الجاوزة لما لا ينسب
والتفريط التقصير عما ينبغي كالجودين الاسراف والجل والشجاعة بين التهور وهو الوقوع
فى الشئ بقله بمبالاة وبين الحزن لأن الافراد يتسارع اليها الخلل والاضطراب محفوفة روى
عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد
العصر فارتل شيئا الى يوم القيامة الا ذكر فى مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
النخل وأطراف الجيطان فقال امانه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كالبقي من يومكم هذا
الأولان هذه الامه وفى سبعين أمة هى أخيرا وأكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى (لتكنوا
شهداء على الناس) أى يوم القيامة ان رسلكم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى
يركبكم ويشهد بعد التكم على الجعل أى تعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم
من الكتاب أنه تعالى ما يجلى على أحد ولا ظلم بل اوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونهضوا
ولكن الذين كفروا حلهم الشقاء على اتساع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك
على معاصرتكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد
واحد ثم يقول لكفار الامم ألم بأنكم تنذرون وينكرون ويقولون ما جاءنا من بشر ولا نرى قطاب
الله تعالى الانبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيوتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فنتقول الامم من أين علموا أنهم قد بلغوا وانما أنتم بعد انفسال هذه الامه فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال أمتهم فيركبهم ويشهد بعد التهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد

قوله وقبل المشركون
قالوا الخ كذا فى
الاصول وفى
الكشاف وقيل
المشركون قالوا
رغب عن قبله آياته
ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم
اه

وجئتكم على هؤلاء شهداء (فان قيل) هلا قيل لكم شهداء الذميمة لهم لاعلمهم (أجيب)
 بأن الشهداء كان كالرقب والمهين على المشهود له حتى بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى
 والله على كل شيء شهيد (فان قيل) لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقد تمت آخرها (أجيب) بأن
 الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
 عليهم (وما جعلنا) أى صيرنا لك (القبلة) الآن وقوله تعالى (التي كنت عليها) ليس بصفة
 للقبلة إنما هو نائى مفعول جعل أى وما جعلنا القبلة جهة التي كنت عليها أولاً وهى الكعبة
 وكان صلى الله عليه وسلم يصلى إليها فلما هاجر أمر بالصلاة الى حجرة بيت المقدس ثانياً لليهود
 فعلى البهاسة أو سبعة عشر شهراً ثم حوّل الى الكعبة (الا تعلم من يتبع الرسول) فيصنعه
 (عن ينقلب على عقبه) أى يرجع الى الكفر شكافى الدين وطلنا أن النبي في حبرة من أمره
 وفي الحديث ان القبلة لما حوّل ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين
 آباءه (فان قيل) كيف قال الله تعالى لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها (أجيب) بأنه أراد به علم ظهور
 وهو العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد
 ومعناه أى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب ونظيره قوله تعالى ولما علم الله
 الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل لنعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما
 أسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه وأهل الزنى عنده وقيل معناه التمييز التابع من الناكس
 كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز التابع لأن بالعلم يقع التمييز
 فالعلم سبب والتمييز سبب فأطلق السبب وهو العلم على المسبب وهو التمييز * (تنبيه) * العلم
 فى الآية انما يعنى المعرفة فيعدي الى مفعول واحد وهو من يتبع وأما معلق لما فى من معنى
 الاستفهام وأما أن يكون مفعوله الثانى عن ينقلب أى لنعلم من يتبع الرسول ميمر عن ينقلب
 (فان قيل) على الاول كيف يكون العلم معنى المعرفة والله تعالى لا يوصف بها لانها تقتضى سبق
 جهل والله تعالى منزّه عن ذلك (أجيب) بأن ذلك اشيعها فيما تقتضى أن يكون مسبوقاً بالعدم
 وليس العلم الذى يعنى المعرفة كذلك اذ المراد به الادراك الذى لا يعدي الى مفعولين بل قال
 الولي العراقي قد وقع اطلاق المعرفة على الله تعالى فى كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال
 الصحابة أو كلام أهل اللغة وقوله تعالى (وان) هى المخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانها
 (كانت) أى النولية (الكبيرة) شاققة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على
 الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم تزلوا بل
 شكره سبحانه وأعد لكم الثواب العظيم وأصلناكم الى بيت المقدس بل ينيبكم عليه لأن سبب
 نزولها ان حبيباً أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم فحويبت
 المقدس ان كانت هدى فقد تحوّلتم عنها وان كانت ضلالة فقد دتم الله بهم او من مات منكم
 عليها فسد مات على الضلالة فقال المسلمون ان الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله
 تعالى عنه قالوا فما شهداءكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحوّل القبلة

من المسلمين أسعد بن زرار ومن بنى النجار والبراء بن معر ومن بنى سلمة وكان من النقباء ورجال
 آخرون فانطلق عشائهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لقد صرنا الى
 قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماؤوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه
 الآية (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاتهم (فان قيل) لم قدم
 الرؤف على الرحيم مع أنه أبلغ (أجيب) بأنه قدم بحافظة على القواصل وقرأ الوعر وشعبة
 وحزرة والكسائي لرؤف بقصر الهمة والباقون بقدها ولوش في الهمة المذوالتوسط
 والقصر على أصله (فقد) للتحقيق (رى تقلب) أى تردد (وجهك في السماء) أى في جهتها متطلعا
 الى الوحى ومشوقا الى الامر باستقبال الكعبة وهذه الآية وإن كانت متأخرة
 في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة وأمر القبلة أول ما نسخ من أمر والنسج
 وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما جاز الى
 المدينة أمره الله تعالى أن يصلى الى نحو حجرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود
 اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدونه من نعمته في التوراة وكان يجب أن يوجه الى الكعبة لانها
 كانت قبلة ابراهيم أيه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كان يجب ذلك من أجل أن اليهود
 كانوا يقولون يحالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال الجبريل عليه السلام وددت لو حوانى
 الله تعالى الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل انما أنا عندك مثلك وأنت كريم على ربك
 فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
 الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم
 يسأل فنزل قوله تعالى (فلنولينك) أى فلنحولنك (قبلة) أى الى قبلة (ترضاها) أى تحبها
 وتوها لا اغراضك الصعبة التي أضعتها ووافقت مشيئة الله تعالى وحكمته (فول) أى اصرف
 (وجهك شطر) أى نحو (المسجد الحرام) أى الكعبة أى استقبل عنها بصدرك في الصلاة
 وإن كنت بعيدا عنها وقول البيضاوى والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان في استقبال عنها
 سر جاعليه وجه ضعيف والحرام الحرم فيه القتال ومنوع من الظلة أن تعترضه وقوله تعالى
 (وحيت ما كنتم) من بحر أو بر شرق أو غرب خطاب للامة (فولوا وجوهكم) في الصلاة
 (شطره) وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بنسرين وقول البيضاوى
 وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل
 الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبليتين فيه تحريف فان ظاهره أنه صلى الله عليه
 وسلم كان اماما في قصة بنى سلمة وانه تحول في الصلاة وليس كذلك فقد روى البخارى عن ابن عمر
 أنه قال بينما الناس يصلون في صلاة الصبح اذا ناهم آت أى من بنى سلمة فقال ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم
 الى الشام فاستداروا الى الكعبة ولما تحولت القبلة قالت اليهود وما هو الاثنى يبتدعه محمد من
 تلقاء نفسه فتارة يصل الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكانت رجوا أن يكون

صاحبنا الذي ينتظره فأنزل الله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالْكَافَّةُ لِمَعْلُونِ أَنَّهُ) أي التولي الى الكعبة (الحق) أي الثابت (من ربهم) لما في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يحول اليها وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي بالتاء على الخطاب للمؤمنين أي وما أنا بغافل عن جرائمكم وتوابكم والباقون بالياء على الغيب أي عما يعمل اليهود أي فأجازهم في الدنيا والآخرة في الآية وعود للمؤمنين ووعيد للكافرين ولما قالت اليهود والنصارى اتسباباً به على أن الكعبة قبله نزل (ولئن) اللام موطنه للقسم (أثبت الذين آمنوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (بكل آية) أي برهان وحجة على أن التوجه الى الكعبة هو الحق وقوله تعالى (ماتبعوا قبلتك) جواب للقسم المضمر والمعنى ان تركهم اتباعك ليس على شبهة تزيلها بإيراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك أنك على الحق * (تنبيه) * كان مقتضى الظاهر ما يتبعون لكن أتى بالمضامى لتحقيق وقوعه كقوله تعالى أتى أمر الله وقوله تعالى (وما أنت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعتهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا الكفار جو أن يكون صاحبنا الذي ينتظره نغير انهم له وطئه عافى رجوعه (ومابعضهم بتابع قبله بعض) أي انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجي توافقهم كالاترجي موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (فان قيل) كيف قال تعالى وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبله والنصارى قبله (أجيب) بأن كنا القبلتين باطلاً مخالفات لقبله الحق فكنا للحكم الاتحاد في البطلان قبله واحدة وقوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة أو على سبيل الفرض والتقدير (من بعد ما جاءك) بين لك (من العلم) بالوحى في القبلة (أنك اذا) ان اتبعهم (لن الظالمين) أي من المرتكبين الظلم الفاحش وفي هذا الطغى للسامعين وزيادة تعذير واستفطاع لحال من ترك الدليل بعد انارته وتبعية الهوى وتهميج للشبكات على الحق وقد أكد سبحانه وتعالى التهديد في ذلك وبالغ فيه قال البضاوى من سبعة أوجه الأول الاتيان باللام الموطئة للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق أي التأكيده وهو ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في الخبر أي وهو من الظلمين السادس جعله من الظالمين أي تعريف الظالمين الدال على المعروفين ولم يقل أنك ظالم فان في الاندراج معهم ايها ما يحصل أنواع الظلم لأن أول في الظالمين للاستغراق السابع التقييد بجي العلم تعظيماً للحق المعالوم ويحرى رضاء على اقتضائه وتعذير عن متابعة الهوى واستفطاعاً للظهور والذنب عن الانبياء (الذين آمنواهم الكتاب) أي علماءهم (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم لسبق ذكره بلفظ الرسول مرتين وقول البضاوى تعالوا لنخسرى وان لم يسبق ذكره ممنوع وقيل القرآن وقيل التحويل ويدل للأول قوله تعالى (كجا يعرفون أبناءهم) أي من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه كيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما عرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف

ذلك قال لست أشك في محمد انه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت فقال عمر وفقك الله تعالى يا ابن
سلام فقد صدقت (فان قيل) لم خص الانبا من الاولاد (أجيب) بأن الذكور أشهر وأعرف وهم
لصحة الایاء الرمز وبقولهم الصق (وان فربما منهم) أي أهل الكتاب (ليكتون الحق) أي صفته
صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ولا يظهر منه عناد أو قوله تعالى (الحق من ربك)
كلام مستأنف والحق اماميتهم أخبرهم من ربك والمعنى انه الحق ای ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي
أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب وأما خبر مبتدأ محذوف أي هذا الحق ومن ربك
حال أو خبر بعد خبر والمعنى أن ما جاءك من العلم وما يكتونه هو الحق لا ما يزعمون (فلا تكون من
المترين) أي من الشاكين في أنه من ربك أو في كتمانهم الحق عالين به أي فلا تسكون من هذا
النوع وهو أبلغ من لا تقروا ليس فيه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع
منه بل اما التحقيق الامر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر وأما ان المراد به أمته (ولكل) أي أمة من
الامم (وجهة) أي قبله أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليا) وجهه
في صلته وقرأ ابن عامر وحده مولاه بافتح اللام وألف بعدها أي هو مولى تلك الجهة قدولها
والباقون بكسر اللام وياء بعدها وعلى هذا فأحد المذاهب محذوف أي هو موليا وجهه كما مر
تقديره والله تعالى موليا أياه (فأستبقوا الخيرات) أي بادروا الى الطاعات وقبولها من أمر
القبلة وغيره مما تالوا به سعادة الدارين (أين ما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا)
يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على الاحياء والجمع * (تنبيه) *
رقق ورش الرأ المفتوحة بعد الياء الساكنة واتفق المصاحف على قطع أين من ما هنا (ومن
حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت
(وأنه) أي هذا الامر (للحق من ربك) وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمرو
بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) * (تنبيه) * مامة مقطوعة من حيث في موضع هذه
السورة وكرسجانه ونه تعالى التولى لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات لتأكيدها من القبلة
وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتحويل الشيطان فكرر عليهم ليثبتوا ويقوموا
ويجسدوا ولانه ينط بكل واحد ما لم ينط بالآخر لانه تعالى علق بكل آية فائدة في الاولى ان أهل
الكتاب يعلمون ان أمر محمد وأمر القبلة حق لمشاهدتهم له في التوراة والانجيل وفي الثانية
انه تعالى شهد انه حق وشهادة الله تعالى مغارة لعلم أهل الكتاب وفي الثالثة بيان العلة وهي
قطع حجة اليهود أولان الاحوال ثلاثة أولها أن يكون الانسان في المسجد الحرام وثانيها
أن يخرج عنه ويكون في البلد وثالثها أن يخرج عن البلد فالآية الاولى محمولة على الاول
والثانية على الثاني والثالثة على الثالث وقوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود والمشركين
(عليكم حجة) أي مجادلة في التولى عنه لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدًا يمجده بنا ويتبعنا

في قبلتنا ويدفع احتساح المشركين بأنه يدعى مله ابراهيم ويخالف قبلته وقرأ ورش بابدال
 الهمة من ثلثا بمقتوحة وقفا وصلوا وحزة يبدلها وقفا وصلوا والباقون بهمزة مفتوحة
 وصلوا وقفا وقوله تعالى (الا الذين ظلموا منهم) يدل واستثناء متصل أى ثلثا يكون لاحد من الناس
 حجة الامعاندن منهم فانهم يقولون ماتحول الى السكبة الاميلا الى دين قومه وحبالبلده أو بدا
 له فرجع الى دين آباءه ويوشك أن يرجع الى دينهم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا مطاعنهم في
 قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) بامثال أمرى فلا تخافوا ما أمرتكم به * (تنبيه) *
 الباسمنا ثابتة في الرسم وهي في القراءة ثابتة وقفا وصلوا (فان قيل) أى حجة تكون لغير الذين ظلموا
 لو لم يتحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندن (أجيب) بأنهم كانوا يقولون ماله لا يعقل
 الى قبله آية ابراهيم كما هو مذكور في نعمة في التوراة (فان قيل) كيف أطلق الحجة على قول
 المعاندن (أجيب) بأن المراد بالحجة ما يتسك به حقا كان أو باطلا كما قال تعالى يحتمم داحضة وقوله
 تعالى (ولأنتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون) أى الى الحق عليه لهدوف أى وأمرتكم بذلك لانتمى
 النعمة عليكم واراد في اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لا وفقكم ولأنتم
 نعمتي عليكم قال الكشاف وقيل هو معطوف على لملا يكون وجرى عليه البضاوى والسيوطى
 قال البضاوى تعالى الكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة أى ورؤية الله تعالى وعن
 على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال شيخنا القاضي زكريا روى الحديث
 الترمذى وذكره مع الاثر بعده ربما يرجح العطف على المقدور وقوله تعالى (هكذا أرسلنا)
 اما متعلق بما قبله وهو أتم أى ولأنتم نعمتي عليكم في أمر القسيلة أو في أمر الاسخرة اتعاما
 كاتمامها بإرسالنا (فيكم رسولا منكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم واما متعلق بما بعده وهو
 فاذا كرونى أى كما ذكرتم بالارسال فاذا كرونى (يتلو عليكم آياتنا) أى القرآن (وزيكمكم)
 أى يظهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى ما فيه الاحكام
 * (تنبيه) * قدم هنا زكريا على يعلمكم باعتبار القصة وأخرى دعوة ابراهيم بزيكمكم على يعلمكم
 باعتبار الفعل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى بالتفكير والنظر اذ لا طريق لمعرفته سوى الوحي
 (فاذا كرونى) بالطاعة كالصلاة والتسبيح (أذكركم) قال ابن عباس بمعونتي وقال سعيد بن جبير
 بمغفرتي وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء كما قال تعالى فلولاً أنه كان من
 المسبحين للبت فى بطنه الى يوم يعثون وفى الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه
 اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملاخبر من ملته
 وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى
 أنته هرولة وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان
 ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملاخبر منه وان دنوت منى
 شرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الى هرولت اليك وان
 سألتنى أعطيتك وان لم تسألنى غضبت عليك وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

يقول الله عز وجل "أنا مع عبدي ما ذكرني ويحتركت في شفتاه وفي رواية جاءه اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال ان تقارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقرأ ابن كثير بفتح الياء والباقيون بالسكون وهم على مراتبهم في المذ (واشكر والى) نعمتي بالطاعة (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على الطاعة والبلاء وعلى المعاصي وحفظوا النفس (والصلوة) خصها بالذكرا لأنها أتم العبادات لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومنها جادة رب العالمين (إن الله مع الصابرين) بالنصر واجابة الدعوة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم (أموات بل) هم (أحياء ولكن لا تشعرون) أي لا تعلمون كيف حالهم في حياتهم قال البيضاوي وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي أمر لا يدرك بالقلب بل بالوحى اه وهذا ما علمه أكثر المفسرين قال ابن عادل ويحتمل أن حياتهم بالجسد وان لم تشاهدوا أيديان حياة الروح ثابتة لجميع الاموات بالاتفاق فالعلم تكن حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم تسكن له منزلة اه وقد روي ان الشهداء افضلوا على غيرهم بأنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كملها وغيرهم من المؤمنين منعمون بعبادون ذلك وفي الحديث أرواحهم في حواصل طيور خضر ترشح في أثمار الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على أرواحهم فصل اليهم الروح أي الاستراحة أي التلذذ والنعيم والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدقوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والغم وعلى هذا اقتضيه بعض الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد السرور والكرامة والارواح جواهر قائمة بأنفسها تبقى بعد الموت ذكرا كما عليه جمهور الصحابة والتابعين ونظفت به الآيات والسنن (ولنبلونكم) أي ولنختبرنكم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء اظهار المطيع من العاصي لا يعلم شيئا لم يكن عالما به (بشيء) أي بقليل (من الخوف) أي خوف العدو (والجوع) أي القحط وانما قلله بالنسبة لما قاهم عنه فيخفف عنهم ويريمهم أن وجهه لا تنفارقهم أو بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما أخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال) بالخسران والهلاك (والانفس) بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) بالجوائح وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات موت الاولاد وعن أبي سنان قال دفنت ولدى سنانا وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ يدي فأخرجني فقال الأبشيرة لم حذفتي الفضائل عن عروبي عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم وللعبد فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدا واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا العبدى بيتا في الجنة وسورة بيت الحمد وقوله تعالى (وبشر الصابرين) أي على

ما يصيبهم من المكر وعطف كما قال التف تازاني على ولنبلونكم عطف المضمون على المضمون
 أي الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لمن صبر ثم ينهم بقوله (الذين اذا أصابتهم مصيبة
 قالوا ان الله عبيد اولئك) وانا اليه راجعون في الآخرة والمصيبة نعم ما يصيب الانسان من
 مكره وقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن أم سلمة زوج النبي صلى
 الله عليه وسلم ورضى عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب
 عبدا فقول ان الله وانا اليه راجعون اللهم افرجني في مصيبي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله
 تعالى في مصيبي واخلف عليه خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة استرجعت الله لي فقلت اللهم
 افرجني في مصيبي واخلف لي خيرا منها قالت فأخلف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
 روايته من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبيته وأحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
 وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحدا ما أعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو أعطى أحدا لأعطى
 يعقوب في قصة فقد يوسف ألا تسمع الى قوله يا أسفا على يوسف وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل
 باللسان مع القلب بأن تصوموا خلقا لاجله فإنه راجع الى ربه ويستذكر نعم الله عليه فيرى ما أبقي
 عليه أضعاف ما استرد منه فيؤمن على نفسه ويستسلم لربه والمبشر به محذوف دل عليه (وأولئك
 عليهم صلوات) أي مغفورة (من ربهم ورحمة) أي لطف واحسان والصلاة في الاصل من الادعى
 أي ومن الجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم
 الصلاة للتبسيه على كثرتها كالتمني في ليك بمعنى الانقطاع لمغفرته (وأولئك هم المهتدون) الى
 الصواب حيث استرجعوا واصلوا القضاء الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نعم
 العدلان ونعمت العلالة والعدلان الصلاة والرحمة والعلالة الهداية وقد ورد أخبار في ثواب
 أهل البلاء وأجر الصابرين منها أنه صلى الله عليه وسلم قال من برد الله به خيرا أصيب منه ومنها أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى
 الشوك يشا كلها الا كفر الله به من خطاياهم ومنها أن امرأه جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
 وبها لم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يشفيني فقال ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان
 شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب علي ومنها أنه صلى الله عليه وسلم سئل
 عن أشد الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه
 صلحا ابتلى على قدر ذلك وان كان في دينه رقة هوت عليه فما زال كذلك حتى يعيش على الارض
 ماله ذنب ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب
 قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء
 بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وماله من خطيئة ومنها أنه صلى الله عليه
 وسلم قال مثل المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح تنفيه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل
 المنافق كمثل شجرة الارز لا تهرت حتى تستحصد ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال يحب للمؤمن ان
 أصابه خير حمد الله وشكره وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر في كل أمره

(أن الصفا والمروة) هما علمان جبلين بمكة في طرفي المسعى قال القرطبي - وذكر الصفا لأن آدم
 وقف عليه وأنت المروة لأن حواء وقفت عليها (من شعائر الله) أي أعلام دينه جمع شعيرة وهي
 العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبده (فن حج البيت أو اعقر) أي تلبس بالحج أو العمرة
 والحج لغة القصد والاعتقاد الزياره فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين
 (فلا جناح) أي لا انعم (عليه أن يطوف) فيه ادغام التاء في الأصل في الطاء (بهما) أي بأن يسعي
 بينهما مسجعا (فإن قيل) كيف قيل انهم مامن شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما
 (أجيب) بأنه كان على الصفا الساف وعلى المروة نائلة وهما صلمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة
 زينا في الكعبة فسجنا حجرين فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا
 مسجوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية
 فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله والاجماع على أن السعي بين الصفا والمروة مشروع
 في الحج والعمره وانما الخلاف في وجوبه فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس لقوله
 تعالى فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير فالبيضاوي وهو ضعيف لأن نفي الجناح يدل على
 الجواز لا الدخول في معنى الوجوب فلا يذفعه وعن أبي حنيفة انه واجب يجزئ يدم وعن مالك
 والشافعي أنه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله تعالى كتب عليكم السعي رواه
 البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم ابدؤا بعباد الله يعني الصفا ورواه مسلم (ومن تطوع خيرا)
 أي فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمره أو طواف ونصب
 خيرا على أنه صفة مصدر محذوف أي تطوعا أو بحذف الجار وإيصال الفعل اليه أي بخبر
 وقرأ حجة والكسائي يطوع بالياء على التذكير وتشديد الطاء والواو وسكون العين وأصله
 يتطوع فأدغم مثل يطوف والباقيون بالتاء على الحضور وتخفيف الطاء وفتح العين (فإن الله
 شاكِر) لعمله بالاثابة عليه (عليم) بنيه * (تنبيه) * الشكر من الله أن يعطي العبد فوزا
 ما يستحقه فانه يشكر اليسير ويعطي الكثير * ونزل في علماء اليهود (ان الذين يتكلمون) الناس
 كأخبار اليهود (ما أنزلنا من بينات) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى)
 أي ما يهدي الى وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايان به (من بعدما بيناه) أو ضخمناه للناس
 في الكتاب أي التوراة أي لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا الى
 ذلك المبين الواضح فكفوه ولسوا على الناس (أو لئلا يبلغهم الله) وأصل اللعن الطرد والبعد
 (و يبلغهم اللاعنون) أي يسألون الله أن يبلغهم ويقولون اللهم العنهم * (تنبيهان) * أحدهما
 اختلف في هؤلاء اللاعنين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم جميع الخلائق الا الجن
 والانس وقال عطاء هم الجن والانس وقال الحسن هم جميع عباد الله وقال مجاهد البهائم
 تلعن عصاة بني آدم اذا أمسك المطر وتقول هذا من شرهم ذنوب بني آدم * ثانيها هذه الآية
 توجب اظهار علوم الدين منصوبة ومستبطة وتدل على امتناع أخذ الاجرة على ذلك وقد روى
 الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال انكم تقولون أكلنا بؤهيرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحد بشي أبدا وتلا أن الذين يكتمون الآية
 (الذين تابوا) أي رجعوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه (وأصلحوا) ما أقسدهوا ومن
 أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله تعالى في كتابهم فكتموه (فأولئك أتوب
 إليهم) أتعجبوا وزعمهم وأقبل توبتهم (وأنا تتوب) أي الرجاء لقلوب عبادي المنصرفة عني إلى
 (الرحيم) بهم بعد أقبالهم على (أن الذين كفر وأماتوا وهم كفار) أي من لم يقب من الكافرين
 حتى مات (أولئك عليهم لعنة الله) لعنة (الملائكة) لعنة (الناس أجمعين) لعنهم الله أحياء
 ثم لعنهم أمواتا وقال أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم
 تلعه الناس فان قيل قد قال الله تعالى والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر وأهل دينه
 لا يلعنونه (أجيب) بأجوبة منها أن المراد منهم من يعتد بلعنه وهم المؤمنون قاله ابن مسعود
 وعلى هذا فيكون من العام الذي أريد به الخاص ومنها أنهم يلعنونه في القيامة قال تعالى
 يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت أمة لعنت أختها ومنها أن اللعنة من الأكره يطلق
 عليها لعنة جميع الناس لتقليب الحسك الأكثر على الأقل ومنها أنهم يلعنون الظالمين والكافرين
 ومن لعن الظالمين أو الكافرين وهم منهم فقد لعن نفسه ومعنى لعنة الله لهم تبرؤ منهم وطردهم
 وتبعدهم عن الرحمة والثواب أودعاه عليهم بذلك (خالد بن قيس) أي اللعنة أو النار المدلول بها
 عليها (لا يخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولا هم ينظرون) من الأنظار أي لا يسهلون
 ولا يؤجلون أولا ينظرون ليعتذروا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون أولا ينظر إليهم نظر
 رحمة * ولما قال كفار قرئش يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا نزل (ولهكم الواحد) وسورة
 الاخلاص والواحد هو الذي لا نظير له ولا شريك وقوله تعالى (لا اله الا هو) نقرر للوحدانية
 ودفع لان توهم أن في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة وقوله تعالى (الرحمن الرحيم)
 كالدليل على الوحدانية فانه لما كان مولى النعم كلها أصولها بقوله الرحمن فانه مولى جلائل
 النعم وفر وعما يقوله الرحيم فانه مولى لطائف النعم ودقائقها ومساواة تعالى امانعة أو منعم
 عليه فلم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم وألبتد محمد زوف وعن
 أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن في هاتين الآيتين اسم الله
 الاعظم والهكم اله واحد الخ والله لا اله الا هو الخ القيموم * ولما سمع المشركون هذه الآية
 وكان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فانت يا تعرف بها
 صدقك فقتل (ان في خلق السموات والارض) الى آخر الآية (فان قيل) لم يجمع السموات وأفرد
 الارض (أجاب) البيضاوي بأن السموات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف
 الارضين اه وهذا التمايز في قول بعض الحكماء ان المراد بالارضين الاقاليم والاولى ما أجاب
 به البغوي من أن كل امة من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب
 أي فهي طبقات كالسموات والآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عدد
 ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والآية في الارض

مذها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر
والنبات وغير ذلك (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الجي والذهب يتخلف
أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلقه أي بعده قال تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفه قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة
واللبياب جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم قال تعالى وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار (والفلك) أي السفن (التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من التجارة
والحمل والآية فيها تستضيها ويرى بها على وجه الماء وهي موقوفة لا ترسب تحت الماء * (تنبيه) *
أن الفلك لأنه بمعنى السفينة لأن واحد السفن وجمعه سواء أذلو كانت بمعنى المركب لأن كرامع
أنهم في اللغة تذكر وتؤنث قال تعالى إذا بقى إلى الفلك المشحون وضمة الجمع غير ضمة الواحدة تقدير
أدعى في الجمع كالضمة في جر وفي الواحد كالضمة في فقل قال البضاوي والقصد به أي الفلك إلى
الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه أي البحر والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب الأمر اه جعل
الآية في البحر لأن السفن والاولى جعل الآية فيهما قوله لأن منشأهما البحر هو قول الحكماء
والأشاعر على خلافه وهو الذي دل عليه الأخبار قال شيخنا القاضي زكريا وحاصله أن السحاب
من شجرة مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (وما أنزل الله من السماء من ماء) أي مطر
* (تنبيه) * من الأولى للابتداء والثانية للبيان قال البغوي قيل أراد بالسماء السحاب
يخلق الله الماء في السحاب ثم ينزل السحاب ينزل أو قيل أراد بالسماء المعروفة يخلق الله الماء في
السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض وفيه ما مر (فأحياه
الأرض) بالنبات (بعدموتها) أي يسها وجدوبتها (وبث) أي فرق ونشر بالماء (فيها)
في الأرض (من كل دابة) فإن قيل هل بث عطف على أنزل وأحياه (أعجب) بأنه عطف على
أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحياه الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصاراجمعا
كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على
أحياه على معنى فأحياه بالمر الأرض وبث فيها من كل دابة لأن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا أي المطر (وتصرف الرياح) إلى قبول ودبور وجنوب وشمال فالقبول الصبا وهي التي تهب
من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار والدبور تقابلها والشمال التي تهب من جانب القطب
والجنوب تقابلها قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء ومميت الريح ريح الجحانم تريح
النفوس قال شريح القاضي ما هبت ريح الالشفاء سقيم أو لقسمة صحيح (فائدة) البشارة في ثلاث
من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لبشارة فيها وقيل الرياح
ثمانية أربعة للريحة وهي المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب وهي
العقيم والصهر في البر والعاصف والغاصف في البحر وقرأه الكسائي الريح بالتوحيد
والباقون بالجمع (فائدة أخرى) كل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا م اتفاق القراء على توحيدها

وما فيها ألف ولام كما هنا اختلافوا في جمعها وتوحيدها إلا الحرف الأول في سورة الروم الرياح
 مشرات اتفقوا على جمعها والريح تذكروفت والسهاب) أي الغيم (المسخر) أي المذلل
 بأمر الله يسير حيث شاء الله (بين السماء والأرض) بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع أن الطبع
 يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقبل تسخير السحاب ثقله في الجو بعينه الله واشتقاقه
 من السحب لأن بعضه يجرب بعضاً (الآيات) أي دلالات وانجحات على وحدانية الله تعالى (لقوم
 يعقلون) أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنهم أدل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
 وقول البضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فنج بها أي لم يتفكر فيها
 ولم يعتبر بها قال الولي العراقي لم أقف عليه وقال السيوطي لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ ثم
 قال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل على الليلة أن في خلق السموات والأرض
 واختلاف الليل والنهار آيات لا ولي إلا الباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قبل اللازم
 ما غاية التفكير فيها قال يقرأه من وهو يعقلها انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضاً في هذه الآية
 ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البضاوي وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث
 على البحث والنظر فيه انتهى ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه لأن بلي العبد ربه
 بكل ذنب ما عدا الشرك خيره من أن يلقاه بعلم الكلام لأنه محمول على التوغل فيه فيصير فلسفياً
 (ومن الناس) وهم المشركون (من يتخذ من دون الله) أي غيره (أنداداً) أي أصناماً يعبدونها
 (يحبونهم) بالتعظيم والخضوع (كحب الله) أي كحبهم له كما قال الزجاج يحبون الأصنام كما
 يحبون الله لأنهم أشركوا مع الله فسوا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحبون آلهتهم
 كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على
 الله ماسواً والمشركون محبتهم لا غرض فاسدة موهومة تزول بآدي سبب ولذلك كانوا
 إذا اتخذوا صنماً أحسن منه طرحوه الأول واختاروا الثاني وربما يكون كما أكلت باهلة
 الهام من حبس عند الجماعة ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء وقبلون على الله كما أخبر
 الله تعالى عنهم فقال فاذا ذركوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله
 تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء وقيل إنما قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله
 لأن الله أحبهم وألأنهم أجوه ومن شهد له المعبود بالحب كانت محبته أتم قال الله تعالى يحبهم
 ويحبونه فحبة العبد لله طاعته والاعتناء بهصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة صكرامه
 واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي (ولو يرى الذين ظلموا) أي بالتخاذل الانداد (أذيرون)
 أي يصرون (العذاب) يوم القيامة وأذيعني إذا وأجرى المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لأن
 أذم موضوعه للماضي والمعنى هنا على الاستقبال لتعقبه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (أن)
 أي بأن (القوة) أي القدرة والغلبة (لله) وقوله تعالى (جميعاً) حال (وإن الله شديد العذاب)
 وجواب لمحذوف والتقدير لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً ادعوا العذاب لندموا أشد
 الندم والفاعل ضمير المأمع أو الذين ظلموا ويرى بمعنى يعلم وأن وما بعد هاست مد المفعلين

وقرأ نافع وحده بالتاء على الخطأ أي ولو ترى يا محمد ذلك رأيت أمراً عظيماً وأمال السوسي
اللائق المتقلبة بعد الراء في الوصل بخلاف عنه وغلظ ورش اللام بعد الظاء وقرأ ابن عامر يرون
بضم الياء والباقون بفتحها (اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ الذين اتبعوا) وهم الرؤساء (من الذين
اتبعوا) وهم الاتباع أي يشكر الرؤساء لال الاتباع يوم القيامة حين يجمع الله القادة
والاتباع (و) قد (رأوا العذاب) أي رأين له فالواو والفعال وقد مضى كما قدرتها وقيل عطف
على تبرأ وقوله تعالى (وتنقطع) عطف على تبرأ وقوله تعالى (بهم) بمعنى عنهم (الاسباب)
أي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة (وقال
الذين اتبعوا) أي الاتباع (لأن لنا كفرة) أي رجعة الى الدنيا (فتبرأ منهم) أي الرؤساء
(كأبر وأمانا) اليوم ولولا التني ولذلك أجيب بالفاء (كذلك) أي مثل ذلك الراء القطيع
(يربهم الله أعمالهم) أي السيئة وقوله تعالى (حسرات) أن تنقلب ندمات (عليهم) ثالث
مفاعيل يرى أن كان من رؤية القلب والافعال وقوله تعالى (وما هم بخارجين من النار) أصله
وما يخرجون لأن المناسب ان تعطف جملة فعلية على جملة فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة
للمبالغة في الخلود والاقنطاع عن الخلاص والرجوع الى الدنيا واختلف في سبب نزول قوله
تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً) فقال البيضاوي نزلت في قوم حرموا على
أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس أي لأعلى وجه التورع كما فعله الصوفية وما قاله
قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضي زكريا والمشهور انه نزلت فيهم آية المائدة وهي يا أيها
الذين آمنوا لا تتحرموا طيبات ما أحل الله لكم وأما هذه الآية فانه نزلت في الكفار
الذين حرموا البحائر والسوائب والوصائل وقبحوها ومن ثم عبر عنها بيا أيها الناس وثم
يبأ أيها الذين آمنوا (تنبيه) حلالا مفعول كلوا وحال وقوله تعالى (طيباً) أما صفة
مؤكدة وأما ظاهر من كل تشبهة وهو ما يستطيه الشرع قال الكشاف ومن للتبعض
لان كل ما في الارض ليس بما كولهذا ان جعلنا حلالاً لا حلالاً فجعلناه مفعولاً في الاستداء
كما قاله السعد التفتازاني لان من التبعضية في موضع المفعول أي كما وابعض ما في الارض
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طريقه كما قاله الزجاج وأما المحقرات من الذنوب كما قاله
أبو عبيدة فقد دخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام وقرأ ابن عامر وقبل
وحفص والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون (انه لكم عدو مبين) أي بين العداوة
أو مظهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاتين يغويه وقد أظهر عداوته بامتناعه
من اليهود ولا دم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بأنه لا يأمر بخير قط بقوله (انما يأمر كرم بالسوء)
أي القبيح شرعاً (والنفساء) أي ما تجارز الحدي في القبح من العظام وعن ابن عباس أن السوء
من الذنوب ما لا يحتف به والنفساء من المعاصي ما يجب به حد وقال السدي النفساء هي الزنا
وقيل الخجل قال البيضاوي واستعير الامر لترينه ونفته لهم تدفعهم اليهم وقرئ الشأهم
انتهى قال شيخنا القاضي زكريا ولا حاجة الى صرف الامر عن ظاهره لان حقيقة طلب الفعل

ولاريب أن الشيطان يطلب السوء والفناء عن يداغواه (و) يأمركم أيضا (ان تقولوا على الله ما لاتعلمون) كتحليل المحرمات وتحريم الطيبات واتخاذ الانداد وقوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات متصل بمقابله وهو نازل في مشركي العرب وكذا وقريش والضمير في لهم عائذ على الناس المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا عدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحقى ماذا يجيبون وقيل مستأنف والهاء والميم في لهم كتابة عن غير مذكور روى عن ابن عباس أنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ودلى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع ما أنفنا عليه آباءنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (فالوا) لاتبعه (بل تتبع ما أنفينا) أى وجدنا وأدرنا وأعلمنا وألني تتعدى الى مقسعين وهما قوله (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وتحريم البصائر والسوابب فانهم كانوا خيرا واعلم منا قال الله تعالى (أولوكان) أى اتبعوهم ولوكان (آباؤهم لايعلقون شيئا) أى من أمر الدين لاشياء مطلقا فانهم كانوا يعلقون أمر الدنيا لفظه عام ومعناه الخصوص (ولا يهتدون) الى الحق والهمزة للانكار والواو للعالم والاعطف وجواب لو محذوف أى لوكان آباؤهم بهله لايبتكرون في أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم (ومثل) أى صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم الى الهدى (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء) أى صوتا ولا يفهم معناه والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضان قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جبر فأنما * منك نفسك في الخلاه ضلالا

وأما نعق الغراب فبالعين المجمة والمعنى أنهم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (وقيل) معنى الآية مثل الذين كفروا في دعاء الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا ينتفع من نعيقه بشئ غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة الا العناء والدعاء كما قال تعالى وان تدعوههم لايستجواب دعاءكم ولستم دعاوما استجابوا لكم ثم وصف سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم فقال (صم) أى هم صم عن سماع الحق تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل ما يقال له انه أصم (بكم) عن الخير لايقلونه (عمى) عن الهدى لايصرونه (فهم لايعلقون) الموعظة لاضلال نظرهم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات (أى حلالات) ما رزقناكم روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يذهب به الى السماء يارب يارب أشعث أغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك * ولما وسع الله تعالى الامر على الناس كأنه وأباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يهتروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على ما رزقكم وأحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان صم

انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لاتتم الا بالشكر فالملق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو بعدم عند عدمه روى البيهقي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اني والحق والانس فينا عظيم أخلاقه وبعد غيري وأرزق وبشكر غيري * ثم بين سبحانه وتعالى المحرمات بقوله (انما حرم عليكم الميتة) أى أكلها اذا الكلام فيه وكذا ما بعدها وهى التى ماتت من غير ذكاة شرعية وألحق بها بالسنة ما بين من حرم وخص منها السمك والجراد والحرمه المضافة الى الميتة تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصريف في المدبوغ (والدم) أى المسفوح كما قال تعالى فى سورة الانعام أو دامسقا كما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهم ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والاكبد والطحال وهو فى حكم المرفوع بل رفعه ابن ماجه وغيره لكن بسند ضعيف (ولحم الخنزير) أى جميع أجزائه وعبر عن ذلك باللعن لانه معظم المقصود منه وغيره تبع له (وما أهل به لغير الله) أى ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لا لهم (فن اضطر) أى أجبأه الضرورة الى أكل شئ مما ذكرا كاه (غير باغ) أى خارج على المسلمين وقيل مجاوز المقدار الذى أحل له (ولاعاد) أى تعد على المسلمين بقطع الطريق وقيل لا بقصر فيما أبغى له فبعدمه وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق الجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة فلم يرخص للمبتدع فى تناول المحرم عند الضرورة وقال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل الدار واختلف العلماء فى قدر ما يحل للامضطر أكله من الميتة على قولين أحدهما أن يأكل مقدار ما يمك رمقه وهو قول ابن أبى حنيفة والراجح عند الشافعى والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك (فلا أثم) أى لا حرج (عليه) فى أكل ما ذكره قرأ عمر وعاصم وحزمه بكسرون فن اضطر فى الوصل والباقيون بضهما * (فائدة) * قال البغوى غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير تصلح فى موضعها لا فى حال واذا صلح فى موضعها لا فى استثناء (ان الله غفور) لمن أكل فى حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص للعباد فى ذلك (فان قيل) انما تفيد قصر الحكم على ما ذكره من محرم لم يذكر (أجيب) بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكره مما استحل الكفار لا مطلقا وقصر ما ذكره على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطر واياها * (تنبيه) * ألحق بالباقي والعادى كل عاص بسفوره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شئ من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعى * ونزل فى علماء اليهود ورؤسائهم الذين كانوا يصيبون من سفاتهم الهدايا والمساكن وكانوا يرجون أن يكون النبي المنعوت منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم من غيرهم خانوا اذ هاب ما كلتهم وزوال رياستهم فعدوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى الذمت المغيرة وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه (ان الذين يكفون ما أنزل الله من الكتاب) المشتغل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أى بالمكثوم (غنا) أى عوضا (قليل) أى يسيرا أى المال كل الذى

بصبرونها من سفلتهم (أو لئلا ما يأكلون في بطونهم) أي مل بطونهم يقال أكل فلان في بطونهم
وأكل في بعض بطنه (الانار) أي ما يؤذيهم إلى النار وهو الرشوة وعن الذين يولوا كان يقضى
بهم إلى النار لانها عقوبة عليهم فمكأنهم أكلوا النار وقيل معناه انه يصير ناراً في بطونهم
(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يشتره انما يكلمهم بالتوبيخ أو يكون
عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا إذا كان عليه غضبان لما ثبت بالنصوص انه تعالى
يسألهم والسؤال كلام فعمل نفي الكلام على الغضب فهو كناية ويجوز ابقاء الكلام على ظاهره
وتحتمل نصوص السؤال على أنه يقع بالسنة الملائكة (ولا يزكهم) أي ولا يطهرهم من دنس
الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وهو النار (أو لئلا الذين أشعروا) أي استبدلوا (الضلالة
بالحدى) فأخذوها بدله في الدنيا (و) استبدلوا (العذاب بالمغفرة) أي المعتدة لهم في الآخرة
لأنهم يكتمون الحق للمطامع والاعراض الدينية (فما أصبرهم على النار) أي ما أشد صبرهم وهو
تعجب للمؤمن من ارتكاب موجباتها من غير مبالاة ولا فأى صبر لهم كما قال الحسن والله ما لهم
عليها من صبر ولكن ما أجرهم على العمل الذي يقربهم إلى النار وقال الكسائي فما أصبرهم
على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه روى عن الكسائي أنه قال قال في قاضي البين بمكة
اختصم إلى رجلان من العرب خلف أحدهما على حق صاحبه فقال ما أصبرك على عذاب الله
تعالى (ذلك) أي الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده (بأن) أي بسبب أن (الله نزل الكتاب) وقوله
تعالى (بالحق) متعلق بنزل فرضه بالكذب أو الكتمان وقوله تعالى (وإن الذين اختلفوا
في الكتاب) اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعضها وأما
للعهد وحينئذ الإشارة ما إلى التوراة واختلافهم حيث آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها بآياتهم
وأما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم بهر ونقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين (لبي شقاق)
أي خلاف (بعيد) عن الحق واختلاف في الخطاب بقوله تعالى (ليس البر) أي وهو كل فعل
مرضى (أن تولوا وجوهكم) أي في الصلاة (قبل المشرق والمغرب) على قولين أحدهما أنهم
المسلمون والثاني أهل الكتابين فعلى الأول معناه ليس البر كلمة في الصلاة ولكن البر ما في هذه
الآية قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وعلى الثاني ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة
النصارى إلى المشرق فانهم أكثر الخوض في أمر القبلتين حوات وادعى كل طائفة أن
البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما
في هذه الآية قاله قتادة والربيع ومقاتل وقال قوم هو عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصوراً
بأمر القبلتين وقرأ حفص وحجة بنب البر على انه خبر مقدم والباقيون برفعه وقوله تعالى (ولكن
البر من آمن) على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو برأويل البر بمعنى ذى البرأى ولكن البر
الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن (بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب) أي الكتب ان أريد به الجنس والافانقرآن (والتيين) والتأويل الاول أولى
لان السابق في الآية انما هو نفي كون البر بوليته الوجه والذي يستدلون انما هو من جنس

ما ينفي وقرأ نافع وابن عامر بكسر نون واو كس مخففة ورفع راء البر والباقون بنصب النون
 مشددة ونصب الراء والنبيين تقدم أن نافعاً يقرؤه بالهمزة والباقون على البدل وورش على أصله
 من المدة والتوسط والقصر (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى) أى مع (حبه) له كما قال عليه الصلاة والسلام
 لما سئل أى الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش أى الحياة وتحشى الفقر
 وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل
 الضمير لله أى على حب الله (ذَوِ الْقَرْبَى) أى القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على
 المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثمان صدقة وصله (وَالْيَتَامَى) جمع يتيم وتقدم تعريفه
 (وَالْمَسْكِينِ) جمع مسكين وهو من له مال أو كسب يقع موقعاً من كفايته ولا يكتفيه بخلاف الفقير
 فإنه من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من كفايته وسبأنى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى سورة
 براءة (وَابْنِ السَّبِيلِ) أى المسافر يقال للمسافر ابن السبيل لما لا زمته الطريق وقيل هو الضيف
 ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
 (وَالسَّائِلِينَ) أى الطالبين الذين ألجأهم الحاجة الى السؤال قال صلى الله عليه وسلم للسائل
 حق وإن جاء على ظهر فرسه رواه الامام أحمد وفى رواية ردوا السائل ولو نطلق محرق (وَفِى
 الرِّقَابِ) أى فكها معاونة المكاتبين وقيل فرض الاسراء وقيل ابتغاء الرقاب لعتقها (وَأَقَامِ
 الصَّلَاةَ) المفروضة (وَأَتَى الزَّكَاةَ) المفروضة (فَإِنْ قِيلَ) قد ذكرنا بيان المال فى هذه الوجوه
 ثم نبين أن الزكاة فقد دل ذلك على أن فى المال حقاً سوى الزكاة (أَجِبْ) بأن المتقدم
 فى التطوع وإن قال الشعبي أن فى المال حقاً سوى الزكاة وتلاهذه الآية فى الحديث نسخت
 الزكاة كل صدقة رواه الدارقطنى والبيهقى أى نسخت الزكاة وجوب كل صدقة وروى ليس
 فى المال حق سوى الزكاة (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما
 بينهم وبين الناس إذا وعدوا وأخبروا وإذا حلفوا أو نذروا أو فؤوا وإذا قالوا صدقوا وإذا اتفقوا
 أؤوا (تَنْبِيهِ) * الموفون عطف على من آمن وقيل رفع على المبتدأ والخبر أى وهم الموفون
 وقوله تعالى (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ) أى شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) أى المرض (وَحِينَ الْبَأْسِ)
 أى وقت شدة القتال فى سبيل الله تعالى نصب على المدح ولم يهطف لفضل الصبر على الشدائد
 ومواطن القتال على سائر الأعمال وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال كما إذا حى البأس
 أى اشتد الحرب ولقى القوم القوم اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحد أقرب الى
 العدو منه (أَوَلَمْ تَرَ) الموصوفون بما ذكر (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر
 (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الله التاركون للكفر وسائر الرذائل قال البضاوى رحمه الله تعالى
 والآية كما ترى جامعة للكالات الانسانية بأسرها والله عليها صريحاً وضمنها فانها بكثرتها
 ونشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير الى
 الاول بقوله تعالى من آمن الى والنمين والى الثانى بقوله تعالى وأتى المال الى وفى الرقاب والى
 الثالث بقوله تعالى وأقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظر الى إيمانه

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بعشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه الصلاة
 والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونزل في حين من أحياء العرب اقتتلوا
 في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم ما قتل وجراحات يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء
 الإسلام وكان لأحد الطرفين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا يفتكحون نساءهم
 بغير مهر ورأفهم والنقل بالعبء المحرم منهم وبالمراة من الرجل منهم وبالرجل من الرجلين منهم
 وجعلوا جراحاتهم ضعة في جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها
 الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم القصاص) وهو المساواة والمماثلة (في القتل) وصفا
 وفعلا (الحر) يقتل (الحر) ولا يقتل بالعبء (و) يقتل (العبء بالعبء) يقتل (الأنثى بالأنثى)
 ويقتل السنة أن الذكر يقتل بالأنثى وأن المماثلة تعتبر في الدين فلا يقتل مسلم ولوعبد بكافر
 ولا ثمة في ذلك خلاف وأدلة مذكورة في الفقه وكلهم على هدى من ربهم (فمن عني له) أي من
 القاتلين (من) أي دم (أخيه) المقتول (شيء) بأن ترك القصاص منه وتكبير شيء يفيد سقوط
 القصاص بالعفو عن بعضه ولومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف إلى العفو وإذا كان القتل
 لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية وموصولة والخبر (فاتباع) أي فعل العافي اتباع
 للقاتل (بالعروف) بأن يطالبه بالدية بالأعنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب
 أحدهما وهو أحد قول الشافعي والثاني وهو الأصح عنده الواجب القصاص عينا والدية بدل
 عنه فلو عفا ولم يسمه فلا شيء (فان قيل) ان عفا يعتدى بعن لا باللام فأوجه قوله فمن عني له (أجيب)
 بأن عفا يعتدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله
 عنه وقال عفا الله عنها فإذا اعتدى إلى الذنب والجاني معاقيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول
 غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عني له عن جنايته فاستغنى
 عن ذكر الجناية (وأداء) أي وعلى القاتل أداء الدية (إليه) أي العافي وهو الوارث (باحسان)
 أي بلا مغل ولا بخس (ذلك) الحكم المذكور في العفو والدية (تحقيق من ربكم ورحمة)
 لمسانحة من التسهيل والنفع لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ
 الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص
 والدية والعفو وتوسعة عليهم ونسيرا (فمن اعتدى) أي ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أي العفو
 على الدية أرحمنا (فله عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة بالنار وفي الدنيا بالقتل أو أخذ الدية
 ان عني عنها وقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) كلام في غاية الفصاحة والبلاغة حيث
 جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم
 نوعان الحياة عظيما وذلك أنهم كانوا يقتلون بالوحد الجماعة قال الرحمن شري وتم قتل مهلول
 بأخيه كليب حتى كاد يفتي بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتشور الفتنة ويقع بينهم
 التشاجر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة
 بالارتداع عن القتل لأن القاصد للقتل إذا علم أنه ان قتل يقتل يتعسف فيكون فيه بقاء وبقاء من

بهم بقتله وفي المثل القتل أننى للقتل وقيل في المثل القتل قتل القتل وقيل المراد بالحياة الحياة
الآخروية فإن القتلى إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة هذا بالنسبة للآدمي وأما
بالنسبة لله تعالى فإن تاب فكذلك ولا فهو تحت المشيئة ثم نادى ذوى العقول الكاملة بقوله
(يا أولى الألباب) للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس ثم بين سبحانه
وتعالى مشروعية ذلك بقوله (لعلكم تتقون) القتل مخافة القودأ وتعملون عمل أهل التقوى في
المحافظة على القصاص والحكم به والأذعان له وهو خطاب له فضل اختصاص بالإنمة (كتب)
أى فرض (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أى حضرت أسبابه وظهرت أماراته (أن ترك خيرا)
أى ما لا نظير له تعالى وما تنفعوا من خير وقيل ما لا كثير الماروى عن عائشة رضى الله تعالى
عنها أن رجلا أراد الوصية فسأله كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عبدك قال أربعة قالت
انما قال الله تعالى أن ترك خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضى الله تعالى عنه
أن مولى له أراد أن يوصي وله سبع مائة درهم فنهى وقال قال الله تعالى أن ترك خيرا والخير هو المال
الكثير وقوله تعالى (الوصية) مرفوع بكتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصى ولذلك
ذكر الراجع في قوله فبن بدله بعد ما سمعه والعامل في إذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وبجواب أن أى فليوص (لوالدين والأقربين بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يهاوز
الثالث لما روى عن سعيد بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
يعودني فقلت يا رسول الله أوصى بحالى كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثالث قال الثالث
والثالث كثيرا أن تدع وروى أنك أغنيا خبرك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم
أى يسألون الناس الصدقة بأفهم وقوله تعالى (حقا) مصدر قال البصائر يتعالتن تخشرون
وغيره مؤكدا لمضمون الجملة قبله أى حق ذلك حقا وردّه أبو حيان بأن قوله تعالى على المتقين
متعلق بحقا وصفه وكل منهما يخرجه عن التأكد أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل
انما يعمل المصدر الذى ينفصل الى حرف مصدرى والفعل أو المصدر الذى هو يدل من اللفظ
بالفعل وأما الثانى فلأن حقا مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكدا وقيل حقا نعت لمصدر ركب
أو أوصى أى كتب أو أوصا حقا وقيل حال من مصدر أحدهما معترفا وقيل نصب على المفعولية
أى جعل الوصية حقا (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية المواريث بقوله صلى الله عليه
وسلم أن الله أعطى كل ذى حق حقه ألا وصية لوارث بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ
بالسنة وإن لم تتواتر وبذلك ظهر ما فى قول بعضهم أن الكتاب لا ينسخ بالسنة وإن الحديث من
الآحاد (فبن بدله) أى غيره من الأوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أى وصل إليه علمه وتحقق
عنده (فانما انتم) أى الأوصياء المبدل (على الذين يتلونونه) والميت يرى منه وفى هذا إقامة
الظاهر مقام المضم (إن الله يسمع) لما وصى به الموصى (عليه) بفعل الوصى فيجازه عليه وفى
هذا وعيد للمبدل بغير حق (فبن خاف من موص) أى توقع وعلم كقوله تعالى فإن خفتهم أن لا يقيموا
حدود الله أى علمهم وقرأ سورة مائدة بالالف بعد الحاء من خاف حيث جاء وقرأ شعبة وسجدة

والكسائي بفتح الواو من موص ونشديد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد
 (جنفاً) أى ميلان الحق بالخطا في الوصية (أو أئماً) بأن نعمة الحيف في الوصية (فأصلح بينهم)
 بين الوصى والموصى لهم باجرائهم على نهي الشرع (فلائم عليه) في هذا التبديل لأنه تبديل
 باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) فيه وعد للمصلح وذكر المغفر لمطابقة ذكر
 الأئمة وكون الفعل من جنس ما يؤتم (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو
 لغة الامسال عما تنازع فيه النفس ومنه قوله تعالى فقل الى ان تدرت للرحمن صوماً أى صمتاً لأنه
 امسال عن الكلام وفي الشرع الامسال عن المفطرات مع التوبة فانها معظم ما تشبهه النفس
 (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والائمة من لدن آدم الى عهدكم قال على رضى الله
 تعالى عنه أولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخل الله أمة من اقراضها عليهم
 لم يفرضها عليكم وحدكم وفي قوله تعالى كتب عليكم الخ توصيكم بالحكم وترغب على الفعل
 وتطيب على النفس وفي موضع التشبيه في كاف كما كتب قولان أحدهما أن التشبيه في حكم
 الصوم وصفته لافى عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذا نام أحدهم قبل أن يطعم أنه لم يحل له
 أن يطعم الى الليلة القابلة والنساء عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقد أُرخص لكم هذا
 فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية فانها
 فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد الايام لما روى
 أن رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان أى وهو بضم الميم موت يقع على الماشية
 فزادوا عشرة اقبله وعشر ابعده فجعلوه خمسين وقيل كان يقع في الحز الشديد وكان يشق عليهم
 في أسفارهم ويضربهم في معاشيتهم فاجتمع رأى علمتهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في
 فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وقالوا يزيد عشرين يوماً تكفر ما صنعنا
 قال السدي عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة أيام أولاً كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوماً ثم
 ان ملكهم اشكى فنه جعل لله عليه ان هوشى من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فزاد فيه
 أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ولهم ملك آخر فقال أعوه خمسين يوماً وعلى هذا تكون الآية محكمة
 لا منسوخة (علكم تتقون) بصومكم للمعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما
 قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة أى مؤن النكاح فليتزوج
 فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أى فاطع لشهوته
 أو اعلكم تنظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقوله تعالى (أياماً) نصب بصوموا
 مقترراً للدلالة بالصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما (معدودات) أى قلائل كقوله تعالى
 دراهم معدودة وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير يهال هبلاً ويحصى حباً
 أو موقفات بعدد معلوم وهى رمضان كما سمي أى وقلة تسهيل على المكثنين وقيل هى عاشوراء
 وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نهى
 بشهر رمضان (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضطره الصوم وبسرعه (أو على سفر) أى مسافراً

سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر ان افطر
 لحذف الشرط وهو ان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو أيام المرض والسفر للعلم بها
 واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب أهل الظاهر الى أن ما يطلق
 عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين فقد دخل عليه في رمضان وهو يأكل
 فاعتل بوجع اصبغته وفي السفر الذي يباح فيه الفطر والاصح فيه أيضا ما قدرناه وهو
 مرحلتان وقال الاوزاعي أقله مرحلة وقال أبو حنيفة وأصحابه ثلاثة أيام (وعلى الذين
 يطيقونه) أي ان افطروا (فدية) هي (طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مد على الاصح
 من غالب قوت بلده وقال بعضهم نصف صاع من القمح أو صاع من غيره وقال بعضهم ما كان
 المفطر يتقوته يومه الذي أفطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه ويصوره واختلف
 العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول ابن عمر وسلة
 ابن الاكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا في صدر الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا
 ويفدوا وانما أخبرهم الله تعالى لانهم كانوا لم يعودوا الصيام ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله
 تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الاحامل والمرضع اذا أفطر تاخوفا على الولد
 فانها باقية بلا نسخ في حقهما وذهب جماعة منهم الى أن لفظة لا مقذرة في الآية أي وعلى الذين
 لا يطيقونه الكبر أو مرض لا يرجي برؤه فدية وهو قول سعيد بن جبير وجعل الآية محكمة وقرأ
 نافع وابن ذكوان بغير تنوين في فدية وخفض الميم من طعام والباقون بتنوين فدية ورفع الميم
 من طعام وقرأ نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين وألف بعد السين وفتح النون والباقون
 بكسر الميم وسكون السين وألف بعدها وكسر النون منونة (فمن تطوع خيراً) بالزيادة على
 التقدير المذكور في الفدية (فهو) أي التطوع (خيره) فيثيبكم الله عليه (وان تصوموا) أي
 أيها المطيقون مبتدأ خبره (خير لكم) أي من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) أي ما في
 الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب ان كنتم محذوف دل عليه خير لكم أي فالصوم خير
 لكم وقوله تعالى (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده وأبدل من الصيام في قوله كتب عليكم
 الصيام بدل اشتمالاً وبدل كل من كل ان قدر مضاف وأخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر
 رمضان أو الشهر من الشهور ورمضان مصدر رمض اذا أحرق فأضيف اليه الشهر وجعل علماً
 ومنع من الصرف للعلمية والالاف والنون (فان قيل) اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
 والمضاف اليه جمعاً فاجب ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان
 ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له
 (أجيب) بأن ذلك على حذف المضاف لا من اللبس قال التفنيزاني وجازا لحذف من الاعلام
 وان كان من قبيل حذف بعض الكلمة لانهم أجزوا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف
 اليه حيث أعربوا الجزأين وانما سماه العرب بذلك املاً لارتعاضهم فيه من حر الجوع والعطش
 واما لارتعاض الذنوب فيه وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة

التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمضان الحرف قال أئمة اللغة كان أسماء الشهور في اللغة القديمة مؤتمرة ناجر خوان وبصان حنين ورنة الاصم وعل نائق عادل هواع برالفغيرت الى محرم صفر ربيع الاول وبيع الثاني جمادى الاولى جمادى الثانية رجب شعبان رمضان شوال ذى القعدة ذى الحجة على الترتيب وسعى المحرم التحريم القتال فيه وصفر نخل ومكة عن أهلها الى الحروب والربيعان لاوتساع الناس فيه ما أى أقامتهم وجماديان لجود الماء فيهما ورجب لترجب العرب اياه أى تغلبهم له وشعبان لشعب القبائل فيه ورمضان لرمض الفصال فيه وشوال لشول اذ ناب اللواقح فيه وذو القعدة للقعود فيه عن الحرب وذو الحجة لحجهم فيه (الذي أنزل فيه القرآن) جلة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا لئلا تنزل منجما الى الارض وقيل ابتدئ فيه انزاله وكان ذاك ليلة القدر وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأُنزلت التوراة لست مضين والانجيل اثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين روات الامام أحمد وغيره * (قائدة) قال ابن عادل يروى ان جبريل عليه السلام نزل على آدم اثني عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى نوح خمسين مرة وعلى موسى أربع مائة مرة وعلى عيسى عشرة مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة وقرأ ابن كثير القرآن بنقل حركة الهمزة الى الراء وتصيرا راء مقنونة وألف بعده في المعرفة والمنكر حيث جاء وكذا بقراءة أجزاء في الوقت وقوله تعالى (هدى للناس وبينات من الهدى والقرآن) حالان من القرآن أى أنزل وهو داية للناس لاجتماعه من الضلالة الى الحق وهو آيات وانجحت مما يمدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل مما يهتدى من الحكم والاحكام (فان قيل) فانه معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (أجيب) بأنه تعالى ذكر اول انه هدى ثم ذكر آياته بينات من جلة ما هدى به الله وفرقه الحق والباطل من وجهه وكتبه السماوي الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فنشهد) أى حضر (منكم الشهر فليصمه) وقوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر) أى فافطر (فعدة من أيام أخر) فقد قدمه وكرهنا ولا يعسر عليكم يومئذ الصيام من شهد (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى يريد ان يسر عليكم ولا يعسر ولذلك أباح لكم الفطر في المرض والسفر واختلفوا هل الفطر في السفر أفضل أو الصوم والاصم انه ان شق عليه الصوم فالفطر أفضل والافالصوم وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وأجاب الاول عن الحديث بأنه محمول على من شق عليه الصوم فقوله جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى زماما ورجلا قد نكث عليه فقال ما هذا قالوا هذا صائم فقال صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر والدليل على جواز

الاسماء المذكورة هي كذلك في النسخ التي بأيدينا وقد اختلف الناس في ذلك اختلافا كثيرا قال بعضهم وتوجد للشهور أسماء قد كان أولاهم يدعونها بها وهي هذه المؤمر وناجر وخوان وصوان وحنين ورنى والاصم وعادل ونائق وواغل وهواع وبرك وقد توجد هذه الاسماء مخالفة لما أوردناه مختلفة الترتيب كما نظمهما بعضهم بقوله مؤمر وناجر بدأنا وبالنون يتبعه الصوان وبالزنى وبأئمة تليه يعود أصم صبه السنان وواغله وناطله جميعا * وعادله فهم غر رحسان * ورنه بعدها برك ففت مشهور الحول يعقدها البنان * وفي مروج الذهب أسماء أخرى فراجع

الصوم في السفر قول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه كأننا فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وقوله تعالى (ولتكموا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) أي الله على نعمه علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع جله ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بالقضاء وعمرارة العدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة المفطر فقوله تعالى ولتكموا العدة علة الأمر بمراعاة العدة وقوله تعالى ولتذكروا الله ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة المفطر وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة الترخيص من تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه ولذلك عد نوعان الثواب والتشريف المسالك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معني الحد كانه قيل ولتذكروا الله حامدين على ما هداكم وقيل تكبير عبد المفطر وقيل التكبير عند الإحلال وقرأ شعبة ولتكموا لافتح الكاف وتشديد الميم والباقون بسكون الكاف وتخفيف الميم * (تنبيه) * ورد في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين أخبار منها ما رواه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقهم من النار وذلك كل ليلة ومنها ما رواه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لم قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها ما رواه سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من أقرّب فيه بمحضلة من الخير كان كن أدنى فريضة فيمساؤه ومن أدنى فيه فريضة كان كن أدنى سبعين فريضة فيمساؤه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعمق رقبته من النار وكان له مثل أجر من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله أيسر كاننا نجد ما يفطر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرّة أو شربة من ماء ومن أسقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا ينظم بعدها حتى يدخل الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فسكروا فيه من أربع خصال خصاتين ترضون بهما ربكم وخصاتين لا غنى لکم عنهما فاقموا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهاده أن لا اله الا الله وتستغفره وأما اللتان لا غنى لکم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى **كل عمل ابن آدم بضائع** الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه وغلط لوف فهم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة وعن سهل بن سعد انه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وعن ابن عمر
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب اني
 منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن رب منعتك النوم بالليل فشفعني
 فيه فيشفعان وسأل جماعة النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنادوا بيه أم بعيد فنناديه قنزل
 (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) أي نقل لهم اني قريب وهو غييل لكمال علمه بأفعال العباد
 وأقول لهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم ونحوه قوله تعالى ونحن أقرب اليه
 من جبل الوريد وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي بان الله ما سأل تقرير القرب ووعده
 للداعي بالاجابة وقرأ أورش وبأورس وبأثبات الياء فيها وصلالا وقفوا واختلف عن قالون فيها ما
 والباقيون بحذفها وصلالا ووقفا (فان قيل) ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع وقوله
 ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب (أجيب) بأنهم اختلفوا في معنى الآيتين فقيل
 معنى الدعاء هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وان لفظة ما عام
 تقديره أجيب دعوة الداع ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وأجيب
 دعوة الداعي ان وافق القضاء وأجيبه ان كانت الاجابة خيرا له وأجيبه ان لم يسأل محالا وعن
 أبي هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع باثم
 أو قطيعة رحم أو يستجمل قالوا وما الاستجمل يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب فلا
 أراك تستجيب لي فتعسر عند ذلك فيدع أي يترك الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله أجيب
 أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من اجابة الدعوة فاما اعطاء الامنية فليس بمدكور فيها
 وقد يجيب السيد عبده أو الولد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كاشنة لا محالة عند حصول
 الدعوة وقيل معنى الآية أنه لا يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يدر له ادخر الثواب
 له في الآخرة أو كف عنه به سواء لقوله صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدع الله
 بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من سوء عملها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وقيل ان الله
 يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء امراده ليدعوه فيسمع صوته ويجعل اعطاء من لا
 يحبه لانه يفيض صوته وقيل ان الدعاء آدابا وشرايط وهي أسباب الاجابة فن استكملها
 كان من أهل الاجابة ومن أدخل بها فهو من أهل الاعتماد في الدعاء فلا يستحق الجواب
 (فليس تجيبوا لي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعوني بمهماتهم وقوله تعالى
 (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات والمداومة على الايمان (لعلهم) أي لكي (يرشدون) والرشد اصابة
 الحق (أحل لكم ليلة الصيام) أي الليلة التي تصبحون منها صائمين (الرفث الى نسائكم) الرفث
 كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخفى لو عن رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ الوطء
 والجماع فانه يجب أن يكنى عنه بلازم من لوازمه كالرفث وعدى بالي لتضمنه معنى الافشاء وكنى
 عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفنيت بعضكم الى بعض
 استهجاها لما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك سمى فيها بأبي خيانة قال ابن عباس رضى الله تعالى

من صلى العشاء أو نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه اذ هو قد نام وكان قد أعيا وكل فابقطته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبي أن يأكل فأصبح صائما مجبها ودا فلم ينقص النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فأعتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله هذه الآية وقد شبه سبحانه وتعالى أول ما يمد من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غيب الليل بجحطين أبيض وأسودوا كتنى بيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ويصح أن تكون من التبعض فأنما يمدو بعض الفجر وعلى كل منهما فهي مع مدخولها في محل الحال والمعنى على التبعض حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر وعلى البيان حال كونه هو الفجر (فان قيل) كيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عدت إلى عقالي أبيض وأسود فجعلتم ما تحت وسادتي فجعلت أقوم من الليل فلا يتبين لي الأسود من الأبيض فلما أصبحت عدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ففتحك وقال إن كان وسادتك إذا العريضا وروى أنك عريضا القفا انما ذلك بياض النهار من الليل (أجيب) بأنه غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفا لانه مما يستدل به على بلادة الرجل وقلة فطنته وقال سهل بن سعد الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر ~~فكان~~ رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له أن نزل الله تعالى بعد ذلك من الفجر (فان قيل) كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد (أجيب) بأن ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائزا ~~واستثنى~~ أو لا يشتملهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم (ثم أعوا الصيام) من الفجر (إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس كما روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم أي دخل وقت افطاره • (تنبيه) • انما قدرت في الآية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز الأنسية في النهار في صوم رمضان كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ولأنه لا يكون المغيب ما ينقض شيئا فشبها بالانتماء فعل الجزء الأخير فقط وهو لا ينقض كذلك وفي الآية دليل على نفي الوصال لانه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشئ منتهاه وما بعده ما يحال ما قبلها (ولتاشرهون) أي نساءكم (وأنتم عاكفون) أي معتمرون (في المساجد) بنية الاعتكاف والمراد بالمباشرة الوطء والآية تنزلت في نفر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فاجتمعوا ثم اغتسل ثم يرجع إلى المسجد فنحو ذلك لا يلاونها را حتى يفرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يختص بمسجد دون مسجد وأن يكون في المسجد لا في غيره اذ ذكر المساجد لا جاز أن يكون بلعلا شريطا يمنع مباشرة المعتكف لمنعه منها وإن كان خارج المسجد ويمنع غيره أيضا منها

فيها قمعين كونها شرط الصحة الاعتكاف وان الوطء محرم في الاعتكاف ويفسده لان النهي
 في العبادات يوجب الفساد اما ما دون الجماع من المباشرات فان كان بشهوة فحرام ولا يهطل
 اعتكافه ان لم ينزل فان أنزل وكان بلا حائل فكالجماع والافلاعن عائشة رضي الله تعالى عنها
 أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف أدنى الى رأسه فأرجله وكان لا يدخل
 البيت الا الحاجة الانسان (تلك) الاحكام المذكورة وهي قوله تعالى فالآن باشروه حتى الى قوله
 تعالى في المساجد (حدود الله) حدها العبادة له فنفقوا عندها (فلا تقر بها) نهى تعالى أن يقرب
 الحد الحاذي بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا أن يتخطى عنه وهذا أبلغ من قوله تعالى
 في آية أخرى فلا تعة دوها لكن في ذلك مأمورات وهي لا ينهي عن قربانها فالمراد منها اضدادها
 بناء على أن الامر بالشئ ينهي عن ضده أو مستلزم له ليصح النهي عن قربانها ويجوز أن يراد بمحدود
 افقه محارمه ونواحيه وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل
 ملك حجي وان حجي الله في أرضه محارمه فنرفع حول الحجي يوشك أن يقع فيه رواء الشيخان
 (كذلك) أي كما بين لكم ما ذكر (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا مخالفة الاوامر
 والنواهي فينجوا من العذاب (ولانا كوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض
 (بالباطل) أي الحرام شرعا كالغصب والسرقة وقوله تعالى (وتدوا) مجزوم داخل في حكم
 النهي أو منصوب باخماران والادلاء الاقاء أي ولا تلقوا بها أي يحكمونها والاموال رشوة
 (الى الحكماء لتا كوا) بالهاكم (فريقا) أي طائفة (من أموال الناس بالاثم) أي بما يجب
 انما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو متلبس بالاثم فالباء اما للسببية فتكون متعلقة بتأكلوا
 أو للمصاحبة فتتعلق بمعدوف وتكون مع مدخولها حالامن فاعل تأكلوا (وانتم تعلمون)
 انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم أفعى روى ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ
 القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف
 امرؤ القيس فهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشتركون بعهد الله
 وأيمانهم ثم انفكوا فإفادع عن اليمين وسلم الارض لعبدان فنزلت وهو دليل على أن حكم القاضي
 لا يتخذ في باطن الامر وفيه خلاف ظاهر ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لخصمين اختصما اليه
 انما أنا بشر وانتم تحتمسون لدي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته أي أقوم وأقدر عليهما من
 بعض فأقضى له على ما أسمع منه فن قضيت له بشئ من أخيه فانما أقطع له قطعة من نار فبكيا وقال
 كل واحد منهما حتى لصاحبه فقال اذهبوا فاني ما أقطع لهما ثم ليحل كل واحد منهما صاحبه
 وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يسود دقيقا
 كالخيط ثم يزيد حتى يمتلي نورا ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كباد ولا يكون على حالة
 واحدة كالشمس فنزل (يستونك) يا محمد (عن الاهلة) جمع هلال مثل رداء واردة والهلال
 اسم له أقل الليلة الاولى والثانية والثالثة وبعدها يسمى قرا وهاهنا سماء بأقل حاله لان الناس
 يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي اذا صرخ حين يولد (قل) لهم

(هي مواقيت) جمع ميقات أي معالم (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومناجرهم ومحال
ديونهم وصيامهم وافتقارهم وعدد نسائهم وأيام حيضهم ومدة حملهم وغير ذلك وقوله تعالى
(والحج) عطف على الناس أي يعلمون بها وقته أداء وقضاء هذه هي الحكمة الظاهرة في ذلك
ولهذا خالف بين الأهلة وبين الشمس فلواستترت الأهلة على حالة لم يعرف حال ماذكروا لما كان
الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائط ولا بيتا
ولا دارا من بابه فإن كان من أهل المدر تقب نقبا في ظهر بيته ويدخل منه ويخرج أو يتخذ سلا
فيه فبصد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج
من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك برا إلا أن يكون من الحس وهم قريش وكثانة
وخزاعة وثقف وبنوعان من مضععة وبنو نضير من معاوية سموا حسانا لشدتهم في
دينهم والحاسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا البعض
الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعه بن تابوت على أثره من الباب وهو محرم
فأنكر وأعليه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك
دخلت فدخلت على اثرك فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحس فقال الرجل فان
كنت أحس فاني أحس رضيت به ذلك ويسمى ذلك دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر أن تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر) أي ذا البر (من اتقى) الله بترك مخالفته ووجه اتصال هذه
الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من
غير أبوابها أو أنه تعالى لما ذكر أنهم مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره
للاستطراء وأنهم لماسألوا عما لا يعنيههم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيههم وهو
معرفة الحلال والحرام ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ماسألوه تبسها على أن لا تأتي
بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويخبروا بالعلم بها أو على أن المراد به التنبية على تمكيسهم السؤال
وتتمثيلهم بحال من ترك أبواب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن تعمكسوا في
مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله (واتقوا البيوت من أبوابها) في الاحرام كغيره
اذ ليس في العدول برأ وباشروا الامور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها والمراد بوطيئ
النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله تعالى حكم وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه كافي السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون (واتقوا الله) في تغيير الاحكام (لعلكم تفلحون) لكي تفوزوا بالهدى والبر
وقرأ ورس وأبو عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جاء معرفا كان أو منكرا وكسرهما
الباقون ولا خلاف في وليس البر ههنا ان الرأى مرفوعة للجميع وقرأ نافع وابن عامر ولكن بكسر
النون مخففة ورفع الرأى والباقيون بفتح التون مشددة ونصب الرأى ولما صدقوا المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحاربية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألأنا وأربع مائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصددهم المشركون

عن البيت الحرام وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا مكة ثلاثة أيام فطوف بالبيت فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقا تلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون ذلك نزل (وقاتلوا) أى جاهدوا (في سبيل الله) لاعلاء كلمته واهواز دينه (الذين يقا تلونكم) من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذ المحبة حقيقة فيها محال في حقه تعالى لانهاصيل النفس وسبب ذلك انهم كانوا امنعوا من قتال الكفار وأمروا بالصبر على أذاهم بقوله تعالى لتباليون في أموالكم الآية ثم أمروا به اذا ابتدوا به بهذه الآية ثم أبيع لهم ابتداء في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسح الاشهر الحرم الآية ثم أمروا به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى (واقا تلوهم حيث تقفتموهم) أى وجعلتموهم في حل أو حرم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه حيث جاء (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل ذلك بن لم يسلم عام الفتح (والقنسة) أى الشرك منهم (أشد) أى أعظم (من القتل) لهم في الحرم والاحرام الذى استغفتموه أو المحنة التى يفتن بها الانسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام نعيمها وتألم النفس بها قبل لبعض الحكماء ما أشد من الموت الذى تمنى فيه الموت وقال القاتل

لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق

وقيل القنسة عذاب الآخرة كما قال تعالى ذوقوا عنتكم (ولا تقا تلوهم) أى لا تبدؤهم (عند المسجد الحرام) أى في الحرم (حتى يقا تلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم) فيه فانهم هم الذين هتكوا حرمة وقرأ حرة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التاء الفرقية من تقتلوهم والياء من يقتلوكم وسكون القاف ولألف بعد القاف وضم التاء فيهما والباقيون بفتح التاء والياء وفتح القاف وبعد القاف ألف وكسر التاء وأما فان قاتلوكم فحذف حرة والكسائي ألف وأبنا الباقيون والمعنى على قراءة حرة والكسائي حتى يقتلوا بعضهم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم كقول بعض العرب قتلنا بنى أسد أى بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا تقتلكم (كذلك) أى القتل والإخراج (جزاء الكافرين) أى يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان اتهموا) عن الكفر وأسأوا (فان الله غفور) يغفر لهم ما قد سلف (رحيم) بهم فلا يؤاخذ بذلك (وقا تلوهم حتى لا تكون) أى توجد (قنسة) أى شرك (ويكون الدين) أى العبادة (لله) وحده لا يعبدون سواه (فان اتهموا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فلا عدوان) أى اعتداء بقتل أو غيره (الأعلى الظالمين) أى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم الامن ظلم والقاء الاولى للتعظيم والثانية للجزاء وسعى جزاء الظالمين عدوانا للمشاكسة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (الشهر الحرام) أى الحرم مقابل (بالشهر الحرام) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج معقرا في ذى القعدة سنة ست وصدته المشركون عن البيت بالحديبية ورجع في العام القابل في ذى القعدة وقضى عمره سنة سبع واستعظم المسلمون قتالهم في الشهر الحرام

نزلت هذه الآية أي هذا الشهر بذلك وهتك به تكه فلا تبالوا به وقوله تعالى (والحرمت
 قصاص) احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها بحسب ما فيها القصاص وإنما
 جعلها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام أي فلما هتكوا حرمة شهركم
 بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم غنوة واقتلوهم ان قاتلوكم أي كما قال تعالى (فمن اعتدى
 عليكم) بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
 سمي الجزء باسم الاعتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزا سبعة سبعة مثلها (واتقوا الله)
 في الانتصار لانفسكم منهم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين)
 بالعون والنصر فصرهم ووصلح شأنهم (وأنتفخوا في سبيل الله) أي طاعته سواء الجهاد وغيره
 (ولا تلقوا بأيديكم) أي بأنفسكم عبر بالأيدي عن الانفس كقوله تعالى بما كسبت أيديكم
 أي بما كسبتم والباء زائدة (الى التهلكة) أي الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد
 أو الاسراف فيها حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية لاعدوه
 روى ان رجلا من المهاجرين جل على صف العدو فصاح به الناس ألقى يده الى التهلكة
 فقال أبو أيوب الانصاري نحن أعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا حينما رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرائه على أهلنا وأولادنا وأموالنا فلما نشأ
 الاسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى اهلنا وأولادنا وأموالنا فنصلحها ونقيم
 فيها فكانت التهلكة الاقامة في الازل والمال وترك الجهاد فزال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله
 حتى كان آخر غزوة غزاها بقرطبة في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سورها وهم
 يستسقون به وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغز ومات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين وعبد
 السلامي الاقامة الى التهلكة هو الغزو من رجة الله تعالى قال أبو قتادة هو الرجل يصيب الذنب
 فيقول قد هلكت ليست لي توبة فيأس من رجة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن
 ذلك كما قال تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون (وأحسنوا) أي بالنفقة
 وغيرها (ان الله يحب المحسنين) أي ينيهم (وأتموا الحج والعمرة لله) أي أدوهاما بحقهما وفي
 الآية حينئذ دليل على وجوبهما اذا الأصل في الامر الوجوب وما روى عن جابر أنه قال
 يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا معارض بما روى أن رجلا قال لعمر رضي الله تعالى
 عنه اني وجدت أي علت الحج والعمرة مكتوبين على أهلي جميعا فقال هديت لسنة نبيك
 ولا يقال انه فسر وجدانهم مكتوبين بقوله أهلي جميعا لأنه رتب الاهلال بهم على الوجدان
 وذلك يدل على أنه سبب الاهلال دون العكس وقيل انما هم ما أن يحرم بهم من ديرة أهلك روى
 ذلك عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهم مسافرا وقيل أن
 تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصهما للعبادة ولا تشوبهما بشئ من التجارة والاغراض
 الدنيوية (فان أحصرتم) أي منعتم عن انما هم يقال أحصره وأحصره العدو إذا منعه قال

تعالى الذين أحصر وافى سيد الله وقال القائل

وما هجر أبلى أن تكون تباعدت * عليك ولأن أحصرتك شغول

لكن الأشهر أن يقال في العدو حصرة وفي المرض أحصره والمراد هنا حصر العدو لقوله تعالى
 فإذا أمنتم ولترزول الآية في الحديبية وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أحصر الاحصر
 العدو وأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل فمعمول
 على من شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير عجي وأشتراطى وقول الله تعالى
 حيث حبستنى ومحلى بكسر الحاء محلى الحبس والحصر ويجوز أن يكون مصدر ميميما (فما استيسر
 من الهدى) أى فإن أردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو فالواجب أو فأنهد وأما استيسر من
 الهدى وهو بدنة أو بقرة أو سبع من أحدهما أو شاة يذبحها حيث أحصر فى حل أو حرم
 عندا لا كثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وقيل لا بد أن يبعث
 بها الى الحرم لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا تحلقوا حتى تغاروا ان
 الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وحل الاقون بلوغ
 الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان أو حراما لكن يندب ارساله الى الحرم
 خروجا من خلاف أى حنيفة واقصاره تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعى
 وذهب أبو حنيفة الى وجوب القضاء ولا بد من نية التحلل عند الذبح والخلق أو التقصير بعده مع
 نية التحلل وبذلك يحصل التحلل والحل بالكسر يطبق للمكان والزمان (فمن كان منكم مريضا)
 أى مرضا يحوجه الى الخلق (أو به أدى من رأسه) كقمل وصدا ع خلق فى الاحرام (فقديته)
 أى فعليه فدية أن حلق ولو بعض شعر رأسه ثلاث شعرات فأكثر ولا (من صيام) وهو ثلاثة أيام
 (أو صدقة) وهى ثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
 (أو نسل) وهو بدنة أو بقرة أو سبع واحد منهما أو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال للعلك اذ نهوا تم رأسك قال نعم يا رسول الله قال اخلق وصم ثلاثة أيام أو طعم
 ستة مساكين أو أنسل شاة وكان كعب يقول أنزلت فى هذه الآية والتخفيف والحق بالمعذور
 من حلق لغبر عذولانه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الخلق كالطيب والدهن واللبن لعذر
 أو غيره (فإذا أمنتم) من العدو بان ذهب أو كنتم فى حال سعة وأمن (فمن تمتع بالعمرة) أى بسبب
 فراغه منها بمحظورات الاحرام (الى الحج) أى الاحرام به بأن يكون أحرمهم فى أشهره (فما
 استيسر) أى فعليه ما تيسر (من الهدى) وهو ما تقدم يذبحه بعد الاحرام بالحج ويجوز تقديمه
 على الاحرام به بعد الفراغ من العمرة (فمن لم يجد) أى الهدى لفقدته أو فقدتم (فصيام) أى
 فعليه صيام (ثلاثة أيام فى الحج) أى فى حال احرامه به ولا يجوز له أن يقدمه على الاحرام لانه
 عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته ولا تأخير عنه والافضل أن يحرم قبل السادس لكرامة
 صوم عرفة ولا يجب عليه أن يحرم قبل زمن يسع الصوم بل يستحب له لكن اذا أحرم وجب عليه
 الصوم ولا يجوز أن يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق على أصح قولى الشافعى وهو ما عليه

الاكثر (وسبعة) من الايام (اذا رجعت) الى وطنكم مكة أو غيرها وقيل اذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى (تلك عشرة) أن لا يوهم أن الواجب على أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما ما كان ممثلاً وأن يعلم العدد حجة كما علم تفصيلاً ليجاط به من جهتين فينبأ كذا العلم فإن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وفي أمثال العرب علمان خير من علم وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فإنه يطلق لهما وقوله تعالى (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد بأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمر به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر أو مبينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ونتم مراتبها وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدى بحيث لا يقصر نواب الصوم عن نواب الهدى (ذلك) أي الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهم من سلكهم دون مرحلتين من الحرم اقر بهم منه والقريب من الشيء يقال انه حاضره قال تعالى وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي قرية منه وفي ذكر الاهل اشعاراً بشرائط الاستيطان فلما قام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتقع فعليه ذلك وهو أصح قولي الشافعي والثاني لا والاهل كناية عن النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من يحرم بالعمرة والحج معاً أو يدخل الحج عليه قبل الطواف (واتقوا الله) بالمحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصاً في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه ليكون علمكم بشديد عقابه لطفالكم في التقوى (الحج أشهر) أي وقته كقولك البرد شهران (معلومات) وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر عندنا والعشر كله عند أبي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وعلى الأولين انما سمى شهرين وبعض شهر أشهر اقامة لبعض مقام الكل أو اطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى فقد صفت قلوبكم بالحفصة وعائشة (فن فرض) على نفسه (فبين الحج) بالاحرام به عندنا وبالبلدية أو بسوق الهدى عند أبي حنيفة وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا يتعد احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وبجماعة من الصحابة واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال به قد احرامه عمره لأن الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلوان عقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينفذ احرامه عن الفرض وانما انعقد عمره لأن الاحرام شديد التعلق وذهب جماعة الى أنه ينفذ احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة أما العمرة فجميع السنة وقت لها الآن يكون عليه بقية من أعمال الحج كثرني (فلارفت) أي جماع فيه كما قال ابن عباس وجماعة من الصحابة وقيل الرفت غشيان النساء والقبلة والغمز وان يعرض لهما بالفحش من الكلام وقيل هو الفحش والقول القبيح (ولافسوق) أي ولا خروج عن حدود الشرع بالسبوات وارتكاب المحظورات وقيل هو السباب والتنازع باللقاب (ولاجدال) أي خصام مع الخدم

والرفقة وغيرهما (في الحج) أى في أيامه فذى الثلاث على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كان منها مستقبها في نفسه في الحج أقم كبس الحر في الصلاة والطبيب بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتحسينه بحيث يخرج الحروف عن هياتها فانه يقيم في كل كلام لكنه في قراءة القرآن أقم وقرأ ابن كثير وبوعمر ورفيع الشافعي من رث والقاف من فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رث ولا فسوق والباقيون بنصهما ولا خلاف في ولا جدال فالجميع بالنصب ولا تنوين على معنى الاخبار ~~كانه~~ قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قریشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو التسي من رداى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهى عنه هو الرث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته أمه فانه لم يذكر الجدال (وما تفعّلوا من خير) كصدقة (بعلمه الله) فيه حث على الخير حيث عقب به النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة (وترزقوا فان خير الزاد التقوى) أى وترزقوا فانه خير زاد روى البخارى وغيره ان أهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نخرج بيت الله تعالى أفلا يطعم منافكيون كلال على الناس فيسألونهم وربنا يقضى الحال بهم الى النيب والغصب فقال الله جل ذكره وترزقوا أى ما تطلبون به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الكعك والزيت والسويق والتروخوها فان خير الزاد التقوى أى ما يتقون به سؤال الناس وغيره (واتقوا يا أولي الاباب) أى يا روى العقول فان قضية الاب خشية الله تعالى وتوقاه وحنهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بهم احوال الله تعالى فيسير آمن كل شئ سواء وهو مقتضى العقل العرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الاباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح) فى (أن تبتغوا) أى تطلبوا (فضلا) أى رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزلت رد الناس من العرب كانوا يتأمنون أن يعبروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم يقيم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحجاج وروى البخارى انه كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز اسواقهم فى الجاهلية يجرون فيها فى أيام الموسم وكانت معاشيتهم منها فلما جاء الاسلام تأمروا برفع عنهم الجناح فى ذلك وبيع لهم وعن عمر رضى الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة فى الحج فقال وهل كانت معاشيتنا الا من التجارة فى الحج وعكاظ سوق لقيس ومجنة وهى بنت الميم أشهر من كسرها وفتح الجيم وتشديد النون سوق لكثبة بجزالظهران وذو الحجاز وهو بفتح الميم وبالزاي سوق لهذيل (فاذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) وأصله أفضتم أنفسكم لحذف المفعول كما حذفوه من دفعوا من موضع كذا أى دفعوا أنفسهم واختلقوا فى المعنى الذى لاجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم

عليه الصلاة والسلام المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمى المكان لذلك عرفات واليوم
عرفه وقال الضحاك كان آدم عليه الصلاة والسلام لما أخط وقع في الهند وحواء بمجدة ففعل
كل واحد منهم ما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فتعارفا فسمى المكان واليوم بما ذكر
وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالنج وأجابوا بالتلبية وأناه من أناه أمره الله تعالى أن
يخرج إلى عرفات ونعمته له فلما بلغ الجرة الأولى استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة فطار ووقع على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار ووقع على الجرة الثالثة فرماه وكبر
فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز
فسمى ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعث فسمى المكان واليوم بما ذكر (فان
قيل) هلا منعت الصر وفيها السببان العلمية والتأنيث (أجيب) بأن التأنيث لا يخلو إما
أن يكون بالناء التي في أفعالها وإما بشيء مقدر كافي سعادتها في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي
مع الألف التي قبلها علامة جمع التأنيث ولا يصح تقدير الناء فيها لأن هذه الناء لا اختصاصها
بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تنسدر ناء التأنيث في بنت لأن الناء التي فيها هي بدل من
الواو لا اختصاصها بالمؤنث كما التأنيث فأبى تقديرها وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لأن إذا تدلل على أن المذكور بعدها محقق لا بد منه فكانه قبل بعدا فاضتكم من عرفات التي
لا بد منها اذكر والله والأفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها فوجب أن يكون
الوقوف بها واجبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج
(فأذكر والله) بالتلبية والتلهيل والتكبير والثناء والدعوات وقبل بصلاة المغرب والعشاء
(عند المشعر الحرام) وهو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
وقف به يذكر الله تعالى ويدعو حتى أسفر جدارواه مسلم وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا
ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب الصوفا حتى
أتى المشعر الحرام استقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووجد ولم يزل واقفا حتى أصبح جدا وقوله تعالى
عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والأفاضة المزدلفة كلها موقف الا وادى محسروا يسمى مشعرا من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم
الحج ووصف بالحرام لحرمته وتسمى المزدلفة جمعا لأنه يجتمع فيها بين صلاتي المغرب والعشاء
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه
الليلة لا ينامون وقيل سمعت جمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء عليها الصلاة والسلام وأدلف
إليها أي دنا منها وقبل وصفت بفعل أهلها لأنهم يردون إلى الله تعالى أي يتقربون بالوقوف فيها
(وأذكره كما هدىكم) لعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله) أي الهدى
(لأن الضالين) أي الجاهلين بالإيمان والطاعة وان هي الخفة من الثقل واللام هي الفارقة
وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان تظنك من الكاذبين أي مائظك الامن

الكاذبين (ثم أفيضوا) يا قريش (من حيث أفاض الناس) وذلك أنهم وحلفاءهم ومن دان
بدينهم وهم الحبس كانوا يفتقون بالزلفة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم ويقولون
نحن أهل الله وقطان حرمه ولا نخرج منه فأمر وأن يساووههم وتم للترتيب في الذكر وفي الكلام
تقديم وتأخير تقديره في فرض فيه من الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جداول في الحج ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقبل لتفاوت ما بين
الافاضتين أي لتراخي الثانية عن الأولى رتبة إذا الأولى هي الصواب والثانية خطأ كما في قولك
أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غيرك ثم فأنك تأتي بمن لتفاوت ما بين الأحسان إلى الكريم
والإغربة وبعد ما بينهما وقبل ثم بمعنى الواو كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا (واسعفروا
الله) من ذنوبكم في تغيير المناسك وغيره (إن الله غفور رحيم) بغفر ذنوب المستغفروينم عليه
(فاذا قضيت) أي أدبتم (مناسككم) أي عبادات حكمكم كان رميت جرة العقبة وطفتم
واستقررت ثم بنى وأدغم أبوعمر والكاف في الكاف بخلاف عنه ولم يدغم مثاين من كلمة في القرآن
الاهنا وفي سورة المدثر وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر (فاذكروا الله) بالتكبير والتحميد
والثناء عليه (كذلك أمركم) وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت بين المسجد بعني
وبين الجبل فيعدون فضائل أبائهم ويذكرون محاسن آباءهم فأمرهم الله تعالى بذلك وقال
فاذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت إليكم واليهم وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم فاذا ذكروا الله كذا الصبيان الصغار والآباء وذلك أن الصبي يقول ما يتكلم به
بذكر آبيه لا يذكر غيره فقال الله تعالى فاذكروا الله لا غير كذا الصبي آباء (أو أشد ذكرا) من
ذكركم أبائهم ونصب أشد على الحال المنصوب باذكروا أذلوها أخرجه لكان مصفلة (فن الناس
من يقول ربنا آتنا) نصيبنا (في الدنيا) وهم المشركون كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا
يقولون اللهم اعطنا غنما وبلا بقر وعبيد أو كان الرجل يقوم فيقول اللهم إن أبي كان عظيم
الفتنة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته (وماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب
لأنهم مقتصرون على الدنيا (ومنهم) أي الناس (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقعا عذاب النار) بعدم دخولها وهم المؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي
رضي الله تعالى عنه الحسننة في الدنيا المرأة الصالحة والحسنة في الآخرة الجنة يدل له قوله صلى
الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وروى عنه أيضا أنه قال الحسننة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الخوراء وعذاب النار المرأة السوء وقال الحسن الحسننة في الدنيا
العلم والعبادة والحسنة في الآخرة الجنة وقال السدي الحسننة في الدنيا الرزق الحلال
والحسنة في الآخرة المغفرة والثواب وأدغم أبوعمر واللام في الراي بخلاف عنه (أو أمرك)
الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) أي ثواب (مما كسبوا) أي من جنس ما كسبوا من
الاعمال الحسننة أو من أجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا ويجوز أن يكون
أولئك الفريقين جميعا وإن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب)

أى اذا حسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا رعى صدر ولا روية فذكر قال الحسن أسرع
 من ملح البصر وفي الحديث يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا (واذكر والله)
 أى كبروه أذبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورعى الجمار وغيرها (فى أيام معدودات) أى أيام
 التشريق الثلاثة وسبعت معدودات لقلتهن كقولته تعالى ذراهم معدودة والأيام المعلومات
 عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر والتكبير فى الأيام المعدودات عقب كل صلاة ولو فاتته وناقلة
 مشروعة فى حق الحاج وغيره لكن غير الحاج يكبر من صبح يوم عرفة الى عقب عصر آخر أيام
 التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه اسناده وأما الحاج فيكبر من ظهر يوم النحر لانهما أول
 صلاته معنى ولا يسن التكبير عقب صلاة عيد الفطر لعدم وروده (فى يجمل) أى استجمل بالنظر
 من معنى (فى يومين) أى فى ثنائى أيام التشريق بعد رمى جباره بعد الزوال عند الشافعى وأصحابه
 قال فى الكشف وعند أبى حنيفة وأصحابه ينقر قبل طلوع الفجر (فلا اثم عليه) بالتجمل
 (ومن تأخر) حتى بات ليلة الثالث ورمى جباره بعد زواله عندنا وقال فى الكشف يجوز
 تقديم الرمي على الزوال عند أبى حنيفة (فلا اثم عليه) بذلك أى هم مخيرون فى ذلك (فان قيل)
 أليس التأخير أفضل (أجيب) بأن التخيير يقع بين الفاضل والافضل كما خبر المسافر بين الصوم
 والافطار وان كان الصوم أفضل عند عدم المشقة وقيل ان أهل الجاهلية كانوا يقرضونهم
 من جعل المتجمل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى الاثم عنهما جميعا وذلك
 التخيير وفى الاثم عن المتجمل والمتأخر (لمن اتقى) الله تعالى فى حجه لانه الحاج على الحقيقة
 عند الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
 ولدته أمه (واقفوا لله) فى مجامع أموركم ليعبأ بكم (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فى الآخرة
 فيجازيكم بأعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله) أى يعظم فى نفسك ومنه الشيء العجيب
 الذى يعظم فى النفس وهو الاخفس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه أبى وسى الاخفس
 لانه خفس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 منافقا حلوا المنظر حلوا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف انه مؤمن به ومحبه له ويقول بعلم
 الله انى صادق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذى مجلسه وقوله تعالى (فى الحماة الدنيا)
 متعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله فى أمور الدنيا وأسباب المعاش أو فى معنى الدنيا لان ادعاه
 المحبة بالباطل يطلب به خطا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالآيمان الحقيقى
 والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامة أذا فى الدنيا لا فى الآخرة أو يعجبك قوله
 فى الحماة الدنيا سحلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الدهشة
 والسكرنة أو لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما فى قلبه)
 أنه موافق لكلامة (وهو ألد الخصام) أى شديد الخصومة لك ولا يتابع لعدوته لك وقال الحسن
 ألد الخصام أى كاذب القول وقال قتادة شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم
 بالحكمة ويعمل بالطغيانية وفى الحديث ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم (واذ اتولى)

أى انصرف عنك بعد الاثنية القول وحلاوة المنطق (سبحى) أى مشى (فى الارض ليقسد فيها)
قال ابن جرير بقطع الرحم وسفك دماء المسلمين (وبهك الحث والنسل) وذلك أن الاخنس
كان بينه وبين تقيف خصومة فبيتهم لبلا فاحرق زرعهم وأهلك مواشيهم وقيل واذا كان واليا
فعل ما يفعله ولادة السوء من الفساد فى الأرض باهلاك الحث والنسل وقيل بظهور الظلم حتى يمنع
الله تعالى بشوم ظلمه القطر فيه لك الحث والنسل وحكى الزجاج عن قوم أن الحث النساء والنسل
الاولاد قال وهذا ليس عنك لان المرأة تسمى حراثا أى ويدل له قوله تعالى فاقموا حرككم أنى شئتم
(والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به لان المحبة وهى ميسل القلب محالة فى حق الله تعالى فهى
مستعجلة فى حقه تعالى فى معنى الرضا (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة) أى جلته
الاثنية والحية على العمل (بالاثم) الذى يؤمر باتقائه (خسبه) أى كافيه (جهنم) جزاء وعذابا
وهى علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وسميت بذلك لبعدها عن أصلها من الجهم
وهو الكراهة والغلاظ فالنون زائدة وقيل معرب نقل من العجمة الى العربية وتصرف فيه
وأصله كهنام أبادت الكفى جميعا وأسقطت الالف وقوله تعالى (ولبس المهادر) جواب قسم
مقدروا مخصوص بالذم محذوف العلم به تقديره جهنم والمهاد الفراس (ومن الناس من يشرى
أى يبيع نفسه) أى يذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (بأنفاه
مرضاة الله) أى طلب الرضا وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيبن بن سنان الرومى أخذه
المشركون فى رهط من المؤمنين فعدبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من
غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة وثيقة فأقام
بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فقتلناه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى رجال فقال له أبو
بكر ربيع يبعك أبى يحيى فقال وما ذاك فقال أنزل الله فىك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فعلى هذا
يكون بشرى بمعنى بشرى ليعنى يبيع ويبذل وقيل نزلت فى الزبير والمقداد بن الأسود وذلك
أن كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أن اقداسنا فابعث المينا قرا
من علماء أصحابك يعلون نداءك وكان ذلك مكرامنهم فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو هريرة عشرة ومن جعلتهم خبيد فقتلوه وأسر واخبيبا قال أسره والله ما رأيت أسرا خيرا
من خبيد والله وجدته يوما بأكل قطعا من عنب فى يده وأنه لم يوفى بالحديد وما بعكته من غرة أن
كان الارزق رزقه الله خبيبا ثم أرادوا قتله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل وأرادوا أن يصلبوه
فقال دعونى أصلى وكعتين فتركوه حتى صلاهما ثم قال لولا أخشى أن تحسبوا أن ما بى من جزع
لردت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم انشأ يقول

ولست أبانى حين أقتل مسلما * على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الآله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو بمنزع

ثم صلوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأناحه سلامى ثم قام
عقبه بن الحث فقتله فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال أياكم ينزل خبيبا عن خشبته

وله الجنة فقال الربيراً يا رسول الله وصاحبى المقداد فخر جالس بران بالليل ويكمنان بالنهار حتى
وصلا اليه ليلا واداحول الخشبى أربعون من المشركين نياماً فنزله الزبير وجعله على فرسه وسارا
فاتبعه الكفار فلم يجدهم فأخبروا قرىشا فركب منهم سبعون فلما لحقوه ما قذف الزبير خيما
فاستلعمته الارض فسمى بليع الارض ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام
وأخى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم
وان شئتم أنصرفتم فانصرفوا الى مكة وقد ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة لتبأهى بهذين من أصحابك فنزلت فنهى هذه الآية (والله روف بالعباد)
حيث أرشدكم لمناقبه ورضاه ونزل في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (بأيمانها)
الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أى الاسلام وقوله تعالى (كأنه) حال من السلم لانهم اتوا ثكلاً
توث الحرب كما قال القائل

أباخرشة أما أنت ذا انصر * فأنقذوى لم تأكلهم الضبع
في السلم تأخذ منا ما رضى به * والحرب تكفينا من أنفسها جزع

أى ادخلوا في جميع شرائعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل والألبانها
بعد ما أسلموا فأمر وأن يدخلوا في جميع شرائعه (ولا تتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان)
أى تزينه من تحريم السبت ولحوم الابل والألبانها وقرأ نافع وابن كثير والكسائى السلم بفتح
السين والباء قون بكسر هاو تقدم الكلام في خطوات لابن عامر وقنبل وحفص والكسائى بضم
الطاء (انه لكم عدو بين) ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ملتم عن الدخول في جميعه (من بعد
ما جاءكم بينات) أى الحجج الطاهرة انه حق (فاعلموا ان الله عزيز) لا يجهز شئ عن انتقامه
منكم (حكيم) في صنعه * (تنبيه) قول البيضاوى حكيم لا ينتقم الا بحق تبع فيه الرخصى
وهو مذهب المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بقدر ما يستحقه العاصى ومذهب أهل السنة انه
يقتسم ويعاقب من شاء بما شاء وان كان مطلقا اذ هو متصرف فى ملكه يفعل ما يشاء بن شاء وان
لم يقع منه الانتقام الا بمن أساء وروى أن فارثا قرأ غفور رحيم بدل عزير حكيم فسمعه اعرابى
لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه
قوله تعالى (هل ينظرون) استفهام فى معنى التنبى أى ما ينظرون (الآن) أى أنهم (الله) أى أمره
أو بأسه كقوله تعالى أو يأتى أمر ربك أى عذابه وقوله تعالى فإخاءهم بأسياناً أو بآتيهم الله بيأسه
فخذف المأتنى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزير حكيم (فى ظلال) جمع ظلة وهى مأطك (من
الغمام) أى من السحاب الابيض سمى غماما لانه يغم أى يستروا بما يأتهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة وهى نزول المطر فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث
لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (و) تأتيهم (الملائكة) فانهم
الواسطة فى اتيان أمره أو الاتون على الحقيقة بيأسه قال البغوى والاولى فى هذه الآية وفيما
شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ويكل عملها الى الله تعالى ويعتقد أن الله تعالى منزله عن

سمعت الحوادث وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة انتهى وأما أئمة الخلف فأنهم يقولون
 هذه الآية بنحو ما أولناه وأمثالها بحسب المقام وهو احكم ومذهب السلف اسلم وكان
 مكحول ومالك والليث وأحمد يقولون في هذا وأمثاله أمرها كما جاءت بلا كيف (وقضى
 الأمر) أي تم أمرها لهم وفرغ منهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدقوه وتيقن وقوعه
 (والى الله ترجع الأمور) في الآخرة فيجازيهم وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح التاء
 وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى (سئل) أمر للرسول وأولكل
 أحمدا (بنى إسرائيل) نوبينا (كم آتيناهم) كم استغفاهم معلقة سئل عن المفعول
 الثاني وهي ثانيا مفعولى آتيناهم وعجزها (من آية) أى معجزة (بينة) أى ظاهرة فى الدلالة على
 صدق من جاء بها كقلب العصا حمية وإبراء الأكمة والارض وفلق البحر وانزال المن والسلوى
 فبذلها كفرا (ومن يبدل نعمته الله) أى ما أنعم به عليه من الآيات لانما سبب الهداية
 التى هى أجل النعم كفرا (من بعد ما جاءته) أى وصلته وتمكن من معرفتها (فإن الله شديد
 العقاب) فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة وهى التبديل (زين للذين كفروا الحياة
 الدنيا) أى حسنت فى أعينهم وأشربت محبتهم فى قلوبهم حتى تم الكدوا عليهم وأعرضوا عنها
 والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى إذ ما من شئ الا هو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
 وما خلق الله فيها من الامور الالهية والاشياء الشمية مزين بالعرض واختلف فى سبب نزول هذه
 الآية فقيل نزلت فى مشركى العرب أبى جهل وأصحابه وكانوا يتعمدون بمسبط لهم فى الدنيا من
 المال ويكذبون بالاعداد (ويسخرون من الذين آمنوا) أى يستهزئون بالفقراء من المؤمنين قال
 ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبالا وخبايا وأمثالهم
 وقال قتادة نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه كانوا يتعمدون فى الدنيا ويسخرون من
 ضغفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلبهم
 وقال عطاء نزلت فى رؤساء اليهود بنى قريظة والنضير وقينقاع وسخروا من فقراء المهاجرين
 فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بنى قريظة والنضير بغير قتال (والذين اتقوا) أى الشرك وهم
 هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم فى أعلى عليين وهم فى أسفل السافلين وأحاطهم غالبية
 لحالم لانهم فى كرامة وهم فى هوان أوهم غالبون عليهم متطاولون يضخكون منهم كما يتطاول
 هؤلاء عليهم فى الدنيا وبرون الفضل لهم عليهم فالיום الذين آمنوا من الكفار يضخكون وروى
 عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقت على باب الجنة فرأيت أكثر
 أهلها المساكين ووفقت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجنة محبوبون
 الا من كان منهم من أهل النار فقد أضر به الى النار وروى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر
 رجلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك فى هذا قال رجل من
 أشرف الناس هذا والله حرى أن يخطب أن ينكح وأن شفع أن يشفع قال فسكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم مر رجلا آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك فى هذا فقال بار رسول

الله هذا رجل من فقراء المسلمين - هذا حرقى أى حقيق ان خطب أن لا ينسكح وان شفع ان لا يشفع وان قال أن لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض من مثل هذا (واقه يرزق من يشاء) في الدارين (بغير حساب) أى رزقا واسعا بغير تقدير في الدنيا للكافر اسند راجا كما وسع على قارون وللمؤمن ابتلاء كما وسع على عبد الرحمن بن عوف وفي الاسخرة للمؤمن خاصة تفضلا (كان الناس أمة واحدة) أى متفقين على الحق روى عن أبى العالية عن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم وقال الكنجي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت أم الى مبعث نوح وكان بينهم عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح وقال مجاهد أرا د آدم وحده كان أمة واحدة سمى الواحد بلفظ الجمع لانه أصل النسل وأبو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منها الناس فكانوا مسلمين الى أن قتل قابيل وهابيل فاختلفوا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمة واحدة كافرين كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين عليهم السلام كما قال تعالى (فبعث الله النبيين) أى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة فيما اختلفوا فيه عليه وجملة الانبياء كما رواه الامام أحمد مرفوعا في حديث ورد عن كعب مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسول منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور منهم في القرآن باسمه العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبيا وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح و ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب ويونس ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وذوالقرنين وعزير ولقمان على القول بقبولة الثلاثة (مبشرين) من آمن وأطاع بالجنة (ومنذرين) من كفر وعصى بالنار (وأُنزل معهم الكتاب) المراد به الجنس فهو معنى الكتب لكنه تعالى لم ينزل مع كل واحد كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن له كتاب يخصه وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وقوله تعالى (بالحق) حال من الكتاب أى متلبسا بالحق شاهد به (ليحكم بين الناس) أى الله أوالكتاب أو النبي المبعوث وروح الشان التفتازانى وقال لا بد في عوده الى الله من تكلف المعنى أى ل يظهر حكمه الى النبي من تكلف في اللفظ حيث لم يقل ليحكموا وروح أبو حيان الاول وهو الظاهر قال والمعنى أنه أنزل الكتاب ليفصل به بين الناس ونسبة الحكم الى الكتاب مجاز كما أن اسناد النطق اليه في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق كذلك (فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) أى الدين (الا الذين أووه) أى الكتاب المنزل لازالة الخلاف أى عكسوا الامر فجعلوا ما أنزل من لا للاختلاف سببا لاستحكام الخلاف فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم اليينات) أى الحجج الظاهرة على التوحيد

ومن متعلقة باختلاف وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى (بقيا) من الكافرين (بينهم)
 حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) وقوله تعالى (من الحق)
 بيان لما اختلفوا فيه أي فهدي الله الذين آمنوا الحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأنه) أي
 بأرادته قال ابن زيد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فذهب من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي
 إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهذا الله لا يعبأ باختلافوا في الصيام فهذا أنا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهذا أنا الله
 للجمعة واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهذا أنا
 الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله النصارى الها فهذا أنا الله للحق فيه (والله يهدي من
 يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) هو طريق الحق لا يضل سالكه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
 ولما ياتكم مثل) أي شبه (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من الجن تقصروا كما قصروا
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قتادة نزات في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين
 ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى وبلغت
 الفلوب الحماجر وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد عليهم الأمر
 لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وأثروا رضا الله ورسوله
 وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قومه النفاق فأنزله تعالى هذه
 الآية تطميناً لقلوبهم وقيل نزات في حرب أحد واختلف في معنى أم فقال الفراء الميم صلة
 أي أحسبتم وقال الزجاج هي بمعنى بل أي بل حسبتم ولما يعني لم أي ولم يأثمكم وقوله تعالى
 (مستم البأساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي المرض والجزع جله مستأنفة مبنية لما قبلها
 (وزلزلوا) أي أزعجوا أزعجا شديدأصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا
 معه) لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر (وقى) يأتي (نصر الله) الذي
 وعدناه استطالة لتأخره فأجيبوا من قبل الله (ألا أن نصر الله قريب) آتيته وفي هذا إشارة
 إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات وكبادة الشدائد
 والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام كإرواء الشيطان وغيرهما حقت الجنة بالمكارة
 وحقت النار بالشهوات وفي رواية لهم بحيث أي جعلت المكارة حجابا دون الجنة في خرقه
 دخلها والشهوات حجابا دون النار في اقتحمه دخلها وقرأ نافع يقول بازفع على أنها حكاية حال
 ماضية وفائدتها تصورات تلك الحال العجيبة واستحضار صورته في مشاهدة السامع ليتعجب منها
 وقرأ الباقر بالنصب (يسئلونك) يا محمد (ماذا) أي الذي (ينفقون) به والسائل كما قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنهم ما عروبن الجوح الانصارى وكان شيئا فانيا إذا مال عظيم فقال
 يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزل (قل) لهم (ما تنفق من خير) أي مال
 قلنا كان أو كثيرا (قلوا الذين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي هم أولى به
 سأل عن المنفق فأجيب ببيان المصروف لأنه أهم فأن اعتداد النفقة باعتباره ولأنه كان في سؤال

عرووان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
 (وما تفعلوا من خير) اتفاق وغيره (فإن الله به عليم) فيجازيكم به * (تبينه) * ليس في الآية
 ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل لأن الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للأقربين من الأولاد
 وأولاد الأولاد فالآية محمولة على الانفاق على من ذكر تطوعا وعلى الانفاق على الفقراء من
 الوالدين والأولاد وأولاد الأولاد وذلك ليس بمنسوخ (كتب) أي فرض (عليكم القتال)
 للكفار (وهو كره) أي مكروه (لكم) طمعا للمشقة (وعسى أن تنكروا شيئا وهو خير لكم)
 وهو جميع ما كلفتم به فإنه الموجب لسماع نهيكم ففعل لكم في القتال وإن كرهتموه خير لأن فيه أما
 الظفر والنعمة وأما الشهادة والاجر (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع ما نهى عن
 فإن النفس تحبه وتمناه وهو يهوى بها إلى الردى في ترك القتال وإن أحببتموه شر لأن فيه الذل
 والفقير وحرمان الاجر وانما ذكر عسى لأن النفس إذا راضت بعكس الأمر عليها (والله يعلم)
 ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به (يسألونك) يا محمد (عن الشهر الحرام)
 المحرم روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جادى الآخرة
 قبل قتال بدر شهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة ليرصد غير القرش فيهم عمرو
 ابن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة من تجارة
 الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنون به جادى الآخرة فقاتل قريش قد استحل محمد الشهر
 الحرام الذي يأمن فيه الخائف ويفرق فيه الناس إلى معائشهم فسفك فيه الدماء وأخذ الأسارى
 وغير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم
 فيه وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما أبرح حتى تنزل فبقينا وردد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم النخعة وهي أول غنمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إليه تشنيعا وتعييرا
 وقيل أصحاب السرية قالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب
 فلا ندري أفي رجب أم صباه أم في جادى فأُنزل الله تعالى هذه الآية وأكثرنا قول على أنها
 منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى (قتال فيه) بدل اشتمال من
 الشهر (قل) لهم (قتال فيه كبير) أي عظيم وزرا وقد تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وَصَدَقَ) فهو
 مبتدأ أي منع الناس (عن سبيل الله) أي دينه (وكفر به) أي الله (وَصَدَعَنَ) (المسجد الحرام)
 أي مكة (واخراج أهله منه) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ وما عطف
 عليه (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) مما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام
 خطأ وبناء على الظن ومما تقرّر علم أن المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقول البيضاوي
 ولا يحسن عطفه على سبيل الله لأن عطف قوله تعالى وكفر به على وصدة مانع منه مجاب عنه
 بأن الكفر بالله والصدقة سبيل له متحدان معنى فكانه لا فصل بالاجنبي بين سبيل الله وما عطف
 عليه ويصح أيضا أن يكون معطوفا على الهاء من به اذ يجوز له العطف بدون إعادة الجار كما جرى

عليه ابن مالك وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البضاوى (والفتنة) أى
الشرك منكم (أكبر من القتل) لكم فيه فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أبيس الى
مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فغيروهم أنهم بالكفر واخراج رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة وسعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون) أى الكفار
(يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) الى الكفر فى ذلك اخبار عن دوام
عداوة الكفار لهم وانهم لا يتفككون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعامل لا للغاية كما قيل
لأنه أفسد من حيث ان فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية أى يقاتلونكم حتى يردوكم
وقوله تعالى (ان استطاعوا) فيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تنق
على وهو وانق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت) أى
بطلت (أعمالهم) أى الصالحة (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد
بالموت يفيد أنه لو رجع الى الاسلام لم يطل عمله كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه
خلافاً لأبى حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث قال ان الردة تحبط الاعمال طلقاً لقوله تعالى
ومن يكفر بالايان فته حبط عمله (وأجيب) بأنه محمول على المقيدين بالدين فلا يجب عليه أن
يعيد الحج الذى أتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يطل نوابه كما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى
عنه وان خالف فيه بعض المتأخرين (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة ولما
ظن السرية أنهم ان سلوا من الانتم فلا يحصل لهم أجر أنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين
هاجروا) أى فارقوا عنائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (فى سبيل الله) لاعلاء
دينه وكرسجانه وتعالى الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهم مامسة متقلان فى تحقيق الرجاء
(أولئك يرجون رحمة الله) أى نوابه أثبت لهم الرجاء اشعاراً بان العمل غير موجب ولا قاطع
فى الدلالة سميوا بالعبرة بالخواتيم (والله غفور) للمؤمنين لما فعلوه خطأ وقلة احتياط (رحيم)
بهم بأن يجزل لهم الاجر والثواب (يسئلونك عن الخمر والميسر) روى أنه لما نزل بمكة قوله تعالى
ومن غرات الخيل والاعناب فتخذون منه سكر اوردوا حسناً كان المسلمون يشربونهم وهى
لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة قالوا أفقتنا فى الخمر يا رسول الله فانهم مذهب
للعقل فنزلت هذه الآية فشر بها قوم وتركها آخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
فدعا ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا فحضرت
صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليلى بهم ففقر أفل ياء بها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا الى
آخر السورة بمحذوف لا أنزل الله تعالى ياء الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون فحرم السكر فى أوقات الصلاة فتر كما أقوم وقالوا الا خبر فى شئ يحول بيننا
وبين الصلاة وتر كما أقوم فى أوقات الصلاة وشربوها فى غير وقتها حتى كان الرجل يشرب
بعد صلاة العشاء فيه صبح وقد زال عنه السكر وشرب بعد صلاة الصبح فيه صبحوا اذا جاء وقت
الظهر ثم ان عتيان بن مالك صنع طعاما ودعا رجلاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضى الله

تعالى عنه وقد كان شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اشتدت فيهم ثم افتقروا
عند ذلك واتسبوا وتناشوا الاشعار فأشد سعد قسمة فيها هجاء للانصار ونفر لومه فأخذ
رجل من الانصار الى البعير فضرب به رأس سعد فشججه موشحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكاه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر يا ناسا فيا فنزل انما الخمر
والميسر الى قوله فهل أنتم مستهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا يا رب قال القفال الحكمة
في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان القوم كانوا ألقوا شرب الخمر وكان انتفاءهم به كثيرا فعلم
أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق وسمى عصير
العنب والتمر اذا اشتد وغلا خرا لانه يخمر العقل كما سمي سكر لانه يسكره أى يحجزه وهو حرام
مطلقا وكذا كل ما سكر عندها ككثير العلماء وقال أبو حنيفة تنقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشدت حل شبه ما دون السكر وسمى القمار ميسر لانه أخذ مال الغير بمسر والمعى
يسألونك عن تعاطيها لقوله تعالى (قل) لهم (فيهما) أى فى تعاطيها (ما) اثم كبير أى عظيم المحصل
بسيما من المخاصمة والمشاغرة وقول الفعش وقرأ جزءة والكسائي البناء المثلثة والباقون بالباء
الموحدة (ومنافع للناس) بالذات والفرج ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان ونوفور المرأة
وتقوية الطبيعة في الخمر واصابة المال بلا كد في الميسر (وأعتهما) أى ما ينشأ عنهما من
المفاسد (أ كبر) أى أعظم (من فنعهما) المتوقع منهما ولذا قيل ان هذا هو المحرم للضعفان
المفسدة اذا تزججت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والظاهر أن المحرم لها آية المائة كما مر
(ويستلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة
فقالوا ماذا تنفق فقال الله تعالى (قل) لهم (العفو) قرأ أبو عمرو ورفعه الواو بتدويره والباقون
بنصبها بتدوير تنفقوا واختلفوا في معنى العفو وهو تنقيص الجهد فقل ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستقراغ الوسع كما قال الشاعر

خذى العفو منى تستدعى مودتى * ولا تنطق في سورتي حين أغضب

وسورة الغضب شدة وحدته وقال قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت
الاحتاجة رضى الله تعالى عنهم يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم
هذه الآية وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى روى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ببضه من ذهب أصابها في بعض الغنائم فقال خذها منى صدقة فأعرض عنه صلى الله عليه
وسلم حتى كثر مرارا فقال هاتها مغضبا فأخذها فخذفها أخذ فلو أصابه لشججه ثم قال يأتي
أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يسكره الناس انما الصدقة عن ظهر غنى والبدد العلماء
خير من البدد السفلى وأبدأ بنقول قال ابن الاثير والظاهر قدر زاد في مثل هذا الشبا على الكلام
وتمكننا كأن صدقة مستندة الى ظهر قوى من المال وقال عرو بن دينار الوسط من غير
اسراف ولا اقتسار كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
(كذلك) كما بين لكم ما ذكر (يسين الله لكم الآيات) قال الزجاج انما قال كذلك على

الواحد وهو مخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قيل كذلك أيها القبيل وقيل
 هو خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأن خطابه يشغل على خطاب الأئمة كقوله تعالى يا أيها النبي
 إذا طلقتم النساء (لعلكم تتفكرون) في زوال (الدنيا) وبقائها فتزهدوا فيها (و) في اقبال
 (الآخرة) وبقائها فتزهدوا فيها (ويستولون) يا محمد (عن النبأ) وقد مر أنهم جمع بين
 وان اليتيم طفل لأب له قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما نزل قوله تعالى ولا تفر بآمال
 اليتيم إلا بالتي هي أحسن - وقوله ان الذين يأكلون أموال النباي ظلماً الآية تخرج المسلمون
 من أموال النباي تحت جاشديد افان واكلوهم يأثموا وان عزلوا ما لهم من مالهم وصنعوا لهم
 طعاما وحدهم فخرج فاشدة ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأ نزل الله تعالى
 (قل اصلاح لهم) أي النباي في أموالهم بنعيمها ومداخلهم معهم (خير) من مجانبتهم
 (وان تخالطوهم) أي تخلطوا بفقهم بنفقتكم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم في الدين ومن
 شأن الاخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك وقيل المراد بالخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد)
 لا موالمهم بخالطته (من المصلح) بما فيجازي كالأمنه ما في ذلك وعيدو وعدلن خالطهم لافساد
 واصلاح (ولو شاء الله لعنتكم) أي اصبق عليكم بغيرم الخالطة وما أباح لكم مخالطهم
 وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كنتم في كل شئ ما يشق عليكم (ان الله عزيز) غالب
 على أمره بقدر على الاعنات وغيره (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة
 (ولا تنكحوا) أي لا تتزوجوا أيها المسلمون (المشركات) أي الكافرات (حتى يؤمنن) روى
 أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين
 سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عنقا وكانت خليلته في الجاهلية فأنته وقالت
 يا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك اعناق ان الاسلام قد حال بيننا وبينك فقالت هل لك أن تزوج
 بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع اليه قال يا رسول الله أبجل لي
 أن أتزوج بها فأ نزلت هذه الآية هذا ما أورده الواحد وغيره ولكن الذي رواه أبو داود
 وغيره انه سبب في نزول آية النور الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة الآية والآية وان كانت
 شاملة للكليات لكنهم مخصوصة بغيرهن بقوله والمحصات من الذين أولوا الكتاب وقد تزوج
 عثمان بنصرانية فأسلمت وتزوج حذيفة يهودية وطلمة بن عبيد الله بنصرانية (فان قيل)
 كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكح الابنوة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن بن
 فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله ومن يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك الله غير الله
 انتهى وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
 عما يشركون (ولامة مؤمنة خير من) أي من حرة (مشركة ولو أعجبتكم) لجمالها وما لها
 نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملا
 الاعلى على سوادك ودمايت فأعقها وتزوج بها وقال السدي نزلت في عبيد الله بن رواحة
 كان له أمة فأعقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت نكح أمة وعرضوا عليه

حرمة مشركة فأُنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تشكوا المشركين حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومها بجماع (ولعبد مؤمن خير من) أى من حر
(مشرك ولو أعجبكم) لِماله وجهه وقيل المراد بالامة والعبد المرأة والرجل حرين كانا
أورقيقين لأن الناس عبيد الله وأماؤه (أو لئنك) أى أهل الشرك (يَدْعُونَ إلى النار) أى إلى
الكفر المؤدى إلى النار فلا تليق مصاهرهم وموالاتهم (وَالله يَدْعُو) أى أوليائه المؤمنون
لِيُخَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تَفْخِيمًا لِمَا شَأْنُهُمْ أُوْدِعُو عَلَى لِسَانِ رَسَلِهِ وَهَذَا كَمَا قَالَ
أَبُو حِيَّانٍ أُبْلِغَ فِي التَّبَاعِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَجْرًا لِلْقَطْعِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَالْأَوَّلُ ذِكْرُ طَلَبِ الْمَعَادِلَةِ بَيْنَ
الْمُشْرِكِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ (إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهَا فَهَمَّ الْأَحْقَامُ بِالْمُؤَاوَلَةِ
(بِأَذْنِهِ) أى بِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاهُ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ أَوْ بِقَضَائِهِ وَارَادَتُهُ عَلَى التَّفْسِيرِ الثَّانِي فَتَجِبَ
أَجَابَتُهُ بِتَرْجِيحِ أَوْلِيَائِهِ (وَيُبَيِّنُ) أى اللَّهُ (آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أى لِكَيْ يَتَذَكَّرُوا
فِيَعْظُوا (وَيَسْأَلُونَكَ) بِأَمْرٍ (عَنِ الْخَمِيضِ) أى الْخَمِيضُ أَوْ مَكَانُهُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالنِّسَاءِ فِيهِ رَوَى
أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا سَاءَ كَمُوا الْخَمِيضَ وَلَمْ يَبْرَأُوا كُلَّ وَحْدَةٍ كَفَعَلِ الْيَهُودِ فَإِنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ
إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ أَخْرَجُوا هَامِنَ الْبَيْتِ وَلَمْ يَبْرَأُوا كُلَّهَا وَلَمْ يَبْرَأُوا كُلَّهَا وَلَمْ يَبْرَأُوا كُلَّهَا
وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ أَبُو الدَّحْدَاحُ فِي نَفَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
(قُلْ لَهُمْ) (هُوَ) أى الْخَمِيضُ أَوْ مَكَانُهُ (أَذَى) قَدْ رَأَى وَمَحَلُّهُ قَدْ رَأَى (فَإِنْ قِيلَ) (لِمَاذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى يَسْأَلُونَكَ
بِغَيْرِ وَائِلَاتِهِمْ هَائِلَاتُنَا) (أَجِيبْ) بِأَنَّ السُّؤَالَاتِ الْأَوَّلَ كَانَتْ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَالسَّلَاةُ
الْآخِرَةُ كَانَتْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَذَلِكَ ذِكْرُهَا بِجُحُوفِ الْجَمْعِ وَهُوَ وَالْعُطْفُ وَهُوَ الْجَمْعُ فِي الْحَكْمِ
لَا الرِّبَانَ (وَاعْتَرَضَ) هَذَا الْجَوَابُ بِأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ تَدْخُلَ الْوَأَعِلَى اثْنَيْنِ مِنَ الثَّلَاثَةِ
الْآخِرَةِ لِأَنَّ الْعُطْفَ يَكُونُ فِي الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ مِنْهَا (وَأَجِيبْ) بِأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ
فَأَجِيبُوا بِمَصْرِفِ النِّفْقَةِ أَعَادُوا سَوَاءَ هَلَمْ بِالْوَأَعِلَى مَا يَفْعَلُونَ فَأَجِيبُوا بِالْعُطْفِ وَلَمَّا كَانَ السُّؤَالُ
الثَّانِي عَنْ مَخَالَطَةِ الْبِتَامِيِّ فِي النِّفْقَةِ وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَا قَبْلَهُ عُطْفُ بِالْوَأَعِلَى وَلَمَّا كَانَ الثَّلَاثُ سَوَاءً
عَنْ اعْتِزَالِ الْخَمِيضِ كَمَا تَعْتَزَلُ الْبِتَامِيُّ فَمُنَاسِبٌ مَا قَبْلَهُ فِي الْاعْتِزَالِ عُطْفُ بِالْوَأَعِلَى وَلَا كَذَلِكَ
الثَّلَاثَةُ الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ لَا تَعْلُقُ بَيْنَهَا (فَاعْتَرِضُوا لِلنِّسَاءِ) أى أَمَّا كَوَاوِطُهُنَّ (فِي الْخَمِيضِ) أى وَقْتَهُ
أَوْ مَكَانَهُ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَقْتَصَادِيُّ أَفْرَاطُ الْيَهُودِ وَتَفْرِيطُ النَّصَارَى فَانْهَمَ كَمَا وَجِبَاصُ عَوْنِهِ
وَلَا يَسْأَلُونَ بِالْخَمِيضِ وَمَا اسْتَدَلَّ بِهِ الْبَيْضَاوِيُّ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَرْتَمًا أَنْ تَعْتَزَلُوا
بِجَمَاعَتِهِنَّ إِذَا حَضْنَ وَلَمْ تَأْمُرْكُمْ بِأَخْرَاجِهِنَّ مِنَ الْبُيُوتِ كَفَعَلِ الْأَعَاجِمِ قَالَ شَيْخُنَا الْقَاضِي
ذَكَرَ بِالْمُؤَرِّهِ هَذَا اللَّفْظُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ لِغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ) أى بِالْجَمَاعِ (حَتَّى
يَطْهَرْنَ) تَأْكِيدٌ لِلْحَكْمِ وَبَيَانٌ لِفَاقِيَتِهِ وَهُوَ أَنْ يَغْتَسِلَ بَعْدَ الْانْقِطَاعِ وَيَدُلَّ عَلَيْهِ صِرَاحُ قِرَاءَةِ
شُعْبَةٍ وَحِزْمَةٍ وَالنِّسَاءُ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْهَاءِ أَيْ يَطْهَرْنَ بِمَعْنَى يَغْتَسِلْنَ وَالْبَاقُونَ بِسُكُونِ
الطَّاءِ وَضَمِّ الْهَاءِ مُحَقَّقَةٌ وَالتَّزَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَإِذَا انْطَهَرْنَ فَأَنْوَهُنَّ) أى الْجَمَاعَ فَإِنَّهُ يَقْتَضِي تَأْخِرَ
جَوَازِ الْإِسْبَانِ عَنِ الْغَسْلِ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِنَّ طَهْرَتَ لَا كَثْرَةَ الْخَمِيضِ وَهُوَ

عنده عشرة أيام جازقربانهم اقبل الغسل (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعتدوه الى غيره أما الملامسة فيما عهد اما بين السرة والركبة والصاحجة معها اقبل الغسل ولو قبل انقطاع الحيض جاز قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان يأمرني صلى الله عليه وسلم فأنزرفيا شرفي وأنا حائض وكان يخرج رأسه الى وهو معتكف فاغسله وأنا حائض وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت حضرت وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخيلة فأنزلت فخرجت منها فأخذت ثياب حيصتي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخيلة (أن الله يحب) أي يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) أي المتزهرين عن الفواحش والافتاد كجماعة الحائض والاتبان في غير القبل (نسأوكم حرث لكم) أي مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات (فأنوا حرمكم) أي محله وهو القبل (أني) أي كيف (شتمت) من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار روى الشيطان ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها أي من خلفها في قبلها جاء ولدها حول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وقدموا لأنفسكم) من الاعمال الصالحة كالسجدة عند الجماع وطلب الولد أي ما يدخلكم من الثواب (واقفوا لله) في أمره ونهيهِ (واعلموا أنكم ملاقوه) بالبعث فتزودوا مالا تفتضون به فانه يحازيكم بأعمالكم (وبشروا المؤمنين) بالكرامة والتعظيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصهم ويبشر من صدقه وامثل أمرهم وقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف أن لا يتفق على مسطح حين خاض في حديث الافك لا فتراته على عائشة رضي الله تعالى عنها أوفى عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم خنثى أي نوح أخته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته فالعرضة كل ما يعرض فنجع عن الشيء أي لا تجعلوا الحلف سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعي أحدكم الى صلته زعم أو بر فمقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعمل بينه في ترك البر كَمَا قال تعالى (أن تبروا) أي مخافة أن لا تبروا فهو في موضع نصب منفعل من أجله وعند الكوفيين ثلاث تبروا كقوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أي لا تضلوا وقال أبو اسحق في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف أي أن تبروا وتوقوا خير لكم وقيل التقدير في أن تبروا فلما حذف حرف الجر نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فتسكروا العين على ذلك ويسن فيه الحنف ويكفر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بين فرأى غيرها خيرا منها فليذكر عن يمينه ويفعل الذي هو خير بخلافه على فعل البر وتحوه فهي طاعة (والله سميع) لا قوالكم (عليهم) باحوالكم (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) واللغو كل مطروح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في اللغو بين المذكور وفي الآية فقال قوم هو ما سبق الى اللسان على بجملة لصله كلام من غير عقد ولا قصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لغوا العين كقول الانسان

لا والله وبلى والله ورفعهم بعضهم وبهذا قال الشافعي رضي الله عنه وقال قوم هو أن يحلف على
 شيء يرى أنه صادق ثم يتبين أنه خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال زيد بن أسلم هو
 دعاء الرجل على نفسه كقول الإنسان أعني الله بصرى أذالم أفعل كذا وكذا فهذا الغول لا يؤخذ
 الله به قال تعالى ويدعوا الإنسان بالشتر دعاهم بالخبر وقال تعالى ولو يجعل الله للناس الشتر
 استبحوا لهم بالخبر لقضى اليهم أجلهم (ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) أي قصد منه من الأيمان
 إذا حنثتم (والله غفور) حيث لم يؤخذكم باللغو (حليم) حيث لم يجعل بالمؤاخاة على عين الجسد
 ترصا للتوبة * (تنبيه) * العبد لا يعتقد إلا بالله العظيم أو باسم من أسمائه أو وصفة من صفاته
 فالعين بالله كأن يقول والذي أعبدوه والذي نفسى بيده وبأسمائه كأن يقول والله والرحمن
 وبصفاته كأن يقول وعزة الله وعظمته الله وجلال الله فإذا حلف بشيء من ذلك على أمر مستقبل
 ثم حنث وجبت عليه الكفارة وسبأ في بيانها أن شاء الله تعالى في سورة المائدة وإذا حلف على
 أمر ماض أنه كان ولم يكن وهو عالم به حالة ما حلف فهي العين الغموس وهي من الكفار ويجب
 بها الكفارة كما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال بعض العلماء لا كفارة فيها كما كثر
 الكفار وأما الحلف بغير ما ذكر كالخلف بالكعبة وبيت الله ونبي الله وأبيه وفخوه فلا يكون
 يمينا ولا تجب به الكفارة إذا حنث وهو عيّن مكرهه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه عمر
 وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ينهاكم أن تحلفوا
 بأبائكم فمن كان حالفا فيحلف بالله أو يصمت (للذين يؤولون من نسائهم) أي يحلفون أن
 لا يجامعوهن ولا يلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بن قال
 قتادة كان الإيلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرر أهل الجاهلية
 كان الرجل لا يحب المرأة ولا يريد أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها أبدا للأبنا
 ولأذا تاملت وكافوا عليه في ابتداء الإسلام فضرّب الله لهم أجلا في الإسلام كما قال تعالى (تربص)
 أي انتظر (أربعة أشهر) أي للمولى حق التثبت في هذه المدة فلا يطالب بفسخه ولا طلاق ولذا قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر وبؤيده (فإن قاروا) أي رجعوا
 في المدة أو بعد دأعن العين إلى الوطء لأن الفسخ وعزم الطلاق مشروعان عقب الإيلاء وحصول
 التربص فلا بد أن يكون مدخول الفاء واقعا بعدهما (فإن الله غفور) لهم ما توه من ضرر المرأة
 بالحلف (رحيم) بهم (وإن عزموا الطلاق) أي صمموا عليه بأن لم يقبوا فليوقعوه (فإن الله
 سميع) لقولهم (عليم) بعزمهم أي ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفسخ أو الطلاق ففيه دليل
 على أنها لا تطلق بعد مدعى المدة ما لم يطلعهما زوجها لانه شرط فيه العزم وقال فإن الله سميع
 فدل على أنه يقتضى مسهوا والقول هو الذي يسمع وقال بعض العلماء إذا مضت أربعة أشهر وقع
 عليه طلقة بآنة وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليه
 طلقة واحدة رجعية ولو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى لاهل حلفا إذا
 وطئها قبل مضي ثلث المدة وجبت عليه كفارة عيّن أن كان الحلف بالله ولا يختص بالإيلاء بالحلف

بالله تعالى فلو قال الزوجته ان وطئتك فعبدي حر او ضرتك طالق أو قلته على عتق رقبة أو صوم
 أو صلاة فهو مولى لان المولى من يلزمه أمر يتخضع بسببه من الوطء (والمطلقات يتربصن) ينتظرن
 (بأنفسهن) عن النكاح (ثلاثة قروء) تمضي من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وضمها
 وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام كإرواه أبو داود وغيره دعى الصلاة أيام أقرئت
 وللطهر الفاصل بين حيضتين وهو المراتب في الآية لانه الدال على برائة الرحم لا الحيض كما قال به
 بعض العلماء لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
 في الحيض وأما ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الأمة
 تطليقتان وعدتهن حيضتان فلا يقيم ما رواه البخاري في قصة ابن عمر مرفيا جعها ثم لمسه كما
 حتى يظهر ثم تحيض ثم يظهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل أن يمسه فذلك العدة التي أمر الله
 تعالى ان تطلق لها النساء أي بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن (فان قيل) ما معنى ذكر
 الانفس فهلا قيل يتربصن ثلاثة قروء (أجيب) بأن في ذكر الانفس تمهيدا ليجالهن على التربص
 وزيادة بعث لان فيه ما يستمكن منه فيحصلهن على أن يتربصن وذلك أن نفس النساء طوامح
 أي توافر الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبن على الطاموح ويجبرهن على التربص
 وكان القياس في جمع قرء ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون في ذلك
 فيستعملون كل واحد من البناء من مكان الآخر ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هي الا نفوس
 كثيرة قال البيضاوي ولعل الحكم لمائة المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
 بناء الكثرة وجوب ذلك في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة لهن لقوله تعالى وان طلقوهن
 من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وفي غير الآية والصغيرة فعدهن ثلاثة
 اشهر والحوامل فعدهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والاماء فعدهن قرآن بالسنة
 (ولا يحل لهن أن يكتبن ما خلق الله في أرحامهن) من الولدان كانت حائلا ومن الحيض ان
 كانت حائضا (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) قال البيضاوي ليس المراد تقييد نفى الحبل
 بإيمانهن بل التسمية على أنه ينافي الايمان أي كآله وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينه عن له أن
 يفعل (وبعولتهن) أي أزواجه المطلقات والبعولة جمع بعل والنساء لاحقة لتأنيث الجمع
 كالعومومة والخلوة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به مبالغة
 كما في رجل عدل أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن (أحق برذهن) أي بما رجعتهن
 (في ذلك) أي في زمن التربص (فان قيل) كيف جعلوا أحق بالرجعة فكان للنساء محققا فيها
 (أجيب) بأن أفعالهنها بمعنى الفاعل فان غير البعل لاحق له في الرد فكانه قيل وبعولتهن
 حقيقة برذهن وقيل انه على بابة للتعديل أي أحق منهن بأنفسهن لو أبين الرد أو من آبائهن
 ويسمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك (أن أرادوا) أي
 البعولة (اصلاحا) بالرجعة لاضرار المرأة وليس المراد من هذا الشرط قصد الاصلاح للرجعة
 بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرر والصارف عن اعتباره فهو هذا الشرط الاجماع

(ولهن) على الأزواج (مثل الذي) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا من حسن العشرة وترك الضرر ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في معنى ذلك اني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب أن تزين لي لهذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم (فان قيل) ما المراد بالماله (أجيب) بأن المراد أن لهن حقوقا على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليهن الا في الجففس اذ ليس الواجب على كل منهما من جففس ماوجب على الآخر فلو غلبت ثيابه أو خبزت له لم يلزمه أن يفعل مثل ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال (ولرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لأن المرأة تنال من الرجل من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها ولان حقوقهم في أنفسهم بالوطء والتمتع وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر وقيل بصلاحيته للامانة والقضاء والشهادة وقيل بالجهاد وقيل بالبراث وقيل بالدية وقيل بالعقل (والله عزير) في ملكه قادر على الانتقام من خالف الاحكام (حكيم) في عباد بره خلقه بشرعها لحكم ومصلح (الطلاق) أي التطلق كالسلام يعني التسليم اي الذي يراجع به (مرتنان) أي اثنتان روى عن عرو بن الزبير قال كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امرأته فاذا اقربت انقضاه عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها بقصد مضارتها فترت هذه الآية وروى ابو داود وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم أو تسريح بإحسان (فأمسالك) أي فعلكم امسا كهن اذا راجعتموهن بعد الطلقة الثانية (معروف) وهو كل ما يعرف في الشرع من أدام حقوق النكاح وحسن العشرة (أو تسريح بإحسان) بالطلقة الثالثة أو بأن لا راجعها حتى تبين منه * (تنبيه) * اختلف العلماء فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب الاكثر ومنهم الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالمرتنة ثلاث على زوجته الامة ثلاث طلاقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقين وذهب الاقل ومنهم أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الى ان الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة فبطلان العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحرة على زوجها الامة الا طلقين (ولا يحل لكم) أيها الأزواج (أن تأخذوا مما يتيقوهن) من المهور (شيئا) اذا طلقتموهن روى أنها نزلت في جيلة أخت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته الى أبيها فضال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة ان لاتزال رافعة يدها تشكوز زوجها فلما رأته أبها لم يشكها رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل خلفه فجاء فقال له مالك ولاهلك فقال والذي بعث بالحق نبيا ما لي وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولين فقالت هو مني أكرم الناس جبال زوجته ولكن لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله لا أعيبه في دين ولا خلق ولكن أكره الكفر في الاسلام ما أطيعه بغضا أي أكره ان أقت عنده ان أقع فيما يقتضي الكفر بغضايه ويحتمل أن تريد كقران العشرة اني رفعت

جانب الجاهل فرائيه أقل في عدة فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهها فقال ثابت
 قد أعطيتها حديقة فقل لها فلتزدها على وأخلى سبيلها فقال لها تزدن عليه حديقته وتلكين
 أمر لثالثات نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل
 وفي رواية أقبل الحديقة وطلقتها تطليقة (الآن بخافا) أي الزوجان (أن لا يقيم أحدهما الله)
 أي لا يأتيا بما حصدت لهما من الحق وقرا حزة يجافا بضم الياء بالبناء للامعة قول فان مع صلتهما بدل
 اشتمال من الضمير في يخافا والباقون بقصصها بالبناء للفاعل (فان خفست) أيها الائمة والحكام
 (أن لا يقيم أحدهما الله) أي ما حصدت من الاحكام (فلا جناح عليهم ما فيما اقتدت به) نفسها من
 المال ليطلقها أي لا يخرج على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله وهذا هو الاصل والا
 فيصور زعلي عرض وان لم يخافا * (تنبيه) * علم مما تقر بأن الخطاب في الاول للزوجين ومانيا
 للامة والحكام ونحو ذلك غير عز يزفي القرآن وغيره ويجوز أن يكون الخطاب كله للامة
 والحكام ولا ينافي ذلك قوله تعالى ان تأخذوا بما آتيتوهن شيئا لانهم الذين يأمرن بالآخذ
 والاياء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون (تلك) أي الاحكام المذكورة
 (حدود الله) وهي ما منع الشرع من المجاوزة عنه (فلا تعتدوها) أي فلا تعتدوها بالماثلة
 وقوله تعالى (ومن يعتد حدود الله فأولئك هم الظالمون) تعقيب للنهي بالوعيد بمبالغة
 في التهديد * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا يجمع
 ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كبروا البهقي أيما
 امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس أي ضرر فإمرأته الجنة وما روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لبيته أتردين عليه حديقته فقالت أردتها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
 أمأ الزائد فلا تجبهوا واستكروها الخلع ولكن نفذوه فان المنع من العقد لا يدل على فساد وانه
 يصح بلفظ المفاداة فانه ساء اقتداء (فان طلقها) أي الزوج بعد الثنين (فلا تفعل لمن بعد) أي
 بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) أي تزوج (زوجا غيره) أي المطلق والنكاح يتناول العقد
 والوطء وتعلق بظاهر الآية من اقتصر على العقد كإبن المسيب والجمهور على أنه لا بد من
 الاصابة لما روى الشيخان ان امرأة رفاعه قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعه
 طلقني وان عبد الرحمن بن الزبير أي بفتح الزاي وكسر الباء تزوجني وانما معه مثل هدية الثوب
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتردين أن ترجعي الى رفاعه لاحق تذوق عسيلة
 ويذوق عسيلتك فالأية مطلقة قبلتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
 مستفادا من لفظ الزوج والعسيلة بخارج عن قليل الجماع اذ يكفي قليل اقتدار شهت تلك اللذة
 بالعدل وصغرت وطلقتها اليها لان الغالب على العدل التأييد فانه الجوهرى وروى انها
 لبست ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان زوجي قد مسني فقال
 لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت في قولك الاول فلن أصدقك في الاخر فلبست حتى قبض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبابكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول

فان زوجي الآخر سني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 اتينيه وقال لك ما قال فلا تزجي اليه فلما قبض أبو بكر أنت حمر وقالت له مثل ذلك فقال لها
 عمر لن رجعت اليه لا برجلك والحكمة في التحلل الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى
 المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه أبو حنيفة رضي
 الله تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه
 الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا أوفى بحلل ولا بحلل له الا رجعتما
 * (تنبيه) * شملت الآية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الاثمة ثلاثا ثم ملكها فانه لا يحل له
 أن يطأها ملك البين حتى تنكح زوجا غيره (فان طلقها) الزوج الثاني بعدما أصابها (فلا جناح
 عليهما) أي المرأة والزوج الأول (أن يترجعا) الى النكاح بعد عقد جديد بعد انقضاء العدة
 (ان ظنا) أي ان كان في ظنهما (أن يعا حادوا الله) أي ما حده الله وشعره من حقوق الزوجة
 هذا هو الاصل والافهول ليس بشرط الجواز ولم يقل ان علما أنهم ما يقيمان لان اليقين مغيب
 عنهما لا يعلمه الا الله قال في الكشف ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وههم من طريق اللفظ
 والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
 يظن ظنا (ولك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله بينتها القوم يعلمون) أي يدبرون ما أمرهم
 الله تعالى به ويفهمونه ويعملونه بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي قارب
 انقضاء عدتهن ولم يرد انقضاء العدة حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها
 فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد ذلك فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء
 العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها (فامسكوهن) بان
 تراجعوهن (بغير وف) من غير ضرار وقيل بأن يشهد على رجعتها وان تراجعها بالقول بالبلوط
 (أو تركوهن بغير وف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أملاك بأنفسهن
 (ولا تمسكوهن) بالرجعة وقوله تعالى (ضرارا) مفعول له (لتعضلوا) أي لا تقصدوا بالمراجعة
 المضارة بتطويل الحبس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته
 حتى اذا قرب انقضاء عدتها تراجعها ثم طلقها بقصد مضارتها (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)
 أي أضر بها بتعرضها الى عذاب الله وقرأ أبو الحارث الليث بادغام اللام من يفعل في المذال حيث
 جاءوا بالباقون بالاطهار (ولا تقضوا آيات الله هزوا) أي مهزوا بها بخالفها لان كل من خالف
 أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب
 فنزلت وروى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدتهن جد وهزلهن جد الطلاق
 والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) التي من جعلها الاسلام والايمان وبعثة النبي صلى
 الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة أفرد ههنا بالذكر
 اظهار الشرف فها ذكرها مقابلة بالشكر والقيام بحقوقها (يعظكم به) أي بما أنزل عليكم ليدعركم
 به الى دينه (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء في ذلك تأكيدهم بدينه (واذا

طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) أى تمنعهن من (أن ينكحن
 أزواجهن) أى المطلقين لهن وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سباق الكلامين أى
 وهما أمسكوهن الخ وفلا تعضلوهن على افتراق البلوغين فالمراد بالاول المقاربة والثاني
 الوصول كما تنقروا العضل الحبس والتضييق ومن العضل به هذا المعنى عضلت الدجاجة اذا
 عقلت يضنتها فلم تخرج (فائدة) وسعت التاء في نعمت بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي بالهااء ويعملها الكسائي في الوقف ووقف الباقون بالتاء على الرسم والمخاطب بذلك
 الاولياء لما روى أنهم انزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي
 الآية دليل على أن المرأة لا تزوج نفسها اذ لو عصى كفت منه لم يكن لعضل الولي فائدة
 ولا يعارض ذلك باسناد النكاح اليهن لانه انما أسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقيل
 الخطاب للاولياء والازواج وقيل للناس كلهم أى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد بينهم
 وهم راضون به كانوا كالغاملين له وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم) أى الازواج والنساء طرف
 لان ينكحن أو لا تعضلوهن وقوله تعالى (بالمعروف) أى بما يعرفه الشرع ويستحسنه من
 كونه بعد حلال حال من ضمير تراضوا أو مصفة مصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف
 وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كف غير منهي عنه (ذلك) أى النهي عن العضل
 (بوعظبه من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظأ والمتعظبه (فان قيل) لمن الخطاب
 في قوله ذلك بوعظبه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد كما
 في قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فوهوه (ذلكم) أى ترك العضل (أركي) أى انفع
 (لكم وأطهر) لكم ولهن من دنس الاثم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة
 بينهما (والله يعلم) ما فيه المصلحة (وأنتم لاتعلمون) ذلك لقصور علمكم وقوله تعالى (والوالدان
 يرضعن أولادهن) خبر يعنى الامر بكفوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن وهو امر استحباب
 لا امر اجباب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة
 الطلاق فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن فان رغبتم الاتم في الارضاع فهى أولى من غيرها
 أما اذا لم يوجد من يرضعه فيجب عليها ارضاعه والوالدان يرضعن المطلقات وغيرهن وقيل يختص
 بالمطلقات اذ الكلام فيهن (حولين) أى عامين (كاملين) مئة مائة وكذا في قوله تعالى تلك عشرة
 كاملة لان العرب قد تسمى بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً كما قال الله تعالى الحج أشهر
 معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث وقال تعالى في نحل في يومين فلاثم عليه وانما
 يتجمل في يوم وبعض يوم وقال قتادة فرض الله على الوالدان ارضاع حولين كاملين ثم أنزل
 التخفيف فقال (من أراد أن يرضع الرضاعة) أى هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حدة
 مجدود انما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولودة) أى الوالد (رزقهن)
 أى اطعام الوالدات (وكسوتهن) أجرة لهن على الارضاع اذا كن مطلقات واختلف
 في استنجار الام للارضاع فجوزها الشافعي ومنعه أبو حنيفة مادامت زوجة أو معتقة نكاح

(فان قيل) لم قال تعالى المولود له دون الوالد (أجيب) بأنه تعالى انما ذكر ذلك ليعلم أن
الوالدات انما ولدن لهم لأن الاولاد لا يأمرون بذلك يتسبون اليهم لا الى الاتهام وأنشد لها مومن
ابن الرشيد

فانما أتهمت الناس أوعية * مستودعات ولاد بآبائنا

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم الا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم
يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازع عن والده
شيأ وقوله تعالى (بالمعروف) يفسره ما يعقبه وهو قوله تعالى (لا تكلف نفس الا وسعها) أي
طاقاتها فلا يكلف واحد منها ما ليس في وسعه (لأضار والدته بولدها) أي بسببه بأن تكرمه على
أرضاعه أو تكلف فوق طاقتها (ولا يضار) (مولوده بولده) أي بسببه بأن يكلف فوق طاقتها
وأضافة الولد الى كل منهما للاستعفاف وللتبعية على أن الولد حقيق بأن يتبعه فاعلى
استصلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وقضاربضم الراء بدل من قوله لا تكلف والباقون بقضها
(وعلى الوارث) أي وارث الاب وهو الولد أي على الولي في مال الولد (مثل ذلك) أي الذي كان
على الاب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل هو وارث الولد الذي لومات الولد لورثته وقيل الباقي
من الابوين أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا يا سمعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث
أي الباقي منا والمعنى واجعل كلامهما في لزومه لنا مدة الحياة كأنه باق بعد الموت (فان أرادنا)
أي الوالدان (فصلا) أي فطاماهما صادر (عن تراض) أي اتفاق (منهما ونشاور) بينهما فقتلهم
مصلحة الولد فيه (فلا جناح عليهما) في ذلك زاد على الحولين أنقص وهذه توسعة بعد التصديد
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حذرا أن يقدم أحدهما على ما يضربه لغرض أو غيره
(وان أردتم) خطاب للوالد ليا (ان تسترضعوا) مرضع غير الوالدات (أو لادكم) يقال
أرضعت المرأة الطفل واسترضعته أي اهتذف المفعول الاول للاستغناء عنه كما يقال استجبت
الحاجة ولا تدكر من استجبهته وكذلك حكم كل مفعولين يكون أحدهما عبارة عن الاول هذا
ما جرى عليه النحسرى من أن استرضع يتعدى لمفعولين بنفسه والجمهور على أنه انما يتعدى الى
الثاني بحرف الجر وتقديره هنا لاولادكم (فلا جناح عليكم) في ذلك (إذا سلمتم) اليهن (ما آتينتم)
أي أردتم آتيانهن من الاجرة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وانما قدر
ذلك لان ما تحقق آتائه لا يتصور تسليمه في المستقبل وقوله تعالى (بالمعروف) مله سلم أي
بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لاولد ما هو الاولى والاصح للطفل وقرأ ابن كثير بقصر همزة
آتينتم من أي اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ما تبا أي مفعولا والباقون
بالمد وهم على مرضعهم وقوله تعالى (واتقوا الله) (مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الاطفال
والمرضع ثم حثهم على ذلك وهددهم بقوله تعالى (واعلموا ان الله جاعلهم بصير) لا يخفى عليه
شيئ منه (والذين يتوفون) أي يموتون (منكم ويذرون) أي يتركون (أنزوا جابتهم) (من)

أى يتقنن (بأنفسهن) وهو خبر بمعنى الامر وهو أمر إيجاب أى يجب عليهن ان يتربصن
بعدهم عن النكاح (أربعة أشهر وعشرا) أى عشرة أيام وكان القياس تذكير العدد بأن
يؤتى فيه بالتاء ولكن لما حذف المعدود جازمه ذلك كما فى قوله تعالى ان لبنتم الاعشر انتم ان
لبنتم الا يوما لأن قوله فى سورة طه ان لبنتم الا يوما بعد قوله ان لبنتم الاعشر ايدل على ان المراد
بالعشر الايام وان ذكر بمبادل على اليساى لانهم اختلفوا فى مدة اللبث فقال بعضهم عشر
وبعضهم يوم فدل على ان المقابل باليوم انما هو أيام الياى وكفى قوله صلى الله عليه وسلم من صام
رمضان واتبعه ستا من شوال قال السواوى ولعل مقتضى لهذا التقدير أى هذه المدة ان
الجنين فى غالب الامر يتحرك الثلاثة أشهر ان كان ذكر والاربعة ان كان أنثى باعتبار أقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس به أى بالحركة اه وهذا
فى غير الحوامل أما هن فعدتهن أن يضعن حملهن بأية الطلاق وفى غير الاماء فانهن على النصف
من ذلك بالسنة وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الحامل تمتد بأقصى الاجلين
احتياطاً وحكى عن أبى الاسود الدؤلى انه كان يشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر
الفاء فقال الله وكان أحد الاسباب المائعة لعل رضى الله تعالى عنه على ان امره أن يضع كتاباً
فى التكون لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أحد له ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون
بفتح الباء على فرائض شاذة نقلت عن على أى يستوفون آجالهم (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت
عدتهن (فلا جناح) أى لا حرج (عليكم) أيها الاياماء (فيماتعلن فى أنفسهن) أى من
التعرض للخطاب وما مر محرم عليهن للعدة دون العقد فان العقد الى الولى وقيل المخاطب بذلك
الاثمة أو المسلمون جميعاً (بالمعروف) أى بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهوماه أنهن لو فعطن
ما ينكر فعلى المخاطب أن يكفهن فان قصر فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) عالم بماطنه
كظايره فيجازيكم عليه (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) والتعرض فى الكلام
ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتكم لاسلم عليكم
ولا نظرت الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * جئتكم بالتسليم منى تقاضيا * ويسمى التلويح لانه
يلوح منه ما يريد والفرق بينه وبين الكناية ان الكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه
ورواده كقولك طويل النجاد لاماويل وهو بكسر النون حائل السيف وكثير الرمال للمضياف
(من خطبة النساء) المعتدات للوفاة والخطبة بالضم والكسر اسم الهيئة غير أن الخطبة موصلة
بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة للنكاح والتعرض بالخطبة مباح فى عدة الوفاة وهو أن
يقول رب راغب فيك من بجملة أنك لجملة وانك لصالحة وانك لعلى كريمة وانى فيك لراغب
وان من غرضى ان أنزق وان جمع الله بينى وبينك بالحلال أعجبتنى ولان تزوجتك
لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
فيه من غير أن يصرح بالنكاح فلا يقول انك كمينى والمرأة تجيبه بجملة ان رغبت فيه روى ابن
المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبوجعفر محمد بن على وانا فى عتق

فقال قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدتي على وقد عني في الاسلام فقلت
 قد غفر الله لك أخطئي في عدي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت انما أخبرتك بقرايتي من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن
 عمار أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكرها من زلتها من الله تعالى وهو متعامل على يديه حتى أثر الحصر
 في يده من شدة نهما له عليها فكانت تلك خطبة واما عدة الفروقة في الحياة فيصل لغير صاحب
 العدة التعريض في غير رجعية لعدم ساطنة الزوج عليها اما التصريح فحرام اجماعا واما
 الرجعية فلا يصل التعريض لها لانها في حكم الزوجة اما صاحب العدة فيصل له التعريض
 والتصريح ان حصل له نكاحها والافلا (أو أكنتم) أي أذعنتم (في أنفسكم) من نكاحه
 فلم تذكروه نصريحا ولا تعريضا قال السدي هو ان يدخل فيه لم يهدي ان شاء ولا يتكلم بشئ
 (علم الله انكم ستذكرونه) بالخطبة ولا تصبرون عنهم فأباح لكم التعريض وفيه نوع توبيخ
 (ولكن لا تواعدوهن سرا) أي نكاحا فالسر كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
 قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فان كنن أو تأبدا

وقال امرؤ القيس

الازمت سبابة اليوم انني * كبرت وأن لا يحسن السرا مثالي

ثم عبر بالسر الذي هو كناية عن الوطء عن عقد النكاح لان العدة سبب في الوطء وقبل هو
 الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا
 وقفت عندك أظهرت نكاحك قاله الحسن وقيل هو ان يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان
 يقول أتيتك الاربعة والخمسة ونحو ذلك (فان قيل) أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
 سرا (أجيب) بأنه محذوف لدلالة ستذكرونه عن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونه
 فاذا كروهن ولكن لا تواعدوهن سرا (الأن تقولوا قولنا معروف) أي ما عرف شرعا من
 التعريض فلكم ذلك (فان قيل) أين المستغنى منه (أجيب) بأنه محذوف أي لا تواعدوهن
 مواعدة الامواعدة معروفة غير منكورة والامواعدة بقول معروف قال في الكشف ولا
 يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سر الادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقال
 البضاوي وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
 الا التعريض وهو أي التعريض غير موعود أي بل مغير سرا أي في السر على أن المواعدة
 في السر عبارة عن المواعدة بما يستقيم لان مسارتهم في الغالب مما يستقيم من الجاهرية
 (ولا تواعدوهن عقد النكاح) أي على عقده وفي ذلك مبالغة في النهي عن عقد النكاح
 في العدة لان العزم يتقدم على العدة فاذا انتهى مما يتقدمه فهو أولى بالنهي كما في قوله
 تعالى ولا تقربوا الزنا (حتى يبلغ المكاتب) أي المكتوب (أجله) بأن ينهي ما فرض فيه
 من العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم وغيره (فاذروه) أي

خافوا عقابه (واعلموا أن الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خوفاً من الله (حليم) لا يبالغ عليكم بالعقوبة (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أي نكحتموهن (أو) لم تقرضوهن (فريضة) أي مهر أو ما صدريه طرفية أي لستعة عليكم في الطلاق زدن عدم المسيس والقرض بائع ولا مهر والتبعية بكسر الباء ما يتبع المال أو البدن من نوايب الحقوق وهو من تبع الرجل يحق وقرأ حزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقون بفتح التاء وألف بعد الميم وقوله تعالى (ومتعوهن) عطف على مقدر لأنه طلب فلا يعطف على لا جناح لأنه خبر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المتعة جبراً يحاش الطلاق ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً وما قيمته ذلك وإذا تراضيا بشئ فذلك وإن تنازعا في قدرها قدرها فاقض بائعاً تهاده بقدر حالهما من يساره وعساره ونسبها وصفاتها كما قال تعالى (على الموسع) أي الغني منكم (قدره) أي ما يطيقه ويليق به (وعلى المقتر) أي ضيق الرزق (قدره) أي ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا نصارى طلق امرأته المفوضة قبل أن يمسها أمتها قال لم يكن عندى شئ قال متعها بقلنسوتك ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمس الزوج وألحق بها الشافعي رضي الله تعالى عنه المسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحزرة والكسائي بفتح الدال والباقون بسكونها وقوله تعالى (متاعاً) تأ كبد المتعوهن بمعنى متعها وقوله تعالى (بالمعروف) أي شرعاً صفة متاعاً وقوله تعالى (حقاً) صفة ثانية لمتاعاً أي متاعاً واجبا عليهم أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً (على المحسنين) أي المطيعين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتنال أو إلى المطلقات بالتيسع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلاً فله سلبه ترغيباً وتحريضاً وما ذكر الله تعالى حكم المفوضة أتبعها حكم قسميها بقوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف وهو دليل على أن الجناح المنفي ثم تبعة المهر وإن لامتعة مع التشطير لأنه قسميها (الآ) لكن (أن يعفون) أي الزوجات فلا يأخذن شيئاً (فان قيل) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (أجيب) بأن الواو في الأقل ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل نصب (أو يعفو الذي يده عقدة النكاح) وهو الزوج المالك لعقدده وحله كما يعود إليه بالتشطير فيترك لها الكل وقيل هو الولي إذا كانت المرأة محجورة وهو قول قديم للشافعي وهو مروى عن ابن عباس وقوله تعالى (وان تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتوى) وانطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر أي وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي أن يفضل بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو تبرك المرأة نصيبها جميعاً على الاحسان (إن الله بما تعملون بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم به (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها ولعل الأمر

بالصلاة انما وقع في تضاعف أحكام الاولاد والازواج ثلاثا بل هيهم الامة قال بشأنهم عنها
 (والصلاة الوسطى) أى الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم الافضل الاوسط وانما أفردت
 وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر على الرابع لقوله صلى الله عليه وسلم
 يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة الله يوتهم نارا وفضلها الكثيرة
 أشغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة قال صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة
 بالليل وملائكة بالنهار وقيل صلاة الصبح لانها بين صلاة الليل والنهار والواقعة في الجزء
 المشترك بينهما ما ولا نها مشمودة تشهدا للملائكة الحافظة فخص عليها الشافعي رحمه الله تعالى
 لكن رجع الاصحاب الاول عملا بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبي وقيل صلاة الظهر لانها
 وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لانه صلى الله عليه وسلم مثل أى الاعمال
 أفضل فقال أحزمها وهو بجاهمهلة وزاى أقواها وأشدّها وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة
 بالعدد لان عددها بين عددى الركعتين والاربع وقيل صلاة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
 طرفى النهار لا يقصران وهما المغرب والصبح وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا يعينها
 أبومها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على أدائها جميعها كما أخفى ليله القدر في شهر
 رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحفظوا على جميعها
 (وقوموا لله) في الصلاة (فأتين) أى طبعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو
 طاعة أو سأكين لحديث زيد بن أرقم كانتكم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن
 الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح (فان خفتهم) من عدواً واسع
 أو سبيل أو نحو ذلك (فرجلا) جمع راجل أى شاة صلوأ (أو ركباناً) جمع راكب أى كيف أمكن
 مستقبل القبلة وغير مستقبلها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع
 والصلاة في حال الخوف على أقسام وهذه صلاة شدة الخوف وسماوى بقية الاقسام ان شاء
 الله تعالى في سورة النساء ولا يتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم وروى مجاهد
 عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً
 وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وفي الآية دليل على وجوب الصلاة حال المقاتلة واليه
 ذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يصلى حال المشى
 والمقاتلة ما لم يكن الوقوف وقال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه اذا كنت في القتال وضرب
 الناس بعضهم بعضاً قل سبّحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر واذا كر الله فذلك صلاتك
 (فاذا أنتمت) من الخوف (فاذكروا الله) أى صلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها (كما علمكم) ما لم
 تكونوا تعلمون قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية
 (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي
 وصية بالرفع أى فعلهم وصية والباقيون بالنصب أى فلو صوا وصية وقوله تعالى (متاعاً) نسب
 على المصدر أى متعوهن متاعاً أى ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من

موتهم الواجب عليهن تربيته وقوله تعالى (غير اخراج) نصب على الحال أى غير مخراجات من
 مسكنهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له الحنظل بن الحارث هاجر الى
 المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فأتى الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه
 وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وأمرهم أن يتفقوا عليهم أن تركه زوجهما
 حولا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت
 قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم يخرج ولم يكن لها
 الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصى بها فكان كذلك
 حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربيع والنهن ونسخ عدة الحول بآية أربعة
 أشهر وعشر السابقة (فان قيل) كيف نسخت الآية السابقة المتأخرة (أجيب) بأنها
 متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول كما في قوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله فقد نرى قلب
 وجهك في السحابة (فان خرجن) من قبل أنفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة (فلا جناح
 عليكم) بأولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) شرعا كالترين وترك الاحداد وقطع
 النفقة عنها أخبرها الله تعالى بين أن تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة
 لها ولا سكنى الى أن نسخت بأربعة أشهر وعشر (والله عزير) في ملكه (حكيم) في صنعه
 لا يسئل عما يفعل (وله طلاقات متاع) أى يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان وقوله تعالى (حقا)
 نصب بفعله المقدّر (على المتقين) الله (فان قيل) لم كر الله تعالى ذلك (أجيب) بأن ذلك للحكمة
 وهى أن الآية السابقة في غير المسوسة وهذه أعم منها فتشمل المسوسة أيضا (كذلك) أى
 كما بين لكم مسبق من أحكام الطلاق والعدد (يبين الله لكم آياته) وعد سبحانه وتعالى انه
 سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون)
 أى تدبرون فتستعملون العقل فيها وقوله تعالى (ألتم تر) استفهام تعجيب ونشويق الى استماع
 ما بعده لمن سمع بقصة منهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يروى يسمع
 وهذا هنا أولى فانه صار مثالا للتعجيب أى يشته ملك (الى الذين خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثين أو أربعين أو سبعون ألفا وقوله تعالى (احذروا الموت)
 مفعول له هم قوم من بنى اسرائيل كانوا في قرية يقال لها اردان جهة واسط وقع بها
 الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقى في التربة وسلم الذين خرجوا
 فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا كانوا أحرز منا لو صنعنا كما صنعوا
 لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن الى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
 عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا ديارا أضيح فلما نزلوا المكان الذى يتغون فيه النجاة ناداهم ملك
 من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موثوا فاجمعوا ثم أحياهم الله تعالى كما قال تعالى (فقال
 لهم الله موثوا) أى فاثقوا (ثم أحياهم) ليعتبروا وينفقوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل قوم
 من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففر واحذروا الموت فأماهم الله ثمانية أيام أو أكثر

ثم أحياهم بدعاء نبيهم حزقييل بكسر الهمزة والقاف وسكون الراء ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعظمت فوجهه الله تعالى لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسعى حزقييل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا وأنجباهم من القتل قال اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا من أن تقتلوا معي جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقييل عن الانبياء السبعين قال لهم ذهبوا وما أدري أين هم ومنع الله حزقييل من اليهود فلما مر حزقييل على تلك الموقوفة عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسجدونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام من أعلى الوادى وأدناها حتى اتزق بعضها ببعض كل عظم جسد التزق بجسده فصارت أجسادا من عظام لألحم ولأدم ثم أوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها الاجسام ان الله يأمرك أن تكسبى لحما فاكسبت لحما ثم أوحى الله اليه ان ناد أيتها الاجساد ان الله يأمرك أن تقوى فبقينوا احياء ورجعوا الى بلادهم وقال سبحانه انهم قالوا حين أحيوا سبحانه ربنا وبمحمدك لا اله الا أنت فارجعوا الى قومهم وعاشوا دهر اعلمهم ثم أتر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكتف حتى ما نوا لآجالهم التي كتبت لهم ولوجأت آجالهم ما بعنوا واستزذلك في أسباطهم قال ابن عباس وأثر ذلك ليوم جدد اليوم في ذلك السبت من اليهود وقائدة هذه القصة تنصيص المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء فان الموت اذ لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله تعالى (ان الله لذو فضل على الناس) أى عامة فليزدك كل أحد ماله عليه من الفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) كما ينبغي أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره (تنبيه) * انما كرر الناس ولم يضر ليكون أنص على العموم لئلا يدعى مدع أن المراد بالناس الاول أهل زمان فيخص بالناسي أكثرهم (وقالتوا في سبيل الله) أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا (واعلموا أن الله سميع) لا نقول لكم فيسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليهم) بأحوالكم فيعلم ما تضررونه فيجازيكم (من ذا الذي يقرض الله) الذي تفرد بالعظمة باتفاق ماله في سبيل الله ومن استفهامة من فوهة الموضوع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذأ أو بدل واقرض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب نوابه فهو اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملون لطلب نوابه وأصل القرض في اللغة القطع سمي القرض به لأنه يقطع من ماله شيأ يعطيه لرجع اليه مثله وقبل في الآية اختصار معناه من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله أى عباد الله كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي (قرضا حسنا)

أي جامعاً لطيب النفس وإخلاص النية وقيل لا يئس به ولا يؤذى ولما كانت النفس مجبولة على
 الشح بما عندها إلا لفائدة وغلب سببها ونعالى في ذلك بقوله (فبضعافه) أي جزاءه (له) في الدنيا
 والآخرة وأول هذه المضاعفة أن الزائد ضعف ليس كسراً كان صلى الله عليه وسلم لا يقترض
 قرضاً الا وفي عليه زيادة وقال خياركم أحسنكم قضاء وقد أنبأ سبحانه ونعالى أن اقتراضه بما هو
 فوق ذلك لأنه يشفع القرض بمثله وأمثاله بقوله (أضعافاً كثيرة) من عشرين إلى أكثر من سبع مائة
 كما سيأتي روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح
 الانصاري يا رسول الله إن الله لا يريد منا القرض قال نعم يا أبا الدحداح قال اني يذل يا رسول
 الله فتناوله يده قال فاني قد أقرضت ربّي حاطلي وحاطه فيه ستمائة نخلة وأتم الدحداح فيه
 وعيالها لخماء أبو الدحداح فتناوها يا أتم الدحداح قالت لبيك قال اخرجني فقد اقترضت ربّي
 عز وجل وقرأ ابن عامر وعاصم فبضعافه بنصب الفاء على جواب الاستفهام جملة على المعنى فإن
 من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً في معنى أي يقرض الله أحداً والباقيون يرفعونها واسقط الالف
 وشدد العين ابن كثير وابن عامر والباقيون بأبواب الالف وتخفيف العين ولما رغب سبحانه
 ونعالى في اقراضه أتبعه جملة حالية من ضمير بضعاف مرهبة مرغبة فقال (والله يقبض) أي
 يملك الرزق عن يشاء ابتلاءً (ويبدط) أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً يجنب ما اقتضته حكمته
 سبحانه ونعالى وقرأ قبل وأبو عمر وابن عامر ونقص وجزء بالسین بخلاف عن ابن ذكوان
 وخالد والباقيون بالصاد والرسم بالصاد (واليه ترجعون) أي فيجازيكم على ما قدمتم
 (ألم ترأى الملا من بني اسرائيل) أي الى قصتهم والملا من القوم اشرافهم وأصل الملا الجماعة
 من الناس لا واحد له من اقله كالقوم والرهط والابل والنخيل والجيش ومن للتبعض (من
 بعد) موت (موسى) ومن للابتداء (أذ قال النبي لهم) أكثر المفسرين على أنه شعوبيل قال
 مقاتل هو من نسل هرون وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه الصلاة والسلام وقيل
 هو شععون وانما سمى بذلك لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب دعاءها فسمته شععون
 تقول سمع الله دعائي والسين تصير شينا بالعبرانية وسبب سؤال بني اسرائيل نبيهم ذلك انه لما مات
 موسى عليه الصلاة والسلام وخلف في بني اسرائيل الخلو فوعظمت الخطايا سلط الله عليهم
 قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالة فظهروا على بني
 اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذرارهم وأمرهم وابنائهم لوكهم
 أربع مائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلا كثيراً
 وشدة ولم يكن لهم حينئذ يدبر امرهم وكان سبط النبوذة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى
 فخبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغير غلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها
 وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته شععون تقول سمع الله دعائي
 فكبر الغلام فاسلمته لتعاليم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام
 أناء جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد عبدك فيهم خيراً فلما أناهم

كذبوه وقالوا استجلبت بالنبوة فان كنت صادقا (أبعث) أى أقم (لنأملكك اقاتل) معه
 (فى سبيل الله) فنتظمه به كلنا ونزجعه اليه ويكون ذلك آية من نبوتك وانما كان قوام بنى اسرائيل
 بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبى يقم له أمره
 ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه ولما قالوا له ذلك (قال) لهم (هل عسيتم) قرأ نافع بكسر
 السين والباء قون بفتحها وقوله تعالى (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) مع ذلك الملك
 (أن لا تقتلوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير المتوقع بهما حتى التثبت للمتوقع وان كان
 الشائع من التقرير هو الحمل على الاقرار (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا
 من ديارنا وأبنائنا) بسيمهم وقتلهم أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجب
 ويحث عليه من الانحراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد (فلما كتب عليهم القتال تولوا)
 عنه وجنبوا وضيعوا أمر الله (الاقليل منهم) وهم الذين عبروا والنهر مع طالوت واتصروا على
 الفرقة على ما سأتى ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم
 فى ترك الجهاد * (تنبيه) * هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما هو اعلام
 بما يستقبل الآتون كما قال القائل اياك أعنى واسمعى يا جاره فذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذ
 بحجته خطا بالهذه الامة بكل ما قص له من أقاصيص الاقوين ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم
 ربه أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون
 ملكا يكون طوله طويل هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش
 الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه
 بالبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سعى طالوت لطوله وكان أطول من
 كل أحد أى فى زمانه برأسه ومنكبته وكان رجلا دانا غامعا له وهدى وقال السدى
 كان سقاها يستقى على جواره من النيل فضل جواره فخرج فى طلبه وقال وهب بل ضلت جملابى
 طالوت فارس له وغلامه فى طلبه اغتربيت ثمويل فقال الغلام لطالوت لودخنا على هذا النبى
 فسألناه على أمر الجملابى فدنا وبعولنا فدخلنا عليه فبينما هم اعنده يذكروا له شأن الجملابى
 اذنس الدهن الذى فى القرن فقام ثمويل فقام طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت
 قرب رأسك فقر به فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله أن
 أملكه عليهم فقال طالوت أأما علمت أن سبطى أدنى اسباط بنى اسرائيل وبنى أدنى بيوتهم قال
 بلى قال فبأى آية قال بآية أنك ترجع وقد وجدت الحرف فكان كذلك ثم أخبرهم بنبيهم بذلك
 كما قال تعالى (وقال لهم نبيهم) الذى تقدم ذكره (ان الله قد بعث لكم) أى لاجل سؤالكم
 (طالوت ملكا) وهو اسم أجمعى كجملات وداود وانما استع من الصبر لتعريفه وعجمته
 (قالوا أنى) أى كيف (يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له ذلك (ونحن) أى والحال اننا نحن
 (أحق) أى أولى (بالملك منه) وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سلطان سبط نبوة وسبط ملكة
 فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وسبط

المملكة سبطهم وذابن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت
 من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا يعملوا ذنبا عظيما كانوا يشكون النساء
 على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوّة منهم وكانوا يسعون سبطا لاثم فلما قال
 لهم نبيهم ذلك أنكروا لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو داغ (ولم) أى والحال أنه لم
 (يؤت سعة من المال) يستعين بها على إقامة الملك ولما استبعدوا وتملكه لفقره وسقوط نسبه رذ
 عليهم ذلك بأمر حكاها الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى (قال) أى نبيهم (إن الله اصطفاه) أى
 اختاره للملك (عليكم) والعهد في الفلك اصطفاه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم
 بالصالح منكم هذا الأمر الأول والثاني قوله (وزاده) عليكم (بسطة) أى سعة (في العلم) الذى
 يحصل به نظام المملكة ويتمكن به من معرفة الأمور السياسية (و) فى (الجسم) الذى به يتمكن من
 الظفر عن بارز من الشجعان وقسده من سائر الاقران ويكون أعظم خطرا فى القلوب وأقوى
 على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فى العلم فكان أعلم بنى اسرائيل
 يومئذ والجسم فكان أجملهم وأتمهم خاقا كان الرجل القائم بتدبيره فيتناول رأس طالوت
 والثالث قوله (والله يؤتى ملكه) أى الذى هو له وليس لغيره فيه شئ (من يشاء) فانه تعالى
 مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتبه من يشاء سواء كان غنيا أم فقيرا كما أتاكموه
 بعد أن كنتم مستعبدين عند آل فرعون والرابع قوله (والله واسع) أى واسع الفضل يوسع على
 الفقير ويعفيه (عليهم) بن يلبق بالملك من التسبب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما أذعنوا ذلك وطلبوا
 منه آية تدل على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (إن آية) أى علامة
 (ملكه أن يأتىكم التابوت) أى الصندوق وكان فيه صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنزله
 الله تعالى على آدم صلى الله عليه وسلم وكان من عود الشجر عجمتين أولاهما مكدورة
 وبينهما ميم ساكنة خشب تعمل منه الامشاط مموها بالذهب نحوها من ثلاثة أذرع فى ذراعين
 فكان عند آدم الى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ ابراهيم ثم كان عند
 اسمعيل لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى أن وصل الى موسى
 ثم تدوله أنبياء بنى اسرائيل ثم استقر عند بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تنكلموا وحكم
 بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم كما قال تعالى (فيه سكينه)
 أى طمأنينة لغلوبكم (من ربكم) فى أى مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا فانه قتادة
 والكبي فمأصوا وفسد واسط الله عليهم العمالة أصحاب جالوت فغلبوهم على التابوت
 وأخذوه وقال على هي صورته لأرأس ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شئ يشبه الهرة
 رأس ك رأس الهرة وذنوب ك ذنب الهرة وله جناحان وقبل له عينان لها مشاع وجناحان من زمررد
 وزبرجد وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه
 قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله تنكلم اذا اختلفوا فى شئ يخبرهم ببيان ما يريدون ولما
 كان الكليم وأخوه عليهما الصلاة والسلام أعظم أنبيائهم قال (و) فيه بقية مما تركه موسى

والهرون) والهما أنفسهما والال مقعّم لتفخيم شأنهما وقيل أبناؤهما وقيل أنبياء في
 اسرائيل لانهم أبناؤهم موسى وهرون والبقية هي رضا الالواح أى قناتها وعصا موسى
 وشبابه ونعلاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم وقوله تعالى (تحملة الملائكة)
 حال من فاعل يأتيكم (ان في ذلك لآية لكم) على ملكه وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) يحتمل
 أن يكون من كلام نبيهم وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى لحملته الملائكة بين السماء
 والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فافقروا بملكه وقيل رفعه الله تعالى بعد
 موسى فزلزله الملائكة وهم ينظرون اليه فلما رأوه لم يشكوا في النصر به وفاقروا بملكه
 وتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاجل في كل ما أرى لا يخرج معي رجل يني شاة لم يفرغ
 منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبين بها ولا اتقى
 الا الشاب النشط الفارع فاجتمع عليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت صيفا فحز تشديد
 فاشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا يحملنا فادعوا الله أن يجري لنا نهر اكل
 قال تعالى (فلما فصل) أى خرج (طالوت) أى الذى ملكوه (بالجنود) من بيت المقدس أى
 التى اختارها والجنود جمع جند وهم اتباع يكونون نجدة للمستبمع (قال ان الله مبتليكم) أى
 محتمركم ليظهر منكم المطيع والمعاصى وهو أعلم (ينهر) قال ابن عباس والسدى هو نهر
 فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين عذب (فمن شرب منه) أى من مائه فليس منى
 أى من آبائى (ومن لم يطعمه) أى يذقه (فانه منى) أى من آبائى وانما علم ذلك بالوحى ان كان
 نبيا كما قيل أو باخبار النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (الامن اعترف غرقة بيده) أى
 فاكنتى بها ولم يرد عليها فانه منى استثناء من قوله تعالى فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
 الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على خبر ان قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى
 الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وغرفة بفتح الغين والباقون بضمها
 * (فائدة) * قال أبو عمرو بن العلاء سمعت أعرابيا يشد وقد كنت خرجت الى ظاهر البصرة
 متفرجا مما نالني من طلب الحاج

صبر النفس عند كل مل * ان في الصبر حيلة المحمل

لاتضمقن في الامور فقد تنكس شفا لا واهاب غير احتيال

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة لكل العقال *

قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجو مقارع الابطال

فقلت ما وراءك يا أعرابي قال مات الحاج فلم أدري أيهما أفرح أبعث الحاج أم بقوله فرجة لاني
 كنت أطلب شاهد الاختيار القراءة في سورة البقرة غرقة بالضم (تفسير بوامنه) لما وافوه بكثرة
 وقوله تعالى (الاقبلانهم) أى فاقصروا على الفرقة نصب على الاستثناء روى ان من اعترف
 غرقة كما أمر الله قولى قلبه ومع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الفرقة الواحدة لشربه
 واروته والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبيهم العطش فلم يروا وبقوا على

شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو وواختلفوا في عدد الذين لم يشربوا قال البغوي الصحيح أنهم
 ثلثمائة وبضعة عشر أي عدد أهل بدر وقال السدي كانوا أربعة آلاف ويؤيد الأول ما روى
 عن البراء أنه قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة
 أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلثمائة وروى ثلثمائة
 وثلاثة عشر وفي هذا ايدان بأن أعظم الجيوش جيش يكون فيه من أهل الورع بعد التائبين
 من أصحاب طالوت الذين كان بعددهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم
 ثلثمائة وثلاثة عشر عدد المسلمين من كثرة عدد النبيين ولما كان قصص بني اسرائيل مثله لهذه
 الامة كان مبتلى هذه الامة بالنهر فابتلاهم بنهر الدنيا الجاري خللالها وفي افراد البليد ايدان
 بأن الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا يدين لاشتمال المدين على جاني الخير والشر (فلما
 جاوزوه أي النهر هو أي طالوت) (والذين آمنوا معه) أي وهم الذين اقتصروا على الغرفة
 (قالوا) أي الذين شربوا (لا طافة) أي لا قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي يقتالهم وجنبوا
 ولم يجاوزوه * ولما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذا القول نبه على أنه لا ينبغي أن يصدر عن
 فطن أن أجله متدر لا يزيد بالحب والاحكام ولا ينقص بالجرأة والاقدام وانه يلقي الله تعالى
 فيجازه على عمله وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال (قال الذين يظنون) أي يوقنون
 (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم من فئة) أي جماعة وهي جمع لا واحد لمن
 لفظه وجمعه فئات وفتون في الرفع وفتين في النصب والخفض وكما يحتمل أن تكون خبرية بمعنى
 كثير ومن جينة وأن تكون استفهامية ومن مؤكدة والاول أولى بقرينة المقام (قائلة) كما كان
 في هذه الامة في يوم بدر (غلبت فئة كثيرة بإذن الله) أي بإرادته وتيسيره ثم انظر الى هذا الحال
 العجيب وهو انه لما تبهم اتسبب جيش لا يحصون فاشترط عليهم الشاب الفارغ من بناء دار
 وبناء بامرأة فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين ألفا ثم امتحنوا بالنصر فلم يثبت منهم الا ثلثمائة
 وثلاثة عشر وهم دون الثلث من ثمن العشرين المتصفين بالشرط من الذين هم دون الدون
 من المستدين الذين هم دون الدون من السائين في بعث الملك الخارجين معه كما قال القائل

ألم تعلم — لم بأني صبري * أحل الاصدقاء على محكي

فمنهم بهرج لاخ — يرفيه * ومنهم من أجوزه بشك

وأنت الخالص الذهب المصفي * بتركتي ومثلي من يزكي

ثم بين سبحانه وتعالى أن ملاك كل ذلك الصبر بقوله (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فلا
 يخذل من كان معه (ولما برزوا) أي ظهوروا وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة (جالوت)
 اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشأم في زمن بني اسرائيل جبار من العماقة من أولاد عمليق
 ابن عاد (وجنوده) على ما هم فيه من القوة والكثرة التجروا الى الله بالدعاء كما نبه على ذلك بقوله
 (قالوا ربنا أفرغ) أي اصب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وانصرنا

على القوم الكافرين) وفي الدعاء ترتب ببلغ اذ سألوا أولا فراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا (فهزمهم باذن الله) أي بارادته (وقتل داود جالوت) قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فبين عبر ايشا ابوداود في ثلاثة عشر انا له وكان داود أصغرهم فأرسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى أو ابرز من يقا مني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وانصفته ملكي فها هو القاء جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت فيهم أن يدعو الله تعالى فدعا في ذلك فأوحى الله تعالى اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله تعالى به جالوت وكان داود أصغرهم يرى الغم فأوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من أيه فجاء فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وانصفتك ملكي قال نعم قال أنت من نفسك أن تقوى به قال نعم أنا أرى فيبي الاسديا خذ شاة فأقوم اليه وأفتح لحية عنها وأشقهما الى قفاه فرداود في الطريق فكلهم ثلاثة أحجار وقالت له انك تقتل جالوت بناخملها في مخلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة وكان من أشد الناس وأقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيمائل ثمانية رطل حديد اتسب له داود وأخذ مخلاته وقتلدها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت فلما نظر الى داود أتى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلع والحجر كما يوتي الكلب قال نعم أنت شر من الكلب قال لا جرم لا قسمين لحج بين سبع ارض وطير السماء قال داود وأقسم الله لحج فقال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ووضعه في مقلعه ثم أخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلعه فصارت كلها حجرا واحدا وورا المقلع ورمى به فحضر الله له الرمي حتى أصاب أنف البيضة فحط الدماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثة رجال وهزم الله تعالى الجيش وختر جالوت قتيلا فأخذه داود ويجزه حتى ألقاه بين يدي طالوت وفرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس الى داود وأحبوه وأكثر واذكروه فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك فهرب فسلط عليه العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود عيشي في البرية فقال اليوم أقتله فركض على أثره فاشتد داود وكان اذا فرغ لم يدركه فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فندس عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه الى أن قتل طالوت وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل بدادوا وأعطوه خزائن طالوت وملكه على أنفسهم قال الكبي والضما ملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الاعلى داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل

وطالوت ولم يجعما لاحد قبله بل كان الملك في سبط والنموة في سبط وقبل الملك والحكمة العلم والعمل (وعلمه عما يشاء) كصنعة الدروع كان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير والصوت الطيب والالخان ولم يعط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدفوا الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتطسه الطيور ويركد الماء الجارى ويسكن الرياح والسلسلة كان لا يمسها ذو عاهة الا برا وكانوا يتعاضدون اليها فمده الى أن رفعت فن تعدي على صاحبه وأنكر له حقاً في السلسلة فمن كان صادقا مديده اليها فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها وكان ذلك الى أن ظهر فيهم المنكر والخديعة فأودع بعض ملوكهم رجلا جوهرة غنية فلما طلبها منه أنكرها فتحاكى الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وضربها الجوهرة واعتد عليها حتى حضر السلسلة فقام صاحب الجوهرة فتناول السلسلة بيده ثم قام المنكر وقال لصاحب الجوهرة خذ عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان الوديعه التي يدها قد وصلت اليه فرب منى السلسلة فتديده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (ولو لا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (بعض) أى ولو لا دفع الله يحمون المسلمين الكفار (لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد أو افسدت الارض بشؤم الكفر فيكون المعنى ولو لا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفيجار لهلكت الارض بن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وقد روى ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر الآية وروى عن ابن عباس أن قال يدفع الله تعالى من يصلى عن لايصلى ومن يحج عن لا يحج ومن يزكى عن لا يزكى وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بإصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وعن ابن مسعود ان الله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم والله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل والله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعة واذا مات واحد من الاربعة أبدل الله مكانه من الثلثائة واذا مات واحد من الثلثائة أبدل الله مكانه من العامة فيهم يحيى ويميت قال لانهم يسألون الله اكثرا لا اعم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فينقصون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبأ لهم الارض ويدعون فيدفع الله أنواع البلاء (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أى كلهم أولا بالابجاد وثانيا بالذفاغ فهو يكف من ظلم الظالمه ائما بعضهم ببعض أو بالمالحين ويسبغ عليهم غير ذلك من أنواع نعمه ظاهرة وباطنة (تلك) أى هذه الآيات التي قصصناها عليك من حديث الاولين وتعليك طالوت وتابان

التابوت وانهم زام الجبارة على يد صبي وهو داود وقتل داود جالوت (آيات الله) الذي جلت عظمته
 وقت قدرته وقوته (تلاوها) أي نقصها (عليك) يا محمد (بالحق) أي بالوجه المطابق الذي لا يشك
 فيه أهل الكتاب لانهم يجدونه في كتبهم كذلك وأرباب التواريخ (وانك) أي والحال انك
 (لن المرسلين) بما دلت هذه الآيات عليه من علمك بها من غير معلم من البشر ثم بما عازها الباقي
 على مدى الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة وختم هذه الآيات بانه صلى الله عليه
 وسلم منهم تشوقت النفس الى معرفة أحوالهم في الفضل هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون فأشار
 الى علو مقادير الكل في قوله (تلك الرسل) بأداة البعد اعلما بعد مرآتهم وعلو منازلهم وانما
 بالهل الذي لا ينال والمقام الذي لا يبال * (تنبيه) * تلك مبتدأ والرسل صفة أي الرسل
 التي ذكرت قصصها في السورة والتي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جماعة
 الرسل واللام للاستعراق والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بصفة ليست لغيره
 لما وجب ذلك من تفضيلهم في الحسنات بعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان أكثر السورة
 في بني اسرائيل وأكثر ذلك في اتباع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر وصفه مع وصف نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم فقال (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
 وسلم كلم موسى ليلة الحيرة وهي بفتح الحاء تحيرة في معرفة طريقه من مسيره من مدين الى
 مصر وفي الطور ومحمد السلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبين التكمين بنون عظيم
 ومنهم أيضا آدم كما ورد في الحديث (ورفع بعضهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (درجات) على
 غيره بعموم الدعوة وختم النبوة والاتباع الكثيرة في الأزمان الطويلة وبفسخ جميع
 الشرائع وبكونه رحمة للعالمين بتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة المستمرة
 وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السموات والارض عن الاتيان بسورة من مثله والآيات
 المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلية والعملية الغالبة للعصر ولولم يوثق القرآن وحده
 كفي به فضلا مني فاعلى سائر ما أوفى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر ونسائر المعجزات
 وبانشاق القمر بشارته وخين الجذع بشارته وتسلم الحجر عليه وكلام البهائم والنبهات
 برسالته ونبيع الما من بين أصابعه وغير ذلك مما لا يحصى الا الله تعالى وروى عنه صلى الله
 عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما
 كان الذي أوتيته وحيا وأوحاه الله الى قارحو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة وروى عنه
 أنه قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب من مسيرة شهر وجعلت لي
 الارض مسجداً وطهوراً فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم
 تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عامة وروى
 عنه أنه قال فضلت على الانبياء سبت أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم
 وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون (واتينا عيسى
 ابن مريم البينات) من احبها الموتى وغيره (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) وهو جبريل

يسر مدحه حيث سار وخص عيسى صلى الله عليه وسلم بأجمه لا فرط اليه ودفى تحويه والنصارى
 في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله وأبهم محمد أصلى الله عليه وسلم في قوله تعالى بعضهم حيث لم يقل
 ورفع محمد أصلى الله عليه وسلم لما في الأبهام من تفخيم فضله وإعلا قدره مما لا يحق لمأذنه من
 الشهادته على أنه العلم الذي لا يشبهه والمتميز الذي لا يلبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول
 أحدكم أو بعضكم يراد به الذي تعورف واشتهر فيكون أنخم من التصريح به وأنوبه أحبه وسئل
 الحطية عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابعة ثم قال ولوشئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال
 ولوشئت لذكرت نفسي لم يفهم أمره (ولو شاء الله) أى الذى له جميع الامر هدى الناس جميعاً
 باتفاقهم على دين واحد (ما اقتتل الذين من بعدهم) أى بعد الرسل أى ما اقتتل أممهم (من بعد
 ما جاءهم البينات) أى المعجزات الواضحات على أبدي رسالتهم لا اختلافهم في الدين وتضليل
 بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا) لمشيئته تعالى ذلك (فهم) أى فتسبب عن اختلافهم ان كان
 منهم (من آمن) أى ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح * ولما كان من
 الناس من أعصى الله قلبه فنسب أفعال الختارين من الخلق اليهم استقلاً لا قال الله تعالى معلماً
 أن الكل يخلقونه أكيداً لما مضى من ذلك ومعيداً ذكر الاسم الأعظم (ولو شاء الله ما اقتتلوا)
 بعد اختلافهم بالآيمان والكفر (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء فضلاً منه ويخذل
 من يشاء عدلاً منه والآية دليل على أن الأنبياء متفاوتة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على
 بعض ولكن بنص لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل لا بالاعتقاد وان الحوادث بيد الله لقوله
 تعالى يفعل ما يريد تابعة لمشيئته تعالى خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً * ولما كان الاختلاف على
 الأنبياء سبباً للجهاد الذى هو حظيرة الدين وكان عماد الجهاد النفقة أتبع ذلك قوله رجوعاً الى
 أول المسورة من هنا الى آخرها وأتى التأكيد بالنظ الامر لما تقدم الحث عليه من أمر النفقة
 (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أى مما أوجب عليكم انفاقه من الزكاة قاله السدى
 وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير أى فلا تجلوا بالانفاق فانه لاداء أو أمن
 الجبل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وصرف الامر بالتبعض الى الحلال
 الطيب يمنع احتياج المعتزلة بهم الى أن الرزق لا يكون الاحلال لكونه مأموراً به واتبعه بما
 يرغب ويرهب من حلول يوم التداد الذى تنقطع فيه الأسباب التى أقامها سبحانه وتعالى في هذه
 الدار فقال (من قبل أن يأتى يوم) موصوف بأنه (لا يبيع فيه) أى فداء (ولا خلة) أى صداقة
 تنفع (ولا شفاعة) بغير إذنه والمعنى أنه لا يقدر فيه أسير عيال ولا راعى الصدقة من مساو
 ولا الشفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى لشي من ذلك ولا يكون الامايرد وقرأ ابن كثير وأبو
 عمر بالنصب في بيع وخلة وشفاعة ولا تنوين على الاصل والباقيون بالرفع والتنوين على أنها في
 تقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة * ولما حث سبحانه وتعالى على الاتفاق ختم الآية
 بذكر الكافرين بكونهم لم يتحلوا هذه الصفة تخليصهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك
 اليوم فهم لا يستقون نخوفه وارهابه فقال بدل ولا نصرة لكافر (والكافرون) أى المعلوم

كفرهم في ذلك اليوم (هم) المختصون بأنهم (الظالمون) أي الكاملون في الظلم لا غيرهم وقوله سبحانه (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير (الحق) أي الدائم البقاء (القيوم) أي الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم (لا تأخذ سنة) وهي ما يعتد به النوم من القنور الذي يسمى النعاس قال ابن الرفاع العالمی

وسنان أقصده (أي أصابه) النعاس فرقت * في عينه سنة وليس بنائم أي لا يأخذ نعاس (ولا نوم) وهو حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس (فان قيل) تقديم السنة على النوم قياس بالمبالغة عكسه (أجيب) بأن هذا ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق على وجود النوم فهو على طريقة لا يقدر صغيرة ولا كبيرة قصد الى الاطاعة والاحصاء ولأنه لما عبر بالاختذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان وجله لا تأخذ سنة ولا نوم في التشبيه بينه وبين خلقه وتأكيد لكونه خالقاً قوماً فان من أخذ نعاس أو نوم سكان باقة تفصل بالحياة قاصر في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده من قوله ما في السموات وما في الارض الخ وقوله تعالى (له) أي بيده وفي تصرفه واختصاصه (ما في السموات وما في الارض) أي ملكاً وخلقاً تقريراً لقيوميته واحتجاج على منزعه في الألوهية والمراد بما فيه ما ما وجد فيه ما داخل في حقيقة ما كالنكاح والنبات والمعادن واخراج عنهم ما متمكّن منهم ما كالملائكة والانس والجن وقوله تعالى (من ذا الذي) أي لأحد (يشفع عنده الاذنه) له بان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعاً وقاضياً فضلاً أن يدفعه عناداً ومخاضة (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلق من أمر الدنيا (وما خلفهم) أي من أمر الآخرة قاله مجاهد وقال الكلبي ما بين أيديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونهم وراؤهم وقيل ما بين أيديهم ما قدموا من خير ونشر وما خلفهم ما هم فاعلوه (ولا يحيطون بشئ) أي قليل ولا كثير (من علمه) أي لا يعلمون شيئاً من معاوناته (الاجناس) أن يعلمهم بدنها باخبار الرسل (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هرة هو موضع أمام العرش والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع أن سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقته في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقته في فلاة ويروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملة أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى سيرة خسمائة عام ملك على صورة أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو البور

قوله ان ما بين حلة الخ
كذا في الاصول التي
يأيد بنايات ما نصب
سبعين واهله على حد
ان حراسنا أسدا اه

مصعبه

يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد الجبل وملاك على
صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع من السنة الى السنة وملاك على صورة سيد
الطير وهو الترس يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان ما بين حلة العرش
وحلة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلط كل حجاب سيرة خمسمائة عام
لولا ذلك لاحترق حلة الكرسي من نور حلة العرش وقيل المراد بالكرسي علمه وقيل ملكه
وقيل تصوير لعظمته وتمثيل مجده (ولا يؤده) أى لا ينقله ولا يشق عليه (حفظهما) أى السعوان
والارض (وهو العلى) أى الرفيع فوق خلقه المتعالى عن الاشياء والانداد (العظم) أى
الكبير الذى لا شئ أعظم منه المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية تسمى آية الكرسي
مشغله على اتهام المسائل الالهية فانها تدل على أنه موجود واحد فى الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجود لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المتيم لغيره منزعه عن التحيز والحلول
مبرا عن التعبر والقصور لا يتأثر بالاشباح ولا يعتبر به ما يعتري الارواح مالك الملك والمذكوث
ومبدع الاصول والفروع وذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء
كلها جلجلها وخذنها كلها وجزئها واسع الملك والقدر اذ المقدور كل ما يصح أن يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عابده ركه وهم عظيم فلا يحيط به فهم ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية فى القرآن آية الكرسي رواه مسلم وروى السائق وابن
حبان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ آية الكرسي بذكر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت أى فاذا مات دخل الجنة وروى البيهقي فى شعبه أنه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤاخذ عليها الا صديق أو عابد وروى البيهقي أيضا ان من قرأها اذا أخذ مضجعه امنه
الله على نفسه وجاراه وجاراه والايات حوله وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأله أى آية من كتاب الله أعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم قال فضررب فى صدرى ثم
قال ليهنك العلم أبا المنذر والذى نفسى بيده ان لها لسانا وشفعتين تقفان الملك عند ساق العرش
وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حين يصبح آية الكرسي وأتين من أول حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ فى يومه ذلك حتى يمسي فان قرأها حين يمسي حفظ
فى ليلته نلك حتى يصبح وروى ما قرئت آية الكرسي فى دار الايجرتما الشياطين ثلاثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة تعالى علمها ولدك وأهلك وجبرائك فانزلت آية أعظم منها
وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن فقال لهم على رضى الله تعالى عنه أين أنتم عن آية الكرسي
ثم قال قال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا تخرو سيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الهول وسيد الأيام يوم
الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (لا اكره ان الدين)
أى على الدخول فسمه أى فى أعظم الجزية لم يكره على الاسلام فهو عام مخصوص بأهل الكتاب
لما روى أن أنصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فزعمهما أبوهما وقال والله
لا أذعكما حتى تسلما فأيا فاختصهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انصرا يارسول الله

أيدخل بعض النار وأما تطرفزت وقيل عام منسوخ فكان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر
 بالقتال فصارت الآية منسوخة بآية السيف قاله ابن مسعود (قد تبين الرشد من الفتن) أي
 ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشيد يوصل إلى السعادة الأبدية وأن الكفر غي يؤدي إلى
 الشقاوة السموية والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت بنفسه إلى الإيمان طلباً للقوز بالسعادة والنجاة
 فلم ينجح إلى الاكراه والالجاء (فمن يكفر بالطاغوت) أي من اختار الكفر بالشيطان أو الاصنام
 (ويؤمن بالله) أي بالوحيد وتصدق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم
 بالعقد الوثيق المحكم في الدين (لا انفصام) أي لا انقطاع (لها) قال التقطازي شبه التدين
 بالدين الحق والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبيل المحكم
 المأمون تقطعها ثم ذكر المشبه به وأراد المشبه وقال الزنجشري وهذا قيل للمعلوم بالنظر
 والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم باعتقاده
 واليقين به اهـ والوثقى تأنيث الاوثى وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل به إلى رضا الله
 تعالى (والله سميع) لما يقال (عليه) بالنيات والافعال وقيل سميع لدعائك اباهم إلى الاسلام
 عليه بجر صك على آياتهم (الله ولي) أي ناصر ومعين (الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا بقوله
 تعالى (يخرجهم) أي بلطفه وتأنيده (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان وأنهم
 الثابتون على الإيمان بأن يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم عياهم بهم ويوقعهم
 له من أجلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين وعن ابن عباس أنهم قوم كانوا كفروا
 بعيسى وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين كفروا) أي أولادهم الطاغوت (أي الشيطان
 وقال مقاتل هو كعب بن الأشرف وحي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم) أي
 يدعوهم (من النور) الذي منعه بالظلمة (إلى الظلمات) أي الكفر (فان قيل) كيف
 يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط (أجيب) بأن الطبراني روى عن ابن عباس
 أنها نزلت في قوم آمنوا بعيسى فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به وأنه تعالى ذكر
 الاخراج في مقابلة يخرجهم من الظلمات فهو على العموم في حق جميع الكفار كما يقول الرجل
 لا يسه أخر جنتي من مالك ولم يكن فيه كما قال تعالى اخباراً عن يوسف عليه الصلاة والسلام اني
 تركت مله قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم وقبل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
 الاخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا بأبي تعلق قدرته تعالى وارادته به والطاغوت يكون
 مذكراً ومؤنثاً واحداً وجعاً قال تعالى في المذكر والواحد يريدون أن يتصاموا إلى الطاغوت
 وقد أمر وأن يكفروا به وقال تعالى في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في
 الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقوله تعالى (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد
 وتحذير قال البيضاوي وأمل عدم مقابله بوعده المؤمنين تعظيم لشأنهم ولما كان التردد الحاجج
 للخليل من أخرجه الشياطين من النور إلى الظلمات ذكره عقب ذلك فقال (ألم تر) أي تعلم بما
 نخبرك به علما هو عندك كالمشاهدة للمالك من كمال البصيرة وبما أودعناه فيك من المعاني المثيرة

(إلى الذي) وهو غر وذ (حاج) جادل وخاصم (إبراهيم في ربه) وهو أول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الأرض وادعى الربوبية (إن) أي لأن (آناه الله الملك) نطفي أي كانت تلك الحاجة
من بطر الملك وطفينه فأورنه الكبر والعقو لحاج لذلك وقال مجاهد ملك الأرض مشرقها
ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسلم بن علي عليه وسلم وذو القرنين
وأما الكافران فغروذ بن كنعان وبختنصر لم يملكها غيرهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى
يعطي الكافر الملك ففيها حجة على من منع إتياء الملك للكافر من المع تزل وأول الملك بالمال
والخدم الذي يسلبه على غلبة الناس لالملك الحقيقي وبهذا أول الزمخشري (أذ قال
إبراهيم ربى الذي) قرأ حزه ربي بسكون الباء والباقون بنصبها (بهجى ويميت) أي يخلق الموت
والحياة في الأجساد وهذا جواب سؤال غير مذكور فقد ربه قال له غر وذ من ربك فقال له إبراهيم
ذلك واختلقوا في وقت هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر إبراهيم الأصنام صحنه غر وذ ثم
أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا إليه وقال آخرون كان هذا بعد القائه في النار
وذلك أن الناس تحطوا على عهد غر وذ وكان الناس يمتارون من عنده فكان إذا أتاه الرجل
في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأناه إبراهيم فقال له من ربك فقال له
ذلك (قال أنا أحيى وأميت) قرأ نافع مد الالف من أنا فبصير مدمنة صلا والباقون بالتصغير
قال أكثر المفسرين دعاء غر وذ برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فعمل ترك القتل أحياء فأتى
إبراهيم إلى حجة أخرى لا يجوز إيل لما رواه من غيباوته فإن حجه لازمة لأنه أراد بالاحياء أحياء
الميت فكان له أن يقول فأحي من أمت أن كنت صادقاً لكانه انتقل إلى حجة أو وضع من الأولى
ذكرها الله تعالى بقوله (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس) وهو الذي أوجدها (من المشرق)
أي في كل يوم قبل أن توجد أنت بدهور (فأتى بها) أنت (من المغرب) ان كنت صادقاً فيما
تدعيه ولو يوماً واحداً وفي ذلك إشعار بأن الله تعالى لا بد وأن يأتي بالشمس من المغرب ليكون
في ذلك اظهار نصرته لها حيث شاء يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث
قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية متعارفة لتقيام الساعة وطلوع الأرواح من أبدانها
(فبنت الذي كافر) تحير ودهش واقتطعت حجته ولم يعط إبراهيم طعاماً فرجع فرغ على كتيب
رمل أعر فأخذ منه تطيباً للقلوب أهلها إذا دخل عليهم فلما أتى أهلوه وضع متاعه نام فقامت
امرأته إلى متاعه ففحمتها فاذا هو أجود طعاماً رآه فأخذته وصنعت له منه وقرته له فقال لها من
أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعر فأن الله تعالى رزقه فحمد الله تعالى (فان قيل)
كيف بنت غر وذ وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول لسل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب
(أجيب) بأن الله تعالى صرفه عن ذلك اظهار اللجج عليه أو معجزة لإبراهيم عليه الصلاة
والسلام أو أنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكانت زيادة في فضيحه وانقطاعه ثم بعث الله
تعالى إلى غر وذ بن كنعان ملكاً أن آمن بي وأتركك على ملكك قال فهل رب غيري فخامه النسبة
فقال له ذلك فأبى عليه ثم آناه الثالثة فأبى عليه فقال له ذلك الملك فاجع جوعك إلى ثلاثة أيام

فجمع الجبار جوعه فأمر الله تعالى الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من
 كثرتها فابعثها الله عليهم فأكلت خصوصهم وشربت دماءهم فبقيت الاالعظام ونحو ذلك كما هو
 يصيبه من ذلك شيء فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخرم فكثرت أربع مائة سنة يضرب
 رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جبارا أربع مائة سنة فعذبه
 الله تعالى أربع مائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذي نعى صر حاطو يلا ليعصمته الى السماء
 ليقاتل أهلها فأرسل الله تعالى عليه الريح فهدمته وسأق قصته في غافران شاء الله تعالى (والله
 لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر الى محجة الاحتجاج (أو كالذي مر على قرية) فيه حذف تقديره
 أو رأيت مثل الذي حذف دلالة ألم تر عليه لان كليهما كلمة تعجب وتخصيصه بحرف التشبيه لان
 المنكرين للاحياء كغير الجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مذعى الربوبية وقبل التكاف
 مزيدة وقد دبر الكلام ألم تر الى الذي حاج أوالى الذي مر والمار عزير بن شرحبيل وألخضر والكافر
 بالبعث ويؤيد هذا نظمه مع غرود في سلك وكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيى وأكثر المفسرين
 على القول والقرية بيت المقدس حين خربها يحننصر وقتل بنى اسرائيل حتى أفساهم ثم أمر
 جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم أمرهم أن
 يحجموا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغبرهم وكبيرهم من بنى اسرائيل فاختر
 منهم سبعين ألف صبي فقسهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة وفرد من
 بنى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فقتلوا قتلهم وثلاث أسابهم وثلاث أفرهم بالشام وقيل هي القرية التي
 خرج منها الالوف وقيل غيرهما (وهي حاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى سقطوها بأن سقط
 السقف أولا ثم سقطت الجدران عليه لما أخرجها يحننصر (قال أنى) أى كيف (يحيى هذه الله
 بعد موتها) أى بما صارت اليه من الخراب وذهاب الال فيعيدها الى ما كانت عليه عامرة أهلة
 وهذا الاعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة الهي ان كان القائل مؤمنا
 واستبعاد ان كان كافرا (فأما الله) وألبته (مائة عام) ميتا (ثم بعثه) بالاحياء ليريه كيفية ذلك
 (قال كم لبنت) أى مكنت أى لما أحياء الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبنت وعن ابن عباس ان عزيرا
 كان عبدا لصاحبا حكما خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف انتهى الى خربة حين قامت
 الظهيرة فأصابه الحر فدخل الخربة وهو على جماره فنزل عن جماره ومعه سلة فيها تين وصله فيها
 عنب فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة كانت معه فاعتصر من العنب الذى كان معه في
 القصعة ثم أخرج خبز اياها معه فألقاه في تلك القصعة في العصور ليعتقها فأكله ثم استلقى على قفاه
 وأسند رجليه الى الحائط فظفر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي ساقطة على عروشها ورأى
 عظاما بالية فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فلم يشك ان الله يحجمها ولكن قالها تعجبا فبعث الله ملكا
 الموت فقبض روحه فأما الله ما علمت فلما أتت عليه مائة عام وكان فيما بين ذلك في بنى اسرائيل أمور
 واحداث فبعث الله الى عزير ملكا خلق قلبه ليعقل به وعينه ليعتبر بهما فمات قتل كيف يحيى الله
 الموتى ثم ركب خلقه وهو يتظر ثم ساعظاه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى

ويعقل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبنت (قال لبنت يوماً) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى
 في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبنت يوماً وهو يرى أن
 الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) أي بل بعض يوم (قال) أي
 الله أو الملك له (بل لبنت مائة عام) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالظهار للنساء المثلثة في كم لبنت
 وفي قال لبنت وفي بل لبنت والباقون بالادغام ثم قال له الله أو الملك (فانظر الى طعامك) وكان بينا
 أو عسبا (وشرباك) وكان عصيراً أو لبناً (لم يتسنه) أي لم يتغير عبر والزمان فكان التين أو العنب
 كأنه قد قطف من ساعته والعصر كأنه قد عصر أو اللبن قد حلب من ساعته قال الكسائي أي
 كأنه لم يأت عليه السنون وانما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد (فان قيل)
 اذا كان المار كافر فكيف يدوغم ان يكلمه الله (أجاب الزمخشري) بأن الكلام كان بعد
 البعث ولم يكن اذ ذلك كافر أو قال أبو حيان لانص في الآية ان الله كلمه سبحانه وقرأ حجة
 والكسائي لم يسن باسقاط الهاء اذا وصلها بما بعدها والباقون بابايتها وفي الوقف نابتة للجمع
 (وانظر الى حمارك) كيف هو فراهميتا وعظامه بيض وكان له حمار قد ربطه وقيل رآه حياً مكانه كما
 ربطه حفظ بلا ما ولا علف كما حفظ الطعام والشراب من التغير وقوله تعالى (ولجعلك آية للناس)
 معطوف على محذوف تقديره فعلمنا ذلك لم ولنجعلك آية وقيل الواو زائدة مقبحة أي لنجعلك
 عبرة ودلالة على البعث بعد الموت (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بالراء ومعناه تخييرها والباقون بالزاي ومعناه زرفعهما من الارض ونزدها الى أما كنهما من الجسد
 وفي الآية تقديم وتأخير وتقديرها وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولجعلك آية
 للناس واختلغو في معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد به عظام حماره وهذا يؤيد كون حماره
 كان ميتاً قال السدي ان الله أحيا عزيراً ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك ولبنت عظامه فبعث
 الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل الذي ذهبت به الطيور والسباع فاجتمعت
 فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحماً ودماً
 كما قال تعالى (ثم نكسوها لحماً) فصار حماراً لروح فيه ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار
 فنفخ فيه فقام الحمار ونشق بأذن الله تعالى وقال الاقلون أراد به عظام هذا الرجل فأحيانا الله
 عينيه ورأى أنه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيمته
 يوم ربطه وهذا يؤيد كون حماره كان حياً وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف
 ولا ماء قال الضحاك وقتادة وتقدير الآية أي على هذا وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف
 ننشرها روى أن عزيراً لما أحياه الله تعالى ركب حماره حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر
 الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بهجوز عظامه عدة أتى عليها مائة وعشرون
 سنة كانت أمة لهم فخرج عزير عنهم وهي بنت عشرين سنة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير
 قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً فقال فاني أنا
 عزير فقالت سبحان الله فان عزيراً فقد ناه من مائة سنة لم نسمع له بذلك قال ان الله أماته مائة سنة ثم

بعني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعوا للمريض وصاحب البلاد بالعافية فادع
 الله أن يرده على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا به ومسمع يده على عينيه ففحصها
 وأخذ يدها فقال قومي بأذن الله تعالى فاطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما شطت من عقال
 فمظنر اليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في أنديتهم وبجبالهم وابن
 العزير شيخ ابن مائة سنة وبثمان عشرة سنة وبنو يفيه شيوخ في المجلس قال الضحالك عاد الى قريته شابا
 وأولاده وأولاد أولاده وولد شيوخ وبجبالهم وهو أسود الرأس واللحية فقالت هذا عزير قد جاءكم
 فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتيكم دعالي ربه فرد على بصري واطلق رجله وزعم أن الله أماته
 مائة عام ثم بعثه فنهض الناس وأقبلوا عليه ونظروا اليه وقال انه كان لابي شامة سوداء مثل
 الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير فقال بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا أحد حفظ
 التوراة فيما حدثنا عزير فقرأ لهم التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
 هو ابن الله وسياق الكلام على ذلك في سورة براءة ان شاء الله تعالى (فلما تبين له ذلك بالشاهدة
 وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير) قال أعلم ان الله على كل شيء قدير
 فحذف من الاول دلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيد او قرأ سورة والكسائي يوصل
 الهمزة قبل العين وسكون الميم والباقون بقطع الهمزة ورفع الميم (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب
 أني) أي أبصرني قرأ ابن كثير والسوسي يكون الرامن أدنى وقرأ الدورى باختلاس الكسرة
 والباقون بكسرة كاملة (ككيف يحيى الموتى) قال الحسن وقنادة والضحاك كان سبب هذا
 السؤال من ابراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة قال ابن جرير كانت جيفة حمار فراها وقد
 نوزعت اذواب البحر والبر فكانت اذا مدت البحر جأت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها وما وقع
 منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جأت السباع فأكلت منها وما وقع منها يصير اياها فاذا ذهبت
 السباع جأت الطير فأكلت منها وما سقط قطعته الرمح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم تعجب
 منها وقال يا رب قد علمت أنك تجمعهم ان بطون السباع وحوصل الطير وأجواف دواب البحر
 فأرني كيف تجمعها فازداد يقينا فعاث به الله بقوله (قال ألم تؤمن) بقدرتي على الاحياء ما لمع علمه
 بايمان به بذلك ليحيي بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى) يا رب آمنت (ولكن ليطمئن قلبي)
 أي ليسكن قلبي الى المعايينة والمشااهدة أراد أن يصبر به بعد علم اليقين عين اليقين فان الاعيان يفيد
 في المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من
 ابراهيم ولوليت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي فقال أبو سليمان الخطابي ليس
 فيه اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول أذالم أشك في قدرة
 الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من
 النفس وكذلك قوله ولوليت في السجن طول ما لبث يوسف وقيل سبب سؤاله أنه لما قال له
 نروذا بأخي وأميت قال له ان احياء الله برذال روح الى بدنهم فقال غر وذهل عايتته فلم يقدر أن
 يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سئل عنه مرة

أخرى (فان قيل) بم تعلقت اللام في ليطمنن (أجيب) بأنها تعلقت بمحذوف تقديره ولكن
 سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (وقيل) بل كان قصده بالسؤال رؤية الهي ولكنه طلبها لولم يحا
 فأجيب بالمتع منها لولم يحا وموسى عليه الصلاة والسلام لما سألتهم صريحا أجيب بالمتع تصريحا قال
 تعالى (تخذ أربعة من الطير) قال مجاهد وابن جرير أخذوا سواديكاً وحمامة وغراباً وانما خص
 الطير لانه أقرب الى الانسان شها كمدوير الرأس والمشى على رجلين واجمع لخواص الحيوان
 لان فيها ما يتكلم وما يهتدى للطريق كالقطاة وللحمام كالهدد وفي هذا ايماء الى أن احياء
 النفس بالحياة الابدية انما يتأتى بامانة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس والسولة
 المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارة الى
 الهوى الموسوم بهما الحمام ومنهم من ذكر التسر يدل الجماء وروى بدلها البطة وبديل الغراب
 الغرورق (قصر هن) أى فأما سكنهن واضمهن (الذكر) قرأه جزء بكسر الصاد والساكنون بضمها
 (فان قيل) ما معنى أمره بضم الطير الى نفسه بعد أن يأخذها (أجيب) بأنه ليسأتملها ويعرف
 اشكالها وهياتها وحلاها لالتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يا بنيك
 سعيها وروى أنه أمر بأن يذبحها وينف ريشها ويقطعها ويفرق اجزائها ويخاط ريشها
 ودماها ولحومها وان يمد رؤسها ثم أمر أن يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى
 (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقتادة
 أمره الله تعالى أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل جزء من
 كل طائر وقال السدي وابن جرير جزءاً سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن
 ثم دعاهن فعالين باذن الله فجعل كل قطرة من دم طائر تصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى
 الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الاخر واراهم ينظر حتى صارت جثثا بغير رؤس ثم
 أقبلن الى رؤسهن سبعين فالتقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا بنيك سعيها) أى
 سريعاً وقبل مشيها لانه لو طارت لم يافوهم متوهم انها غير تلك الطير وان أرجلها غير سليمة قال
 البيضاوي وفي ذلك اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
 البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها تقطعها عنه مسرعات
 متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهداً على فضل ابراهيم وعنه أى بركنه حيث سلك
 مسلك الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراد ما أراد ان ير به في الحال على
 أيسر الوجوه وأراه عزير بعد ان أماته مائة عام (واعلم ان الله عزيز) لا يعجز عما يريد (حكيم)
 ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله (مثل الذين ينفقون) أى يذلون (أموالهم) بطيب النفس
 (في سبيل الله) الذي له الكمال كله أى في طاعته كمثل زراع ومثل ما ينفقون (كمثل حبة)
 مما زرعها فلا بد من حذف كما تقرأ ويقال مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة
 (أثبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) والثبت هو الله سبحانه وتعالى ولكن الحبة لما كانت
 سنبلاً سمد اليها الانبات كما يسهل الى الارض والى الماء وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم

باطهارناه التائب عند السين والباقون بالادغام ومعنى انبائهم سبع سنابل أن يخرج منها
ساق تشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل تصوير الاضعاف كأنها
مصورة بين عيني الناظر (فان قيل) كيف صح هذا التمثيل ولم ترسنبلة فيها مائة حبة (أجيب)
بأن ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرقة في الارض القوية المغلة
فبلغ حجمها هذا المبلغ وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا يجوز ضرب
المثل به وتأول ذلك الضحالة فقال كل سنبله أثبت مائة حبة (فان قيل) هلا قال الله تعالى سبع
سنبلات لانه جمع قلة كما قال الله تعالى وسبع سنبلات خضر (أجيب) بما تقدم في قوله تعالى
ثلاثة قروء (والله يضاعف لمن يشاء) بفضل تلك المضاعفة أو يضاعف على هذا ويريد لمن شاء
ما بين سبعين الى ستمائة الى ما شاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله على حسب حال المنفق من
اخلاصه وقبوعه ومن أجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أي غني يعطي
عن سعة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله) أي في طاعته قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنهم ما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان عندى ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسى وعباى أربعة آلاف وأربعة آلاف
أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أمسكت وفيما أعطت وأما
عثمان فجوز المسلمين في غزو تبوك بألف بعير باقتنائها واحلاسها وألف دينار قال عبد الرحمن بن
سيرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقبلها ويقول ما ضرب ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقال يارب
عثمان وضيت عنه فارض عنه (ثم لا يتبعون ما انفقوا منا) أي على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد
أحسن اليه وجبرت حاله فيعذر دون عليه النعمة فحذر الله عباده من بالصنعة واخص به صفة
لنفسه لانه من العباد تعبير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وكان السلف يقولون اذا منعتهم
صنعة فانسوها والعرب يتدحون بترك المن ويذمون عليه في الاول قول القائل
زاد معروفاً عندى عظماً * أنه عندك مستور وحقيق
تناساه كأن لم تأنه * وهو في العالم مشهور كبير

ومن الثاني قول القائل

وان امرأ أسدى الى صنعة * وذكر نهامة لبحيل
وقيل طم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن ويطلق المن أيضا على النعمة
يقال افلان على منة أي نعمة وأنشد ابن الانباري
فنى علينا بالسلام فانما * كلامك يا قوت ودر منظم

وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا الآية (ولأذى) له كان يذ كر ذلك الى
من لا يحب وقوفه عليه أو يتناول عليه بسبب ما أنتم عليه وشم التفاوت بين الانفاق وترك المن

والأذى (لهم أجرهم) أي ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم) أي فلا يخافون
فقد أجورهم (ولاهم محزونون) في الآخرة بسبب أن لا يوجد (قول معروف) أي كلام حسن
وردد على السائل جميل لأن القول الجميل وإن كان يرذل السائل يفرح قلبه ويروح روحه وقيل
عدة حسنة (ومغفرة) أي بأن يستر عليه خلقه ولا يهلك ستره ويتجاوز عنه إذا وجد منه ما ينقل
عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها إليه (يتبعها أذى) أي من وتغيير السائل أو قول يؤذيه
(فإن قيل) لم يرد ذكر المن في قول يتبعها من أو أذى (أجيب) بأن الأذى يشعل المن وغيره كما
تقرر وانما نص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر تحفظهم منه ولذلك قدم على
الأذى قال بعضهم الآية واردة في صدقة التطوع لأن الواجب لا يحل منعه ويحتمل أن رادها
الواجب فإنه قد يعدل به عن سائل إلى سائل وعن نقر إلى نفر وانما صرح الابتداء بالثمرة وهي
قول لا خصاصها بالصفة وهي معروف وأما المعطوف وهو مغفرة فلا يحتاج إلى مخصص
لبيها (والله غني) عن صدقة العباد وانما أمرهم لينبيهم عليها (حليم) بتأخير العقوبة
عن المان والمؤذي بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجورهم لأن الصدقة
وقعت فلا يصح أن تبطل (بالمَن والاذى) (فإن قيل) ظاهر هذا اللفظ أن مجموع المن والذى
ييطان الأجر فيلزم أنه لو وجد أحداهما دون الآخر لا يعطى الأجر (أجيب) بأن الشرط
أن لا يوجد واحد منهما دون الآخر لأن قوله تعالى ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى يقتضى أن
لا يقع هذا ولا هذا أي فتبطل بكل واحد منهما الباطال (كأذى) أي كإبطال أجر نفقة الذي
(ينفق ماله رياء للناس) أي مراعاة لهم لبر وانفاقته ويقولون أنه كريم سخى (ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر) وهو المنافق لأن الكافر يعلن بكفره غير مراء (فقل) أي هذا المراء في انفاقه
(كمثل صفوان) وهو الحجر الأملس (عليه) أي استقر عليه (تراب) والتراب معروف وهو
اسم جنس لا يثنى ولا يجمع وقال المبرد هو جمع واحدة ترابة وفائدة هذا الخلاف أنه لو قال
(لوجهته) أنت طالق عدد التراب أنه يقع عليه طلاقة على الأول وهو الأصح وثلاث على الثاني
(فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صاداً) أي أملس نقياً من التراب
وقوله تعالى (لا يتدرون على شيء مما كسبوا) استئناف لبيان منهل المناق المنفق رياء أي
لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لا ذهاب
المطر له (فإن قيل) كيف قال تعالى لا يتدرون بعد قوله كأذى ينفق (أجيب) بأنه تعالى أراد
بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذى يتعاقبان فكانت قيل كمن ينفق وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا يا رسول الله
وما الشرك الأصفر قال الرياء يقول الله تعالى لهم يوم يحازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين
كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ويرى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حدثه أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد أي أمره ليقضى بينهم وكل
أمة جاثية وأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول

الله تعالى للفرأى الم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى قال فإذا علمت فيما علمت قال كنت أقوم
 به أمانه الليل وأمانه النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت
 أن يقال فلان قارئ وقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أعدل
 تحتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فإذا علمت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأصدق فيقول
 الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى
 بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يارب أهرت بالجهد في سبيلك فقتلت
 حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جري
 وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتين فقال يا باهريرة أولئك الثلاثة أول خلق
 الله تسعهم النار يوم القيامة (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخبر والرشاد وفيه
 تعريض بأن الرياء والمن والاذى على الاتفاق صفة الكفار ولا بد أن يتجنبوا عنها (ومثل)
 نهقات (الذين ينفقون أموالهم ابتغاء) أي طلب (مرضاة الله) أي رضاه (وتبين أن أنفسهم)
 أي تبيينها بالنظر في اصلاح العمل واخلاصه بالجل على الحلم والصبر على جميع مشاق التكليف
 فان من راض نفسه يحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح فان بذله أشق شيء على النفس
 لان النفس اذا رضيت بالتحامل عليها وتسكيتها بما يصعب عليها ذلت خاضعة لاصحابها وقل
 طمها في اتباعها لشهواتها فسهل عليه حملها على سائر العبادات ومتى تركها وهي مطبوعة
 على التقاؤن زاد طمها في اتباع الشهوات فمن للتبعيض مفعول به مثلها في قولهم هزم عطفه
 وحرك من نشاطه (فان قيل) ما معنى التبعيض (أجيب) بأن معناه أن من بذل ماله لوجه الله
 تعالى فقد بذل بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فهو الذي ثبتها كلها أو نصديقا لاسلام وتحقيقا
 للجزأ من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله تعالى علم أن تصدقه وإيمانه
 بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه فمن على هذا الابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا
 من عند أنفسهم (كمثل الجنة) أي بستان (بربوة) وهي المكان المرتفع الذي تجري فيه الانهار
 فلا يعلو الماء ولا يعلو هو على الماء وانما جعلها ربوة لان النبات اعلاها أحسن وأزكى وقرأ ابن عامر
 وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها (أصاحبها وابل) أي مطر شديد كثير (فأتت) أي أعطت
 (أكلها) أي غرتها وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكون الكاف والباقون بضمها (ضعفين)
 أي مثلي ما يغمر غيرها بسبب الواابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثلة لان الضعف قدر
 الشئ ومثله معه فيكون الضعفان أربعة واستظهره البقاعي وقال أبو حيان يحتمل أنهما التثنية
 أي ضعفا بعد ضعف أي اضعافا كثيرة لان النفقة لا تضاعف بحسنة فقط بل بعشر وسبعائة
 وأزيد ونصبه على الحال أي مضاعفا (فان يصبها وابل فطل) أي مطر خفيف يصيبها ويكفيها
 لارتفاعها والمعنى ثمر ورزكو كثر المطر أو قل فكذلك نفقات من ذكر ترزكو وعند الله
 كثرت أوقات (والله جاعله لمن يصبر) فيجازيكم به فقيه وعدو وعيد (أيودأ حدكم) أي أوجب
 حبا شديدا (أن تكون له الجنة) أي بستان (من نخيل) جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق

ثم هانم اعلاها في كلها نفع حتى في خشبها مثلها كمثل المؤمن الذي يتقرب به كله (وأعتاب)
 جمع عذب وهو شجر الكرم لا يختص غمره بجهة العلو اختصاص الخلعة بل يتفرع علوا وسفلا وبينة
 وبسرة مثله كمثل المؤمن المتقي الذي يكرمه بتقواه في كل جهة * ولما كانت الجنة لا تقوم
 ولا تدوم الا بالماء قال تعالى (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت هذه الاشجار (له فيها) أي
 الجنة ثم غمر غمر النخل والعنب (من كل الثمرات) فهي محتوية على سائر أنواع الاشجار وانما
 خص النخل والعنب بالذكر لشر فهما وكثرة منافعهما وحسن منظرهما (وأصابه) أي والحال
 انه أصابه (الكبير) أي كبر السن فصار لا يقدر على اكتساب (وله ذرية ضعفاء) بالصغار كما ضعف
 هو بالكبر (فأصابها) أي الجنة (اعصار) وهو الريح العاصف الذي يرتفع الى السماء كأنها
 عمود وتسمى العامة الزوبعة وجمعه أعاصير والاعصار من بين سائر الرياح مذكروا لهذا رجع اليه
 الضمير مذكري قوله (فيه نار فاحترقت) تلك الجنة فقد هأ حوج ما كان اليها وبقي هو وأولاده
 عجرة متحيرين لاحيلة لهم وهذا مثل ضرب به الله تعالى لعمل المنافق والمراني بقول عمله في حسنه
 كحسن الجنة يتفجع به كما يتفجع صاحب الجنة بها فاذا كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء صغار
 أصاب حسنه اعصار فيه نار فاحترقت أحوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها الكبر وضعفت
 أولاده عن اصلاحها اولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا
 متحيرين عجرة لاحيلة لهم كذلك يبطل الله تعالى عمل المنافق والمراني في الآخرة حين لا مغيب
 لهم ولا نوبة ولا اقالة والاستغفار بعني التني وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما ضرب لرجل
 عمل بالطاعات ثم بعث الله الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله (كذلك) أي مثل هذا
 البيان (بين الله) أي الذي له السكال كله (لكم الآيات لعلمكم) أي لكي (تتفكرون) فيها فتعتبرون
 بها * ولما ذكر سبحانه وتعالى ان الانفاق على قسمين وبين كل قسم وضرب له مثلا ذكر كيفية
 الانفاق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) أي زكوا (من طيبات) أي جباد (ما كسبتم)
 من المال والتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث وعن
 عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما كل الرجل
 من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم ما كل أحد طعا ما قط خير من ان يأكل
 من عمل يده وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده والزكاة واجبة في مال التجارة فبعد
 الحول تقوم العروض فيخرج من قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم فضة فيزكها قال سمرة بن
 جندب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر نأ أن يخرج الصدقة من الذي يعد للبيع (وعما)
 أي ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن فخذف المضاف
 وهو طيبات من الثاني لمقدم ذكره وفي هذا أمر باخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق أهل
 العلم على ايجاب العشر في الخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء
 أو من نهر يجري الماء فيه من غير مؤنة وان كان مسقيا بساقية أو نضح ففيه نصف العشر لقوله
 صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما يسقي بالنضح نصف العشر

وعنه صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا ثمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبا كل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له به صدقة (ولا تيمموا) أى لا تقصدوا (الحديث) أى الردى من منه) أى المذكور (تفقون) في الزكاة حال من ضمهم تيمموا (ولستم يا خذيه) أى الحديث (الآن انقمصوا) أى تسامحوا (فيه) بالحبام مع الكراهة مجاز من أغض بصره اذا غضه وروى عن البراء قال لو اهدى ذلك لكم ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشواره فهو عن ذلك هذا اذا كان المال كله أو بعضه جديداً فان كان كل ماله ردياً فلا بأس باعطاء الردى (واهلوا أن الله غنى) عن اتفاقكم وانما يا امرئكم به لا تنفعاكم (حميد) أى يجازى الحسن أفضل الجزاء على انه لم يزل محموداً ولا يزال عذب أو أتاب (الشیطان يعدكم النقر) أى يخونكم به ان تصدقتم ويقال وعدت خيراً ووعده شراً قال تعالى فى الخير يعدكم الله مغامم كثيرة وقال فى الشر النار وعدّها الله الذين كفروا فاذا لم يذكر الخير والشر قلت فى الخير وعدته وفى الشر وعدته والفقير سوء الحال وقوله ما فى اليد أو صلته من كسر الفقار ومعنى الآية ان الشيطان يخونكم بالفقير ويقول للرجل أمسك مالك فانك اذا تصدقت افقرت (ويأمركم بالفحشاء) أى بالجمل ومنع الزكاة قال الكلبى كل فحشاء فى القرآن فهو الزنا الا فى هذا الموضع (والله يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير وفيه اشعار بأنه لا يقدر أحد أن يدرك الله حق قدره لما له من الاحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الانسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة فى الدارين وكل نعمة منه فضل ثم أكد ذلك بقوله تعالى (والله واسع) فضله (عليم) بالمتفق وغيره وفيه اشارة الى أنه لا يضيع شيئاً وان دق وعن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الله على لا يفيضها نفقة - بعد الليل والنهار أرايت ما أنفق من خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما فى يمينه قال وعرشه على الماء ويده الاخرى القسط يرفع ويخفض وعن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنفق ولا تنحصر فيحصى الله عليك ولا نوعى فيوعى الله عليك (بوتى الحكمة) أى العلم النافع المؤدى الى العمل وقال السدى هى النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناصحه ومنسوخه ومحكمه ومتشابه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثال ذلك وقال الضحالى هى القرآن والفهم فيه وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناضجة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن وقال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وقوله تعالى (من يشاء) مفعول أو قل آخر للاهتمام بالمفعول الثانى وهو الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) لمصيره الى السعادة الابدية (وما يذكر) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال أى ما يتعظ بما قص من الآيات أى ما يتفكر فى التفكر كالمبتدئ كالمأدع الله تعالى فى قلبه من العلوم بالقوة (الأولوالآلآباب) أى أصحاب العقول الخالصة من

شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم) أى أدبتم (من نفقة) قليلة أو كثيرة سرا
 أو علانية زكاة أو صدقة تطوع (أو نذرتم من نذر) بشرط أو بغير شرط فوفيتهم به (فإن الله يعلمه)
 فيجازيكم به (فإن قيل) لم وحد الضمير في يعلمه وقد تقدم شيان النفقة والنذر (أجب) بأن
 العطف بأوهى لاحد الشئين تقول زيد أعز وأكرمته ولا يجوز أن كرمتهما بل يجوز أن يراعى
 الأول نحو زيد أو همد منطلق والثاني نحو زيد أو همد منطلق والآية من هذا ومن مراعاة
 الأول وإذا رأوا تجارة أو لهوا أو انقضوا اليها ولا يجوز أن يقال منطلقان ولهذا أول الآية قوله
 تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما كما سيأتى ان شاء الله تعالى (وما للظالمين) يمنع
 الزكاة والنذر أو بوضع الاتفاق في غير محله من معاصي الله تعالى (من أنصار) أى من ينصرهم
 من الله ويعينهم من عذابه فهو على طريق التوزيع والمقابلة أى لا ناصر لظالم قط فسد ما يقال
 ان نفي الانصار لا يوجب نفي الناصر (ان تبدوا) أى تطهروا (الصدقات) أى النوافل
 (فنعماهى) أى نفع شيئا ابدائها وقرأ ابن عامر وجزرة والكسائي بفتح النون والباقون
 بكسرهما وقرأ قالون وأبو عمرو باختلاس كسرة العين والباقون بالكسرة الدكاملة (وان
 تحقوها) أى تسروها (وتؤتوها الفقراء) أى تعطوها لهم في السر (فهو خير لكم) أى أفضل من
 ابدائها وايتاؤها للفقراء أفضل من ايتائها للاغنياء مثل صلى الله عليه وسلم حل صدقة السر أفضل
 أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وفي الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال صلى الله
 عليه وسلم سمعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
 تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان فعايا في الله تعالى
 فاجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات
 منصب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
 ما تنفق يمينه نعم ان كان ممن يقتدى به فالأظهر في حقه أفضل أما صدقة الفرض فالأفضل
 اظهارها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل وليقتدى به لا يهتم
 ولا يجوز دفع شئ منها للاغنياء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اصدقة السر في التطوع
 أفضل علانية سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانية أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
 * (تنبيه) الصدقة تنطلق على الفرض والنفل قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وقال
 عليه الصلاة والسلام نفقة المرء على عياله صدقة والزكاة لا تنطلق الا على الفرض (وسكفر
 عنكم من سيئاتكم) أى بعضها وقيل من صلاته وقرأ ابن عامر وحفص بياها التحية والباقون
 بالنون وقرأ نافع وجزرة والكسائي بيجزم الراء بالعطف على محل فهو والباقون بالرفع على
 الاستئناف وقوله تعالى (والله بماتعلمون خبير) فيه ترغيب في الاسرار لانه عالم بباطن الشئ
 كظاهرة لا يخفى عليه شئ منه * ولما منع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من التصديق على فقراء
 المشركين كي يحملهم الحاجة ليسلوا نزل (ليس عليكم حادهم) أى لا يجب عليهم أن تجعل
 الناس مهدين فتنهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها وانما عليك الارشاد

والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالن والاذى وانفاق الخبيث وقوله تعالى (ولكن الله يهدي من يشاء) أى هداية التوفيق صريح بأن الهداية من الله وبمشيئته وانما تختص بقوم دون قوم أما هدى البان فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطوهم بعد نزول الآية (وما تنفقوا من خير) أى من مال وقوله تعالى (فلا أنفسكم) خبر لبدن المحذوف أى نهى لانفسكم لأن ثوابه لا فلاح ثوابه على غيركم ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم ولا تنفقوا الخبيث وقوله تعالى (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) عطف على ما قبله أى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فإلحكم تنفقون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى (وما تنفقوا من خير يوفى اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن اتفائه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجلها والجلتان تأكيد للاولى وهى وما تنفقوا من خير فلا نفستكم أو ما يخلف المنفق استحبابه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولمسك تلفارواه البخارى (وأنتم لا تطلون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا بفضل من الله تعالى عليكم وهذا فى صدقة التطوع أباح الله تعالى ان توضع فى أهل الاسلام وأهل الذمة وقيل بجبت اسماء بنت أبى بكر فاتها أمها نسأ لها وهى مشركة فأتت أن تعطى فقرئت وروى النسائي والحاكم أن ناسا من المسلمين كانت لهم أسهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا يتفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن يتفقوا عليهم فقرئت وعن بعض العلماء لو كان المنفق عليه أشرك خلق الله كان لك ثواب نفقتك وأما الصدقة المقرضة فلا يجوز وضعها الا فى المسلمين أهل السهمان المذكورين فى سورة التوبة لكن يجوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وقوله تعالى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى صدقاتكم للفقراء ومتعلق بفعل مقدر كجعلوا ما تنفقون للفقراء (الذين أحصوا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد وهم فقراء المهاجرين كانوا الفقراء من أربعمائة لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر كانوا يسكنون صنعة المسجد يستغفرون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية يعينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المشهورون بأحباب الصفة فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أناهم به اذا أمسى (لا يستطيعون ضربا) أى سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنيا من التعفف) أى لاجل تعففهم عن السؤال وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما (تعرفهم) أيها المخاطب (بسيماهم) أى بعلامتهم من التعفف والتواضع وصفرة الوجوه وورثاة الحالة (لا يسألون الناس) شيئا فيلقون (الحافا) أى لاسؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الحاف ومثل ذلك قول الشاعر

لا يفرع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجر

أى ليس فيها أرنب فيفرع لهو لها ولا ضب فينجر وليس المعنى انه ينق الفزع عن الارنب والاشجار عن الضب والاحاف الاحباح وهو اللزوم وأن لا يشارك الابشى يعطاه من قولهم لحفى من فضل لحافه أى اعطانى من فضل ما عنده وقيل انهم ان سألوا سألوا بيطلف ولم يلحفوا

قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المحي الحليم المتعفف ويغض البذي السائل الخلف وقال
صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم حبله فيه ذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها
وجهه خبيلة من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو وضعوه وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله
ما يغنيه جاء يوم القيامة ومساأله في وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خشون
درهما أو قبيها (وما تفقهوا من خير) أي مال (فان الله به عليم) فيجأزيكم وفي هذا ترغيب
في الانفاق (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أي يعمون الاوقات
والاحوال بالصدقة لمصرهم على الخير نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تصدق
بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وفي أبي
طالب رضي الله تعالى عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يعلك غيرها فتصدق بدراهم ليل ويدرهم
نهارا ويدرهم سرا ويدرهم علانية وقال الاوزاعي نزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد فانها
تدفع ليليلونها وسرا وعلانية روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماننا
بالله وتصديقا بولوعه فان شبعه وريه ورونه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى (فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء لليسية (فان قيل) أي
فرق بين قوله فلهم أجرهم وفيما نزلهم أجرهم (أجيب) بأن الموصول ثم لم يضمن معنى الشرط
وضمته هنا (الذين يأكلون الربوا) أي يأخذونه وهو لغة الزيادة وشرعا قد على عوض شخص
غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدل أو أحدهما وهو ثلاثة
أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر وربا الميسر وهو البيع مع تأخير
قبضهما أو قبض أحدهما وربا النساء وهو البيع الى أجل وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع
المال كقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فنبه بالكل على ما سواه من وجوه
الاتلافات ولان نفس الربا الذي هو الزيادة لا يؤكل وانما يصرف في الماء كقول وقال صلى الله عليه
وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل له فعلنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل
ولما كان بين الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بأمر الله
بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه فكنا كالمتضادين ذكر عقب
الصدقة ويرسم بالواو والالف بعد الواو وانما رسم على لغة من يفهم وهو عيل الالف أي يخرج
الواو كما كتبت الصلاة والركعة وقيل لان أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربو
بالواو الساكنة فعملوههم الخط على لغتهم وزيدت الالف بعدها تشبيها بالجمع (لا يقومون)
اذ ابتعوا من تبورهم (الا) أي قياما (كما يقوم الذي يتخبطه) أي يصصره (الشيطان) وقوله
تعالى (من المس) أي الجنون متعلق يتخبطه من جهة الجنون فيكون في موضع نصب فانه
أبو البقاء والمعنى ان كل الربايعت يوم القيامة وهو كالمصرع تلك سماء يعرف بها عند أهل
الموقف (فان قيل) لم ينسب هذا للشيطان (أجيب) بأنه وارد على ما نزع العرب ان الشيطان
يقبض الانسان فيصرع وانحبط الضرب على غير استواء يقال ناقة خبطت لاتي نطا الناس

ونضرب الارض بقوائمها ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يبتدى فيه انه يخط خط
 عشواه ويخطبه الشيطان اذا مسه بجمل او جنون لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش
 (ذلك) أي الذي نزل بهم (بأنهم) أي بسبب انهم (قالوا ان البيع مثل الربوا) في الجواز
 (فان قيل) ما الحكمة في قلب القصة ومن حق القياس أن يشبه محل الخلاف بعمل الوفاق
 لأن حل البيع متفق عليه وهم أرادوا قياس الربا عليه فكان نظم الكلام أن يقال انما الربا مثل
 البيع (أجيب) بأن هذا من عكس التشبيه مبالغة اذ به صار التشبيه مشبهاه وبالعكس
 وشأن التشبيه أن يكون أقوى من المشبه أو بأنهم لم يكن مقصودهم أن يتسكوا بنظم القياس
 بل كان غرضهم أن البيع والربا متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص
 أحد المتماثلين بالحل والآخر بالحرمة وعلى هذا التقدير فأيهما قدم أو أخرجا زوتوله تعالى (وأحل
 الله البيع وحرم الربوا) انكارا لردويتهم وباطال القياس لمعارضته النص * (تنبيه) * أظهر
 قول الشافعي أن هذه الآية عامة في كل بيع الا ما خص بالسنة وانه صلى عليه وسلم لم يرد
 عن يوع والثاني انها مجملة والسنة مبينة لها وتظهر فائدة الخلاف في الاستدلال بها في مسائل
 الخلاف فعلى القول يستدل بها وعلى الثاني لا يستدل (فن جاءه) أي بلغه (موعظة) أي وعظ
 (من ربه) وزجر بالنهاي عن الربا (فاتهى) أي فاتبع النهي وامتنع من أكله (فله ما سلف)
 أي ما مضى قبل النهي فلا يسترد منه ما أخذه من الربا وقيل ما مضى من ذنبه قبل النهي
 مفعوله (وأمره الى الله) بعد النهي ان شاء عصمه حتى ثبت على الاتهام وان شأخذه
 حتى يعود وقيل أمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له من أمر نفسه شيء
 (ومن عاد) الى تحليل الربا مشبه بالبيع في الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
 لانهم كفروا بذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن أكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة
 والمصور وأنه صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا هو نعم اعند الله عز وجل كالذي ينسج
 أمه (يحق الله الربوا) أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر
 فالى قل (ويرى الصدقات) أي يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه روى الشيخان انه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل الصدقة ويربها كإربي أحدكم فلو روى الامام أحمد
 ما نقص مال من صدقة (والله لا يحب كل كفار) أي مصر على تحليل المحرمات كمن يحلل الربا
 (أنهم) منهم من ارتكبه (ان الذين آمنوا) بالله وبرسوله وبما جاءهم عنه (وعملوا الصالحات)
 وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وانما عطفهما على ما بعدهما للشفيعتهما (لهم أجرهم عند ربهم
 ولا خوف عليهم) من آت (ولهم يحزنون) على فائت وتقديم مثل هذه الآية ولكن جرت عادة
 الله سبحانه وتعالى في القرآن مهما ذكر وعيد اذ كرعه وعدا فلما بالغ هنا في وعيد الربا تابعه بهذا
 الوعد (فان قيل) ان الانسان اذا بلغ عارفا بالله وقبل وجوب الصلاة والزكاة عليه مات فهو من
 أهل الثواب بالاتفاق فدل على ان استحقاق الثواب لا يتوقف على حصول العمل (أجيب)
 بأنه تعالى إنما ذكر هذه الخصال لاجل ان استحقاق الثواب مشروط به فاذل لاجل ان لكل

منهما أثر في جلب الثواب كما قال تعالى في ضد هذا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ثم قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما ومعلوم أن من ادعى أن مع الله الها آخر لا يحتاج في استحقاقه العذاب إلى جهل آخر وإنما جمع الله تعالى الزنا وقتل النفس مع دعاء غير الله تعالى الها ليسان أن كل واحد من هذه الخصال يوجب العقوبة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بيني من الربوا) أي اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا الذي أخذتم بعضه قبل التحريم (أن كنتم مؤمنين) أي يقول بكم أو أن يعني إذا كان دليل الإيمان امتثال ما أمرتم به وروى أنهم أنزلت لما طالب بعض الأصحابه بعد النهي بربا كان له قبل (فان لم تفعلوا) أي تذكروا ما بيني من الربا (فانذروا) أي اعلوا من أذن بالشئ إذا علم به أي فاعلوا أنتم وأيقنوا (يجرب من الله ورسوله) لكم (فان قيل) هذا حكمهم أن تابوا فحكمهم أن لم يتوبوا (أجيب) بأن مقتضى ذلك أنهم يقاتلون أن لم يرجعوا قال سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله تعالى النار وحر ب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقر أشعبة وحجرة فاذنوا بفتح الهمزة ومدها و كسر الذال أي فاعلوا بها فحرم وهو من الأذن وهو الاستماع لانه من طريق العلم والباقون يسكون الهمزة وفتح الذال (وأن تبتم) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال (فان قيل) هلا قال تعالى يجرب الله ورسوله (أجيب) بأن هذا أبلغ لأن المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * ولم ينزل هذه الآية قال المراءون بل يتوب إلى الله فانه لا شأنا يجرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكوا عليه الدين العسرة وقال لمن لهم الدين آخر فإنا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى (وإن كان ذو عسرة فنظرة) له أي عليكم تأخير (إلى مبصرة) أي وقت يسره * (تنبيه) * في كان هذه وجهان أظهرهما أنها تامة بمعنى حدث ووجد أي وإن حدث ذو عسرة فتكتفي بشأعها كسائر الأفعال والثاني أنها ناقصة وخبرها محذوف قال أبو البقاء تقديره وإن كان ذو عسرة لكم عليه حق أو نحو ذلك وقد رده بعضهم وإن كان ذو عسرة غريبا وقرأنا نافع بنهم السنين والباقون يفتضها (وأن تصدقوا) أي بالابرام وقرأعاصم بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد على ادغام التاء في الأصل والتخفيف على حذفها (خير لكم) أي أكثر نوابا من الانتظار وهذا مما فضل المشدوب فيه الواجب فان الإبرام مندوب إليه والانتظار واجب فيحرم حبس العسر وهل القول قوله في إفساده أو لا بد من بينة تشهد بذلك ينتظر أن كان الدين عن عوض كالبيع والقرض فلا بد من بينة وإن كان عن غير عوض كالضمان والاتلاف والصدقات فالقول قول المعسر بينه وبين الغريم البينة الآن يعرف له مال فلا بد من بينة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على الانتظار فاضلوا وقيل المراد بالتصدق الانتظار فنه ورد هذا كما قال الامام بأن الانتظار قد علم مما قبل فلا بد من حمله على فائدة جديدة قال عليه الصلاة والسلام لا يحمل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة وروى من أنظره معسرا أو وضع عنه أنجاء الله من كرب يوم القيامة

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة
تلقى روح رجلا كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط قال لا قالوا تذكروا قال لا في رجل
كنت أداين الناس فكنت آمر قتياني بأن ينظروا الموسر وينجاوزوا عن المعسر قال الله
تعالى تجاوزوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم
لا ظل الاظله (رواه أبو داود مترجعون) أي تصيرون (فيه إلى الله) هو يوم القيامة أي فتأهبوا
لمصيركم إليه وقرأ أبو عمرو ويقع التاء وكسر الجيم والباءون بضم التاء وفتح الجيم (ثم توفي) فيه
(كل نفس) جزاء (ما كسبت) أي علمت من خير أو شر (وهم لا يظنون) بنقص حسنة
أو زيادة سيئة * (فائدة) * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما هذه آخر آية نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش
بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال
سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليتين خلتما من شهر ربيع الأول وقيل ثلاث ساعات
وقال الشعبي عن ابن عباس آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرابوا لما
منع الله من الربا أذن في السلم والقرض بما يعمله ما قال (يا أيها الذين آمنوا إذا نذرتن دين)
كسـ لم وقرض (آلى أجل مسمى) أي معلوم ولذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل إليها
بالطريق الحرام الا والله سبحانه وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك المذلة طريقا حلالا وسبيلا
مشروعا (فان قيل) المداينة مفاعلة وحقيقة ما أن يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع
الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق (أجيب) بأن المراد من تداينتم تعاملتم والتقدير تعاملتم بما
فيه دين (فان قيل) هلا كتمى بقوله إذا نذرتن إلى أجل وأي حاجة إلى ذكر الدين (أجيب) بأنه
ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله (فأكثره) اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فأكثروا الدين فلم يكن
النظم بذلك الحسن وثلاثتهم من الدين المجازاة ولأنه أبين لتبويب الدين إلى موجب وحال
وفائدة قوله مسمى ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالوقت بالسنة والشهر والايام
ولو قال إلى الحصاد أو الدراس أو رجوع الحاج لم يميز الجهد بوقت الأجل وانما أمر بكتابة
الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الخلود (فان قيل) إن كلمة إذا لا تفيد العموم
والمراد من الآية العموم لأن المعنى كلما تداينتم فأكثروا فلم يعدل عن كتاب وقال إذا
تداينتم (أجيب) بأن كلمة إذا وان كانت لا تقتضي العموم لأنها لا تمنع من العموم وهنا
قام الدليل على أن المراد هو العموم واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة
والا كثرون على أنه أمر استحباب فان ترك فلا بأس بك قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الأرض وقال بعضهم كانت كتابة الدين والشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله تعالى فان
أمن بعضكم بعضا فليؤد الذين أتمن أماتهم ثم بين كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب) أي كتاب
الدين (ينسكم كاتب بالعدل) أي بالحق في كتابته لا يدي المال والأجل ولا ينقص وهو
في الحقيقة أمر للعداين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه موافقه للعدل بالشرع

مع أن ظاهره أمر للكاتب (ولايأب) أى لا يمنع (كاتب) من (أن يكذب) اذا دعى اليها
 (كامله) أى فضله (الله) بالكاتب فلا يخل بها بل ينفع الناس بها كما نفعه الله بتعليمها كقوله
 تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك والكاف متعلقة بـ (أب) فليكتب تلك الكتابة الملعنة أمر بها
 بعد النهى عن الإبانة كيدا (ولعل الذى عليه الحق) أى وليكن العمل على الكتاب من عليه
 الحق لأنه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما
 القرآن فالاملال ههنا وهو لغة الجواز والاملاء قوله تعالى فهى على عليه بكرة وأمره يلاوهى
 لغته عقيم (وليتق الله ربه) أى كل من المولى والكاتب (ولا يخس) أى لا ينقص (منه) أى من
 الحق أو مما ألقى عليه (شأفاً كان الذى عليه الحق سفيهاً) أى مبذراً (أو ضعيفاً) أى صغيراً
 أو كبيراً اختل عقله لكبره (أو لا يستطيع أن يمل هو) لغرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليعمل
 وليه) أى متولى أمره من والد وصى وقيم ووكيل ومترجم (بالعدل) وفي هذا دليل على جريان
 النيابة فى الاقرار قال البيضاوى ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل أى دون المترجم
 ودونهما فيما يتعاطاه (واستشهدوا) أى وأشهدوا (شهيدين) أى شاهدين (من رجالكم)
 أى البالغين الأحرار المسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار وأجاز ابن سيرين شهادة العبيد
 وأبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فإن لم يكونا) أى الشاهدان (رجلين فرجل) أى
 فليشهد أو فليستشهد رجل (وأمرأتان) وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال
 فى الأموال حتى ثبت برجل وامرأتين واختافوا فى غير الأموال فذهبت جماعة الى أنه تجوز
 شهادتهن مع الرجال فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة
 الى أن خبر المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى أن ما يطلع عليه النساء غالباً
 كالولادة والرضاع والثبوبة والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة أربع
 نسوة وانفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة فى العقوبات (بمن ترصون من الشهداء) أى
 من كان مرضاً لدينه وأمانته * (تنسبه) شروط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية
 والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة ففى فقد شرط منها لم تنص تلك الشهادة وإنما
 اشترط التعدد فى النساء لاجل (أن أفضل) أى تنسى (أحدهما) أى الشهادة لنقص عقلهن
 وضبطهن (فتذكر) قرأ ابن كثير وأبو عمر وبسكون الذال وتخفيف الكاف والباقون بفتح
 الذال وتشديد الكاف وقرأ حمزة برفع الراء والباقون بالنصب (أحدهما) أى الذاكرة
 (الأخرى) أى الناسبة قال الزمخشري ومن بدع التفسير فتذكر أى ففعل أحدهما الأخرى
 ذكر أى معنى أنه ما إذا اجتمعا كاتبا بمنزلة الذكر وقرأ حمزة وحده ان تفضل أحدهما على الشرط
 فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فيقيم الله منه وبجمله الاذ كارجح العلة أى ان ذكر
 ان ضلت ودخلت على الضلال لأن الضلال سبب الاذ كارجح العلة أى ان ذكر
 والمسبب منزلة الاسم (ولايأب) أى ولا يمنع (الشهادة اذا ما) أى اذا (دعوا) لاداء الشهادة
 والعمل فها من يده وسمو شاهد على هذا الثانى تنزىلا لما يشارف منزلة الواقع (ولانسا مواء)

أى غلوا من (أن تكتبوه) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تسكروا من أن
 تكتبوه فكفى عن السامعة التى تكون بعد الشروع للكثرة الكسل الذى يكون استداه
 لكونها من لوازمه لأن الكسل صفة المنافق قال تعالى وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
 وقال صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت (صغيراً) كان ذلك الحق (أو كبيراً) قليلاً
 أو كثيراً وقوله تعالى (الى أجله) أى وقت حلوله الذى أقربه المديون حال من الهام فى تكتبوه
 (ذلكم) أى الكتب (أقسط) أى أعدل (عند الله وأقوم للشهادة) أى أعون على إقامتها لأنه
 يذكرها * (تنبيه) * يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام
 وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة التسبب بمعنى ذى قسط وأقوم من قوم وأهما مبنيان
 من أقسط وأقام لامن قسط وقام لأن قسط بمعنى جار والمعنى هنا على العدل والقيل منه أقسط
 فلزم أن يكون أقسط فى الآيتين من المزيد لقصد الزيادة فى المقسط قال تعالى إن الله يحب
 المقسطين لامن الجرد لأن معناه الزيادة فى القاسط وهو الجائر قال تعالى وأما القاسطون
 فكأنوا لجهنم طباوراً كذا أقوم معناه أشد إقامة لأقواماً وبنائاً وهما من ذلك على غير قياس
 والقياس أن يكون البناء من الجرد لامن المزيد ويجوز أن يكون بنائاً وهما من قاسط بمعنى
 ذى قسط أى عدل وبمعنى قوم أى ذى استقامة على طريقة التسبب كلاين ونامر فيكون
 أعدل لأفعله وانما صحت الواو فى أقوم كما صحت فى التعجب لجوده (وإدنى) أى وأقرب الى
 (أن لا ترتابوا) أى تشكوا فى قدر الحق وجنسه والشهود والاجل ونحو ذلك (الآن تكون
 تجارة حاضرة) وهى تم المبايعات بين أوعين (تدبرونها بينكم) أى تتعاطونها أيد (فليس
 عليكم جناح) أى لا بأس إذا تابعتم أيد (أن لا تكتبوها) فهو استثناء من الأمر بالكتابة
 بعده حيث دعت التنازع والتسليم وقرأ عاصم نصب التاء فيهما على أن تجارة هى الخبر
 والاسم مفعول تقديره الآن تكون التجارة حاضرة والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة
 هى الاسم والخبر تدبرونها وعلى كان التامة (وأشهدوا) أى ندبوا (إذا تابعتم) عليه سواء كان
 ناجراً أو كائناً فانه أدفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطاً فى جميع المبيعات
 ويجوز أن يراد بهذا التبايع الذى هو التجارة الحاضرة على أن الشهاد كافي فيه دون الكتابة
 وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) أصله يضار وأدغمت إحدى الرأى فى الأخرى ونصب
 الحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلاف واغتمهم من قال أصله يضار بكسر الراء الاولى وجعل
 الفـهـل للكاتب والشهيد ومعناه منهما عن ترك الإجابة وعن التعريف والتغيير فى الكتابة
 والشهادة ومنهم من قال أصله يضار بفتح الراء على الفعل الجهول وجعلوا الكاتب والشاهد
 مذهباً ومعناه النهى عن الضرر بهما مثل أن يهمل عن مهمته ويكافأ الخروج عما دلهما ولا
 يعطى الكاتب جملة ولا الشهيد مؤنة بحيث كان والمنهى حينئذ المتبايعان فالأية محتملة
 للبناء للفعل وللبناء للمفعول فعمل على ما معاً وعلى كل منهما والاولى أولى (وان تفعلوا)
 ما نهىتم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أى معصية وخروج عن الأمر (واقضوا الله)

في مخالفة أمره ونهيه (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لصالحكم (والله بكل شيء عليم) كثر لفظ
الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الأولى حدث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم
الله لشأنه عز وجل ولأنه أدخل في التعظيم من الضمير وهذا آخر آية الدين وقد حدث سبحانه وتعالى
فيها على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد قال تعالى ولا تنفقوا أموالكم
أموالكم الآية قال الفقهاء رحمه الله تعالى ويدل على ذلك أن أنماط القرآن جارية في الأكثر
على الاختصار وفي هذه الآية بسط شديد ألا ترى أنه قال إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
ثم قال ثانيا وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال ثالثا ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكل هذا
كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل لأن العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا وليكتب
وهذا إعادة للأمر الأول ثم قال خامسا وليعلم الحق الذي عليه الحق وفي قوله تعالى وليكتب بينكم
كاتب بالعدل كتابة عن قوله وليعلم الحق لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يلى عليه
ثم قال سادسا وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعا ولا يبخس منه شيئا وهذا كالمستفاد من
قوله وليتق الله ربه ثم قال ثامنا ولا تنسوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله وهو أيضا
تأكيد لمضى ثم قال تاسعا ذللكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فذكر هذه
الفوائد التالية لتلك التأكيدات السابقة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال
الخلال وصونه عن الهلاك لئلا يتمكن الإنسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والأمر اض
عن مساخته الله تعالى من الربا وغيره والمواظبة على تقوى الله (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين
وتدأينتم فعلى بمعنى في الثلاثين هو أن المعنى على نية سفر (ولم تجدوا كاتباً فرهن) أي فعليكم
رهن (مقبوضة) تستوثقون بها ويثبت السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب
فقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير
أخذه لاهله فالتقيده بما ذكره لأن التوثيق به أشد وعن مجاهد والضحاك أنهم لم يجوزوا إلا
في السفر أخذاً بظاهر الآية وأفاد قوله تعالى مقبوضة اشتراط القبض أي في لزوم الرهن
لأن صحته والاكتفاء به من المرتن ووكيله ولا يشترط القبض عند مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بضم الراء والماء ولا ألف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها وكلاهما جمع
رهن بمعنى مرهون (فإن آمن بعضكم ببعض) أي الدائن (بعضاً) أي المديون واستغنى بأمانته
عن الارتهان (فليؤد الذي آثمن) أي المدين (أمانته) أي دينه سماعاً أمانة لا ثقة عليه بترك
الارتهان به وقرأ ورش فليؤد بابدال الهمزة واو واذا وصل السوسى وورش الذي ياتين أبداً
الهمزة ياء وفي الابداء همزة مضومة للجمع (وليتق الله ربه) في الحيانة وانكار الحق وقبحه
مبالات من حيث الابتن بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكراته والرب وذكره
عقب الأمر بأداء الدين (ولاستكروا الشهادة) أي الشهود وإذا دعيتهم لأقامتها والمديون وعلى
هذا أخذت منهم إقرارهم على أنفسهم (ومن يكفها فانه آثم قلبه) فإن قبل هلاكه قصر على قوله
فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجله حتى الآية لا القلب وحده (أجيب) بأن كتمان الشهادة

هو أن يضمها ولا يكلم بها فلما كان أي الكتمان غامقترفا أي مختلطاً بالقلب أسند إليه لأنه محل
كتمان الشهادة وأسند الفاعل إلى الجارحة التي به مل بها أبلغ الأثرى أنك تقول إذا أردت
التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الاعضاء
والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكانه قبل فقد تمكن الأثم
في أصل نفسه وملأ أشرف مكان فيه وللا يظن أن كتمان الشهادة من الاستتمام المتعلقة باللسان
فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب
أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها لا ترى أن أصل الحسنات
والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب وإذا جعل كتمان الشهادة من أتمام
القلوب فقد شهد له بأنه من معاطم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين كبر الكبائر
الاشترى بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة • (نبيه) •
آثم خبران وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قبل فانه يآثم بقلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء
وآثم خبر مقدم والجملة خبران وقوله تعالى (والله بما تعملون علم) تهديد لأنه لا يخفى عليه منه
شيء (لله ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملاكاً قال الجلال السيوطي وعبيداً وله دل ذكره
بعدم ملكا للآية وهما مالم لا يعقل (وان تدوا) أي تظهروا (ما في أنفسكم) من سوء
والعزم عليه (أو تخفوه) أي تسروه (بحاسبتكم) أي يحجزكم (به الله) يوم القيامة والآية بحجة
على من أنكروا الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (وبعذب من يشاء)
تعذيبه وهذا صريح في نفي وجوبه وقرأ ابن عاصم وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع الباء من
يعذب على الاستئناف والباقيون يحجز مهماعطف على جواب الشرط وادغم الراء المحذومة في
اللام السوسى واختلف عن الدوري وقول الزخسرى ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ
فأحشا وراويه عن أبي عمرو يعني السوسى مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب اللحن إلى أعلم
الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة
والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النجوم ودولانه مبنى
على القول بأن الراء انما تدغم في الراء لتكرره الفاتت بادغامها في اللام ورد بأن ذلك قراءة أبي
عمرو وهي متواترة مع أن القول بالامتناع ادغام الراء في اللام انما هو مذهب البصريين وأما
الكوفيون بل وبعض البصريين كابن عمر وقاتلون بالجواز كما نقله عنهم أبو حيان ونقل
أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر صحة ادغام صارلى وصارلك عن العرب ومن حفظ بحجة على من لم
يحفظ ووجه الجمع بى ادغام الراء في اللام بتقارب مخزجهم ما على رأى سيبويه وتشاركهما على
رأى القراء وتجانسهما في الجهر والانشراح والاستفال (واسه على كل شيء قدبر) فيقدر على
جزائكم ومحاسبتكم وقوله تعالى (آمن) أي صدق (الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم
(بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن فيه شهادة وتنصيب من الله تعالى على صحة إيمانه
والاعتداده وأنه جازم في أمر غير شك فيه وقوله تعالى (والمؤمنون) عطف على الرسول

(كل) من الرسول والمؤمنين واختلف في تنوين كل فقبل تنوين عوض من المضاف اليه وقبل تنوين المتمكن قال الشيخ خالد الوقاد وهو الاصح (آمن بالله وملائكته) وقرأ (وكتبه) حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على التوحيد على أن المراد به الجنس والباقون بضم الكاف والتاء على الجمع (ورسله) يقولون (لا تفرق بين أحد) أي جمع (من رسله) فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى فأحد اسم لمن يعلم أن يخاطب يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث خفي أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه ويجوز أن يقدر القول مفردا باعتبار كل وانما احتيج الى التقدير لاجل قوله تعالى لا تفرق ولو قال تعالى لا يفرقون لم يحتج الى ذلك (وقالوا سمعنا) أي ما أمرنا به سماع قبول (وأطعنا) أمرنا نساألك (غفرانك ربنا واليك المصير) أي المرجع بعد الموت وهو أقرارهم بالبعث روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال فاشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعوا على الركب وقالوا أي رسول الله كفنا من الاعمال ما نطيع الصلوة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم وذلت أسننتهم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى بقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي ما تسعه قدرتها وان شق فضلا ورحمة (لها ما كسبت) من الخير أي ثوابه (وعليها ما كتبت) من الشر أي وزره فلا يتدفع بطاعتها غيرها ولا يؤخذ أحد بذنب أحد ولا بما يكسبه مما وسوت به نفسه كما يفعله تقديم الخبر وهولها وعليها من الحصر وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به (فان قيل) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكسب (أجيب) بأن في الاكسب اعتيالا أي اضطرارا في العمل بمبالغة واجتهادا فلما كان الشر مما تشبهه النفس وهي مغتذبة اليه واماره به كانت أشد حبا واجتهادا في تحصيله وأعلنت فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعمال قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) أي لا تعاقبنا (ان نسينا أو أخطأنا) أي بما أدى بنا الى النسيان أو الخطأ من تقرير وقلة مبالاة لأن المواخذة انما هي بالمقدور والنسيان والخطأ ليس بمقدورين ويجوز أن يراد نفس النسيان والخطأ أي لا تؤاخذنا بما كما أخذت به من قبلنا قال الكلبي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا جعلت لهم العقوبة فحرم عليهم شئ من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مواخذتهم بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه

(فان قيل) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فامعنى الدعاء بترك المؤاخذه بهما (أجيب) بأن المراد
 بذكرهما ما هما مسببان عنه من التعريط والافغال ألا ترى الى قوله وما أنساه الا الشيطان
 والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتعريط الذى منه
 النسيان ويجوز أن يدعى الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته
 وذكره بلفظ الدعاء على معنى الصدق بنعمة الله فيه قال الله تعالى وأما بئنة من يك فحذث
 ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أى لا تكفنا امرا يتقل علينا حمله (كما حمله على الدين من قبلنا)
 أى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكاة وقطع موضع النجاسة
 من الجلد والثوب وغير ذلك قاله الكشف قال البضاوى وخمسين صلاة فى اليوم واليلة
 ونسبها غيره من المفسرين الى اليهود ولاتنا فى بينهم ما اذا المراد من بنى اسرائيل هم اليهود منهم فلا
 يرد على هذا ما قيل ان بنى اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون صلاة بل ولا خمس صلوات مع أن من
 حفظ حجة على من لم يحفظ ربنا ولا تحملنا لاطاقة أى قوة (لنا) من البلاء والعقوبة ومن
 التكليف التى لاتنى به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والامساك
 التخص منه والتشديد ههنا لتعديده الفعل الى مفعول ثان لا للمبالغة (واعف عنا) أى ارح
 ذنوبنا (واغفر لنا) أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذه بها (وارحمنا) ونعطف بها
 وتفضل علينا فاقبال ائمال العمل بطاعتك ولا تترك معصيتك الارحمتك (أنت مولانا) أى سيدنا
 ومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) بأقامة الحجج والغلبة فى قتالهم فان من حق
 المولى أن ينصر مواليه على الاعداء والمراد بالكافرين عامة الكفرة روى سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا
 ان نسينا أو أخطأنا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرنا قال لأجل عليكم ولا تحملنا
 ما لا طاقة لنا به قال لأجلكم واعف عنا الخ قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
 ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين وروى مسلم وغيره
 انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن عبد الله انه قال
 لما أمرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدة المستهى وهى فى السماء السادسة اليها
 انتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
 اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فرأى من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
 أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا
 المقدمات وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى آيتين أولهما آمن الرسول من
 كنوز الجنة كتبهما الرحمن يده قبل أن يخلق الخلق بالثى سنة من قرأها بعد العشاء الاخرة
 أجزأه من قيام الليل والكتابة باليد تمثيل ونصوير لاثباتهما وتقديرهما بالثى سنة تصوير
 لقدمهما لان مثل هذا يقال لطول الزمان لا للتهديد وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أوتيت
 خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبى قبلى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه أى عن قيام الليل أو عن كل ما يسووه وهذا
يرد قول من استنكر أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فعلموها فان تعلمها
بركة وترصكها حسرة ولن تستطيعها البطلة قبل وما البطلة قال السحرة أى أنهم مع حذقهم
لا يوفون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها وسماها البطلة لأنهم ما كهم في الباطل
أو لبطلتهم عن أمر الدين والفلسفة طاعة الخيعة أو المدينة الجامعة سميت به السورة لاشتمالها
على معظم أصول الدين وفروعه والارشاد الى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة
المعاد وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه روى الجرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا هو
رى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف والمصحفة
والمجادلة وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات
والارض بألثي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث لبال فلا
يقربهما الشيطان انتهى

(سورة آل عمران مدنية)

باتفاق وآياتها مائتان وأول الآيات ثلاثة آلاف وأربع مائة وعشرون كلمة
وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي له صفات الكمال فاستحق التفريد بالوحيه (الرحمن) الذي سرت رحمته خلال
الوجود فشمكت كل وجود بالكرم والجود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف اليه وقوله تعالى
(ألم) تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة (الله لا اله الا هو) لم يقطع أحد من القراء السبعة
هذه الهمزة التي في الله في الوصل وإذا وقف على المبدأ بالهمزة وانكسر من القراء مدعى الميم
ووصل في الوصل وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين كما هو مذهب سيوبه وجهود النحاة (فان
قبل) أصل التقاء الساكنين الكسر فلم عدل عنه (أجيب) بأنهم لو كسروا كان ذلك مفصلا الى
ترقيق لام الجلالة والمقصود تفخيمها للتعظيم فافترق الفتح لذلك كما هو في نحو من الله وأبنا
فقبل الميم ياء وهي أخت الكسرة وقبل هذه الباء كسرة فلو كسرنا الميم الأخيرة لالتقاء
الساكنين لتوالي ثلاث متجانسات فخر كوها بالفتح وأما سقوط الهمزة فواضح وبسقوطها اتقى
الساكنان وقبل ان هذه الفتحة ليست لالتقاء الساكنين بل هي حركة نقل أى نقلت حركة الهمزة
التي قبل لام التعريف على الميم الساكنة نحو وقد افلح في قراءة ورش وهذا مذهب القراء وجرى
عليه انزخشرى وأطال الكلام فيه ورده أبو حيان بما يطول ذكره وقوله تعالى الله مبتدأ وما
بعده خبره وقوله تعالى (الحى القيوم) نعت له والحى هو الفعال الدار والقيوم هو القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة
الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه

قوله فلا يقرآن الخ
كذا في النسخ التي
هى بأيدينا وفى
الجملة ان الله عز
وجل كتب كتابا قبل
ان يخلق الخلق بألثي
عام فأنزل منه هذه
الآيات آيات التي
ختمت بها سورة
البقرة من قرأهن
في نفسه لم يقرب
الشيطان ينه
ثلاث لبال انتهى

للهي القيوم ونقل البند ينجي عن أكثر العلماء ان الاسم الاعظم هو الله قال المكبي والربيع
 ابن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية في وفد نصارى نجران وكثروا ستمين را كما قدموا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفي الأربعة عشر ثلاثة
 نفر يؤل اليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر عن الاعن وأباه
 واجهه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم واهمه الاليهم وأبو حارثة بن علقمة حبرهم دخلوا
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الحرث والحرب والحرب بن كعب
 يقول من وراءهم مارأيتا وقد امثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم يصلوا الى المشرق فكلمهم السيد
 والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلما قبلك قال كذبتماني عنكما
 من الاسلام ثلاثة أشياء دعاؤكم لله ولدا وعبادتكم للصليب وأحكامكم المنزير قالوا ان لم يكن
 عيسى ولدا لله فغن أبوه وخاصوه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألسن تعلمون
 انه لا يكون ولدا الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا حتى لا يعوت وأن عيسى يأتي
 عليه الفناء قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل
 يعلم عيسى من ذلك شأ قالوا لا قال ألسن تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء
 قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الاما علم الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم
 كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن عيسى حمله أمه كما تحمل
 المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدا هانم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
 قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة آل عمران البضع
 وعشرين آية منها (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن متلبسا (بالحق) أي بالصدق في اخباره
 أو بالجميع المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال أي محققا (مصداقا لما بين يديه) أي قبله من
 الكتب (فان قيل) كيف سمى ما مضى بأنه بين يديه (أجيب) بأن تلك الاخبار والغاية ظهورها
 وكونها موجودة بماها هم ذا الاسم (وأرسل التوراة) جملة على موسى عليه الصلاة والسلام
 (والانجيل) جملة على عيسى عليه الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل تنزيل القرآن واختلف
 الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أو لا يدخلهما لكونهما مجموعين
 فلا يباحب كونهم مشتقين ورجح هذا الزمخشري وقال قالوا الان هذين اللفظين اسمان عبرانيان
 لهذين الكتابين الشريفيين وقوله تعالى (هدى) حال بعضي هاديين من الضلالة ولم يشه لانه مصدر
 (للناس) أي على العموم ان قلنا متعبدون بشرع من قبلنا وهو رأي والا فالمراد بالناس قومهما
 وانما عبر في التوراة والانجيل بأنزل وفي القرآن بنزل مقتضى التكرير لانهم أنزلوا دفعة واحدة
 بخلافه وقيل ان القرآن أنزل من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة واحدة ومن سماء الدنيا
 منجما في ثلاث وعشرين سنة فحيت عبر فيه بأنزل أريد الاقل وأنزل أريد الثاني (فان قيل)
 يراد الاقل بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب ويقول تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك

وبقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى وبالحق أنزلناه ويرد الثاني بقوله تعالى وقال الذين كفروا للولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (أجيب) بأن القول بذلك جرى على الغالب (وأنزل القرآن) أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد الكتب الثلاثة ليعلم ما عداها فكأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل ولم يجمع لأنه مصدر بمعنى الفرق كالغفران والكفران وقبل القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما وإظهارا لفضلها من حيث أنه يشار إليهما في كونه وحيا منزلا وتمييز بأنه معجز يفرق بين الحق والباطل وقيل أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال تعالى وآتيناه داود زبوراً قال الزمخشري وهو ظاهر ولما قرئ سبحانه جميع ما يتعلق بعرفة الإله أتبع ذلك بالوعد زجر الله عرضين عن هذه الدلائل الباهرة فقال (إن الذين كفروا بآيات الله) من القرآن وغيره (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) أي غالب على أمره فلا يمنع شئ من أنجاز وعده ووعيده (ذوات مقام) عن عصاه والنتمة عقوبة الجرم أي يعاقبه عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها أحد (إن الله لا يخفى عليه شئ) كائن (في الأرض ولا في السماء) لعلمه بما يقع في العالم من كل شئ وجرى (فان قيل) لم خصهما بالذكومع أنه عالم بجميع الأشياء (أجيب) بأنه تعالى إنما خصهما به لأن البصر لا يتجاوزهما (فان قيل) لم قدم الأرض على السماء (أجيب) بأنها إنما قدمت ترقيا من الأدنى إلى الأعلى وهذه الآية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) أي من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وحنن وقبح وتعام ونقص وغير ذلك كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه تعالى عالم بانقائ فعله في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفد تخبران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله واستدلوا على ذلك بأمر منها العلم فانه كان يخبر عن القيوب ويقول لهذا أنك أكث في دارك كذا ويقول لذلك أنك صنعت في دارك كذا ومنها القدرة وهي أن عيسى كان يحى الموتى ويرى الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا فكأنه تعالى يقول كيف يكون ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أب المصور ثم أنه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر النصارى عن قولهم التثليث فقال (لا اله الا هو العزيز) في ملكه وفيه اشارة الى كمال القدرة فتقدره تعالى أكمل من قدرة عيسى على الامانة والاحياء (الحكيم) في صنعه وفيه اشارة الى كمال العلم فعلمه أكمل من علم عيسى بالقبوب وأن علم عيسى ببعض الصور وقدرته على بعض الصور لا يدل على كونه الهابل على ان الله أكرم به بذلك اظهار المجزئة ومجزئه عن الاحياء في بعض الصور يوجب قطع ما علم الالهية لان اله هو الذى يكون قادرا على كل الممكنات عالما بجميع الجزئيات والكمليات قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغعة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك أو قال يبعث اليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشق أو سعيد وقال وان أحدكم يبعث ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق

عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فدخلها وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما
يكون بينه وبينها غيرة نافع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وروى أنه
صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطقه بعد ما تنسقر في الرحم أربعين أو خمسة
وأربعين ليلة فيقول يا رب شقي أم سعيد فيك بيان فيقول أي رب ذكرا أو أنثى فيك بيان
فيكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى العصف فلا يزال فيها ولا ينقص (هو الذي أنزل عليك)
يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت عن الاحتمال
والاشتباه فهي واضحات الدلالة (هن أم الكتاب) أي أصله المعتمد عليه في الاحكام ويحمل
المتشابهات عليها وتزد الیها ولم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها
الآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل كل آية منهن أم الكتاب كما قال تعالى وجعلنا
ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية وقوله تعالى (وآخر) نعت المحذوف تقديره
وآيات أخر (متشابهات) أي محتملات لا يتضح مقصودها لاجال وأخالفه ظاهره بالالفخص
والنظر (فان قيل) لم جعل بعضه متشابهها وهذا كان كله محكما (أجيب) بأن في التشابه
من الانسلا حكمة عظيمة وهي التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولا يظهر فيها فضل
العلماء ويرداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتخصيل العلوم المتوقف عليها استنباط
المراد بها لقينا الواهب وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
الدرجات العلى عند الله (فان قيل) لم فرق ههنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن
محكما في موضع آخر فقال الركاب أحكمت آياته وجعل كلامه متشابه في موضع آخر
فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابه (أجيب) بأنه حيث جعل الكل محكما فعناه أن آياته
حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وحيث جعل الكل متشابه فعناه أن آياته يشبه
بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ * (تنبيه) * أخرج أخرى وانما لم ينصرف
لأنه وصف معدول عن الآخريات فقيه الوصف والعدل وبعاملتان تمنعان الصرف
(فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق كلما ندعة (فيكونون متشابهة منه) أي
فيه لمقرن بظاهره أو بتأويل باطل (ابتغاء الدنئة) أي طلب أن يقتنوا الناس عن دينهم
بالتشديد والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن
يؤولوه على ما يشتهون (وما يعلم تأويله) أي الذي يجب أن يحمله عليه (الآن الله والراحمون
في العلم) أي الذين يتوابعون فيه وسئل مالك بن أنس عن الراحمين في العلم قال العالم
العامل بمعامل المتبع وقال غيره هو من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى بينه
وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين
نفسه * (تنبيه) * اختلف العلماء في نظام هذه الآية فقال قوم الواو في قوله والراحمون
والعطف أي أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراحمون في العلم وهو مع علمهم

(يقولون آمنابه) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالامنه
والراشخون في العلم فائقين آمنابه وذهب الاكثرون الى أن الواو في قوله والراشخون واو
الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وغيرهما
وقالوا الا يعلم تأويل التشابه الا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع
عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة وقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وعدد الزبانية ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في التشابه بالايان
به وفي المحكم بالايان به والعمل وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراشخين في
العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنابه قال في الكشاف والاقول هو الوجه اه ووجهه شيخنا
القاضي زكريا بقوله لان التشابه على الثاني بصير الخطاب به كخطاب بالمهمات اه ومع هذا
فالوجه هو الثاني لانه أشبه بظاهر الآية ويدل له وجوه أحدها انه ذم طالب التشابه بقوله
تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وثانيها انه مدح الراشخين في العلم بأنهم يقولون آمنابه
به وقال في أول البقرة فاما الذين آمنوا فاعلموا أنه الحق من ربهم فهو لا الراشخون لو كانوا
عالمين بتأويل التشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيئا على
سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به وثالثها لو كان قوله والراشخون معطوفا لصار قوله يقولون
آمنابه ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة وكان الاولى أن يقال وهم يقولون أو يقال ويقولون
(فان قيل) في صححه وجهان الاول أن يقولون خبر مبتدأ والتقدير هو لا العالمون بالتأويل
يقولون آمنابه الثاني أن يكون يقولون حالامن الراشخون (أجيب) بأن الاول مدفوع
بأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه الى اضممار أولى والثاني أن ذال الحال هو الذي تقدم
ذكره وهم الراشخون؛ وجب أن يكون قوله آمنابه حالامن الراشخون لامن الله وذلك ترك للظاهر
ورايها قوله تعالى (كل) أي من المحكم والتشابه (من عند ربنا) معناه أنهم آمنوا بما عرفوا
تفصيله وبما يعرفون تفصيله ولو كانوا عاينين بالتفصيل في الشكل لم يبق لهذا الكلام فائدة
وخامسها نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير
لا يسمع أحد اجهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
تعالى وسئل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (فان قيل)
ما الفائدة في لفظ عند ولو قال كل من ربنا لحصل المقصود (أجيب) بأن الايمان بالتشابه
يحتاج فيه الى مزيد التأكيذ (فان قيل) لم حذف المضاف اليه من كل (أجيب) بأن دلالة على
المضاف اليه قوية فالامن من اللبس بعد الحذف حاصل (وما يذكر) بادغام التاء في الاصل
في الذال أي ما يتعطف بما في القرآن (الأولوالالباب) أي أصحاب العقول * (تبيينه) * وجه
انصال هذه الآية وأولها هو الذي أنزل عليك الكتاب بما قبلها وأولها هو الذي يصوركم
في الارحام انه لما بين أنه قيوم وهو القائم بمصالح الخلق والمصالح قسما جسماني وروحاني

فالجسماني أشرفها تعديله النعمة على أحسن شكل وهو المراد بقوله تعالى هو الذي يصوركم
 في الارحام وأما الروحاني فأشرفها العلم وهو المراد بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ولما حكى
 سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون آمنا به حكى أنهم يقولون (ربنا لا تزغ) أى
 لا تغل (قلوبنا) عن طريق الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه (بعد اذ هديتنا) وفقنا
 لدينك والايمان بالهكم والمتشابه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من
 أصابع الرحمن ان شاء أقامه أى القلب على الحق وان شاء أزاغ عنه رواه الشيخان وغيرهما
 وقيل لا تبلى لا ياتزيع فيها قلوبنا وعلى هذا اقتصر الراسخون ووجه بأن ما ذكر كناية أو مجاز
 اذ لا تحسن من الله الازاغة ليشغل نفها وهذا بناء على مذهبه من الاعتزال وأما مذهب أهل
 السنة فالزيع والهداية خلق الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا قلب القلوب
 والابصار ثبت قلوبنا على دينك وعن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كرشة بأرض فلا تقلم الرياح ظهرا وبطنا (وهب لنا)
 أى أعطنا (من ذلك) أى من عندك (رحمة) أى توفيقا وتبينة للذي نحن عليه من الايمان
 والهدى أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال
 من الله تعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ما (ربنا انك جامع الناس) أى
 تجمعهم (ليوم) أى في يوم (لأريب) أى لاشك (فيه) أى في وقوعه وما فيه من الحشر والخزاء
 وهو يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم كما وعدت وقوله تعالى (ان الله لا يخلف الميعاد) أى
 مواعده بالبعث يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام الراسخين فيكون فيه
 التفات عن الخطأ وكانهم لما طلبوا من ربهم الصون عن الزيع وأن يخصهم بالهداية
 والرحمة قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها متضمنة وانما الغرض
 الاعظم منه ما يتعلق بالآخرة فاننا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة وعدك حق فن
 زاغ قلبه ببق هناك في العذاب أبدا لا يادومن وفقته وهديته ورحمته ببق هناك في السعادة
 والكرامة أبدا لا ياد (تنبيه) * احتج الوعيدية بهذه الآية على القطع بوقوع وعيد
 الفساق قالوا الآن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد وقد أخبر في هذه الآية أنه لا يخلف الميعاد
 واجيب بأن الانسليم القول بالقطع بوقوع وعيد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط بعدم العفو كما
 هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق فكما أنكم أثبتتم ذلك الشرط بدليل منفصل فكذلك نحن أثبتنا
 شرط عدم العفو بدليل منفصل سلنا أنه نؤيدهم ولكن لانسلم أن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد
 ويكون قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا كقوله تعالى فنبشروهم بعذاب أليم وكقوله تعالى
 ذق انك أنت العزير الكريم فيكون من باب التهمك وذكر الواحد في البسيطة أنه يجوز أن
 يجعل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم هذا العرب لانهم
 يعدحون بذلك كما قال القائل

إذا وعد السراء أنجز وعده * وإن وعد الضراء فالعقر مانعه

وقال الآخر أيضاً

وإني وإن أوعده أو وعدته * لخلف أيعادى ومنجز موعدى

ولما حكى الله سبحانه وتعالى دعاء المؤمنين وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم بقوله تعالى (إن الذين كفروا) وهو عام في الكفرة وقيل المراد بهم وفد تجران أو اليهود أو مشركو العرب (لن نغنى) أى إن تنفع ولن تدفع (عنهم) أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أى من عذابه وقيل من رحمته أو من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوى أى على أن من للبدل والمعنى إن تغنى عنهم من رحمة الله أو من طاعته شيئاً أى بدل رحمته وطاعته قال أبو حيان وأما البدلية جمهور النحاة تأباه (وأولئك هم وقود النار) أى حطبها وفى ذلك كمال العذاب لأن كماله أن يزول عنه ما ينتفع به ثم يجتمع عليه الأسباب المؤلمة فالقول هو المراد بقوله تعالى لن نغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم فإن المرء عند الشدة يفرغ إلى المال والولد لأنهما أقرب الأمور إلى يفرغ اليها فى دفع النوائب فين تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا وإذا تضرع عليه الانتفاع بالمال والولد وهما أقرب الطرق فاعداً بالعدراً ولوى وتظير يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأما الشافى من أسباب كمال العذاب وهو اجتماع الأسباب المؤلمة فهو المراد بقوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا هو النهاية فى العذاب فإنه لا عذاب أعظم من أن تشتعل النار فيهم كاشته اليها فى الحطب اليابس وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) أما استئناف مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر تقديره دأبهم فى ذلك كذاب آل فرعون وأما متصل بمقابلته أى لن نغنى عنهم كالم تقن عن أولئك أو توعد النار بهم كما توعد النار بآل فرعون وقوله تعالى (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون فيكون فى محل جر وقيل استئناف فيكون فى محل رفع على الابتداء والخبر وقوله تعالى (كذبوا) يأتينا فآخذهم الله بنوبهم وعلى الأول تكون هذه الجملة مفسرة لما قبلها وقوله تعالى (والله شديد العقاب) فيه تهويل للهواخذة وزيادة تخويف للكفرة * ولما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق فيمنعهم وقال يا معشر اليهود احذروا من الله تعالى أن ينزل بكم مثل ما نزل بقرىش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فمالوا بإعجم لا يفرزك أنك أقتت أقواماً أعما را أى جهالاً جمع غمراً لعلمهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة وأما والله لو فاتنا لك لعرفت أنما نحن الناس نزل (قل) يا محمد (لندين كفروا) تغلبون فى الدنيا بالقتل والامر وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة وإسلام بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم (ومحشرون) فى الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد) أى القراض والخصوص بالذم محذوف أى بئس المهاد جهنم وفى هذه الآية أخبار عن أمر يحصل فى المستقبل وقد وقع خبره على من وافقته فكان هذا الخبر بالغيب فكان معجزة ولهذه المازرات هذه الآية قال لهم صلى الله عليه وسلم إن الله غلبكم وحاشركم إلى جهنم وقرأ آية والسكانى بالياء هيتم ما هلى

الغلبة والباقون بالتناء على الخطاب (فان قيل) أى فرق بين القراءتين من جهة المعنى (أجيب)
 بأن معنى قراءة التناء الامر بأن يخبرهم بما يسجى عليهم من الغلبة والخسر الى جهنم فهو اخبار
 بما سيغلبون ويخسرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة
 بالياء الامر بأن يحكى لهم ما أخبر به من وعيد بلفظه كأنه قال أدايهم هذا القول الذى هو قولى
 للذين يغلبون ويخسرون (قد كان لكم آية) أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول لكم انكم
 ستغلبون (فان قيل) لم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة (أجيب) أنه انما ذكر الفعل للفصل
 بينه وبين الاسم المؤنث بلكم فان الفصل مسوغ لذلك مع المؤنث الحقيقي كقوله
 ان امرا غره منكن واحدة * بعدى وبعدك فى الدنيا المغرور

قال القراء وكل ما جاء من هذا التصوف هذا وجهه والخطاب للمشركى قريش وقيل لليهود وقيل
 للمؤمنين (فى فئتين) أى فرقتين (التقاة) يوم بدر (فئة) مؤمنة (تقاتل فى سبيل الله) أى طاعته
 وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة
 وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية
 المهاجرين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم
 سبعون بعيرا وقرسان فرس للقداد بن عمرو وفرس لمزند بن أبى مرثدوا كثرهم رجالة وكان
 معهم من السلاح ستة أدرع وغاية سيوف (و) فئة (أخرى كفرة) تقاتل فى سبيل الشيطان
 وهم مشركو مكة وقوله تعالى (يروهم مثلهم) قرأ نافع بالتناء على الخطاب أى ترى المؤمنون
 المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليشبوا لهم ويوقنوا بالنصر الذى وعدهم به فى قوله
 ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة فى قوله تعالى
 ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على الغيبة أى يرى المشركون
 المؤمنين مثلى عدد المشركين وكانوا سبع مائة وخمسين أو مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة
 عشر (فان قيل) هذا مناقض لقوله تعالى فى سورة الانفال وبقتلكم فى أعينهم (أجيب) بأنه
 قلهم أولا حتى اجترأ عليهم فلما لا قوهم كثروا امداد من الله تعالى للمؤمنين فى أعينهم حتى
 غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين (رأى) أى فى رأى (العين) أى رؤية ظاهرة
 مكشوفة لابس فيها عاينة كسائر المعاينات وقد نصرهم الله تعالى مع قلتهم (واقه يؤيد) أى
 يقوى (نصرهم من يشاء) نصرهم كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو (ان فى ذلك) المذكور (آية) أى
 أى حجة (لاولى الابصار) أى لذوى البصائر فلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب
 الشهوات) أى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزين هو الله تعالى لا ابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا
 ما على الارض زينة لها لنبلوهم أولانه من أسباب التعيش وبقاء النوع الانسانى أولانه يكون
 وسيلة الى السعادة الآخرة اذا كان على وجه يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزين وذهب
 اليه المعتزلة واستدلوا بقول الحسن الشيطان والله زينها لانا لانهم أحدا أذم لها من خالقها وانما
 سميت شهوات مبالغة وإيحاء الى أنهم انهم مكوافى محبتها حتى أحبوا شهواتها كقوله تعالى

أحببت حب الخير والشهوة مستردة عند الحكام مذموم من اتباعها شاهد على نفسه بالجمية
ثم بين ذلك بقوله تعالى (من النساء) انما بدأ بين لانهم حبائل الشيطان (والبنين والفتاوير)
جمع قنطار وهو المال الكثير قيل مل مسك نوراى مل مجلده وعن سعيد بن جبيرة رضى الله عنه
القنطار مائة ألف دينار وقال ابن عباس والفضاء ألف ومائتا مثقال (المقطرة) أى الجمعة
وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم وثمانين وقال الفراء المضغفة والقناطر
ثلاثة والمقطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمي الذهب ذهابا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
فضة لانها تنفض أى تتفرق (والخيل المسومة) أى الحسان وقال سعيد بن جبيرة الرابعة
يقال أسام الخيل وسومها والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس صكا القرم والنساء
(والانعام) جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) أى الزرع
(ذلك) أى ما ذكر من النساء وما بعده (متاع الحياة الدنيا) أى يتبع به فيها ثم يقضى (ولله عنده
حسن المآب) أى المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
دون غيره من الشهوات الذوقية الفانية (فان قيل) المآب قسمان الجنة وهى فى غاية الحسن
والنار وهى خالية عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا (أجيب)
بأن المقصود بالذات هو الجنة وأما النار فمقصود بالعرض والمقصود بالآية التهيب فى الدنيا
والترغيب فى الآخرة (قل) يا محمد لقومك (أو نبشكم) أخبركم (بخير من ذلكم) أى المذكور
من الشهوات وهذا استفهام تقريرى * (تنبيه) * هنا همزان مختلفتان من كلمة الاولى مفتوحة
والثانية مضمومة قرأ قائلون بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وأدخل بينهما ما ألقا ورش يسهل
الثانية من غير ادخال ألف وينقل حركة الهمزة الاولى الى اللام من قل فتصير اللام مفتوحة
والثانية مضمومة وابن كثير كورش الا أنه لا ينقل الحركة الا فى لفظ القرآن وقرآن وأبو عمرو
يسهل الثانية ويدخل بينهما ما ألفا كقائلون وله وجه آخر وهو عدم ادخال ألف بينهما والباقون
بتحقيقهما وقوله تعالى (الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أى
مقדרين الخلود فيها اذا دخلوها كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل أدلك على رجل عالم عندى رجل عالم من صفته كيت وكيت ويجوز أن تتعلق اللام بخير
وترفع جنات على هوجنات (وأزواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستعذر من النساء
وقوله تعالى (ورضوان من الله) قرأه شعبة بضم الراء والباقون بكسر ها وهما الغنان الكسر
لغة الجحاز والضم لغة تميم وقيل بالكسر اسم وبالضم مصدر وعن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضىتم فيقولون ما لنا الارضى
يارب وقد أعطينا ما لم نعط أحد من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا
وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أضغط عليكم بعده أبدا * (تنبيه) * قد نبه
سبحانه وتعالى فى هذه الآية على نعمة فآذاها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله

تعلل ورضوان من الله أصعب وأوسطها الجنة ونعيمها (والله بصير) أي عالم بالعباد أي
بأعمالهم فيجازي كل منهم بعمله وبأحوال الذين اتقوا فذلك أعد لهم جنات وقوله تعالى
(الذين) نعت للذين اتقوا وللعباد أو بدل من الذين قبله (يقولون يا ربنا آتانا) أي صدقنا
(فأغفر لنا ذنوبنا) أي استرها علينا ونجنا وزعنا (وقنا عذاب النار) * (نتيبه) * في ترتيب سؤال
المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرد الإيمان دليل على أن مجرد الإيمان كاف في استحقاق
المغفرة أو الاستعداد لأسبابها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى (الصابرين) أي على الطاعة
وعن المعصية وعلى البأساء والضراء نعت (والصادقين) أي في إيمانهم وأقوالهم قال قتادة هم
قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية (والقانتين) أي
المطمئنين لله (والمتقين) أي المتصدقين (والمتقنين بالاحكام) أي أواخر الليل مكان
يقولوا اللهم اغفر لنا خصلت بالذكر لأنهم اوقت الغفلة ولذة النوم وفي هذا كما قال البيضاوي
حصر لقامات السالك على أحسن الترتيب أي الذكرى فإن معاملته مع الله أما توسل وأما
طلب والتوسل أما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحسبها على الفضائل والصبر يشملها وأما
بالبدن وهو اتقا قولي وهو الصدق وأما على وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة وأما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير وأما الطلب فالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجماع لها
انتهى وتوسيط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكما لهم فيها
أولت غاير الموصوفين بالصفات وتخصيص الاصهار لأن الدعاء فيها أقرب من الدعاء في غيرها إلى
الاجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والعقل أجمع لمعانى الانقطاع التي ينطق بها
الاسم للمتجهد قبل انهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون وعن الحسن كانوا يصلون
في أول الليل حتى إذا كان الصبح أخذوا في الدعاء والاستغفار فذا انهم وهذا اليهم وعن أبي
هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى السماء الدنيا أي
أمره كل ليلة حين يبق ثلث الليل الأخيرة قول أما الملك أما الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب
له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له وحكي عن الحسن أن لقمان قال
لابنه يا بني لا تكن أبجز من هذا الديك يصوت في الاسحار وأنت نائم على فراشك وعن زيد بن أسلم
أنه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وعبر بالسر لقرينه من الصبح (شهد الله) أي بين خلقه
بالدلائل وانزال الآيات (أنه لاله) أي لا معبود بحق في الوجود (الاهو) قال الكلبي قدم
حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه
ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا
عليه مر فاه بالصفة فقال لاه أنت محمد قال نعم قال لاه وأنت أحمد قال أنا محمد وأحد قال فانا نسألك
عن شيء فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقنا فقال له ما سلا قال أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فأبذل الله هذه الآية فأسلم الرجلان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خلق الله
الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الله الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة

فشهد لنفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بحر ولا جوف فقال
 شهد الله أنه لا اله الا هو (و) شهد بذلك (الملائكة) أى أقربا بذلك (و) شهد بذلك (أولو العلم) أى
 بالايان بذلك والاحتجاج عليه (فان قيل) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم الله تعالى هذا العظيم
 حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله (أجيب) بأن المراد بهم أنهم
 الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالبحج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد
 من الانبياء والمؤمنين وفيه دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وقوله تعالى (فأثما) أى
 يتدبره صنوعاته حال من الله وانما جازا افراده تعالى به العدم اللبس وان اختلف في جاءنى زيد
 وعمروا بكافة فمنعه الرحمن شري وتبعه البيضاوى وجوزوه أبو حيان وقال يحمل على الاقرب
 كما في الوصف في نحو جاءنى زيد وعمرو والطويل أوصال من هو والعامل فيهما معنى الجملة أى نفرد
 (بالنقط) أى بالعدل وقوله تعالى (لا اله الا هو) كزولتاً كيد ومن يدا الاعتناء بمعرفه أدلة
 التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليدنى عليه قوله تعالى (العزيز) أى فى ملكه (الحكيم)
 أى فى صنعه فبعلم انه الموصوف به ما وقدم العزيز لان العزة تلائم الوحداية والحكمة تلائم
 القيام بالنقط فأتى به ما لتقرر الامرين على ترتيب ذكرهما ورفعهما على البذل من الضمير
 الاقرب أو الثانى أو على الخبر المحذوف وعن أبى غالب القطان قال أثبت الكوفة فى تجارة
 فزلت قريسا من الاعمش وكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنخذل الى البصرة
 فقام من الليل يتجسس فتر به هذه الآية أى شهد الله الى آخرها ثم قال الاعمش وأنا شاهد بما شهد
 الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها امرأوا
 قلت لقد سمع فيها لم يلبث معه وودعته ثم قلت انى سمعتك ترددها فبالفعل فيها قال والله
 لا أحد نك بها الى سنة فمكثت على بابه ذلك اليوم وأقيت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد
 مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء
 بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عهدى وهذا أنا حق من وفى بالعهد أدخلوا
 عبدى الجنة روى هذا الحديث الطبرانى والبيهقى لكن بسند ضعيف وقوله تعالى (ان الدين)
 أى المرضى (عند الله) هو (الاسلام) جملة مستأنفة وكدة للاولى أى لادين مرضى عند الله
 سوى الاسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى
 ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وقرأ الكسافى بفتح همزة
 ان قيل على أنه بدل من أنه الخ بديل اشتغال وضعفه أبو حيان لان فيه فصلايين البذل والمبدل منه
 بأجنبي قال والصواب انه مع مول الحكيم باسقاط الجواز أى الحكيم بأن الدين والباقون بكسرهما
 على الاستثناف (وما اختلفت الدين أو بفتح السكاب) أى من اليهود والنصارى وقيل من أرباب
 الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاة آخرون
 مطلقاً وفى التوحيد فقلت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا نكأ حق بأن تكوز
 النبوة فينا من قريش لانهم أميون ونحن أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم)

بالتوحيد انه الحق الذي لا محمد عنه (بغيا) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهره هؤلاء بذهب
 وهو لا بذهب الاحسد (بينهم) وطلب الرئاسة وقيل هو اختلاف في نبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم من بعد ما جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث آمن به بعض وكفروه بعض وقيل هو
 اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعبسى ولم يؤمن بيقية الانبياء
 وقوله تعالى (ومن يكفر بآيات الله فان الله سميع عليم الحساب) أى المجازاة وعيد لمن كفر منهم
 (فان حاجوك) أى جادل الذين كفروا يا محمد في الدين (فقل) لهم (أست وجهى لله) أى
 أخضعت نفسى وجهتى لله وحده لم أجعل فيه ما لغيره شر كإيمان أعبد ولا أدعوها لغيره يعنى
 أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبت عندكم صحتكم كما ثبت عندى وما جئت بشئ
 مبتدع حتى تجادلونى فيه وخص الوجه بالذكور لشرفه فهو تعبير عن جله الشخص بأشرف
 أجزائه الظاهرة وقوله تعالى (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن لافاصل ويجوز
 كما قال فى الكشف أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معاى نظرا إلى أن المشاركين
 المتعاطفين فى مطلق الاسلام أى الاخلاص لافيه بقيد وجهه حتى يتسع ذلك لاختلاف
 وجهيهما (وقل للذين آمنوا والكتاب) وهم اليهود والنصارى (والأمتين) أى الذين لا كتاب لهم
 وهم مشركو العرب (أأسلمت) أى فهل أسلمت كما أسلمت أنا فقد آمنتم من البيئات ما يوجب الاسلام
 ويقضى حصوله لا محالة أم أنتم بعد على الكفر وهذا كقولك إن خلعت له المسئلة ولم يبق من
 طرق البنان واكتشف طريقا لاسلكته هل فهمتها وفى هذا الاسئلة عليهم استقصا وتغييرا بالمعانة
 وقوله الانصاف لان المنصف اذا انحلت له الحجة لم يتوقف ادعانا للعق وكذلك فى هل فهمتها توابع
 بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام هنا الامر أى أسلموا كما قال تعالى فهل أنتم منتهون أى انتهوا
 (فان أسلموا فقد اهتدوا) أى نفعا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
 الى النور فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود
 أنتم دون أن عيسى كلمة الله وعبدوه فقرأوا معاذ الله وقال للنصارى أنتم دون أن عيسى
 عبد الله ورسوله فقرأوا معاذ الله أن يكون عيسى عبد الله فقال عز وجل (وان تولوا) أى عن
 الاسلام لم يضروك (فانما عليك البلاغ) أى فانك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه
 على طريق الهدى وقد بلغت وليس اليك الهداية (والله بصير العباد) أى عالم بمن يؤمن ومن
 لا يؤمن فيجازى كل منهم بعمله وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بآيات الله وقتلون
 النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) أى بالعدل (من الناس) وهم اليهود وقتل أولهم
 الانبياء وقتلوا أنبياءهم ومن فى عصره صلى الله عليه وسلم كفروا به وقصدوا قتله صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين لكن الله تعالى عصهم وعن أبى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى
 الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر وروى أنهم
 قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فمنهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلواهم من يومهم وخبرنا (فبشرهم)
 أى أعلمهم (بعذاب أليم) أى ولم يذكر البشارة تمكيمهم (فان قبل) لم أدخل القاء فى خبرنا مع أنه

لا يقال ان زيدا قائم (أجيب) بأن الموصول متضمن معنى الشرط فكأنه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أى ما عملوه من خير كصدقة
وصلة رحم (في الدنيا والآخرة) فلا يعتد بهم لعدم شرطها (ومألهم من ناصرين) أى مانعين عنهم
العذاب (أم تر) أى تنظر (الى الذين أولوا نصيبا) أى حظا (من الكتاب) أى التوراة أو جنس
الكتب السماوية ومن لا تبعيض أو البيان قال البيضاوى وتذكر النصيب بحقل التعظيم والتحقير
انتهى أما التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه الزمخشري وأما التحقير فنبه نظر اذ النصيب
المراد به الكتاب أو بعضه لاحقارة فيه وقد يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يمدحوا به
(يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
أو التوراة واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس أى موضع صاحب
دراسة كتبهم على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعمين بن عمرو والحارث
ابن زيد على أى دين أنت قال دين ابراهيم فقال له ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فها هو الى التوراة فهى بيننا وبينكم فأيسأ عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية
وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلا وامرأة من أهل
خير زينا وكان في كتابهم الرجم فكروا رجموا الشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى النبي صلى
الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فيكم عليهم ما بال رجم فقال له النعمان بن أوفى
وعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهم ما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينى
وبينكم التوراة قالوا قد أنصفتنا قال فنأعلمكم بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن سوريا
فأرسلوا اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن
سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهودان المحسن والمحصنة اذ اذينا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت حبلى تبرص حتى تضع
ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فريحا فغضب اليهود وانصرفوا فأنزل
الله عز وجل هذه الآية (ثم يولى فريق منهم) وأتى بتم لاستبعاد أوليهم مع علمهم بأن الرجوع
الى كتاب الله تعالى واجب لا لئلا يخفى في الزمان اذ لا تراخى فيه وقوله تعالى (وهم معروضون)
أى عن قبول حكمه جلة حاله من فريق وانما ساغ تخصيصه بالصيغة (ذلك) إشارة الى ما ذكر
من التولى والاعراض (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (ان نغسنا النار الا يا ماعدودات) أى
قالوا ذلك بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد المائل والطمع الفارغ عن
حصول المطموع فيه وهو الخروج من النار بعد أيام قليلة وهى أربعة يومامدة عبادة
آبائهم المجل ثم نزول عنهم (وغرهم في دينهم) والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شئ
(ما كانوا يفترون) أى من أن النار لن تغسهم الا يا ماعدودات وان آبائهم الانبياء يشفعون لهم

أو أنه تعالى وعدي يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا بحلة القسم * (تنبيه) * في دينهم متعلق بقرآنهم ولا يصح تعلقه بقرآنهم خلافا للسيوطي لأن ما قبل الموصول لا يتعلق بما بعده (فكيف) حالهم أو فكيف صنعهم (إذا جعناهم ليوم) أي في يوم (الآزب) أي لا لك (فيه) وهو يوم القيامة وفي ذلك استعظام لما يحجب بهم في الآخرة روى أن أقول راية أي علم ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فينفخهم الله تعالى على رؤس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار (ووفيت كل نفس) أي من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (ما كسبت) أي عملت من خير أو شر وفي ذلك دليل على أن العبد لا يقبض وأن المؤمن لا يحد في النار وأن دخلها إلا بوقية إيمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فإذا هي بعد الخلاص ان دخلها (وهم لا يظنون) أي ينقص حسنة أو زيادة سيئة * (تنبيه) * ذكر ضمير وهم لا يظنون وجعها باعتبار معنى كل نفس لأنه في معنى كل إنسان ولمافع النبي صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أئنته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هميات هيئات من ابن لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فأنزله الله سبحانه وتعالى (قل اللهم) أي يا الله والميم عوض عن ياء النداء ولذلك لا يجتمعان والتعويض من خصائص هذا الاسم كما اختص بدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وكما اختص بدخول نال القسم عليه وأما قولهم ترب الكعبة فتأدر (مالك الملك) أي مالك العباد وما ملكو أقال الله تعالى في بعض الكتب المنزل أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم يدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تنش تغلوا بـ الملوك ولكن توأوا إلى أعظفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كان كوكوا يولي عليكم (تؤي) أي تعطى (الملك) أي في الدنيا (من نشاء) من خلقك (وتنزع الملك من نشاء) منهم وقيل المراد بالملك التوبة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم وقال الكلبي تؤي الملك لمحمد وأصحابه ونزعهم من أبي جهل وصناديد قريش وقبل تؤيبه لا دم وذريته ونزعهم من أبيس وجنوده (وتعزم من نشاء) من خلقك وقيل لمحمد وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها (وتذل من نشاء) منهم وقيل أباجهل وأصحابه حزت رؤسهم وألقوا في القليب وقيل تعزم من نشاء بالطاعة وتذل من نشاء بالمعصية وقيل تعزم من نشاء بالقناعة وتذل من نشاء بالحرص والطمع وقيل تعزم من نشاء بالتعبد وتذل من نشاء بترك (يدك) أي بقدرتك (الخبر) أي والشرواقتصر على الأقل المسارعة الأدب في الخطاب أو أكني بذكر أحد المقابلين كما في قوله تعالى سرايل تقيمكم الحزأي والبرأ ولان الكلام وقع فيه أذروى البهني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشر أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون ظهر فيه حفرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا السلطان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بخباها وأخذ المعاول منه ففرض بها ضربة قصدوها وبرق منها برق أضاء ما بين لا يتيها أي المدينة فكان بها مصعبا حاجبا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصي والحيرة كأنها

أبواب الكلاب أى فى يساضها وصفرتها وانضمام بعضها الى بعض واللاستان حترتان يكتشفانها
 والحرة كل أرض ذات حجارة سوداء كأنهم محترقة من الحتر ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها
 القصور المحر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
 أن أمتى ظاهرة على كلاً أى الاراضى التى أضاءت فأبشروا فقال المنافقون ألا نهجمون
 عنكم أيها المؤمنون ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يصرون يرب أى المدينة قصور الحيرة وأنها تفتح
 لكم وأنتم أنما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف ففزت ونبه أيضاً على أن الشريعة بقوله
 (انك على كل شئ قدير) والشرع شئ ثم عقب ذلك ببيان قدرته على تعاقب الليل والنهار والموت
 والحياة وسبعة فضله فقال (توبخ) أى تدخل (الليل فى النهار) حتى يكون النهار خمس
 عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتوبخ) أى تدخل (النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس
 عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت)
 كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (وتخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان
 والبيضة من الطائر وقال الحسن وعطاء تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن
 فالؤمن حى القواد والكافر ميت القواد قال الله تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وقال الزجاج
 تخرج النبات الغض الطرى من الحب اليابس وتخرج الحب اليابس من النبات الحى
 النامى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة الميت بسكون الياء والباقيون بكسر الياء
 مشددة (وترزق من تشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل
 عمران شهد الله الى قوله إن الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب
 معالقات ما بينهن وبين الله عز وجل محاب قلن يا رب تهملنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله
 عز وجل لى خلقت لا يقرأ كنى أحد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مشوا على ما كان فيه
 ولا تسكنه حظيرة قدسى ولا تظنن اليه بعنى المكتونة كل يوم سبعين مرة ولا قضين له كل يوم
 سبعين حاجة أدناها المغفرة ولا عيذنه من كل عدو وحاسد ولا نصرته منه (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء) يوالونهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما زلت فى المنافقين عبد الله بن
 أبى وأصحابه كانوا يولون اليهود والمشركين ويأفونهم بالاخبار يرجون أن يكون لهم الظفر
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين أن يوالوا الكافرين
 اقربا بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها هؤلاء مشركوه وقوله
 تعالى (من دون) أى غير (المؤمنين) إشارة الى أنهم الاحقاق بالاولاد والأولاد فى والاهم
 مندوحة عن موالاة الكفرة والهبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان
 (ومن يفعل ذلك) أى يوالى الكفرة (فليس من الله) أى من ولاية الله (فى شئ) يصح أن يسمى
 ولاية شرعية فإن ولاية المتعادين لا يجزى عان لما بينهم ما من التضاد كما قال القائل
 فليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى فى المغايب

تودع دوى ثم تزعم أنى * صديقك ليس النول عنك بعازب

بعين مهملة وزاى أى بغائب والنول بضم الذون الحق والجنون ثم استثنى فقال (الآن تتقوا منهم نقاة) أى الآن تخافوا منهم مخافة فلنكم موالاتهم باللسان دون القلب كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا فى معاشرتهم ومخالفتهم وامش جانية أى من موافقتهم فيما يأمرن ويذرون وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فى بلد ليس قوا فيها قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت النقية فى بدء الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين وأما اليوم فقد أعز الله الاسلام فليس ينبغى لأهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم (ويحذركم الله) أى يخوفكمكم (نفسه) أن يغضب عليكم ان واليه توهم (والى الله المصير) أى المرجع فيجازيكم فلا تعترضوا للسطط بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى عنه فى القبح وذكر الذنوب ليعلم أن الهذر منه عقاب بصدر منه فلا يلاى عنه بما يحذر من الكفرة (قل) لهم يا محمد (ان تحقوا ما فى صدوركم) أى قلوبكم من موالاة الكفار وغيره بما لا يرضى الله (أو تبدوه) أى تظهروه (يعلم الله) ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وقال الكلبى ان نسر رام فى قلوبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله (و) هو الذى (يعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلايتكم (والله على كل شئ قدير) فهو قادر على عقوبتكم ان تمتهوا عما نهيتكم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه متصفعة به لم ذاقى بيط بالعلم لومات كلها وقدر ذاتية نعم المتسدورات بأسرها فلا تعصوه اذما من معصية الا وهو مطلع عليهم الاحماله قادر على العقاب بما رلوع لم بعض عبيد السلطان انه أراد الاطلاع على احواله بأن يوكلم من يتجسس عن موطن اموره لاخذ حذره منه كل الحذر فبال من علم أن العالم الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بترك ذنوبنا لك البقطة من سنة الغفلة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) نصب يوم بضم نحاو ذكر وقوله تعالى (وما عملت) أى علمته (من سوء) مبيد أخبره (تودلوان ينها) أى النفس (وبينه) أى السوء (أمد بعيدا) أى غاية فى نهاية البعد فلا يصل اليها وكثر رسبانه وتعالى (ويحذركم الله نفسه) قال البيضاوى للتأكيده والتذكير وقال التفناز فى الاحسن ما قيل ان ذكره أولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للتحش على الخير والمنع من عمل الشر وقوله تعالى (والله رؤوف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهىهم وحذرهم راققهم ومراعاة اصلاحهم وعن الحسن من راققهم أن حذرهم نفسه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسافى رؤف بقصر الهزمة والباقون بالذور رش على أصله فى المد والتوسط والقصر ونزل فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباءه (قل) لهم يا محمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقال الضعائلى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قرين وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها ياض النعام وهم يسجدون لها فقال يا معشر قرين والله لقد خالفتم مله أئبيكم ابراهيم واسماعيل فقال له قرين انما نعبدها

حب الله تعالى ليقتر بونا الى الله زاني فقال الله تعالى قل اللهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون
 الاصنام لتقتر بكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأرسله اليكم وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي
 وسفاتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايدار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله
 للمؤمنين ثناء عليهم وثواب لهم وعفو عنهم فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور)
 لمن اتبعني ما سلف من ذنبه قبل ذلك (رحيم) به وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً فقام عملهم فن ادعى محبته وخالف
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكذب الله بكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصدق
 بيده مع ذكره وطرب ينصر ويصدق فلاشأن أنه لا يعرف ما الله ولا يدرى ما محبة الله وما تصفقه
 وطربه ونعمرته وصعقته الا لا تصور في نفسه الخبيثة صورة مستحقة معشقة فسيهاها الله ليجهله
 وادعائه ثم صفق وطرب ونعمر وصعق عند تصورها ورجا رأيت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند
 صعقته وحي العامة حواله قد ملأوا أذنانهم بالدموع لما رآه ومن حاله * ولما نزلت هذه الآية
 قال عبد الله بن أبي لهباب ان محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نعبه كما أحب النصارى
 عيسى نزل قوله تعالى (قل) ائهم (أطيعوا الله والرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان تولوا)
 أي أعرضوا عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما أتى
 بالظاهر ولم يقل لا يحبهم لتعدد العموم والدلالة على ان التولي كفر وأنه من هذه الخبيثة ينفي محبة
 الله وأن محبة مخصوصة بالمؤمنين ولما أوجب الله سبحانه وتعالى طاعة الرسل عليهم الصلاة
 والسلام وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبتهم تحريضاً على الطاعة فقال تعالى
 ان الله اصطفى (أي اختار) آدم ونوحاً وآل ابراهيم وهم اسميل واسحق ولدهما ما الرسل
 وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهرون ابناء عمران
 ابن يصر (على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قوا على ما لم يقو
 عليه غيرهم وبهذه الآية استدلل على فضل الرسل على الملائكة وقيل آل عمران عيسى وأمه
 مريم بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين ألف وغائنة سنة كما مر وكان بنو ماثان
 أنفـهما وقوله تعالى (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضهما من) ولد (بعض) منهم
 وقيل بعضهما من بعض في الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (والله سميع)
 لا أقوال الناس (عليهم) بأحوالهم فبصطفى من كان منهم مستقيم القول والحال واذا كرر (اذا قالت
 امرأت عمران) وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان رئيس بني اسرائيل
 وليس هو عمران اباموسى وهرون اذ كان بين العمرانين ألف وغائنة سنة كما مر وكان بنو ماثان
 رؤس بني اسرائيل وأخبارهم ومولوكهم (فائدة) رسمت امرأه بالنساء المجرورة ووقف ابن كثير
 وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء ووقف الكسائي بالفتح والامالة واذا وقف حمزة
 سهل الحمزة وروى أن حنة كانت عاقراً فجوزا فينهاى في ظل شجرة اذ رأت طائراً يطعم فرخه
 فحنت الى الولد فحنته فقالت اللهم ان لك على تذاكر ان رزقتني ولداً أن تصدق به على بيت

المقدس فيكون من خدمه فعملت فلما أحست بالجل قالت يا (رب اني نذرت) أن أبجل (لك) ما في بطني محررا) أى عسقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بتك المقدس وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أ رأيت ان كان ما في بطني أننى لا تصلح لذلك فوجعا جميعا فيهم من ذلك وهلك عمران وحسنه حامل بمرهم (تقبل منى) مائذره (انك أنت السميع) لقولى (العليم) بنيتى (فلما وضعتها) أى ولدتها جارية والضمير لما في بطنها وانما أنت على المعنى لأن ما في بطنها كان أننى في علم الله وأعلى تأويل النفس أو النعمة ولم يكن يحتر والالغلمان وكانت ترجو أن يكون غلاما ولذلك نذرت تحريره (قالت) معذرة يا (رب اني وضعتها أننى) * فان قيل كمف جازا تصاب أننى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقوله وضعت الانثى أننى (أجيب) بأن الاصل وضعتها أننى وانما أنت لتأنيث الحال لأن الحال وصاحبها بالذات واحد وأما على تأويل النفس أو النعمة فهو ظاهر كأنها قالت اني وضعت النفس أو النعمة أننى (والله أعلم) أى عالم (بما وضعت) قرأ ابن عامر وشعبة بسكون العين وضمر التاء فيكون من كلامها قالت تسلمة لنفسها أى ولعل لله فيه سر أو حكمته ولعل هذه الانثى خير من الذكر وقرأ الباقر بن سفيح العين وسكون التاء فيكون من كلام الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالانثى التي وضعت وما عاقبه من عظام الأمور وأن يجعلها أو ولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فذلك تحسرت وقرأ أبو عمرو والله أعلم بسكون الميم واخفاؤها عند الباء بخلاف عزمه والباقر بالاظهار وقوله تعالى (وليس الذكر كالانثى) بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيها للعهد أمامه ودلام الانثى ففي قولها اني وضعتها أننى وأمامه ودلام الذكر ففي قولها محررا ويحجز أن يكون معنى قولها وليس الذكر كالانثى أى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت لما يعترى الانثى من الحيض والنفاس فتكون اللام للجنس وقوله تعالى (وانى سميتها مريم) عطف على اني وضعتها أننى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت ذلك لربها تقر بالاليه وطلب بالان بعصمها ويسلمها حتى يكون فعلها مطابقة لاسمها فان مريم في انهم بمعنى العابدة * (تنبيه) * في قوله تعالى حكاية عنها سميتها مريم دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة أو معنى سميتها مريم جعلت اسم المولود مريم (وانى أعيدتها) أى أجبرها (بك) أى بحفظك (وذريتها) أى أولادها (من الشيطان الرجيم) أى المطرود روى الشيطان مامن مولود يولد الامسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الامريم وابنها ولا يعد كما قال الطيبي اختصاص عيسى وأمه بهذه الفضيلة دون الانبياء لجواز ان يمكن الله تعالى الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء ولا يتنع كمال التقائزان أن ينس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسمع وليست تلك المسة للاغواء ليدفع أنه لا يتصور في حق المولود حيث يولد وحينئذ تقول البيضاء معنى ان الشيطان يطعم في اغواء كل مولود أى

لا يسه فيه اخراج الحديث عن ظاهره وتبع فيه الزمخشري وهو ما سلكه المعتزلة حيث أنكروا
 هذا الحديث وقد حووا في صحته لان الشيطان انما يدعو الى الشر من له تميز وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعيه
 حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب بطعنه وطعنه في الحجاب (فقط لها ربهما) أى قبل مريم من أمها
 ورضي بهما في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) وهو اختصاصه لها بأقامتها مقام الذكر
 في النذر ولم يقبل قبلها أنى (وأثبتها بنا حسنا) أى أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم
 كما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قرأ عاصم وحده والكسائي بتشديد الفاء وقصر وا
 زكريا غير عاصم في رواية ابن عباس على أن الفاعل هو الله تعالى وذكر يامفعول أى جعله كافلا
 لها وضمنا لمصالحها فلا بد من تقدير مضاف في الآية وهو مصالح لان كفاالة البدن لا معنى لها
 وقرأ الباقون بتعقيب الفاء ومتوازكر يامرفوعا على الفاعلية روى أن حنة لما ولدت مريم لم يفتحها
 في خرقه وجلتها الى المسجد الاقصى ووضعها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
 فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم الاعظم في العلم والصلاح فقال زكريا أنا حق بهما لان خالتهما عندي
 فقالت الاحبار لا تنقل ذلك فانهم الوتركت لاحق الناس بهما التركت لأمتهما التي ولدتهما الكنا فتفرع
 عليها فتكون عندهم من خرج سهمه وكانوا تسعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن وألقوا
 فيه أقلامهم على أن من نبت قلبه في الماء وصعد فهو أولى بها فبنت فلم زكريا فأخذها وضماها
 الى خالته أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه
 لا يرق اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشرابها ودهنها فيجد عندها فاكهة
 الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كما قال تعالى (كلم داخل عليها زكريا المحراب)
 أى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال أيضا للمسجد
 محراب قال المبرّد لا يكون المحراب الا أن يرقى اليه بدرج (وجد عند هارزقا) قال الربيع بن
 أنس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها غرقتها وجد عندها فاكهة
 الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فاذا وجد عندها ذلك (قال يامريم أنى لك هذا)
 أى من أين لك هذا الرزق الآتى في غير أوانه والابواب مغلقة عليك (قالت) وهى صغيرة (هو
 من عند الله) يأتي به من الجنة قيل تكلمت في المهد وهى صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو
 صغير في المهد ولم ترضع نديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفي هذا دليل وأى دليل على
 كرامة الاولياء وليس ذلك معجز زكريا كما زعم جماعة لان ذلك مدفوع باشباه الامر عليه حتى
 قال لها أنى لك هذا ولو كان معجزة له لادعاها وقطع بهم لان النبي شأنه ذلك ويدل عليها غير ذلك
 كقصّة أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين عددا بلا طعام ولا شراب وقصة آصف من
 اتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ورؤية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر
 جيشه بنها وندحين قال ياسارية الجبل وسماع سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرى خالد
 رضى الله عنه السم من غير أن يضره وبالجملة فكرامات الاولياء حتى ثابتة بالكتاب والسنة

وليس عجيب انكارها من أهل البدع والاهواء اذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوها به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء فوقهوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يزعمونهم ويسمونهم بالجهلة المتصوفة ولم يعرفوا أن مبنى هذا الامر على صفاء العقيدة ونقاء السيرة واقفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة وانما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيماروى عن ابراهيم بن ادهم أنهم رأوا بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم عكة أن من أعتد جوار ذلك يكفر والانصاف ما ذكره الامام القسني حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور بعض الاولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة وزوى أن النبي صلى الله عليه وسلم جامع في زمن فاطمة له فاطمة رضى الله تعالى عنها رغبين وبضعة لحم في طبق فغطي أثره به فرجع بذلك اليها وقال هلى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو عجلوه خبز ولحما فبهنت وعلمت أن ذلك نزل من عند الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أفى لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها فهذه كرامة فاطمة رضى الله تعالى عنها وفي هذه الرواية دليل على أن قوله تعالى (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا بلا تبعة من كلام مريم رضى الله تعالى عنها ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ولما رأى زكريا كرامة مريم ومنزلتها عند الله قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم بالنسا كهة في غير حننها من غير سبب قادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا فى غير حننه على الكبر فطمع فى الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد قال الله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) أى فى ذلك المكان أو الوقت قال الزمخشري قد نستعار هنا ونم وحيث للزمان أى لمشابهة الزمان للمكان فى الظرفية فاستعمله فدخل زكريا المحراب وناجى ربه فى جوف الدبل (قال) يا رب هب لى أى اعطى (من لدنك) أى من عندك (ذو طيبة) كما وهبنا الحنة العجوز العاقر أى ولدنا مباركا تقداصا الحواضيا والذرية يكون واحدا وجهاد كراوا نى وهو هنا واحد بدليل قوله نهى لى من لدنك وليا يرثى وانما قال طيبة لتأيت لفظ الذرية (انك سمع) أى عجيب (الدعاء) لمن دعا فلا تردنى خائبا (فنادته الملائكة) أى جنسهم كقولهم فلان يركب الخيل فان المنادى كان هو جبريل وحده وقرأ حمزة والكسافى فناداه بالامالة والتذكير والباقون بالتاء (وهو قائم يصلى فى المحراب) أى المسجد وذلك ان زكريا كان هو الحمبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى المحراب والناس ينتظرون أن يؤذن لهم فى الدخول فاذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففرغ منه فناداه وهو جبريل وقرأ (ان الله يبشرك بهي) ابن عامر وحمة يكسر الهمزة على ارادة القول أولان النداء نوع من القول والباقون بالفتح على أن وقرأ حمزة والكسافى بفتح الباء من يبشرك وسكون الباء الموحدة وضم الشين

مخففة والباقيون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين المشددة واختلوا
 في أنه لم يسمي يحيى قال ابن عباس لأن الله أحياه عقر أمه وقال قتادة لأن الله أحياه قلبه بالإيمان
 وقيل لأن الله تعالى أحياه قلبه بالطاعة حتى أنه لم يهم بعصية وهو اسم أعجمي منع صرفه للتعريف
 والجمعة كوسى وعيسى وقيل عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل كينسى وجمعه يحسون
 كوسون وعيسون (صدف بالكلمة) كأنه (من الله) أى بعيسى أنه روح الله وهى كلمة لأنه خلق
 بكلمة كن وقيل لأن الله أخبر الأنبياء بكلامه في كتابه أنه يخلق نبيا بلا أب فسماه بكلمة لحصول
 ذلك الوعد وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل
 يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وقول البيضاوى وكان يحيى وعيسى ابني خالة
 من الأب فيه تجوز إذ يحيى ابن خالة أم عيسى لابن خالته وعيسى ابن بنت خالته يحيى لابن خالته
 (وسيدا) أى بسود قومه فيصير متبوعا وقال الضحالة السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن
 جبير السيد الذي يطبع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم (وحصورا) أى مبالغا
 في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روى أنه مر وهو طفلا بصبيان فدعوه للعب فقال
 ما للعب خلقت وقال سعيد بن المسيب المحصور هو المعسر الذي لا مال له فيكون المحصور بمعنى
 المحصور كأنه ممنوع من النساء وقيل كان له مثل حلبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون
 أغض لبصره وقيل هو المنع من الوطء مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين
 أحدهما أن الكلام خرج مخرج النشاء وهذا أقرب إلى استحقاق النشاء والثاني أنه أبعد من
 الحاق الآفة بالأنبياء (ونبيا) ناشئا (من الصالحين) لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كأنه من
 جملة الصالحين في على هذا التبعض كقوله تعالى وأنه في الآخرة لمن الصالحين (قال رب أنى)
 أى كيف (يكون لى غلام) أى ابن (وقد بلغنى الكبر) أى أدركنى كبر السن وأثرنى وكان عمره
 مائة وعشرين سنة وقيل تسعا وتسعين سنة (واصرأنى عاقرا) أى لا تلد من العقر وهو القطع لأنها
 ذات عقر من الأولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة (فان قيل) كيف قال زكريا بعد ما وعده الله
 تعالى أن يكون له غلام أنى يكون لى غلام أكان شاكفى وعد الله وفي قدرته (أجيب) بأنه قال
 ذلك استبعادا من حيث العادة كما قالت مريم أو استعظاما وتجبها واستعظاما عن كيفية حدوثه
 أى أن تجعل لى واصرأنى شايبا أو ترزقنا ولد على الكبر منا أو ترزقنى امرأة أخرى وقيل أن زكريا
 لما سمع ندا الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس هو من الله إنما هو من
 الشيطان ولو كان من الله لا واهد اليك كما لو حى اليك فى سائر الأمور فقال ذلك دفعاً للوسوسة
 (قال) الامر (كذلك) أى من خلق غلام منك (الله يفعل ما يشاء) لا يعجزه عنه شئ ولاظهار
 هذه القدرة العظيمة ألهمه الله السؤال لإيجابها ولما تافت نفسه إلى سرعة المبره (قال رب
 اجعل لى آية) أى علامة أعرف بها حمل امرأتى لأتلقى النعمة إذا جاءت بالسكبر (قال آيتك) عليه
 (أن لا تكلم الناس) أى تمنع من كلامهم (ثلاثة أيام) أى بلباليها كفى في سورة مريم ثلاث ليال
 (الارمزا) أى إشارة بدأ وأرأس والافتناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام حينئذ ما دل

على ما في الضمير وما يخص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة
 مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح) أي وصل
 (بالعسى) وهو من حين زول الشمس الى أن تغيب (والا يكار) وهو من طلوع الفجر الى وقت
 الضحى (فان قيل) لم يحبس لسانه عن كلام الناس (أجيب) بانه اغما فعل به ذلك لخلص
 المدة المذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسمية
 وشكرها التي طلب الآتية من أجله كأنه لما طلب الآتية من أجل الشكر قبل له آتيتك
 أن يحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مستقما من السؤال ومنه نعلم انه
 وقال قتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤا له الآتية بعد مشاهدة الملائكة آياه فلم يقدر
 على الكلام ثلاثة أيام (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل قال لها شافها
 (يا مريم ان الله اصطفاك) أي اختارك بان تقبلك من أمك ولم يقبل قبلكه أي وفرغك للعبادة
 واغناك برزق الجنة عن الكسب وتكليمه لها شافها كرامة لها وقيل كان معجزا لذكرا
 وقيل كان ارهاصا أي تأسيسا لنبوته عيسى صلى الله عليه وسلم بطريق الخوارق قبل البعثة
 كاطلال الغمام انمينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بطريق الشأم وانما جعل على هذا التأويل
 لانها ليست بنعمة على الاصح بل حكي البضاوى الاجاع على انه تعالى لم ينبي امرأة لقوله تعالى
 وما أرسلنا قبلك الا رجالا لكن نوزع في دعوى الاجاع لان الخلاف ثابت في نبوة نسوة
 خصوصا مريم اذ القول بنبوتها مشهور (وظهر لك) أي من ميسر الرجال ومما يستعذر
 من النساء (واصفاك) ثانيا (على نساء العالمين) بهدايتك وارسال الملائكة اليك وتخصيصك
 بالكرامات السنية كالولادة من غير أب ولم يكن لاحد من النساء (فائدة) أفضل نساء العالمين
 مريم كما في الآية اذ قيل بنو تهانم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة أمها
 ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون (فان قيل) روى الطبراني خبر نساء العالمين مريم بنت عمران ثم
 خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون (أجيب) بأن
 خديجة انما فصلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة (يا مريم اتقني لربك) أي أطيعه
 (واسجدى واركعى مع الراكعين) أي وصلى مع المصلين في الجماعة أو وانظمى نفسك
 في جملة المصلين وكوني معهم في عبادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (فان قيل) لم قدم السجود
 على الركوع (أجيب) باحتمال أنه كان كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل
 الركوع في الشرائع كلها وللتنبية على أن الواو لا تقتضي الترتيب (ذلك) أي ما قصصناه عليك
 يا محمد من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى (من أنباء الغيب نوحيه اليك) أي من الغيوب
 التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم) أي عندهم اذ يلقون أفلامهم في الماء أي سهامهم
 التي ذكر حوا فيه وعليها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة
 اختاروها للقرعة تبركا بها للعلماء (أيهم يكفل مريم) أي يحضنها ويربها فأي متعلق بمحمد وف
 كما لم من التدبير (وما كنت لديهم اذ يحضمون) في كفالتها تعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته

من جهة الوحى (فان قيل) لم تنبت المشاهدة واتفاوها معلوم من غير شبهة وتركتنى استماع الانبياء
من حفاظها وهو موهوم (أجيب) بأنه كان معلوما عندهم علمنا انه ليس من أهل السماع
والقراءة وكانوا منكرين للوحى مع علمهم بأنه لاسماع له ولا قراءة ومثل ذلك قوله تعالى وما كنت
بجانب القرئى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم واذكر (اذ قالت
الملائكة) أى جبريل (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أى يابن (اسمه المسيح عيسى بن مريم)
وانما خاطبها بنسبته اليها تنبيهها على أنها تالله بالأب اذ عادة الانبياء نسبتهم الى آبائهم لا الى أمهاتهم
ونسبته اليها فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قيل) هذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى
وأما المسيح والابن فلقب وصفة (أجيب) بأن الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويميز عن غيره
فكانه قيل الذى يعرف به ويميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والقاروق وأصله مشيحاً بالعبودية ومعناه المباركة لقوله وجعلنى مباركاً
أينما كنت واشتقاقه من المسيح لانه مسح بالبركة أو بمسح طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يبق
فى موضع أولانه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن أولان جبريل مسحه بمسحها حتى لم يكن
للسيطان عليه سبيل أولانه كان مسيح القدم لأنخص له وقال ابن عباس سمي مسيحاً لانه ماسح
ذاعاه البرئ ويسمى الدجال مسيحاً لانه مسح احدى العينين وعيسى معرب ايشوع وهو
بالشين المعجمة السيد قال البيضاوى اشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حجرة وهو تكلف
لاطائل تحته وقوله تعالى (وجيهاً) أى اذ جاء حال مقتدرته من كلمة وهى وان كانت نكرة ولكنها
موصوفة (فان قيل) لم ذكر ضمير الكلمة (أجيب) بأن المسمى بها مذكر (فى الدنيا) أى بالنبوة
والتقدم على الناس (و) فى (الآخرة) بالشفاعة والدرجات العلى (ومن المتترين) عند
الله تعالى لعلو درجته فى الجنة ورفعته الى السماء وصحبته للملائكة (ويكلم الناس فى المهد)
أى صغيراً قبل أن أوان الكلام كما ذكر فى سورة مريم قال انى عبد الله أتانى الكتاب الآتية وحكى
عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذ اخلوت أنا وعيسى حدثنى وحدته فاذا شغلنى عنه انسان
سبح فى بطنى وأنا أسمع والمهد ما يهد للصبي من مضجعه وقوله تعالى (وكهلاً) عطف على
فى المهد أى ويكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية
وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء وقد رفع بعد كهولته وقيل انه رفع
شاباً وعلى هذا المراد كهلاً بعد نضوله وذكر تعالى أحواله المختلفة المتنافية ارشاداً الى أنه معزل عن
الالوهية (فان قيل) فافانما البشارة بكلامه كهلاً والناس فى ذلك سواء (أجيب) بأنه بشرها بأنه
ينبئ الى أن يتكهل وبعدم التفاوت بين الحالين كما مر وقوله تعالى (ومن الصالحين) أى من عباد
الله الصالحين حال من كلمة أو من ضميرها الذى فى يكلم (فان قيل) لم ختم الصفات المذكورة بقوله
ومن الصالحين بعد كونه وجبها فى الدنيا وفسرت بالنبوة ولاشك أن النبوة أرفع من منصب
الصلاح بل كل واحدة من الصفات المذكورة أشرف من كونه صالحاً (أجيب) بأنه لا يكون
كذلك الا ويكون فى جميع الأفعال والتروك ومواظبها على المنهج الاصلح وذلك يتناول جميع

المقامات في الدين والديني في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح ولهذا قال نبي الله سليمان بن
 داود عليهما الصلاة والسلام بعد النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فلما عُدَّ صفات
 عيسى عليه الصلاة والسلام أردفها به هذا الوصف الدال على أرفع الدرجات (قالت رب أي
 ياسيدي فقوله الله عز وجل وقيل قائله لجبريل قائله البغوي وقال الزمخشري ومن بدع التفاسير
 أن قوله رب نداء لجبريل يعني ياسيدي (أي) أي كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)
 أي ولم يصبني رجل بتزويج ولا غيره قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن بحوت العادة بأن يولد مولود بلا أب
 أو استقها ما عن أن يكون بتزويج أو بغيره (قال) الامر (كذلك) من خلق ولد منك بلا أب (الله
 يخلق ما يشاء) القائل جبريل أو الله وجبريل حكى لها وقوله تعالى (إذا قضى أمرا) أي أراد كون
 شيئا (فإنما يقول له كن) صروقا (فيكون) ابن عامر يفتح النون والباقون بضمها أي فهو يكون لانه
 تعالى كما قد رَأَى يخلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد فيقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك فنفتح
 جبريل في جيب درعها فخلعت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم وسأيت أن شاء الله تعالى
 الكلام عليه هناك وقوله تعالى (ونزلناه الكتاب) أي الكتاب (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل
 (والتوراة والإنجيل) كلام مستأنف ذكر تطييبا لقلوبهم وأراحته لما همها من خوف اللوم حين
 علمت أنهم تلمذ من غير زوج وقيل المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
 وقرأ نافع وعاصم بالياء والباقون بالنون (و) تجعله (رسولا إلى بني إسرائيل) أما في الصبا وبعد
 البلوغ وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثه اليهم وللرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم
 (فائدة) كان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى عليهم الصلاة والسلام ولما
 بعث اليهم قال لهم اني رسول الله اليكم (أي) أي باني (قد جئتكم بآية) أي علامة (من ربكم)
 تصدق قولي وانما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة
 * ولما قال ذلك لبني إسرائيل قالوا وما هي قال هي (أي) قرأ نافع وحده بكسر الهمزة على
 الاستثنا ففتح الباء من اني نافع وأبو يعر وسكنها الباقون (أخلق) أي أصور (لكم من الطين
 كهنية الطير) أي مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور وحيا طيارا والكاف اسم فاعول
 وقرأ ورش بالمد على الباء من هيئة والتوسط كما تقدم في شيء (فانفتح فيه) الضمير للكاف أي
 في ذلك المماثل للطير أي في فيه (فيكون طيرا باذن الله) أي بإرادته به ذلك على أن احياه من الله
 تعالى لانه وقرأ نافع بالفتح بعد الطاء بعدها همزة مكسورة ووقف ورش الراء على أصله والباقون
 بياساسا كنهية بعد الفاء من غير ألف فقراءة الجمع نظرا إلى أنه خلق طيرا كثيرا وقراءة
 المفرد نظرا إلى أنه نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه أكل
 الطير خلقا لا ناله استئنا واللائي نديا وتحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه
 فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم أن الكمال لله عز وجل
 (وابري) أي أشقى (الأكمة) وهو الذي وادأعى أو ممسوح العينين قال الزمخشري ويقال لم
 يكن في هذه الامة أكمة غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير ولعل هذا على التفسير

الثاني (والابرص) وهو الذي به برص وهو يبايض شديد يقع الجلد ويذهب دموبته وانما
 خص هذين المرضين بالذكر لانهم اعييا الاطباء وكان الغالب في زمن عيسى الطب فأراهم
 المهجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون
 ألفا من اطلاق منهم أن يبلغه أناه ومن لم يطق أناه عيسى وما كانت مداوانه الا بالدعاء وحده
 على شرط الايمان وانما حال ثانيا (وأحيى الموت بأذن الله) وكرر بأذن الله دفعا لتوهم اللوهمية
 فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس قد أحياء عيسى أربعة أنفس عازر
 وابن الجعوز وابنة العائش وسام بن نوح عليه السلام فاما عازر فكان صديقه له فأرسلت أخته
 الى عيسى عليه السلام ان أهلك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتى هو وأصحابه
 فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله
 سبحانه وتعالى فقام وخرج من قبره وبني وولده وأما ابن الجعوز فزبه ميتا على عيسى يحمل على
 سرير فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعتاق الرجال ولبس ثيابه وحمل
 السرير على عنقه ورجع الى أهله فبني وولده وأما ابنة العائش فكان رجلا يأخذ العشور
 ماتت له بنت بالامر فدعا الله تعالى فأحيها فبقيت وولدها وأما سام بن نوح فان عيسى عليه
 السلام جاء الى قبره ودعا فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة وما كانوا
 يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال لا والله كن قد دعوت الله تعالى فأحياك
 ثم قال له مت فقال بشرط أن يعيدني الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل به ما
 قال (وأنبيئكم) أي أخبركم (بما أنا كاون) عالم أعيانه (وما تدخرون) أي تخبئون (في بيوتكم)
 حتى تأكلوه فكان يخبر الرجل بما كل البارحة وبما كل اليوم وبما أدخره للعشاء وقال
 السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقدأ كل
 أهلك كذا وكذا ورفعه والاك كذا وكذا قال فينطلق الصبي الى أهله ويكي عليهم حتى يعطوه ذلك
 الشيء فيقولون من أخبركم بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا
 الساحر فحرمهم في بيت فجاء عيسى يطلمهم فقالوا ليسوا ههنا قال فما في هذا البيت قالوا خنازير
 قال عيسى كذلك يكونوا ففحقون عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل ففهمت به
 بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمته جلته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما هذا
 في المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أيضا كانوا كلن والسلاوى وأمر وأن لا يخونوا ولا يخبئوا
 اغد نخانوا وخبئوا فجعل عيسى يخبرهم بما كلوا من المائدة وأدخروا منها ففحنهم الله خنازير
 (ان في ذلك) الذي ذكرناه لكم (لاية لكم ان كنتم مؤمنين) أي مصدق للحق غير معاندين وقوله
 تعالى (ومصدقا) منصوب باضمار فعل يدل عليه قد جئتكم أي وجئتكم مصدقا (لما بين يدي)
 أي قبلي (من التوراة) لا لعل لكم به من الذي حرم عليكم) فيها في شريعة موسى عليه الصلاة
 والسلام فأحل لهم كل الشحوم والثروب وهو ثمنهم رقيق يغشى الكرش والسمنك ولحوم
 الابل والعمل في السبت وقبل أكل الجميع فبعض يعني كل كقول لبيد

ترالأمكنة اذالم أرضها * أويرتبط بعض النفوس حمامها

يعني كل النفوس (فان قيل) كيف يكون مصداق التواردة والاحلال يدل على أن شرعه كان
 نامضا لشرع موسى (أجيب) بأنه لا تناقض كما لا يعود نسخ القرآن ببعضه بعض عليه
 بالنقض والتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الزمان وانما كرر (وجئتكم
 بآية من ربكم) للتأكيدي وليدني عليه (فاتقوا الله) أي في مخالفة أمره أي جنتكم بآية بعد
 أخرى عما ذكرتم من خلق الطير والابرار والاحياء والانبيا بالخفيات وبغيره من ولادته من
 غير أب ومن كلامي في المهد وغير ذلك فهي في الحقيقة آيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد
 في الدلالة على رسالته (وأطيعون) فيما أدعواكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم شرع في
 الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال (ان الله ربي وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا
 القول لم يختلفوا فيه (فاعبدوه) أي لازموا طاعته التي هي الاتيان بالاوامر والالتزام عن
 المناهي (هذا) الذي دعوتكم اليه (صراط) أي طريق (مستقيم) أي هو المشم ودله بالاستقامة
 روى الامام أحمد وغيره ان رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لأشغل عنه أحدا
 بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم ولما قال لهم ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به كما قال تعالى (فلما
 أحس عيسى) أي علم (منهم) علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (الكفر قال من أنصاري)
 قرأ نافع بفتح الباء والباقون بالهمزة أي اعوانى وقوله (الى الله) متعلق بمحذوف حال
 من الباء أي من أنصاري ذاهبا الى الله تعالى ملتجيا اليه تعالى لا نصديقه وقيل الى هنا يعني مع
 أوفى واللام (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي أعوان دينه واختلقوا في الحوارين فقال
 السدي لمابعت الله تعالى عيسى الى بنى اسرائيل كذبوه وأخرجوه فخرج هو وأمه بسبحان
 في الارض فترلا في قرية على رجل فأضافه وأحسن اليهما وكان تلك المدينة جبارته تعد فجاء
 ذلك الرجل يوما مهمتا من نافذ دخل منزله ومر به عند امرأته فنالت لها مريم ما شأن زوجك أراه
 كئيبا قالت لا تسئلي قالت اخبرني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل
 منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم خرافا فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا
 سعة قالت فقولي له لاتهم فاني أمر ابنى فيدعوا اليك في ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك قال
 عيسى ان فمات ذلك وقع شر قالت فلان قال فانه قد أحسن البناؤا كرمنا قال عيسى قولي له
 اذا اقترب ذلك فأملأ قدورك وخوابيلك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء
 القدر ومرفا والحواماء الخواوي خرم المير الناس ثم له قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال
 من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال فان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي
 من أرض أخرى فلما خلط على الملك شدد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماعخر افعلا حضره وكان للملك ابن يريد أن يستخففه فأتى قبل
 ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله تعالى فجعل الماعخر الجاهل الى حتى يحيي
 ابنى فدعى بعيسى ابيه فكلمه في ذلك فقال عيسى لا أفعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا علمك

قال عيسى ان احببته تركنى انا و اى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالصلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا داموا لم يريد أن يستخلف علينا ابنه فبأكلنا كما أكلنا أبوه فاقبلوا وذهب عيسى وأتمه فز و بالحواريين وهم بمطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قالوا ومن أنت قال عيسى بن مريم عبد الله و ربه فقالوا (أمنّا) أى صدقنا (بالله و اشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم و عليهم (ربنا آمنا بما أنزلت) من الانجيل (و اتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالوحداية أومع النبيين الذين يشهدون لاتباعهم أومع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس و قال الحسن كانوا قصارين هموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها و على الاول هموا حواريين لبياض ثيابهم و قال عطاء سلت مريم عيسى الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين و كانوا قصارين و صبغين فدعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عند ثياب و عرض له سفر فقال يا عيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة و انما خرج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام و هذه ثياب مختلفة الألوان و قد علمت على كل واحد منها بجمعة على اللون الذى يصبغ به فيجب أن تكون فارغاً منها عند قدومى و خرج فطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد و أدخل فيه جميع الثياب و قال كوفى باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الحواري و الثياب كلها فى الحب فقال ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب فقال قم فانظر فخرج عيسى ثوباً أصفر و ثوباً أخضر و ثوباً أبيض الى أن أخرجهما على الألوان التى أرادها فجعل الحواري يتعجب و علم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن هو و أصحابه و هم الحواريون و قال الكلي و عكرمة الحواريون الاصفياء و هم كانوا أصفياء عيسى أول من آمن به و كانوا اثني عشر من الحور و هو البياض الخالص و حواري الرجل صفوته و خالصته و قبل للحضريات الحواريات خلوص أولائهن و تظافرن قال القائل

فقل للحواريات يكيبن غيرنا • ولا تبكوا الا الكلاب النواج

قال الله تعالى (و مكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحسن عيسى منهم الكفر به و ذلك أن عيسى عليه الصلاة و السلام بعد اخراج قومه اياه و أتمه عاد اليهم مع الحواريين و صاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله و طأوا على الفئدة و وكوا به من يقتله غيلة و هى بالكسر أن يخذع غيره فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله فذلك مكرهم اذا المكروا من المداوى الخبث و الخديعة و الخيلة و إنما من الخلق و هو قوله تعالى (و مكروا لله) أى بهم (و الله خير الماكرين) أى أعلمهم به فقال الزجاج مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الاستدانة لانه في مقابله كتبه تعالى الله يستهزئ بهم و هو خادعهم و مكروا لله تعالى بهم فى هذه الآية بأن الذى شبهه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى قتل روى أن عيسى استقبل رهباناً من اليهود فلما رآه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة و الفاعل ابن الداعلة فقد فؤد و أمه فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم و لعنهم • لعنهم الله خزائر فلما رأى ذلك

يهود اراس اليهود وأميرهم فرزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كنيّة اليهود على قتل عيسى وساروا
اليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها كوة فرفعّه الله تعالى الى
السماء من تلك الكوة فأمر يهود اراس اليه ودرجوا من أصحابه أن يدخل الخوخة ويقتله فلما
دخل لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا
أنه عيسى فقتلوه وصلبوه فلما صلب جاءت أم عيسى وامرأة كان عيسى دهاها فأبرأها الله تعالى
من الجنون فكان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما على من تبكيان أن الله تعالى رفعني ولم
يصغى الأخير وإن هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم
فانه لم ييك عليك أحد بكها ولم يحزن حزني ثم اجتمع لك الحوارين فبشّهم في الارض دعاة الى
الله عز وجل فأهبطه الله تعالى اليها فاشتعل حين أهبطوا فجمعت له الحوارين فبشّهم في الارض
دعاة ثم رفعه الله تعالى اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تحدث
كل واحد منهم بلفظة من أرسله عيسى عليه الصلاة والسلام اليهم وروى أن الله تعالى أرسل اليه
سحابة فرفقته فقامت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجعنا وكان ذلك ليلة القدر بيت
المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وقالت أهل التواريخ حلت مريم بعيسى ولها ثلاث عشر سنة
وولدت لمعنى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله تعالى اليه على رأس
ثلاثين سنة ورفعّه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين وقوله تعالى (اذ قال الله) ظرف خبر
المساكين أولئك الله أولئك مثل اذكر (يا عيسى اني متوفيك) أي مستوفى أجلك ومعناه
اني عاصمك من أن يفتلك الكفار وموخرلك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لاقتلا
بأيديهم وأفاضلك من الارض من توفيت مالي أي قبضته أو متوفيك نائماً كما قال تعالى وهو الذي
يتوفاكم بالليل أي يميتكم اذ روى انه رفع نائماً ومميتك عن الشهوات العائقة عن العروج
الى عالم الملكوت (ورافعلك الى) أي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي اذ روى أن الله تعالى رفعه
وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول
العرش وكان انسيا ملكاً سماوياً أرضياً وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه
سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعّه وقال الفخاكة ان في الآية تنبيهاً وتأخيراً معناه اني
رافعلك الى (ومطهرلك من الذين كفروا) أي مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم ومتوفيك بعد انزالك
من السماء روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
لم يوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض
المال حتى لا يقبله أحد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشرية نبينا
ويقتل الديار والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم انه يميت سبع سنين
وفي حديث عند أبي داود والطيالسي أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فيعمل على
أن مجموع لبنه في الارض قبل الرفع وبعده أربعون وقيل للعسين بن الفضل هل تجد نزول

عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى ويحكم الناس في المهد وكهلا وهو لم يتكهل في الدنيا وإنما معناه كهلا بعد نزوله من السماء انتهى وهذا إنما يأتي على القول بأنه رفع شاباً وأما على القول بأنه رفع بعد ثلاث وثلاثين فلا دليل فيه إذ الكهولة من الثلاثين إلى الأربعين (وجاعل الذين اتبعوه) أي صدقوا بغيرك من النصارى ومن المسلمين لأنه متبعوه في أصل الاسلام وإن اختلفت الشرائع (فوق الذين كفروا) بل من اليهود والنصارى أي يغلبونهم بالحق والسيف (إلى يوم القيامة) وقيل المراد بالذين اتبعوه النصارى وبالذين كفروا اليهود إذ لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وملك النصارى قائم إلى قريب من قيام الساعة وعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء في المحبة لا اتباع الدين (ثم إلى مرجعكم) الضمير لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ثمين الحكم بقوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (و) أعذبهم في (الآخرة) بالنار (فان قيل) الحكم مرتب على الرجوع إلى الله تعالى وذلك في القيامة فكيف يصح في تبينه العذاب في الدنيا (أجيب) بأن المقصود ألا يدمن غير نظر إلى الدنيا والآخرة كما في قوله خالد بن فيم أدامت السموات والأرض (ومالهم من ناصرين) أي مانعين منه (وأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفى لهم أجورهم) أي أجور أعمالهم وقرأ حصص بالياء والباقيون بالنون (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ما سبق من خبر عيسى ومريم وامرأة عمران وهو مبتدأ خبره (تأوله) أي نقصه (عليك) يا محمد وقوله تعالى (من الآيات) خبر بعد خبر وأخبر مبتدأ محذوف أو حال من الهاء (والذكر الحكيم) أي القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وقيل هو الروح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة يضاء ولما قال وفد نجران للرسول صلى الله عليه وسلم مالك سبيت صاحبنا قال وما أقول قالوا اتقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت أنساناً قط من غير أب نزل (ان مثل عيسى) أي شأنه وحالته الغريبة (عند الله كمثل آدم) أي كشأنه في خلقه من غير أب وقوله تعالى (خلقناه) أي آدم (من تراب) جملة مفسرة لما شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان قيل) كيف شبهه وقد وجد هو من غير أب وآدم بغير أب وأم (أجيب) بأن مثله في أحد الطرفين ولا ينفع اختصاصه بدوره بالطرف الآخر من تشبيهه لأن المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولأنه شبهه في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهذا في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فتشبهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للنقص وأحسم للمادة شبهته إذا نظر فيها هو أغرب مما استقر به وعن بعض العلماء انه أسرى بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فز قيل أولى لان عيسى أحيا أربعة أنفس وحز قيل غاية آلاف فقالوا كان يبرئ

لا كره والابرص قال فجر جس اولى لانا طبع وأحرق ثم قام بالماء ومعنى خلق آدم من تراب
أى صور جسده من تراب (ثم قال له كن) أى أنشأ بشرا بأن نفخ فيه الروح كقوله تعالى ثم
أنشأناه خلقا آخر وقوله تعالى (فيكون) حكاية حال ماضية أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من
غير أب فكان ويجوز أن تكون ثم لتراخى الظهيرة لتراخى الخبر عنه وقوله تعالى (الحق من ربك)
خبر مبتدأ محذوف أى أمر عيسى وقوله تعالى (فلا تكن من الممترين) أى الشاكين خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا
(فن حاجك) أى جادلك من النصارى (فيه) أى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أى من
البيئات الموجهة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل) لهم (تعالوا) أى هلموا بالرائى والعزم
(ندع) جزم فى جواب الأمر وعلامة جزمه سقوط الخوا (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
وأفسنا وأفسكم) أى ابدع كل منا ومنكم نفسه وأهله وانما أقدمهم على النفس لأن الرجل
يحاطر بنفسه لاجلهم ويحارب دونهم فجمعهم (ثم نبتهل) أى تتضرع فى الدعاء ونبالغ فيه
(فصعل لعنت الله على الكاذبين) بأن نقول اللهم العن الكاذب بأمر عيسى فلما قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد فخرجان ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى ترجع وننظر
فى أمرنا ثم تأتيت هذا فخلع بعضهم بعض وقالوا للعاقب وكان ذراعا بهم يا عبد المسيح ما ترى فقال
والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدانى مرسل واقدم جاءكم بالفضل من أمر صاحبكم
والله ما بهل قوم نياق فعاشر كبيرهم ولا بئ صغيرهم ولئن فعلتم انما كنتم فان أبيت
الا لافامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
الى بلادكم فأبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدما تحتنا للعيسى أخذنا بيد
الحسن وفاطمة ثمضى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنها وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم
إذا أنا دعوت فأمضوا فقال أسقف فخران وهو اسم سريانى لرئيس النصارى وعالمهم وهو
غير العاقب يا معشر النصارى انى لارى وجوها لوسألو الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لآزاله
فلأتبأهلوا فتملكوا ولا يبق على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة ففعلوا يا أبا القاسم رأينا
أن لا نبأهلك وان نترك على دينك وثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
أبيت المباهلة فأسلموا يكن لكم مالمسلمين وعليكم ما عليهم نأبوا فقال انى أنأبكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصلحك على أن لا تغزونا ولا تخفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى
اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب تؤدبهم المسلمين وعارية ثلاثين درهما وثلاثين
فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يقدرون بها والمسلمون ضامنون
اها حتى يؤدوها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان
العذاب تدلى على أهل فخران ولولا عنوا المسخو اقرده وخنازير ولا ضلطم عليهم الوادى نارا
ولاستاصل الله تعالى فخران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الطول على النصارى
حتى هلكوا كلهم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه

مرط من جبل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفي ذلك دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى
فضل أهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وعن بقية العصاة أجمعين * (فائدة) * سميت لعنة ههنا
بالتاء المحرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء (ان هذا)
أى الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص) أى الخبر (الحق) الذى لا شك فيه وقرأ
قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء من لهو والباقون بالرفع حيث جاء وهو ما فصل
بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبران (فان قيل) لم جاز دخول
اللام على الفصل (أجيب) بأنه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أولى لانه
أقرب الى المبتدأ وأصلها أن تدخل على المبتدأ (وما بنى الله الا الله) انما صرح فيه عن المزية
للاستغراق تأكيدهم للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز) فى ملكه (الحكيم)
فى صنعه فلا أحديسأويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة فلا يشاؤك فى الألوهية (فان تولوا)
أى أعرضوا عن الايمان (فان الله عليهم بالفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمهر
لبدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
النفس بل الى فساد العالم * ولما قدم وقد تجرأ المدبسة والتعصم مع اليهود واختصموا فى
ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به
وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين برى من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وأعلى دينه فاتبعوا دينه
الاسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد الآن أن تتخذ رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت
النصارى يا محمد ماتريد الآن أن تقول فيك ما قالت اليهود فى عزيرىزل (قل يا أهل الكتاب) وهو يم
أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة) العرب تسمى كل قصة لها شرح
كلمة ومنها هيت القصيدة كلمة وقوله تعالى (سواء) مصدر بمعنى مستوأمها لا تختلف فيها
الرسل والكتب (بيننا وبينكم) هونعت الكلمة لأن المصادر لا تنفى ولا تجمع ولا تؤنث فاذا
فتحت السين مدت واذا كسرت أو ضمت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم نسر الكلمة بقوله
(أن لا نعبد الا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص له فيها (ولا نشرك به شيأ) أى ولا نجعل غيره
شريكا له فى استحقاق العبادة لانراه أهلا لان يعبد (ولا يتخذ به ضنا بعضا أربابا من دون الله)
أى ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدوا من التحريم والتحليل
لانهم بشر مثلنا روى الترمذى لما نزل قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون
الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك أى أخذكم بقولهم (فان تولوا) أى أعرضوا عن
التوحيد (فقولوا) أنتم لهم (اشهدوا أنا مسلمون) أى موحدون دونكم فقد لمستمكم بالحجة
فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك كما يقول الغالب لامة غلوب فى جدال أو صراع أو نحو ذلك

عترف بأني الغالب وسلم الغلبة قال البيضاء ينسب انظر ما راعى أي الله سبحانه وتعالى
في هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن التدرج في الحجج فيبين أولاً أحوال عيسى وما
نعموا عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح أي يزيل شبهتهم فلما رأى
عنادهم وبلاجهم دعاهم الى المباحلة بنوع من الانهاز ثم لما عارضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد دعا اليهم بالارشاد وسلك طريقاً سهلاً والزعم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى
والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد أي ينفع ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والذعر
لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون (يا أهل الكتاب) وقدم ترانه يعم اهل
الكتابين اليهود والنصارى (لم يحتاجون) أي تحتاجون (في ابراهيم) بزعمكم انه على دينكم
(وما انزل التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الامن بعده) أي بزعم طويل
اذ كان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت
اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تعلمون) بطلان قولكم حتى لا تجدوا
مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم) يا هؤلاء هاللتفسيه وأنتم مبتدأ خبره (حاججتم) أي جادلتم
(فبنا لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعمتم أنكم على دينهما (فلم يحتاجون) فيما ليس لكم به
علم من شأن ابراهيم وليس له ذكر في كتابكم (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) أي جاهلون
به ثم قال تعالى تبرئة لابراهيم (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً) أي ما تلا
عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلماً) أي موحداً متقاداً لله تعالى وليس المراد انه كان على
دين الاسلام واللاشترك الا لازم لانهم يقولون له الاسلام حدث بعد نزول القرآن على محمد
صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم قبله بقدر طويته فكيف يكون على ملة الاسلام الحادثة بنزول
القرآن فعلم أن المراد بكون ابراهيم مسلماً انه كان على ملة التوحيد لا على هذه الملة (وما كان
من المشركين) كما لم يكن منكم وأراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشرا كههم عزير او المسيح
(إن أولى الناس) أي أحقهم (بابراهيم) من أمته (للمذين انبعوه) من أمته (وهذا النبي) والذين
آمنوا والله ولي المؤمنين أي ناصرهم وحافظهم ولما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعمار الى
دينهم نزل (ودت) أي تحنت (طائفة من أهل الكتاب) لويضا لوزنكم عن دينكم ويردوكم الى
الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم) أي أممهم أو أنتم أضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطعونهم
فيه (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب) لم تكفرون بآيات الله بما نطق به التوراة والانجيل
وذلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) انها آيات الله مزوج لـ أوبالقرآن
العزير وأنتم تشهدون نفسه في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق (يا أهل الكتاب) فلبسوا
الحق أي القرآن المشتعل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) أي بالتكريف والتزوير
(ونسكتون الحق) أي نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من
أهل الكتاب) أي اليهود قالوا الجماعة منهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي اقرآن أي
أظهروا الايمان به (وجه النار) أي أوله وانما سمي أوله وجهه لانه أحسنه ولانه أول ما يرى

بعد الليل (واكفروا) به (آخر لعالم) أي المؤمنين (يرجعون) عن دينهم إذا رأوكم رجعت
 واختلف في هذه الطائفة فقال الحسن والسدي هي أشاعر من يهود خيبر وقيل قرية
 نواطوا وقال بعضهم بعض ادخلوا في دين محمد أوّل النهار وقولوا أنا ناطرنا في كتبنا وشاورنا
 علماءنا فوجدنا محمد ليس بذلك فظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه واتهموه
 وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هم
 كعب بن الأشرف ومالك بن الصبيح قالوا لأصحابهم ما لما تحولت القبلة وشق ذلك على اليهود
 آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أوّل النهار ثم أكفروا وارجعوا إلى
 قبلتهم آخر النهار وصلوا إلى الصخرة لعلمهم يتولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى
 قبلتنا (ولا تؤمنوا إلاّ ما أتىكم من ربكم) أي وافق (دينكم) أي ولا تتزوا عن تصديق قلب الأهل
 دينكم وألا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلاّ ما كان على دينكم فإن رجوعهم أولى وأهم فأطاع
 الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرهم * (تنبيه) * قال البغوي اللام في أن
 صلة أي لا تصدقوا إلاّ ما أتىكم من ربكم اليهودية كقوله تعالى عسى أن يكون ردف لكم أي ردفكم
 (قل) يا محمد (إن الهدى هدى الله) الذي هو الإسلام وماعده ضلال وقوله تعالى (أن يؤتى)
 بمعنى الحمد أي ما يؤتى (أحدم مثل ما أوتيت) يا أمّة محمد (أو يحاجوكم) أي الأئمة يجادلكم
 اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله تعالى (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم بكم
 ذلك وهذا معنى قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل والحسن وهو حسن وقال القرطبي ويجوز
 أن تكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقلك أي حتى يعطيك حقلك ويكون معنى
 الآية ما أعطى أحدم مثل ما أوتيت يا أمّة محمد من الدين والعلم والحكمة والأيّات من القرآن
 القيامة وقال مجاهد قوله قل إن الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل
 بالكلام الأوّل اخبار عن قول اليهودية ضلّوا بعض أي ولا تؤمنوا إلاّ ما أتىكم من ربكم
 ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدم مثل ما أوتيت من العلم والحكمة والكتاب والآيات من القرآن
 والسوّى وقلن البحر وغيرهما من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً
 منهم وقرأ ابن كثير وحده هم من فواحدة وقال الزجاج يري ويجوز أن يكون هدى الله بدلاً من
 الهدى وأن يؤتى أحدم خبران على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحدم مثل ما أوتيت أو يحاجوكم
 حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا بباطلكم بحقهم ويدحضوا حججكم قال ويجوز أن يتصب
 أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلاّ ما أتىكم من ربكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى
 الله فلا تنكروا أن يؤتى أحدم مثل ما أوتيت لأن قولهم ولا تؤمنوا إلاّ ما أتىكم من ربكم انكار
 لأن يؤتى أحدم مثل ما أوتى قال تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) من عباده (والله
 واسع) أي كثير الفضل (عليه) بن هو أهله (يختص برحمته) أي نبوته (من يشاء والله ذو الفضل
 العظيم) ففي ذلك ردّوا بباطل ما زعموا بالجملة الواضحة (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار)
 أي بحال كثير (بؤفه البك) كعب الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية

ذهباً فأذاه اليه (ومنهم من أن تأمنه بيد شار لا يؤده اليك) كنف خاص بن عازوراء استودعه
 رجل آخر من قريش ديناراً فجده (الامامت عليه قائماً) أي الآن أودعته واسترجعته منه
 وأنت قائم على رأسه لم تفارق رده اليك وإن فارقت وأخرته نكل ولم يردّه وقيل المأمون على
 الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخاصون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم وقرأ حجة
 وأبو عمرو وشعبة يؤدّه ولا يؤدّه اليك باسكان الهاء فهو وصل بنية الوقف فهو سكون وقف بالنية
 لا بالفعل وقالون باختلاس حركة الهاء وحفص والكسائي بالحركة الكاملة والآخر في قنطار
 ودينار بالامالة لا بي عمرو والدوري عن الكسائي وورش بين وبين والباقون بالفتح (ذلك) أي
 ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤدّه (بأنهم قالوا) أي بسبب قولهم (ليس علينا
 في الاتمين) أي العرب (سبيل) أي انهم لا يستحلّ لهم ظلم من خالفهم ونسبوا ذلك الى الله تعالى
 قالوا لن يجعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل بقوله عز من قائل (ويقولون على
 الله الكذب) أي في نسبة ذلك اليه (وهم يعملون) أنهم كاذبون وقال الحسن وابن جرير ومقاتل
 بابيع انهم ودرجلا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا اتقوا ضوهم ببيعة أموالهم فقالوا ليس لكم
 علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانا قطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم
 وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم
 قال عند نزول هذه الآية كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا هو تحت قدمي أي
 منسوخ وتركوا الامانة فانها وادة الى البر والفاجر أي والديون من الامانة لان المراد
 من الامانة الرضا بالذمة وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه أي بلى على اليهود في الاتمين سبيل ثم ابتدأ
 فقال (من أوفى بعهد) أي ولكن من أوفى بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الاعيان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة (وانتي) الله بترك المعاصي وفعل الطاعات
 (فإن الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يشبههم (فان قيل) فأين
 الضمير الراجع من الخبر الى من (أجب) بأن عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير ونزل في
 أخبار من اليهود حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة وغيرهما
 وأخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشترون أي يستبدلون (بعهد الله) اليهم في الايمان للنبي
 صلى الله عليه وسلم والوفاء بأداء الامانة (وايمانهم) أي حلفهم به تعالى كاذبان قولهم والله
 لنؤمنن ولننصرنه (غنا قليلاً) من الدنيا (أو لك لا خلاق) أي لا نصيب (لهم في الآخرة
 ولا يكلمهم الله) أي عابستهم أو بشي أصلاً وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة (ولا ينظر اليهم)
 أي ولا يرجعهم (يوم القيامة ولا يرجعهم) أي ولا ينظر اليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب (ولهم
 عذاب أليم) أي مؤلم وقيل نزلت في رجل أقام سبعة في السوق خلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
 وقيل نزلت في جماعة من اليهود جاءوا الى كعب بن الاشرف في سنة أصابتهم عتارين فقال لهم
 اتعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان أمركم وأكسوكم فخرمكم الله خبرا
 كثيراً فقالوا لعلنا اشتبه علينا فرديد احتي لنقاء فانطلقوا فكتبوا قصة غير صفته ثم رجعوا اليه

وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعث الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
 كان بيني وبين رجل خصومة في بئر وأرض فاخصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 شاهدك أو عينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال من حلف على يمين يستحق بها ماله وفيها فاجر
 لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك هذه الآية وعن أبي ذر رضى الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا ينزلهم
 عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسرنا ومن
 هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق ساعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره وعن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم
 عذاب اليم رجل حلف على يمين على مال مسلم فاقطعه ورجل حلف عينا بعد صلاة العصر
 أنه أعطى بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ما فأن الله تعالى يقول اليوم
 امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك (وان منهم) اى اهل الكتاب (أقرىقا) أى طائفة
 ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحبي بن الخطب (يلوون السننهم بالكتاب) اى يقتلونهم
 بقرائنه عن المنزل الى ما حرفوه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال
 لوى لسانه عن كذا اى غيره (اتحسبوه) اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون (من الكتاب)
 الذى انزل الله (وما هو من الكتاب) قرأ ابن عمر وعاصم بفتح السين والباقون بكسرها وقوله
 تعالى (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة
 تشنيع عليهم به ويان لانهم يزعمون ذلك نصريحا لاتعريضا اى ليس هو نازلا من عنده (فان قيل)
 نبي الله تعالى ككون التعريف من عنده وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد محنوقا لله تعالى
 والالماصح نفسه عنه تعالى (اجيب) بأن المنفي هو الانزال كما تنقزل ككون التعريف غير
 محنوق لله تعالى بكسب العبد وقوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد ايضا
 وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان) أى ما ينبغي
 (لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم) اى الفهم للشريعة (والنبوة) اى المنزلة الرفيعة بالانباء
 (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) فتدال مقاتل والضحك نزلت في نصارى نجران كانوا
 يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه رافقا فقال تعالى ما كان لبشر اى عيسى ان يؤتيه الله الكتاب
 اى الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر اى محمد ان يؤتيه الله الكتاب اى القرآن وذلك
 ان ابا رافع القرظى من اليهود والسيد من نصارى نجران قال لا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اتريد ان تعبدك وتتخذك رافقا فقال معاذ الله ان امر بعبادة غيره لا ما بذلك بعنى الله ولا بذلك
 امرنى فترأت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
 قال ما ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والبشر
 جميع نى آدم لا واحدا لمن لفظه كالقوم ويوضع موضع الجمع والواحد (وامكن) يقول
 (كونوا ربانيين) أى علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تنغيما كما يقال رقباني

ولحياتي وهو الشديد النفس بدين الله تعالى وطاعته وقيل الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل بكاره وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر لسياسة الناس وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال هو الذي يربي علمه به عمله وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اليوم مات رباني هذه الامة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب كونكم تعلمون الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل فيكتفي بذلك دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكذروحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله كمثل من غرس شجرة حسنا ثم نفعه بظفرها ولا تنفعه بثمرها ويجوز أن يكون معناه تدرسون على الناس أقوله تعالى لتقرأه على الناس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل فليس من الله في شيء وإن السبب بينه وبين الله تعالى منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر وبفتح التاء وسكون العين وفتح اللام مخففة والباقون بنسب التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة (ولأبامركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحزة بنسب الراء عطفًا على يقول أي البشر والباقون برفع الراء على أنه استئناف أي الله (أن تأخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى وقوله تعالى (أبامركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر والله على الوجهين السابقين وقوله تعالى (بعد اذ انتم مسلمون) دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون على أن يسجدوا له (و) اذكر (اذ) أي حين (أخذ الله ميثاق النبيين) أي عهدهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرأ حزة والكسائي بكسر اللام من لما فتكون متعلقة بأخذوا والباقون بالفتح على الاستدعاء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق ومأمورة على الوجهين أي الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرأ نافع آتيتكم بالتون مفتوحة بعد الداء بعد ألف والباقون بتاء مضمومة (ثم جاءكم) تقدم أن حزة وابن ذكوان يملآن الألف مخففة والباقون بالفتح (رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (لتؤمنن به وتسجدن) جواب القسم أي ان أدركتموه وأمعنهم تبع اوسم في ذلك وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو معاهم نبيين تمسك لانهم كانوا يوقون نحن أولى بالنبوة من محمد لاننا أهل كتاب والنبيون كانوا منا (قال) الله تعالى لهم (أأقررتم) بذلك قرأ قالون وابوعمر وبسبيل الهمزة الشائبة والف بينهما وبين الهمزة الاولى وابن كثير كذلك الا أنه لا يدخل الف بينهما ولورش وجهان احدهما كابن كثير والثاني انه يبدل الثانية حرف مد ولهشام في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما (واخذتم) أي قبلتم تقدم ان ابن كثير وحفصا يظهران الذال المجبة عند التام من اخذتم والباقون بالادغام (على ذلكم أصري) أي عهدي صمي به لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصلان الذي يعقده (قالوا انزلنا قال فاشهدوا) على أنفسكم واتباعكم بذلك (وأما معكم

من الشاهدين) عليكم وعليهم وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
 وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى) أى أعرض (بعد ذلك) أى المناق
 والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفرة روى أن أهل
 الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلا الفريقين يرى من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا تأخذ بك فتزل (أفغير دين
 الله يغنون) وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة وهى فأولئك هم الفاسقون والهمزة
 متوسطة بينهم لان النكار ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره أي تزلون فغير دين الله يغنون وقدم
 المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى معنى الهمزة متوجه
 الى المعبود الباطل زقر أبو عمر وروى حفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب على
 تقديرهم (وله) سبحانه وتعالى (اسلم) أى خضع واقتاد (من فى السموات والارض طوعا)
 أى بالنظر فى الأدلة واتباع الحجة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف ومعانية ما يلجئ الى
 الاسلام كسحق الجبل على بنى اسرائيل وادراك العرق فرعون وقومه والاشراف على الموت
 لقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال الحسن اسلم أهل السموات طوعا وأهل
 الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقيل هذا يوم الميثاق حين قال
 ألسن بربكم قالوا بلى فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا فنفعه والكافر
 كرها فى وقت البأس فلم ينفعه قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وانتصب طوعا
 وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين (والبه ترجعون) قرأ حفص بالياء على الغيبة
 والباقون بالتاء على الخطاب (قل) لهم يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم
 وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أى أولاده (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم
 لا نفترق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه
 وعن تبعه بالايان فلذلك وحده الضمير فى قل وجمعه فى آمنا وعليها لان القرآن كما هو منزل
 عليه منزل على متابعيه بتوسط بلغه اليهم أو بأن يكلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوكة اجلالا
 له (فان قيل) لم عدى أنزل فى هذه الآية بعلى وفيما تقدم من مثلها فى سورة البقرة بالى (أجيب)
 بأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فعدى تارة بالى لانه ينتهى الى الرسل وتارة بعلى لانه
 من فوق وما قبل من أنه انما خص ما هنا بعلى وما هناك بالى لان ما هنا خطاب للنبي وكان واصلا
 اليه من الملائكة على بلا واسطة بشرية فناسب الاتيان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب
 للامة وقد وصل اليهم بواسطة النبي الذى هو من البشر فناسب الاتيان بالى المختصة بالاتصال
 قال الزمخشري فيه تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله تعالى
 آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (فان قيل) لم قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل
 (أجيب) بأنه انما قدم لان المنزل عليه هو المعترف للمنزل على سائر الرسل ولانه أفضل الكتب

المنزل (وغيرهم مسلمون) أي موحدون مخلصون في العبادة لا نجعل لهم شركاء فيها ونزل فيهم
 ارتد ولحق بالكفار وهم اثنا عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة
 كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري (ومن يتبع غير الاسلام ديناً أي غير التوحيد والافتقار
 لحكم الله فهو مشغل على الايمان بهذا التقدير ودينان تمييز بين الاسلام والدين يشغل على
 التصديق والاعمال الصالحة فالاسلام كذلك لأن المميز لا يخالف المميز وعلى هذا حمل الاسلام
 على الدين في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والدين هو الوضع الالهي السائق لكل خير
 فلن يتقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) لم يصبر الى النار المؤبدة عليه وقوله تعالى (كيف
 يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) لفظه استغفاهم ومعناه بخداي لا يهديهم الله لعلمهم من
 نصيحهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم (و) بعدما (شهدوا ان الرسول حق و) قد
 (جاءهم البينات) أي الحجج الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم
 الظالمين) أي الكافرين (وأولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)
 والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافر يلعن. فسكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف
 الحق بعينه * (تبينه) * دلت هذه الآية بمطوقها على جواز لعن القوم المذكورين
 وبفهومها على نفي جواز لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا بعد ايمانهم قال البيضاوي
 ولعل الفرق انهم أي هؤلاء مضطربون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يوسون عن الرحمة
 بخلاف غيرهم أي فلا يلعن الكافر الاصل الميعن حياً ولا ميتاً ما لا يعلم موته على الكفر
 وكالاصل المرتد وأما لعن الكافر على العموم فيجوز (خالد بن وهب) أي اللعنة أو النار
 أو العقوبة المدلول باللعنة عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يظنون) أي يهلون (الا الذين
 تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) علمهم تصديقاً لتوبتهم (فان الله غفور) لهم يقبل توبتهم
 (رحيم) بهم يتفضل عليهم وذلك أن الحرث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار رنم فأرسل الى
 قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجللاس بالآية
 فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته * ونزل في اليهود (ان الذين
 كفروا) يعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) موسى والتوراة (ثم ازدادوا كفراً) بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن وقبل كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالاصرار
 والعدا والظعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق (ان تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون)
 أي النابتون على الضلال (فان قيل) قد وعد الله تعالى قبول توبته من تاب فاعني قوله تعالى
 ان تقبل توبتهم (أجيب) بأن محل القبول اذا كان قبل الفرقة وهو لا توبتهم كانت بعدها
 وانهم لم يتوبوا أصلاً فـ (عن) عن عدم توبتهم بعدم قبولها وان توبتهم لا تكون الانفاقا
 (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملة) أي مقدراً ما عاينوا من
 (الارض) شرقتها الى غربها (ذهباً) تغليظاً في شأنهم وابرار حال الآيسين من
 الرحمة (فان قيل) لم قال في الآية الاولى ان تقبل بغير فاء وفي هذه بقوله فلن يقبل بالقاء (أجيب)

بأن القاء انعام دخلت في خيران لشبهه الذين بالشرط وايدنا بتسبب امتناع الفدية على الموت
على الكفر بخلافه في الآية الاولى لادليل فيه على السبب كما تقول الذي جاءني لهدرهم لم يجعل
الجي سببا لاستحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم ونصب ذهباً على التميز كقولهم عشرون
درهم ما وقوله تعالى (ولو اقتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية
ولو اقتدى به الأرض ذهباً ومعطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهباً لوقته قرب به في الدنيا ولو اقتدى به من العذاب في الآخرة ويجوز أن يراد ولو اقتدى بمثله
كقوله تعالى ولولأن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف كثيراً في كلامهم
كقوله ضربته مضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله (أولئك لهم عذاب أليم) أي مؤلم
(ومالهم من ناصرين) أي مانعين عنهم العذاب ومن مزينة للاستعراق روى أنس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض
من شيء أكننت فتقدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم
أن لا تنشر لي شيئاً فأيت الأمان تنشر لي (لن تنالوا البر) أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو
كمال الخير وأن تنالوا بر الله تعالى الذي هو الرحمة والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) من
أموالكم أو ما يعيها وغيرها كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والنفس
في سبيله وقال الحسن لن تكونوا أبراراً روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالصدق
فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور
يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وكان
السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله روى لما نزلت هذه الآية جاء أبو طلحة فقال يا رسول
الله إن أحب أموالي إلى البرها وهو بفتح الباء الموحدة وكسرها وفتح الراء وضعهما مع المدة
والقصر ضبيعة بالمدينة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب فضعها يا رسول الله حدث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخبرني بذلك مال رابع أو قال رابع وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلى
يا رسول الله ففهمها في أفاربه قوله صلى الله عليه وسلم يخبرني كلمة تنال عند المحدث والرضا بالشيء
وتكرار المبالغة وهي مبنية على السكون فإن وصلت كسرت ونونت وربما شددت وقوله رابع
أو رابع يقال لضبعة الإنسان مال رابع بالياء أي يروح نفعه إليه ورابع بالباء الموحدة أي ذوربح
كقولك لابن وتامر أي ذولبن وذو غر وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فكان زيد أوجد في نفسه وقال
إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أن الله قد قبلها منك وكتب
عمر رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يتباع له جارية من سبي جلولاء يوم فقت
مداش كسرى فلما جاءت أعجبت فقال إن الله تعالى قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

فأعنتها وقال لولا اني لأعود في شيء جعلته الله لنسكتها (وما تنفقوا من شيء) أي من أي شيء
تحبونه أو غيره ومن بيان لما (فإن الله به عليم) فيجازيكم بحسبه * ولما قالت اليهود لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الابل وألبانها
وأنت تأكلها فقلت أنت على ملة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم
فقالوا كل ما حرمه اليوم كان حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى الإنزال (كل الطعام) أي
المطعومات أو كل أنواع الطعام (كان حلالا) أي حلالا لأكله (لبني إسرائيل) والحل مصدر
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
(الما حرم إسرائيل) وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة (أي
ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل وألبانها على إبراهيم بل كان الكل حلالا لله ولبن
إسرائيل وأما حرمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة فليس في التوراة حرمها واختلقوا
في الطعام الذي حرمه إسرائيل على نفسه وفي سببه فقال مقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحمان
الابل وألبانها وسبب ذلك أنه مرض مرضا شديدا وطال سقمه فذرت له عافاه الله من سقمه
ليجزم أحب الطعام والشراب إليه وكان ذلك أحب إليه فحرمه وقال ابن عباس والفضال هي
العروق وسبب ذلك أنه اشتكى عرق النسا وهو بفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك
فيستبطن الفخذ وكان أصل وجعه أنه كان نذرا نذره الله أني عشر ولدا وأني بيت المقدس
صحيحا أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع
فعالجه فلم يصرع واحد منهم ما صاحبه فغمره الملك غمرة فعرض له عرق النسا ثم قال له أما ن
لوشئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمرة لأنك كنت نذرت أن أتيت بيت المقدس
صحيحا ذبحت ولذا فجعل الله لك بهذه الغمرة من ذلك مخرجا فكان لابنهم باليسل من الوجع
خلف يعقوب لئن عافاه الله تعالى أن لا يأكل كل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه وكان
بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونهم من اللحم وقال ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق
النسا وصف له الأطباء أن يجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه ثم اختلقوا في حال
هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال النخلك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم وأما حرموا على
أنفسهم اتباعا لإبراهيم ثم أضافوا تحريمه إلى الله عز وجل وأكذبهم الله تعالى فقال تعالى
(قل) لهم يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) ليتبين صدق قولكم (إن كنتم صادقين) فيه فهبتوا
ولم يأتوا بما وافي أخباره صلى الله عليه وسلم عما في التوراة دليل على نوبة قال الله تعالى (فمن
افترى) أي ابتدع (على الله الكذب من بعد ذلك) أي ظهورا للجنة بأن التحريم إنما كان من
جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم (فأولئك هم الظالمون) أي المتجاوزون الحق إلى الباطل وقوله
تعالى (قل) أي لهم (صدق الله) نمر يض يكذبهم أي ثبت أن الله صادق في هذا بجميع ما أخبر به
وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة إبراهيم) أي ملة الإسلام التي أنعم الله بها على بني آدم

ابراهيم حتى تخلصوا من اليهودية التي وطمنتكم في فساد دينكم ودينكم كما حيث اضطرتكم
 الى تحريف كتاب الله تعالى لتسوية اغراضكم والزمتمكم تحريم الطيبات التي احلها الله تعالى
 لابراهيم عليه السلام ومن تبعه (حنيفاً) أي مائلاً عن كل دين الى دين الاسلام وقوله تعالى
 (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجب في التوحيد
 الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط وهو تحريف التوراة وعن التفريط وهو ترك
 العمل وفيه اشارة الى التعريض بشرك اليهود ولما قالت اليهود للمسلمين بيت المقدس قبلتنا
 وهو افضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة افضل نزل (ان أول
 بيت وضع للناس) أي جعله الله متعبداً لهم وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
 والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بألني عام وكان زينة يضاء على وجه الماء فحدثت الارض
 تحتها بناء الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث
 الصحيحين ولما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفتنا قبلك بألني عام وقيل
 أول من بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موه قبل آدم بيت يقال
 له الضراح بضاد مجمة وحامه ملة سمي بذلك لانه ضريح من الارض أي بعد ويطوف به الملائكة
 فلما أهبط أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به الملائكة
 السموات قال البضاوي وهذا القول لا يلائم ظاهر الآية وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدمه فبناه
 قوم من جرهم ثم العمالق ثم قر يش (للذي) أي لايت الذي (بيكة) بالباء لغة في مكة سميت
 بذلك لانها تيسل أعناق الجبابرة أي تدقها لم يرمها جبار بسوء الاوقصة الله وسميت مكة بالميم
 لقلة ما فيها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامته كك اذا امتص كل ما فيه من اللبن
 وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها وقوله تعالى (مباركاً) حال من الذي أي ذا بركة لانه كثير
 الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعمره واعتكف عنده أو طاف حوله من الثواب وتكفير
 الذنوب (وهدي العالمين) لانه قبلتهم ومتعبدتهم ولان فيه آيات بحسبة كما قال تعالى (فيه آيات
 بينات) كالخفاف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار فلا تعلق فوقه وأن ضرارى
 السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تعترض لها واذا قصدت الجارحة صيدا فدخلت الحرم
 كفت عنه وأنه يلدصار اليه الانبياء والمرسلون والاواباء والابرار وان الصلاة فيه تضاعف
 بمائة ألف وان كل جبار قصد بسوء قهره الله تعالى كك أصحاب القيسل وجملة فيه آيات
 بينات مفسرة لهدي أو حال كبار كوهدي وقوله تعالى (مقام ابراهيم) مبتدأ حذف خبره أي منها
 مقام ابراهيم أو خبر مبتدأ محذوف أي احدها أو بدل من آيات بدل بعض من كل وهو الحجر الذي
 قام عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي
 ولعل الذي اندرس بعضه فاني رأيت أثر القدمين فيه وفي هذا دلالة على قدرة الله تعالى ونسوة
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام لان ثابته الاقدم في الحضرة السماء وغوصه فيها الى الكهين
 والانه بعض الحضرة دون بعض وابقاءه دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظه

مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين معجزة عظيمة وا
في سبب هذا الاثر على قولين أحدهما أنه لما ارتفع ببناء الكعبة وضعف إبراهيم
الجارية قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماء وهذا هو المشهور والاقول الثاني انه لما جاز
من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فغاءته به
فوضعت على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه
حتى غسلت الشق الاخر فبقى أثر قدميه عليه قال البيضاوي وقيل عطف بيان ورد هذا
بأن آيات ~~نكرة~~ ومقام ابراهيم معرفة ولا يجوز النخالف في عطف البيان باجماع البه
والكوفيين وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) جلة ابتدائية أو شرطية معطوفة من
المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله أى ومنها أمن من دخله وذلك بدعوة ابراهيم
الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد آمنا وفي الاقتصار على ذكر هاتين الآيتين وطم
غبرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات يثبت مقام ابراهيم وأمن من
وكثير سواهما ونحوه في طي الذ كر قول جرير

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلاث من موالها

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبيب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين به
القيامة آمانا رواه أبو داود والدارقطني وغيرهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
والبقيع يؤخذ باطرافهما ويثران في الجنة والحنون مقبرة مكة والبقيع مقبرة المدينة
الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيره ما لم يعترض له
لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يابىح حتى يضطر الى الخروج فيقتل وكان عمر بن الخطاب
لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند الامام الشافعي رحمه الله
لا يلجأ الى الخروج بل يقتل للامر في خبر الشيخين يقتل ابن خطل وقد كان ارتد وتعلق به
الكعبة وأما قوله ومن دخله كان آمنا وخبر من دخل المسجد فهو آمن فغناء جمع بين الا
من دخله بغير استحقاق قتل كان آمنا ومن دخله بعد استحقاق قتل قتل وأما اذا ارتكب
في الحرم فيستوفى منه بالاتفاق (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة على وجه مخف
وهو أحد اركان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
محمد رسول الله وقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وقرأ حفص وحزرة وال
بكسر الحاء وهى لغة نجد وقرأ الباقر بالفتح وهى لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان وه
واحد وقوله تعالى (من استطاع اليه) أى الحج أو البيت (سبيلا) أى طريقا بديل من ال
مخصص له وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره
~~كفر~~ أى بما فرضه الله من الحج أو كفر بالله (فان الله غنى عن العالمين) أى الانس
والملائكة وعن عبادتهم وقيل وضع كفره موضع لم يحج تأكيد الوجوب وتشديد على

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ملك زاداً وراحلةً تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت
يهودياً أو نصرانياً أو راهباً وضعفه ونحوه في التغليب من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر
* (تنبيه) * في هذه الآية أنواع من التأكيذ والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت أى انه حق واجب لله في رقاب الناس لا يشككون عن أدائه والخروج
عن عهده ومنها انه ذكر الناس ثم انه أبدل منه من استطاع اليه سبيلاً وفيه ضربان من
التوكيد أحدهما ان الإبدال تنفية للمراد وتكريه والناسي أن الإيضاح بعد الإبهام
والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل على
المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وفيه من الدلالة على الاستغناء
عنه برهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فأنهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج
فجئوا فأتيت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وهم المشركون واليهود
والنصارى والصابئون والجوس قالوا لا تؤمن به ولا نصلى اليه ولا نعبده فنزل ومن كفر الخ
وعنه صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تجبوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى
حجوا قبل أن لا تجبوا حجوا قبل أن يمنع البرجانية وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حجوا هذا
البيت قبل أن تثبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت اى ماتت (قل يا أهل الكتاب
لم تكفروا بآيات الله) الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدينه من وجوب الحج
وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقيح وأنهم وإن زعموا أنهم
مؤمنون بالوراثة والانجيل فهم كفرون بهما (والله شهيد) أى والحال ان الله تعالى شهيد
(على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أى تصرفون (عن سبيل الله)
أى دينه الحق المأمور بسلكه وهو الاسلام (من آمن) بتكذيبكم النبي صلى الله عليه وسلم
وكنتم نفعته وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون في صدقهم عن دين الله ويمنعون من أراد الدخول
فيه جهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العداوة والحروب لهدوهم والمشلة وانما كرا الخطاب والاستغناء من مبالغة في التوبيخ ونفي
العتذار لهم واشعاراً بأن كل واحد من الامر من مستقيم في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وقوله تعالى (تغيرن) أى السبيل (عوجاً) حال من الواو أى باغين طالين لها اعوجاجاً أى
مبلاعن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس وتوهموا ان في دين الاسلام عوجاً عن الحق
يمنع التسبيح ويغير صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما * (فائدة) * قال أبو عبيدة العوج
بالكسر فى الدين والقول والعمل وبالفصح فى الجدار وكل شخص قائم (وأنت شهداء) أى عالمون
بأن الدين المرضى هو دين الاسلام كافى بكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر

والكذب وانما يؤخركم لو كنتم فيمنازيكم (فان قيل) لم ختم الآية الاولى بقوله تعالى والله
شاهد على ما تعملون وهذه الآية بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون (أجيب) بأنه لما كان
المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يحجرون به ختمها بقوله تعالى والله شاهد على ما تعملون
ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله
بغافل عما تعملون * ولما مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مسجد لهم يهدنون فغاضه
ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا
اجتمعوا من قرار فأمر شابان اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعث وهو موضع بالمدينة
وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه
للاوس ففعل قناز القوم عند ذلك وتفاحروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فبين معه من المهاجرين والانصار فقال أبدو عوى الجاهلية
وانابن أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف به بينكم
فعرف القوم انها نزع من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين نزل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا
فر يقام من الذين أولوا الكتاب) أي شاسا وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قال جابر
ما رأيت يوما قط أفجع أولا وأحسن آخر امثل ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب
والتوبيخ (وكيف تكفرون) أي ولم تذكرن (وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) محمد
صلى الله عليه وسلم والمعنى من أين تطعن اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المجز
تتلى عليكم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم غصة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينكم وبعضكم ويزيح شبهكم (ومن يعصم بالله) أي ومن يتكلم بدينه أو يلجئ
اليه في مجامع أموره (فقد هدى) أي فقد حصل له الهدى لا بحالة كما تقول اذا جئت
فلا ناقد أفلت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصله ومعنى التوقع في قد ظاهر لان
المعصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكرم متوقع للفلاح عنده (الى صراط) أي طريق
(مستقيم) أي واضح (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي واجب تقواه وما يجئ منها
وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود بأن بطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم
بارسول الله من يقوى على هذا فسح بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال مقاتل امس في آل
عمران منسوخ الا هذه الآية (ولا تخونن الاوائنم مساون) أي موحدون والمعنى لا تكونن على
حال سوى حالة الاسلام اذا أدرككم الموت فان النسي عن المقيد بحال أو غير هادئ توجه
بالذات الى القيل تارة والى المقيد أخرى والى المجموع منها وهو هنا الى القيد كما تقول
لن نسمين به على لقاه العدو ولا تأنني الا وأنت على حصان بكسر الحاء فلا تنهأ عن الاتيان

ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان فالتنهي هنامتوجه الى القيد وحده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الآية فالوان قطارة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بن هو طعامهم وليس لهم طعام غيره (واعنعهم واجبل الله) أى بدى به وهو دين الاسلام استعار له الجبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاح من الردى كما ان التمسك بالجبل سبب للسلامة من التردى أو بكتابه وهو القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن جبل الله المتين لانتقضى بحجابه ولا يخاف عن كثرة الزد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى (جميعا) حال أى مجمعين عليه (ولا تفرقوا) أى ولا تفرقوا بعد الاسلام بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادى بعضهم بعضا ويحاربه (واذكروا نعمة الله) أى انعامه (عليكم) التي من جعلها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التالف (اذ كنتم أعداء) في الجاهلية بينكم الا نحن والعداوات والحروب المتواصلة (فألف بين قلوبكم) بالاسلام وقذف فيها المحبة (فأصبحتم بنعمته إخوانا) متراحين متناجين مجمعين على أمر واحد وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وأُم فوقعت بينهم العداوة بسبب قبيل وقطاولت الحروب والعداوة بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شقي) أى طرف (حفرة من النار) أى حفرة ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تقووا كفارا (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو النار أو الشقي وأشبه لتأنيث ما أضيف اليه كقول الشاعر * كاشرفت صدر القناة من الدم * (كذلك) أى مثل ذلك البيان البليغ (بين الله لكم آياته) أى دلالة (لعلكم تهتدون) ارادة ان تزدادوا هدى (ولكن منكم أمة) أى طائفة (يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فمن التبعض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الامن علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يبائره فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وقد يغلط في موضع الدين ويلين في موضع الغلظة وعلى هذا فالخطاب به الكل على الاصح ويسقط بفعل البعض المخرج عن الباقي وهكذا كل ما هو فرض كفاية فان تركوه أصلا ثم اجمعوا وقبل من رائدة وقبل للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمر بالمعروف كقوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك) أى الداعون الا أمرون الناهون (هم المفلحون) أى الفاترون بكال الفلاح وروى الامام أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهم اهدى عن المنكر واتقاهم لله وأوصلهم للرحم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسا به فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان وروى انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بي

يسده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر وأوليو شكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال أيها الناس
انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله
تعالى بعذابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يتر بالماء
على الذي في أعلاها فتأذوا به فأخذوا سفينة رجل في السفينة فأثروا فذابوا مالك فقال
تأذيتي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوه أنفسهم وان تركوه أهلكوه
وأهلكوا أنفسهم وعن حذيفة باقى على الناس زمان يكون فيهم حقيقة الحمار أحب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفیان الثوري إذا كان الرجل محببا
في جيرانه محمودا عند أخوانه فاعلم أنه مدهان والامر بالمعروف تابع للأموهه ان كان واجبا
فواجب وان كان مندوبا فمندوب وأما النهى عن المنكر أرى الحرام فواجب كله لان جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقيح والاظهارة العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لانه
يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر وعن السلف مر وبالخير
وان لم تفعلوا وانما يجب الامر والنهى على المكلف اذ المي تحضر ضررا ويجب ان يدفع بالاخف
فالاخف كدفع الصائل (فان قيل) الدعاء للخير عام في التكليف من الافعال والتروك فهو
شامل للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فافائدة كذا ذلك (أجيب) بأنه من عطف الخاص
على العام ايدنا بفضل كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (ولا تكونوا كالذين
تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات)
أى الآيات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه
الامة وهم المشبهة بالجبرية والحشوية وأشباههم وقوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم)
وعبد للذين تفرقوا وتمديد للمتشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) هو يوم القيامة
ونصب يوم بالنظر وهو لهم لما فيه من معنى الفعل أرباضا راز كروا والبياض من النور
والسواد من الظلمة فن كان من أهل نور الحق وسيم بياض اللون واسفاده واشراقه وايض
صحيفة واشرفت وسعى النور بين يديه ويمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسيم بسواد اللون
وكسوفه واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب فعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل وأهله (فأما الذين اسودت وجوههم) فهم الكافرون فيلقون
في النار ويقال لهم تو بئنا (أ كفرتم بعد ايمانكم) واختلفوا في كيف كفروا بعد ايمانهم فقال
أبي بن كعب أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم أأست بريكم قالوا بلى يقول أ كفرتم بعد
ايمانكم يوم الميثاق وعلى هذا هم جميع الكفرة وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايان
بالسنتهم وأنكروا بقلوبهم وعن عكرمة انه سم أهل الكاين آمنوا بانيائهم وبمحمد صلى

الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به وقال قتادة هم أهل البدع وقال أبو أمامة هم
 الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب أهل النار هؤلاء شر قتلى تحت
 أديم السماء وخير قتلى تحت أديم الأرض الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيئ قوله
 برأيت أم شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غير مرة قال فإشأنا لك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا
 ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ يديه فقال إن بأرضك منهم **كثيراً** فأعاذك الله تعالى منهم وقوله
 تعالى (فذوقوا العذاب) أمر أهانة (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم أو جزاء كفركم فالباء
 متعلقة بذوقوا على الأول ويحذف على الثاني (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي
 الجنة عبر عنهم بالرحمة تنبيه على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة
 إلا برحمته وفضله (فان قيل) كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم (أجيب) بأن القصد أن يكون
 مطلع الكلام ومقطعه حلقة المؤمنين ونوابهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (هم فيها خالدون)
 بعد قوله ففي رحمة الله (أجيب) بأن فائدته أنه أخرج مخرج الاستئناف والتأكيـد
 كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي هذه
 الآيات الواردة في الوعد والوعيد (آيات الله تتلوها عليهم) يا محمد (الحق) أي متلبسة بالحق
 والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلماً للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه تعالى لانه
 لا يجب عليه شئ بل هو المالك على الإطلاق كما قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض)
 ملكا وخلاقا (والى الله ترجع) أي نصير (الأمور) فيجازى كلابا وعده وأوعده (كنتم) يا أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى (خيراً أمة أخرجت) أي أظهور (للناس) وقيل كنتم في الأمم
 قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه
 الأمة نوفي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل
 أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على
 الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الأمة وقوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون
 عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كرم بطعم الناس ويكسوهم ويقوم
 بمصالحهم أو خبر ثان لكنتم وقوله تعالى (وتؤمنون بالله) يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب
 أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله (فان قيل) لم آخر تؤمنون بالله وحقه أن يقدم
 (أجيب) بأنه إنما اخبر لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمر بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً
 بالله تعالى وتصديقاً به وإظهاراً لدينه (تنبيه) استدلل بهذه الآية على أن إجماع هذه الأمة
 حجة لأنها تقتضي كونهم هم أمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر إذا اللام فيها الاستغراق فلو
 أجمعوا على باطل كعبري شئ هو في نفس الأمر معروف كان أمرهم على خلاف ذلك (ولو آمن)

أهل الكتاب بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (لكن) الايمان (خير لهم) مما هم عليه لانهم
 انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبساً للرياسة واستتباع العوام (منهم المؤمنون) كعبد الله بن
 سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) أى المتمردون في الكفر (لن يضروكم) أى اليهود يومئذ
 المسلمين بشئ (الأذى) أى ضرراً يسيراً كسب وطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك (وان يقا بلوكم
 بولوكم الادبار) منزهين ولا يضروكم يقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم
 وفي هذا تنبيه لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بأنهم لا يقدر أن يتجاوزوا الاذى الى ضرر
 يالى به مع أنه تعالى وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فان
 قيل) هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون (أجيب) بأنه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
 الاخبار ابتداءً كأنه قيل ثم أخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجرمه في المعنى أنه
 لو جزم لكان في النصر مقيداً بما قبله من كسولة الادبار وحين رفع كان في النصر وعداً مطلقاً
 كأنه قال ثم شأنهم وقصصهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم تحذولون منصف
 عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها يجتاح ولا يستقيم لهم أمر كما أخبر عن حال بني قريظة
 والنضير ويهود خيبر (فان قيل) ما معنى التراخي في ثم (أجيب) بأن معناه التراخي في الرتبة
 لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتولييتهم الادبار (ضربت عليهم الدلة)
 أى هدر النفس والمال والاهل وأذل القصد بالباطل والجزية (أيما تقفوا) أى حيثما
 وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام في سائر أحوالهم (الا في حال اعتصامهم) (بجبل من الله)
 أى بركة الله وأكابه (وحبل من الناس) أى بركة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل
 المؤمنين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاوزهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية او دين
 الاسلام (وإياها) أى رجعوا (بغضب من الله) أى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة)
 كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير طاعنين عنها يظهرون الفقر والمسكنة
 وفسراً كثر المفسرين المسكنة بالجزية وهم اليهود وعليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوي
 واليهود في غالب الامر فقراء مساكين اه (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والبؤس بالغضب
 كائن (بأنهم) أى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك)
 أى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كانوا بسبب عصيانهم واعتدائهم
 حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغار يفضي الى الكبر والاصرار على الكبار يفضي
 الى الكفر والعياذ بالله تعالى (ليسوا) أى أهل الكتاب (سواء) أى مستويين وقوله تعالى
 (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى مستقيمة ثابتة على الحق استئناف لبيان ثبوت الاستواء وهم
 الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما أسلم عبد الله بن
 سلام قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد الا أشرارنا ولولا ذلك مات كوادين آبائهم فانزل الله
 هذه الآية (يتلون آيات الله) أى يقرؤن كتاب الله (آناه الليل) أى في ساعاته وقوله تعالى
 (وهم يسجدون) حال أي يصلون لأن التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا في معناها فقال

بعضهم هي قيام الليل وقال ابن مسعود هي صلاة العفة لأن أهل الكتاب لا يصلون لها روى أنه عليه الصلاة والسلام أخرهائم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أمانة أي الشأن ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله تعالى هذه الساعة غيركم رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر ليس ومن أهل الأديان حال من أحد قاله التفتازاني ثم وصف الله تعالى تلك الأمة القائمة بصفات أخر فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك) أي الموصوفون بمبادئ (من الصالحين) أي من ملئت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناء أي والامة الأخرى غير قائمة بل مخرجون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون لليوم الآخر بغير مصفاته متباطئون عن الخيرات فترك هذا كثرة ما ذكر أحد القريبين (وما تنفعه لو من خير فلن تكفروه) أي تعدوا نوابه بل تجازون عليه وقرأ أحفص وجمرة والكسائي بالياء فيهما أي الامة القائمة والساقون بالنساء على الخطاب أي أيها الامة القائمة وقوله تعالى (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم وأشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وإن الفاجر عند الله هو أهل التقوى (إن الذين كفروا لن تغني) أي تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي من عذابه (شيئاً) وخص الأموال والأولاد بالذکر لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بغداد المال ونارة بالاستعانة بالأولاد (وأولئك أصحاب النار) أي لا لزوم لها لهم فيها خالدون مثل) أي صفة (ما ينفقون) أي الكفار (في هذه الحياة الدنيا) في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها (كئيل ربيع فيها صر) قال أكثر المفسرين فيها برد شديد وحكي عن ابن عباس أنها السحوم الحارة التي تقتل وقتل فيها صر أي صوت (أصاب حوث) أي زرع (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي (فأهلكته) عقوبة لهم لأن الإهلاك عن خطئ أشد وأبلغ والمعنى مثل أهلك ما ينفقون كئيل زرع فلم يتقوا به فكذلك نفقة هؤلاء ذاهبة لا فئة عون بها (وما ظلمهم الله) بضائع نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر الموجب لضياعتها ويجوز أن يعود الضمير لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله تعالى بأهلك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) أي أصدقاء تطلعونهم على سركم ثقة بهم شبهوا ببطانة الثوب كما شبهوا بالشار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار رواه الشيخان والشعار ما يلي الجسد والدثار فوقه وقوله تعالى (من دونكم) أي من دون المسلمين متعلق بـ لا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي كانوا من دونكم أي غيركم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالاً) أي لا يقصرون لكم في القساد والالو القصبر وأصله أن يعتدى بالحرف وعدى إلى مفعولين كقولهم لا أولئك انصفاً على تضمين معنى المنع والنقص والمعنى لا منعهك انصفاً ولا انقصك (ودوا) أي غموا (ما غنم) أي غنمكم وهو شدة الضرر وما صدر به أي غموا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وبالغته (قد بدت) أي ظهرت (البغضاء من أفواههم) أي في كلامهم بالوقعة فيكم وإطلاع المنكرين

على سركم لا يتماثل كون أنفسهم لفرط بغضهم وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضاً على ذلك (وما تحقق صدورهم) من العداوة والغبط (أكبر) أى أعظم عمداً لأن بدوه ليس عن روية واختيار (قد ينالكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فلا تولوهم (فان قيل) كيف موقع هذه الجمل وهي لا بألوانكم وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء وقد ينالكم الآيات (أجيب) بأنها مستأنفات على وجه التعليل بمعنى ان كلاله للهنى عن اتخاذهم بظاناً (ها أنتم أولاء) هاتينيه وأنتم كناية للمخاطبين وأولاء اسم للمشار إليهم وهم المؤمنون وقوله تعالى (تحبونهم) أى هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايعتهم للاسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم في الدين بيان لخطئهم في مواليتهم حيث يذلون محبتهم لاهل البغضاء (وقومون بالكتاب كله) أى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم وفي هذا توخي شديد للمؤمنين بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حكمكم وشعور هذا قوله تعالى فانهم بالمؤمن كما تقاتلون وترجون من الله ما لا يرجون (واذا القوكم قالوا آمنا) أى فناها وتغيروا (واذا خلوا) أى خدلاب بعضهم بعض (عضوا عليكم الانامل) أى أطراف الاصابع (من الغيظ) أى شدة الغضب لما روي من اتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازاً وان لم يكن ثم غرض فيوصف الغمط والنادم بعض الانامل والبيان والابهام قال الحرث بن ظالم المازي

فأقتل أقواماً لنا ما أدلة * يعضون من غيظ رؤس الابهام

(قل مونوا بغيطكم) أى ابقوا الى الممات بغيطكم قلن تر واما سركم وقوله تعالى (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما في القلوب ومنه ما يضره هؤلاء بحيث أن يكون من المقول أى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تتفوقونه من عض الانامل غيظاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسككم) أى تصبكم أيها المؤمنون (حسنة) أى نعمة كنصر وغنيمة وخصب في معاشكم وتبابع الناس في دينكم (تسومهم) أى تحزنهم (وان تصبكم سيئة) أى اسامة كهزيمة وجذب واختلاف يكون بينكم (يفرحوا بها) وجله الضرر متصل بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم مشاهون في عداوتكم فلم تولوهم فاجتنبوهم (فان قيل) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (أجيب) بأن المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحداً لا ترى الى قوله تعالى ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك (وان تصبروا) على أذاهم (وتسقوا) الله في مواليتهم وغيرها (لا يضركم كيدهم شيئاً) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين وهذا تعليل من الله تعالى وارشاد الى أنه يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت ان تكبد من يفسدك فازد بفضل لا في نفسك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يكسر الضاد وسكون الراء من ضار يفسده والباقون يضيض الضاد وضرم الراء مشددة للاسراع

كضمة مدوهى ضمة الامر المضاعف وكل مجزوم من المضاعف المضموم العين فانه يجوز ضمه
 للاتباع كما يجوز فتحه للضمة وكسر لاجل تحريك الساكن (ان الله بآياته يعلم ما يعلن) أى عالم
 فيجازيكم به (و) اذكر يا محمد (اذ غدت من أهلك) أى من حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها
 (نبؤى) أى تنزل (المؤمنين مقاعد) أى مراكر يقفون فيها (للقاتل والله جميع) (لا قوا لكم) (عليهم)
 بأحوالكم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله وأكثرت
 الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا
 ولا دخل علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا ابشر بحبس أى بكسر
 الباء وهو مكان لا ماء فيه ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
 والصبيان بالجاراة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا الرأي وقال بعض أصحابه اخرج بنا الى هؤلاء الا كلب لا يرون انا قد حبسنا عنهم وضعفنا
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرامذجة حولى فأولتها خيرا
 ورأيت فى ذباب سبغى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كائى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها
 المدينة فلن رأيت ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدروا كرمهم الله
 بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم ير الوابى حتى دخل فلبس لأمته أى درعه فلما رآوه
 قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى بأية
 وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج
 يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث
 من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى أى بالعين المهملة وهى جانبه وجعل ظهره وعكسه
 الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس خمسين من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفع الجبل
 وقال انكحوا علينا بالنبل لا يأتون من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا (اذ) بدل من اذ قبله
 (همت طائفتان منكم) بنوسلة من الخرزج وبنوحارثة من الاوس وهما جناح العسكر
 (ان تغشلا) أى تجتبا عن القتال وترجعوا روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى زهاء ألف رجل
 ووعدهم النصران صبروا وكان المشركون ثلاثة آلاف فلما بلغوا عند جبل أحد بالمدينة انزل
 ابن أبى المنافق فى ثلثمائة وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا قتلهم عمرو بن حزم الانصارى
 وقال أشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبى لولعلم قتالا لا تبغنا كنهم الحيان باتباعه فثبتهم
 الله ومضامع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري وانظروا أنهم ما كانت الائمة
 وحديث نفس وكلاهما والنفس عند الشدة من بعض الهلع ثم ردها صاحبها الى الثبات والصبر
 ويوطئها على احتمال المكر وهما قال عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكالك تحمدى أو تسترعى

(والله وليهما) أى ناصرهما فإلهما تنفشان (وعلى الله فليست كل المؤمنين) أى لينتقوا به دين

غيره فينصرهم كما نصرهم يدر ونزل لما همزوا من أحد تذكرة لهم بنعمة الله تعالى (ولقد نصركم الله
ييدر) وهو ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرافسي به وقوله تعالى (وأنتم أذلة) أي بقلته
العدد والصلاح والمال حال من الضعيف (فان قيل) قال الله تعالى وأنتم أذلة وقد قال تعالى والله
العزة لرسوله وللمؤمنين (أجيب) بأنه بمعنى الأقله وضعف الحال وقلة السلاح والمال كما مر
فان نفى ذلك العز وهو القوة والغلبة روى ان المسلمين كانوا المئاة وبضعة عشر رجلا
ولم يكن فيهم الا فرس واحدوا كثرة كانوا رجالة وربما كان الجمع منهم ركبون رجلا
واحدوا والكفار كانوا افراسا من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة
الكاملة (فانقوا الله) في النبات وعدم المخالفة (اعلمكم تشكرون) أي بقواكم نعمه
التي أنعم بها عليكم من نصرته وقوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين) أي توعدكم قطيعا نظرف لنصركم
وقوله تعالى (ألن يكفیکم أن یعدکم) أي وعدتكم (ربکم ثلاثة آلاف من الملائكة منزلین)
انكار أن لا يكفهم ذلك وانما هي بلن اشعارا بأنهم كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقتهم
وقوة العدو وكثرتهم وقرأ ابن عامر يفتح النون وتشديد الزاي والباقيون يسكون النون
وتخفيف الزاي وقوله تعالى (بل) ايجاب لما بعد بلن أي بلي يكفیکم (فان قيل) قد قال تعالى
في سورة الانفال اني مذككم بألف من الملائكة مر دفن فكيف قال هنا ثلاثة آلاف (أجيب)
بأنه مددهم أولا بألف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) أي على لقاء العدو
(وتتقوا) الله في المخالفة (وإيا نؤمکم) أي المشركون (من فورهم) أي من وقتهم (هذا) والقور
الجهلة والسرعة ومنه فارت القدر اشتد غلبانهم اوسار ع ما فيها الى الخروح (يعدكم ربکم
بخمسة آلاف من الملائكة - مؤمنين) أي معلمين وقدموا وانقروا وأنجز الله وعده بأن قاتل
معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمام صفراء وبيض أرسلوا هابن اكلافهم وعن عروة بن
الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن الفضال معلمين بالصوف
الايض في نواصي الدواب وأذناها وعن مجاهد مجزوة أذنا بخليلهم قال أكثر المفسرين
ان الملائكة لم تقابل في غير يوم بدر روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الايض في فلانهم ومغافرهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
يكسر الواو والباقيون يفتحها (وما جعله الله) أي الامداد (الابشري) أي بشاره (لكم) أي بالنصر
(ولتطمئن) أي ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم كما كانت
السكينة لبني اسرائيل بشاره بالنصر وطمأنينة اقلوبهم (وما الفصر الامن عند الله) لامن
العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد الملائكة وانما أمدهم ووعدهم به
بشارة لهم وربط على قلوبهم من حيث ان نظار العامة الى الاسباب أكثر (العزيز) الذي
لا يقال (الحكيم) الذي يتصرف بحكمة من يشاء بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والصلحة وقوله تعالى (ليقطع) متعلق بنصركم أي لهلاك (طروفا) أي طائفة (من الذين كفروا)
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسرى سبعين من رؤساء قريش ومسايدهم

(أَوْ يَكْبِتُهُمْ) أَي يَذَلُّهُمْ بِالْهَزْءِ وَالْكِبْتُ شِدَّةُ غَيْظٍ أَوْ وَهْنٍ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ (فَيَنْقَلِبُوا) أَي يَرْجِعُوا
(خَائِبِينَ) أَي لَمْ يَأْلُوا أَمَارَ مَوْتِهِمْ وَالتَّنْوِيسُ لَاحِظٌ لِلتَّوْبَةِ وَنَزَلَ الْمَاسِكُ سَرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَّ وَجْهَهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَالَ كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَعُورَ رَأْسِ نَبِيِّهِمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ
يَذْهَبُ هُوَ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ إِنَّكَ عَبْدٌ مَبْعُوثٌ لِنَازِلِهِمْ
وَيُجَاهِدُهُمْ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ أَحَدٍ اللَّهُمَّ الْعَنْ الْحَرْثَ بْنَ هِشَامٍ اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمِّةٍ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَقَالَ قَوْمٌ
تَزَلَّتْ فِي أَهْلِ بَنِي مَعُونَةَ وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْقُرَآنِ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي
مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ لِيُعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ الْفَرَّانَ
وَالْعِلْمُ أَمِيرُهُمُ الْمُنْذِرُ مِنْ مَوْتِهِمْ وَفَقْتَلَهُمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَوَجَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَجَدَ أَشَدَّ دِيْدًا وَقَتَّ شَهْرًا فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَدْعُو عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ بِاللَّعْنِ وَالسَّبِّ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ) عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ أَوْ يَكْبِتُهُمْ وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ
اعْتَرَاضٌ وَالْمَعْنَى إِنْ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكٌ أَمْرُهُمْ فَاتَّأَنُّ يَهْلِكُهُمْ أَوْ يَكْبِتُهُمْ أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ إِنْ أَسْلَمُوا
أَوْ يُعَذِّبُهُمْ إِنْ أَصْرُوا (فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) بِالْكَفْرِ وَقِيلَ إِنْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بِمَعْنَى إِنْ أُنِيتُوبَ عَلَيْهِمْ
(وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مَلِكًا وَخَلْقًا فَالْأَمْرُ كُلُّهُ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْبِدَ
مَا ذَكَرَهُ أَوَّلًا مِنْ قَوْلِهِ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَنْ تَهْلِكَ الْمَلِكُ وَلَيْسَ هُوَ لِأَحَدٍ إِلَّا اللَّهُ
تَعَالَى (فَإِنْ قِيلَ) نَظَاهِرُ مَا ذَكَرَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ لِلْمَنْعِ مِنْ أَمْرٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ
أَنْ يَفْعَلَهُ وَذَلِكَ الْفِعْلُ إِنْ كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَكَفَّ عَنْهُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ فَكَفَّ بِصَحْ
مَعِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (أَجِيبْ) بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ بَابِ تَرْكِ الْأَفْضَلِ وَالْأَوَّلَى فَلَا
جَرَمَ أُرْشِدُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى اخْتِيَارِ الْأَوَّلَى نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ
وَلَيْتُمْ سَوْبَكُمْ لِهَوْنِ الْخَبِيرِ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالِ أَوْلَا أَنْ كَانَ وَلَا يَدَّ أَنْ
تَعَاقِبَ ذَلِكَ الظَّالِمَ فَكَتَفَ بِالْمَثَلِ ثُمَّ قَالَ نَأْيًا وَإِنْ تَرَكْتَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى * ثُمَّ أَمْرُهُ أَمْرًا جَازًا بِتَرْكِهِ
فَقَالَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) مَغْفِرَتُهُ (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تَعَذُّبُهُ * وَلَمَّا كَانَ لَهُ
فِعْلُ ذَلِكَ الْأَنْ جَانِبِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ غَالِبٌ لِأَعْلَى سَبِيلِ الْوَجُوبِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّغْفِيلِ
وَالْإِحْسَانِ قَالَ (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِأَوَّلِيَّاتِهِ (رَحِيمٌ) لِإِمْبَادِهِ فَلَا تَدْرِي أَلَدَعَاءُ عَلَيْهِمْ * وَلَمَّا سَرَحَ سَهْنَانَهُ
وَتَعَالَى عَظِيمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا تَعَلَّقَ بِأَرْشَادِهِمْ إِلَى الْأَصْلَحِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْجِهَادِ أَتْبَعَ ذَلِكَ
بِمَا يَدْخُلُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّحْذِيرِ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا)
وَهُوَ جَمْعُ ضِعْفٍ * وَلَمَّا كَانَ جَمْعُ قَلَّةٍ وَالْمَقْصُودُ الْكَثْرَةُ أَتْبَعَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ الْوَصْفُ بِقَوْلِهِ
(مُضَاعَفَةٌ) بِأَنَّ تَزِيدَ وَفِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَقَوْلُهُوَ الطَّبُّ وَالتَّحْصِيصُ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ
إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَرَى إِلَى أَجْلِ ثُمَّ يَزِيدُ فِي الدِّينِ زِيَادَةً أُخْرَى حَتَّى يَسْتَفْرِقَ بِالشَّيْءِ الطَّيِّفِ
مَالِ الْمَدِينِ وَالْأَفَارِ بِأَحْرَامِ الْبَلَا مُضَاعَفَةٌ بَلْ هُوَ مِنَ الْكِبَارِ مُطْلَقًا وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ
بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَلَا تُفْقِدُهَا وَالْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ وَأُلْفَ قَبْلَهَا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) بِتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ

(لعلمكم تفلحون) أى تفوزون ثم خوفهم فقال تعالى (واقفوا النار التى أعدت للكافرين) بالجرز عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هذه أخوف آية فى القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه باجتناب محارمه وفى الآية تنبيه على ان النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترحمون) لما ذكر الوعيد أتبعه بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة على عادته تعالى المستقرة فى القرآن قال محمد بن اسحق بن يسار هذه الآية معانة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم يوم أحد ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خيرا لهما ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يتحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتبني على الله تعالى (وسارعوا) أى بادروا وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) أى الى ما تنسق به المغفرة كالا سلام والتوبة وأداء القراض والهجرة والجهاد والتكبير الاولى والاعمال الصالحة وقرأنا فجع وابن عامر بغير وا وقبل السين والباقون بوا وقبلها (و) الى (جنة عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرضها كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وانما جمعت السماء وأقرت الارض لانها أنواع قيل بعض فضة وبعض غير ذلك والارض نوع واحد وذكر العرض للمبالغة فى وصف الجنة بالسعة لان العرض دون الطول كإدال عليه قوله تعالى بطائنها من استبرق على أن الظهارة أعظم يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على سبيل التمثيل لأنها كالسموات والارض لا غير بل معناها كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالد بن قيس ما دامت السموات والارض أى عند ظنكم والافهما اثنان وعن ابن عباس الجنة كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وعنه أيضا ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السبعة وروى أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين تكون النار فقال لهم رأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا انه مثلها فى التوراة ومعناه أنه حيث شاء الله وسئل أنس بن مالك عن الجنة أى السماء أم فى الارض فقال وأى أرض وسماء تسع الجنة قبل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارض السبع (فان قيل) قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها ما ذكر (أجيب) بأن باب الجنة فى السماء وعرضها كما أخبر تعالى (أعدت) هبت (للمتقين) الله يعمل الطاعات وترك المعاصى وفى ذلك دليل على ان الجنة مخلوقة الا آن وقيل ان الجنة والنار مخلقتان بعد قيام الساعة ثم وصف الله تعالى المتقين بصفات فقال (الذين يتفقون) أى فى طاعة الله (فى السر والنجرة) أى فى العسر واليسر والاحوال كلها لان الانسان لا يتحول عن مسرة أو مضرة أى لا يتحول عن حال ما باتفاق ما قدره واعليه من قليل أو كثير كما يحكى عن بعض السلف أنه رجا تصديق يصلحة وعن

عائشه رضي الله تعالى عنها انها تصدقت بحبة عيب فأول ما ذكر من أوصافهم الموجبة للجنة ذكر السقاء وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والجبل بعيد من الله قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من العالم الجليل (والكاظمين الغيظ) أى الممسكين عليه الكافين عن امضاءه مع القدرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفضه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء وروى من كظم غيظا وهو يقدر على أنفاذه ملائكة قلبه أمنا وإيمانا وروى ليس الشديد بالصرعة الذى يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس) أى التاركين عقوبة من استحقها مؤاخذته روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الامن عفاو عن ابن عينة أنه رواه الرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء فى أمتي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعها وهو ظاهر وأن يكون متصلا لما فى القلة من معنى انعدم كأنه قيل ان هؤلاء فى أمتي لا يوجدون الامن عصم الله فانه يوجد فى أمتي وقوله تعالى (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام فيه للجنس فيقتضى اول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وقوله تعالى (والذين اذا فاءوا فاحشة) أى ذنبا قبيحا كالزنا (أو ظلوا أنفسهم) أى بما دون الزنا كالقبلة وقيل الفاحشة ما يعتدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكر والله) أى ذكر وأوعده وأحكمه وأحقه العظيم (فاستغفر والذنوبهم) بالندم والتوبة عطف على المتقين أو على الذين يتفقون واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن رباح فى أبي سعيد القمار أنه امرأة حسنة تتبعنا منه تفر فقال لها ان هذا القمار ليس بحبيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها ففعلت له اتق الله ففترس كها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقال مقاتل والكجى أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفى فى غزاة واستخطف الانصارى على أهله فاستترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة أن تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لأكثر الله فى الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصارى يسبح فى الجبال تائب مستغفرا فطلبه الثقيفى حتى وجده فأتى به أبابكر رجاء أن يجد عنده واحة وفرجا وقال الانصارى هلك وذكروا القصة فقال أبو بكر ويحك ما علمت ان الله تعالى يغار للغازى ما لا يغار للمقيم ثم أتباعه فقال عمر مثل ذلك ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالهم فانزلت هذه الآية وقوله تعالى (ومن) أى لا احد (بغفر الذنوب الا الله) استغفاه بمعنى التنى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول

التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) أى ولم يقيموا على قبيح فعلهم بل أقبلوا عنه مستغفرين روى
 عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصرم من استغفروا ن عادي اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة
 مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من يصروا أى ولم يصروا
 على قبيح فعلهم عالمين به وقوله تعالى (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
 الأنهار) إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ أو أولئك خبره وقوله تعالى
 (خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها • (تنبيه) • لا يلزم من اعداد
 الجنة لامتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
 جزاء لهم أن لا يدخلوها غيرهم فتقول الزمخشري في الكشف وفي هذه الآيات بيان فاطح على
 أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة لامتقين والتائبين
 منهم دون المصرون ومن خلف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه جابر على طريق الاعتزال من
 أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً لا يدخل الجنة ونعوذ بالله من ذلك بل كل من مات على
 الاسلام يدخل الجنة وهو تحت المشيئة ان شاء الله عذبه وان شاء عفا عنه وقوله تعالى (ونم أجر
 العاملين) المخصوص فيه بالمذبح محذوف تقديره ونم أجر العاملين ذلك أى المغفرة والجنات
 روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن أذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم
 يستغفر الله الا غفر الله له وروى أى عبد أذنب ذنباً فقال يارب أذنب ذنباً فاعف عني فقال ربه
 علم عبي أن له رباً يغفر الذنوب ويؤاخذ بها فغفر له فكذلك ما شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر فقال
 يارب أذنب ذنباً آخر فاعف عني قال ربه علم عبي أن له رباً يغفر الذنوب ويؤاخذ به قد غفرت له
 فليعمل ما شاء أى ويستغفر فاعف عله وروى أنه تبارك وتعالى قال يا ابن آدم انك مادعوتني
 ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيت
 بقرابها مغفرة بعد أن لا تشركني بشئ ابن آدم انك ان تذنب ذنباً حتى يبلغ ذنبك عنان السماء
 ثم تستغفرتني أعفرتك وروى أن الله تبارك وتعالى قال من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب
 غفرت له ولا أبالي ما لم يشركني بشئ قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية
 والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام
 ما أفل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يجعل بطاعتي وعن
 شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من
 الغرور وارتجاء الرحمة عن لا طاع حتى وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم اقامة
 جوزوا الصراط يعفوى وادخلوا الجنة برحمتي واقسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية
 انها كانت تشهد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليس
 ونزل في هزيمة أحد (قد خلفت) أى مضت (من قبلكم سنن) جمع سنة وهي الطريقة التي يكون
 عليها الانسان ويلزمها ومنه سنة الامياء عليهم الصلاة والسلام أى قد مضت من قبلكم

طرائق في الكفار بما لهم ثم أخذهم (فسبروا) أيها المؤمنون (في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من الهالكين فلا تحزنوا لقلبتهم فأنا نأملهم لوقتهم (هذا) أي القرآن (بيان للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة (ولا تنهوا) أي تضعفوا عن قتال الكفار بما لكم من القتل والجراح يوم أحد (ولا تحزنوا) على ما أصابكم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الأنصار سبعون رجلاً (وأنتم الاعلون) أي وحالكتم أنكم أعلى شأنهم فأنكم على الحق وقاتلكم الله وقتلاكم في الجنة وأنهم على الباطل وقتلهم للشيطان وقتلهم في النار ولا أنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أوهي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الاعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالتمهي بعني لاتهنوا إن صرح إيمانكم على أن صحة الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بالله تعالى وقوله المبالاة بأعدائه أو متعلق بالاعلون أي إن كنتم مصدقين بما بهدكم الله ويشركم به من الغلبة (إن عيساكم قرح) جهدهم من جرح ونحوه يوم أحد (فقد مس القوم) الكفار (قرح مثله) يوم بدر ثم إنهم لم يضعفوا ولم ينجبنوا فأنتم أولى أن لا تضعفوا فأنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقبل كلا المدين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بضم كاف قرح في الموضعين والباقيون بالفتح وهما لغتان بمعنى وقال القراء القرح بالفتح الجرح والضم ألمه (وتلك الأيام) تلك مبتدأ والأيام صفته وقوله تعالى (ند أولها) خبره ويصح أن تلك الأيام مبتدأ وخبر كما تقول هي الأيام تلي كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة أي نصرتها (بين الناس) قال البغوي في وما عليهم ويومالمهم قال في الكشف كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويومالتنا * ويومانساء ويومانسر

تقديره فيوما يكون الأمر علينا أي بالاضرار ويومالتنا أي بالنفع فيكون يومنا ظرفا ملائمة لقوله ويومانساء ويومانسر قاله الشيخ سعد الدين أي أدبل نارة للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأمر واسبعين وأدبل نارة للكافرين على المسلمين وهو يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين روى أنه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله بن جبير على الرجلة يوم أحد وكانوا خمسة عشر رجلاً فقال إن رأيتموها من القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهمزهم قال فأنا والله وأيت الغمام يشددن قد بدت خلاخلهن وسوقهن رافعات يابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمة الغنمة فانتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصين من الغنمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهم زمين فذلك أزيد عوهم الرسول في آخرهم فلم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثنا عشر رجلاً فأصابوا من أسير وسبعين أسيراً وسبعين صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيراً وسبعين

قتلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرّات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه
 ثم قال أفي القوم ابن أبي خنافة ثلاث مرّات ثم قال أفي القوم ابن الخطّاب ثلاث مرّات ثم رجع
 إلى أصحابه وهو يقول أما هؤلاء فقد قتلوا غلامك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدوّ الله أن
 الذين عددت لأحياءكمهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم يوم بدرو والحرب سجال انكم ستجدون
 في القوم منسلة ثم أخذ يرتجز * اعل هبل اعل هبل * فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه
 فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعل وأجل قال * إن لنا العزى ولا عزى لكم * فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول فقال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
 وفي حديث ابن عباس قال أبو سفيان يوم يوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر
 رضي الله تعالى عنه لا سواء قتلا نافي الجنة وقتلاكم في النار وإنما كانت الدولة يوم أحد للكفار
 على المسلمين لخالفهم لا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وليعلم الله الذين آمنوا) أي أخلصوا
 إيمانهم من غيرهم (فان قيل) ظاهر هذه الآية أن الله تعالى إنما فعل تلك المداولة ليكتسب هذا
 العلم وذلك في حقّه تعالى محال ونظيره هذا الاشكال قوله تعالى أم حسبت أن تدخلوا الجنة ولما
 يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
 وليعلمن الكاذبين وقوله لتعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا وقوله ولنبليكم حتى تعلم الجاهدين
 منكم وقوله الا لتعلم من يتبع الرسول وقوله لنبليكم أيكم أحسن عملا فظاهر هذه الآيات يدل
 على أنه تعالى إنما صار عالما بالجدوث هذه الاشياء عند حدوثها وأجاب المتكلمون عنها بأن
 الدلائل العقلية دلت على أنه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت أن التغير في العلم محال الآن
 اطلاقا لنظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان والمراد
 بمعلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره فكل آية يشعر بظواهرها بتجدد العلم فالمراد بتجدد المعلوم
 وإذا عرف هذا فهذه الآية محتملة لوجوه أحدها ليعلم المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر
 وثانيها ليعلم أولياء الله وأضاف إلى نفسه تنجيما وثالثها ليحكم بالامتياز فأوقع العلم مكان
 الحكم بالامتياز لأن الحكم لا يحصل إلا بعد العلم ورابعها ليعلم ذلك واقعا كما كان يعلم أنه سيقع
 لأن المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد (ويخذه منكم شهداء) أي ويكرم ناسا
 منكم بالشهادة وهم المستشهدون يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأهم يوم
 القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر على الشدائد كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
 وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) قال ابن عباس أي المشركين كقوله تعالى إن الشرك لظلم
 عظيم وهو اعتراض بين بعض التعاليل وبعضه وتنبه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين
 على الحقيقة وإنما يظفرهم أحيانا استدرأ جالهم وابتلاء للمؤمنين (وليعص الله الذين آمنوا)
 أي ليظهرهم من الذنوب بما أصابهم (ويعق) أي يهلك (الكافرين) أي إن كانت الدولة على
 المؤمنين فلا تميز والاستشهاد والتعصيص وغير ذلك مما هو أصل لهم وإن كانت على الكافرين
 فلمحقهم ويحرقهم (أم) منقطعة مقدرة قبل ومعنى الهزيمة فيها الانكسار أي بل (حسبت)

أن تدخلوا الجنة وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) في الشدائد وقدم معني
يعلم * (تبيينه) * قال البيضاوي والفرق بين لما يعلم ولم أن في لما توقع الفعل فيما يستقبل لكن
قال أبو حيان لا أعلم أحد من النحويين ذكره بل ذكروا أنك إذا قلت لما يخرج زيد دل ذلك على
انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً بغيره إلى وقت الأخبار وأما أنها تدل على توقعه في المستقبل
فلا تنهى لكن قال القزاة لما التعريض الوجود بخلاف لم (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف إحدى
التامين في الأصل أي تمنون (الموت) أي الحرب فإنها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً
لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا بهم أحد على الخروج (من قبل أن تلقوه) أي
تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتهم) أي الحرب أو الموت حتى قتل دونكم من قتل من
أخوانكم (وأنتم تنظرون) أي بصراً تتأملون الحال كيف هم فلم أنهم متم (ومحمد الرسول
قد دخلت من قبله الرسل) فيخولوا كما خولوا بالموت أو القتل ومحمد هو المستغرق لجميع المحمديين
الجد لا يستوجبه إلا الكمال والتحميد فوق الجدة فلا يستحقه إلا المستولى على الأمر في الكمال
وأكرم الله تعالى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم بأعين مشتهقين من اسمه جل وعلا محمد وأحمد
وفيه يقول حسان بن ثابت

وشق لمن اسمه ليحمله * فذل العرش محمود وهذا محمد

وقوله تعالى (أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لا ارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم
عن الدين لخلوه صلى الله عليه وسلم عوت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبشأن دينهم متسكاه
(فان قيل) قوله تعالى أفأن مات أو قتل شك وهو على الله محال (أجيب) بأن المراد أنه سواء وقع
هذا أو ذلك فلا تأثر له في ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس وأصحاب المغازي لما
رأى خالد بن الوليد الرماة يوم أحد اشتغلوا بالغنمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من
المشركين ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزمهم وقتلهم ورمى عبد
الله بن قنقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعر فكسر أنفه ورياحيته وشجعه في وجهه فأنقله وتفرق
عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خضره ليهلوا وكان قد ظاهر بين درعين فلم
يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب
طلحة ووقعت هند والنسوة معها عثان بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرد عن
الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد جزة فلا كتها
فلم تستطع أن تسيغها فلظنمها وأقبل عبد الله بن قنقة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب
مصعب بن عمير وهو صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقتله ابن قنقة وهو يرى أنه قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فربح وقال اني قتلت محمد وأصاح صارخ ألا ان محمد أقتل فقبيل
أن ذلك الصارخ كان ابليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس
إلى عباد الله إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فخم ومحق كشفوا عنه المشركين ورمى سعد

كائنات واضرا به (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أى بقضائه ومشيئته وأبذنه الملك
 الموت في قبضه وروحه وقوله تعالى (كأنما) مصدراً أى كتب الله ذلك (موجلاً) أى مؤقلاً لا يتقدم
 ولا يتأخر فلم انهمزتم والهزعة لا تدفع الموت والنبات لا يقطع الحياة * ونزل في الذين تركوا المركز
 يوم أحد طلب الغنمة (ومن يرد) أى بعمله (نواب الدنيا فؤنه منها) ما نشاء مما قدرناه له كما قال
 تعالى من كان يريد العاجلة نجعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وفي الذين بقوا مع أميرهم عبد الله بن جبير
 حتى قتلوا (ومن يرد) أى بعمله (نواب الآخرة فؤنه منها) أى من ثوابهم (وسيجزي الشاكرين)
 أى الذين شكروا وانهمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت
 نيته طلب الآخرة جعل الله غناة في قلبه وجعل له شهلاً وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته
 طلب الدنيا جعل الله الفقرين عينيه وشنت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له وقال صلى
 الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
 فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنياه يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى
 ما هاجر إليه وقوله تعالى (وكأين) أصله أى دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف
 التشبيه ومن أى وحديث فيها بعد التركيب معنى التكثير المقهور من كم الخبرية ومثلاً
 في التركيب وافهام التكثير كذا في قولهم عندي كذا كذا درهمما وأصله كاف التشبيه
 وهذا الذى هو اسم إشارة فلما ركبنا حدث فيها معنى التكثير فكلم الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى
 واحد والنون تنوين في المعنى أثبت في الخط على غير قياس قال البغوي لم يقع للتنوين صورة
 في الخط إلا في هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة
 والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف أبو عمرو على الباء والباقون على
 النون وسهل حزة الهـ همزة وحققها الباقون وقوله تعالى (من نبى) تمييز لكأين لأنهم مثل كم
 الخبرية وقوله تعالى (قتل) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين
 القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى (معه) خبر
 مبتدؤه (ريون) وهم جمع ربي وهو العالم المتنى منسوب إلى الرب وإنما كسرت راؤه تمييزاً
 في النسب وقيل لا تمييز فيه وهو منسوب إلى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقوله تعالى (كثير)
 صفة لريون وإن كان بلفظ الافراد لأن معناه جمع (فما وهنوا) أى ضعفوا (لما أصابهم في سبيل
 الله) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) أى
 خضعوا العدو كما فعلتم حين قتل نبيكم (والله يحب الصابرين) على الشدة إذ فيسبهم ويعظم
 أجرهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكونهم رباتين (الآن قالوا ربنا
 اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا) أى تجاوزنا الحد وقولهم (في أمرنا) أيان بأن ما أصابهم لسوء فعلهم
 وهضم أنفسهم (وبنت أقدامنا) أى بالقوة على الجهاد (وانصمرا على القوم الكافرين) أى
 فهلا قتلهم وفعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (فأناهم الله نواب الدنيا) أى بالنصر
 والغلبة والعز وحسن الذكر (وحسن نواب الآخرة) أى بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها

بالحسن اشعار بفضلته وانه المعتمد به عند الله (والله يحب المحسنين) أى فيكثر لهم الثواب
 (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فيما يأمر ونهىكم به وقال
 على يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
 ولو كان محمد نبيا لما قتل (ردوكم على أعقابكم) أى الى الكفر (فمن قبلوا خاسرين) الدنيا
 والاخرة أما خسران الدنيا فلا تأسق الاشياء على العسقله فى الدنيا لا انقياد الى العسقله
 واطهار الحاجة اليه وأما خسران الاخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب
 المخلد (بل الله مولاكم) أى ناصركم وحافظكم على دينكم (وهو خير الناصرين) فاستغفوا به
 عن ولاية غيره ونصره (سنقى) أى سنقذ (فى قلوب الذين كفروا والرب) أى الخوف وذلك
 أن الكفار لما هزموا المسلمين فى أحد أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفرّوا منهم من غير
 سبب حتى روى أن أباسفيا نصعد الجبل ونادى يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
 عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى مكة فلما كانوا فى بعض
 الطريق ندموا وقالوا ما صنعنا شيئا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
 نستأصلهم بالكعبة فلما عزموا على ذلك ألقي الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى
 بضم العين والباقون بالسكون (بما أشركوا) أى بسبب اشراكهم (بالله ما ينزل به سلطانا) أى
 حجة على عباده وهو الاصنام وهذا كقوله ولا ترى الضب بها يتعجر* أى ليس به مضرب فلا يتعجر
 فكذلك هؤلاء ليس لهم حجة أصلا وأصل السلطنة القوة ومنه السلط لقوة اشتغاله والسلطنة
 بحدة اللسان (ومأواه النار وبئس مئوى) أى مأوى (الظالمين) أى الكافرين هى (ولقد
 صدقكم الله وعده) قال محمد بن سعد القسطنطينى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه الى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا
 وقد وعدنا الله النصر فأمر الله هذه الآية لأن النصر كان للمسلمين فى الاستدعاء كما قال تعالى
 (اذ تحسبهم) أى تقتلهم من حسه اذا أبطل حسه وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان
 وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء والباقون بالادغام (بأذنه) أى بإرادته (حتى اذا فشلتم) أى
 جبنتم عن القتال (وتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بالمقام فى سفح الجبل للرعى حين انهزم المشركون فقال بعضهم كنم نذهب فقد نصر أصحابنا وقال
 آخرون لا تفعلوا أمر النبي فاقبوا مكانكم فثبت عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة
 ونفسر الباقر للنهى وهو المعنى بقوله تعالى وعصيت أى أمر النبي وتركتم المركز لطلب الغنمة
 (من بعد ما أراكم) أى الله (ماتحبون) من الظفر والغنمة وانهم اثم العذر وجواب اذا محذوف
 دل عليه ما قبله أى منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم وذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد اخلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
 الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما قبل
 المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا

والمسلمون على آثامهم ثم اشتغل بعضهم بالغنمة كما قال تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون مع عبد الله بن جبر حتى قتلوا (فان قيل) فإذا كان البعض هو الخائف فكيف جاء العتاب عما بقوله وعصيته (أجيب) بأن اللفظ وان كان عاما فقد جاء المخصص بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى (ثم صرناكم) أي رذكم بالهزيمة (عنهم) أي الكفار عطف على ما قبله والجملة من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقيل عطف على جواب إذا المقدر (ليبتليكم) أي ليمتحنكم فيظهر الخاص من غيره (ولقد عاقبكم) ما ارتكبتموه من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وميلكم إلى الغنمة تفضلا منه تعالى (فان قيل) إن ظاهر الآية يدل على أن الذنب من الصغائر خاصة العفو عنه من غير توبة لقيام الدليل على أن أصحاب الكبراء الذين تابوا لم يكونوا من أهل العفو والمغفرة (أجيب) بأن هذا الذنب لاشك أنه كبير لأنهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانضمام المسلمين فلا بد من إضمار توبتهم (وافقه) أي المتفضل بالمنع (ذو فضل على المؤمنين) أي يفضل عليهم بالعفو وأنى الأحوال كلها سواء أجهلت الدولة لهم أم عليهم إذا ابتلاه أيضا رجة وقوله تعالى (إن) العامل فيها مضر أي إذا كراذ (تصدون) أي تبعدون في الأرض هاربين (ولا تلون) أي تعرجون (على أحد) أي لا يقف أحد لحد ولا حد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) أي يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكره له المنعة (في آخركم) أي من وراءكم (فأنا بكم) أي جازاكم (غما) بالهزيمة (بغتم) أي بسبب غمكم الرسول بالخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفا على غم فوت الغنمة والغموم كانت هناك كثرة أحدها غمهم عما نالهم من العدو في النفس والأموال وثانيها غمهم بما وقع منهم من المعصية وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ورابعها غمهم بسبب التوبة التي صارت واجبة عليهم لأنهم إذا تابوا عن تلك المعصية لم تتم توبتهم لا بترك الهزيمة والعود إلى المحاربة بعد الانضمام وذلك من أشق الأشياء لأن الإنسان بعد انضمامه يضعف قلبه ويحزن فإذا أمر بالمعاودة فإن فعل خاف القتل وان لم يفعل خاف عقاب الآخرة وخامسها غمهم حين سمعوا أن محمدا قد قتل وسادسها غمهم حين أشرف عليهم خالد بن الوليد بجيش المشركين وسابعها غمهم حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب النخرة فلما رأوه وضع رجلهم في قوسه وأراد أن يرميه فقال أنارسل الله فقهر حواحين وجدوه وفرح صلى الله عليه وسلم حين رأى من تمنع به فأقبلوا على المشركين يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقوا باب الشعب فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلنوا اللهم أن تقتل هذه العصاة لا تعبد في الأرض ثم بدت أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم وإذا عرفت ذلك فلا يضر اختلاف المفسرين فان بعضهم

فسرهذين الغمين بغير من هذه وبعضهم بخلافه وقال القفال وعندى أن الله تعالى ما أراد بقوله غيبتهم اثنين وانما أراد مواسلة الغموم وطولها أى أن الله تعالى عاقبكم بغموم كثيرة مثل قتل اخوانكم وأقاربكم ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم فكانه تعالى قال أنا بكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زجرا لكم عن الاندفاع على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله تعالى والغمم التغطية ومنه غم الهلال اذا لم يروق وقوله تعالى (لكيلا تنزعوا على ما فاتكم) أى من الغنمة متعلق بغيرها وبأنابكم فلا زائدة (ولا ما أصابكم) أى من القتل والهزيمة (والله خير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم ويعاقبهم بما قصدتم بها (ثم أنزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الفم أمنة) أى أمنا والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف ههنا قائما وقوله تعالى (نعاسا) بدل من أمنة وأمنة مفعول وأنعاسا هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة (يعشى طائفة منكم) وهم المؤمنون وقرأ جزة والكسائي بالتاء على التأنيث ردا الى الامنة والباقيون بالياء على التذكير ردا الى النعاس (وطائفة) وهم المنافقون (قدأهمتهم أنفسهم) أى جلتهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا انجابا هادون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يناموا فان الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرشقان أحدهما الخازمون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا كانوا قاطعين بأن الله ينصر هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدى الى الاستئصال فلا جرم كانوا آمنين وبلغ ذلك الامن الى أن غشيهم النعاس فان النوم لا يجيى مع الخوف قال أبو طلحة غشيانا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فـ كان السيف يسقط من أحدنا فآخذ ثم يسقط فآخذ وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا رهو يعيل تحت جفته من النعاس قال الزبير كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فأرسل الله علينا النوم والله انى لا سمع قول معتب بن بشير والنعاس يغشاني ما أمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا والعزيق الثانى هم المنافقون كانوا شاكين في نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضر والاطلب الغنمة فهو لا اشتد جزعهم وعظم خوفهم قال ابن مسعود النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك لانه في القتال لا يكون الامن الوثوق بالله والقراع من الدنيا ولا يكون في الصلاة الامن غاية البعد عن الله (فان قيل) ما فائدة هذا النعاس (أجيب) بأن له فوائد الاولى أن السهر يوجب الضعف والكلال والنوم يفيد عود القوة والنشاط والثانية أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألغى الله تعالى النوم على الباقيين لئلا يشاهدوا قتل غيرهم فيشتد خوفهم والثالثة أن الاعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم فبقواهم في النوم مع السلامة في تلك المعركة من أدل الدلائل على أن الله تعالى يحفظهم ويعصمهم وذلك بما يزيل الخوف من قلوبهم ويوترتهم الامن (تنبيه) قوله تعالى وطائفة مبتدأ وان خبر قدأهمتهم أنفسهم (فان قيل) كيف جازا الابتداء بالكرة (أجيب) بأنه جازا لحد

أمر بن أتمللا اعتمادا على وال الحال وقد عتبه بعضهم مسوقا وان كان الاكثر لم يذكره وأنشد
 سريانا ونجم قد أضاع فذيدا * محبلك أخني ضوء كل شارق
 وأتمالان الموضوع موضع تفصيل فإن المعنى طائفة وطائفة لم يغشاهم فهو كقوله
 إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول
 وقوله تعالى (يظنون بالله غير الحق) أى أن لا ينصر الله محمدا صفة أخرى لطائفة وغير الحق
 نصب على المصدر رأى يظنون بالله غير الحق الذى يحق أن يظن به (ظن) أى كظن
 (الجاهلية) حيث اعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل أو لا ينصر وقوله تعالى (يقولون)
 أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون (هل لنا) أى ما لنا لفظه استنهام ومعناه
 بجد (من الامر) أى النصر الذى وعدناه (من شئ) أى شئ ومن صله زيدت لتأ كيد وهو اما
 مبتدأ خبر لنا واما فاعل لنا لاعتداده على الاستنهام ومن الامر حال من المبتدأ أو الفاعل
 وهو شئ ليكون مرفوعا حقة لا مجرورا وقبل ان عهد الله بن أبى بن ساول لما شاوره النبي صلى
 الله عليه وسلم فى هذه الواقعة أشار اليه بان لا يخرج من المدينة ثم ات بعض الصحابة الخواهل
 النبي صلى الله عليه وسلم فى أن يخرج اليهم فغضب ابن أبى من ذلك فقال عصافى وأطاع الولدان
 ثم لما كثر القتل فى بني الخزرج ورجع ابن أبى فقبل له قتل بنوا الخزرج فقال هل لنا من
 الامر من شئ يعنى أن محمدا لم يقبل قولى حين أمرته بأن لا يخرج من المدينة والمعنى
 هل لنا امر يباع فهو استنهام على سبيل الانكار (قل) لهم يا محمد (ان الامر كله لله)
 أى القلبة الحقيقية لله ولا وليا له فان حزب الله هم الغالبون والقضاء له بفعل ما يشاء وبحكم
 ما يريد وقرأ أبو عمرو ورفع اللام بعد الكاف على أنه مبتدأ واخبر الله والباقيون بالنصب على أنه
 توكيد (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق الله تعالى بقضائه وقدره لأن
 المنافقين قالوا لو أن محمدا قبل منارا بنا ونصحنا لما وقع فى هذه المحنة فأجابهم الله تعالى بأن الامر
 كله لله وهذا انما ينظم اذا كانت أفعال العباد بقضائه وقدره اذ لو كانت خارجة عن مشيئته
 لم يكن هذا الجواب رافعا لشيء منة المنافقين وقوله تعالى (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون) أى
 يظهرون (لئ) حال من يخفون يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال أى
 يقولون مظهر بن انهم مستترش دون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى
 (يقولون) بيان لما قبله (لو كان لنا من الامر شئ) أى كما وعد محمد وزعم أن الامر كله لله
 ولا وليا له أو لو كان الاختيار بيننا لم نخرج كما كان رأى ابن أبى وغيره (ما قلنا ههنا) أى لما
 غلبنا وما قتل من قتل منافى هذه المعركة (قل) لهم (لو كنتم فى بيوتكم) وفيكم من كذب الله
 تعالى عليه القتل (لبرز) أى خرج (الذين كذب) أى قضى (عليهم القتل) منكم (الى مضاجعهم)
 أى مصارعهم فيقتلوا ولم ينجم قعودهم لأن قضاء الله تعالى كائن لا محالة فانه قدر الامور ودورها
 فى سابق قضائه لا معقب لحسبهم وقرأ أبو عمرو وحده فص وورش بضم الباء فى بيوتكم والباقيون
 بالكسر وقوله تعالى (وليتلى) أى ليغتنب (الله ما فى صدوركم) أى قلوبكم من الاخلاص والتفاني

عليه فعل محذوف تقديره فرض الله عليكم القتال ولم ينصكم يوم أحد ليتبلى وقيل معطوف على
 عليه محذوف تقديره بقضى الله أمره وليتبلى وقوله تعالى (وليمحص مافي قلوبكم) فيه وجهان
 أحدهما أن هذا الواقعة تخرج مافي قلوبكم من الوساوس والشبهات وتظهرها والثاني أنها
 تصبر كفارة لذنوبكم فيمحصكم من تبعات المعاصي والسيئات (فان قيل) قد سبق ذكر الابتلاء
 في قوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليمتليكم فلم أعاده (أجيب) بأنه أعيد ما لطلول الكلام بينهما
 وأما لآلة الابتلاء الأولى هزيمة للمؤمنين والابتلاء الثاني بسائر الاحوال (والله عليهم بذات
 الصدور) أي بما في القلوب قبل اظهارها وفيه وعد ووعد وتنبه على أنه تعالى غنى عن
 الابتلاء وانما يتبلى ليطهر للناس حال المؤمنين من حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم) عن
 القتال (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهمز أكثر المسلمين
 ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي
 وطه وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (انما استزلهم الشيطان) أي طلب منهم الزلل
 بوسوسته (بعض ما كسبوا) من الذنوب بترك المركز والحرص على الغلبة ومخالفة النبي صلى
 الله عليه وسلم فأطاعوه فنعوا انما يدرك قوة القلب حتى تولوا (ولقد عني الله عنهم) لتوبتهم
 واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبته المذنب كي يتوب (يا أيها الذين
 آمنوا لا تكولوا كالذين كفروا) أي المنافقين وهم ابن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم)
 أي في شأنهم ومعنى اخواتهم اتفاسقهم في النفاق والكفر وقيل في القسب (اذا ضربوا في
 الارض) أي سافروا فيها التجارة أو غير جافأوا (أو كانوا غزاة) أي غزاة جمع غزاة فقتلوا (لو كانوا
 عندنا ما ماتوا وما قتلوا) أي لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول في عاقبة أمرهم (حسرة
 في قلوبهم) أي لانهم اذا ألقوا تلك الشبهة على المؤمنين لم يشفقوا اليهم فيضج سعيهم ويسطل
 كيدهم فتصل الحسرة في قلوبهم وقيل ان اجتراحهم في تكثير الشبهات والقائه الضلالات
 يعمى قلوبهم فيقعون عند ذلك في الحسرة والخيبة وضيق الصدر وهو المراد بقوله تعالى ومن
 يراد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (فان قيل) كيف قبل اذا ضربوا مع قالوا (أجيب)
 بأن ذلك على حكاية الحال الماضية قال التفنار اني معناه انك تفقد نفسك كأنك موجود
 في ذلك الزمان الماضي أو تفقد ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولنا قالوا ذلك حين
 يضيئون والمعنى حين ضربوا الانك جئت بلفظ المضارع استحضار الصورة ضربه
 في الارض وقوله تعالى (والله يحيي ويميت) وذلك ولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات
 لا الائمة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والمغاري ويميت القيم والقاعد (والله بما تعملون
 بصير) قرأ ابن كثير وحزرة الكسائي بالياء على الغيبة رذاعلى الذين كفروا والباقيون بناء
 الخطاب رذاعلى قوله ولا تكونوا وهو خطاب للمؤمنين وفيه تمديد لهم على أن يماثلهم (ولئن
 قتلتم) اللام هي الموطئة أقسم محذوف (في سبيل الله) أي الجهاد (أو متم) أي أنا كم الموت
 في سبيل الله وجواب القسم قوله تعالى (لغفرة) كناية (من الله) وحذف جواب الشرط

اسد جواب القسم مسدء لكونه ذا الاعليه (ورجة) أى من الله خذف مسدء الدلالة الاولى
 عليها ولا بد من حذف آخر مصحح للمعنى تقدير المغفرة من الله لكم ورجة منه لكم (فان قيل)
 المغفرة هى الرجة ألم كررها ونكرها (أجيب) بأنه انما تكرها اليذا بانان أدنى خير وأقل ثمن
 خير من الدنيا وما فيها وهو المراد بقوله (خير مما تجتمعون) من الدنيا وأما التكرير فغير مسلم لأن
 المغفرة مترتبة على الرجة فيرجح ثم يغفر (فان قيل) كيف تكون المغفرة موصوفة بأنهم اخبر
 مما يجتمعون ولا خير فيما يجتمعون أصلاً (أجيب) بأن الذى يجتمعون فى الدنيا قد يكون من الحلال
 الذى يعد خيراً وأيضاً هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خبرات فقبل
 المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خبرات (ولئن تمت أوقلتكم) على أى وجه اتفق هلاككم
 (لا الى الله) لا غيره (تخشرون) فى الآخرة فيجازيكم وقرأنا فمجزمة بكسر الميم والباقون
 بالضم وقرأنا حص يحشرون بياء الغيبة والباقون بياء الخطاب ورسعت لالى الله بألف بعد اللام
 (فان قيل) هنا ثلاثة مواضع تقدم الموت على القتل فى الأول والاخير وقدم القتل على الموت
 فى المتوسط فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأن الأول للمنادمة ما قبله من قوله اذا ضربوا فى الارض
 أو كانوا غزاً فرجع الموت لمن ضرب فى الارض والقتل لمن غزوا وأما الثانى فلانه يحمل تحريض
 على الجهاد فتقدم الاهم الاشرف وأما الاخير فلان الموت أغلب (فبما رجعة) أى فبرجة (من الله
 لنت لهم) فبما يزيد لنا كيد والجار والمجرور متقدم للدلالة على أن لينه صلى الله عليه وسلم
 ما كان الارجة من الله ومعنى الرجة توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
 (ولو كنت ظناً) أى سئ الخلق (غلظ القلب) أى جافاً (لأنتمضوا) أى تفرقوا (من حولك)
 أى عنك وذلك لأن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق وذلك
 لا يتم الا ببل قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود لا يتم الا اذا كان رحيماً بهم
 كريماً يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والسفقة فلهذا الاسباب وجب
 أن يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق وغلظ القلب ويكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير
 القيام باعانة الفقراء وجل القفال هذه الآية على واقعة أحد قال فبما رجعة من الله لنت لهم
 يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانزمام ولو كنت ظناً غلظ القلب فشافهم بالملامة على ذلك
 الانزمام لانقضوا من حولك هبة منك وحياء بسبب ما كان منهم من الانزمام فكان ذلك مما
 بطمع المدد وتبكت فيهم (فاعتف) أى تجاوز (عنهم) أى ما أتوه (واستغفر لهم) ذنبهم حتى
 أشفعك فيهم فاعفاهم واختلفوا فى معنى قوله تعالى (وشاورهم فى الامر) على وجوه أحدها
 ان ذلك يقتضى شدة محبته لهم فلم يشعل ذلك لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق
 والفظاظة وثانها انه عليه الصلاة والسلام وان كان أكمل الناس عقلاً الا أن عقول الخلق
 غير متناهية فقد يخطو بيال انسان من وجوه المصالح ما لا يخفى بيال آخر لا سيما فيما يتعلق
 بأموال الدنيا قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعرف بأموالكم وأنا أعرف بأموالكم وللهذا
 السبب قال صلى الله عليه وسلم ما شاورهم قط الا هدوا والارشاد أمرهم وثالثها قال الحسن

وسفيان بن عيينة انما امر بذلك لمقتدى به غيره في المشاورة وتصير سنة ورابعها انه عليه الصلاة
 والسلام شاورهم في وقعة أحد فاشاروا عليه بالخروج وكان معه أنه أن لا يخرج فلما خرج وقع
 ما وقع فلوترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب شاورتهم شي
 فأمر الله تعالى بمشاورتهم بعد تلك الواقعة ليدل على انه لم يبق في قلبه أثر من تلك الواقعة
 وخامسها أمره بالمشاورة لا يستفيد منهم رأيا ولكن اعلم مقادير حقولهم ومحبهم له وذكروا
 أيضا وجوها أخرى في هذا القدر كفاية وانفقوا على ان كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يحجز
 للرسول أن يشاور الامة فيه لان النص اذا جاء بطل الرأي (فأذاعت) أى قطعت الامر على
 امضاء ما تريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أى ثق به بالمشاورة فليس التوكل اهمال
 التدبير بالكلية بل مراعاة الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى (ان الله يحب المتوكلين)
 عليه فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) أى يعينكم على عدوكم كيوم بدر
 (فلا غالب لكم) أى فلا يغلبكم أحد (وان يخذلكم) بترك نصركم كيوم أحد (فمن ذا الذي
 ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانه أى لا أحد ينصركم وفي هذا تنبيه على مقتضى التوكل
 وتحرير على ما يتحقق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) أى فليخلصوا بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه لان ايمانهم بوجوب ذلك
 ويقتضيه (وما كان لنبى أن يغفل) أى ما صح لنبى أن يعون في الغنائم فان النبوة تنافي بالخيانة
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في قطيفة جرداء فقدت يوم بدر فقال
 بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقال مقاتل نزلت في غنائم أحد حين
 ترك الرماة المركز وطلبوا الغنمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ
 شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد
 اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأبىكم أمرى فقالوا تركنا بقبية اخواننا وقوا فقال لهم صلى الله
 عليه وسلم بل ظننت أن انفل ولا تقسم لكم وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان
 لنبى أن يكتسب شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهفة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن
 وفيه سب دينهم وسب آلهتهم فسألوا أن يترك ذلك فنزلت وروى انه صلى الله عليه وسلم غنم في
 بعض الغزوات وجع الغنائم وتأخرت القسمة لبعض الموانع فجاء قوم وقالوا لا تقسم غنائمنا
 فقال عليه الصلاة والسلام لو كان لكم مثل أحد ذهب ما حبست عليكم منه درهما ثمسبون
 انى أغلظكم مغنمكم فنزلت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين على البناء للفاعل
 والباقون بضم الياء وفتح الغين على البناء لله فعول والمعنى على هذا وما صح لنبى أن يوجد دعلا
 أو ينسب الى الغلول (ومن يغفل يات بما قل يوم القيامة) قال أكثر المفسرين ان هذه الآية
 على ظاهرها قالوا هي نظير قوله تعالى في مائى الزكاة يوم يحصى عليها في نار جهنم فتسكوى بها
 جبابهم وجنودهم وظهورهم ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لأقن أحدكم بئى على رقبته
 يوم القيامة يعبره رغاء وبقرة لها خوار أو شاة لها نغاء فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا أم لك

من الله شيئاً قبل فلتك قال المحققون وفائدته أنه إذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك المغلول
 ازدادت فضيخته وعن ابن عباس أنه قال يثقل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل إليه نخذه
 فينزل إليه فإذا انتهى إليه جله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف أن ينزل إليه
 فيخرجه ففعل ذلك به وعن أبي هريرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فقال الناس هنأه
 الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده أن الشجرة التي أخذها يوم خيبر
 من المغانم تصبها المقاسم تشتعل عليه ناراً فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراً وشراً كين إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراً من النار وشراً من نار
 وقال أبو سلم ليس المقصود من الآية تطاهر هابل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله
 تعالى إنما أنزلناكم في حبة من خردل فتكن في حخرة وفي السموات وفي الأرض يأتيهم الله
 فأنه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل المقصود إثبات أن الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه
 مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فكذلك ههنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى أن الله تعالى يحفظ
 عليه هذا المغلول ويقرره عليه يوم القيامة ويجازيه لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن أبي حميد
 الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسد على الصدقة فلما قدم قال
 هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل ببعثه على
 بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي فهل جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أم هدى
 إليه أم لا فوالذي نفسي بيده لا يأخذ منها أحد شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته أن كان
 بغير اله رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تغو ثم رفع يديه حتى رويت عقرة ابطله ثم قال اللهم هل بلغت
 اللهم هل بلغت (ثم توفي كل نفس) أي أعطى جزاء (ما كسبت) أي عملت وأما الغال وغيره
 (فان قيل) هال قيل ثم توفي أي الغال ما كسب (أجيب) بأنه عم الحكم ليكون كالبرهان على
 المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب محملاً بالغال مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لا
 يظلمون) شيئاً فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزداد في عقاب عاصيهم وقوله تعالى (أفئن اتبع رضوان
 الله) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أفئن اتقى فاتبع رضوان الله
 (كن بام) أي رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصي (وما واه جهنم وبئس المصير) أي المرجع
 هي أي ليس مثله واختلف في المراد من هذه الآية فقال الكلبي والضمكاني أفئن اتبع رضوان الله
 في ترك الغلول كن بام بسخط من الله في فعل الغلول وقال الزجاج لما جمل المشركون على المسلمين
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أن يحملوا على المشركين ففعل به بعضهم وتركه آخرون فقوله
 أفئن اتبع رضوان الله هم الذين امتثلوا أمر كن بام بسخط من الله هم الذين لم يقبلوا قوله وقيل
 أفئن اتبع رضوان الله وهم المهاجرون كن بام بسخط من الله وهم المنافقون وقيل أفئن اتبع
 رضوان الله بالإيمان به والعدل بطاعته كن بام بسخط من الله بالسكينة والاشتغال بعصيته
 قال القاضي وكل واحد من هذه الوجوه صحيح **والصن** لا يجوز قصر اللفظ عليه لأن اللفظ
 عام فيجب أن يتناول الكل وإن كانت الآية تنزل في واقعة معينة لكن عموم اللفظ لا يطل

بخصوص السبب (تنبيه) الفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى
 ولا كذلك المرجع فانه قد يوافق المبدأ وقرأه ربه رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وقوله
 تعالى (هم درجات) مبتدا وخبر أى القرى بقان درجات ولا بد من تأويل في الاخبار بالدرجات
 عن هم لانها ليست اياهم فيجوز أن يكون جعلوا نفس الدرجات مبالغة والمعنى انهم متفاوتون في
 الجزاء على كسبهم كما أن الدرجات متفاوتة فهو تشبيه ببلغ يحذف الاداة أى هم مثل الدرجات
 في التفاوت ويجوز أن يسكون على حذف مضاف أى ذو درجات أى أصحاب منازل ورتب
 في الثواب والعقاب (عند الله) فلن اتبع رضوانه الثواب ولن يابى بخطه العقاب (والله بصير
 بما يعملون) أى عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجاز بهم على حسبها (القدمن الله على المؤمنين) أى انهم
 على من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذه المنية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم
 الى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم الى ثوابه كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة
 للعالمين (فان قيل) لم خصهم بالنعمة مع أن البعثة عامة (أجيب) بأنهم هم المستفعدون بها كقوله
 تعالى هدى للمتقين (أذيعت فيهم رسولا من أنفسهم) أى من جنسهم عربيا منهم ليفهموا
 كلامه بسهولة ويسر وكونوا قاصين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى
 تصديقه والوقوف به وبشر فوايه لامتلاكوا ولا يحجموا وقرئ شاذ من أنفسهم بفتح الفاء أى من اشرفهم
 لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب ويطونهم وقد خطب أبوطالب لما تزوج
 صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوه انهم ورؤساء مضر فقال الحمد
 لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضى معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
 بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا نحجو وجاورنا وامننا وجعلنا الحكماء على الناس ثم ان ابن أخى
 هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به قى من قرين الارجح به وهو والله بعد هذا النبأ عظيم
 وخطر جليل ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة الا هذه لكونها في شرف الرسول صلى الله عليه وسلم
 وقراءة السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جاهلا
 لم يسمعوا الوحى (ويزكهم) أى يظهروهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال (ويعلمهم
 الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة من بعدما كانوا من أجهل الناس وأبعدهم من
 دراسة العلوم كما قال تعالى (وان كانوا من قبل) أى قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لن يضل
 ميب) أى بين ظاهر (أول) أى حين (أما بشكم مصيبة) بأحد يقتل سبعين منكم (قد أصبتم
 مثلها) بيد يقتل سبعين وأسر سبعين (قلتم) متجهين (أى) أى من أين لنا (هذا) القتل
 والهزعة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم قينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام
 الانكارى (قل) لهم (هو من عند أنفسكم) أى هو مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك
 المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات في المركز والطاعة في الامر وعن على رضى الله تعالى
 عنه لاخذكم الفداء من أسارى بدو قبل أن يؤذن لكم روى عبيدة السلماني عن على رضى الله
 عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد ذكره ما صنع قومك من أخذهم

البقاء من الاسارى وقد أمرك أن تحبهم بين أن يقتلوا أى الاسارى فتضرب
 أعناقهم وبين أن يأخذوا القداء على أن يقتل منهم عددهم فذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرننا واخواننا لا بل نأخذ منهم فداهم فنستقوى به على قتال
 أعدائنا ويقتل منهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدداً سارى بدر وهذا معنى قوله قل هو
 من عند أنفسكم أى بأخذكم القداء واختياركم للقتل (إن الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر
 وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم نارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى
 جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة (فبأن الله) أى فهو كان
 بقضائه وإرادته ودخلت الفاء في الخبر لثبته المبتدأ بالشرط نحو الذى يأتي فله درهم (وليعلم
 المؤمنون) وقد تقدم أن معنى وليعلم الله كذا أى عيى ويظهر للناس ما كان في علمه (وليعلم الذين
 نافقوا) قال الواحدى يقال نافق الرجل فهو منافق إذا أظهر كلمة الإيمان وأخفى خلافها
 قال أبو عبيدة مشق من نافق اليربوع لأن بحر اليربوع له بيان القاصعاه والنافقاه فان طلب
 من أيهما كان يخرج من الآخر فقبل للمنافق انه منافق وهم اسم اسلامى لانه من صنع لنفسه
 طريقين أظهرهما الاسلام وأخفاه الكفر فنأيهما طلب خرج من الآخر وقوله تعالى (وقيل لهم)
 عطف عن نافقوا أى وليعلم الذين قبل لهم ما انصرفوا عن القتال وقالوا لم نأق أنفسنا
 في القتال فرجعوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة من جهة الالف الذين خرجوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعالوا فالتوا في سبيل الله) الكفار (أو ادفعوا) عن أى ان كان
 في قلبكم حب الايمان فقاتلوا الذين وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفاعاً عن أنفسكم وأهلككم
 وأموالكم وقال السدى وابن جرير ادفعوا عنا العدو يتكثير سوادنا ان لم تقا تلوا معنا
 لأن الكثرة أحد اسباب الهيبة روى عن سهل بن سعد الساعدي وقد كذب بصره ولو أمكنى
 لبعث دارى ولحققت بغير من تغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
 بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أرادوا كثروا سوادهم واختلفوا في القائل فقال الاصم انه
 الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل أبو جابر الانصارى قال لهم أذكركم الله
 أن تحذروا نبيكم وقومكم عند حضور العدو (قالوا لو تعلم) أى نحسن (قتالاً لا تبعناكم) فيه قال
 تعالى تكذبا لهم (هم للكفر يومئذ) أى يوم اذ قالوا لو تعلم قتالاً لا تبعناكم (أقرب منهم للايمان)
 أى لا نقطعاهم وارثادهم وكلامهم فان ذلك أول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل
 المعنى على حذف مضاف أى هم لاهل الكفر أقرب منهم لاهل الايمان بما أظهره ومن خذلانهم
 للمؤمنين وكانوا قبل أقرب الى الايمان من حيث الظاهر (تنبيه) فقاتلوا هاعلى أنفسهم
 باعتبار حالين ووقتين ولولا ذلك لم يجوز قول زيد فاعداً أفضل منه قائماً وزيد فاعداً اليوم
 أفضل منه فاعداً غدداً ولو قلت زيد اليوم فاعداً أفضل منه اليوم فاعداً لم يجوز (يقولون)
 بافواههم ما ليس في قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون لا تراعى قلوبهم ألسنتهم بالايمان
 فبهم وان كانوا يظهرون الايمان باللسان لكنهم يضمرون في قلوبهم الكفر (تنبيه)

اضافة القول الى الافواه تصوير لثقاتهم فان ايمانهم موجود في افواههم فقط وبهذا اتفق كونه
 للتأكد كما قيل به لتسهيل هذه الفائدة وقال ابن هادل والظاهر أن القول يطلق على اللسان
 وعلى النفساني فتعبيده بأفواههم تعبيد لاحد محمليه اللهم إلا أن يقال اطلاقه على النفساني
 مجاز (والله أعلم بما يكفون) أي عالم بما في ضمائرهم وبما يحلو به بعضهم الى بعض فانه يعلم ذلك
 مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات وجوزوا في موضع (الذين قالوا) ألقاب الاحراب
 الثلاثة الرفع والنصب والجر فالرفع من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مرفوعا على خبر مبتدا
 محذوف تقديره هم الذين الثاني انه بدل من واو يكفون الثالث انه مبتدا والخبر قوله قل فادروا
 ولا بد من حذف عائدة تقديره قل لهم فادروا والنصب من ثلاثة أوجه أيضا أحدها النصب على
 الذم أي أذم الذين قالوا الثاني انه بدل من الذين نافقوا الثالث انه صفة لهم والجزء من وجهين
 أحدهما انه بدل من الضمير في بأفواههم والثاني انه بدل من الضمير في قلوبهم كقول الفرزدق
 على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده اضن بالماء حاتم

يجتر حاتم على انه بدل من الهاء في جوده وضم مبنى للمفعول وهو بالماء أي ولو ان حاتم استقر في
 القوم كما على جوده وهم تلك الحالة ليجل بالماء (لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم من جنس
 المنافقين المقتولين يوم أحد وأخوانهم في النسب أو في سكنى الدار وفي عداوة النبي صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (وقعدوا) حال مقدرة بقداي قالوا قاعدون عن القتال (لو أطاعونا)
 في القعود (ما قتلوا) كالم نقل واختلف في قائل ذلك فقال أكثر المفسرين هو ابن أبي
 وأصحابه وقول الاصم هذا لا يجوز لأن ابن أبي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد
 يوم أحد وهذا القول واقع عن تخلف فيه نظر لاحتمال أن المراد بالقعود القعود عن القتال

لأن الخروج الى القتال (قل) لهم (فادروا) أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت) ان كنتم صادقين
 في أن القعود ينبغي منه لأنكم ان دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع
 سائر أسبابه المبنوية ولا بد لكم أن تهلك بكم بعضها وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة تسعون
 منافقا (فان قيل) ما وجه هذا الاستدلال فان التخرج عن القتال يمكن وأما التخرج عن الموت
 فغير ممكن (أجيب) بأن الكل بقضاء الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى
 فادروا عن أنفسكم الموت استهزأ بهم أي ان كنتم رجالا فدافعوا عن أسباب الموت فادروا جميع
 أسبابه حتى لا تموتوا ونزل في شهداء أحد كبار رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين
 حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شاس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
 الانصار (ولا تحسبن) أي ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) أي لاجل دينه والخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل أحد (أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم) أي ذوو نفوس منه فليس
 المراد القرب المكاني لاستحالة ولا بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب
 شرفا ورتبة قال البيضاوي وقيل نزل في شهداء بدر أي وكانوا أربعة عشر رجلا غلبه
 من الانصار وسنة من المهاجرين قال شيخنا القاضي زكريا وهو غلط اعترض فيهم آية البقرة

(برزقون) من غمار الجنة روى ابن عباس انه علمه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة في ظل العرش وروى ان الله تعالى يطلع عليهم ويقول سلو في ما شئتم فقولون يا رب كيف نسئلك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا فلما رآوا أن لا يتركوهم أن يسألوا شيئاً قالوا نسئلك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا في الدنيا فنقتل في سبيلك لما رأوا من النعيم كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) أي ويفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم) من اخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم أنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فذلك يستبشرون (من خلقهم) أي الذين من خلقهم زماناً وأرتبة وأبدل من الذين (أن) أي بأن (لاخوف عليهم) أي الذين لم يلحقوا بهم من خلقهم (ولا هم يحزنون) في الآخرة والمعنى أنهم يستبشرون بما تنالهم من أمر الآخرة وحال من تركوهم وخلفهم من المؤمنين وهو أنهم يعمثون آمين يوم القيامة لا يكذبون بخوف وقوع محذور ولا يهزنان فوات محبوب وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم عن خلقهم بعث للباقيين بعدهم على ازياة الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واجاد لحال من يرى نفسه في خير فيمتنى مثله لاخوانه لان الله تعالى مدحهم على ذلك (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين تعالى أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بين هنا أنهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك أعاد لفظ الاستبشار (فان قيل) أليس انه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار فلزم التكرار (أجيب) بأن الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار وبأن المراد حصول الفرح بما حصل في الحال وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة والفرق بين النعمة والفضل أن النعمة هي الثواب والفضل هو التفضل الزائد (فان قيل) لم قال يستبشرون من غير عطف (أجيب) بأنه تأكيدي لا دلالي لانه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) لما ذكر ايصال الثواب العظيم الى الشهداء بين أن ذلك ليس مخصوصاً بهم بل كل مؤمن يستحق شيئاً من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه ولا يضيعه وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) أي دعاء مبتدأ (من بعدما اصابهم الفرح) بأحد وخبر المبتدأ (الذين أحسنوا منهم) بطاعته (واتقوا) مخالفته (أجر عظيم) هو الجنة وروى أن أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الرواحند موادهم وبالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهم ويريمهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا اجراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه الفرح فتحملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روى أنه كان فيهم من يحمل صاحبته على عنقه ساعة ثم ان التحمل يحمل الحامل ساعة أخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم

من يتوكل على صاحبه ساعة ويتوكل عليه صاحبه ساعة فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معبد
 الخنزاعى بجهره والاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعبد
 يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أمرك في أصحابك ولوددنا أن الله قد أعفانا فيهم ثم
 خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أباسقيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا
 الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى أبوسقيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
 محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أزال ترحل
 حتى ترى نواصي الخليل فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت * (تنبيه) * من
 في الذين أحسنوا منهم للتيامين مثلها في قوله تعالى وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
 مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لبعضهم وقوله تعالى (الذين)
 بدل من الذين قبله وأزعت قال لهم الناس أن الناس قد جعوا لكم أي الجوع ليستأصلوكم
 (فاخشوهم) روى أن أباسقيان نادى عند انصرافه من أحديا بموعدنا موسم بدر القابل
 أن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسقيان في أهل مكة حتى
 نزل من الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبداه أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي
 وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن يلتقى بموسم بدر وإن هذا عام جذب ولا يصلح لنا
 الأعام نزع فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدى أن لا يخرج إليه وأكره أن يخرج محمدا
 ولا يخرج أنا فبئزدهم ذلك جراءة فلا يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى
 فالحق بالمدينة فقبضهم وأعلمهم أنى في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الأبل
 أضعها في يد سهل بن عمرو ويضمنها فقال له نعيم يا أبا يزيد أنعمنى على ذلك وأطلق إلى محمد
 وأبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يجهزون لمعاد أبي سفيان فقال أين
 تريدون فقالوا واعدنا أبوسفيان بموسم بدر الصغرى أن تقتل بها فقال بنس الراى رأيتم أو توكم
 في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد الا شريد افتريدون أن تخرجوا وقد جعوا لكم عند الموسم
 والله لا يفلت منكم أحد فذكره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نقضى بيده لا يخرجن ولو وحدى ولو لم يخرج معى أحد
 فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلتفتوا إلى ذلك القول كما قال
 تعالى (فزادهم) ذلك القول (إيمانا) أى تصديقاً بالله وبقيننا (وقالوا حسبنا الله) أى كافينا
 أمرهم (ونعم الوكيل) أى المفوض إليه الأمر وحتى وافوا بدر الصغرى فجمعوا يلقون
 المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جعوا لكم يريدون أن يرهبوا المسلمين فيقول المسلمون
 حسبنا الله ونعم الوكيل وهذه الكلمة التى قالها إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين لقي
 في النصارى بلغوا بدر وكانت وضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام
 فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدير ينتظر أباسقيان غمان ليل ولم يلق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه أحد من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات فباعوها واشتروا

أدماوزيبا وأصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فانقلبوا)
 أى انصرفوا (بنعمة من الله) أى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) أى تجارة وربح وهو
 ما أصابوا في السوق (لم يمسهم سوء) أى لم يصيبهم أذى ولا مكروه ورجع أبو سفيان الى مكة
 فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشرى بالسويق * (تنبية) * الناس
 الاول المشبطون والاخرون أبو سفيان وأصحابه (فان قيل) المشبط هو أبو نعيم فكيف قيل
 الناس (أجيب) بأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرد وماله الا فرس
 واحد ويرد واحد ولانه حين قال ذلك لم يحل من ناس من أهل المدينة يشبطون مثل تنبيطه بل قيل
 انهم كانوا جماعة فقدم بأبي سفيان ركب من عبد القدس يريدون المدينة المعيرة فجعل لهم حمل يعبر
 من زيبان يشبطونهم (فان قيل) كيف زادهم القول ايمانا (أجيب) بأنهم لما سمعوا ذلك وأخلصوا
 عنده النية والعزم على الجهاد وأظهر واجبة الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
 كما زادوا الايمان والايقان بتناء المرحلج ولان خروجهم على أثر التنبيط الى وجه العدو وطاعة
 عظيمة والطاعات تزيد الايمان فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم ما قلنا يا رسول الله ان الايمان
 يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر
 رضى الله تعالى عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزد ايمانا وعنه رضى الله تعالى عنه
 لو وزن ايمان أبى بكر رضى الله تعالى عنه بايمان هذه الامم لرجح به (واشعوارضوان الله) الذى
 هو مناط الفوز بخير الدارين بجماعتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتبنيث
 وزيادة الايمان والتوفيق للعبادة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرامة على العدو
 بالحفظ على كل من و-وهم واصابة النفع من ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه
 تحسر المتخاف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به (انما ذلككم) أى المشبط أو أبو سفيان
 (الشيطان يخوف أولياءه) أى القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم ويخوفكم
 أولياءه وهم أبو سفيان وأصحابه ويدل على ذلك قوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون) في مخالفة
 أمرى بخاهد وامع رسولى (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الايمان يقتضى ان لا تخوف الله
 على خوف الناس وقرأ أبو عمر وبأبيات الباء وصلوا وحذفها وقفوا والباقون بالحذف وقفوا وصلوا
 (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أى يقعون فيه وقوعا سريعا حرا صاعليه وهم المنافقون
 من المتضلعين أو قوم ارتدوا عن الاسلام أى لا تهتم لكفرهم (انهم لن يضرروا الله شيئا) بفعلهم
 وانما يضررون به أنفسهم وقرأ نافع يحزنك بضم الباء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله تعالى
 في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه على فتح الباء وضم الزاى فيه والباقون كذلك في الكل
 من حزنه لغف في آخره (يريد الله ان لا يجعل لهم خطا) أى نصيبا (في الآخرة) أى الجنة فلذلك
 حذلهم وهو يدل على عمادى طغيانهم وموتهم على الكفر (ولهم) مع حرمان الثواب (عذاب
 عظيم) في النار (ان الذين اشتركوا بالكفر بالايمان) أى أخذوه بدله (لن يضرروا الله) بكفرهم
 (شيئا ولهم عذاب أليم) أى مؤلم وكرر ذلك للتأكيد وهو نعيم للكفرة بعد تخصيص من نافق

من المتخلفين أو ارتدوا من الأحزاب * وزل في مشركي مكة كما قاله مقاتل أو في قريظة أو النصير كما قاله عطاء (ولا يحسبن الذين كفروا انهم انما على أي غهل لهم) يطويل الاعمار (خير لانفسهم انما على لهم ليزدادوا انما) بكثرة المعاصي (ولهم عذاب مهين) أي ذوا هانة وروى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وقرأ حمزة ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يفتلون بالنساء فيهما على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحجرة (ما كان الله ليبدو) أي ليمترل (المؤمنين على ما أنتم عليه) أيها الناس من اختلاط المسلم بغيره (حتى يميز) أي يفصل (الخير من الشر) أي المنافق (من الطيب) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد زعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بنو من بكر ومن لا يؤمن فزلت وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورتهما في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر بمن لم يتخلق بعده ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وحده الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا بنأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أي يارسول الله قال حذافة فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله رضىنا بالله ربنا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله تعالى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فزلت (فان قيل) لمن الخطاب في أنتم (أجيب) بأنه للمصدقين جميعا من أهل النفاق والاخلاص كأنه قيل ما كان الله ليبدو المخلص منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضهم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لا اتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه واخبره بأحوالكم وبالكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يدعنها لها إلا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فيجتبر بها بواطنكم ويستدل بها على عقائدكم ففعل ذلك يوم أحد حيث أظهر والنفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء بعد الميم مع كسرهما والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعد الميم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فبوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسوله) أي بصفة الاخلاص أو بأن فعلوا أن الله وحده مطلع على الغيب وفعلوا أنهم عباد محبتون لا يعلمون إلا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون إلا ما يوحى اليهم وروى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بنو من يؤمن ومن يكفر فزلت الآية (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم) أي لا يقادر قدره (ولا يحسبن الذين يفتلون بما آتاهم الله من فضله هو) أي يظلمهم (خير اللهم بل هو) أي يظلمهم (شر اللهم) لاستحباب

العقاب اليهم واختلقوا في المراءى بهذا الجمل فقال اكثر العلماء المراد به منع الواجب واستدلوا
 بوجوه أحدها أن الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق إلا بالواجب وثانيها أن الله
 تعالى ذم الجمل والتطوع لا يذم على تركه وثالثها قال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من
 الجمل وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف وانفاق الواجب على أقسام منها انفاقه على نفسه
 وعلى أهله الذين تلزمه مؤنتهم ومنها الزكوات ومنها ما إذا احتلج المسلمون إلى دفع عذوق
 بقصد أنفسهم وأموالهم فيجب عليهم انفاق الاموال على من يدفعهم عنهم ومنها دفع ما يستد
 رمق المضطر (سيطوقون) أى سوف يطوقون (ما يجلو به يوم القيامة) اختلقوا في هذا الوعيد
 فقال ابن عباس وابن مسعود يجعل مانعه من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه
 من فرقة إلى قدمه وتقرر رأسه تقول أنا مالك وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤدّر كانه مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع
 له زببتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كزلة ثم تلا
 ولا يحسبن الذين يخولون الآية وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
 بيده أو الذى لا اله غيره أو كما حلف ما من رجل تكون له ابل أو بقرة أو غنم لا يؤدى حقها الا أتى
 بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه
 أخرها ردت عليه أو لاها حتى يقضى بين الناس وقال مجاهد معنى سيطوقون سيكلفون أن يأثوا
 بما يجلو به يوم القيامة أى يؤمررون بأداء ما منعوها فلا يمكنهم الا تيان به فيكون ذلك نوبضا
 وقبل أن هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد
 بالجل كتمان العلم كما في سورة النساء الذين يخولون ويأمررون الناس بالجل ويكتمون ما آتاهم الله
 من فضله ومعنى قوله على هذا سيطوقون أى يحملون وزره وأثمه كقوله تعالى يحملون
 أوزارهم على ظهورهم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) في معناه وجهان أحدهما
 أن له ما فيه مما يتوارثه أهلها من مال وغيره فهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم
 فإلهم يخولون عليه بملكه ولا يتفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
 فيه والثانى وبه قال الاكثرون أن معناه أنه يقضى أهل السموات والارض ويقضى الاملاك
 ولا مال لها الا الله فخرى هذا مجرى الوراثه قال ابن التبارى يقال ورث فلان علم فلان اذا
 انقرب به بعد أن كان مشاركا فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لانه انقرب بذلك الامر بعد
 ان كان داود مشاركا له فيه (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خير) فيجوز ان يكون به وقرأ ابن
 كثير وأبو عمر وبالباء على القية والباقيون بالنساء على الخطاب (لقد سمع الله قول الذين قالوا
 ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا
 حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن أن قائل هذه المقالة
 حنيفة بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومجذ بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم
 مع أبي بكر الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام وإلى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وان يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر ذات يوم بيت عدا رسهم فوجد اناساً كثيرين من
اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فخصاص بن عازوراه وكان من علمائهم ومعه جبراً آخر
يقال له اشيع فقال أبو بكر لخصاص اتق الله وأسلم فوالله انك تعلم أن محمد رسول الله قد جاءكم
بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فأتوا من وصديق وأقرض الله قرضاً حسناً
يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فخصاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض من أموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقاً فان الله اذن لفقير ونحن أغنياء وانه
ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا يعني في قوله فيضاعفه له أضغافاً
كثيرة فغضب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وضرب وجهه فخصاص ضربته شديدة وقال والذي
نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فخصاص الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاي بكر ما حلك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير
وهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فبعد ذلك فخصاص فأنزل الله عز وجل رداه لي فخصاص
وتصديقاً لا يكره رضى الله تعالى عنه لقد سمع الله الاية وهذا لا يدل على أن غيره لم يقل ذلك
لان الاية دالة على أن القائل جماعة لقوله تعالى الذين قالوا (سنكتب) أى أنا ثم يكتب
(ما قالوا) من الافلاك والقرية في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ونحوه والانه كاتبون أو سخطه
في علمنا لانهم لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله والرسول ولذلك نظمهم مع قتل
الانبياء كما قال تعالى (وقتلهم) أى وسنكتب قتلهم (الانبياء بغير حق) وفي نظمهم به
تبيينه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستعده منه أمثال
هذا القول (ويقول) أى الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق)
أى النار وهي بمعنى المحرق كما يقال عذاب أليم أى مؤلم وقرأه جزء سبعة كتب بالبلاء المشنة
تحت بعد السين مضرومة وفتح التاء بعد الكاف ونظم اللام من قتلهم وبالباء في ويقول
والساقون بالنون بعد السين مضروحة وضم التاء بعد الكاف ونصب اللام من قتلهم وبالنون
في ونقول ويقال لهم اذا ألقوا في النار (ذلك) أى العذاب (بما قدمت أيديكم) من الاقترار
وقتل الانبياء وغير ذلك من المعاصي وعبر بالأيدي عن النفس لان أكثر أعمالها من (وان
الله ليس بظلام) أى بذي ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (فان قيل) ظلام للمبالغة المقضية
للكثير فهو أخص من ظلام ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم (أجيب) بأنه لما قوبل بالعبد
وهم كثيرون ناسب أن يقال الكثير بالكثير وأنه اذا نفي الظلم الكثير نفي القليل لان الذي
يظلم انما يظلم لاتتفاحه بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فيمن يجوز عليه النفع والضرب كان لقليله
مع قلة نفعه تركه وبأن ظلام للنسب كما قدرته في الاية الكريمة كما في بزاز وعطاري لا ينسب
اليه ظلم البتة وقوله تعالى (الذين) نعت الذين قبله (قالوا) لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم أن الله
بعثك بالحق رسولاً وأنزل عليك كتاباً وأنؤمن بك أى وقالوا (ان الله) قد (عهد اليك) أى أمرنا

وأوصاني في كتبه (أن لا تؤمن لرسول) أي لا تصدق رسولا أنه قد جاء من عند الله (حتى يأتيك
 بقرآن تأكله النار) أي حتى يأتيك بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لآتياء بنى إسرائيل فيكون
 دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله من تسبيكة وعمل صالح وكأنوا إذا
قربوا قرباناً وغموا غمجة جاءت نار بضامن السماء لادخان لها ولها دوى وهقف فتأكل
 ذلك القربان وتأكل الغنمية ومعنى آكلها أن تحبيل ذلك إلى طبعها بالاسراق فيكون ذلك علامة
 القبول وإذا لم يتقبل بقي على حاله وهذا من مقترباتهم وأباطيلهم لأن آكل النار القربان لم
 يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات في ذلك سواء وقال السدي هذا الشرط
 جاء في التوراة ولكنه مع شرط آخر وهو أن الله تعالى أمر بنى إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول
 الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقرآن تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فأتوا
 بهم ما فهم ما يتيان بغير قربان قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم (قل لهم يا محمد قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات) أي بالمعجزات (وبلذى قلتم) من القربان كزكريا يحيى فقتلوههم (فلم
 تقتلوههم) والخطاب لمن في زمن نيناوان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به (ان كنتم صادقين)
 في أنكم تؤمنون بالرسول عند الاتيان بذلك ثم قال الله تعالى تسليمة لنبية صلى الله عليه وسلم من
 تكذيب قومه واليهود (فان كذبوا فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) أي المعجزات
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم (والكتاب) أي التوراة والانجيل (الذير) أي الواضع
 فاصبر كما صبروا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام
 وقرأ ابن عامر وبازر بالباء الموحدة والباقون بغير ياء بعد الواو وقرأ هشام وبالكسب بالباء
 الموحدة بعد الواو والباقون بغير ياء وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) زيادة تأكيد
 في نسيته صلى الله عليه وسلم وبالسغة في إزالة الحزن عن قلبه فإنه من علم أن عاقبته إلى الموت
 زالت عن قلبه الغموم والاحزان روى أن الله تعالى لما خلق آدم اشتكت الأرض إلى ربه الما
 أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فمن أحد الأيد في التربة التي أخذ منها ولا بعد
 هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن من المسيء والمحق من المبطل ويجازي كل بما يستحقه
 كما قال تعالى (واعتابوهم أجوركم) أي جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان خير الخبير
 وان شر افشمر (فمن زحرج) أي بعد (عن النار وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد
 والقوز بالظفر بالبعية بالنظر إلى وجهه الله تعالى الكريم (وما الحياة الدنيا) أي العيش فيها
 (الامتاع الغرور) أي الباطل يتبع به قليلا ثم ينفى روى أن الله تعالى يقول أعددت لعبادي
 الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نقص
 ما أختي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
 مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل محمد وولوع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
 واقرؤا ان شئتم فمن زحرج عن النار الآية وروى من أحب أن يزحرج عن النار ويدخل
 الجنة فله من الله ما يشاء وهو يومئذ بالغ في اليوم الآخر ويؤتى الناس ما يربحون

إليه أي يفعل بهم ما يجب أن يفعل به وقوله تعالى (تلبون) جواب قسم محذوف تقديره والله تلبون وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع وحذفت واو الرفع لالتقاء الساكنين أي لتقتربن (في أمواتكم) بالفرائض فيها والجوانح (و) في (أنفسكم) بأعبادات والبلاء والأمور والجراح وغير ذلك (ولتسمعن من الذين أدنوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) أي مشركي العرب (أذى كثيرا) وذلك أنهم كانوا يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة وكانوا يقطعون في النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما يقدرون عليه وهجاه كعب بن الأشرف وكانوا يحرضون الناس على مخالفته صلى الله عليه وسلم ويجمعون العساكر لحاربته وينبطون المسلمين عن نصرته (وان تصبروا) على ذلك (وتسقوا) الله (فإن ذلك من عزم الأمور) أي من صواب التدبير والرشد الذي ينبغي لكل عاقل أن يقدم عليه واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن جرير والكوفي ومقاتل نزلت في أبي بكر وفتحماص وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فتحماص اليهودي ليستخذه وكتب إليه كتابا لافتنانا على بشي حتى ترجع إلى نجف أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهو متوشع بالسيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال احتاج ربك إلى أن نمدته فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف فتذكر أبو بكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وكف عنه فترك وقال الزهري نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه في شعره ويتشبه بنساء المسلمين (تنبيه) * في الآية تأويلان أحدهما المراد بالمصاهرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الابتلاء في النفس والمال وتحمل الأذى وترك المعارضة والمقاتلة وذلك لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين كقوله تعالى فقول لاه قولا لينا لعلهم يتذكروا يخشى وقال تعالى قل للذين آمنوا يغفر من الذين لا يرجون أيام الله وقال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال الواحدى وهذا قبل نزول آية السيف وقال القفال والذي عندي أن هذا ليس بمسوخ والظاهر أنها نزلت عقب قصة أحد والمعنى أنهم أمروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق الأقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الأحوال والأمور بالقتال لا ينافي الأمر بالمصاهرة التأويل الثاني أن المراد بالصبر على مجاهدة الكفار ومناذبتهم والانكسار عليهم فالسبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة على الاحتراز عما لا ينبغي (و) اذكر (إذا أخذ الله ميثاق الذين أدنوا الكتاب) أي الله هد عليهم في التوراة أي على علمائهم (ليسمينه) أي الكتاب (للناس ولا يكفونه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بالياء في التعلين على القية لأن أهل الكتاب المخاطبين بذلك غيب والباقيون بالتاء على الخطاب حكاية لمخاطبتهم (فتبذوه) أي طرحو الميثاق (ورأى ظهروهم) أي لم يعملوا به ولم يلتفتوا إليه ونقيض هذا جعله نصب عينيه (واشترابه) أي أخذوا بدله (عنا قليلا) من حطام

الدينار واعراضها من سفلتهم رياستهم في العلم فكتموه خوف قوتها عليهم وقوله تعالى (فبئس ما يشترون) العائد محمد وذو تقديره يشترونه قال قتادة رضي الله تعالى عنه هذا مصباح أخذته الله على أهل العلم فن علم شيئاً فليعلمه وأياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيئ ثم تلا هذه الآية وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال أبو الحسن بن عماره رضي الله تعالى عنه أنبت الزهري بعد أن ترك الحديث فألقيته على بابه فقلت ان رأيت أن تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت أما أن تحدثني وأما أن أحدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكيم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثاً (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أي فعلوا من اضلال الناس (ويحبون أن يمحذوا) بما أتوا من علم التوراة (بما لم يفعلوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضاً من جلة أذاهم لانهم يفرحون بما أتوا به من أنواع الخبث والتليس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يمحذوا بأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الانسان يتأذى بمشاهدة مثل هذه الاحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرواه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلا بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عابك ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عباساً أنهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم قوم يخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستغمدوا به وقيل هم المنافقون فانهم يفرحون بمناقتهم ويستعصمون الى المسلمين بالايمن الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح الجاهل ويجب أن يحمده الناس ويشنوا عليه بالديانة والزهد عابك فيسبوه وقوله تعالى (ولا تحسبنهم) تأكيد (بمفازة) أي مكان ينجون فيه (من العذاب) في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم فيها وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة والباقون بالكسر ومفعولاً تحسب الاول دل عليهم ما مفعولاً الثانية على قراءة الثنائية وعلى القوافية حذف الثاني فقط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة كما تقدم (ولله ملك السموات والارض) فهو عاك أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك (واقه على كل شيء قدير) ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان في خلق السموات والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالجمع والذهب والزيادة والنقصان (آيات) أي دلالات واضحة على قدرته تعالى وباهر حكمته (الاولى الالباب)

لذوى العقول الذين يتعمقون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا يتطرون البها نظر البهايم
غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النماذج الصغار أملا عينيك من زينة هذه الكواكب
وأجملها في جملة هذه العجائب متفكر في قدرته مقدرها متدبر احكامه مدبرها قبل أن
يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم اقلت لعائشة
رضي الله تعالى عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أنا في ليلة قد دخل في الحافي حتى التصق جلده بجلدي ثم قال
يا عائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لا أحب قريبك وأحب هو لك
قد أدت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من
القرآن وجعل لي يكي حتى بلغ الدعوى حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل لي يكي ثم رفع
يده فجعل لي يكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرأى يكي فقال
يا رسول الله أسبكي وقد غضر الله لك مائة ثم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا
شكورا ثم قال وما لي لأبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والأرض ثم
قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كهاتين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتوالت ثم ينظر الى السماء ثم يقول
ان في خلق السموات والأرض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة
أطلقته مهاجرة فبعد هافتي من قسيانهم فلم تظله فقالت أمه لعل فرطه فرطت منك في مدتلك فقال
ما أذكرك قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت الا من ذلك وقوله
تعالى (الذين) نعت لما قبله وأبدل (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي مضطجعين
أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل أن يتحول
من إحدى هذه الحالات الثلاث وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن
يرقع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه هذا في الصلاة يصلي
قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب وعن عمران بن حصين قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى
جنب * (تنبية) * قياما وقعودا حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا فيعلق
بمعدوف والمعنى يذكرونه قياما وقعودا ومضطجعين فعطف الحال المؤولة على الصريحة عكس
الآية الاخرى وهي قوله دعاء بالجنسية أو قاعدا أو قائما حيث عطف الصريحة على المؤولة
(ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وما أبدع فيهم ما بدلهم ذلك على قدرة الله تعالى
ويعرفون ان لهم مديرا حكما قال بعض العلماء الفكرة تذهب الفعلة وتحدث في القلب الخشية
كما يحدث الماء للزرع النبات وما جلبت القلوب بمنال الاحزان ولا استنارت بمنال الفكرة وروى
عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على بونس بن متى أي تفضلوا بؤدى الى تنقصه والا فهو صلى
الله عليه وسلم سيد ولد آدم فانه كان يرفع له كل يوم مثل على أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك

التفكير في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحد الأياد أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل
 عمل أهل الأرض وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكير أي لأنه المخصوص بالقلب والمقصود
 من الخلق لكن الحديث رواه البيهقي وغيره وضعفه وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق
 على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأخاف الله ثم اغترلى
 فنظر الله تعالى إليه فغفر له رواه الثعالبي بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوي وهذا دليل واضح
 على شرف علم أصول الدين وفضل أهله وقوله تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على إرادة القول
 أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى الخلق بمعنى المخلوق من السموات والأرض وأولى
 السموات والأرض لأنهم في معنى المخلوق والمعنى ما خلقتهم عبثا وضاغعا من غير حكمة بل خلقته
 لحكم عظيمة من جلالتها أن يكون مبدء الوجود الإنسان وسبيل المعاشة ودليله على معرفته
 ويحتمل على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السموية في جوارحه (تنبيه) * نصب
 باطلا على الحال من هذا وهي حال لا يستغنى عنها لأنها لو حذفت لاختل الكلام وهي كقوله
 تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين وقيل على إسقاط حرف الخفض وهو الباء
 والمعنى ما خلقتهم باطلا بل بحق وقدرة (سبحانك) أي تنزيها لك عن العبث وهو معترض بين
 قوله ربنا وبين قوله (فقد أعذاب النار) أي للاخلال بالنظر في خلق السموات والأرض والقيام
 بما يقتضيه قال أبو البقاء ودخلت الغاية في الجزاء والتقدير إذا نزل هذا ووحدناك فقضى قال ابن
 عادل ولا حاجة إليه بل التسبب فيها ظاهر نسب عن قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
 طلبهم وقاية النار (ربنا انك من تدخل النار) أي للخلود فيها (فقد أخزيت) أي أهنته
 (وما للظالمين) أي للكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتفصيل الخزي بهم (من
 أنصار) أي أنصارين زائدة زيدت لتأكيد النفي (ربنا انشأنا مناديا نادى) أي يدعو
 الناس (للإيمان) أي إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم (أن) أي بأن (آمنوا)
 بربكم فآمنوا به (فان قيل) أي فائدة في الجمع بين مناديا ومنادى (أجيب) بأنه ذكر المبدأ
 مطلقا ثم مقيد بالإيمان فغلب الشأن المنادى لأنه لا منادى أعظم من منادى للإيمان
 ونحوه قولك مرتبها يهدي للإسلام وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد
 للعرب ولا غائة المكروب أو نحو ذلك وكذا الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي
 لاسداد الرأي وغير ذلك فإذا قلت ينادى للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادى
 والهادي ونفختمه ويقال دعاه لكذا وإلى كذا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أي الكبار ومنها (وكفرنا
 سيئاتنا) أي الصغائر منها ويكون ذلك من باب التعميم والاستيعاب كقوله الرحمن الرحيم ولأن
 الألف واللام في الدعاء أمر مطلوب (وتوفنا مع الأبرار) أي مخصوصين ببعضهم معدودين
 في جملتهم وهم الأنبياء والصالحون وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله
 تعالى أحب لقاء الله رواه الشيخان (ربنا وأنت) أي أعطنا (ما وعدتنا) به (على) السنة (رسلك)
 من الرحمة والفضل وسؤلهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يختلف سؤال أن يجعلهم من مستحقه

لانهم لم ينفقوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وتكرر ربنا مباينة
 في التضرع وفي الأثام من حربه أي اصابه أمر فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله تعالى عما يخاف
 وأعطاه ما أراد (ولا تخزنا) أي ولا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهتنا (يوم القيامة أنك لا تختلف الميعاد)
 أي الموعد بانابة المؤمنين واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت (فاستجاب لهم
 ربهم) دعاءهم وهو أخص من أجاب لانه يقصد حصول جميع المطالب الكثيرة مباينة لأن كثرة
 المباني تدل على كثرة المعاني ويتعذى بنفسه وباللام (أني) أي باني (لأضيق عمل عامل منكم)
 وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) بيان عامل (بعضكم من بعض) أي بجمع ذكر كم وأشاكم أصل
 واحد فكل واحد منكم من الآخر أي الذكور والانات والانات من الذكور وقيل المراد
 وصله الاسلام وهذه الجملة وهي بعضكم من بعض معترضة بين عمل عامل منكم من ذكر أو أنى
 وما فصل به عمل عامل من قوله فالذين هاجروا الخيفت بهما شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله
 تعالى عباده العاملين روى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله أسمع الله بهذا الرجل
 في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) أي من مكة الى المدينة (وأخرجوا
 من ديارهم) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه
 الاعمال السنية الفاتحة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارتب الى الله تعالى بدينهم من دار الفسنة
 واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤا (وأودوا في سبيلي) أي ديني (وقاتلوا)
 الكفار (وقتلوا) في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بتقديم قتلوا وتأخير قاتلوا وشدد ابن كثير
 وابن عامر التاء من قتلوا للتكثير (لا كفرن عنهم سبتهم) أي استرها بالمغفرة (ولادخانهم
 جنات تجري من تحتها الانهار نوابا) أي انيسهم بذلك اثابة (من عند الله) أي فضل الله تعالى فهو
 مصدر وكذا لما قبله لأن قوله تعالى لا كفرن عنهم ولا دخلهم في معنى لا ينسبهم (والله عنده حسن
 الثواب) أي الجزاء ولما كان المشركون في رخاؤهم من العيش يتجرون ويتنعمون وقال بعض
 المؤمنين ان أعداء الله فيما ترى من الخير ونعم في الجهد نزل (لا يغرنك تقلب) أي تصرف
 (الذين كفروا في البلاد) للتجارات وأنواع المكاسب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمرار
 منه غيره وقوله تعالى (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي ذلك الثقل متاع قليل يتنعون به في
 الدنيا يسيرا ويغنى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين
 من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم
 فليظفر به يرجع رواءه سلم وعن عمار الخطاب رضى الله تعالى عنه قال جئت فاذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في مشربة وان له على حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها
 ليف فرايت أثر الحصير في جنبه فبكت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسري وقبصر
 فيما ما فيه وأنت رسول الله فقال أما ترى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة (ثم ما واهم)
 أي مصيرهم (جهنم وبقيس المهامد) أي القراش هي (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
 من تحتها الانهار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها نزل من عند الله) وهو ما بعد الضيف ونصبه

على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل فيها معنى الظرف (وما) أى والذى (عند الله) من الثواب لكثرة ودوامه (خير للابرار) مما يقاب فيه الكفار من متاع الدنيا قلته وسرعة زواله واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فقال جابر وابن عباس وأنس نزات في النجاشي ملك الحبشة واسمه أحممة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نجاه جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أَرْضكم فقالوا ومن هو قال النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر عليه أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على عِج حشيش نصراني لم يره قط وليس على دينه فزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزات في أربعين رجلا من أهل شجران واثنين وثلاثين من الحبشة وغاية من الروم وكانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريح نزات في عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مجاهد نزات في مؤمنى أهل الكتاب (وما أنزل اليكم) أى القرآن (وما أنزل اليهم) أى التوراة والانجيل وقوله تعالى (خاضعين) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من لانهم فى معنى الجمع أى متواضعين (لله لا يستترون) أى لا يستبدلون (بآيات الله) التى عندهم فى التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (تغافلوا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كإفعل غيرهم من اليهود (أولئك لهم اجرهم) أى ثواب أعمالهم (عند ربهم) وهو ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله تعالى (ولئك يؤتون اجرهم مرتين) وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لغزو فعله فى كل شئ فهو عالم بما يستوجب كل عامل من الاجر بحسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعة وما يصيبكم من الشدائد وعن المعاصى (وصابروا) أى وتغابروا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب فلا يكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أى اتفقوا فى الثغور رابطين خلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رابط الخيل زهبون به عند الله وعدوكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رابط يوم اوليله فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينقل عن صلاته الا الحاجة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رابط انتظار الصلاة بعد الصلاة (واقفوا لله) فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بالجنة وتنجون من النار وقال بعض العلماء اصبروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واقفوا لله الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء روى الطبري لكن بأسناد ضعيف من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس أى تغيب وما رواه البيضاوى تعالى لم يخسر وتبعه ما ابن عادل من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها ما نال على جسر جهنم فهو من الاحاديث الموضوعة على أبي بن كعب فى فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه وقدمه أئمة الحديث قديما وحديثا على ذلك وما رواه على من أورد من المفسرين فى تفسيرهم والله تعالى أعلم

﴿سورة النساء مكية﴾

مائة وخمس أوست وأربعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الظاهر الملك العلام (الرحمن) الذي عم عباده بالأنعام (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بدار السلام وقوله تعالى (يا أيها الناس) خطاب بيم المكلفين من أولاد آدم من المؤمنين الذكور والإناث الموجودين منهم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم وقيل كما يختص بالعرب منهم لقوله تعالى واتقوا الله الذي تسمعون به والارحام اذ المنشأ سدة بالله وبالرحم إعادة مختصة بهم فيقولون أنشدك بالله وبالرحم وأجيب بأن خصوص آخر الآية لا ينع عموم آدمي (اتقوا ربكم) أي عذابه بأن تطيعوه (الذي خلقكم من نفس واحدة) أي فروعكم من أصل واحد وهو نفس آدم وخلق منها أمكم حواء بالتمن ضلع من أضلاعه اليسرى أو معطوف على محذوف كأنه قبل من نفس واحدة انشأها وابتدأها وخلق منها وجهها وزوجها وحذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى (وبثنا منكم) أي من آدم وحواء (رجالاً كثيراً ونساءً) أي كثيراً لبيان لكيفية تولدهم منها والمعنى وبث أي نثر من تلك النفس والزواج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بالاحكامه تقتضي أن يكن أكثر اذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة وذكر كثيراً لاجل على الجمع ولا تكرر في الآية لأن خلقكم من نفس واحدة مغاير لخلق حواء منها لانها خلقت من ضلعه وهم من مائها ولبث الرجال والنساء لانه بين به أن خلقهم من نفس واحدة معناه من نفس آدم وحواء مع زيادة التصريح بالرجال والنساء (واتقوا الله الذي تسمعون) فيه ادغام التاء في الاصل في السين أي تسمعون (به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألت بالله وأنشدك بالله (فان قيل) الذي يقتضيه سداد نظام الكلام وجواز التمه أن يجاء عقب الامر بالقوى بما يوجبها أو يدعو اليها ويعت عليها فكيف كان خلقه ايهاهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره من جبال التقوى ودعائها اليها (أجيب) بأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على ذلك كان قادراً على كل شيء ومن القدر والرات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدى الى ان تبقى القادر عليه ويحشى عقابه ولا يبدل على النعمة السابقة عليهم لحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها وقرأعاصم وحجة والكسائي بخفيف السين والباقون بتشديدها (و) اتقوا (الارحام) أي بأن تفصلوها ولا تقطعوها وكانوا يتناشدون بالرحم وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتهما بكان منه تعالى روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة

بالعرش تقول الأمان وصلني وصله الله تعالى ومن قطعني قطعته الله تعالى وقرأ غير حزمة بالنصب
 عطف على الله تعالى فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجار والمجرور كقولك
 مررت بزيد وعمر أو أماجزة فقرأ أماجزة عطف على الضمير المجرور وقول البضاوي وهو ضعيف
 أي كما هو مذهب البصريين ممنوع والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون وكنيف
 يكون ضعيفا أو القراءه متواترة فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين
 وتعليهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضي الحاقه به في عدم جواز العطف اذ حذف
 الشيء مع القرينة جائز ومنه * رسم دار وقفت في طلله * أي ورب رسم دار وقول الشاعر
 * اذهب فابلك واليام من عجب (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا لأعمالكم فيبازيكم
 أي لم يزل متصفا بذلك (وأنوايتامي) أي بعد البلوغ والرشد (أموالهم) وهو أيتامي
 بعد البلوغ مع أن الأيتيم في عرف الشرع صغير لا أب له على معنى أنهم كانوا أيتامي وإن كان
 اليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة وقيل اليتيم في الأناس من قبل الآباء وفي البهائم من
 قبل الأمهات وفي الطير من قبلهما والخطاب للأولياء والأوصياء روى أن رجلا كان معه مال
 كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال من عمه فنفقه فقرأ فعلى النبي صلى الله عليه
 وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال أطمعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
 فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويضع يده هكذا فانه يخرج زكاته
 حنته وسبأ في تفسير الحوب الكبير فلما قبض النبي ماله أنفق في سبيل الله فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو
 ينقص في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والدته ولعله كان لا يخرج زكاته
 (ولا تقبلوا الخبيث) أي الحرام (بالطيب) أي الحلال أي لا تأخذوا به كما يفعلون في أخذ
 الجيد من مال اليتيم وجعل الردي من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس بتبدل وإنما هو
 تبدل قال التفتازاني لأن معنى تبدل هذا بذلك أنك أخذت هذا وتركته ذلك وكذا استبدلت
 لأن معنى بدلت هذا بذلك أخذت ذلك وأعطيت هذا قال تعالى ومن تبدل الكفر بالإيمان فإذا
 أعطى الردي وأخذ الجيد فقد أعطى الخبيث وأخذ الطيب كما لو أخذ الخبيث وترك الطيب
 ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالجواب أن في التبدل ما دخلته الباء متروكة وما تعدى إليه
 الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبدل بالعكس ٥ وقد أوضحت ذلك في شرح المنهاج
 (ولما كانوا أموالهم إلى) أي مع (أموالكم) كقوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله أي
 لا شفعوهم معا ولا تسوا بينهم مافأ كلكم أموالكم حلال لكم وأكلكم أموالهم حرام عليكم
 فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكلم ونفقتكم (فان قيل) قد حرم الله
 عليهم كل مال اليتيم وحده ومع أموالهم فلم يرد النبي عن أكله معها (أجيب) بأنهم كانوا
 يفعلون كذلك فأنكر عليهم فعلهم وسع بهم ليكون أنجر لهم ولأنهم اذا كانوا مستغنين عن
 أموال اليتامي بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يطعمون فيها كان القبح أبلغ والذم

أحق (أنه) أى أكلها (كان حوبا) أى ذنبا (كبيرا) أى عظيما أول نزلت هذه الآية فى اليتامى
وما كان فى كل أموالهم من الحبوب ~~الكبير~~ خاف الاولياء أن يملقهم الحبوب بترك العدل
فى حقوق اليتامى وأخذوا يتخرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحتمة العشر من
الازواج والثمن والست ولا يقوم بمقوقته ولا يعدل بينهم نزل (وان خفتم) أى خشيتهم (أن
لا تنسلطوا) أى تعدلوا (فى اليتامى) فنخرجتم من أمورهم تخافوا أيضا ترك العدل بين النساء
وقلوا عدد المنكوحات (فاتكبروا مطاب) أى حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كاللاقي
فى آية التهريم (مضى وثلاث ورباع) أى تزوجوا اثنتين أو ثلاثا وأربعا لأن من يخرج من ذنب
أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير مخترج ولا تائب لانه انما يجب أن يخرج من الذنب
ويتاب عنه لقبه والقبح قائم فى كل ذنب وانما عبرته بما ومن يعقل انما يعبر عنه بمن ذاهبا
الى الصفة لانه انما يفرق بين من وفى الذوات لافى الصفات أو أجرهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقولهن وقيل كانوا لا يتخرجون من الزنا وهم يتخرجون من ولاية اليتامى فقبل أن خفتم
الحبوب فى حق اليتامى تخافوا الزنا فانكبروا ما حل لكم من النساء ولا تجولوا حول المحرمات
وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجال فيتزوجها ضنا أى بخلافه افرى ما يجمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بمقوقته (فان قيل) الذى أطلق للنكاح فى الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث
أو أربع فانه فى التكرار فى معنى وثلاث ورباع حتى ان بعض الرافضة قال للشخص ان يتزوج
بثمانية عشر (أجيب) بأن الخطاب للجمع فوجب التكرار بل يصب كل نكاح يريد الجمع ما أراد
من العدد الذى أطلق له كما تقول الجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قيل) لم جاء العطف بالواو دون أو حتى
قال بعض الرافضة ان له أن يتزوج بسبعة (أجيب) بأنه لو عطف بأول ذهاب معنى تجوز أنواع
الجمع بين أنواع القسمة التى دلت عليها الواو (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد أيضا
بالقسم والنفقة (فواحدة) أى فانكبروا واحدة وذروا الجمع (أو ما ملكت أيمانكم) أى اقتصروا
على ذلك سواء بين الواحدة من الأزواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم
بينهن • (تنبيه) • هذا فى حق الحر أمان فيه رفق فلا يتزوج أكثر من ثنتين باجتماع الصحابة
وقد يعرض للحر عوارض لا يزداد فيها على واحدة بخلافه أوسفه (ذلك) أى نكاح الاربعة فقط
أو الواحدة أو التسرى (ادنى) أقرب الى (أن لا تعدلوا) أى تجوزوا يقال عال الحاكم فى حكمه اذا
جار وروى ان اعرايا يحاكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد ورد عن عائشة رضى الله تعالى عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعدلوا أن لا تجوزوا وحكى عن الشافعى رضى الله تعالى
عنه انه فسر ان لا تعدلوا بأن لا تنكروا عيالكم قال البيهقى وما قاله أحد انما يقال من كثرة
العيال أعال يعيل أعال اذا كثرت عياله وقال الزمخشري ووجهه أن يجعل من قولك عال الرجل
عياله يعولهم كقولك ما نهم يعونهم اذا اتفق عليهم لأن من كثرة عياله أنه أن يعولهم ثم قال وكلام
مثله من أعلام العلم وأئمة الشريعة ورؤس المجتهدين حقيق بالحل على الصحة والسداد وان لا يظن

به تجزئفت تعبلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تظنن بكلمة
خرجت من في أخيلك سوءاً وانت تجادلها في الخير مجالاً وكان الشافعي رحمه الله تعالى أعلى
كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ١٥ (وَأَتَوَاتَىٰ أَيْ أُعْطُوا
النِّسَاءُ مَدَقَاتَهُنَّ) جمع صدقة أى مهورهن (نَحْلَةً) أى عطية يقال نَحْلَهُ كَذَا نَحْلَهُ أى أعطاه
أياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصها على المصدر لأن النحلة والايته بمعنى الاعطاء فكانه قيل
وأَنَحْلُوا النِّسَاءَ مَدَقَاتَهُنَّ نَحْلَةً قَالَ السَّكَبِيُّ وَجَمَاعَةُ وَالْخَطَّابُ لِلْأُولِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ وَلِيَّ الْمَرْأَةِ
كَانَ إِذَا زَوَّجَهَا فَإِنْ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْعَشِيرَةِ فَلَمْ يُعْطَاهُمْ مِنْ مَهْرٍ هَشِيئاً وَإِنْ زَوَّجَهَا غَيْرِيَاءَ لَوْهَا
السَّهْلَ عَلَىٰ بَعِيرٍ وَلَا يُعْطَوْنَ مِنْ مَهْرٍ هَا غَيْرَ ذَلِكَ فَتَهَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الْحَقَّ
إِلَىٰ أَهْلِهِ (فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنِ شَيْءٍ مِنْهُ) أى الصداق وقوله تَعَالَىٰ (نَفْسًا) مَحْوَلٌ عَنِ الْفَاعِلِ أَيْ
أَنْ طَابَتْ نَفْسُهُنَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصَّدَاقِ فَوَهِينُهُ لَكُمْ (فَكَاوَهُ) أى تَخَذَوْهُ وَأَنْفَقُوهُ (هَنِيئاً)
أَيْ طَيِّباً (مَرِيئاً) أى مجروداً لما قبلة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة روى أن ناساً كانوا يأتون
أَنْ يَرْجِعَ أَحَدُهُمْ فِي شَيْءٍ يَمْسُقُهُ إِلَىٰ أَمْرٍ أَنَّهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ طَابَتْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِنْ غَيْرِ
إِكْرَامٍ وَلَا خُدَيْعَةٍ فَكَوَهُ هَنِيئاً مَرِيئاً قَالَ الرَّبُّ خَشِرَىٰ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ ضَبْطِ الْمَسْلُوكِ فِي ذَلِكَ
ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقبل فإن طبن ولم يقل فإن وهين
أَوْ سَمِعَ عَنْ أَعْلَامٍ أَنَّ الْمَرَأَةَ هُوَ تَجَانِي نَفْسَهَا عَنْ الْمَوْهُوبِ طَيِّبَةً وَعَنِ الشَّعْبِ أَنْ رَجُلًا أُنِيَ
مَعَ أَمْرٍ أَنَّهُ شَرِيحٌ بِحَالِ عَطِيَّةٍ أُعْطِيَتْهَا أَيَّاهُ وَهِيَ تَطْلُبُ أَنْ تَرْجِعَ فَقَالَ شَرِيحٌ رَدَّ عَلَيْهِمْ أَنْفَالَ
الرَّجُلِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ قَالَ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ قَالَ لَوْ طَابَتْ نَفْسُهَا عَنْهُ لِمَا رَجَعَتْ فِيهِ وَحَكِي
أَنْ رَجُلًا مِنْ آلِ أَبِي مَعِيضٍ أُعْطِيَتْهُ أَمْرٌ أَنَّهُ أَلْفٌ دِينَارٍ صَدَقَ أَهْلُهَا عَلَيْهِ فَلَبِثَ شَهْرًا ثُمَّ طَلَقَهَا
فَخَاصَمَتْهُ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ الرَّجُلُ أُعْطِنِي طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهَا فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَإِنْ
الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا وَلَا تَأْخُذْ وَأَمْنُهُ شَيْئاً أَرَدَدَ عَلَيْهِمْ عَنْ عَزْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ
قَضَاتِهِ أَنَّ النِّسَاءَ يُعْطِينَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً فَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أُعْطِيََتْ ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَذَلِكَ أَهْلُهَا
(وَلَا تُؤْتُوا) أَيُّهَا الْأُولِيَاءُ (السُّفَهَاءَ) أَيُّ الْمُبْذِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (أَمْوَالَكُمْ) أَيْ أَمْوَالَهُمْ
وَإِنَّمَا أُضِيفَ الْأَمْوَالُ إِلَىٰ الْأُولِيَاءِ لِأَنَّهُمْ فِي نَصْرِفِهِمْ وَتَحْتَ وِلَايَتِهِمْ وَقِيلَ نَهَىٰ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ
يَعْمَدَ إِلَىٰ مَا خَوَّلَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ فَيُعْطِيَهُ أَمْرٌ أَنَّهُ وَأَوْلَادُهُ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنَّمَا سَمِعْتُ سَفَهَاءَ
اسْتِخْفَافاً بِهَاطِلِهِمْ وَاسْتِجَاباً لِمَا جَعَلَهُمْ قَوَّاماً وَهَذَا أَوْفَقُ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ (الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) أَيْ
تَقْوَمُ بِمَصَالِحِكُمْ وَمَصَالِحِ أَوْلَادِكُمْ فَيَضَعُوها فِي غَيْرِ وَجْهِهَا وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يُقَوْلُ أَنَّ أَمْوَالَ
السُّفَهَاءِ الَّتِي مِنْ جِنْسٍ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَمَعَى اللَّهِ مَا بِهِ الْقِيَامُ قِيَامًا لِلْمَبَالِغَةِ وَقَدْ نَافَعَ
وَابْنُ عَامِرٍ قِيَامًا بِغَيْرِ أَلْفٍ بَعْدَ الْيَاءِ وَالْقِيمُ جَمْعُ قِيَةٍ مَا يَقْوَمُ بِهِ الْإِمْتِعَةُ وَالْبَاقُونَ بِالْأَلْفِ مَصْدَرُ قَامَ
(وَارْزُقُوهُمْ) أَيْ أَعْطُوهُمْ (فِيهَا وَكُسُومًا) فِيهَا وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِيهِ الْجَعْلُ لِلْأَمْوَالِ ظَرْفًا
لِلرِّزْقِ فَيَكُونُ الْإِنْفَاقُ مِنَ الرِّبْحِ لِأَمْنِ الْأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ الظُّرُوفُ بِأَنْ يَجْرُوا فِيهَا وَيَحْصُلُوا مِنْ
رَبْحِهَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَلَوْ قِيلَ مِنْهَا لَكَانَ الْإِنْفَاقُ مِنْ نَفْسِ الْأَمْوَالِ (وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

معروفاً) أي عدوهم عدة جيلة باعطائهم أموالهم إذا ارشدوا وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته
لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبه فهو منكرو
وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإذا غنمت في غزائي جعلت لك حظاً وقيل إن لم يكن ممن وجبت
عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل لا يختص ذلك بالاولياء بل هو أمر لكل
أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه بضيعه فيها
لا ينبغي ويفسده (وابتلاوا) أي اختبروا (اليساعى) في دينهم ونصرفهم بأن يختبروا وولد التاجر
بالبيع والشراء والمما كسبه فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على القوام بها والمرأة فب
يتعلق بالغزل والقطن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الامرء ونحوه
بالانفاق مدة في خبر ومها ولحم ونحوها كل ذلك هي العادة في مثله ويشترط تكرار الاختبار مرتين
أو أكثر بحيث يقيد غلبة الظن برشده ووقت الاختبار قبل البلوغ ولا بدع عقده بل يتحقق في
المما كسبه فإذا أراد العقد عقد الولي (حتى إذا بلغوا النكاح) أي صاروا أهلاً لتمامه بالنكاح وهو
استكمال خمس عشرة سنة تحديدية لغير ابن عمر رضي الله تعالى عنه عرضت على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم أحد وأما ابن أربع عشرة سنة فلم يرضى ولم يرضى بلانت وعرضت عليه يوم الخندق وأما ابن
خمس عشرة سنة فأجازني ورأى بلغت رواء ابن حبان رأسه في الصبيحين وأبداها من انفصال
جميع الولد قبل عرض عليه صلى الله عليه وسلم سبعة عشر من العداية وهم أبناء أربع عشرة
فلم يجزهم وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم وأما بخروج المتي في وقت امكانه وأقل
تسع سنين قرية تحديدية سواء أخرج في نوم أم بقلعة جامع أو غيره وتزويد المرأة على هذين
الامرئين الخيض لوقت امكانه وأقل تسع سنين قرية تفرينة في غرة فمها زن لابس حياء
وطهار والولادة لأنها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبلها بسنة أشهر وثني وأنبات شعر العانة
المتشن دليل للبلوغ في حق الكفار لاني في المسلمين ولا عبرة بأنبات شعر الابط واللعبة (فان
أنتم) أي أبصرتم (منهم رشدا) وهو صلاح الدين والمال أما صلاح الدين فلا يرتكب محرماً
يسقط العدالة من كبراً أو أصراً وعلى صغيرة ويعتبر في رشد الكافر دينه وأما صلاح المال
فلا يضيعه بالقائه في بحر أو يصر في محرم أو باحتمال الفتن الفاحش في المعاملة ونحوها
وليس صرفه في الخير بتبذير ولا صرفه في النياب والاطعمة النفيسة وشراء الجوارى والاستمتاع
بهن لأن المال يتخذ ليقع به نعم إن صرفه في ذلك بما يرق الاقتراض له حرم عليه (فادفعوا اليهم
أموالهم) من غير تأخير (ولأننا كلوها) أيها الاولاد وقوله تعالى (اسرفا) أي بغير حق
(وبدارا) حالاً أي مسرفين ومبادرين إلى انفاقها بخافة (أن يكبروا) رشداً فيلزمكم تسليمها
اليهم (ومن كان) من الاولياء (غنياً فليستف) أي يعف عن مال البتير ويعتق من أهله
(ومن كان فقيراً قلياً كل) منه (بالمعروف) أي بقدر الاقل من حاجته وأجره عليه كما مر
ولفظ الاستعفاف والإكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وزوي النسيان
وغيره أن يرجع لأقال النبي صلى الله عليه وسلم أن في مجرى يتيماً أفك كل من ماله قال بالمعروف

• (تنبيه) • ابرأ هذا التقسيم بعد قوله ولاتأثم لوها يدل على أنه منى للاغتناء منهم
 أن لا يأخذوا لانفسهم من أموال البتامي شيئا ولانقرء منهم أن لا يأخذوا منهم شيئا بغير المعروف
 كما أن قوله ولاتأثم كونه اسرافا ويدا أن يكبروا يدل على أنه منى للقرينين عن أكملها اسرافا
 ومبادرة لكبرهم (تأذافعهم اليهم) أى البتامي (أموالهم فأنشدوا) ندبا (عليهم) بانهم
 قبضوها فان الشهاد أنقى للتمسة وأبعد من الخصومة فقتاجون الى البيعة وهذا يدل على
 أن القيم لا يصدق في دعواه الدفع ولو أبا البيعة وهو مذهب الشافعي ومالك خلافا لابي حنيفة
 (وكفى بالله حسبا) أى حافظا لعماله خلقه ومحاسبهم (لرحال) أى المذكور (نصيب) أى حظ
 (مما ترك الوالدان والاقربون) أى المتوفون (ولنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
 مما قل منه) أى المال (أو أكثر) جعله الله نصيبا مفرضا) أى مقطوعا بتسليمه اليهم روى أن
 أوس بن ثابت الانصارى رضى الله تعالى عنه توفي وترك امرأته أم حكمة بضم الكاف والحاء
 المشددة وثلاث بنات له منها انقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيها سويد وعرفجة فأخذ اماله
 ولم يعطيا امرأته ولبناته شيئا وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير
 ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطى الامن قاتل وحاز النخبة فجاءت أم حكمة الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيج وهو بالضاد واغواه المجتمعين بموضع بالمدينة قيل
 لعله المسجد الذى كان يسكنه أصحاب الصفة لانهم كانوا يرضون فيه النوى فشكت اليه
 فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك على ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي
 ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عندي سويد وعرفجة لم يعطيا منى ولبناته شيئا وهن
 في حجرى لا يطعن ولا يسفن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولدها
 لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا يشكى عدوا فنزلت هذه الآية فأثبت لهن الميراث فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقربا من مال أوس شيئا فان الله جعل لبناته نصيبا مما ترك
 ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى بوصيكم الله في أولادكم فأعطى صلى الله
 عليه وسلم أم حكمة الفم والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا دليل على جواز تأخير البيان
 عن الخطاب (واذا حضر القسمة) للميراث (أولوا القرى) أى ذوو القرابة ممن لا يرث
 (واليتامى والمساكين فارقوهم) أى أعطوهم (منه) أى القسوم شيئا قبل القسمة تأمينا
 لقلوبهم ونصد قلوبهم وهو أمر مندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب واختلف العلماء
 في حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بآية الموارث كالوصية وعن سعيد بن جبيران
 ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنكم اعماهاون بها الناس (وقولوا لهم قولوا ما معروفنا)
 وهو أن يدعوا اليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والضعى أدركا الناس
 وهم يصنعون على القربات والمساكين واليتامى من العبد يمنان الذهب والورق فاذا قسم
 الذهب والورق وصارت القسمة الى الاقربين والرفيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولوا ما معروفنا كان
 يقولون ببول قبكم (ويخسر) أى يخلف صلى الله عليه وسلم (الذين لو تركوا) أى قاربوا أن

يتركوا (من خلفهم) أي بعدموتهم (ذرية ضعافاً) أي أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) أي الضياع (فليتقوا الله) في أمر اليتامى وغيرهم وليأثروا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريعتهم من بعدهم (وليقولوا) أي للمريض (قولاً سديداً) أي عدلاً وصواباً بأن يأمره أن يصدق بدون ثلثه ويترك الباقي لورثته ولا يتركهم عالة وذلك أنه كان إذا حضر أحدهم الموت يقول له من يحضره انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغفون عنك شيئاً قدم لنفسك اعتق ونصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يحجب ورثته (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي بغير حق (انما يأكلون في بطونهم ناراً) أي مل بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال الشاعر * كوافي بعض بطنكم تعفوا * ومعنى يأكلون ناراً يأكلون ما يجزأ إلى النار فكأنه ناري الحقيقة روى أنه يبعث كل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأفعه وأذنيه وعينه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليله أسرى بنى قوما لهم مشافر كشافر الأبل أحداهما قالصة على منخره والآخرى على بطنه وخزنة النار باقمونهم بجر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً (وسيعلمون سعيراً) أي ناراً شديدة تجترقون فيها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الياء والباقون بالغ (يوصيكم الله) أي يأمركم (في أولادكم) أي في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا الجمل تفصيله (لذكر) منهم (مثل حظ) أي نصيب (الانثيين) إذا اجتمعن معهن فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معهن واحدة فلهما الثلث وله الثلثان وانما فضل الذكر على الانثي لاختصاصه بالزوم ما يلزم الانثي من الجهاد وتحمل الديّة وغيرهما وله حاجتان حاجة لنفسه وحاجة لزوجه والانثي حاجة واحدة لنفسها بل هي غالباً مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها ولكن لما علم الله تعالى احتياجها إلى النفقة وإن الرغبة تقل فيها إذا لم يكن لها مال جعل لها حظاً من الارث وابطل حرمان الجاهلية لها (فان قيل) هلا قبل للانثيين مثل حظ الذكر وللانثي نصف حظ الذكر (أجيب) بأنه انما بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما هو مذهبنا من ذلك ولا نقوله لذكر مثل حظ الانثيين قصد إلى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الانثي وما كان قصداً إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان وكان في ابتداء الاسلام بالهاتفة قال تعالى والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الوراثه بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك كله بالآية الكريمة واختلف في سبب نزولها فن جابر قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لأعقل فتوضأ وأصب على من وضوئه ففعلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كذالة فنزلت وقال مقاتل والكاتب نزل في أم كعبه امرأة أو من بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك

امرأة وبتين وأخاف أخذ الاخ المال فأنت امرأه أسعد الى النبي صلى الله عليه وسلم بانتي سعد
فقلت يا رسول الله ان هاتين اغتاسعد وان سعد اقل يوم أحد شهيد او ان عههما أخذهما لهما
ولا ينسكحان الاولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي ففعل الله سقضي في ذلك فزلت
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عههما وقال أعطاني سعد الثلثين وأتمهما الثمن وما بقي
فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام وكأته قيل كني الذكور أن ضعف لهم نصيب
الاناث ولا يضارون في حظهن حتى يحرم من مع ادلائهن مع القرابة مثل ما دلون به (فان قيل)
حظ الانثيين الثلثان فكأته قيل للذكر الثلثان (أجيب) بأن المراد حالة الاجتماع كما رأنا في
حالة الانفراد فالاب يأخذ المال كله والبتان يأخذان الثلثين والدليل على ان الفرض حكم
الاجتماع أنه اتبع حكم الانفراد بقوله تعالى (فان كن) أي ان كان الاولاد (نساء) خلفه ليس
معهن ذكر وأنثى الضمير باعتبار الخبر وعلى تأويل المولودات وقوله تعالى (فوق اثنتين) خبر ثان
أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فان قيل) قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين كلام
مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صرح أن يردف قوله فان كن
نساء وهو لبيان حظ الاناث (أجيب) بأنه وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا أنه لما علم منه
حظ الانثيين مع أخيهما كان كأته مسوق للامرين جميعا فذلك صرح أن يقال فان كن نساء
(فلهن مثل ما ترك) أي المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت) أي المولودة (واحدة فلها
النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع على كان التامة والباقيون بالنصب على كان الناقصة
واختلف في ميراث الانثيين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حكمهما حكم الواحدة لانه
تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقيون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لم يبين أن حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان مع اثني وهو الثلثان اقضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما
أوهم ذلك أن يراد النصيب بزيادة العدد كذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
ذلك ان البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيهما الاولى والاحرى أن تستحقه مع
أخت مثلهما ويؤيده أيضا ان البنيتين أمس وحامن الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما
الثلثان مما ترك وقيل فوق صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق
البنيتين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (ولا يوبه) أي الميت وقوله تعالى (لكل واحد منهما
السدس مما ترك) يدل بعض من كل فالسدس مبتدأ ولا يوبه خبر وفائدة البدل دفع توهم أن
يكون للاب ضعف ما للام أخذ من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وبهذا اندفع كما قال
التفتازاني ان البدل ينبغي أن يكون بحيث لو أسقط استقام الكلام معنى وهنا قيل لا يوبه
السدس لم يستقم هذا (ان كان له) أي الميت (ولد) ذكر أو غيره والحق بالولد والابن وبالاب
الجد (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) أي فقط بقرينة المقام (فلامه الثلث) مما ترك وانما يلزم
حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث أبواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأته قال
فلهما ما تركا اثنان ولو كان معهما أحد الزوجين كان لهما ثلث ما بقي بعد فرضه كما قال الجوهري

لاثالث المال كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه فإنه ينفذ الى تفضيل الانثى على الذكر
 المساوي لها في الجهة والقرب وهو كما قال البيضاوي خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة)
 أي اثنان فصاعد اذكوراً وأناث كما عليه الجمهور (فلا تمه السدس) والباقي للاب ولانثى
 للاخوة وقال ابن عباس لا يجب الاتم من الثلث الى السدس الاثلاثة اخوة اذكوراً أخذوا بظاهر
 اللفظ واطلاق اللفظ يدل على أن الاخوة يرذونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرون مع
 الاب شيئاً وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنهم يأخذون السدس الذي يجبوا عنه الاتم
 وقرأ حجة والكسافي في الوصل فلا تمه بكسر الهمزة فزاراً من ضمة الى كسرة لثقله في الموضعين
 والباقيون يضعها وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قصة
 الموارث كلها أي هذه الانصاف للورثة من بعد وصية أو ودين وانما عبر بأودون الوارث للدلالة
 على أنهم متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين (فان قيل) لم تقدمت
 الوصية في الذكر على الدين مع انه متأخرة في حكم الشرع عنه (أجيب) بأنهم لما كانت شاقبة
 على الورثة لكونهم مأخوذة بلا عوض وهي مستحقة لكل مكلف بحسب لاف الدين فانه لا يكون
 على كل مكلف فقد تمت لذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة يوصي بفتح الصاد ووافقهم حفص
 على فتح الصاد في الحرف الثاني والباقيون بكسر الصاد فيهما وقوله تعالى (أبائكم وأبناؤكم)
 مبتدأ خبره (لا تدرسون أيهم أقرب لكم نفعا) أي لا تعملون من أنفع لكم من يرثكم من
 أصولكم وفروعكم في عاجلكم وأجللكم فذلك من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له
 منكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له وانما العالم بذلك هو الله تعالى وقد بر
 أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس أطوعكم الله من الآباء والابناء ورفعكم درجة
 يوم القيامة والله يرفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع اليه
 ولده وان كان الوالد أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله أن يرفع اليه فيرفع بشفاعته
 (فريضة) أي ما قد روي الموارث فرض فريضة (من الله ان الله كان عليماً) بامور عباده
 (حكيماً) فيما قضى وقد رأى لم يزل متصفاً بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن
 ولد) ذكر أو غيره منكم أو من غيركم (فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
 يوصين بها أو دين) وولد الابن في ذلك كالولد اجاعاً (ولهن) أي الزوجات تعددن أولاً (الربع
 مما تركن ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد) منهن أو من غيرهن (فلهن الثمن مما تركن من
 بعد وصية يوصون بها أو دين) وولد الابن كالولد في ذلك اجاعاً فقد فرض للرجل بحق العقد
 الصحيح ضعف مال المرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة وارثن اشتركا في الجهة
 والقرب من الميت ولا يستثنى من ذلك الأولاد الام والمعتق والمعتقة (وان كان رجل) أي
 الميت (يورث) أي منهن ورث صفة رجل وخبر كان (كلالة) أو يورث خبر كان وكلالة من
 الضمير في يورث واختلفوا في الكلالة فذهب أحد ثرا العديلة الى أنهن امن لاولده ولا والد قال
 الشعبي سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الكلالة فقال اني سأقول فيها برأيي فان كان

صواباً فمن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اني لا استحي من الله ان أرتد شيئاً قاله أبو بكر وذهب طائوس ان الكلالة من لادله وهي احدى الروايتين عن ابن عباس وأحد القولين عن عبد الله بن عمر وسأل رجل عقيقة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا سألني وما أضل بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ما أضلت بهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلاث لأن يكون النبي يبينهن لنا أحب اليامن الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا وقال سعيد بن أبي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اني لأدع بعدى شيئاً هم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلط لي في شيء ما أغلط فيه حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يا عمر ألا يكفئك آية الصنف التي في آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن وقوله ألا يكفئك آية الصيف أراد أن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين أحدهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليه وقوله تعالى (أو امرأة) عطف على رجل أى أو امرأة تورث كلاله (وله) أى الرجل (أخ وأخت) واكتفى بحكم الرجل عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ويصح أن يعود الضمير على المورث الكلالة فيشمل الرجل والمرأة فلكل واحد منهما السدس وقد أجمعوا على أن المراد به الاخ والاخت من الام (فان كانوا) أى الاخوات من الام (أو كثرن ذلك) أى من واحد (فهم شركاء في الثلث) يستوى فيه ذكورهم واناثهم لان الاداء لبعض الاقربة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) وقوله تعالى (غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث وعن قتادة كره الله الضرر ارفى الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وقوله تعالى (وصية من الله) مصدر مؤكد ليوصيكم أى يوصيكم بذلك وصية كقوله نويضة من الله (والله عليم) بما دبر من خلقه من الفرائض (حليم) بتأخير العقوبة عن خافه (تنبيه) * خصت السنة توريث من ذكر بن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق (تلك) أى الاحكام المذكورة في أمر البناتى والوصايا والموارث (حدود الله) أى شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا تعدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكامه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائد غدا (وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله (ويعد حدود) أى الله (يدخله ناراً) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال كبر وترو لا يجوز أن يكون خالد بن خالد اصفتين لجنات وترو لانهم ما جرى على غير من همالة فلا بد من الضمير وهو قولك خالد بن هم فيه والها هو فيه اهدا على مذهب البصريين أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عنداً من اللبس كما هنا وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره (وله عذاب مهين)

أي ذواته ورعى في الضمائر في الآية بين لفظ من وفي خالدين معناها وقرأ أنافع وابن عامر
 ندخله جنات وندخله نار بالنون فيها على الالتفات والباقون بالياء (واللآتي يأتي الفاحشة)
 أي الزنا (من نسألكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي من رجال المسلمين وهذا خطاب
 للحكام أي فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود
 (فان شهدوا) عليهن بها (فأسكنوهن) أي احبسوهن (في البيوت) واجعلوها
 سجنالهن وامنعوهن عن مخالطة الناس وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون
 بكسرهما (حتى يوفاهن الموت) أي ملائكته (أو) إلى أن (يجعل الله لهن سبيلا) أي طريقا
 إلى الخروج منها أمر وابدلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلا يجاد البكراته وتقر بهما عما
 ورجم المصنعة وفي الحديث لما بين الحديث قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا رواه
 مسلم (والذان) أي الزاني والزانية وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (يأتينها)
 أي فاحشة الزنا (منكم) أي الرجال (فأذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) أي
 منها (وأصلما) أي العمل (فأعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا) على من تاب
 (رجيا) به وهو علة الأمر بالأعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحدثة روى ابن مسعود
 عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما أخبرا أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله اقض بيننا بكاب الله وأذن لي أن أتكلم فقال إن ابني كان عسيقا على هذا فزني
 يا رسول الله فاقض بيننا بكاب الله وأذن لي أن أتكلم فقال إن ابني كان عسيقا على هذا فزني
 بأمر أنه فآخبروني أن علي ابني الرجم فاقضت منه جماعة شاة ويجارية لي ثم أتتني سألت أهل العلم
 فآخبروني أن ما علي ابني جلد مائة وتغريب سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا أقضي بينكما بكتاب الله أما غمك وجاريك فرد عليك
 وجلد ابنة مائة وغزبه عاما أي لانه كان غير محصن وأمر أن يسأل الأسلي أن يأتي امرأته الآخر
 فان اعترفت برجمها فاعترف برجمها وروى ابن عباس عن عمر رضي الله تعالى عنهم أنه قال إن
 الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها
 ورعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشي أن طال بالناس زمان أن
 يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضأوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب
 الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الاعتراف ووجه حسد
 الزنا أن الزاني إذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحزنية
 والاصابة بالكاح الصحيح فخذ الرجم مسلما كان أو ذميا وعند أبي حنيفة أن الإسلام من
 شرائط الإحصان فلا يرمي عنده الذمى ويرد ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
 رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وان كان الزاني غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف
 نظر ان كان غير بالغ أو مجنون أو فلاحده عليه وان كان حرا عاقلا بالغ غير أنه لم يصب بشكاح صحيح
 فعليه جلد مائة وتغريب عام وان كان رقيفا فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام ومثل الزنا

اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه ~~لم يكن~~ المفعول به لا يرجع عليه وان كان محصنا بل
 يجلد ويغزب وقيل نزلت آية والافق يأتيان الفاحشة في المساحقات وآية واللذان يأتيانها
 منكم في اللواطين (انما التوبة على الله) أي ان قبول التوبة كالتحريم على الله تفضلا منه
 بمقتضى وعده لانه تعالى وعد بقبول التوبة فاذا وعد شيئا لا بد أن ينجز وعده لان الخلف في وعده
 سبحانه وتعالى محال (الذين يعملون السوء) أي المعصية وقوله تعالى (بجهالة) في موضع
 الحال أي يعملون السوء جاهلين أي سقها فان ارتكاب الذنب عمدا وعلية السقفة والشهوة
 لا مائدة وعلية الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع أي يخرج
 من جهالة وقال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصى به الله
 فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله تعالى فهو جاهل (ثم يتوبون من) ذنن (قريب)
 أي قبل أن يغفر الله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم ان
 الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر رواه الترمذي وحسنه وعن عطاء ولوقيل موته بفواق ناقة
 وعن الحسن ان ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لأفارق ابن آدم مادام روحه في
 جسده فقال وعزني وجلالي لا أغلق عليه باب التوبة مالم يغفر والغفر عز قد الروح في الخلق
 * (تبينه) معنى من في قوله تعالى من قريب التبعية أي يتوبون بهن بعض زمان قريب كأنه معنى
 ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لان أمد الحياة قريب الله تعالى قل منافع
 الدنيا قليل ففي أي جزء من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والاف هو تائب من بعيد
 (فاولئك يتوب الله عليهم) أي يقبل توبتهم (فان قيل) ما فائدة ذلك بعد قوله تعالى انما
 التوبة على الله (أجيب) بأن ذلك وعد بالوفاء بما وعده وكتبه على نفسه كما يعد العبد الوفاء
 بما عليه (وكان الله عليما) بخلقهم (حكيم) في صنعهم بهم (ولست التوبة للذين يعملون السيمات)
 أي الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) أي أخذ في النزح (قال) عندهم شهادة ما هو فيه
 (التي نبت الان) حين لا يقبل من كفر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
 لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه العرق (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي
 اذا تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى سبحانه وتعالى
 بين الذين سوفوا توبتهم الى حضور الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضور
 الموت اقل أحوال الآخرة فكذلك المصرون على الكفر قد فاتتهم التوبة على اليقين فكذلك
 المسوف الى حضور الموت لمجاوزة كل منها أو ان التكليف والاختيار وقوله تعالى (اولئك أعدنا
 لهم عذابا ليليا) أي ولما كنا كيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب أعد لهم لا يحجز عذابهم
 متى شاء والاعتماد التمسك من العناد وهو العدة وقيل أصله أعدنا بأبدلت الدال الاولى تاء
 (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أي ذواتهن (كرها) نزلت في أهل المدينة كانوا
 في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة ولرجل عسبة وألقي توبه على امرأة
 الميت أو على خباثتها صار أحق بهما من نفسها ومن غيرها ثم ان شاء تزوجها بصدائها الأول وان

شاهزوجه غيره وأخذ صداقتها وان شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفقدى منه بما
ورثته من الميت أو قوت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها صفة الميت
ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا على هذا حتى توفي أبو القيس بن الاسلم الانصاري وترك امرأته
فقام ابن له من غيرها فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها
لتفقدى نفسها منه فأثمت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث
نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخرجني سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقعدى في بيتك حتى يأتي أمر الله فأئز الله تعالى هذه الآية وقرا جزء والكسائي بضم
الكاف والباقون بفتحها قال الكسائي وهذه ما لغتان وقال القراء الكسري بالفتح ما كره عليه
وبالضم المشقة وقوله تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيهوهن) عطف على أن ترؤوا أي
لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بما سأكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا لذهبوا ببعض
ما آتيهوهن من المهر وقيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي انه خطاب
للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المرأة وهو كاره محبتها ولها عليه مهر فيضارها
لتفقدى وترد إليه ماساق اليها من المهر فنهى الله تعالى عن ذلك قال الزمخشري والعضل الحبس
والضيق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رجها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الأن يأتي
بفاحشة مبنية) كالزنا والانشوز وسوء العشرة فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليقدين منكم قال
عطاء كان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها فندسخ ذلك
بالحدود وقرا ابن كثير وشعبة بفتح الياء المثناة تحت والباقون بالكسر وقوله تعالى (وعاشروهن
بالمعروف) قال الحسن رجع الى قول الكلام يعني وآتوا النساء صداقاتهن ثلثة وعاشروهن
بالمعروف وهو النصقة في الميت والنفقة والاجال في القول وقيل هو أن يصنع لها كما
تصنع له (فان كرهتموهن) فاصبروا ولا تفارقوهن (فعسى أن ينكرها أو شيئا ويجعل الله فيه
خبراً كثيراً) أي فرعاً كرهت النفس ما هو أصح في الدين وأجد وأدنى الى الخير وأحب
ما هو بضد ذلك ولكن تطورك ما هو أصح للدين وأدنى الى الخير فاعل أن يرزقكم الله تعالى منهن
ولدا صالحاً أو يعطفكم الله عليهن وقد بينت الآية جواز مسالة المرأة مع الكراهة لها ونهت
على معنيين أحدهما ان الانسان لا يعلم وجوه الصلاح والشر ان الانسان لا يكاد يجد محبوباً
ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره لما يحب وأنشدوا في هذا المعنى

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه ميت وهو عائب

ومن يتبع جاهداً كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

ولما كان الرجل اذا طمعت عينه الى اسد تطاراف امرأته بالحقته ورماها بفاحشة حتى
يلجئها الى الاقدام منه بما أعطاها الصبر فله الى زوج غير هازل (وان أردتم استبدال زوج
مكان زوج) أي أخذها بدلها بأن طلقوها (و) قد (آتيتم أحداهن) أي الزوجات (قنطاراً)
أي مالا كثيراً صداقاً (فلاتأخذوا منه) أي القنطار (شيئاً) وقوله تعالى (أناخذونه بهتانا)

أى ظلمنا (واغما مينا) أى ينال أى تأخذونه باهين وآمين وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه
 قام خطيباً فقال أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله
 لكان أولاً كم بهار. ولله صلى الله عليه وسلم ما صدق امرأته من نسائه أكثر من اثنتي عشرة
 أوقية فقامت إليه امرأته وقالت لها يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقنا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتينهم
 احساناً قطاراً فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أعلم من مهر ثم قال لا صحابه يسمعوننى أقول
 مثل هذا القول ولا تنكروني على حتى ترد على امرأته لست من أعلم النساء وقوله تعالى (وكيف
 تأخذونه) استفهام توبيخ وانكار أى تأخذونه بأى وجه (وقد أفضى) أى وصل (بعضكم إلى
 بعض) بالجماع المقتر بله مهر وكفى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو الوصول إلى الشيء من غير
 واسطة تعلماً للعبادة لانه مما يستحي منه (وأخذن منكم ميثاقاً) أى عهداً (غليظاً) أى شديداً
 وهو ما أخذته الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى
 الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
 وقد قيل صحبة عشرين يوماً قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ولما توفى
 أبو قيس وكان من صالحى الانصارى خطب ابنه قيس امرأته أياه وكان أهل الجاهلية
ينكحون أزواج آبائهم فقالت انى أعدلك ولدا وأنت من صالحى قومك وليكنى أبى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أسماً مره فأتته وأخبرته بذلك فنزل (ولانكحوا ما نكح آبائكم من النساء)
 وانما عبر بمبادون من لانه أريد به صفة ذات معينة وهى كونهن منكم ككوحات الآباء وقيل
 ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء من المعنى
 اللازم للنهي فكانت قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آبائكم اما قد سلف أو من اللفظ
 للمبالغة في التحريم والمعنى لاتنكحوا احداً من آبائكم اما قد سلف ان أمكنكم أن تنكحوه
 ولا يمكن ذلك والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحتها كإيصالها بالمال في التأيد في
 فهو قوله تعالى حتى يبلغ الجمل فى سم الخياط أو منقطع أى لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك فانه
 ممنوع عنه وقوله تعالى (انه) أى نكاحهن (كان فاحشة ومقتناً) غلة للنهي أى انه فاحشة
 فكان مزيدة أى فيها عند الله تعالى ما رخص فيه لانه من الامم محمودة عند ذوى المروآت من
 الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أياه الملقى ويسمى به الرجل
 المذكور أيضاً قال فى القاموس نكاح المقت أن يتزوج امرأة أياه بعده فالمقت ذلك المتزوج أو
 ولده أى ومن ثم قيل ومقتاً كانه قبل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح محموت فى المروأة
 ولا مزيدة على ما يجمع القبحين (وساء) أى بئس (سبيلاً) أى طريقاً لذلك روى عن البراء بن عازب
 أنه قال مرتبى خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب فقال بعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 رجل تزوج امرأة أياه بترأسه * واعلم أن أسباب التحريم المؤبد ثلاثة قرابة ورضاع
 ومصاهرة وضابط المحرمات بالنسب والرضاع أن يقال تحرم نساء القرابة الامن دخلت تحت
 ولد العمومة أو ولد الخولة وقديداً الله بالسبب الاول وهو القرابة فقال (حرمت عليكم)

أمهاتكم) أي العقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من
 تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله والامتهات
 جمع أم وأصلها أممة قاله الجوهري وضابط الأم هي كل من ولدتك فهي أمك حقيقة أو ولدت
 من ولدك ذكرًا كان أو أنثى كأم الأب وإن علت وأم الأم كذلك فهي أمك مجازًا وإن شئت
 قلت هي كل أنثى ينتهي اليها نسبك (وبنائكم) جمع بنت وضابطها هو كل من ولدتها فهي بنتك
 حقيقة أو ولدت من ولدها ذكرًا كان أو أنثى كبنت ابن وإن نزل وبنت بنت وإن نزلت فبنتك
 مجازًا وإن شئت قلت كل أنثى ينتهي اليك نسبها وخرج بالفتى الخلوقة من ماء زنا الرجل فإنها
 تحمل له لأنها أجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تنبعض الاحكام ويحرم على المرأة ولدها
 من زنا بالاجماع كما أجمعوا على أنه برتها والفرق أن الابن كالعوض منها وانفصل منها انسانا
 ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للأب (وأخواتكم) جمع أخت وضابطها هو
 كل من ولدها أبو الك أو أحدهما فهي أختك (وعمتكم) جمع عمة وضابطها هو كل من هي
 أخت ذكر ولدك بلا واسطة نعمتك حقيقة أو بواسطة كعمة أهلك نعمتك مجازًا وقد تكون
 العمة من جهة الأم كاخت أم الأم (وخالاتكم) جمع خالة وضابطها هو كل من هي أخت أنثى
 ولدتك بلا واسطة خالتيك حقيقة أو بواسطة كخالتيك مجازًا وقد تكون الخالة من
 جهة الأب كاخت أم الأب (بنات الأخ وبنات الاخت) من جميع الجهات وبنات أولادهم
 وإن سفلن ثم نبي بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال (وأمتهاكم التي أرضعتكم) وضابط
 أمك من الرضاع هو كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من
 ولدك بواسطة أو غيرها أو ولدت مرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفعل بواسطة
 أو غيرها فأم رضاع (وأخواتكم من الرضاعة) وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمك
 أو أرضعت بلبن أهلك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفعل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع
 نحسب الصحابي يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم
 من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع هو كل
 أنثى أرضعت لبنتك أولبن من ولدتها بواسطة أو غيرها أو أرضعتها امرأة ولدتها بواسطة
 أو غيرها وكذا بناتها من نسب أو رضاع وإن سفلن وضابط عمة الرضاع هو كل أخت للفعل
 أو أخت ذكر ولد الفعل بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط خالة الرضاع هو كل
 أخت للرضعة أو أخت أنثى ولدت المرضعة بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط
 بنات الأخوة وبنات الأخوات من الرضاع كل أنثى من بنات أولاد المرضعة والفعل
 من الرضاع والنسب وكذا كل أنثى أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وبناتها وبنات
 أولادهم من نسب أو رضاع وإنما شئت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل
 استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لقوله صلى الله
 عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

لإرضاع الاما أنشأ العظم وأثبت اللبعم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الأكثرين لاقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انقصاله والشرط الثاني
ان توجد خمس رضعات متفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت فيما أنزل
الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرؤها من لم يبلغه نسختها فقد نسخت تلاوتها
وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قليل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب واليه ذهب سفیان النوري ومالك
والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى الأول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المصة من الرضاع والمصتان ثم نالت بالسبب الثالث وهو النكاح فقال تعالى (وأمتها
نساءكم) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل بزوجه أم لا لاطلاق الآية
(وربائبكم) جمع وبيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسميت وبيبة لانه يربها كما يرب ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه وسميت بذلك وان لم يربها وقوله تعالى (اللاتي في حجوركم) أي تربونهن صفة
موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نساءكم اللاتي دخلتم بهن) أي جامعتهن سواء كان
ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في
نكاح بناتهن اذا فارقهن (فان قيل) لم أعيد الوصف الى الجلة الثانية ولم يعد الى الجلة
الاولى وهي وأمتها نساءكم مع أن الصفات عقب الجلة تعود الى الجميع (أجيب) بأن نساءكم
الثاني مجرور بحرف الجز ونساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجز الاتباع
وتعين القطع واعتراض بأن المعمول الجز وهو واحد (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد
وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو مات قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم
بنتها لان ذلك لا يسمى دخولا وان تردد في الروايات (فان قيل) لم لم يعتبر الدخول في تحريم أصول
البنت واعتبر في تحريمها الدخول (أجيب) بأن الرجل يتلى عادة بمائة أمته عقب العقد
لترتيب أموره فحرمت بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم ثبت
المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المنقبة باللعان وان لم يدخل بأمتها لانها لا تنقضي عنه قطعا
(وحلائل) أي أزواج (أبتائكم) واحدهما حليلة والذكر حليل مما بذلك لان كل واحد منهما
حلال لصاحبه وقيل مما بذلك لان كل واحد يعمل إذا رصاحبه من الحلل وهو ضد العقد وقوله
تعالى (الذين من أصلابكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناها فان
النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لانه حليلة
ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبنائه الولدان سفلوا (تنبيه) كل امرأة
تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة
بشبهة أو جارية بملك اليمين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابنه

أمهاتكم) أي العقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من
تحريمهن كإفهام من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله والامتهات
جمع أم وأصلها أمته قاله الجوهري وضابط الأم هي كل من ولدتك فهي أمك حقيقة أو ولدت
من ولدك ذكرا كان أو أنثى كأم الأب وإن علت وأم الأم كذلك فهي أمك مجازا وإن شئت
قلت هي كل أنثى ينتهي إليها نسبك (وبناتكم) جمع بنت وضابطها هو كل من ولدتها فهي بنتك
حقيقة أو ولدت من ولدها ذكرا كان أو أنثى كبنات ابن وإن نزل وبنت بنت وإن نزلت فبنتك
مجازا وإن شئت قلت كل أنثى ينتهي اليك نسبها وخرج بالفتى المخلوقة من ماء زنا الرجل فانها
تحل له لانها أجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تتبع بعض الاحكام ويحرم على المرأة ولدها
من زنا بالاجماع كما أجمعوا على أنه يرثها والفرق أن الابن كالعص وممن وانفصل منها انسانا
ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للأب (وأخواتكم) جمع أخت وضابطها هو
كل من ولدها أبواك أو أحدهما فهي أختك (وعمتكم) جمع عمة وضابطها هو كل من هي
أخت ذكرك ولدتك بلا واسطة فعمة أمك حقيقة أو بواسطة كعمة أهلك فعمةك مجازا وقد تكون
العمة من جهة الأم كاخت أمي الأم (وخالاتكم) جمع خالة وضابطها هو كل من هي أخت أمي
ولدتك بلا واسطة لخالتك حقيقة أو بواسطة كخالة أمك لخالتك مجازا وقد تكون الخالة من
جهة الأب كاخت أم الأب (بنات الاخ وبنات الاخت) من جميع الجهات وبنات أولادهم
وإن سفلن ثم نفي بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال (وأمتهاكم اللاقي أرضعتكم) وضابط
أمتك من الرضاع هو كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من
ولدتك بواسطة أو غيرها أو ولدت مرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفعل بواسطة
أو غيرها فانهم رضاع (وأخواتكم من الرضاعة) وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمك
أو أرضعت بلبن أهلك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفعل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع
نسب الرضاعة يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم
من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع هو كل
أنثى أرضعت لبنك أو لبن من ولدتك بواسطة أو غيرها أو أرضعتها امرأة ولدتها بواسطة
أو غيرها وكذلك بناتها من نسب أو رضاع وإن سفلن وضابط عمة الرضاع هو كل أخت للفعل
أو اخت ذكرك ولدتك بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط خالة الرضاع هو كل
أخت للرضاعة أو أخت أنثى ولدت المرضعة بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط
بنات الاخوة وبنات الاخوات من الرضاع كل أنثى من بنات أولاد المرضعة والفعل
من الرضاع والنسب وكذا كل أنثى أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وبناتها وبنات
أولادها من نسب أو رضاع وانما ثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل
استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما اتفق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

لإرضاع الاما أنشر العظم وأثبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا والقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الاكثرين لاقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انقصاله والشرط الثاني ان توجد خمس رضعات متفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت فيما أنزل الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرؤها من لم يبلغه نسختها فقد نسخت ثلاثون وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعد بن المسيب واليه ذهب سفيان النوري ومالك والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى الاول قوله صلى الله عليه وسلم لم لا تحرم المصة من الرضاع والمصتان ثم نلت بالسبب الثالث وهو **الفكاح** فقال تعالى (وأتمهات نسائكم) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل بزوجه أم لا لاطلاق الآية (وربائبكم) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسيت ربيبة لانه يربيهما كما يربي ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه وسيمت بذلك وان لم يربيهما وقوله تعالى (اللاتي في مجوركم) أي تربونهن باسفة موافقة للغالب فلام مفهوم لها (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أي جامعتهن سواء أكان ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في **فكاح** بنائهن اذا فارقتهن (فان قبل) لم أعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة الاولى وهي وأتمهات نسائكم مع أن الصفات عقب الجمل تعود الى الجميع (أحب) بأن نساءكم الثاني مجرور بحرف الجز ونساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجب زال اتباع وتعين القطع واعترض بأن المعدول الجز وهو واحد * (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو ماتت قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم بنتها لأن ذلك لا يسمى دخولا وان تردد في الرواين (فان قبل) لم لم يعتبر الدخول في تحريم أصول البنات واعتبر في تحريمها الدخول (أحب) بأن الرجل يتلى عادة بمائة أمهات عقب العقد لترتيب أموره فحرمت بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم ثبت المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المنقبة بالاعان وان لم يدخل بأمتها لانها لا تنقضي عنه قطعا (وحلائل) أي أزواج (أبناؤكم) واحدة حاليلة والذكر حليل مما بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل مما بذلك لان كل واحد يعمل اذا رصاحبه من الحل وهو ضد العقد وقوله تعالى (الذين من أصلا بكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لانه حليلة ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبناء الولدان سنلوا * (تنبيه) كل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة بشبهة أو جارية بملك اليمين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابند

ولوزي بامرأة لم تحرم أمها ولا بنتها على الزاني ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنه كما قاله ابن عباس وأبيه ذهب مالك والشافعي - وذهب قوم إلى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وهو قول أصحاب الرأي وهذا المباشرة بشهوة كلس وقبلة كالوطء في تحريم الزانية فيه قولان أحدهما وهو الأصح من مذهب الشافعي - لأن ذلك لا يوجب العدة فكذلك لا يوجب الحرمة والثاني نعم لأن ذلك كالوطء يجامع التلذذ بالمرأة ولأنه استمتاع يوجب القدبة على المحرم فكان كالوطء وبهذا قال جمهور العلماء * ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ) أي ولا يجوز للرجل أن يجمع بين أختين في نكاح سواء كانتا من نسب أم رضاع سواء أنكحهما معا أم متربعا فإذا أنكح امرأة ثم طلقها بائنا جازله نكاح أختها وخرج بالجمع في النكاح الجمع بملك اليمين فإنه جائز لكن لا يجوز أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ أحدهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحترم الأولى على نفسه ويطلق بالأختين بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وأختها من نسب أو رضاع ولو بوطء أسقطه قال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمه على بنت أختها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها ولا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى رواه الترمذي وغيره وصححه وموافقه من قطيعة الرحم وإن رضيت بذلك فإن الطبع يتغير وإليه أشار صلى الله عليه وسلم في خبر النهي عن ذلك بقوله أنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهم كما رواه ابن حبان وغيره وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواما هو كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت أحدهما ذكرا حرم الجمع بينهما بنكاح أو وطء بملك اليمين وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء عن لازم المعنى وهو المؤاخذه فكانه قال تعالى فواخذون بذلك الاما قد سلف قبل النهي فلا تؤاخذون به أو تقطع أي لكن ما قد سلف من نكاح بعض ما ذكرناه مغفولosكم ويؤيد هذا قوله تعالى (إن الله كان عفورا) لما سلف منكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك وقرأنا نافع وابن كثير وابن عاصم من رواية ابن ذكوان وعاصم باظهاره دال قد عند السنين والباقيون بالادغام (و) حرمت (المحصنات) أي ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن سواء كن حرائر أم لا مسلمات أم لا قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فترجوهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استنق فتال (الاما ملكت أيمانكم) أي من الاماء السبي فلكم وطوهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجهما قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين ففكر هو غشيانهم وتخرجوا فأنزل الله هذه الآية * (فائدة) * قرأ الكسائي جميع ما في القرآن من لفظ المحصنات ومحصنات بكسر الصاد لا هذا الحرف فإنه وقع الصاد موافقة للجمع ووجه تسميتهن بذلك لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات بالكسر في غير هذه الآية وقوله تعالى (كتاب الله) مصدر مؤكل لمضمون الجملة التي

قبله وهي حرمت عليكم الخ أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتاباً وقوله تعالى (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله إذا قرئ بالبناء للفاعل كما قرأ غير حفص وحجة والكسائي وأما هم فقرؤوه بالبناء للمفعول عطف على حرمت (ما وراء ذلكم) أي سوى ما حرم عليكم من النساء وقوله تعالى (ان يتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن يتغوا أي تطلبوا النساء بأموالكم التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين أي مترشحين غير مسافحين أي زانين لثلاث نهيوا أموالكم وتفقرروا أنفسكم فيما لا يصلح لكم فحصر وأدنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحسان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المسقى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحين ما ذين من المندى والأموال المهور وما يخرج من المناكح * (تنبيه) * يجوز أن يكون مفعول يتغوا مقدر وهو النساء كما قدرته لك قال الزنجشيري والاجودان لا يشدروا كأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن يتغوا بدلاً عما وراء ذلكم يدل اشتغال لأن المبدل منه ذات والمبدل معنى والذات مشقة عليه (فما) أي فمن (استمتعتم) أي تمتعتم (به منهن) أي بمن تزوجتم بالوطء (فأتوهن أجورهن) أي مهرهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أو مصفة مصدر محذوف أي إتيانه رضاء أو مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم) أنتم وهن (به من بعد الفريضة) فيما يزداد على المسمى أو يحيط عنه بالراضى أو فيما تراضياه من نفقة أو مقام أو فراق وقبل نزول في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهت كان الرجل ينكح المرأة وقامه ولو باليلة أو ليلتين أو أسبوعاً شرباً وغير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاع بها أو لتمتعها لها بما يعطيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا أن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال لا أوتي برجل تزوج بامرأة إلى أجل إلا رجعتها بالجماعة وعن ابن عباس أنه قال هي محكمة أي لم تنسخ وكان يقرأها استمتعتم به إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقيل انها أبهت مرتين وحرمت مرتين (إن الله كان عليماً) بخلفه (حكيماً) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولاً) أي غنى وأصل الطول الفضل يقال فلان على فلان طول أي زيادة فضل وقد طاله طوله فهو طائل كما قال القائل لقد زادني حمال النفساني * بغض إلى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم هذا أمر ما تحته طائل أي شيء يعتد به تماله فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة (أن ينكح المحصنات) أي الحرائر وقوله تعالى (المؤمنات) جرى على الغالب فلام مفهوم له فإن الحرائر الكليات كذلك (فمن ماملكت أيمانكم من قياتكم المؤمنات) أي أمانتكم المؤمنات

أى ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة أى أو الكفاية كما تر قبله تزوج الامة المؤمنة وظاهر الآية
 بحمد الشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صدق حرة ومنع نكاح
 الامة الكفاية مطاقا وأقول أبو حنيفة رضي الله عنه طول المحصنات بأن يملك فراشه على أن
 النكاح هو الوطء وجل قوله من قياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه قوله المحصنات
 المؤمنات ومن أحصاها من حله أيضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة والكفاية
 دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحدور في نكاح الامة ورق الولد ولا نها
 مجتنة مبتدلة خراجة ولا جنة وذلك كله نقصان راجع الى النكاح ومهانة والعزة من صفات
 المؤمنين واما وطؤها بملك العين فجاز اتفاقا * (فائدة) * قوله تعالى فمن مملكت من مقطوعة
 عن ما (والله أعلم بما يصحكم) أى بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان وربحانه
 ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة أرفع من ايمان الحرة والمرأة أفضل في الايمان من
 الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الافضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس
 بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه فانه العالم بالسراير (بهضكم من بعض) أى أنتم واما ترك
 سواء في النسب والدين نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فلا تستنكفوا من نكاحهن
 (فانكنهن باذن اهلهن) أى ومواليهن (وأوهن أجورهن) أى أدوا اليهن وهو رهن باذن
 اهلهن فحذف باذن لتقدم ذكره وأدوا الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لانه
 عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذاهبا الى ظاهر الآية (بالمعروف)
 أى من غير مطل ولا ضرار وقوله تعالى (محصنات) أى عفيفات حال من صغير فأنكوهن
 وهو محمول على الذنب بناء على المذهب ومن جواز نكاح الزواني (غير مسافحات) أى زانيات
 جهرا (ولا متخضات اخدان) أى اخلاء يزنون بهن سراج خدن وهو الصديق في السر وقيل
 المسافحات اللاتي يزني مع أى رجل وذوات الاخدان اللاتي يزني مع معين وذلك بحسب
 ما كان في الجاهلية (فاذا أحسن) قرأ شعبة وحرة والكسائي أحسن بفتح الهجزة والصاد على البناء
 للفاعل أى تزوجن والباقون بضم الهجزة وكسر الصاد على البناء للمفعول أى تزوجن (فان آتين
 بفاحشة) أى زنا (فعلين نصف ما على المحصنات) أى الحرائر لا يكران اذا زني (من العذاب)
 أى الحد فيجلدن خمسين وبغير نصف سنة ويقاس عليهن العبد (فان قيل) ما فائدة وجوب
 تنصيف الحد عليهن بتقييده بتروجهن اذ تنصيف العذاب لازم للامة الزانية تزوجت أم لا
 (أجيب) بأن فائدة ذلك بيان أن لا رجم عليهن أصلا وبأنه انما ذكر لبيان جواب سؤال اذ
 العصابة رضي الله تعالى عنهم عرفوا قد ارحد الامة قبل التزوج دون مقدار بعده فسالوا
 عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وذهب بعضهم الى أنه لا حد على من لم يتزوج
 من المالك اذا زنا أخذ بظاهر الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم
 فبين زناها فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها ثم ان عادت فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها فان زنت
 الثالثة فبين زناها فليبعها ولو يجبل من شعر (ذلك) أى نكاح الاماء عند عدم الطول (لمن)

خشى) أى خاف (العنت) أى الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سبب بالحق في الدنيا أو العقوبة في الآخرة (منكم) أيها الأحرار بخلاف من لم يخفه أما العبيد فيجوز لهم فكاح الاماء مطلقا لكن ان كان العبد مسلما فلا بد أن تكون الامة مسلمة (وان تصبروا) عن نكاح الاماء متعفين (خيراكم) لثلاثيصر الولد رقيقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحر ائصال البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بأن وسع له ذلك (يريد الله ليعين لكم) شرائع دينكم ومصالح أموركم (ويهديكم) أى يرشدكم (سنن) أى شرائع (الذين من قبلكم) من الانبياء في التحريم والتجليل فتبعضوهم (ويتوب عليكم) أى ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) ان وقع منكم تقصير في دينه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم الجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكم وبنات الاخ والاخت فزلت وقال مجاهد هم الزناة (أن عميوا) أى تعدلوا عن الحق (ملاعظيما) بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) أى يسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية الصمحة أى السهلة (وخلق الانسان ضيعفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أبس الشيطان من أحد قط الا أنه من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعش وبالآخرة وان أخوف ما أخاف على فتنة النساء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما نغان آيات في سورة النساء خبر هذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) كلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى بعالم تبعه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار والربا وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة) استثناء منقطع أى لكن أن تقع تجارة على قراءة الرفع وهى قراءة غير عاصم وحزة والكسائي وأما هؤلا ففقروا بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أى الا أن تكون الاموال تجارة (عن تراض منكم) أى فلكم ان تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتكاب ما يؤذى الى هلاكها في الدنيا والآخرة وقال الحسن بمعنى اخوانكم أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسه بنى في الدنيا عذاب به يوم القيامة وروى ان الله تعالى يقول يا دري عبدى بنفسه فخرمت عليه الجنة وعن عمرو بن العاص انه تأول في التيمم لخوف البرد فلم يشكر عليه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان بكم) يا أمة محمد (رحيما) حيث أمر بنى اسرائيل يقتل الانفس وهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) أى مانهى عنه من قتل النفس وغيره من المهرمات

وقوله تعالى (عدونا) حال أي متجاوزا للعلل وقوله تعالى (وظلما) تأكيدا وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم الشخص نفسه بتعريضه للعقاب (فسوف نصلبه) أي ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا عسر عليه فيه (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) أي كلامها وفسر جماعة الكبيرة بأنهم ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أوسنة وقال جماعة هي المعصية الموجبة للعدو الأول أو لاني لانهم عدوا الربا وكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حدة فيها وقال الامام هي كل جريمة تؤذي أي تعلم بقله اكثر من تركها بالدين وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان بينك وبين العباد والصغار ما كان بينك وبين الله واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات فواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وهي أشياء كثيرة قال ابن عباس هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبع مائة أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها (تكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغائر وهي ما عدا الكبائر أي تكفر بفعل الطاعات كالصلاة والصوم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنب الكبائر ولا بأس بذكر كثي من النوعين في الاول تقديم الصلاة وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن والبأس من رحمة الله وأمن مكره تعالى والقتل عدوا أو شبه عدو والكفر والفرار من الزحف أو تكل الربا أو كل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا والمواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيدة جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب العجابه وأخذ الرشوة والتمعة وأما الغيبة فان كانت في أهل العلم أو جملة القرآن فهي من الكبائر والافهية صغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لاحد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث وكثرة الخصومات الا ان راعى حق الشرع فيها والفتن في الصلاة والتياحة وشق الجيب في المصيبة والتجسفر في المشي والجلبوس بين الناسا لهم وادخال مجنتين وصبيان يغلب تهييسهم ونجاسة المسجد واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم الا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل الكبائر الشرك وما عداها من الصغائر قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وندخلكم مدخلا) قرأنا نافع بفتح الميم أي موضعا (كريما) أي حسنا وهو الجنة وقرأ الباقر بن بضمها على المصدر بمعنى الادخال مع الكرامة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا والدين لا يؤولن الى التحاسد والتباغض لان ذلك التفضيل قسمته من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وما يصلح للمنة وسوم له من بسط في الرزق وقبض ولو بسط الله الرزق لم يعبأه لبقوا في الارض فعلى كل

أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو المصلحة ولو كان خلافه لكان مفسدة ولا يحسد
أخاه على حظه قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف مالنا
من الميراث فلو كنا رجالاً اغزونا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكور مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن أحوج إلى الزيادة من
الرجال فأناضعناهم وهم أقوىاء وأقدر في طلب المعاش منا فنزلت وقال قتادة والسدي لما أنزل
الله تعالى للذكور مثل حظ الانثيين قال الرجال إننا لندرجون بفضل علي النساء في الآخرة فيكون
أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب
أى ثواب (مما اكتسبوا) أى بسبب ما عملوا من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن) أى من
حفظ فروجهن وطاعة الله وطاعة أزواجهن فالرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء
وذلك أن الحسنة تكون بعشر أمثالها يستوى في ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على النساء
اتما هو في الدنيا (واسألوا الله من فضله) أى لا تقنوا بالناس واسألوا الله ما أحببتم إليه
يعطيكم من خزائنه التي لا تعد فنهى الله عن التفتي لمناقبه من دواعي الحسد والحسد أن يتنى
الشخص زوال النعمة عن صاحبها سواء امتناها لنفسه أم لا والغبطة أن يتنى لنفسه مثل
مال صاحبه وهو جائز قال صلى الله عليه وسلم لا حسدأى لا غبطة الا في اثنتين الحديث (إن الله
كان بكل شئ علماً) فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبين (ولسلك) من الرجال
والنساء (جعلنا أموالى) أى عصبية يعطون (مما ترك الوالدان والأقربون) لهم من المال
فالوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا أموالى أى ورثته مما ترك أى من
الذين تركهم فتكون ما يعنى من ثم فسر المولى فقال الوالدان والأقربون أى هم الوالدان
والأقربون فعلى هذا القول الوالدان هم الوارثون (والذين عاقدت إيمانكم) والمعاهدة
المعاهدة والمخالفة والإيمان جمع عين بمعنى القسم وألبد وذلك أنهم كانوا عند مخالفة يأخذ
بعضهم يدي بعض على الوفاء والتسليم بالعهد ومخالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل
فيقول دمي دمك وتأري تأرك وحرى حربك وسلي سلمك وترثى وأرثك وتطلبني وأطلبك
وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للعليف السدس من مال الخليف وكان ذلك ثابتاً في أسدء
الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) أى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى (ولو للأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال مجاهد أراد فآتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله تعالى أو فوالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته يوم فتح مكة لا تحذروا حلفاء في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه
لم يرد به الاسلام الأشدة قال الزمخشري وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل
وتعاقد على أن يتعاقدا ويرثا صاحبه عنده وورث بحق المولاة خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى
اه وقرأ غير عاصم وحزرة والكسائي عاقدت بألف بين العين والقاف وأما هؤلاء الثلاثة
فقرؤا عاقدت بغير ألف بمعنى عقدت عهدهم إيمانكم فخذف الهمزة وأقيم الضمير المضاف

إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاولى (ان الله كان على كل شيء شهيدا) أي معلما
 تخافوه (الرجال قوامون على النساء) أي يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية وعلى ذلك
 بأمرين أحدهما وهي والآخر كسبي وقد ذكرنا أول بقوله تعالى (بما فضل الله
 بعضهم على بعض) أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
 في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنسوة والامانة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
 في مجامع القضايا وجوب الجهاد والجمعة والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد
 بالفرق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم أصحاب المعالي والعمائم ثم ذكر
 الثاني بقوله تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لا سجد لأحد لامرأت الزوجة أن تسجد لزوجها وروى
 أن سعيد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشرته عليه زوجته حبشية بنت زيد بن أبي زهير فطعها
 فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرسته كبريتي فطعها فقال
 لتقتص منه فزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص
 (فالساحات) منهن (فاتات) أي مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أي لما يجب
 عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والبسوت والاموال وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك
 وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظت في مالك ونفسها (بما حفظ الله) أي بما حفظهن
 الله حين أوصى بهن الازواج في كتابه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء
 خيرا وبما حفظهن الله وعصهن ووفقهن لحفظ الغيب وبما حفظهن حين وعدهن الثواب
 العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة (واللاقي تخافون) أي
 تعلمون (نشوزهن) كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جفعا أو غمرا فعظوهن أي خوفوهن
 كأن يقول لزوجته اتق الله في الحق الواجب عليك واحذري العقوبة وبين لها أن النشوز
 يسقط النفقة والاقسم (واهجرهن في المضاجع) أي اعتزلوهن في الفراش (واضربوهن)
 وإن لم يتكزرن النشوز أن أفاد الضرب والاذل لا يضرب كما لا يضرب ضربا مبرحا ولا وجهها ولا
 مهالك ومع ذلك فالأولى له العفو وخرج بالعلم بالنشوز ما إذا ظهرت أماراته فقط أما يقول كان
 صارت تجيبه بكلام خشن بعد أن كان بلين وأما بشعل كان يجدهمها عراضا وعيوسا بعد تطفل
 وطلاقة وجهه فانه يعظها بلا هجر وبلا ضرب لعلها تبدى عذرا أو تتوب عما وقع منها فبغير عذر
 وخرج بالخبر الصحيح الهجر بالكلام فلا يجوز الهجر فوق ثلاثة أيام ويجوز فيه الخبر الصحيح لا يحل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إن قصد بهجرها ردها لحظ نفسه فان قصد به ردها عن المعصية
 واصلاح دينها فلا تجريم اذ النشوز حينئذ عذر شرعي والهجر في الكلام جائز مطلقا
 ومنه هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبه ونهيه العصابة عن كلامهم
 (فإن اطعتمكم) فإيا راد منهن (فلا تبعوا) أي لا تطلبوا (عليهن سبيلا) أي طريقا إلى ضربهن فلما

واجعلوا ما كان منهنّ كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كن لا ذنب له رواء الطبراني وابن
 ماجه وغيرهما (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموه فإنه أقدر عليكم
 منكم على من تحت أيديكم (وإن خفستم) أي علمتم (شقاقي) أي خلاف (بينهما) أي بين المرء
 وزوجه وذكرهما بعضهم وان لم يجز ذكرهما لجرى ما يدلّ عليه ما هو الرجال والنساء
 وإضافة الشقاق إلى الطرف أما لجرأته مجرى المقصود به كقوله بأسارق الليله أهل الدار
 أو الفاعل كقولهم نهاره صائم (فابعثوا) أي أيها الحكام: في اشتبه عليكم حالهما اليهما لكن
 برضاهما (حكمان أهله) أي أقاربه (وحكما) آخر (من أهلها) أي أقاربها لينظر في أمرهما
 بعد اختلاف حكميه وحكمها بما ومعرفة ما عندهما في ذلك ويصلح بينهما أو يفترقان عسر
 الإصلاح على ما يأتي فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال وأطلب للصالح * (تنبيه) *
 بعث الحكمين على سبيل الوجوب وكونهما من الأقارب على سبيل التنبه وهما وكيلان لهما
 فاشترط رضاهما للحكام من جهة الحاكم لأن الحال يؤدي إلى الفراق والبضع حق الزوج
 والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولي عليهما في حقهما فوكّل هو حكمه بطلاق أو خلع
 وتوكّل هي حكمها بئذل عوض وقبول طلاق ويشترط فيهما سلام وحرية وعدالة واهداهما إلى
 المقصود من بعثهما وانما اشترط فيهما ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكلتهما بنظر الحاكم كما
 في أمسيه ويستكونهما ذكرين ولا يكتفي حكم واحد (إن يريد) أي الحكمان (اصلاحا يوفق
 الله بينهما) أي الزوجين أي ان قصد اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
 لوجه الله تعالى يورث في وساطتهم ما واقع الله بطيب أنفسهم وحسن سعيهما بين الزوجين
 الوفاق والالفة وألّفي في نفوسهما المودة والرحمة وقبل الضمير الاول للزوجين والثاني للحكمين
 أي ان يرد الزوجان اصلاحا يوفق الله بين الحكمين اختلافهما حتى يعلا بالصالح وقيل
 الضميران للحكمين أي ان قصد اصلاح يوفق الله بينهما تتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
 للزوجين أي ان أرادا اصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على
 أن من أصلح نيته فيما يحترّاه أصلح الله تعالى مبتغاه وان لم يرضيا عنهما ولم يتفقا على شيء أدب
 الحاكم الظالم واستوفى للمظلوم حقه (إن الله كان عليما) بكل شيء (خبيرا) بالبوطن كالظواهر
 فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين
 قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم (واعبدوا الله) أي وحدوه وأطيعوه (ولا تشركوا به شيئا) أي
 شيئا من الأشرار جلّيا كان أو خفيا وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه انه قال كنت رديف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله
 أعلم قال حق عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله تعالى
 اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الناس على الله ان لا يعذبهم قال قلت
 يا رسول الله ألا تبشر الناس قال دعهم يعملون (رو) أحسنوا (بالوالدين احسانا) أي برّ أولي
 جانب (وبنى القربى) أي صاحب القرابة (واليتامى والمساكين) (ويدخل في المساكين

الفقراء روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة وفي رواية من مسح رأس يتييم
 ولم يمسحه الا الله كان له بكل شجرة تمر عليهم ايداه حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يتيماً عنده كنت
 أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه (والجار ذى القربى) أى القريب منك في النسب
 أو الجوار (والجار جنب) أى البعيد عنك في النسب أو الجوار روى عن عائشة رضى الله
 تعالى عنها انها قالت يا رسول الله انى جار من فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك يا أبا وروى
 انه صلى الله عليه وسلم قال لا بى ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا
 طلعت مرقعة فأكثر ماها واغرف بغير انك منها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل
 يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يزني (والصاحب بالجنب) أى الرفيق في السفر كما قاله ابن عباس
 ومجاهد والمرأة تكون معه الى جنبه كما قاله علي والتخى أو الذى يصحبك رباه فتعلم في تعلم علم
 أو حرفة أو نحو ذلك كما قاله ابن جريج وابن زيد (وابن السبيل) أى المسافر لانه يلزم السبيل
 أو الضيف كما عليه الاكثر روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فليقل خيرا وليصمت وفي رواية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
 كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا وليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليكرم ضيفه جأرتة يوم وليله والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن
 ينوى عنده حتى يخرج (وماملكت أيمانكم) أى من الارقاء من عبيد واماروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه
 مما ياكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فباعه عنه عليه وفي رواية
 انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الصلاة وماملكت أيمانكم فجعل يكلّم وما يفيض
 به لسانه (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه
 وغيرهم ولا يلتفت اليهم (فخوذا) أى يتفاخر عليهم بما آتاه الله روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 بينما رجل يتختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف به الارض فهو يتعجل فيها الى يوم القيامة
 وفي رواية لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرّ ثوبه خيلاء وقوله تعالى (الذين) مبغضون (بغضوا)
 أى بما يجب عليهم (ويا أمرن الناس بالعدل) بذلك (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) من العلم
 والمال وهم اليهود يبخلوا ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكفوها وكانوا يأتون رجالا من الانصار
 ويخاطبونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم النقر ولا تدرن ما يكون وخبر
 المبتدأ محمد وفي تقديره لهم وعيد شديد ويصح أن يكون الذين يدل من قوله من كان أو منصوبا
 على التزم أو مفعولا عليه أى هم الذين قرأوا سورة الكساف بالعدل بفتح الباء والخاء والباقون
 بضم الباء وسكون الخاء (واعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) أى ذاهنا وضع
 الظاهر فيه موضع الضمرا ظاهرا بأن من هذا شأنه فهو كافر بالله لكتابه صفة النبي صلى الله
 عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أنتم الله على عبد نعمة

أحب أن ترى نعمته على عبده وبني عامل الرشيد قصر احداً قصره فتم به عنده فقال الرجل
 يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن ترى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالإنظار إلى آثار نعمتك
 فأعجبه كلامه وقوله تعالى (والذين) عطف على الذين قبله (يتفقون أموالهم رثاء الناس) أي
 مراثين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أي كلنا فقيين ومشركي مكة المتفقين أموالهم
 في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي صاحباً يعمل بأمره
 كهولاه (فساء) أي فئس (قريناً) هو حيث جعلهم على الجمل والرياء وكل شرويه لهم كقوله
 تعالى إن المذيرين كانوا إخوان الشياطين والمراد ابليس وأعدائه الداخلة في باطن الإنسان
 والخارجة عنه ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم
 لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مآثر زعمهم الله) أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستغفار
 للأنكار ولو لمصدرية أي لا تضر رفيه وإنما الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى (وكان الله بهم
 عليماً) وعيد لهم فيجازيهم بما عملوا (إن الله لا يظلم) أحداً (مثقال) أي وزن (ذرة) وهي أصغر
 غلة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء في الكوة أي لا ينقص قدر ذلك من حسناته ولا يزيد
 في سيئاته كما قال تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً وفي ذكر المثقال إيماء إلى أنه وإن صغر قدره
 عظم جزؤه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أنه أدخل يده في التراب فرفعها ثم نفخ فيه
 فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وانك حسنة) أي وإن بك المثقال حسنة (بضاعفها) أي
 نوابها من عشر إلى أكثر من سبع مائة وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة بلغني عنك
 أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة
 الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله يعطيه ألفي ألف حسنة ثم
 تلا هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة شأب عليه الرزق
 في الدنيا ويجوز به في الآخرة قال وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى
 الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً وفي رواية إذا خلاص المؤمنون من النار وأمنوا فما
 مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين ربه في آخوانهم
 الذين أدخلوا النار قال فيقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا
 فأدخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فأنخرجوا من عرفتم منهم فبأوتون فبصرفهم بصورهم لأن كل
 النار صورهم ففهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقبه ومنهم من أخذته إلى ركبتيه فيخرجونهم
 فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار ثم من كان
 في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال أبو سعيد فمن لم يصدق
 فليقرأ هذه الآية إن الله الخ قال فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق أحد في النار فيه خير
 ثم يقول الله عز وجل شفت الملائكة وشفت الأنبياء وشفت المؤمنين وبني أرحم الراحمين
 قال فيقبض قبضة من النار وقال قبضتين ناساً لم يعملوا خيراً حتى احترقوا حتى صاروا جماً
 فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فيسبون كاتب الحبة في جمل السيل وهي بكسر

الحاء المهملة وتجمع على حبيب قال فتخرج أجسادهم مثل المولود في أعناقهم الخاتم عطاء الله
فقال لهم ادخلوا الجنة فانتقمتم أو رأيتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا أعظمنا ما لم نعط
أحد من العالمين قال فيقول الله تعالى فإن لكم عندي أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من
ذلك فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا (فان قيل) لم أثبت الضمير مع انه راجع للمشتهى
وهو مذكر (أجيب) بأنه أنه لتأنيث الخبر وإضافة المثنى الى مؤنث وقيل ان الضمير راجع
الى ذرة وهي مؤنثة لا الى مثنى وحذفت النون تشبيها بحروف العلة وقرأ نافع وابن كثير
حسنة برفع التاء على كان الساقية والباقون بضمة على كان الناقصة وقرأ ابن كثير وابن عامر
بضعفها بتشديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (ويؤن) أي يعط
صاحب الحسنة (من لده) أي من عند الله على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل (أجر أعظيما) أي عطاء جزيل وانما سماه أجرة لانه تابع للاجر مزيد عليه لا ينبت
الاثباته (فكيف) حال الكفار (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليه بعمله وهو نبي القوله
تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) الشهداء (شهيدا)
أي شاهدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك على مجامع قواعدهم
وقيل هؤلاء اشارة الى المؤمنين لقوله تعالى لتكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وقيل الى الكافرين المستفهم عن حالهم وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال حسبك (يومئذ) أي المحي وهو يوم القيامة (يؤن) أي يتن (الذين كفروا وعصوا
الرسول لو) أي أن (تسويهم) الارض (كلهم) أولم يعنوا أولم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا
فتسويهم الارض فعند ذلك يتن الكفار أنه لو كان ترابا كما قال تعالى ويقول الكافر باليتن
كنت ترابا وقرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم تسويهم بضم التاء للبناء للمفعول والباقون بالفتح
بالبناء للمضاعل مع حذف إحدى التاء في الاصل وتشدد السين نافع وابن عامر وخففها
الباقون (ولا يكتفون الله حديثا) أي مما علموا لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها
مواطن في. وطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون
ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن ينجم على
أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتفون الله حديثا وقال سعد بن جببر قال رجل
لابن عباس اني أجد في القرآن شيئا يختلف على فقال هات ما اختلف عليك قال قال الله تعالى
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وقال تعالى
ولا يكتفون الله حديثا وقال واقعه ربنا ما كنا مشركين فقد كفوا وقال تعالى أم السماء بناها الى
قوله والارض بعد ذلك دحاها فذلك خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال أم أنتم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء وقال

تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا حكيما فكانه مكان ثم مضى فقال ان
عباس رضى الله تعالى عنهم فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى قال ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم نفخ
فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون في النفخة الثانية ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما
قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتفون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم
فقال المشركون نعوذوا انقل لم نك مشركين فيضتم على افواههم فتنطق أيديهم وأربابهم
فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتفهم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين
آخرين ثم دحا الارض في يومين ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام
وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض في يومين خلقت الارض وما فيها من شيء
في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما أي لم يزل كذلك
فلا يختلف عليك القرآن فان كلامنا عند الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) أي
لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها (وأنتم سكارى) من الشراب (حتى تعلموا ما تقولون)
بأن تصوموا منه كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش روى أن عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشربا فدعا نثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان الخمر مباحا
فأكلوا وشربوا فلما سكروا وجاء وقت صلاة المغرب فقدّموا أحدهم يصلي بهم فقراقل يا أيها
الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا الى آخر السورة فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات
الصلاة فاذا صلوا العشاء مشربوها فلا يصحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ثم نزل تحريمها وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وقيل أراد بالسكر سكر النوم
ونهى عن الصلاة عند غلبة النوم قال صلى الله عليه وسلم اذا نعت أحدكم وهو يصلي فليرقه حتى
يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو نعت لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله تعالى
(ولا جنباً) منصوب على الحال أي ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب بايلاج او انزال يقال رجل
جنب وامرأة جنب ورجل ونساء جنب لانه يجري مجرى المصداق لانه مصدر بل هو اسم
مصدر لانه يستوفى حروف الفعل لان فعله أجنب فصداه اجنبا بالاجنبا وأصل الجنابة البعد
وسمى جنباً لانه يجنب موضع الصلاة ولجنابته الناس وبعده منهم حتى يغتسل (الاعابى) أي
بجهازى (سبيل) أي طريق أو مسافرين (حتى تغتسلوا) أي فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر له
حكم آخر سبأ وفي هذا دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث لانه غيابه بقوله حتى تغتسلوا ومن
فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالجهتزين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال
الشافعى رضى الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء أو الطريق
الى الماء (وأن كنتم مرضى) أي مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجب كالكافى
(أو على سفر) أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي أحدثتم

بخروج الخارج من أحد السيلين والقاط المذكان المظمن من الارض تنضق فيه الحاجة
 هي باسمه الخارج للمجاورة (أو لأمست النساء) قرأ حرة والكسائي بغير ألف بين اللام والميم
 والباقون بألف واختلف في معنى اللبس والملازمة فقال قوم هما التقاء البشريتين سواء
 أكان بجماع أم بغيره وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والخنبي وبه استدل الشافعي
 رضى الله تعالى عنه على أن اللبس ينقض الوضوء وقال قوم هما المجامعة وهو قول ابن عباس
 والحسن ومجاهد وقتادة كفى باللبس عن الجماع لأن باللبس يوصل الى الجماع (فلم تجدوا ماء)
 تطهرون به للصلاة بعد الطلب لأنه لا يسمى غير واجدا لا بعد الطلب وهذا راجع الى ما عدا
 المرض (فتيمموا) أى بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) أى ترابا طاهرا أى طهورا أما المرضى
 فيتممون مع حضور الماء لأن وجوده بالنسبة اليهم كالعديم (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)
 مع المرفقين منه بضريرتين كما ثبت في الحديث وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان
 أو غيره وإن كان خضرا لا تراب عليه لوضرب التيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره والى هذا
 ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأجاب عن قوله تعالى في آية المائدة فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم منه أى بفضه وهو لا يتأتى في الضر الذي لا تراب عليه بأن من لا بداء الغاية قال
 الزخشرى وقولهم انها لا بداء الغاية فيه تعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل
 مسحت برأى من الدهن ومن الماء ومن التراب الامعنى التبعيض قال والاذعان للعق أحق
 من المراء والتيمم من خصائص هذه الامة روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس ثلاث جعلت صفونا كصفوف الملائكة
 وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدء التيمم
 ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
 أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجبلش انقطع عقدي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبابكر فقالوا ألا ترى
 ما صنعت عائشة فأمت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء
 فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله
 أن يقول وجعل يطعن يده في خصرى ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على فخذي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ما أنزل الله آية التيمم
 فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة فبعشنا
 البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته وفي رواية أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت
 فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلا بغير وضوء
 فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت فقال أسيد بن حضير جراك الله خيرا
 فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه مغرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وقوله تعالى

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَ غَفُورًا) كآية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن
 الخطأين ويغفر لهم آثما كان ميسورا غير معسر (ألم تر) أي تنظر (إلى الذين أوتوا نصيبا)
 أي حظا يسيرا (من الكتاب) أي من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون) أي يتخادرون
 (الضلالة) على الهدى (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السييل) أي تحفظون طريق الحق
 لتكفونوا مثلهم (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) فيخبركم بهم لتحنبوهم ولا تنس محببوهم فانهم
 أعداؤكم (وكفى بالله وليا) أي حافظا (وكفى بالله نصيرا) أي مانعا لكم من كيدهم وقوله تعالى
 (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله تعالى والله
 أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جل في علاه بين البيان والمبين على سبيل
 الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما ينهى ما اعتراض أو صلة لنصير أي ينصركم من الذين هادوا
 كقوله تعالى ونصرتهم من التوراة الذين كذبوا بآياتنا وأخبر مبتدأ محذوف صفته (يحرفون)
 الكلام عن مواضعه أي من الذين هادوا وقوم يحرفون أي يغيرون الكلام الذي أنزل في
 التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم عن مواضعه التي وضع عليها آيات الله عنها وأثبت خبره
 فيها وفي المائدة من بعد مواضعه والمعنيان متقاربان قال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم ويرى أنهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا
 من عنده حرفوا كلامه (ويقولون) للنبى صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم (بمعنا) قولك (وعصينا)
 أمرنا (واسمع غير مسمع) بمعنى الدعاء أي لا سمعت بصهم أو عومت أو بمعنى اسمع منا ولا نسمع
 منك أو بمعنى اسمع غير مسمع كلاما ترضاه (و) يقولون له (راعنا) يريدون به النسبة إلى الرعونة
 وقد نسي عن خطابه صلى الله عليه وسلم بها وهي كلمة سب بلغتهم (لبا) أي تحريفها (بالسنتهم) أي
 يحرفون ما ينظرون من الدعاء والتوفير إلى ما يضررونه من السب والتحقير فزافا (وطعنا) أي
 قدحنا (في الدين) أي الإسلام (ولأنهم قالوا سمعنا وأطعنا) بدل وعصينا (واسمع) أي فقطع
 (وانظروا) أي انظر المتبادل راعنا (لكن خير الهمة) مما قالوه (وأقوم) أي أعدل وأصوب
 (ولكن لعنهم الله) أي أبعدهم عن رحمته (يكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) أي ايماننا قليلا
 لا يعاباه وهو الايمان ببعض الآيات والرسول ويجوز أن يراد بالقلة العدم أو الانقراض قليلا منهم
 كعبد الله بن سلام وأصحابه (بأيها الذين أوتوا الكتاب) يخاطب اليهود (آمنوا بما نزلنا) أي
 القرآن (مصدق لما لكم) أي التوراة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كأم أحبار اليهود
 عبد الله بن صوريا وأصحابه وكعب بن أسد وقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم
 لتعلمون ان الذي جئتكم به لخلق قالوا ما نعرف ذلك وانصرفوا على الكفر فنزلت (من قبل أن
 نظم مسجوها) أي نعمو وتخطيط صورها من عين وحاجب وأنت وفهم (فتردها على أديارها) أي
 فجع لها كالاقعام مطموسة مثلها أو تنكسها إلى ورائها في الدنيا وفي الآخرة روى أن عبد
 الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله ويده على
 وجهه وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في فقاي وكذلك

كعب الجبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فقتل يارب آمنت يارب
 أسلمت مخافة أن يصيبه وعبد هذه الآية (فان قيل) قد أسعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم
 يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك (أجيب) بأن هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسح في اليوم وقيل قيام
 الساعة أو أن هذا كان وعيداً بشرط أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقيين
 وقيل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي نتركهم في الضلالة فيكون
 المراد طمس وجه القلب والرذع بصائر الهدى على أديارها في الكفر والضلالة (أو تلعنهم)
 أي نلعنهم قرودة وخنازير (كالمعنا) أي مسخنا (أصحاب السبت) منهم قرودة وخنازير (وكان
 أمر الله) أي قضاؤه (مفعولاً) أي نافذاً وكان فيقع لاهمالة ما أوعده ثم به إن لم تؤمنوا (إن الله
 لا يغفر أن يشرك به) أي لا يغفر الانسداد به قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهم ما نزل يا عبادي
 الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً قالوا يا رسول الله
 والشرك فنزلت * ولما أخبر بعدله أخبر تعالى بفضله فقال (ويغفر ما دون ذلك) الأمر الكبير
 العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أم كبيرة سواء أتأب فاعلمها أم لا ورهب بقوله أعلاماً
 بأنه مختار لا يجب عليه شيء (لمن يشاء) وقال الكلبي نزلت هذه الآية في وحشي بن حرب
 وأصحابه وذلك أنه لما قتل حزة وذهب إلى مكة نذم هوراً أصحابه وكتبوا إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنافذ ندمنا على ما صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أناس معك تقول وأنت بمكة
 والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله
 قتلها وزنا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزل الأمن تأب وآمن وعمل عملاً صالحاً لا يتين فبعث
 بهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا إليه إن هذا شر شديد نخاف أن لا
 نفعل عملاً صالحاً فنزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بهم اليهم فبعثوا
 إليه أنافذ يخاف أن لا تكون من أهل مشيقتهم فنزل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
 من رحمة الله الآية فبعث بهم اليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فطقت
 وحشي بالسأم فكان بها إلى أن مات (ومن يشرك بالله فقد افترى) أي ارتكب (أثماً عظيماً)
 أي كبيراً فالافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق روي أن رجلاً قال
 يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً
 دخل النار وروي أبو ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك
 إلا دخل الجنة قلت وإن زني وإن سرق قال وإن زني وإن سرق قلت وإن زني وإن سرق قال
 وإن زنا وإن سرق قلت وإن زني وإن سرق قال وإن زني وإن سرق على رغم أنف أي ذروك
 أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر (لم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما
 وقادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هوداً أو نصارى وقال الكلبي نزلت في رجال من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما علمنا بانهار
كفر عنا بالليل وما عدنا بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل في الآية كل من زكى نفسه ووصفها
بنكاه العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزاني عند الله الا اذا كان لغرض صحيح وطابق الواقع
كقول سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم اجمعنى على خزان الارض انى حفيظ عليم وقوله صلى
الله عليه وسلم انى امين فى السماء امين فى الارض حين قال له المنافقون اعد فى القسعة اكدابا
لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه ولكن شتان بين من شهد الله له بالتركيب ومن شهد لنفسه
أو شهد له من لا يعلم (بل الله) الذى له صفات السكال (يزكى من يشاء) أى بما له من العلم التام
والقدرة الشاملة والحكمة البالغة وأصل التركيب تقي ما يستقيم فعلاً أو قولاً (ولا يظلمون) أى
ينقصون من أعمالهم (فتبلاً) أى قدر ما يكون فى شق النواة قاله عكرمة عن ابن عباس
فهو اسم لما فى شق النواة والقطعة اسم للقسرة التى على النواة والنتير اسم للقطعة التى
تكون على ظهر النواة وقيل القليل من القتل وهو ما يحصل بين الاصمعيين من الوسخ
عند القتل * ولما أخبر سبحانه وتعالى أن التركيب انما هى اليه قال لنيه صلى الله عليه وسلم
(انظروا متجباً) كيف يفترون أى يعمدون (على الله) الذى لا يخفى عليه شئ ولا يهجره
شئ (الكذب) من غير خوف منهم لذلك عاقبة ذلك (وكفى به) أى به هذا الكذب (انما مينا)
أى يبنوا ونحوا (ألم ترى الذين أو فوضيما من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وهما
صنعتان بمكة لتريش وذلك أن كعب بن الاشرف خرج فى سبعين رجلاً من اليهود الى مكة بعد
وقعة أحد الجاهليين فاشترى كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود
فى دورقريش فقال أهل مكة انكم أهل كذب ومحمد صاحب كذب ولأنهم أن يكون هذا
مكرامنكم فامجدوا ولا الهنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لأنهم جحدوا للاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ
الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينأهدى طريقنا نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على
دينكم فقال أبو سفيان نحن ولادة البيت نسق الجحاج الماء ونقرى الضحى ونفك العاني ونصل
الرحم ونعم ريت ربنا ونظوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فاروق دين آبائهم وقطع الرحم وفارق
الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما علمه محمد فأمر الله
تعالى ألم ترى الى الذين أو فوضيما أى حطام من الكتاب وهم كعب بن الاشرف وأصحابه يؤمنون
بالجبت والطاغوت أى الصنمين (ويقولون للذين كفروا) وهم أبو سفيان وأصحابه
(هؤلاء) أى أنتم (أهدى من الذين آمنوا) وهم محمد وأصحابه (سبيلاً) أى اقوم ديننا
وأرشد طريقنا (اولئك الذين لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيراً) أى مانعاً يمنع العذاب عنه بشفاعته أو غيرها * (تنبيه) * فى هؤلاء
أهدى هم زمان من كتبنا الاولى مكسورة والثانية مفتوحة قرأنا فاع وابن كثير

وابوعمر ويابدال الثانية يا خالصة والباقون بالتحقيق (أم) منقطة أي بل (لهم نصيب)
 أي حظ (من الملك) ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم شيء من الملك ومحمد لما زعمت اليهود من
 أن الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه (فإذا) أي فيسبب عن ذلك أنهم (لا يؤتون الناس)
 أي واحدا منهم (تقيرا) ومزأه النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة ~~تلك~~ القليل والقطمير
 والمراد بالملك إمام الملك الدنيا وإمام الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا
 لامسكنم خشية الانفاق وهذا ما بالغه في شعهم فأنهم يخجلوا بالتقير وهم ملوك فساظنك بهم إذا
 كانوا إذ لا منقادين ويصح أن يكون معنى الهمزة في أم لانكار أنهم قد أو أنصيبا من الملك
 وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا
 مما على كون شيئا (أم) أي بل (بمحمد بن الناس) أي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضائل
 الناس الأولين والآخرين (على ما آتاهم الله من فضله) أي من النبوة والكتاب والنصرة
 والاعزاز وكثرة النساء أي يتنمى زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا
 آل إبراهيم) وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن آل إبراهيم موسى وداود وسليمان (الكتاب)
 أي ما أنزل إليهم (والحكمة) أي النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد أن يؤتاه الله تعالى
 مثل ما آتاهم فكان لداود تسع وتسعون امرأة وكان لسليمان ألف وثلاثمائة امرأة وسبع مائة
 سرية وقيل المراد بالناس جميعا وقيل العرب وحسب دهم لأن النبي الموعود منهم
 وقيل النبي وأصحابه لأن من حسد على النبوة فكانت محاسن الناس كلهم على كمالهم ورشدهم
 (فهم) أي اليهود (من آمن به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومهم
 من صد) أي أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) أي عذابا لمن لم يؤمن وقوله تعالى
 (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) أي ندخلهم (نارا) كالبان والتقرير لذلك (كلما
 نضجت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى
 روى أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال عمر للقارئ أعدها
 فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبده الله تعالى في ساعة مائة مرة قال
 عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف
 مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودا فبعودون كما كانوا (فان قيل) كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا
 ولم تنص (أجيب) بأن المعاد اتخاها الجلد الأول وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفاتها كما تقول
 صنعت من خاتمي خاتما غيره فان الخاتم الثاني هو الاول إلا أن الصنعة والصفة تبدلت وروى أن
 ما بين منكم الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام لراكب المسرع وروى أن ضره وأنباه مثل
 أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (ليذوقوا العذاب) أي ليتأسوا شدته وقيل يخاف مكان ذلك
 الجلد جلد آخر والمعذب في الحقيقة على كل حال هي النفس العاصية القائمة بالبدن لانها
 المدركة دونه (إن الله كان) ولم يزل (عزيزا) أي لا يعجزه شيء (حكيمًا) في خلقه يعاقب على وفق
 حكمته (والذين آمنوا) أي أقروا بالابحان (وعملوا الصالحات) سندخلهم أي بوجه لا خلف

فيه وربما أفهم التنقيس لهم بالسين دون سوف كما في الكافرين انهم أقصر الامم مدة أو انهم أقصرهم أعماراً راحة لهم من دار الكدر الى محل الصفاء وانهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف (جنات) أي بساكنين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال (تجري من تحتها الأنهار) أي أن أرضها في غاية الرى كل موضع صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها أتبعه بجائها واه النفوس من استقرار الآفاة بها فقال (خالدين فيها أبداً) وانما قدم تعالى ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ولما وصف تعالى حسن الدار ذكر حسن الجار فقال تعالى (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الحيض والقذر (فان قيل) المطرد في وصف جميع القلة لمن يعقل أن يكون بالالف والتاء فيقال مطهرات (أجيب) بأنه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهم لشدة الموافقة في الطهر كذات واحدة (وندخلهم) أي فيها (طلا) أي عظيم وأ كده تعالى بقوله (ظليلاً) أي متصلاً لا فوج فيه منبسطة الاضيق معه داعماً لا تصيبه الشمس يوماً ما لا حتر فيه ولا يرد بل هو في غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى ومن يحبنا ونحبه من أهلها السابقين مع النبيين والصديقين وقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) خطاب يم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وصعد الأسطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فأبى وقال لو علمت أنه رسول لم أنعمه المفتاح فلوى على رضى الله تعالى عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر بفعل ذلك وقال هالك خالدة بالدة فحب من ذلك وقال عثمان أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق فقال قد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فهب طبر بل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة تكون في أولاد عثمان أبداً فلما مات عثمان دفعه الى أخيه شيبه فالفتح والسدانة في أيديهم الى اليوم والى يوم القيامة فالآية وان وردت في سبب خاص فعمومها معتبر بقريسة الجمع (وإذا حكمت بين الناس) أي قضيت بين من ينقد عليه أمركم أو يرضى بجهلكم (أن تحكموا بالعدل) أي بالسواء بان تأمر وامن وجب عليه حق بأدائه الى من هو له فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن القيل في الغل الطليل أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروى ان احب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر ولم أخبرهم بأمر زادهم رغبة بقوله (ان الله نعماً) فيه ادغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شياً (يعظكم به) وهو تأدية الامانة والحكم بالعدل وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح النون وكسر هاء الباقون واختلس كسر العين قالون

وأبوهم وشعبة (إن الله كان) أي ولم يزل ولا يزال (جميعا) لكل ما يقال (بصرا) بكل ما يفعل
(يا أيها الذين آمنوا) أي أقرأ بالآيمان وبدأ بها هو العمدة في العمل على ذلك فقال (أطيعوا الله)
أي فاعلموا أمركم به (وأطيعوا الرسول) أي فيما بينه لكم (و) أطيعوا (أولى) أي أصحاب (الامر)
أي الولاية (منكم) أي إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله سواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأما السيرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا رحمكم وصلوا أئمتكم وصوموا شربكم وأدوا
زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وقيل المراد بأولى الأمر أبو بكر وعمر
انقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال عطاء هم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان روى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي وأمتي كالملح
في الطعام ولا يصح الطعام إلا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحة فكيف نصلح وقيل المراد علماء
الشريعة لقوله تعالى ولورثوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
(فان تنازعتم) أي اختلفتم (في شئ فردوه إلى الله) أي كتابه (والرسول) أي مدته حياته وبعد
وفاته إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما والرد إلى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما خالفتم
بوجد فسيبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله والرسول أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فان الآيمان بوجوب هذا (فذلك) أي الرد إليهما (خير)
لكم من التنازع والقول بالرأي (وأحسن تأويلا) أي من تأويلكم بلارأ وعاقبة (ألم ترأى
الذين يزعمون أنهم آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة وأقعوها في أنفسهم (بما أنزل اليك) أي
القرآن (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والإنجيل قال الأصمعي ولا يستعمل أي الزعم
في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان كذا إذا شك فيه فلا يعرف كذبه أو صدقه
(يريدون أن يتصاكموا إلى الطاغوت) أي الباطل المفرق في البطلان وقيل هو كعب بن
الاشرف وروى عن ابن عباس أن بشر المنافق خاصم يهوديا فقال اليهودي تطلق إلى محمد صلى
الله عليه وسلم وقال المنافق بل إلى كعب بن الاشرف فأبى اليهودي أن يتصاخمه إلا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضي
الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقطع لي عليه فلم يرض بقضائه
وزعم أنه يتخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذلك قال نعم فقال لهم ما عمر مكانكما حتى أخرج اليكما
فدخل وأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنت القاروق والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف سمى بذلك

أفرط طغيانه أو تقسيمه بالشيطان أو لان التهاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه (وقد) أي والحال انهم قد (أمر) أي بمن له الامر في كل ما أنزل اليه من كتاب وما قبله (أن
يكفروا به) أي بالشيطان فحق تهاكوا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وهو معنى قوله (ويريد
الشيطان) أي يارادتهم ذلك التهاكم اليه (أن يضلهم) أي التهاكم اليه (ضلالا بعيدا) أي
بجهت لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى ولما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التهاكم الى الطاغوت
ذكر فعلهم فيه في نفرتهم عن التهاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (واذا قيل لهم) أي من
أي قائل كان وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو
(تعالوا) أي اقبلوا ورافعين أنفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم (الى ما أنزل الله) أي الذي
عنده كل شيء (والى الرسول) أي الذي يجب طاعته لاجل مرسله مع انه أكل الرسل الذين هم
أكل الخلق رسالة (وأبى المنافقين يمدون) أي يعرضون (عنك) الى غيرك وأكذلك بقوله
(صدودا) أي هو أعلى طبقات الصدود فكيف يكون حالهم (إذا أصابهم مصيبة) أي عوبة
كقتل عمرو رضي الله عنه المناق (عاقمت أيديهم) أي من التهاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
ومن الكفر بغير ذلك أي أيقدر على الاعراض والفرار عنها لا اؤتم الكلام ههنا وقوله
نهالى (ثم جاولك) أي حين يصابون للاعتذار معطوف على يمدون وما يهمل ما اعراض
(يعلقون بالله) أي ما (أردنا) أي بالحاكمة الى غيرك (الاحسانا) أي صلحا (وتوفيقا) أي
تأليفا بين الخصمين ولم نردحنا القتلك وقيل جاء أصحاب القتيل طالعين بدمه وقالوا ما أردنا بالتهاكم
الى عمر إلا أن يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه بالتقريب في الحكم دون الجمل على
مرالحق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من النفاق والبغض للاسلام وأهله
وان اجتهدوا في اخفائه وكذبهم في حلته وتمددهم (فأعرض عنهم) أي عن عنايتهم بالصفح
لانهم أقل من أن يحسب لهم حساب (ولكن عظمهم) أي خوفهم الله القادر على استئصالهم
(وقل لهم في أنفسهم) أي في شأنهم أو خالباهم فان النصيح السر أجمع (قولوا بلغنا) أي
مؤثراتهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم وقبل هذا منسوخ بآية القتال ولما أمر الله
نهالى بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذنم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه والوعظ له فكان التدبير خيرا أرسلناك وغيرك من الرسل
الالرفق بالامة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله (وما أرسلنا
من رسول الا ليطاع) أي فيما يأمر به ويحكم لان منصبه الشريف يقتضي ذلك (بأذن الله)
أي بإرادته من أنه يطاع فلا يعصى ولا يخالف (ولو أنهم اذ) أي حين (ظلموا أنفسهم) أي
بالتهاكم الى الطاغوت أو غيره (جاولك) أي تأبين (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص
(واستغفر) أي شفع (لهم الرسول) أي اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعا واغماعدل عن
الخطاب تفخيما لثأله (لوجدوا الله توابا) عليهم (رحيما) بهم وقرأ أبو عمرو وادغام الراء في اللام
بخلاف عنه (فلا وربك) أي فوريك ولا من يدلتنا كيد القسم (لا يؤمنون) أي يوجدون هذا

الوصف ويجدونه (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكماً (فيما شئتم) أى اختاف واختلط (بينهم) من كلام بعضهم لم بعض الشارح حتى كانوا كغصان الشجرة في التداخل والتضابق (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) أى نوعاً من الضيق (عما قضيت) به عليهم (ويسلموا تسليماً) أى ويتقاروا والآن انقياداً بطواهرهم وبواطنهم وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخصمه له من الأنصار وقد شهد بدر في شراج من الحرة كانا يستقيان بهما النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك فتاوت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الحد رواه ستوف حقه ثم أرسله إلى جارك وقيل نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما أمرنا بني إسرائيل أو تعرضوا بها للقتل بالجهاد وأن مصدرية ومفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة والكسائي بكسر النون في الوصل والباقون بالضم (أو اخرجوا من دياركم) أى التي هي لآسبأحكم كآسبأحكم لارواحكم توبة ترككم (مافعلوه) أى المكتوب عليهم أى انما كتبنا عليهم الطاعة لله ورسوله والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار ما كان يفعل (الاقليل منهم) قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمر بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا لعلنا والمجد لله الذي عافانا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال إن من أمتى رجالاً لايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وقرأ ابن عامر قليلاً بالنصب على الاستثناء والباقون بالرفع على البدل (ولوأنهم) أى هؤلاء المنافقين (فعلوا ما يعظون به) من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم (لكن خيرا لهم) في عاجلهم وآجلهم عما اختاروه لأنفسهم (وأشد تنبيهاً) أى تحقيقاً لايمانهم (واذا) أى لو ثبتوا (لا يتناهم من لدنا) أى من عندنا (أجر أعظيماً) وهو الجنة (وله ديناهم صراطاً مستقيماً) يصلون بسلوكة جنات القدس وتفتح لهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم رواه أبو نعيم في حليته وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلة ذلك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله) في امتثال أو امره والوقوف عند زواجره (والرسول) أى في كل ما أراه فان منصب الرسالة يقتضي ذلك لاسيما ما بلغ نهايتها (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أى معدود من حزبهم فهو بحيث إذا أراد زيارتهم أو رؤيتهم وصل إليهم بسهولة وقوله تعالى (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين حال منه أو من ضمير قسهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على

أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء القانزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
 التسكيم بل ثم الصديقون الذين سعدت نفوسهم نارة جبراق النظر في الحجج والآيات وأخرى
 بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنهم اعلى
 ما هي عليه ثم الشهداء الذين أدي بهم -م الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
 مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في
 مرضاته (وحسن) أي وما أحسن (أولئك أي العالمون الاخلاق السابغون) رفيقا) من
 الرفق وهولين الجانب ولطافة الفعل وهو بما يستوى واحده وجهه أي رفيقا في الجنة بأن يستمتع
 فيها برؤيتهم وروايتهم والحضور معهم وان كان مقتدرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم
 روى عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم قال
 النبي صلى الله عليه وسلم المرمع من أحب وروى أيضا أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة
 قال وما أعددت لها فلم يذكر كثيرا الا أنه يجب الله ورسوله قال فانت مع من أحببت وقوله تعالى
 (ذلك) أي كونهم مع من ذكرتم متداخلة (الفضل من الله) أي تفضل به عليهم لانهم نالوه
 بطاعتهم (وكفى بالله علما) أي بجزاء من أطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله روى أبو هريرة
 رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد
 منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل (يا أيها
 الذين آمنوا) أي أقرؤا بالايمان (خذوا حذركم) من عدوكم أي احتذروا منه وتنبطوا له والحذر
 الحذر كالإثر (فانفروا) أي اخرجوا الى قتاله مسرعين (ثبات) أي جماعات متفرقين سرية
 في اثر سرية تجمع شبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة (أو انفروا جميعا) أي مجمعة كوكبة
 واحدة قال البيضاوي والآية وانزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة
 الى الخبريات كلها كيفما أمكن قبل القوات (وان منكم) الخطاب لعسكر النبي صلى الله
 عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين (من لبيطين) أي لمتأخرن ولينثاقن عن القتال وهم
 المنافقون كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في
 الجنسية والنسب واظهار الاسلام لافي حقيقة الايمان (فان أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة
 (قال) هذا المنبسط جهلا منه وغلظة (قد أنعم الله على إذ) أي حين (لم أكن معهم شهيدا) أي
 حاضرأفأصاب (ولئن) لام قسم (أصابكم فضل) أي فتح وظهر وغنمة (من الله) الذي كل شيء
 بيده (ليقولن) نادما على ما فاته من الاغراض الدنيوية وأكده تنبيهها على فرط تحسره وقوله
 تعالى (كان) محذوفة واسمها محذوف أي كأنه (لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة وصداقة
 رجع الى قوله قد أنعم الله على اعتراض بين القول ومقوله وهو (يا) للتبسيه (لئن كنت معهم
 فأفوز) أي بشاركتهم في ذلك (فوزا عظيما) أي أخذ حظا وافرا من الغنيمة وقرأ ابن كثير وحفص
 بالتاء في تكن على التأنيث والباقون بالياء على التذكير ولما بين أن محط رجال القاعد
 عن الجهاد الدنيا علم أن قصد الجهاد الاخرة فقال تعالى (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء

دينه (الذين يشرون) أى يبيعون برغبة (الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المؤمنون والمعنى ان ساطا
هو لا عن القتال فليقاتل المجاهدون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة ويشرون أى يأخذون
وهم المتباطون فيختارونهم على الآخرة والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم وفى هذا استعمال
للمشترك فى مدلوليه (ومن يقاتل فى سبيل الله) لاعلاء دينه (فيقتل) أى يستشهد (أو يغلب)
أى يظفر به يدقوه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى نؤاينهم بلاء وانما وعدله الاجر العظيم غلب
أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا للقول المتبطل قد أنعم الله على اذلم أكن معهم شهيدا وانما
قال فيقتل أو يغلب تنبيهها على أن المجاهد ينبغي أن يثبت فى المعركة حتى بعد نفسه بالشهادة
أو الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء كلمة الحق واطهار
الدين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرج منه من يته
الا المجاهد فى سبيله وتصديق كلفه أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع
ما نال من أجر أو غنمة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القات
الصائم الذى لا يقتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله انما يرجعه من غنمة وأجر
أو يتوفاه فيدخله الجنة وقوله تعالى (ومالكم لا تتقاتلون) استنهم توبع أى لا مانع لكم من
القتال (فى سبيل الله) لاعلاء دينه وقوله تعالى (المستضعفين) عطف على اسم الله أى وفى
سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر ووصونهم عن العدو وقوله تعالى (من الرجال والنساء
والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وادوهم قال ابن
هباس كنت أنا وأممى منهم وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيه على تناهى المشركين بحيث
بلغ اذا هم الولدان وان دعوتهم أجيت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركونا فى استئزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد والاماهم جمع وليد (الذين يقولون) أى
داعيننا (ربنا أخرنا من هذه القرية الظالم أهلها) أى بالكفر (واجعل لنا من لدنك) أى من
عندك (وليا) يتولى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) بمنعنا منهم وقد استجاب الله تعالى
دعاهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى أن فتحت مكة له صلى الله عليه وسلم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين فغاهم ونصرهم
حتى صاروا أعز أهلها وكان حينئذ ابن ثمان عشرة سنة والقرية مكة والظالم مصفها ونذ كره
لنذ كبر ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفاعل يذك
ويؤثر على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (والذين
كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أو ليا
الشيطان) أى حربه وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان) أى مكره بالمؤمنين (كان
ضعيفا) بالاضافة الى كيد الله تعالى بالكافرين لا يعتد به فلا تخافوا أو لياهم فان اعتمداهم على
أضعف شئ وأوهنه كما فعل الشيطان يوم بدى لمارأى الملائكة خاف أن تأخذهم فهرب وخذ لهم
(الم ترالى الذين قبل لهم كفوا أيديكم) أى عن قتال الكفار وهم جماعة من الصحابة كانوا يلقون

من المشركين أذى كثيرا قبل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله أئذن لنا في قتالهم فانهم قد أذنوا
فبقولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أؤمر بقتالهم (وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة) فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم
كما قال تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) قرأ أبو عمر وبكسر الهاء والميم في الوصل
وحزوة والكسافي بضم الهاء والميم في الوصل وأما الوقف فالجميع يسكنون الميم وحزوة بضم
الهاء على أصله وكسرها الباقيون (إذا فارق منهم يخشون) أي يخافون (الناس كخشية الله)
أي كخشيتهم من الله (أو أشد خشية) من خشيتهم له * (تنبيه) * نصب أشد على الحال
وجواب لما دلل عليه إذا وما بعده أي فاجأهم الخشية (وقالوا) جزعاً من الموت (وإذا
لم كتب علينا القتال لولا) أي هلا (أخرتنا إلى أجل قريب) وهو الموت أي هلا تر كسنا حتى
نموت يا جالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقبيل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتب
علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه
خوفاً وجبناً لا اعتقاداً ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون فيه وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما
كتب عليهم القتال ناقضوا من الجبن وتخلعوا عن الجهاد وقرأ البرزى في الوقف لم يها بعد الميم
بختلف عنه والباقيون بالميم بغير هاء والهاء ساكنة في الوصل للجميع (قل) لهم يا محمد
(متاع الدنيا) أي ما يتعقبه فيها والاستمتاع بها (قليل) أي آيل إلى الزوال (والآخرة)
أي ثوابها وهو الجنة والنظر إلى الله تعالى (خير من اتقى) عقاب الله بترك معاصيه روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبهه في اليوم فلينظر
بم يرجع (ولا تظنون) أي تنقصون من أعمالكم (قليلاً) أي قد وما يكون في شق النواة
كما مر عن عكرمة وقرأ ابن كثير وحزوة والكسافي بالياء على القيسية والباقيون بالياء على
الخطاب ونزل في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (آيئنا
تكونوا) أيها الناس كلكم مطيعكم وعاصيكم (يدرككم الموت) أي فانه طالب لا يقوته هارب
واختلف كتاب المصاحف في رسم آيئها فاتهم من كتب ما مقطوعة من آين ومنهم من وصلها
(ولو كنتم في روج) أي حصون روج داخل روج أو كل واحد منكم داخل روج (مشيدة) أي
مرتفعة كل واحد منها شاهق في الهواء منيع فلا تخشوا القتال خوف الموت ونزل في اليهود
لما قالوا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في شمارنا ومزارعنا
منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه (وإن تصبههم) أي اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في
السعر (يقولون هذمن عند الله) لنا لا مدخل للذي فيها (وإن تصبههم سيئة) أي جدد وغلاء في
الأسعار (يقولون هذمن عندك) أي من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر
والغنية يوم بدر والسيدة القتل والهزيمة يوم أحد يقولون هذمن عندك أي أنت الذي حملتنا
عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا قول المنافقين (قل) لهم يا محمد (كل) أي الحسنه والسيدة
(من عند الله) ثم عبرهم بالجهل فقال (فألهؤلاء القوم) أي اليهود والمنافقين (لا يكادون)

يفتقرون) اى لا يقاربون ان يفهموا (حديثاً) يعطون به وهو القرآن لانهم لو فهموه وتدبروا
 معانيه لعلوا ان الكل من عند الله اوحدينا ما يلقى اليهم كنهانهم لا افهام لهم وما استفهام نجيب
 من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل اشد من نفيه (ما اصابك) اى أياها الانسان (من حسنة) اى
 نعمة دينوية واخرية (فن الله) اتك بفضل الله والاعيان احسن المحسنات قال الامام انهم
 اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولاً من دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة (وما اصابك من سيئة)
 اى بلية وامر تكرهه (فمن نفسك) اتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (فان قيل)
 كيف الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك (اجيب) بأن قوله قل كل
 من عند الله اى انصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اى
 ما اصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة ذلك كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة
 فبما كسبت ايديكم وقيل ان هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمحل تقديره فما الهؤلاء
 القوم لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
 نفسك قل كل من عند الله (وارسلناك) يا محمد (للناس) اى كافة وقوله تعالى (رسولاً) حال قصد
 بها التاكيد (وكفى بالله شهيداً) على ارسالك بنصب المعجزات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أحنى فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل
 الا أن تتخذوه رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم زلاً (من يطع الرسول فقد أطاع الله)
 لانه فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى (ومن تولى) اى اعرض عن طاعتك فلا يمسك
 (فما ارسلناك) يا محمد (عليهم حفيظاً) اى حافظاً لاعمالهم وتحاسنهم عليها انما عليهم البلاغ
 وعليها الحساب فنجاز بهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) اى المنافقون اذا امرتهم
 بشئ من امرنا وهم يحضرونك (طاعة) اى امرنا وشأننا طاعة اى نطيعك فيما تأمرنا به
 (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك) بيت طائفة منهم اى اضمرت (غير الذى تقول) لك فى
 حضورك من الطاعة اى عصمتك وقرأ ابو عمرو وحزرة بادغام التاء فى الطاء فانه عند ما ساكنة
 اى التاء فاذا اسكنت التاء قبل الطاء وجب ادغامها فيها والباقون بالظهار فان التاء عندهم
 مفتوحة (والله يكتب) اى بأمر يكتب (ما يبينون) اى ما يسرون من النفاق فى صماتفهم
 ليما زاول عليها (فأعرض عنهم) اى قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) اى ثق به فانه كافيك معرفتهم
 وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلاً) اى مفوض اليه (افلا يتدبرون) اى يتأملون (القرآن)
 وما فيه من المعانى البديعة (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم
 الكفار (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) اى تناقضاً فى معانيه ونبائيات فى نظمه فكان بعضه فصيحاً
 وبعضه ركيكاً وبعضه نصعب معارضته وبعضه تسهل وتختلفا عن الصدق فى الاخبار عن الغيب
 بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم به انه كلام
 الله ولان ما لا يكون من عند الله لا يتخلو عن تناقض واختلاف والمراد من التقييد بالكثير
 المبالغة فى اثبات الملازمة اى لو كان من عند غير الله لزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن

القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل (واذا جاءهم) أي المنافقين
(أمر) أي خبر عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم (من الأمن) أي الفئحة (أو الخوف) أي
القتل والهزيمة (إذا عاوه) أي افشوه وكنات إذا عاوتهم مفسدة والباء من بدة ولتضمن
الاذاعة معنى التحدث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فإذا غلبوا
بأدرا المناقون يستخبرون عن حالهم فيمضونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيمضعون به قلوب المؤمنين وتأذي النبي صلى الله عليه وسلم (ولو ردوه) أي ذلك الخبر
(إلى الرسول) أي لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به (والأولى
الأمر منهم) أي ذوى الرأي من الصحابة كأي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله تعالى عنهم
(أعلمه) على أي وجه يذكر أي (الذين يستنبطونه منهم) أي يستخرجون تدابيره بتجارهم وانظارهم
هل ينبغي أن يكتم أو يفشى (ولو لا فضل الله عليكم) بالاسلام (ورحمته) لكم بإرسال الرسل
وانزال القرآن (لا تبعن الشيطان) فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (القليلا) أي منكم
فإنهم لا يتبعونه حفظا من الله بما وهبهم الله من جميع العقل والعصمة فقال في حق غير الأنبياء أيضا
لأنها المنع من المعصية ولكن الشائع أن يقال في حق النبي معه وم وفي حق غيره محفوظ
(فقاتل) يا محمد (في سبيل الله لا تكف الأنفسك) فلا تهم بتخلفهم عنك أي قاتل ولو وحده
فإنك موعود بالنصر من الله وليس النصر الا بيده وما كان ليأمرك بشئ الا وأنت كقولها فأت
كفوا مقاتلة الكفار وان كانوا أهل الارض كلهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعدأ بأسفيا بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ المياد ودعا الناس الى
الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية * (ففيه) * الفاء في قوله تعالى فقاتل في سبيل الله
قال البغوى جواب عن قوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا
عظيما فقاتل انتهى (وحترض المؤمنين) أي حثهم على القتال ورغبهم فيه إذا علمك في شأنهم الا
التريض (عسى الله أن يكف بأس) أي حرب (الذين كفروا) وعسى في كلام الله وعد واجب
الوقوع بخلافه في كلام المخلوق (والله أشد بأسا) أي صولة منهم (وأشد تسكيلا) أي عقوبة
منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يخرجن ولو وحدي نخرج بسبعين راكبا
الى بدر الصغرى فكف الله بأس الذين كفروا بالقائه العرب في قلوبهم ومنع أباسفيا من
الخروج كما تقدم في سورة آل عمران (من يشفع شفاعا حسنة) رأى بها حق مسلم بأن دفع عنه
بها ضررا أو جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء المسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استحجب له وقال له الملك ولك مثله أي مثل ذلك أي ودعا الملك لارذ
(يكن له نصيب) أي أجر (منها) أي بسببها قال أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذا جاءه رجل يسأل أو يطلب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال
اشفعوا فلتؤجروا وليقبض الله على لسان نبيه ما شاء (ومن يشفع شفاعا سيئة) مخالفة للشرع
(يكن له كفل) أي نصيب من الوزر (منها) أي بسببها (وكان الله على كل شئ مقبلا) قال ابن

عباس مقتدر اجمازيا قال الشاعر

وذى ضغن (أى رب صاحب حقد) كفت الضغن عنه

وكنت على اسائه (أى اساءتى لذى الضغن) مقبلة

أى مقتدرا وقال مجاهد شاهدنا وقال قتادة حقيظا وقيل معناه على كل حيوان مقبلة أى يوصل
القوت اليه وجاء فى الحديث كفى بالمرء انما أن يضيع من يقوت (وإذا حسيتم بحبة فحبوا بأحسن
منها) التحية هى دعاء الحياة ولكن جمهور المفسرين على أن ذلك فى السلام أى إذا سلم عليكم
مسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم فإذا قال السلام عليكم فتريد الراد ورجعة الله فإذا قال ورجة الله
فتريد الراد وبركاته (أوردوها) أى بأن ترده عليه بمثل ما سلم روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم السلام عليكم فقال وعليك السلام ورجة الله وقال آخر السلام عليكم ورجة الله فقال
وعليك السلام ورجة الله وبركاته وقال آخر السلام عليكم ورجة الله وبركاته فقال وعليك أى
السلام ورجة الله وبركاته فقال الرجل تفصنى أى الفضل على سلامى فأين ما قال الله أى من
الفضل وتلا الآية فقال لم تترك لى فضلا فردت عليك مثله لأن ذلك هو النهاية لاستجباؤه فاسام
المطالب وهى السلامة من المضار وحصول المنافع وثبوتها وظاهر الآية أنه لو رد عليه بأقل مما سلم
عليه به أنه لا يكتفى وظاهر كلام الفقهاء أنه يكتفى وتحمل الآية على أنه لا اكمل وأبداء السلام
على المسلم سنة عين من المنقرد وكفاية من الجماعة ورد فرض عين إذا كان المسلم عليه واحدا
وكفاية من الجماعة ويشترط فى الرد الفور والوجوب مستفاد من الأمر والقور من الفاء
وأما كونه كفاية فله خبر أبى داود ويجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم احدهم ويجزئ عن
الجلوس أن يرده احدهم والراد منهم هو المختص بالثواب ويسقط الخارج عن الباقي وإن أجابوا
كلهم كانوا مؤدئين للفرض سواء كانوا مجتمعين أم متفرقين كصلاة الجنائزة ولا يسقط الفرض
بردا الصبي المميز (فان قيل) قد سقط به فرض الصلاة عن الجنائزة (أجيب) بأن المقصود من
الصلاة الدعاء والصبي أقرب الى الاجابة والمقصود من السلام الامان والصبي ليس من أهله
ولا يسقط أيضا برده من لم يسمع ولو سلم على امرأة أن كان يساح له النظر اليها كحرمة وزوجته
يسن له السلام عليها ووجب عليها الرد والاكراه ابتداء وردا وحرم عليها ابتداء وردا وهذا
إذا كانت مشتهرة فان كانت عجوزا أو جماعة نسوة لم يكره ويجب الرد لا لقاء خوف الفتنة
ولا بسن ابتداءه على قاضى حاجة ولا على أكل ولا على من فى حمام ولا على مصلى ومؤذن
وخطيب ومب وبمسافر وفى القلب بالدعاء ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداءه على الكافر
ويرد عليه إذا سلم عليك فقط وهذا باب طويل قد بينته السنة وقد أكثر منه فى شرح المنهاج
(أن الله كان) أى أولا وأبدا (على كل شئ حسيبا) أى محاسبا فيجازى عليه وقال مجاهد حفيظا
وقال أبو عبيدة كفايا يقال حسبى هذا أى كفى وقوله تعالى (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر
وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام لام القسم أى والله ليجمعنكم الله من قبوركم (الى) فى يوم
القيامة) وميت بذلك لأن الناس يقومون من قبورهم قال تعالى يوم يحرجون من الاجداث

سراعا وقيل اقيامهم الى الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لارب) أى لاشك
 (فيه) أى فى ذلك اليوم اربى الجوع ومن اصدق من الله حديثا) أى قولا (فان قيل) الصدق
 لا يتفاوت كالعلم اذ لا يقال هذا اصدق من هذا الصدق كما لا يقال هذا العلم أعلم من هذا
 العلم (أجيب) بأن الصدق صفة للقائل لا صفة للحديث أى لا أحد غير الله اصدق منه لأن غيره
 يتطرق الى خبره الكذب وذلك مستحيل فى حقه تعالى والانبياء مخبرون عن الله تعالى وقرأ حجة
 والكسافى بأشمام الصاد أى بحرف متولد بين الصاد والزاي (فالسكم) أى فاشأ أنكم صرتم
 (فى المنافقين) أى فى أمرهم (فتين) أى فرقين ولم تتفقوا على صكهمهم وذلك اناس منهم
 استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البلد ولا اجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
 را حلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا المشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقال مجاهد هم قوم
 خرجوا الى المدينة واسلوا ثم استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليلأوتوا
 يضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فتنازل بقولهم منافقون
 وعائل يقول هم مؤمنون وقال قوم فى الذين يتخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض
 الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم
 تكلموا بالاسلام (والله أركسهم) أى نكسهم بأن صيرهم الى النار وأردتهم الى حكم الكفرة
 (عما كبوا) من الكفر والماء أصى (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أى أن تهدوهم من جملة
 المهتدين والاستغفاهم فى الموضوعين للأنكار (ومن يضل الله) أى ومن يضل الله (فلن تجده
 سبيلا) أى طريقا الى الهدى (ودوا) أى قنوا (لوتكفرون كما كفروا فتكفونون) أنهم وهم
 (سواء) فى الكفر* (تنبيه)* قوله تعالى فتكفونون لم يرد به جواب التثنية لأن جوابه بالقام منصوب
 وانما أراد النسق أى ودوا لوتكفرون وودوا لوتكفونون سواء مثل قوله ودوا لوتدنه فيدنهون
 أى ودوا لوتدنه وودوا لويدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) أى فلا توالوهم وان اظهروا
 الايمان (حتى يهاجروا الى سبيل الله) معكم هجرة صحيحة تتحقق ايمانهم قال عكرمة هى هجرة أخرى
 والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله
 تعالى ومن يخرج من بينه مهاجرا الى الله ورسوله ونحوها من الآيات وهجرة المنافقين وهى
 خروج الشخص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا بالآغراض الدنيا وهى المراتة ههنا
 وهجرة عن جميع المعاصى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه (فان
 تولوا) أى عرضوا عن التوجه بدوا الهجرة وأقاموا على ما هم عليه (تخذوهم) أى بالأسر
 (واقتلوهم حيث وجدوهم) أى فى حل وفى حرم كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم ولدا) تولونه
 (ولا نصيرا) تتصورون به على عدوكم أى بل جابوهم بمجانبة كلية وقوله تعالى (الا الذين يصلون)
 استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يصلون أى ينتهون (الى قوم ينكمهم وبينهم ميثاق)
 أى عهد بالامان لهم ولين وصل اليهم كعهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة هلال
 ابن عبيد الاسلى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقوله تعالى

(أوجأوكم) عطف على الصلة أي وألذين جاؤكم وقوله تعالى (حصرت) أي ضاقت حال باضمحار قد
 أي وقد ضاقت (صدروهم أن يقتلواكم) أي عن قتالكم مع قومهم (أو يقتلوا قومهم) معكم أي
 ممكن عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا لهم باخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية القتال
 وقرآنافع وابن كثير وعاصم باظهار تأنيث حصرت عند الصاد وأدغمها الباقون (ولو شاء الله)
 تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بأن يقوى قلوبهم ويسيطر صدورهم ويزيل الرعب (فلما تلوكم)
 ولكنه لم يشأ فألقى في قلوبهم الرعب (فان اعترفوا لكم فلم يقتلواكم) أي بأن لم يتعرضوا لكم (والتقوا)
 اليكم السلم) أي الاسلام والانتقاد (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا بالاختيار والقتل
 (سعدون) أي عن قريب بوعد لا شك فيه (آخرين) أي من المشافقين روى عن ابن عباس أنه
 قال هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة فكلهم والاسلام رباؤهم غير مسان وكان الرجل
 منهم يقول له قومه بماذا أسلم فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب وانخفساء واذ التقوا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اناعلى دينكم يريدون بذلك الامن من القرابين كما قال
 تعالى (يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان عندكم (وأيمنوا قومهم) باظهار الكفر اذ ارجعوا
 اليهم (لما ردوا) أي دعوا (الى الفتنة) أي الكفر (اركسوا) أي انقلبوا منكوسين (فيها) أي
 الفتنة أقمع قلب (فان لم يعترفوا) أي بترك قتالكم (ويبقوا) أي ولم يلقوا (اليكم السلم ويكفوا) أي
 ولم يكفوا (أيديهم) عن قتالكم (نخذوهم) أي بالامر (واقبلوهم حيث ثقفوهم) أي وجدوهم
 (وأولئكم) أي أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة واضحة في التعرض لهم
 بالقتل والسبي لظهور عدوتهم ووضوح كفرهم (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا) أي ما ينبغي
 أن يصدر منه قتل لا بغير حق (الخطأ) أي مخطئا في قتله من غير قصد نزات في عباس بن زرعة
 وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قبل الهجرة وأسلم ثم خاف أن يظهر الاسلام
 لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطعم من أطامها فجزعت أمته لذلك جزع عاصديا وقالت
 لانيها الحرب وأبي جهل ابن هشام وهما أخوة لأمته والله لا يظلمني سعة ولا أذوق طعاما
 ولا شرا باحتي تأنيابه فخرجاني طلبه وخرج معهم ما الحرب بن زيد حتى أتوا المدينة فأبوا عياشا
 وهو في الأطم وقالوا له انزل فان أمنا لم يأوئنا سقيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاما
 ولا تشرب شرا باحتي ترجع اليها ولك والله علينا عهد أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك
 وبين دينك فلما ذكر والده ذلك أي جزع أمته وأثقوا بانه نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أقفوه
 وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به الى أمته فلما أنها قالت له والله لا أحلك من وفاقك
 حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه منوناهم طر وحافى الشمس ماشاء الله فأعطاهم الذي أرادوا
 فاتاه الحرب بن زيد فقال لعياش أهدأ الذي أنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى
 ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا أبدا الا قلت لك
 ثم إن عياشا بعد ذلك أسلم وهاجر ثم أسلم الحرب بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وليس عياش حاضر يومئذ ولم يشعر باسلامه فيمنع عياش بظهور قبائله التي الحرب فقتله فقال

الناس ويحك أى شئ صنعت انه قد أسلم فرجع عباش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
 قد كان من أمرى وأمر الحرث ما قد علمت وانى لم أشعر بإسلامه حتى قتله فنزلت الآية (تنبيه)
 قوله تعالى الا خطأ أمأ منسوب على الحال أى وليس من شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً حاله من
 الاحوال الاحال الخطأ واما مفعول لاجله أى لا يقتله لعله لا الخطأ وقيل الابعنى ولا أى ليس له
 قتله فى حال من الاحوال ولا خطا نظير قوله تعالى انى لا يخاف لى المرسلون الامن ظلم وقوله
 لا لا يكون للناس على الله حجة الا الذين ظلموا منهم (ومن قتل مؤمناً خطأ) كان قصدي غير
 كسبداً وشجر فاصابه (فقتل برقبة) أى فعله أى فواجبه تخر برقبة كاملة الرق فلا يجزى
 مكاتب كتابة صحبة ولا أم ولد والنحرير الاعتناق ويعبر عن النسخة بالرقة كما يعبر عنها بالراس
 (مؤمنة) أى محكوم بإسلامها وان كانت صغيرة ولو كان اسلامها بتسعة الدار والساني سلمة عما
 يحل بالعمل (ودية مسلمة) أى مؤداة (الى أهله) أى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر
 الموارث (الآن يصتقوا) أى يصتقوا بها عليه بأن دفعوا عنها وعلى العفو عنها صدقة
 حشا عليه وتنبه على فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وينت السنة اذية
 الخطا ما تم من الابل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
 حقة وعشرون جذعة وان عاقلة القاتل تصملها عنه وهم عصمته لأصله وفرعه موزعة
 عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار المتوسط ربع دينار كل سنة فان لم يقوا فنبت
 المال فان تعذر فبلى الجاني (فان كان) أى المقتول (من قوم عدو لكم) أى محاربين (وهو)
 أى والحال أنه (مؤمن) أى ولم يعلم القاتل ايمانه (فقتل) أى فالواجب على القاتل تخرير
 (رقبة مؤمنة) ولاديه تسلم الى أهله اذ لا وراثته بينه وبينهم لانهم محاربون (وان كان) أى المقتول
 (من قوم) أى كفرة أيضاً عدو لكم (بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد كأهل الذمة وهو كافر
 مثلهم (فدية) أى فالواجب فيه دية (مسلمة) أى مؤداة (الى أهله) وهى ثلث دية المؤمن ان كان
 نصرانياً أو يهودياً تحل منا كفته وثلاث عشرة ان كان مجوسياً أو كنياً لا تحل منا كفته
 (وتخرير رقبة مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) أى الرقبة بأن فقدوها وما يحصلها به (فصيام) أى
 فالواجب عليه صيام (شهرين متتابعين) حتى لو أفطر يوماً واحداً الفبرحيض أو نفاس وجب
 الاستئناف ولم يذكر تعالى الانتقال الى الطعام كالطهارة وبه قال الشافعى رضى الله تعالى عنه
 فى أصح قوليه وقوله تعالى (توبة من الله) نصب على المصدر أى وتاب عليكم توبة أو على المفعول له
 أى وشرع لكم ذلك توبة مأخوذة من تاب الله عليه اذا قبل توبته (وكان الله) أى ولم يزل
 (عليها) أى بأحوالكم وبما يصلحكم فى الدنيا والآخرة (حكيماً) فيما دبره لكم من نصب
 الزواجر بالكفارات وأغيرها فالزموها وأمره وباعدوا زواجره لتقووا به العلم والحكمة (ومن
 يقتل مؤمناً متعمداً) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالمياً بما عناه (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وغضب
 الله عليه ولعنه (أى أبعده من رحمته) وأعد له عذاباً عظيماً فى النار وهذا مخصوص بالسفهل
 كما قاله عكرمة وغيره ويؤيده ان الآية نزلت فى نفيس بن ضبابه وجد أخاه هشاماً قتيلاً فى بنى

النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه دينه فدفعوا إليه ثم
 جمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة ثم نادى المراد من الآية التغايط كقوله تعالى والله على
 الناس حجة البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غفي عن العالمين على تفسيرين كفر
 بمن لم يهجج وكقوله صلى الله عليه وسلم للمقداد لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة ذلك قبل أن تقتله وإنك
 بمنزلة قبل أن تقول الكلمة التي قال أو أن هذا جزاؤه أن جوزى ولا بدع في خلف الوعيد لقوله
 تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن
 عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا يذكرون في الآية أبدا وما روى عن ابن عباس أنه قال
 لا تقبل بنية قاتل المؤمن عمدا كإرواء الشيخان أراد به التشديد كما قاله البيضاوي أذروى عنه
 خلافه ورواه البيهقي في سننه وبيّن آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وإن عليه الدية أن عفى عنه
 وسبق قدرها وبيّن السنة أن بين العمد والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بلا يقتل غالبا
 فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد في الصفة والخطا في التأجيل والحمل وهو أي العمد أولى
 بالكتابة من الخطا (باب) أي الذين آمنوا إذا ضربتم أي سافرتهم للجهاد (في سبيل الله فبينوا) وروى
 أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فذلّ قهروا وبنى رجل يقال له مرداس لأنه كان
 على دين المسلمين فلما رأى الخليل خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلى
 غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحت الخيل معهم يكرهون فلما سمع
 التكبير علم أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر ووزل وهو يقول لا اله الا الله محمد
 رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه فنزل ثم رجعوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان
 سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوه إرادة ما معه ثم قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفرني فقال وكف بلا اله
 الا الله قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها على حتى وددت أني لم أكن أسلت
 إلا يومئذ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفرني ثلاث مرّات وقال اعنق رقبة وقال
 عكرمة عن ابن عباس قال مرّ رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومعه غنمه فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم إلا ليعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرأ حمزة والكسائي بالتاء المثلثة مكان الباء الموحدة
 وبالباء الموحدة مكان الباء المثلثة تحت وبالتاء المثلثة فوق مكان النون فهو من التثب والباقون
 من البيان (ولا تقولوا إن أنى اليكم السلام) أي لمن حياكم بقية السلام وقرأنا نافع وابن عامر
 وحزق بن غير ألف بعد اللام من السلام أي الاستسلام والالتقياد والباقون بالالف (لست
 مؤمنا) وإنما فعلت ذلك متعوذا (تبعون عرض الحياة الدنيا) أي تطلبون ماله الذي هو حطام
 سريع التفاد (فعند الله مغام كثيرة) تنفيكم عن قتل من مثل هذا (لذلك كنتم من قبل) أي
 أول ما دخلتم في الإسلام نفرتم بكلمة الشهادة فمضت بها أموالكم ودماءكم من غير أن تعلم

مواطاة قلوبكم ألسنتكم (فإن الله عليكم) أي بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين (فتبينوا)
 أي وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم فظننا أنهم دخلوا انتقام
 وخوفاً فإن بقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيده عظيم الأمر
 بالتبيين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (إن الله كان) ولم يزل (يعتصمون خبيراً) أي عالماً
 به وبالقرض منه فيجاز بكم به فلا تتساهلوا في القتل واحتاطوا فيه (لا يستوى القاعدون) أي
 عن الجهاد حال كونهم (من المؤمنين) روى أن زيد بن ثابت أخبر أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أملى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن أم مكتوم
 وهو عليه ألى فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلاً أعمى فأنزله الله تعالى
 على رسوله صلى الله عليه وسلم ونخذه على نخذي فنقلت على حتى خفت أن ترض نخذي أي تكسر
 ثم سري عنه أي أزيل وكشف ما به من برء الوحى (غير أولى الضرر) أي من زمانة أو عى
 أو نحوه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وقرأ نافع وابن عامر
 والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء والباقيون بالرفع صفة للقاعدين
 لأنه لم يقصده قوم بأعيانهم بل أراد به الجنس كما في قوله * ولقد أمر على التميم يسبني * فصم
 جعل غير صفة للقاعدين (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي لا مساواة بينهم وبين
 من قعد عن الجهاد من غيرهم * (تنبه) * فائدة ذكر قوله تعالى لا يستوى القاعدون الخ تذكير
 ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد ورفع مرتبته وارتفاعه عن انحطاط منزلته وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال إن في المدينة لاقواماً
 ما سرتهم من مسير ولا فطعتهم من واد إلا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم
 بالمدينة حبسهم العذر فنهى الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين (الضرر
 درجة) أي فضيلة الاستواء ما في النية وزيادة المجاهد بالباشرة (وكل) من القاعدين لضرر
 والمجاهدين (وعند الله الحسنى) أي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة
 العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (أجر أعظمياً)
 ويبدل منه (درجات منه) أي منازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقوله تعالى (وهرة
 ورجة) منه وبان به لعلهما المقدر (وكان الله) أي ولم يزل (غفوراً) لا يلبس به (رحيماً) بأهل
 طاعته وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها المدينة من رضى بالله
 رباً وبالاسلام ديناً ومحمد نبياً وجبت له الجنة قال فحببهم أبو سعيد فقال أعدها يا رسول الله
 ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى يرفع الله بها العبد ما نة درجة في الجنة ما بين
 كل درجتين كما بين السماء والأرض فقال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله وعن أبي
 هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام
 الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس
 في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا تذر الناس بذلك فقال إن في الجنة مائة درجة

أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلَ التَّوَهُ فَمَا سَأَلُوهُ
 الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَقَوْفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَنْفِيرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ
 الْجُهَادُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكَفٍ حَزْذٌ كَرْمٌ مُسْتَطِيعٌ لَهُ وَهُوَ فَرْضٌ كُفَايَةٌ لِلْأَيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِذَا كَانَ
 الْكُفَّارُ يَبْلَا دَهُمَ وَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَغْزِيَهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً بِنَفْسِهِ أَوْ بِثَابِتِهِ أَوْ بِشَخْصٍ الثَّغُورِ
 بِمَا يَقَاوِمُ الْعَدُوَّ وَأَمَّا إِذَا دَخَلُوا بِلَادَنَا وَالْعَبَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى نَعْيِينَ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدَةِ وَعَلَى مَنْ دُونَ
 مَسَافَةِ الْقَصْرِ حَتَّى عَلَى فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَرُقِيقٍ بِلاذَنْ وَيَجِبُ عَلَى مَنْ هُوَ فِي مَسَافَةِ الْقَصْرِ
 بِقَدْرِ الْكُفَايَةِ وَإِنْ أَسْرَ وَأَمْسَلَ زَمَنًا النَّهْضُ نَحْلَاصُهُ إِنْ رَجَى وَإِنْ لَمْ يَدْخُلُوا بِلَادَنَا هُزُلٌ
 فِي جَمَاعَةٍ أَسْلَمُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا فَلْيُخْرِجُوا إِلَى بَدْرِ رَجَعُوا مَعَهُمْ فَتَقْتُلُوا مَعَ الْكُفَّارِ إِنْ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ
 الْمَلَائِكَةُ) أَيُّ مَلِكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ أَوْ مَلِكِ الْمَوْتِ وَحَدِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي
 وَكَّلَ بِكُمْ وَالْعَرَبُ قَدْ تَخَاطَبَ الْوَاحِدُ بِالْفِظِ الْجَمْعِ (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) أَيُّ فِي حَالِ ظُلُمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ يَتَرَكُ
 الْهَجْرَةَ وَمَوَاقِفَ الْمَكْفُورَةِ بِالْمَقَامِ فِي دَارِ الشَّرِّ فَإِنَّ الْهَجْرَةَ كَانَتْ وَاجِبَةً قَبْلَ فِتْحِ مَكَّةَ ثُمَّ نَسَخَ
 الْوَجُوبَ بَعْدَ فَتْحِهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقَرَأَ الْبَرَاءُ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ الْمُنْثَنَةِ
 فَوَقَّ مِنْ تَوَفَّاهُمْ فِي الْوَصْلِ وَالْبِقَاعِ وَنَحْفِيفِ وَأَدْعَمُ أَبُو عَمْرٍو وَالتَّاءُ فِي الْفَاءِ بِخِلَافِ عَنْهُ
 وَالْبِقَاعُونَ بِغَيْرِ إِدْغَامٍ (قَالُوا) أَيُّ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ - (فِيمَ كُنْتُمْ) أَيُّ فِي أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ مِنْ أَمْرِ
 دِينِكُمْ وَقَرَأَ الْبَرَاءُ فِيهِ بِالْهَاءِ بَعْدَ الْمِيمِ فِي الْوَقْفِ بِخِلَافِ عَنْهُ (قَالُوا) مَعْتَذِرِينَ مِمَّا وَجَّهُوا بِهِ
 (كَأَمْسَقَ عَيْنَيْنِ) أَيُّ عَاجِزِينَ عَنْ أَظْهَارِ الدِّينِ وَأَعْلَاءِ كَلِمَتِهِ (فِي الْأَرْضِ) أَيُّ فِي أَرْضِ مَكَّةَ
 (قَالُوا) أَيُّ الْمَلَائِكَةِ تَكْذِيبُهَا لَهُمْ وَتَوْبِيخُهَا (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا) مِنْ أَرْضِ
 الْكُفْرِ إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى كَمَا فَعَلَ غَيْرُكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْحَبَشَةِ قَالَ تَعَالَى (فَأُولَئِكَ مَا وَاعَدَهُمْ
 جَهَنَّمَ) أَيُّ لَزَكِهِمْ الْوَاجِبَ وَمَسَاعِدَتِهِمْ الْكُفَّارِ (وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أَيُّ جَهَنَّمَ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى
 وَجُوبِ الْهَجْرَةِ مِنْ مَوْضِعٍ لَا يَتَكُنُّ الرَّجُلُ فِيهِ مِنْ أَقَامَةِ دِينِهِ وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ
 فَرَّيْدِيْنِهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ مَا بَيْنَهُمَا شَبْرًا اسْتَوْجِبَتْ أَيُّ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَكَانَ رَفِيقُ
 أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * ثُمَّ اسْتَنْثَى أَهْلَ الْعَذْرِ مِنْهُمْ فَقَالَ (الْأَلْمُسْتَعْضِفِينَ) أَيُّ
 الَّذِينَ وَجَدَ ضَعْفَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَعَدُوِّهِمْ وَنَقَوِيَّ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ (مَنْ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
 وَالْوِلْدَانُ) ثَمَّ بَيَّنَّ ضَعْفَهُمْ بِقَوْلِهِ (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) أَيُّ لَا قُوَّةَ لَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ وَلَا نَفَقَةَ لَهُمْ -
 (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) أَيُّ طَرِيقًا إِلَى أَرْضِ الْهَجْرَةِ (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ) أَيُّ يُجَاوِزَ
 (عَنْهُمْ) وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ لِلْإِطْمَاعِ وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَطْمَعَ عَبْدُهُ شَيْئًا أَوْ صَلَّاهُ إِلَيْهِ وَلَكِنْ
 فِي ذِكْرِ الْإِطْمَاعِ وَالْعَفْوِ إِذَا بَانَ أَمْرُ الْهَجْرَةِ مُضِيقٌ لَا تَوْسِعَةَ فِيهِ حَتَّى إِنْ الْمُضْطَرَّ الْمُبِينُ
 الْأَضْطَرَّارُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَقُولَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ (وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا) قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْ عَذْرَاءِ اللَّهِ أَيْ مِنَ الْمُسْتَعْضِفِينَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُمْ وَلَا
 الْمُسْتَعْضِفِينَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ إِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لَكُمْ جَمْعَهُ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ
 الْعِشَاءِ قَمَتَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَعْجِبْ عِيَاشَ بْنِ رَبِيعَةَ اللَّهُمَّ أَعْجِبْ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ اللَّهُمَّ أَعْجِبْ سُلَيْمَةَ بْنَ حِشَامٍ

اللهم أخرج المستضعفين من المسلمين اللهم أشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
 كسنى يوسف (ومن يهاجر في سبيل الله يجحد في الأرض مرثعاً كثيراً) أى مقصوداً يقول اليه
 وقيل طريقاً يقيراً غم يسلكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم مأخوذ من الرغام والرغم الذل
 والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقتك وهو يكره
 مفارقتك المذلة لحقه بذلك (و) يجحد (سعة) في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا
 وسافروا تغنوا أخرجه الطبراني عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظه واغزو واتغنوا
 وهاجر وانظروا ولم يسمع هذه الآية رجل من بني قيس يقال له جندب بن ضمرة قال ما تأمن
 استثنى الله عز وجل وإنى لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لأبیت الليلة
 بمكة أخرجه في غير جوابه يحمله على سير حتى أتوا به التنعيم فادركه الموت فصعق بميمنه على
 شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيك على ما يابيك عليه رسولك فأتى قال التفاتاً إلى
 الظاهر أن هذه إشارة إلى العيين وهذه إلى الشمال لا قصد اسناد الجارحة إلى الله تعالى بل على
 سبيل التصوير وتمثيل بمبايعة الله تعالى على الإيعان والطاعة بمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أياديه وقيل إشارة إلى البيعة والصفة والمعنى أن بيعته كبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سعة
 كبيعة الناس فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والوإلى المدينة كان أتم
 وأوفى أجراً وضحك المشركون وقالوا ما أدركه هذا ما طلب فنزل (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى
 الله ورسوله ثم يدركه الموت) أى في الطريق قبل مقصده (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت أجره
 عنده تعالى ثبوت الأجر الواجب تفضلاً منه ورحمة (وكان الله غفوراً) لتقصيره إن كان (رحيماً)
 يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات ولما أوجب الله السفر للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة
 المشقة فكيف بغيرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء ذكر تخفيف الصلاة
 بالقصر بقوله تعالى (وإذا ضربتم) أى سافرتم (في الأرض) سفراً طويلاً لا غير معصية والطويل
 عند الشافعي رحمه الله تعالى أربعة برد وهي مرحلتان كما ثبت ذلك بالسنة وعند أبي حنيفة رحمه
 الله تعالى ثلاثة أيام ولبس البهت بسراويل ومشي الأقدام على القصد وقوله تعالى (فليس عليكم
 جناح) أى أثم وميل في (أن تقصروا من الصلاة) أى من أربع إلى ركعتين وذلك في صلاة
 الظهر والعصر والعشاء يدل على جواز القصر دون وجوبه وبؤيده أنه عليه الصلاة والسلام
 أتم في السفر كما رواه الشافعي وغيره وعن عائشة رضى الله تعالى عنها اعترت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي
 قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي رواه الدارقطني وحسنه
 البيهقي رحمه الله وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وأوجب القصر أبو حنيفة لقول عمر
 رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم رواه النسائي وابن
 ماجه وأقول عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت
 في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان (فان قيل) ظاهرهما يخالف الآية (أجيب) بأن

الاول مؤقول بأن القصر كالقيام في الصلوة والاجزاء ومعنى الثاني لمن أراد الاقتصاد عليهم ما جاء
 بين الأدلة وقوله تعالى (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) أي ينالوكم بكمبره بيان باعتبار
 الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له قال يعلى بن أمية قلت لعمران قال الله تعالى ان خفتم وقد
 آمن الناس قال قد عجبتم مما عجبتم منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
 الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا) أي جبهه وطعنا (لكم عدوا مينا)
 أي بين العداوة وقوله تعالى (واذا كنت) أي يا محمد حاضرا (فيهم) أي وأنتم تخافون العدو
 (فأفقت لهم الصلاة) تمكن بغيره ومن خص صلاة الخوف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة
 الفقهاء على أنه تعالى علم نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يستهال يقدر به الأثمة بعده فانهم ثواب عنه
 فيكون حضورهم كحضوره روى ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 قاموا الى الطهر يصلون جميعا عداة وان لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم
 بعد صلاة هي أحب اليهم من آباءهم وأبنائهم وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها افشذوا عليهم
 فاقتلوهم فزل جبريل فقال يا محمد انهم صلاة الخوف وان الله يقول واذا كنت فيهم فأفقت لهم
 الصلاة فعلمه صلاة الخوف وهي أنواع * الاول اذا كان العدو في جهة القبلة ولا سائر والمسلمون
 كثيرون فيصلون فيهم الامام ثم يسجد بصف أول ويحرس صف ثان فاذا قاموا سجد من حرس وطقه
 وسجد معه بعدة تقدمه وتأخر الأول بلا كثرة أفعال في الركعة الثانية وحرس الآخرون فاذا
 جلس لتشهد جلس الآخرون وتشهد وسلم بالجميع روى هذا النوع مسلم وقد صلا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يعسفاً وهي قرية على مرحلتين من مكة بقرب خليص سميت بذلك العسف
 السبول فيها وجزعكس هذه الكيفية * والنوع الثاني اذا كان العدو في غير جهة القبلة وفيها
 وثم سائر فيصلون الامام بهم ركعتين مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى (فلتقم طائفة منهم معك)
 أي وتأتخر طائفة (وليأخذوا) أي الطائفة التي قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أي
 صلوا (فليكونوا) أي هذه الطائفة الأخرى (من وراءكم) يحرسون الى أن تقضوا الصلاة
 وتذهب هذه الطائفة الأخرى تحرس (ولتأت طائفة أخرى) تحرس (لم يصلوا فليصلوا معك
 وليأخذوا وحذرهم وأسلحتهم) معهم الى أن يقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك يظن
 نخل رواه الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف سنت فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم
 وخوف هجومهم عليهم في الصلاة (فان قيل) أخذ الحذر وهو الخوف مع التحفظ مجاز
 وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما (أجيب) بأن أخذ الحذر حقيقة أيضاً تزيلا له منزلة الآية
 على سبيل الاستعارة بالكناية فالجاء انما هو بين حقيقتين على أن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز كما
 عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه (فان قيل) لم نذكر أخذ الحذر في الثانية دون الأولى (أجيب) بأن
 الكفار ينهبون الثانية ما لا ينهبون الأولى والنوع الثالث صلاة ذات الرافع رواها الشيخان أيضا
 وهي العدو في غير جهة القبلة أو فيها ثم سائر أن تقف فرقة في وجه العدو ويصل الامم بفرقة
 ركعة ثم عند قبالة الثانية تفارقه وتمت بقية صلاتها وتقف في وجه العدو في الثانية والامم

ينظر لها فيصلي بها ثانية فإذا جلس للشهادة قامت وأنت برصعة وتلقه ويسلم بها ويصلي
 الثلاثة بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وهو أفضل من عكسه ويصلي الرابعة بكل فرقة ركعتين
 ويبنى نوع رابع تقدم عند قوله تعالى فإن خفتم فرحالا أو ربكنا (ود) أي تنفي (الذين كفروا ولو
 تغفلون) إذا قمتم إلى الصلاة (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بأن يحملوا
 عليكم فيأخذوكم وهذه ملة الأمر بأخذ السلاح ولما كان الله تعالى قد تفضل على هذه الأمانة
 ورفع عنها الحرج وكان المطر والمرض بشتان قال (ولاجفاح) أي حرج (عليكم إن كان بكم
 اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) لأن حمل السلاح في المطر يكون سببا للبلل
 وفي المرض يزيد حمله المريض وهنا هو ذا يضاف إلى إيجاب حمله عند عدم العذر وهو أحد قولي
 الشافعي والثاني أنه سنة ورجح بشرط أن لا يؤذى ولا يحصل بترك حمله خطر ولا ينجم همة الصلاة
 فإن أدى كرمح وسط الصف كرمحه بل إن غلب على ظنه ذلك حرم وإن حصل بتركه خطر وجب
 حمله ويمكن حمل الآية على هذه الحالة وحمله وضعه بين يديه إن سهل متديده إليه بل يتعين إن منع
 حمله العصة من نجس أو غيره (وخذوا حذركم) من العدو أي احتذروا منه ما استطعتم كيلا
 يهجم عليكم (فان قيل) كيف طابق الأمر بالحذر قوله تعالى (إن الله أعد للكافرن عذابا)
 أي قتلا وأسرأ ونهباً في الدنيا (مهيناً) أي ذاهناً (أجيب) بأن الأمر بالحذر من العدو
 يوقع غلبته واعتزاده فنفى عنهم ذلك الإيهام بأخبارهم أن الله تعالى يمين عدوهم ويحذله
 وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم ويعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تبعه من الله تعالى
 كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولما أعلمهم بما يفعلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك
 ما يفعلون بعدهم لا يفلن أنهن اتعن عن مجزئ الذكرك فقال مشيراً إلى تعقيبها (فإذا قضيت الصلاة)
 أي فرغتم من فعلها وأدّيتها على حالة الخوف أو غيرها (فادكروا لله) أي بالتلبية والتسبيح
 والتهليل والتعجيل (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي مضطجعين أي إذا كره في كل حال
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه وقيل صلوا بما في حال العصة وقعوداً في حال المرض وعلى جنوبكم عند الحرج
 والزمانة (فإذا اطأنتم) أي أمنت بما كنتم فيه من الخوف (فأقيموا الصلاة) أي أدوها
 بحقوقها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً) أي
 مكتوباً أي مقروضاً (موقوتاً) أي مقدراً وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه قال صلى الله عليه وسلم
 أمني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله أي الشيء
 مثله والمغرب حين أظفر الصائم أي دخل وقت افطاره والعشاء حين غاب الشفق الأحمر والفجر
 حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله والعصر
 حين كان ظله مثله والمغرب حين أظفر الصائم والعشاء إلى ثلث الليل والفجر فأمر وقال هذا
 وقت الاتيان من قبلك رواء أبو دأود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم لم صلى
 الظهر حين صار ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول حينئذ قاله

الشافعي رضي الله عنه نافيًا به اشتراكهما في وقت ويدل خبر مسلم وقت الظهر إذا زالت
 الشمس ما لم يحضر العصر ونزل لمباحث صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه
 لما رجعوا من أحد فشقوا الجراحات (ولا تنهوا) أي تضعفوا (في ابتغاء القوم) أي في طلب
 أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا بالمون) أي تتوجهون من ألم الجراح (فانهم بالمون) أي
 يتوجهون من الجراح (كما نالمون) ولم يجنبوا عن قتالكم فلا تجنبوا عن قتالهم (وترجون)
 أنتم (من الله) من النصر والثواب على جهادكم (ملا يرجون) هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك
 فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصر عليها (وكان الله عليهما) بأعمالكم وضماؤكم
 (حكيمًا) أي فيما يأمر وينهى (ان أنزلنا اليك الكتاب) أي القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق
 بأنزل (لتحكم بين الناس بما أراك) الله أي عرفك وأوحى به اليك وليس أرى من الرؤى بمعنى
 العلم والالاس تدعى ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما
 أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الاليسه ولكن ليحتمد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه إياه وهو منا الظن والتكليف وروى الكلبي عن أبي
 صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر الطاء
 وقمها والاول أفصح ابن أبي عمير من غي ظفر من الحشر مرقدر عامن جاره يقال له قتادة بن
 النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى الدار
 ثم أخبرا عن ذلك رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
 ما أخذها وماله به علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فأخذوها فقال
 دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم واسألوه ان يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يفعل لانه يرى بحلفه وان يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده وقبل هم أن يقطع يده
 فقال تعالى (ولا تكن للضالين) كطعمة (خصيما) أي محاصمًا مدافعًا عنهم (واستغفر الله) أي
 ما هممت به أي من الذب عنه وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منه عن ذلك معصوم ولكن عن
 مقام عال سام للارتقاء الى أعلى منه وأتم (ان الله كان عفورا رحيمًا) لمن يستغفره (ولا تجادل
 عن الذين يحكمون أنفسهم) أي يخوفونهم بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم (فان قيل) لم قال
 للضالين ويحكمون أنفسهم والخائن واحد فقط (أجيب) بأنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان
 خيانتها أوليتنا له وقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائه وخصاه واعنه وقبل
 ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما
 أنزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على احد وجوه ثلاثة اما الذنب تقدم على
 النبوة والذنوب أمته أو لمباح جاء الشرع بغيره فيتركه كدالاستغفار فالاستغفار يكون معناه
 السمع والطاعة لحكم الشرع (ان الله لا يحب) أي يعاقب (من كان خوفًا) أي كثير الخيانة
 (أنبياء) أي منهم مكافيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطه ليسرق متاع أهله

الحائط عليه فقتله (فان قيل) لم قال خذوا ناسا على المبالغة (أجيب) بأن الله تعالى كان
 عالما من طعمة بالانوار في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقبل
 اذا عثرت من رجل على سبقة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه أمر بقطع يد
 سارق فجاءت أمه تسكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف منه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
 عبده في أول مرة (يستخفون) أى طعمة وقومه يستترون ويستنجبون ويخافون (من الناس
 ولا يستخفون) أى ولا يستنجبون ولا يخافون (من الله) وهو أحق أن يستنجبوا ويخافوا منه (وهو
 منهم) بعله لا يخفى عليه سرهم (الذين يتون) أى يدبرون لبلال على طريق الامعان في الكفر
 والاتقان للرأى (ما لا يرضى من القول) أى من رعى اليهودى بالسرقة وشهادة الزور عليه
 والحلف الكاذب على نفيها (فان قيل) لم سمى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس (أجيب) بأنه
 لما حدث بذلك نفسه سمى قولا مجازا قال في الكشف ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب
 الذى حلف به بعد أن بينه (وكان الله بما يعملون محيطا) أى علما وقدره لا يفوت عنه شئ وقوله
 تعالى (ها أنتم هؤلاء) خطاب لقوم طعمة أى يا هؤلاء (جادلتم) أى خاصمتم (عنهم) أى عن طعمة
 وذويه (في الحياة الدنيا) أى بما جعل لكم من الاسباب (فن يجادل الله عنهم يوم القيامة)
 اذا عذبهم (أم من يكون عليهم وكيل) يتولى أمرهم ويذب عنهم (م أى لا أحد يفعل ذلك
 * فائدة) * اتفق كتاب المصاحف على قطع أم عن من (ومن يعمل سوا) أى ذنبا يسو به غيره
 كرمى طعمة اليهودى (أو يظلم نفسه) أى يعمل ذنبا يختص به لا يعتاده وقيل المراد بالقول
 الصغيرة والثاني الكبيرة (ثم يستغفر الله) أى يطلب من الله تعالى غفرانه بالتوبة بنسب وطها
 (يجد الله غفورا) أى مجازا للزلات (رحيما) أى بما الغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث
 عن الله من تقرب منى شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقرب منه باعا ومن أتانى
 شئ أتته هرولة وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ان هذه الآية نزلت من بهم مل سوا
 يجزبه (ومن يكسب اثما) أى ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) أى لا وبال راجع عليه اذ الله له
 بالمرصاد فهو مجاز به عليه فلا يعتاده وبالله قال تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما) بالغ العلم
 بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شئ منه (حكيم) في منعه فلا يجازيه الا بعقار ذنبه (ومن يكسب
 خطيئة) أى ذنبا صغيرا أو مالا همد فيه (أو اثما) أى كبيرة أو ما كان عن عمد (فيم به بريئا) أى
 ينسبه الى من لم يعمل كما فعل طعمة باليهودى (فتداحل) أى تمحل (به ثانا) أى خطر كذب
 يهت المرى به (واثما) أى ذنبا كبيرا (مبين) أى بينا يكسبه بسبب رعى البرى (ولو لا فضل الله
 عليك يا محمد (ورحمته) بالعصمة (لهم طائفة منهم) أى من قوم طعمة أى هـ ما مؤثر عندك
 (أن يضلوك) أى عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال بتدليسهم عليك فلا ينافى ذلك أنهم قد هموا
 بذلك لأن الهم المؤثر لم يوجد (وما يضلون إلا أنفسهم) اذ وبال ذلك عليهم (وما يضرونك من شئ)
 فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميسلا في الحكم
 * (تنبيه) * من شئ في موضع نصب على المصدر أى شيا من الضرف من زيادة (وأرسل الله عليك

الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة فأنهم الست قرأ ما يتلى وفسرت أيضا بانها علم
 الشرائع وكل كلام وافق الحق (وعلم ما لم تكن تعلم) أى من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة
 من أحوال الدين والدنيا (وكان فضل الله بملك عظميا) أى بهذا وغيره من أمور لا تدخل تحت
 الحصر وفى هذا دليل على أن العلم من أشرف الفضائل (لاخبرني كثير من نجبواهم) أى الناس
 قوم طعمة فانهم ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه وكذا غيرهم (الا) بخوى (من أمر
 بصدقة) راجبة أو مندوبة (أو معروف) أى عمل بر وتميل المراد بالصدقة الواجبة والمعروف
 صدقة التطوع (أرأى صلاح بين الناس) وسواء اصلاح ذات البين وغيرهم قال صلى الله عليه وسلم
 كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان
 رجلا يقول ما أشده هذا الحديث فقال ألم تسع الله يقول لاخبرني كثير من نجبواهم فهو هذا
 بعينه أو ما سمعته يقول والعصران الانسان لى خسر فهو هذا بعينه وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول
 الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الخالقة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 ليس بالكذب من أصل بين الناس فقال خيرا أو أئني خيرا (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذكور
 (انقاه) أى طلب (مرضاته الله) أى لاغيره من أمور الدنيا لان الاعمال بالنيات (فوف
 بوعده) أى الله في الآخرة بوعده لاخلف فيه (أجر أعطيا) هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم
 وفى هذه الآية دلالة على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال الباطن في اخلاص
 النية وتصفية القلب من الالتفات الى غرض دنيوى وقرأ أبو عمرو وحزرة بؤيه بالياء والباقون
 بالثنون (ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه فيما جاء به ما خوذ من الشقاق كلام من المخالفين
 فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين) أى ظهر (له الهدى) أى الدليل الذى هو سببه
 (ويستبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يتبع غير دين
 الاسلام (توله ما تولى) أى يجعله واليا لما تولى به بأن تخل بينه وبينه في الدنيا (وفصله) أى ندخله
 فى الآخرة (جهنم) يحترق فيها (وسامت مصيرا) أى مرجعها وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة قوله
 ونصله بسكون الهاء واختلس كسرة الهاء قالون ولهشام وجهان الاختلاس كقالتون واشباع
 الحركة بكافى القراء (فان قيل) ما الحكمة فى فك الادغام فى قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
 والادغام فى سورة الحشر فى قوله تعالى ومن يشاقق الله (أجيب) بأن أل فى لفظ الجلالة لازم
 بخلافه فى الرسول والزمزم يقتضى النقل تخفيف بالادغام فيما صحبه الجلالة بخلاف ما صحبه
 لفظ الرسول (فان قيل) يرد هذا قوله تعالى فى سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله (أجيب)
 أنه لما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمدةطوف عليه كالثنى الواحد (ان لله لا يقفر
 ان يشرك به) أى وقوع الشرك به من أى شخص كان وبأى شئ كان (وبقصر فما) أى كل
 شئ هو (دون ذلك) أى من سائر المعاصى لكن (لم يشاء) لان جميع الأمور بمشيئته روى
 ان شيئا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شئ منكم فى الذنوب الا ان لم

أشرك بالله شيئا منه زعمته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم وقع المعاصي جراءة وما توهمت
 طريقة عين اني أعجز الله هربا وانى لنادم نائب مستغفر فأتى حالى عند الله فترك (ومن يشرك بالله
 فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وابعدها عن الصواب
 والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ
 شركهم نوع افتراء وهو دعوى التنبى على الله (ان) اى ما (يدعون) اى يعبد المشركون (من
 دونه) اى غير الله (الا انا) وهى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حتى من احياء
 العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه اثنى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هت بنات
 الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله (وان) اى ما (يدعون) اى يعبدون
 عبادتها (الاشياء ما يريد) اى خارجا عن الطاعة وهو ابليس لانه الذى امرهم بعبادتها
 واغراهم عليها فكانت طاعته فى ذلك عبادة له (لعمري الله) اى ابعد عن رحمة (وقال)
 الشيطان المذكور (لا اتخذ من عبادك نصيبا) اى حظا (مقروضا) اى مقطوعا ادعواهم فيه
 الى طاعتي قال الحسن من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار (ولا ضلنهم) اى عن
 طريق الحق السوى بما سلطت به من الوسواس وتزيين الاباطيل (ولا منينهم) اى بكل ما أقدر
 عليه من الباطل من عدم البعث والحساب والجنة والنار وغيره وألقى فى قلوبهم طول الاعمار
 وبلغ الأمال من الدنيا والآخرة بالرجة والحنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسوية
 بالتوبة (ولا مننهم فليست كن) اى يقطعن (أذن الانعام) كما كانت العرب تفعله بالهائم
 والسواب التى حرموها على أنفسهم كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء
 الخامس ذكر حرموها على أنفسهم الاتضاع بها (ولا مننهم فليغيرن خلق الله) اى فطرة الله
 التى هى دين الاسلام بالكفر واحلال ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله ويدخل فى ذلك اللواط
 والسحر والوشم وهوان يغرز الجلد بآبرة ويمشى بنحويلة والوشى وهوان تحسد المرأة أسنانها
 وتزققها ونحو ذلك وكل خصالها وهى حرام فى بنى آدم قال الزمخشري وعند أئى حنيفة يكره شراء
 الخصبان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائمهم وأتأ فى اليها ثم فيصوزن
 المأكول الصغير ويحرم فى غيره وقيل الحسن رحمه الله تعالى ان عكرمة يقول المراد هنا هو
 الخصبان فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم (ومن يتخذ الشيطان وليا)
 أى يتولاه ويطيعه (من دون الله) أى غيره (فقد خسر خسرانا كبيرا) بينا المصير الى النار
 المؤبدة عليه (بعدهم) ما لا ينجزه بأن يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالسوسة فى شئ من
 الاباطيل انه قريب الحصول فيسعون فى تحصيله فيضيع عليهم فى ذلك الزمان ويركبوا
 ما لا يصل من الاحوال والهوان (ويخيههم) نيل الأمال فى الدنيا ولا بعث ولا جزاء (وما) أى
 والحال انه ما (يدهم الشيطان) بذلك (الاعزورا) أى باطلا وهو اظهار التفع فيافيها الضر
 وهذا الوعد اما بالخواطىر أو بلسان أو لبانه (أو لتلك) أى الشيطان وألباؤه (وأوهم) أى
 مقترهم (جهنم) يحترقون فيها (ولا يجدون عنها محمصا) أى معدلا ومهربا ولما ذكر ما للكافرين

ترهبوا تبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال (والذين آمنوا) أى أقروا بالآيمان (وهملوا الصالحات) أى
 الطاعات تصدقوا لا اقراهم (سندخلهم) وعد لا خلف فيه (جنات تجري من تحتها الانهار) أى
 لرى أرضها نخشاها أجرى منها نهر جرى (خالدين فيها) ولما كان الخلود يطلق على المكث
 الطويل دفع ذلك بقوله تعالى (أبدا) أى لا الى آخر (وهذا الله حقا) أى وعدهم الله ذلك وهو
 قوله تعالى سندخلهم وحقه حقا (ومن) أى لا أحد (أصدق من الله قولا) أى قولا وأكثر
 سبحانه وتعالى من التاكيد هنا لانه في مقابلة وعد الشيطان وعد الشيطان موافق للهوى
 الذى طبع عليه النفوس فلا تنصرف عنه الا بعسر شديد * نزل لما افتخر المسلمون وأهل
 الكتاب وهم اليهود والنصارى فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبكمم وكنا قبل كلكم فنصن أولى
 باقكم منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكنا نبيا ينقض على الكتب وقد آمننا بكمم ولم تؤمنوا
 بكتبنا فنحن أولى (ليس) أى الامر منوطا (بأمانيتكم) أيها المسلمون (ولا أمانى أهل الكتاب)
 بل بالآيمان والعمل الصالح (من يعمل سواء يجزيه) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية شقت
 على المسلمين وقالوا يا رسول الله أينالم يعمل سواء غيرك فكيف الجزاء لمنه ما يكون في الدنيا
 أى بالبلاء والهن كما ورد في الحديث من يعمل حسنة فله عشر أمثالها ومن جوزى بالسببة
 نقصت واحدة من عشرة وبني له تسع حسنات فويل لمن غلبت أحاده أعشاره وأما ما كان جزاء
 في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلحق مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى
 الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله وعن أبي بكر رضى الله تعالى عنه قال كنت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه الآية من يعمل سواء يجزيه (ولا يجزله من دون الله)
 أى غيره (ولما) أى يحفظه (ولا نصبرا) أى يمتعه منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا
 بكر الا قرئت آية نزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأنيها قال ولا أعلم انى قد
 وجدت انقصا ما في ظهري حتى غطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر
 قلت يا رسول الله بأنى انت وإمى واينالم يعمل سواء وانما الجزىون بكل سوء عملناه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أمانت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فيجزون بذلك في الدنيا أى بالبلاء والهن
 كما مر حتى تلاقوا الله وليس لكم ذنوب وأما الا آخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة
 (ومن يعمل) شيئا (من الصالحات) فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وقوله تعالى (من
 ذكر أو أنشئ) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن البيان أن من الصالحات أى كائنه من
 ذكر أو أنشئ ومن لا ابتداء وقوله تعالى (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها في استعداده
 الثواب المذكور ترتيبها على انه لا اعتداد بالعمل الصالح دون اقترانها (فأولئك) أى العالو
 الرتبة (يدخلون) أى ندخلهم (الجنة) أى الموصوفة (ولا يظلمون تقيرا) قدرقرة النواة
 من ثواب اعمالهم وان لم يتحصن ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان الجاهزى
 هو أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم
 الياء وفتح الخاء والباءون بفتح الياء وضم الخاء (ومن) أى لا احد (احسن ديننا من اسلم وجهه)

اى انتقاد واخلص عمله (لله) فلا سره ولا سكون الا فيما يرضاه وفي هذا الاستهزاء تنبيه على
 ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية (وهو) اى والحال انه (محسن) اى مؤمن مراقب ات
 بالحسنات تارك للسيئات لانه يعبد الله كأنه براء وقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين
 كله اصلا وفرعاً مع الترغيب بالممدح الكامل لتبعه وافهام الذم الكامل لغيره (وانتبه على
 ابراهيم) اى الموافقة لله الاسلام وقوله تعالى (حنيفاً) حال اى ما تلاعن الاديان كلها الى الدين
 القيم (واخذ الله ابراهيم خليله) اى صفيا خالص المحبة له وانما اعاد ذكره ولم يضمه تفعيماً له
 وتخصيصاً على انه المدح والخليل من الخلال فانه قد تخلل النفس وخالطها قال الزجاج
 الخليل الذى ليس في محبته خلل والخللة الصداقة فسمى خليلاً لان الله تعالى أحبه واصطفاه
 روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
 من مر به من الناس فأصاب الناس سنة عشر والى باب ابراهيم يطبلون الطعام وكانت المزة
 كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلامه بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال خليله لغلامه
 لو كان ابراهيم يريد لنفسه فعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من
 الشدة فرجع غلامه فزوا يطعماء أى بأرض ذات حصص فقالوا لوالاهلنا من هذه البطحاء ليرى
 الناس اننا قد جئنا بغيره فانما نصى ان نغريهم والبطحاء غلة تلك القرى ثم أتوا ابراهيم فلما
 أخبروه بذلك وسارة نائمة ساء الخبر فغلبته عيناه فقام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
 سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى فقامت الى القرى ففتحتها فاذا هو أجرد حواري أى وهو
 بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الدقيق الذى تخلل مرة بعد اخرى فأمرت الخبازين
 لغريزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد راحة الخبر فقال من أين هذا لكم فقالت من
 خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسمعه الله خليلاً (ولله ما فى السموات
 وما فى الارض) خلقاً وملكاً يفعل فيهم ما يشاء (وكان الله بكل شئ محيطاً) علماً وقدره أى ولم
 يزل متصفاً بذلك فهو ما أراد كان في وعد وعيد لمطيع والعاصي لا يخفى عليه أحد منهم
 ولا يجهز شئ (ويستفتونك) أى يطلبون منك الفتوى (فى) شأن (النساء) أى فى شأن النباى
 (قل الله يفنيكم) أى يبين لكم حكمه (فيهن) والافتاء يبين المبهم (و) يفنيكم أيضاً (ما يتلى
 عليكم فى الكتاب) أى القرآن من آية الميراث (فى نباى النساء) اى فى شأن النباى (اللاق
 لا تؤنهن ما كتب) أى فرض (لهن) أى من الميراث (وترغبون) أيها الاولياء (ان) أى فى ان
 أوعن ان (تفكوهن) لجمالهن أو دما منهن قالت عائشة رضى الله تعالى عنها هى اليتيمة
 تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة
 صداقها وان كانت مرغوبة فى قلبه المال والجمال تركها وفى رواية هى اليتيمة تكون فى حجر
 الرجل قد سرته فى ماله فيرغب عنها أن يتزوجها دما منتهى بكرهه أن يزوجها غيرة فيدخل عليه
 فى ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله تعالى عن ذلك (و) يفنيكم فى (الاستضعفين) أى
 الصغار (من الولدان) أى أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب كانوا يورثونهم كالأورثون النساء

وقوله تعالى (وان تقوموا) في محل نصب باضمار فعل أي وبما ركم ان تقوموا (للسامى) بالقسط
 أي العدل من المبراث وغيره والخطاب للآئمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقهم أو لغيرهم
 بالنصفة في شأنهم (وماتهوا من خير) أي في ذلك أو غيره (فان الله كان به عليم) أي
 فيما راكم عليه فانه اكرم الاكرمين فطيبوا نفسا وقرأ عينا قال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة
 قد كبرت وله منها أولاد فارد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت له لا تطلقني ودعني على ولدي
 واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو واجب الي
 فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى (وان امرأة) مرفوع بفعل بفسره
 (خافت) أي توقعت (من يعاها) أي زوجها (نشوزا) أي تجافيا عنها وترفعان محبة كراهة
 لها ومنه الحقوقها (أو أعراضا) بأن يقل محادثتها ويجالسها (فلا جناح لميها) أي الزوج
 والزوجة (ان يصلحا بينهما صلحا) أي في القسم والتفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد
 دخلت في السن واني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أو ثرها عليه في القسم لئلا ينهارا
 فان رضيت به هذا فاقبى وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على
 ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيهما حقهما من القسم والتفقة أو يسرحهما
 باحسان فان أمسكها وفاها حقها مع كراهة فهو المحسن وقرأ أصم وحجزة والكسائي بضم
 الباء وسكون الصاد ولا ألف من أصل بين المتنازعين والباقون بفتح الباء وفتح الصاد مع
 التشديد وألف بعدها وفتح الهمزة وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وغلظ ورش اللام من
 يصلح لاجل خلاف عنه (والصلح) بأن يترك كل منهما حقه أو بعض حقه (خير) من الفرقة والنشوز
 والاعراض كما يروى أن سودة كانت امرأة كبيرة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقها
 فقالت لا تطلقني وانما بي أن ابعت في نساءك وقد جعلت نوبتي لعائشة فأمسكها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يوما ويوم سودة ثم بين سبحانه وتعالى ما جبل عليه الانسان
 بقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جبلت عليه فكانها حاضرة لا تغيب عنه فلا تنكح المرأة
 تسمي بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا بنفسه بأن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي اذا الزوج
 لا يكاد يسبح بنفسه اذا كرهها او خصوصا اذا أحب غيرها والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص
 على منع الخير (وان تحسنوا) أي في عشرة النساء وان كنتم كارهين (وتتقوا) أي النشوز
 والاعراض ونقص الحق (فان الله كان) أزلا وأبدا (بما تعملون) أي من الاحسان والخصومة
 (خيرا) أي علميا به وبالغرض منه فيما راكم عليه (ولن تستطيعوا) أي توجدوا من أنفسكم
 طواعية بالغة دائمة (ان تعدلوا) أي تسووا بين (النساء) أي في المحبة لان العدل أن لا يقع
 ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل
 ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا تقرأخذني فيما تملك ولا املك رواه ابوداود وغيره وصححه الحاكم
 (ولو حرصتم) على تحزير ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا) أي الى التي تحبونها (كل الميل) في القسم

والدفقة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله (فتسذروها) أى تتركوا المرأة الممال عنها (كلما لعلقة)
أى التى لاهى أيم ولا ذات بعل وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان يميل الى
أحدهما جاء يوم القيامة وأحدى شقيه مائل رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وروى أن عمر
رضى الله تعالى عنه بعث الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضى الله
تعالى عنها الى كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لبعث الى القرشيات
بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا
فى القسمة بما له ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتته لهن جميعا وكان له ما ذرى الله تعالى عنه
امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر
واحد (وان نضلوا) أى ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فبما يستقبل (فان الله
كان غفورا) أى لما فى قلوبكم من الميل (رحيما) بكم فى ذلك وغيره فانه أرحم الراحمين
(وان يفتروا) أى يفتروا كل من الزوجين من صاحبه بالطلاق (يقن الله كلا) منهما عن الآخر
ببدل بأن يرزقها زوجها ويرزقها غيرها (من سعة) أى من فضله وكرمه (وكان الله واسعا)
أى واسع الفضل والرحمة بخلقه (حكيم) أى فيما دبره لهم وفى قوله تعالى (ولله ما فى السموات
وما فى الارض) أى ملكا وعبيدا تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب) أى جنس الكتب (من قبلكم) أى اليهود والنصارى ومن قبلهم وقوله تعالى
(واياكم) عطف على الذين وهو خطاب لاهل القرآن (أن اتقوا الله) أى بأن اتقوا الله أى خافوا
عقابه بأن تطيعوه وقوله تعالى (وان تكفروا) أى بما وصيتم به (فان الله ما فى السموات
وما فى الارض) على ارادة القول قال التفمازنى لأن الجملة الشرطية لا تصح أن تقع بعد
أن المصدرية فلا يصح عطفها على الواقع بعدها أى وقتناهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك
الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كالا يتفجع بشرككم وتقواكم وانما يوصيكم لرحمته
لألحاجته ثم قر ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حمدا) فى ذاته حمد
أولم يحمد (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل) أى شهيد بأن ما فىهم له (فان
قبل) ما فائدة تكرر لله ما فى السموات وما فى الارض (أجيب) بأن لكل واحدة منهما
أما الاول فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما
الثانى فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حمدا أى هو الغنى المطلق فاطلبوا
منه ما تطلبون فانه لا يتقدم ما عنده وأما الثالث فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وكفى
بالله وكيل ولا توتكوا على غيره فذكرت كل مرة دلالة على شئ غير الذى قبله وكررت لأن الدلائل
الواحدة اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن أن يستدل به على كل واحد منها واعادته
مع كل واحد أولى من الاكتفاء به مرة واحدة لأن اعادته تخفض فى الذهن ما يوجب العلم
بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجل وفى ختم كل جملة بصفة من الصفات
الحسنى تنبيه الذهن بها الى أن هذا الدليل محتو على أمور شريفة ومطالب جليلة لا تنحصر

فيجتهد السامع في التفكير لاظهار الامرار والاستدلال على صفات الكمال لان الغرض التكملي
 من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته
 سبحانه وتعالى وهذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد (ان يشأ يذهبكم) أي
 يفسدكم (أيها الناس) كما أوجدكم (ويأت بأخرين) أي ويوجد قوما آخرين مكانكم
 أو خلفا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) أي الاعداء والايجاد (قدرا) أي بليغ
 القدرة لا يمنع عليه شيء أواده وقبل هذا خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من العرب ان يشأ يفسدكم ويأت يناس آخرين بوالونه وروى أنه لما نزلت ان يشأ يذهبكم
 الآية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا أي سلمان
 وهم بنو فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية كالجهاد والجهاد للجنة لقصور
 نظره على الخسيس الخاضع مع خسسته كالبهايم (فعند الله ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية
 (والآخرة) النفيسة الباقية لا عند غيره فإله يطلب الخسيس فليطلب ما منه كن يقول ربنا
 آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو لطلب الاشرف منها فان من غلب همته فأقبل بقلبه
 اليه وقصر همه عليه جمع له سبحانه وتعالى بينهما كن بجاهد الله خالصا يجمع له بين الآخرة
 والغنى (وكان الله سمعا) أي بالغ السمع لكل قول وان خفي (بصريا) أي بالغ البصر لكل ما يصر
 وان خفي (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه
 (بالقسط) أي بالعدل (شهادة الله) بالحق أي تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة
 (على انفسكم) فاشهدوا عليهم بأن تقروا بالحق ولا تسكتوه (أو الوالدین والاقرین) أي ولو كانت
 الشهادة على والديكم وأقاربكم (ان يكن) أي المشهود عليه (غنيا) فلا تنزع الشهادة عليه لغناه
 طلبا الرضا (أو فقيرا) فلا تنزع ترجاعا عليه (فأله أولى بهما) أي الغنى والفقير وبالنظر لهما
 فالولى تكن الشهادة لهما أو عليهم ماصلا لما شرعها * (تنبيه) * الضمير في بهما راجع الى ما دل
 عليه المذكور وهو غنى الفقير والغنى والفقير لا الهما والاولو حرا للغير لكون العطف بأو فكأنه قال
 فأله أولى بغنى الفقير والغنى بالاعنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) أي في شهادتكم
 بأن تحابوا الغنى لرضاء أو والفقير رجة له (أن تعدلوا) أي ارادة ان تعدلوا فعد بانفسكم
 أن لا عدل في ذلك أولئك تعدلوا أي غلبوا عن الحق (وان تلوا) أي ألسنتكم تعرفوا الشهادة
 (أو ترضوا) أي عن آرائها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به وقرأ ابن عامر وحزرة
 بضم اللام وحذف الواو الاولى والباقيون بسكون اللام وواوین الاولى مضمومة (يا أيها الذين
 آمنوا آمنوا) أي داوموا على الايمان بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله محمد صلى الله
 عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب أي آمنوا بجميع
 كتب الله المنزلة وقيل ان الخطاب في ذلك لاهل الكتاب روى ان ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول
 الله اننا تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر عساواه فقال لهم النبي صلى الله
 عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله تعالى هذه الآية

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون من نزل وضم الهمزة من أنزل وكسر الزاي فيها
 والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيها (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه) التي أنزلها على
 أنبيائه (ورسله) أي من الملائكة والبشر (واليوم الآخر) أي الذي أخبر به رسله وهو يوم
 القيامة أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضلّ ضلّالاً بعيداً) عن الحق بحيث لا يكاد يعود إليه
 وقرأ آل فالحون وابن كثير وعاصم بظاهر دال قد عند المضاد والباقون بالادغام (أن الذين آمنوا)
 أي بموسى وهم اليهود (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عود موسى إليهم (ثم كفروا)
 بعيسى (ثم ازدادوا كفرًا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) أي ماداموا
 على هذه الحالة لأنه لا يغفر أن يشرك به (ولا يهديهم سبيلاً) أي طريقاً إلى الحق (بشر المنافقين)
 يا محمد (بأن لهم عذاباً أليماً) أي مؤلماً هو النار (تنبيه) • وضع بشر مكان أنذر ثم كمالهم وقوله
 تعالى (الذين) بدل أو نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون
 فيهم من القوة وقوله تعالى (أيتقون) أي أيا طلبون (عندهم العزة) استغفاهم انكارى أي
 لا يجحدونهم عندهم (فإن العزة لله جميعاً) في الدنيا والآخرة ولا يناله إلا الله قال الله تعالى
 ولله العزة ورسوله وللمؤمنين (وقد) أي تتخذونهم والحال أنه قد (نزل عليكم) أي أيها الأمة
 الصادقين منكم والمنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة النهي
 عن مجالسهم فضلاً عن ولايتهم (أن) أي انه فهمى مخففة واسمها محذوف (إذا سمعتم آيات الله)
 أي القرآن (يكفروا بها ويستهزئوا بها فلا تقعدوا معهم) أي الكافرين والمستهزئين
 (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يأخذوا في حديث غير ذلك قال الضعفاء عن ابن
 عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مستدع إلى يوم القيامة وقرأ عاصم نزل بفتح
 النون والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي (انكم إذا) أي ان قد تم معهم (مما لهم) أي
 في الآثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفران رضيتم به وقيل كان الذين
 يقاعدون المنافقين في القرآن من الاحبار هم المنافقون ف قيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في
 الكفر وبدل عليه • قوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) أي القاعدين
 والمقعد معهم كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء وقوله تعالى (الذين) اما بدل من
 الذين قبله واما صفة للمنافقين واما نصب على الذم منهم (يتربصون) أي ينظرون وقوع
 أمر (بكم) فان كان لكم ففتح من الله (أي ظفروا وغشيتهم) قالوا لكم (ألن كنن معكم) أي في الدين
 والجهاد فاجعلوا لنا نصيباً من الغنية (وان كان للكافرين نصيب) أي من الظفر فان الحرب
 سجال، وعبر بنصيب تحقيراً اظفرهم بالنسبة لما حصل للمسلمين من الفخ (قالوا) لهم
 (ألن نستحوذ) أي نستول (عليكم) ونفسد على أخذكم وقتلكم فأبشينا عليكم (وننعمكم من
 المؤمنين) أي من تسلطهم عليكم عما كانوا يفعلونه ونشيع فيهم من الارجافات والامور
 المرعبة الصارفة لهم عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاطهارنا للايمان ومراد المنافقين
 بذلك اظهار المنّة على الكافرين (فأنه يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيامة) بأن يدخلكم الجنة

ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي طريقا بالاستئصال واحتج
 أصحابنا بهذه الآية على فساد شراء الكافر العبد المسلم (أن المنافقين يخادعون الله)
 أي باظهارهم خلاف ما يظنون من الكفر ليدفعوا عنهم احكامهم الدينية (وهو خادعهم) أي
 يحازيهم على خداعهم فيفتحهم في الدنيا باطلاع نبيه على ما أبطنوه ويباعهم في الآخرة
 (واذا قاموا الى الصلاة) مع المؤمنين (قاموا كسالى) أي متساقطين كلما كرهين على الفعل
 (يراؤون الناس) بصلاتهم ليطننهم مؤمنين (ولا يذكرون الله) أي ولا يصلون (الا قليلا) أي حين
 يتعين ذلك طريقا لخداعتهم ولا يصلون غائبين قط عن عيون الناس وما يجهرون به أيضا الا
 قليلا لانهم ما وجدوا مندوحة عن تكلف ما ليس في قلوبهم لم يكفوه ويحوزان ربا لله
 العدم (فان قيل) اما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية (أجيب) بأن المرائي يريهم عمله وهم
 يرون استحقاقه وقوله تعالى (مذبذبين) حال من واوراؤون أي مترددين (بين ذلك) أي الكفر
 والايمان (لا) منسوبين (الى هؤلاء) أي الكفار (ولا الى هؤلاء) أي المؤمنين (ومن يضل الله)
 أي يضل (فان ينجده سبيلا) أي طريقا الى الهدى ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله نورا فلما
 له من نور (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين) أي المجاهرين بالكفر (أولياء من دون
 المؤمنين) فانه صنيع المنافقين ودينتهم فلا تشبهوا بهم (أتريدون ان يجعلوا الله عليكم) أي
 بعبادتهم (سلطانا) أي دليلا على كفركم باتباعهم غير سبيل المؤمنين (مبيننا) أي واضحنا على
 نفاقكم (ان المنافقين في الدرك) أي البطن (الاسفل من النار) أي لان ذلك أخفى ما في النار
 وأستره وأخبئه كما أن كفرهم أخفى الكفر وأخبئه وأستره وسيمت طبقات النارد ركات لانها
 متدركة متتابعة الى أسفل كما كان الدرج متراقية الى فوق (فان قيل) لم كان المنافق أشد عذابا
 من الكافر (أجيب) بأنه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله وقرأ أعاصم
 وحزرة والكسائي بسكون الراء والباقون بفتحها (ولن ينجدهم نصيرا) أي مانعا يمنهم من
 عذاب الله تعالى فيخرجهم (الا الذين تابوا) أي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق (وأصلحوا)
 أي أعملهم (واعتموا) أي وثقوا بالله وأخلصوا دينهم لله) من الرياء فلا يريدون بطاعتهم
 الا وجهه تعالى (فأولئك مع المؤمنين) في الجنة (وسوف يوثق الله المؤمنين أجرا عظيما)
 فيشاركونهم ويساهمونهم (فان قيل) من المنافق (أجيب) بأنه في الشريعة من أظهر الايمان
 وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا للتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم
 من ترك الصلاة متعمدا فهو كافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق
 وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخاف واذا اثنى خان
 وقيل لخدمته رضى الله تعالى عنه من المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به (وقيل)
 لابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل على السلطان وتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه
 فقال كنا نعهده من النفاق (فائدة) اتفق كتاب المصاحف على حذف الياء من يوثق الله ولا سبب
 لحذفها (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعماءه (وآمنتم به) أي لبني به غيظا ويدفع ضرا

أو يستجاب به تقاعده هو الفتي المطلق المتعالى عن النفع والضرة والاستفهام بمعنى النفي أى
 لا يعذب بكم (فان قيل) لم قدم الشكر على الايمان مع أنه لا ينفع مع عدم الايمان (أجيب)
 بأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكرهم ما فاذا انتهى الى معرفة المنعم آمن به ثم يشكر
 شكره مفصلاً فكان الشكر متقدماً على الايمان وكأنه أصل التكليف ومداره فيؤمن به والشكر
 ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها (وكان الله شاكراً) لأعمال المؤمنين بالاثابة
 يقبل اليسر ويعطى الجزيل (عليه) بخلافه (لا يحب الله الجهر بالسوء) أى القبيح (من القول)
 من أحد أى يعاقب عليه (الامن) أى جهر من (ظلم) وهو ان يدعو على الظالم ويذكر بما هو فيه
 من سوء فلا يؤاخذ به قال الله تعالى ولما انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال
 الحسن البصري دعاءه عليه أن يقول اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي منه وقيل ان شتم
 أجازله ان شتم عثملاً لا يزيد عليه وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقره ولم يحسنوا
 ضيفاته فله ان يشتمك ويذكر ما صنع به روى أن رجلاً اضاف قوماً أى نزل بهم ضيفاً فلم
 يطعموه فأصبح شاكياً فعوتب على الشكاية فنزلت وعن عتبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك
 تبعنا فنزل بقوم فلا يقر ولا نأمر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فأمروا
 لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا نخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغي لهم (وكان الله
 سميعاً) لكل ما يقال ومنه دعاء المظلوم (عليه) بكل ما يفعل ومنه فعل الظالم (ان تبدوا) أى
 تظهروا (خيراً) من أعمال البر (أو تخفوه) أى تغموا لوجه سرا (أو تغفوا عن سوء) أى عن مظلمة
 (فان الله كان) أى دائماً أزلاً وأبداً (عذوا قديراً) أى يكثر العقوب عن العصاة مع كمال قدرته
 على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث المظلوم على تهديد العقوب بعد ما رخص له فى الانتصار رجلاً
 على مكارم الاخلاق وقوله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله) نزل فى اليهود وذلك انهم آمنوا
 بموسى والتوراة وعزروا كفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون أن
 يفتروا بين الله ورسوله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى
 نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) أى طريقاً وسطاً
 بين اليهودية والاسلام ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسوله
 ونصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً واجمالاً والكافر ببعض ذلك كالكافر بالسكل فى الضلال قال
 تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (أولئك هم الكافرون) أى الكاملون فى الكفر وقوله تعالى
 (حقاً) مصدر مؤكد لضمون الجملة قبله (وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أى ذاهباً وهو
 عذاب النار ولما بين سبحانه وتعالى ما أعد له للكافرين بين ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (والذين
 آمنوا بالله ورسوله) كلهم (ولم يفتروا بين أحد منهم) بان كفروا ببعض وآمنوا ببعض كما فعل
 الاشقياء منهم وانما أدخل بين على أحد وهو يقتضى متعدداً العموم من حيث انه وقع فى سياق
 النفي (أولئك) أى العالو الرتبة فى رب السعادة (سوف نؤتيهم) بوعده لا خلف فيه وان تأخر
 (أجورهم) الموعودة لهم بما يمنهم بالله وكتبه ورسوله وقرأ حفص بالياء على الغيبة والباقون

بالنور (وكان الله غفورا) لما يريد من الزلات (رحيما) أي لمن يريد أسعاده بالخيرات ونزل لما
قال أحبار اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جله من السماء كما أتى به
موسى (يستلثك) يا محمد (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) جله كما
أنزل على موسى وقيل كتابا محمرا أي مجلدا مصونا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة
وقيل كتابا عيناينه حين ينزل أو كتابا الينا بأعياننا بأنك رسول الله فالو ذلك نعمنا قال الحسن
لوسلوا لكي يبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية وقوله تعالى (فقدسألوا) أي آباؤهم
(موسى) جواب شرط مقدر معناه انك ان استعكبرت ما سألوه منك فقدسألو موسى (أكبر)
أي أعظم (من ذلك فقالوا) أرنا الله جهرة (أي عيانا وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من
آباؤهم في أيام موسى عليه الصلاة والسلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت (فأخذتهم الصاعقة) أي عقب هذا السؤال وهي
نار جات من السماء فأهلكهم (بظلمهم) أي بسببه وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك
الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي استماع الرؤية مطلقا (ثم) بعد الغنوة عنهم واحباطهم
من امانة هذه الصاعقة (اتخذوا العجل) أي تكفوا أخذهم وجعلوه الهيا (من بعد ما جاتهم
البيئات) المحجزات على وحدانية الله تعالى وليس المراد التوراة لانهم تأتتهم فيما مضى بل
أتتهم بعد (فعمقوا عن ذلك) أي الذنب العظيم يتو بقنا عليهم من غير استصا لهم (وأينا
موسى سلطانا) تسلطا واستيلا (ميننا) أي ظاهر افانه أمرهم يقتل أنفسهم بوبة من عبادة
العجل فبادروا الى الامثال (ورفعنا فوقهم الطور) أي الجبل العظيم (عينا قهم) أي بسبب
أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فقبلوه (وقلنا لهم) على لسان موسى صلى الله عليه وسلم والطور
مظلل عليهم (ادخلوا الباب) أي الذي لبث المقدس (سجدا) أي سجودا تخفيا (وقلنا لهم)
أي على لسان داود (لا تعبدوا) أي لا تعبدوا زوا ما حدناه لكم (في السبت) أي لا تعملوا فيه
علامن الاعمال تسمي للشي باسم سببه سعى عدوا لأن العامل للشي يكون لشدة اقباله عليه كانه
بعدو ويحتمل أن يكون ذلك على لسان موسى حين ظلال عليهم الجبل فانه شرع السبت أي ترك
العمل فيه ولكن كان الاعتماد في السبت والمسح به في زمن داود وقرأ ورش بفتح
العين مع تشديد الدال وقرأ فالون باختلاس حركة العين مع تشديد الدال والباقون يسكون
العين وتخفيف الدال (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا
ومعاهدتهم على ان يقيموا عليه ثم نقضوه بعد كما قال تعالى (فما نقضهم) أي فسقطهم وما مزيدة
للتوكيد والباء للسببية متعلقة بمحذوق أي لعناهم بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات
الله) أي القرآن أو عا في كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) فانهم معصومون من كل نقضة
ومبرئون من كل رية لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غاف) أي أوعية للعلوم أو في كنهها
تدعونا اليه فلا نفى كالمك (بل طبع الله) أي ختم (عليها بكفرهم) فلا تنفى وعظا (فلا يؤمنون
الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو ايعا نا قليلا لا عبرة به بأن يؤمنوا وقتنا يسيرا

كوجه النهار ويكفروا في غيره ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض وقوله تعالى (ويكفروا بهم) معطوف
 على فيما نقضهم ويجوز عطفه على يكفروا وقد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم عيسى ثم
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه
 (وقولهم على مريم) أي بعد ما ظهر على يدها من الكرامات الدالة على براءتها وانها ملازمة
 للعبادة بأنواع الطاعات (بهنا عظيم) وهونسيها الى الزنا (فان قيل) كان مقتضى الظاهر
 أن يقول في مريم (أجيب) بأنه ضمن القول معنى الافتراء وهو يتعدى بعلى (وقولهم انا قتلنا
 المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أي بجموع ذلك عذبناهم (فان قيل) كانوا كافرين
 بعيسى أعداء له عامدين لقتله بسوءه الساحر ابن الساحرة والقاعل ابن القاعلة فكيف قالوا انا
 قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (أجيب) بأنهم قالوه بزعم عيسى عندهم وأنهم قالوه على
 وجه الاستهزاء كقول فرعون أن رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال الزخشرى ويجوز أن
 يضع الله الذكرا الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفع العيسى عليه الصلاة والسلام
 عما كانوا يذكرون به اع قال الله تعالى تكذيبا لهم في قتله (وما قالوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)
 أي المقبول والمصلوب روى النسائي عن ابن عباس أن رهط من اليهود سبوه وسبوا أمه فذما
 عليهم فشبهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء
 ويظهرهم من محبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي الله عليه شبيه فيقتل ويصلب ويدخل
 الجنة فقال رجل منهم أنا فأنق الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى
 أي يظهر له الاسلام ويخفي الكفر فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل في بيت عيسى
 ورفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وصلبوه وهم
 يظنون انه عيسى وقيل انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام في بيت وجعلوا عليه رقبيا
 فأنق الله شبهه عيسى على الرقب فقتلوه (وأن الذين اختلفوا فيه) أي في شأن عيسى فإنه
 لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد
 آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
 بدن صاحبنا وكان الله أنق شبه وجه عيسى عليه ولم يلق على جسده وقال من سمع من عيسى
 أن الله يرفعه الى السماء انه رفعه الى السماء وقال قوم صلب الناسوت أي الانسانية وصعد
 اللاهوت أي الالهية (لن يشأ منه) أي من قتله (ما لهم به) أي قتله (من علم) وقوله تعالى
 (الاتباع الظن) استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه (فان قيل) قد وصفوا
 بالشك والشأن أن لا يترجأ أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجأ أحدهما فكيف
 يكونون شاكين ظانين (أجيب) بأن الشك كما يطلق على ما لا يترجأ أحد طرفيه يطلق على
 مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد (وما قتلوه) أي اتفق قتلهم له اتفاقا (يقينا)
 أي اتفقوا على سبيل القطع ويجوز أن يكون حال من واقتلوه أي ما فعلوا القتل متيقنين ان
 عيسى عليه الصلاة والسلام بل فعلوه شاكين فيه والحق انهم لم يقتلوا الا الرجل الذي ألقى عليه

شبهه قال البقاعي والوجه الاول اولى لقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) أى الى مكان لا يصل اليه حكم آدمي وعن وهب انه أوحى اليه وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين فكانت رسالته ثلاث سنين (وكان الله عز وجل) أى في ملكه لا يغلب عما يريد (حكيمًا) في صنعه لا يعطع. أحد في نقص شيء منه (وأن من أهل الكتاب) أى وما من أهل الكتاب أحد (الليؤمن به) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم (قبل موته) اختلف في عود هذا الضمير فقال عكرمة ومجاهدوا الضمير يعود للكتاب أى إن الكتابي يؤمن بعيسى حين يعاين ملائكة الموت فلا يتفقه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقبل لابن عباس أو رأيت من خرم من فوق بيت فقال يتكلم به في الهوى فقبل أو رأيت أن ضرب عنق أحدهم قال يتلجج بها لسانه وذبح قوم الى عود الضمير الى عيسى أى وما من أهل الكتاب الليؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام روى أبوهريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكيم عدل يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكت في الارض أربعين سنة ثم يوفى فيصلى عليه المسلمون قال أبوهريرة أقرؤا أن شئتم وأن من أهل الكتاب الآية ثم أعادها أبوهريرة ثلاث مررات ولا يعارض هذا ما في مسلم في قصة الدجال إن الله يبعث عيسى بن مريم فيطلبه فيهلك ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة لأن قوله ثم يلبث الناس بعده أى بعد موته فلا معارضة أو لأن السبع محمول على مدة إقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكانه فيها قبل رفعه الى السماء وكان عمره اذ ذلك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور وروى عكرمة أن الهاء في قوله تعالى ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الهاء راجعة الى الله عز وجل يقول وأن من أهل الكتاب الليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعينة حين لا ينفعه إيمانه (ويوم القيامة يكون) أى عيسى على القول الاول (عليهم شهيدا) انه قد بلغهم رساله ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبر عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبي شاهد على أمته قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فيظلم من الذين هادوا) وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم (حزنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى كان وقع احلالها لهم في التوراة ثم حرمت عليهم وهي التي في قوله تعالى في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وبعدهم) أى الناس (عن سبيل الله) أى دينه وقوله تعالى (كثيرا) صفة مصدر محذوف أى صدا كثيرا بالاضلال عن الطريق فذهبوا مستلذات تلك المآكل كل بما منهوا أنفسهم وغيرهم من لاذة الايمان (وأخذهم الزبا وقد) أى والحال انهم قد (نموا عنه) في التوراة فكان محرما عليهم كما هو محرم علينا لانه قبيح في نفسه من ربح صاحبه وفي الآية دليل على أن النبي

للتحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أي من الرشا في الحكم والمسا كل أي التي كانوا يصيدونها
 من عوامهم عاقبتهم بأن حرمت عليهم طبقات فكافوا كلها ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من
 الطبقات التي كانت حلالا لهم قال تعالى ذلك جزئناهم بغيرهم وانا لصادقون (واعتدنا للكافرين
 منهم عذابا أليما) أي مؤلما دون من تاب وآمن * ولما بين سبحانه وتعالى ما لم يطوع على قلوبهم
 الغريقتين في الكفر من العقاب بين ما لنرى البصائر بالسوء في العلم واليمان من الثواب فقال
 (لكن الراسخون) أي الشايتون المتمكنون (في العلم منهم) أي من أهل الكتاب كعبدة الله
 ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) أي
 القرآن (وما أنزل من قبلك) أي من سائر الكتب المنزلة وقوله تعالى (والمقيمين الصلاة) نصب
 على المدح لان الصلاة لما كانت أعظم دعائم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر
 نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهرها الفضلها وحسب عن عائشة رضي الله تعالى
 عنها وأبان بن عثمان ان ذلك غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمين الصلاة وكذلك
 قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون والنصارى وقوله تعالى ان هذان
 لساحران فالاذن خطا من الكتاب وقال عثمان ان في المصحف لحنا وسقمة العرب بالفتح
 فقبل له لاتغيره فقال دعوه فانه لا يمحى حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة وأهل العلم على
 انه صحيح كافتدناه وقيل نصب بانها فعل تقديره أعنى المقيمين الصلاة وقوله تعالى (والمؤمنون
 أزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) رجوع الى الذي الاول (أولئك سفوتهم) بوعده لاخلف
 فيه على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح (أجرا عظيما) وهو الجنة والنظر الى وجهه
 الكريم وقوله تعالى (انا وحيانا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل
 الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
 بأن شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا وابدأ بك نوح عليه الصلاة والسلام لانه
 كان أبا البشر مثل آدم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذرية هم الباقين ولانه أول
 نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذبت أمته لدهم دعونه وأهلك أهل
 الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم يستصل له
 سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره (و
 كما أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق) ابن ابراهيم (وبيعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاد
 يعقوب وظاهر هذا انهم كلهم أنبياء وهو أحد قولين والقول الآخر أن يوسف هو النبي فقط
 وعلى هذا فالمراد المجوع (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أباه (داود وزبور)
 قرأ جزء بضم الزاي مصدبة عن مزبور أي مكتوبا والباقيون بالنصب على انه اسم للكتاب الموثق
 وكان فيه التعميد والتعجيد والثناء على الله عز وجل كان داود يري الى البرية فيقوم ويقراء
 الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء فيقوم الجن
 خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين

يديه تعجباً لما سمع من منه والطير تزفر على رؤسهم فلما عارف الذنب لم يزدك فقبل له ذلك
 أنس الطاعة وهذا وحشة المعصية قال السيوطي في شرح التبيين أن الزبوة مائة وخمسون
 سورة ما بين قصار وطول والطويلة منها قد ربيع حزب والقصيرة قد روي سورة النصر ٨١ وعن
 أبي موسى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لورا بنى البارحة وأنا سمع لقراءتك لقد
 أعطيت من ما رآ من من أمير داود وكان عمر إذا رآه قال ذكرنا يا أبا موسى فبقر أعنده وانما نحن
 هؤلاء المذكور مع اشتغال النبيين عليهم تعظيماً لهم وقوله تعالى (ورسلنا) أي غير هؤلاء نصب
 بعضهم دل عليه أو حينئذ ذلك مثل أرسلنا (قد قصصناهم) أي تلونا ما ذكرهم (عليك من قبل)
 أي قبل أنزال هذه السورة أو هذه الآية (ورسلنا قصصهم عليك) أي إلى الآن وروى أنه
 سبحانه وتعالى بعث غانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من
 سائر الناس قاله الجلال المحلى في سورة غافر وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً)
 هو منتهى مراتب الوحي أي كلفه على التدريج شيئاً فشيئاً بحسب المصالح بغير واسطة ملك فلا
 فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة وخص به موسى من بين سائر الأنبياء
 غير نبينا أو ما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
 وقوله تعالى (رسلنا) بدل من رسلنا (مبشرين) أي بالثواب من آمن (ومنذرين) أي محذوفين
 بالآذاب من (كفر) وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة) متعلق بإرسالنا أو بمبشرين
 ومنذرين أي حجة نقال (بعد) إرسال (الرسول) فيقولوا ربنا لو أرسلنا لينا رسولاً فتسمع آياتك
 وتكون من المؤمنين فبعثناهم قطع عذوبهم (فان قيل) كيف يكون للناس على الله حجة قبل
 الرسل وهم محبوبون بما نصبه الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها يوصل إلى المعرفة (أجيب)
 بأن الرسل ينهون عن العقلة وبعثون على النظر في الأدلة فارسلهم ضرورياً (وكان الله عزيزاً)
 في ملكه لا يغلب فيما يريد (حكما) في صنعه روى أن سعد بن عباد قال لورا بنى رجلاً
 مع امرأتي لضربه بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنجبون
 من غيرة سعد والله لا نأ أغرمته والله أغرمي ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا
 أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة قال ابن عباس إن رؤساء مكة أتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أناساً نأعنتك اليهود وعن صفك في كتابهم
 فرعوا أنهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله
 أنكم تعلمون أني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فأمر الله عز وجل (لكن الله يشهد) أي بين
 نبوتك (بما أنزل إليك) أي من القرآن المجزئ الدال على نبوتك أن جدد لك وكذبوك (أنزل)
 متلبساً (بعلمه) الخصاص به وهو العلم بما ليقه على تطم بهجته كل يبلغ وروى أنه لما نزل أنا
 أو حينئذ إليك قالوا ما نشهدك فزالت (والملائكة يشهدون) لك أيضاً (وكني بالله شهيداً)
 على ذلك بما ظلم من الخبيث على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيرهم (أن الذين كفروا وعدوا) الناس

(عن سبيل الله) أي دين الاسلام بكتهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (فقد ضلوا ضلالا
بعمدا) عن الحق لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد
من الانقلاص عنه (أن الذين كفروا بالله وظلموا) بيه كفان نعمته (لم يكن الله ليغفر لهم) لكفرهم
وظلمهم (ولا يلهيهم طرقا) من الطرق (الطريق جهنم) أي الطريق المؤدى اليها (خالدين)
أي مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها وكذلك بقوله (أبدا) لان الله لا يغفر أن يشركه
وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا يصعب عليه ولا يستعظمه (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول)
محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم) لما قرر من أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من أن تكرها خائب الناس عامة بالدعوة والزمام الحجة والوعد بالاجابة والوعد على الرد
(فأمنوا) بالله وقوله تعالى (خير لكم) وكذلك قوله تعالى فيما يأتي انتموا خير لكم من صوب
بعضهم وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا
لكم أي اقصدا وأمر اخبركم بما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد وقيل
تقديره يمكن الايمان خيرا لكم قال البيضاوي ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه
الافعال لابتدائه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه اه (وان تكفروا) بالله (فان الله
ما في السموات والارض) ملكا وخلقافهو غنى عنكم فلا يضره كفركم كما لا ينفعه ايمانكم ونبه
على غناه بقوله تعالى لله ما في السموات والارض وهو يعم ما استلما عليه وما تركبانه (وكان الله
علما) بأحوالكم (حكما) أي فيما دبره لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (في دينكم)
الخطاب للقرينين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بالزنا والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه أوفق لقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا
القول) (الحق) أي من تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته)
ألقاها) أي أوصلها (الى مريم) وجعلها فيها (وروح) أي ذوروح (منه) لا توسط ماجرى
بجرى الاصل والمادة ومعنى عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير
واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لانه ذوروح وجد من غير جزء من ذى
روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدره بأن أمر
جبريل فنفخ في جيب درعها غملت به فأضيف الى الله تعالى تشريفا له وليس كإزعمته أنه ابن
الله والله معه أو ثالث ثلاثة لان الروح مركبه والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه
روى انه صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله
الجنة على ما كان من العمل (فأمنوا بالله ورسوله) أي عيسى وغيره ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا
ببعض (ولا تقولوا) كما قالت النصارى الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وأمه قال تعالى (انتموا) عن
ذلك واتمتوا (خير لكم) من ذلك وهو التوحيد (انما الله الواحد) أي لا تعدد فيه بوجه ما
(سبحانه) تنزيها له (أن) أي عن ان (يكون له هاد) أي كما قلتم أيها النصارى فان ذلك يقتضى

الحاجة ويقضى التركيب والمجانسة ثم علل ذلك بقوله (له مافي السموات ومافي الارض)
خلقا وملكا فلا يتصور أن يحتاج الى شئ منهما ولا الى شئ مخصص فيه - ما ولا يصح بوجه أن يكون
بعض ما يملكه المالك جزأ منه وولده لان الحكمة تنافي البنوة وعيسى وأمه كل منهما محتاج
الى مافي الوجود (وكفى بالله وكبلا) أي يحتاج اليه كل شئ ولا يحتاج هو الى شئ فهو غني عن الولد
فإن الحاجة اليه ليكون وكبلا يسه والله سبحانه ونعالي قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مسغن
عن خلفه أو بعينه روي ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا نقول انه عبد الله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا
بلى فنزل قوله تعالى (لن يستنكف) أي سيكبر ويأتف (المسيح) أي الذي زعمتم انه اله (أن)
أي عن أن (يكون عبد الله) فإن عبوديته له شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره وقوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) أي عنده عطف على المسيح أي ولا تستنكف
الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم
انها آلهة أو بنات الله كما رد على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطاهم - ثم فلاحجة
فيه على أن الملائكة أفضل من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قائلا بأن المعطوف أعلى
درجة من المعطوف عليه قال الطيبي وانما تنهض الحجة على النصارى اذا سلموا ان الملائكة
أفضل من عيسى ودونه خوط القنادة كيف والنصارى رفعوا درجة عيسى الى الالهية
فظهر ان ذكر الملائكة للاستطراد كما رد على النصارى وأنه من باب التقييم لا من باب
الترقي اه أو من باب الترقى في الخلق لا في الخلق كما قاله البقاعي قال لان الملائكة أعجب خلقا
من عيسى في كونهم ليسوا من ذكر ولا أنثى ولا ما يجانس عضو البشر فكانوا لذلك أعجب خلقا
من آدم عليه الصلاة والسلام أيضا وفي القوة لانهم أقوى من عيسى لانهم يقتلون الجبال
ويأتون بالمياه العظيمة والعبادات الدائمة المستمرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) أي
يطلب التكبر عن ذلك قال الرابع الاستنكاف تكبر في أنفة والاستكبار يخلافه (فسيحشرهم)
أي المستكبرين وغيرهم (اليه جميعا) في الآخرة بوعد لا يخلف فيجازيهم (فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات) تصدقا لاقرارهم بالايمان (فيوفهم أجورهم) أي نواب أعمالهم
(ويريدهم من فضله) أي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين
استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا أليما) أي مؤلما هو عذاب النار بما
وجدوا من لذاذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم) أي حالا ولا مآلا (من دون الله) أي غيره
(وليا) يدفعه عنهم (ولا نصيرا) ينصهم منه (يا أيها الناس) أي كافة أهل الكتاب وغيرهم (قد
جاءكم برهان من ربكم) أي حجة نيرة واضحة مفصلة لليقين التام وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالادلة القاطعة من المعجزات وغيرها (وأرسلنا اليكم تورا مبينا) أي واضحيا نفسه موجها لغيره
وهو القرآن الجامع باعجاز وحسن بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات
وبالنور القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم) أي بوعد لا يخاف فيه (في رجة

منه) أى ثواب عظيم وورثته لهم لا بشئ استوجبوه (وفضل) أى احسان زائد عليه
(ويهديهم) أى فى الدنيا والآخرة (إليه صراطا مستقيما) أى طريقا مستقيما وهو الاسلام
والمطاعة فى الدنيا والآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذف دلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لأعقل فتوضأ
وصب على من وضوءه فقلت وقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثى كلاله فنزل يستفتونك
(قل الله يفتيكم فى الكلالة) وقد تقدم معنى الكلالة وحكم الآية فى أول السورة وفى
هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام والاب وقوله تعالى (ان امرؤ) هو مرفوع
بفعل يفسره (هلك) أى مات (ليس له ولد) أى ولا ولد وهو الكلالة قال الاصمغاني عن
الشعبي اختلف أبو بكر ومهر رضى الله تعالى عنهم ما فى الكلالة فقال أبو بكر هو ماعد الوالد
وقال عمر ماعد الوالد والولد ثم قال عمر انى لاسحقى من الله أن أخالف أبا بكر وقوله تعالى (وله
أخت) بحمل الحمال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها
عصبة والذى لام لا يكون عصبة والولد يشمل الذكر والانثى فان الاخت وان ورثت مع البنت
قد لا ترث النصف وذلك عند تعدد البنت (فلها نصف ما ترك وهو) أى هذا الاخ للميت (برثها)
أى ان ماتت هى وبقي هو جميع مالها (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلا تثنى
فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أو الاخ من الام فقدره السدس كما مر فى أول السورة
(فان كانتا) أى الاختان (اثنتين) أى فصاعدا انتهى نزلت فى جابر وقد ماتت عن أخوات
(فلهما الثلثان مما ترك) أى الاخ (وان كانوا) أى الورثة (اخوة رجالا ونساء فلذلك)
منهم (مثل حظ لاثنتين بين الله لکم) أى ولم يککم فى بيانه الى بيان غيره وقال مرغباً مرغباً
(ان) أى كراهة أن (تضلوا) وقيل للثلاثة لو اخذوا وهو قول الكوفيين وقيل بين الله لکم
ضلالکم أى الذى من شأنکم أى اذا خلیتم وطباعکم لتعترفوا عنه وتعرفوا خلافه (والله بكل
شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات ومنه الميراث روى عن البراء رضى الله تعالى
عنه انه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وأخر آية نزلت قال السيوطى أى من القرائن خاتمة
سورة النساء يستفتونك الآية وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخر آية نزلت آية
الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها عاماً
فنزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ستة
أشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزل
هو واقب بعرفة اليوم أمكأت لکم دينکم فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدًا وعشرين
ويوماً ثم نزلت آية الربا ثم رجعوا يوم ما ترجعون فيه الى الله فعاش النبي صلى الله عليه وسلم
بعدها أحدًا وعشرين يوماً وقول البيضاوى تبعاً للزخشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطى

من الاجر كن اشترى محزرا أى رقيقا وحزره وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم حديث موضوع

﴿سورة المائدة مدنية﴾

مائة وعشرون آية أو اثنتان أو ثلاث وكلما تألفان ثمانمائة وأربع كلمات وحروفها أحد عشر ألفا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى له الامر كله فلا يستل عما يفعله (الرجن) الذى عم بعمه ايجاده وبيانه فعمته أتم نعمته وأشمل (الرحيم) الذى خص بخلص عباده بوفيقته وأتم نعمته عليهم وأكمل (يا أيها الذين آمنوا) أوفوا بالعقود أى التى عقدها الله تعالى على عباده وألزمها بالهاهم من مواجب التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان جعلنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الخطيب

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكبرا والعناج جبل يشد فى أسفل الدلو ثم يشد الى العراق ليكون عوناله والكرب الجبل الذى يشد فى وسط العراق والعرقوتان الخشبان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله تعالى (أحلّت لكم بهيمة الانعام) تنصّل للعقود لأن العقود مجعلة فهو شامل لجميع العقود لأن ذلك أمهات التكليف وجميع ما فى هذه السورة من الاحكام تفصيل لذلك * (فائدة) * روى عن ابن مسعود قال أنزل الله تعالى فى هذه السورة ثمانية عشر حكما ينزلها فى غيرها وقوله تعالى والمتخفة والموقودة والمتردية والطبعة وما أكل السبع الا ما ذكبت وما ذبح على النصب وأن تستهبوا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أولوا الكتاب حل لكم والمحضات من الذين أولوا الكتاب من قبلكم ونظام الطهر فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تفتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وزيد عليها ناسع عشر وهو قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليس للاذان ذكر فى القرآن الا فى هذه السورة وفى سورة الجمعة فهو مخصوص بالجمعة وهو فى هذه السورة عام فى جميع الصلوات والبهيمة كل حي لا يميز أى من شأنه أنه لا يميز فلا يدخل فى ذلك الجنون ونحوه والانعام الابل والبقر والغنم وهى الأزواج الثمانية والحق بها الطبايع وبقر الوحش * (تنبيه) * اضافة البهيمة الى الانعام للبيان كقولك ذوب خزومعناه البهيمة من الانعام (فان قيل) لم أفرد البهيمة وجمع الانعام (أجيب) بارادة الجنس وقوله تعالى (الا ما تلى عليكم) أى تحريمه فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والحرم عرض من الموت ونحوه وقوله تعالى (غير محلى الصيد) حال من شبه بكم وقوله تعالى (وأنتم حرم) مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال من الضمير

في محلي جمع حرام وهو المحرم (إن الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل
 الإطلاق لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة كما تقوله المعتزلة فلا يستل عن تخصيص
 ولا تفصيل فافهم حكمته فذلك وما لا تفكوا إليه وارغبوا في أن يلهمكم حكمته (يأيها
 الذين آمنوا اتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما شعر أي جعل شعارا وعمل للفرد من
 مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والسعي والخلق والتحر وقيل معالم دينه وقيل فرائضه التي حدها العبادة
 الاحرام والطواف والسعي والخلق والتحر وقيل معالم دينه وقيل فرائضه التي حدها العبادة
 (ولا) تحلوا (الشهر الحرام) أي القتال فيه قال تعالى إن عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهرا
 في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض. إنها أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
 وربح فيجوز أن يكون ذلك إشارة إلى جميع هذه الأشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس لأن
 الأشهر كلها في الحرمة سواء ولكن قال الزمخشري والشهر الحرام شهر الحج (ولا) تحلوا
 (الهدى) أي بالتعرض له وهو ما أهدى إلى الحرم من التيمم (ولا) تحلوا (القلائد) أي صاحب
 القلائد من الهدى وعبرهم بمبالغة في تحريمها والقلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة
 في النهي عن التعرض للهدى والقلائد جمع قلادة وهي ما قلده الهدى من نعل أو غيره ما علم
 به أنه هدى فلا يتعرض له (ولا) تحلوا (أمين) أي قاصدين (البيت الحرام) لزيارته أي بان
 تقابلهم (يتغفون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) أي وأن يرضى عنهم والجملة
 في موضع الحال من المستكن في أمين أي لا تعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيمهم واستنكارا
 أن يتعرض لثلهم وقيل معناه يتغفون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا برزقهم لأنهم كانوا يظنون
 ذلك فوضوا به بناء على ظنهم ولأن الكافر لا نصيب له في الرضوان كقوله تعالى ذق انك أنت
 العزيز الكريم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما كان المسلمون والمشركون يجعون جميعا
 فنهى الله تعالى المسلمين أن يتعوا أحدا من حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا شعائر الله فعلى الأول
 الآية منسوخة قال الحسن ليس في المائدة منسوخ وعلى الثاني قال السضاوي فالآية
 منسوخة أي لما فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد
 الحرام والأول منسوخ بقوله تعالى اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم والشافى بقوله تعالى فلا
 يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فاقوله منسوخ منزل على هذا لكن إذا قلنا بشمول أمين
 للمسلمين والمشركين أعني يكون النسخ في حق المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لأنسخ
 ففي تسميته نسخا نسمح وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر (وإذا حللتم) أي من الاحرام
 وقوله تعالى (فامطادوا) أمر بإباحة أباح لهم الاضطهاد بعد حظرهم عليهم كأنه قيل وإذا حللتم
 فلا جناح عليكم أن توطدوا كما في قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
 (ولا يجرمكم) أي يمحلكم أو يكسبكم (شأن قوم) أي شدة بغضهم وقرأ ابن عامر وشعبة
 بسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها وقوله تعالى (ان صدوكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بكسر الهمزة على أن الشرطية والباقون بنصبها أي لأجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره

(عن المسجد الحرام) وقوله تعالى (أن تعبدوا) أي يشهد عدوكم عليهم بأن تستقيموا منهم بالقتل وغيره فإني مفعول يجر منكم فإنه تعالى إلى واحد وإلى اثنين ككسب (وتعاونوا) والتقوى) أي بفعل ما أمرت به (ولا تعاونوا) فيه حذف إحدى التامين في الأصل (على) أي المعاصي للشئني (والعدوان) أي التعدي في حدود الله للانتقام (وانتقوا الله) أي عاقبه بأن تطعموه (إن الله شديد العقاب) لمن خالفه فانتقامه أشد وقوله تعالى (حرمت)

الميتة) أي أكلها بيان ما يلي عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذكاة شرعية (والدم) أي المسفوح قال تعالى أورد ما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها (ولطم الخنزير) قال العلماء الغذاء يصير جزءا من جوهر المتغذى ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات فخرم أكله على الإنسان لثلاث كيفية بتلك الكيفية ولذلك إن الغرغرة لما وطأ به على كل لحم الخنزير وأورنهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة في المنهيات وأورنهم عدم الغيرة فإن الخنزير يرى الذكرا من الخنازير يتروى على الأنثى التي له ولا يعترض له عدم الغيرة (ومأهل لغبر الله به) أي رفع الصوت به لغبر الله بأن ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان أهل بالبح اذ البى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى قال ابن عادل وقدم هنا لفظ الجلالة في قوله لغبر الله به وأخرت في البقرة لأنها هنا لفظة الفاصلة أو تشبه الفاصلة بخلافها هنا لأن بعدها معطوفات (والمخنقة) وهي التي ماتت بالخنق سواء أفعال بها ذلك آدمي أم اتفق لها ذلك (والموقوذة) وهي التي وقذت أي ضربت حتى ماتت ويدخل في الموقوذة ما رمى بالبنق فمات (والمتردية) أي الساقطة من علويان سقطت من جبل أو مشرف أو في بئر فماتت ولو رمى صيدا في الهواء بسهم فأصابه فسقط على الأرض ومات حل لأن الوقوع على الأرض من ضرورته وإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات لم يحل لأنه من المتردية الآن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل كغيره ما وقع لأن الذبح قد حصل قبل المتردية * (تنبيه) * دخلت الهاء في هذه الكلمات لأن المخنقة هي الشاة المخنقة كانت قبل حرمت عليكم الشاة المخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنها من أهم ما يأكل الناس والكلام يخرج على الأعم ويكون المراد الكل وأما الهاء في قوله تعالى (والنطيحة) وهي التي تسطحها أخرى فموت فلانقل من الوصفية إلى الاسمية والأفكان من حقها أن لا تدخلها تاء التأنيث كقنبل وجريح وما في قوله تعالى (ومأكل السبع) بمعنى الذي وعائده محذوف أي ومأكل السبع ولا بد من حذف ولهذا قال الزمخشري ومأكل بعضه السبع وهذا يدل على أن جوارح الصيد إذا كانت ما اصطادته لم يحل أكله وقوله تعالى (الاماذ كيتم) استثناء متصل أي الاماذ كيتم ذكرته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك فهو حلال وقيل الاستثناء مخصوص بمأكل السبع وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن ما ذكيتم من غيرها حلال أو فكلوه وكان هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت وإلى حالة قريبة منه فلم تغد ذكيتها عنده شيئا وقيل الاستثناء

من التحريم لامن المحرمات أى حرم عليكم ماضى الاماذ كيتّم فانه لكم حلال فيكون الاستثناء منقطعا أيضا وأقل الذ كاته في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكالها أن يقطع إلى دجين معها وما هو ماعرفان في صفحتى العنق ويجوز بكل محد يجرح من خديد أو قصب أو زجاج أو غير ذلك الاسن والظفر لقوله صلى الله عليه وسلم ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وقوله تعالى (وما ينج على النصب) في محل رفع عطفا على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والنصب واحد الانصاب وهى حجارة كانت حول الكعبة يذبح عليها تقربا اليها وتغنيها لها وقيل هى الاصنام لانها نصب لتعبد وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ينج مسمى على الانصاب وقيل هو جمع الواحد نصاب ويدل للآثر قول الاعشى

وذا النصب المنسوب لا تعبدنه * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وقوله تعالى (وان تسة قسموا بالازلام) في محل رفع أيضا فكان عطفا على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والازلام جمع زلم يفتح الزاى وضهما مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير وهو سهم لا ريش له ولا نصل وذلك انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى وعلى الآخرى نانى ربى والثالث غفل أى لامة عليه فان خرج الآخر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل أداروها ثانيا فغنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو قسمة الخبز وبالاقداح على الانصباء المعلومة وقوله تعالى (ذلكم فسق) إشارة الى ما ذكر بحريه أى خروج عن الطاعة وقيل إشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب الذى استأثر بعلمه علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وضلالا بعبث اذ ان ذلك طريق اليه وقوله أمرنى ربى ونهى ربى افتراء على الله عز وجل ان كان أراد بربى الله وما يدريه ان الله أمره أو نهىه فالكهنة والمنجمون بهذه المنابة وجهالة وشر لأن أراد به الصنم وقوله تعالى (اليوم) لم يرد به يوم بعينه وانما أراد الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية وقيل الالف واللام للعهد قيل أراد يوم نزولها وقيل نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع وقيل هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سنة تسع وقيل غمان وقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) فيه قولان أحدهما يئسوا من أن يحلوا هذه الخباياث بعد أن جعلها الله تعالى محرمة والثانى يئسوا من أن يغلبوكم على دينكم فترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته لانه تعالى كان وعدا بعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله تعالى ليظهره على الدين كله فحق ذلك النصر وأزال الخوف (فلا تخشوهم) أن يظهر واعليكم (واخشون) أجمع القرآن السبعة على حذف الياء بعد النون لحدفها فى الرسم أى واخلصوا الخشية لى وحدهى فان دينكم قد اكتمل بديره وجل عن انهماق محله وقدره ورضى به الا أمر ومكنه على رغم أنوف الاعداء وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقا مساقى التعليل (اليوم اكملت لكم دينكم) أى الذى أرسلت به أكل خلقى محمد صلى الله عليه وسلم

نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
 واقف بعرفات على ناقته العضباء فكانت عضدا لناقة تنشق من ثغله فبركت وعن عمر رضى
 الله تعالى عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية من كتابكم تقرأونها الوعد علينا
 معشر اليهود نزل لا تحذف ذلك اليوم عيدا قال أى آية قال اليوم أكلت لكم دينكم
 (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى
 أنزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان
 عيدا قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة أعياد بجمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصرارى
 والمجوس ولم يجمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى أنهم لما نزلت هذه الآية بكى عمر
 رضى الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال البكاء أنا كافى في زيادة من ديننا
 فإذا كمل فلم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نهي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عاش بعدها أحداً وعشرين يوماً ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر
 ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم الثلاثاء عشرين من شهر ربيع
 الأول وكانت هجرة في الثاني عشرين من قوله تعالى اليوم أكلت لكم دينكم أى الفرائض
 والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من
 الفرائض وهذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة وقادة اليوم أكلت لكم دينكم
 فلم يحج معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأمنسكم من عدوكم (فان قيل) قوله تعالى
 اليوم أكلت لكم دينكم يقتضى أن الدين كان ناقصا قبل ذلك وذلك يوجب أن الدين الذى
 كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم أكثر منه كان ناقصا وانما وجد الدين الكامل في آخر عمره
 مدة قليلة (أجيب) بأن الدين لم يكن ناقصا بل كان أبدا كاملا وكانت الشرائع النازلة من
 عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو
 كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه فلا جرم كان ينسخ بعد النبوة وكان ينزل
 بعد العدم وأما في آخر زمان المبعث فأنزل شريعة كاملة وحكم يبقاها إلى يوم القيامة فالشرع
 أبدا كان كاملا الا أن الأول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلهذا قال
 اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بأكمله وقيل بدخول مكة آمنين ورضيت أى
 اخترت لكم الإسلام ديناً من بين الأديان وهو الذى عند الله لا غير قال الله تعالى ومن يتبع غير
 الإسلام ديني فلن يقبل منه وقوله تعالى (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهم ما اعتراض
 بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
 التامة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (في تخفة) أى
 جماعة (غير متجانف) أى مائل (لأثم) أى معصية بأن كل ذلك تلذذوا بمجاوز أحد الرخصة
 كتقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) له ما أكل (رحيم) به في اباحتها فلا يؤخذ ومن
 المائل الى الأثم قاطع الطريق ونحوه فلا يحل له الاكل مما ذكر أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر

فوق من اضطر في الوصول والباقون بالضم (يستلونك) يا محمد (ماذا أحل لهم) من الطعام
وانما أنى بقوله لهم بلفظ الغيبة لتقدم ضمير الغيبة في قوله تعالى يستلونك ولو قيل في الكلام
بماذا أحل لنا لكان جائزا على حكاية الجملة كقولك أقسم زيد ليضربن ولا ضربن بلفظ الغيبة
والتكلم الا ان ضمير المتكلم يقتضى حكاية ما قالوه كما أن لا ضربن يقتضى حكاية الجملة
المقسم عليها وماذا امتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شئ أحل لكم منها فقال تعالى (قل)
لهم (أحل لكم الطيبات) أى ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة
أو قيام من يجتهد ولا مستغذ من ذى الطباع السليمة وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مأذون في ذبحه
مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة وما معها وكل ما أذن فيه من غير ذبح بخوان الجهر
وما أذن فيه من غير المطاعم وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح) معطوف على الطيبات
أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف للعلم به والجوارح جمع جارحة من
سباع الهائم والطير كالكلب والقط والتمر والعقاب والصقر والباز والناهي والهائم اللبالبغة
حيث بذلك لأن الجرح الكسب لانها تكتب الصيد ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
أى كسبتم أولانها تجرح الصيد بالبا وقوله تعالى (مكئين) حال من ضمير علمتم أى حال كونكم
معين هذه الكواكب الصيد والمكبل المؤتب الجوارح ومغريها مأخوذ من الكلب يسكون
اللام وهو الحيوان الناجح لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فأخذ من لفظه لكثرته
في جنسه أولان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عتبة بن أبي لهب حين أراد سفر
الشأم فغاط النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد
وقوله تعالى (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم أو استئناف (فان قيل) ما فائدة هذه الحال وقد
استغنى عنها بعلمتم (أجيب) بأن فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح فقيها عالم بالاشراط المعتمدة
في الشرع لحل الصيد وفي هذا فائدة جليلة وهى أن على كل طالب لشيئ ان لا يأخذ الامن أجل
العلماء واشدهم دراية له وأغوصهم على لطائفه وحقايقه وان احتاج في ذلك الى أن يضرب
اليه أكباد الابل فكهم من أخذ من غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء التعاريف نامله
(مما علمكم الله) أى من علم التكليف لانه الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذى هو منحة
منه أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بأرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه (فكلوا مما أمسكن) أى الجوارح مستقرا
امساكها (عليكم) أى على تعليمكم وان قتلته بأن لم تأكل منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها
وشروط التعليم فيها ثلاثة أشياء اذا ارسلت استرسلت واذا انجرت انزجرت واذا أخذت الصيد
أمسكته ولم تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فان أكلت منه فليس مما أمسكن على
صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث النخعيين وان أكل منه فلان أكل منه إنما أمسك على نفسه
وعن علي رضي الله عنه اذا أكل البازي فلان أكل الى هذا ذهب أكثر الفقهاء وبعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا وفي هذا

الحديث أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) في هذه الكناية ثلاثة أوجه أحدها أنها تعود إلى المصدر المفهوم من الفعل وهو الأكل كأنه قبل وأذكروا اسم الله عليه على الأكل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لم يمسك الله وكل مما يليه الثاني أنها تعود إلى ما علمت أي أذكروا اسم الله على الجوارح عند إرسالها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه الثالث أنها تعود إلى ما أمسك أي أذكروا اسم الله تعالى على ما أدركتم ذكره مما أمسكت عليكم الجوارح (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أي في محرمانه (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فيؤاخذكم بما جلدتكم وقوله تعالى (اليوم) الكلام فيه كاللهم فيا قبله (أَحْلَلْ لَكُمْ الطِّيبَاتِ) أي المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (حَلْ) أي حلال (لكم) فأما من دخل في دينهم بعد المبعث فلا تحل ذبيحتهم ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله تعالى كالنصراني يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في تقريرهم بالجزية دون أكل ذبايحهم ونكاح نسائهم قال صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا نحن نسائهم ولا أكل ذبايحهم رواه الإمام مالك (وطعامكم) أيهم (حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم ولا تتبعوهم ولولم يمسك عليهم لم يميز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أي الحرائر (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى أي حل لكم أن تنكحوهن وإن كن حريات وقال ابن عباس لا تحل الحريات وأما الاماء المسلمات فيحل نكاحهن في الجمله بخلاف الاماء الكليات فلا يحل نكاحهن عندنا ويحل عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (إذا أتيتوهن أجورهن) أي مهرهن فتقيد الحل باتيانها لنا كبدا وجوبها والحث على الأولى وإن من تزوج امرأه وعزم أن لا يعطى صداقها كان في صورة الزاني وورد فيه حديث وتسميته بالاجريد على أنه لا حد لقله كما أن أقل الاجر في الاجارة لا يتقدر (محصنين) أي فاصدين الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين (غير مسافحين) أي معلنين بالزناهم (ولا متخذى أخدان) أي مسرين بالزنا منهم والخذن الصديق يقع على الذكروا الأنثى قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا سرا والله تعالى حرمهما في هذه الآية وأباح القمع بالمرأة على جهة الاحصان وهذه الآية مخصوصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن فيبقى على التحريم ما تضمنته تلك ما عدا الكليات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنقلة من الكليات من دينها إلى غير دين الاسلام وقرأ الكسائي بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها وقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان) اختلف المفسرون في معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان أي بالله الذي يجب الايمان به وانما حسن هذا الجواز لأنه يقال رب الايمان ورب الشيء على سبيل الجواز وقال الكلبي ومن يكفر بالايمان أي بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا اله الا الله لأن الايمان من لوازمها والطلاق الشيء على لازمه مجاز مشهور وقال قتادة إن ناسا من المسلمين قالوا كيف

تزوج نسأهم مع كونهم على غير ديننا فنزل الله هذه الآية ومن يكفر بما أنزل الله في القرآن
فهو كذا وكذا فسمى القرآن إيمانا لأنه مشتق على بيان كل ما لا بد منه في الإيمان والمراد من ذلك
أن يأني بشئ يصير به مرتدا (فقد حبط) أي فسد (عمله) الصالح قبل ذلك إن اتصل بذلك بالموت
بدليل قوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى في آية أخرى فيمت وهو كاذر أما
من أسلم قبل الموت فإن ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه إعادة حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها
قبل الردة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كقولته تعالى فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله عمن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبه على أن من
أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفلت الفعل عن الإرادة وظاهر الآية التكرية بوجوب
الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن بمحدثا لكن صدعته الإجماع لما روى أنه صلى الله
عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم القع فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا
فعلته فقبل هو مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة لمحدثين وقبل الأمر فيه للندب
وقبل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ قال البيضاوي وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة
من آخر القرآن نزولا فأحلوا حللها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أي أمر والماء عليها
ولا يجب الدلك خلافا لما لاك رضى الله تعالى عنه (و) اغسلوا (أيديكم إلى المرافق) أي معهما إن
وجدت وقد رواها إن فقدت لما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه في صفة وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشبع في
العضد الخ والإجماع وأن إلى في الآية بمعنى مع كما في قوله تعالى من أنصاري إلى الله ويزدكم قوة
إلى قوتكم أو يجعل اليد التي هي حقيقة إلى المتكبر مجازا إلى المرفق مع جعل إلى غاية للغسل
الداخله هنا في المغاير بنية الإجماع والاحتياط للعبادة والمعنى اغسلوا أيديكم من رؤس
الأصابع إلى المرافق أو تجعل باقية على حقيقة إلى المتكبر مع جعل إلى غاية للترك المقدّر فتخرج
الغاية والمعنى اغسلوا أيديكم واتركوا أيديكم إلى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح الميم وكسر الفاء
على الفصحى من اللغة وهو مفصل ما بين العضد والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل
الباقى لأن المسور لا يسقط بالمسور وان قطع من المرفق فإن سل عظم الذراع وبقي العظام
المهيان برأس العضد وجب غسل رأس عظم العضد لانه من المرفق وهو مجمع العظمين
والأبرة الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل باقي عضده (واستمسحوا برؤسكم)
أي ببعض ما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم مسح بياصته وعلى عمامته واكتفى بمسح البعض
لأنه المفهوم من المسح عند اطلاقه ولم يقل أحد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي
بين الزنبتين والاكتفاء به يمنع وجوب الاستيعاب ويمنع وجوب التقدير بالربع أو أكثر
لأنه أدونه والباء إذا دخلت على متعدد كما في الآية تكون للتبعض أو على غيره كما في قوله
تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق تكون للإصاق (فان قبل) صبغة الأمر بمسح الرأس والوجه
في التيمم واحدة فهلا أوجبتم التعميم أيضا (أجيب) بأن المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر بيده

ومسح الرأس أصل فاعتبر لفظه (فان قيل) المسح على الخف بدل فيه لا وجب تعميمه بكبدله
 (أجيب) بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين أن يمسح على بشرة الرأس أو شعرها
 ولو شعرة واحدة في حد الرأس لان ذلك يصدق عليها مسح الرأس عرفا فالرأس اسم لما الرأس
 وعلا وقوله تعالى (وأرجلكم) قرأه نافع وابن عامر وحفص والـ ~~ص~~ كسائي بنصب اللام
 عطفا على وجوهكم وقيل على أيديكم والباقون بالكسر على الجوار ومنهم من عطف على
 الجرو وعلى قراءة الجزو والمسوح ليفيد مسح الخف وعطف على المنسوب على قراءة النصب على
 المغسول ليفيد غسل الرجل المتخبر دونه فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الاخرى وقوله
 تعالى (الى الكعبين) وهما العظمان النانثان في كل رجل من جانبيه عنده فصل المساق والقدم
 دل على دخولهما في الفسل ما دل على دخول المرفقين فيه وقدم ~~هـ~~ (فتبينه) * الفصل بين الايدي
 والارجل المغسولة بالرأس والمسوح فيه دليل على وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء
 وعليه الشافعي رضي الله عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي وان قطع فوق الكعب
 فلا قرص عليه ونذب غسل الباقي كما مر في اليد ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه
 كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا) من جماع وغيره (فاطهروا) أي بالغسل لجميع
 البدن لانه أطلق ولم يخص الاعضاء كما في الوضوء (وان كنتم مرضى) أي من ضايضه الماء
 (أو على سفر) أي مسافرين سفرا مباحا طويلا أو قصيرا (أو جاء أحد منكم من
 من الغائط) أي الموضع المظلم من الارض الذي يقضي فيه حاجته الانسان التي لا بد منها
 سمى باسمه الخارج للمجاورة قيل وفي ذلك حكمة وهي شدة هجز الانسان ليكلف من اعطاه
 وكبره وترفعه وغفره كما حكى أن بعض الامراء اتى بعض البلدة فلم يسمع له فغضب وقال كائنك
 لم تعرفني فقال بلى والله اني لا عرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة ففدرة وأنت فيما بين ذلك
 تحمل العذرة وقرأ قالون والبرز وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المذوق والقصر وسمل
 ورش وقبل الهمزة الثانية وحقق الباؤون الهمزةين معا (أو لاسستم النساء) بالذكر أو غيره
 أمنيتهم أم لا وقرأ حمزة والـ ~~ص~~ كسائي بغير ألف بين اللام والميم والباقون بالالف (فلم تجدوا ماء)
 بعد طلبه لفقدته حسا ومعنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح أو غيره (فتيمموا) أي أقصدوا
 (صعيدا) أي ترابا (طيبا) أي طهورا خالصا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مع المرفقين
 (منه) بضميرتين والباء للالصاق وينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالسبح وتقدم مثل
 هذه الآية في النساء قال البيضاوي ولعل تكريره لينتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة
 (ما يريد الله ليجعل عليكم) في الدين (من سرج) أي ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل
 والتيمم (ولكن يريد ليخففكم) من الاحداث والذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب (وليسم نعمته
 عليكم) ببيان شرافع الدين (لعلكم تشكرون) نعمه فتبينكم قال البيضاوي والآية مستقلة على
 سبعة أمور كلها متفق طهارتان أصل وبدل والاصل اثنتان مسحوع وغيره مستوعب وغيره
 المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محمد ودو غير محمد ودوان التيمم ما مانع وباطل

وموجبهما حدث أصغر وأكبر وان المبيع للعدل الى البذل مرض أو سفر وان الموعد عليه تطهير
 الذنوب وإتمام النعمة (واذ كرنا نعمة الله عليكم) أي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم
 على شفا حفرة من النار فأفقدكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم ليدرككم المنعم ويرغبكم في شكره
 لأن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بمجدة المنعم والانتقاد لآثاره ونواحيه وقال
 تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لأن هذا الجنس لا يقدر عليه الا الله لأن نعمة الحياة والنعمة
 والعقل والهداية والصون من الآفات وإيصال الخبرات في الدنيا والآخرة لا يعلمه الا الله
 تعالى وان المراد التأمل في هذا النوع من حيث انه مما زعن نعمة غيره (فان قيل) قوله تعالى
 واذكروا نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانهم ما أنعموا به من نعمة الله عليهم
 في جميع الساعات والاقوات (أجيب) بأنها الكثرة وتعاظم اصارت كالامر المعتاد فصار غاية
 ظهورها وكثر سبب الوقوعها في محل النسيان (و) اذكروا (ميشافه) أي عقده الوثيق (الذي
 وأنفكم به) أي بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يادعكم اليه بالعقبة على السمع والطاعة
 في العسر واليسر والمنشط والمكره والمنشأط وهو الامر الذي ينشط له والمكره
 مفعل من الكره وهو الامر الذي تكرهه النفس وأضاف المشاف الصادر من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى نفسه كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذلك بأنكم التزمتموه (اذ)
 أي حين قلتم سمعنا وأطعنا وفي ذلك تذكريا وأوجب الله صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر
 بهدايته لكم الى الاسلام ثم حذركم عن نقض تلك العهود بقوله (واتقوا الله) أي في مشافه أن
 تنقضوه (ان الله) الذي له صفات الكمال (عالم) أي بالز العلم (بذات الصدور) أي بما في القلوب
 فغيره أولى فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم وقيل المراد بالمشاف هو الذي أخذ الله
 منهم حين أخرجه من ظهرا دم وأشهدهم على أنفسهم ألست بركم قالوا بلى قاله بمجاهد وقيل
 المراد به الدلائل العقلية والشرعية التي نصبها الله على التوحيد والشرائع قاله السدي وأدغم
 أبو عمر والشاف في وانفكم في الكاف بخلاف عنه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي
 مجتهدين في القيام (لله) تعالى بمحقوقه (شهداء) أي متيقظين محضرين أفعالكم غاية الاحضار
 بحيث لا يشذعن شئ مما تريدون الشهادة به (بالقسط) أي العدل (ولا يجبر منكم) أي
 ولا يحملنكم (شئان) أي شدة بغض (قوم) أي الكفار (على أن لا تعدلوا) فتعدوا
 عليهم بارتكاب ما لا يحل كمنه وقذف ونساء وصية ونقض عهد تنقضها في قلوبكم
 (اعدلوا) أي تمروا العدل واقدموه في كل شئ (هو) أي العدل (أقرب) من تركه (للتقوى)
 لكونه لطيفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان
 به هذه الصفة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أوليائه وأحبائه (تنبيه) يؤخذ من
 هذا أن التكليف مع كثرتها المحصورة في نوعين التعظيم لاهر الله والشفقة على خلق الله فقوله
 تعالى كونوا قوامين لله إشارة الى التعظيم لاهر الله ومعنى القيام هو ان تقوم لله بالحق في كل
 ما يلزمك وقوله تعالى شهداء بالقسط إشارة الى الشفقة على خلق الله وفيه قولان الأول قال عطاء

لا تخاف في شهادتك أهل ذلك وقربائك ولا تمنع شهادتك أعدائك وأعداك الثاني أمرهم
 بالصدق في أفعالهم وأقوالهم وتقدم نظير هذه الآية في النساء الآن هناك قدم لفظة القسط
 وهذا آخرها قال ابن عادل فكان الغرض من ذلك والله أعلم أن آية النساء هي مما في معرض
 الاقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدأ فيها بالتبسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس
 ولا والد ولا قرابة والتي هنا هي مما في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالامر بالقيام به لانه أردع
 للمؤمنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجاء في كل معرض بما يناسبه وقال البيضاوي وتكرر بهذا
 المحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود ولما زيد
 الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاؤه نار الغضب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)
 فيجاء بكم به (وعند الله الذين آمنوا) أي أقروا بالايان بأنفسهم (ومهلوا) تصديقاً لهذا الاقرار
 (الصالحات) وحذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) فانه استئناف
 بيينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول لانه لا يعتقد الا به فكانه قال
 وعندهم هذا القول والاجر العظيم هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي النار التي اشتدت وقد فاشتها حمرارها فلا يراها أحد الا بحجم عنها فيلقون فيها
 ثم يلازمونها فلا يتفككون عنها كما هو شأن الصاحب وهذا من عادة الله سبحانه وتعالى انه يسمع
 حال أحد القريتين حال الفريق الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وقطييب
 لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) رسمت نعمت هنا بالتاء فوق فوقف عليها
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وفي الوصل الجميع بالتاء روى أن المشركين
 رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معاً وذلك بعد ما كان
 وهو وادينه وبين مكة مرحلتان في غزوة ذي أنمار فلما صالوا ندبوا ان لا كانوا اكبروا عليهم
 فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وآياتهم ينعنون صلاة العصر وهموا
 بأن يوقعوهم اذ قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف رواه مسلم وغيره والآية
 اشارة الى ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
 يستقرضهم أي يطلب منهم ما لا قرض الدية مسلمين قتلها ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما
 مشركين لكن في رواية البيهقي أن المقتولين كانا معا هذين لاسلمين وأن الخروج كان لبني
 النضير لا الى قريظة فقالوا نعم يا أبا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك
 القتال وعلى أن يعينوه في الديار فقالوا قد آن لك ان تأتينا ونسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك
 ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلص بعضهم بعض وقالوا
 انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الا نحن فنظر على هذا البيت فطرح عليه صخرة فبرحنا
 منه فقال هرو بن جحاش أنا نجأ الى رعا عظيمة لي طرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل
 جبريل عليه السلام فأخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً الى المدينة ثم دعا علياً
 وقال لا تبرح مقامك فن خرج عليك من أصحابي فسأل عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى

تناهوا اليه ثم تبعوه وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في العشاء
 يستطلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فحاء اعرابي فسل سيف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا
 رسول الله فزلت (اذهم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم) ليعتصموا بكم يقال بسط اليه لسانه
 إذا شقه وبسط اليه يده إذا بطش به قال تعالى ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى
 بسط اليدهم مدّها الى المطبوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسط الباع ومديد الباع بمعنى
 (فكف أيديهم عنكم) أي منعها أن تغد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله) في جميع
 أموركم (وعلى الله فليست كل المؤمنون) فإنه الكافي لا يصل الخير ودفع الشر (ولقد أخذ
 الله ميثاق بني اسرائيل) أي العهد الموثق بما أخذ عليهم من السمع والطاعة (وبعشنا منهم اثني
 عشر نقيبا) أي شاهدا على كل سبط نقيب يكتفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كما بعشنا منكم ليل
 العقبة اثني عشر نقيبا وأخذنا منكم الميثاق على ما به كمال الاسلام والنقيب الذي يتقب
 عن احوال القوم كما قيل له عريف لأنه يتعرف بها ومن ذلك المناسبات وهي الفضائل لأنها
 لا تظهر الا بالنسبة إليها روى أن بني اسرائيل لما استقر وأبحر بعد هلاك فرعون أمرهم
 الله تعالى بالسير الى أريحا فاباها أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبنا
 لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وباحدوا فيها وانى ناصركم وأمرهم موسى صلوات الله وسلامه
 عليه أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفلا على قومه بالوفاء بما أمروا به بوقته عليهم
 واختار النقيب وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقيب وسار بهم فلما دنا
 من أرض كنعان بعث النقيب يعيسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكه فهابوا ورجعوا
 وحذروا قومهم وقدمهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكتو الميثاق الا كaleb بن يوفنا
 من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقيب (وقال) لهم
 (الله اني معكم) أي بالعون والنصرة (لان) لام قسم (أقم الصلاة) التي هي صلة العبد وانما القى
 بجميع شروطها وأركانها (وأنتم الزكاة) التي تقرب العبد الى الله عز وجل (وآمنتم برسلي)
 أي بجميع الرسل (وعزقوهم) أي نصرعوهم وقيل التعزير والتعظيم وقيل هو الشناء بخبر قاله
 يونس وهو قريب من الثاني (فان قيل) لم أخر الايمان بالرسول عن اقام الصلاة وإيتاء الزكاة مع
 أنه مقدم عليهما (أجيب) بأن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من اقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة الا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر أن بعد اقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة لا بد من الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والالام يكن لا اقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل (فان قيل) قوله تعالى (وأقرضتم الله
 قرضا حسنا) داخل تحت إيتاء الزكاة فإفادة اعادته (أجيب) بأن المراد بالزكاة الواجبة
 وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها بتيسرها على شرفها وقرضا يحتمل المصدر والمفعول به

ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير وان اجتهد في صلاح العمل قال
 سيد الخواب القسم المدلول عليه باللام في اثن مسد جواب الشرط (لا كفرن) أي لا سترن
 (عنكم ميا - نكم) أي فعلكم الذي من شأنه أن يسوء (ولا دخلناكم) فضلا ورحمة مفي (جنات
 تجري من تحتها الانهار) أي من شدة الرى (فن كفر بعد ذلك) المشاق (منكم فقد ضل) أي
 ترك وضيع (سواء السبيل) أي أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط (فان قبيل) من
 كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (أجيب) بأن الضلال بعد أظهر وأعظم لانه الكفر
 بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة يتوهم له معذرة وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم باظهار الدال قد عند الضاد والباقون بالادغام وقد تقدم ولما نقضوا المشاق
 مرة بعد مرة بنكذب الرسل وقتل الانبياء وكنههم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم
 في سورة البقرة قال تعالى (فبما) ما من زيادة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم لعناهم) قال عطاء
 أبعدناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم قرده وخنازير وقال ابن عباس ضربنا
 الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي لاتلين لقبول الايمان وقرأ أجزء والكسائي بغير
 ألف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا
 من القسوة فان المغشوش فيه ييس وصلابة والباقون بألف بعد القاف وتخفيف الياء وقوله
 تعالى (يحزنون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة أشد من تغيير
 كلام الله تعالى والافتراء عليه (ونسوا حظا) أي نصيبا نافعاً (عماد كرواه) أي من التوراة على
 أنبيائهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام تركوه ترك النامى للشيء لقله مبالاة بهم بحيث
 لم يكن لهم رجوع اليه وقيل معناه انهم حزنوا فزلت لشؤهم أشياء منها عن حفظهم وعن ابن
 مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ينسى المربض العلم بالعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا
 نصيب أنفسهم عما مرواه من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمة (ولا تزال) أي بما
 نطاعك عليه يا أكرم الخلق فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (تطلع) أي تظهر (على خائنة)
 أي خيانة (منهم) بنقض العهد وغيره لأن ذلك من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
 (الاقبال منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) أي امح ذنبهم ذلك (واصفح) أي
 أعرض عن ذلك أصلا ورأسا نابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق ونسخ
 بآية السيف وقوله تعالى (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفتح وحث عليه وتبنيه
 على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره روى الشيخان وغيرهما عن
 عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له البدين الاعصم
 وفي رواية البخارى أنه رجل من بني زريق حليف لليهود وكان منافقا قاتحى كان يخيل اليه أنه بأنى
 النساء ولا يأتين وذلك أشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه أن البحر في بئر ذروان فقالت له
 عائشة رضى الله عنها أفلا أخرجته فقال لا أمأنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شرا
 فأمرت به فدفنته وهو في معجم الطبراني الكبير وهذا القطة وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال

كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقد الجاهلي بئر رجل من الأنصار فأتاه ملكان بعدوانة ففقد أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله فقال أحدهما أتدري ما وجدته قال قتلان الذي يدخل عليه عقده عقدا فأتاه في بئر فلان الأنصاري فلما أرسل رجلا لوجده الماء أصفر فبعث رجلا فأخذ العقد فلهما فبصر فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا منه ولم يعانة وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية سعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءها عن ذلك فقالت أردت لاقائك فقال ما كان الله ليلسلك على ذلك أو قال هي قالوا أفلا نقلتها قال لا قال أنس فازلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم فانظر الى عفوهم صلى الله عليه وسلم واقتدبه وفي ذلك غاية العفو والاحسان امتثالاً لأمر ربه تعالى وقيل فاعف عن مؤمنهم ولا يؤخذهم بما سلف منهم (ومن الذين قالوا أنا نصاري أخذنا منهم ما وجدناهم) أي وأخذنا من النصاري مشاقهم كما أخذنا من قبلهم (فان قيل) هلا قال من النصاري (أجيب) بأنهم اغتسبوا أنفسهم بذلك ادعاء للنصرة لله تعالى لقرولهم لعيسى نحن أنصار الله وليسوا موصوفين به قال الحسن فيه دليل على أنهم نصاري بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى (ففسوا) أي تركوا ترك النامى (حظاً) أي نصيباً عظيماً يتنافس في مثله (عما ذكرناه) أي في الانجيل من الإيمان ومن أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ونقصوا الميثاق (فأغرينا) أي أوقعنا (بينهم) أي النصاري بعد أن جعلناهم فرقة متباينين وهم نسطورية ويعقوبية ومملكانية وكذا بينهم وبين اليهود (العداوة والبغضاء الى يوم التمامة) أي بتفرقهم واختلاف أهواهم فكل فرقة تكفر الاخرى وقرأ نافع وأبو عرو وابن كثير بتحقيق الهمة الاولى وتسهيل الثانية والباقيون بتحقيقهما (وسوف ينههم الله) أي يجز بهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) فيجاز بهم عليه وقوله تعالى (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصاري ووجه الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا) وهو أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم) أي يوضح ايضا حاشافيا (كثيرا مما كنتم تحفون) أي كنتمون (من الكتاب) أي التوراة والانجيل كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرحم في التوراة وبشارة عيسى بأجدي الانجيل (ويعفون كثير) أي عما تحفونه فلا يبينه اذ لم يكن فيه مصلحة في أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤخذ بجرمه (قد جاءكم من الله نور) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي جلا ظلمات الشرك والشرك (وكتاب) هو القرآن العظيم (مبين) أي يبين في نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق (يهدي به الله) أي بالكتاب وقيل بهما ووجه الضمير لان المراد بهما واحدا لانهما كواحد في الحكم (من اتبع رضوانه) أي رضاه بأن آمن (سبل) أي طرق (السلام) أي السلامة من العذاب أو الله باتباع شرائع دينه (ويجرحهم من الظلمات) أي أنواع الكفر والوساوس الشيطانية (الى النور) أي الاسلام (بأذنه) أي بإرادته أو بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي طريق هي أقرب الطرق الى الله تعالى وموؤد اليه لا محالة وهو الدين الحق (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح مريم) وذلك حمت جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من النصاري وقبل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث

اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا محمد (قن ذلك) أي يدفع (من) عذاب (الله شيئاً) أي من الأشياء التي يتوهم أنها قد تنفعهم بما يريد (إن أراد أن يميتك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي لا أحد عدا ذلك ولو كان المسيح اله القدر عليه فدل ذلك على أنه بعزل من الألوهية وأنه مقدور مقهور وقابل للفناء كسائر الممكّنات وأراد يعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهم من جنسهم لا تفاوت بينهم وبينهم في البشرية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بين النوعين وبين أفرادهما مما يحياه تمام أمرهما (يخلق ما يشاء) أي على أي كيف أراد (والله على كل شيء قدير) أي قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كما خلق ما بينهما وينشئ من أصل ليس من جنسه كما دم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه أمان ذكر وحده كما خلق حواء من آدم أو من أنثى وحدها كعيسى بن مريم أو منها كسائر الناس وقوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى) أي كل طائفة قالت على حديثها (نحن أبناء الله وأحباؤه) اختلف المنسرون في معنى ذلك على أربعة أوجه أحدها أن هذا من باب حذف المضاف أي نحن أبناء الله كقوله تعالى إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله الثاني ان لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق أيضاً على من اتخذنا بمعنى تخصيصه بزيد الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا غايبه الله بهم ادعوا انهم أبناء الله الثالث ان اليهود زعموا ان العزير ابن الله والنصارى زعموا ان المسيح ابن الله ثم زعموا ان العزير والمسيح كانا منهم فصار كأنهم قالوا نحن أبناء الله ألا ترى ان أقارب الملك اذا فاضوا وأحداهم يقولون نحن ملوك الدنيا والمراد كونهم مختصين بالشخص الذي هو الملك فكذا هنا الرابع قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم من عقاب الله فقالوا كيف نخوفنا بعد عذاب الله ونحن أبناء الله تعالى وأحباؤه فهذه الرواية انما وقعت عن تلك الطائفة وأما النصارى فانهم يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى أبي وأيكلم وقيل أرادوا ان الله كلاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وقال ابراهيم النخعي ان اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء ابراهيم فبدلوه يا أبناء ابراهيم فحين ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجعله الكلام ان اليهود والنصارى كانوا يرون انفسهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم من الانبياء الى ان ادعوا ذلك (قل) لهم يا محمد (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ولا يعذب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعتزمت بانه سيعذبكم بالنار أيام معدودة وقرأ البرز في الوقف فلم يخلاف عنه (بل أنتم بشر من) (من خلقه) الله تعالى من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يعذركم بيشاء) أي عن خلقه منه ثم ومن غيركم ففضل الله تعالى (ويعذب من يشاء) كذلك كما شاهدونه بكرم ناسا منكم في هذه الدار وبهين آخرين لا اعتراض عليه وقرأ أبو عمر وبانعام الراية في اللام من يغفر واليا في الميم من يعذب بخلاف عنه ورقق ورش الراية على أصله (وقته ملك السموات والأرض وما بينهما)

أي وأنتم محايينهم فما كن هكذا وقدوته هكذا كيف يستحق عليه البشر الضعيف حقاً واجبا
 وكيف يملك عليه الجاهل بهبائذه الناقصة ديناً لازماً كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون
 ألا كذباً ثم قال (واليسه المصير) أي المرجع فيعزي المحسن بإحسانه والمسيء بأسائه (يا أهل
 الكتاب) أي من الفريقين (فقد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (بينكم) أي ما كنتم
 وحذف لتقدم ذكره أو الذين وحذف لظهوره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معني ويبدل
 لكم البيان وجملة بين لكم في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبیننا لكم وقوله تعالى (على فترة من
 الرسل) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي قال ابن
 عباس يريد على انقطاع من الأنبياء فتشبه بفتورهم وبعد العهد بهم ونسيان أخبارهم وبلاء
 رسوهم وأثارهم وانطماس معالمهم وأنوارهم بشئ كان يغفل فتورهم من وصفه المقصود
 منه الأثر خاف ورسم دارس يقال فترة الشيء يذتر فتور إذا سكنت حركته وصار أقل مما كان
 عليه وسبب المدة بين الأنبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بترك الشرائع واختلافوا في مدة
 الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عثمان النهدي ستائة سنة وقال قتادة خمسائة
 وستون سنة وقال معمر والكبي خمسائة وستة وأربعون سنة وعن السكبي بين موسى وعيسى
 ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الأنبياء ثلاثة من
 بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث
 إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوح ما يكون إليه قال البقاعي ولعله عبر بالمضارع
 في بين إشارة إلى أن دينه وبيانه لا يقطع أصلاً بحفظ كتابه فكما درست سنة مخ الله تعالى بهالم
 يرذل الناس إليها بالكتاب العزيز المجزأ القسام أبداً فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبى يتحدث إلا عند
 القسنة التي لا تطيقها العلماء وهي قسنة الدجال وأجوج ومأجوج ثم علل ذلك بقوله تعالى
 (أن) أي كراهة أن (تقولوا) أي إذا حشرتم وستلتم عن أعمالكم (مأجاء) نامن بشير أي يشير
 زائدة لتأكد النفي أي يشيرنا لتغرب فتعمل بما يسعدنا ففوز (ولانذير) أي يحذرنا لترهب فتترك
 ما يشقينا فسلم وقوله تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أي لا تعذروا بما جاءنا من
 بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير (والله على كل شئ قدير) أي فيقدر على الإرسال تنزوا واحدا بعد
 واحد على التعاقب كما فعل بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وعلى الإرسال على فترة كما
 فعل بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام (واذ قال موسى لقومه) أي من اليهود (يا قوم
 اذكروا نعمة الله عليكم) أي أنعامه فذكرهم بثلاثة أمور وألها قوله تعالى (اذ) أي حين (جعل
 فيكم) أي منكم (أنبياء) فأرشدكم وشرّفكم بهم ولم يعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء
 وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحزرة والكسائي باظهاره زال اذ عند الجسيم وأدغمها
 أبو عمرو وهشام ونابها قوله تعالى (وجعلكم مملوكاً) أي وجعلكم منكم أوفقكم فقد تكاثرت فيهم
 الملوكة تكاثرت الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهما يقتل عيسى وقال ابن عباس أصحّاب
 خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن أبي سعيد الخدري

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة وداية يكتب ملكا وقال أبو عبد الرحمن الجبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السنان فقراء المسلمين المهاجرين فقال عبد الله له يا هذا ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت غنى من الاغنياء قال ألك خادم قال نعم قال انت من المولود وقال السدي وجعلكم احرارا غل كون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقال الفصاح كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية من كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك وثالثها قوله تعالى (وأتاكم الم يوت أحد من العالمين) وذلك لانه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الاكرام كذلق البحر لهم وأهلك عدوهم وأورثهم أموالهم وأنزل عليهم المن والسلوى وأخرج لهم المياه الغزيرة من الحجر وأعطى فوقهم الغمام ولم يجمع الملك والنبوة لقوم كما جمعه لهم وكانوا في تلك الايام هم العلماء بالله تعالى وهم أحباب الله وأنصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو زمانهم وقال الكلبي ان جعلت العالمين عاما وجب تخصيص ما تلابزم انهم أو يوت الم يوت هذه الامة من الكرامة والفضل وغير ذلك وان خصصته بالعالمين زمانهم فباقية على عمومها اذ لا محذور ولما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم أمرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أى المطهرة وهى أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت مسكن الانبياء والمؤمنين وقال مجاهد فى الطور وما حوله وقال الكلبي هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وهو يضم الدال وتشديد النون اسم نهر أو كورة بالشام قاله الجوهري وقال قتادة هى الشام كلها (التي كتب الله لكم) أى فى اللوح المحفوظ انتم لكم مساكن وقال السدي أمركم بدخولها (فان قيل) على القول الاول كيف كتبها لهم بعد قوله تعالى بعد فانهم محرومة عليهم (أجيب) بأجوبة أولها قال ابن عباس انها كانت هبة ثم حرمها عليهم ثم عردهم وعصيانهم فانها اللفظ وان كان عاما لكن المراد به الخصوص فكأنها كتبت لبعضهم وحزمت على بعضهم ثالثها ان الوعد بقوله تعالى كتب الله لكم مشروط بتقيد الطاعة فلم يوجب الشرط لم يوجد المشروط رابعها انها محترمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون حصل ما كتب (ولا تردوا على أدياركم) أى ولا ترجعوا مدبرين خوفا من العدو (فتقلبوا خاسرين) أى فى سعةكم وذلك ان قوم موسى لما أخرجوا من مصر وعدهم الله تعالى اسكان أرض الشام قال الكلبي سمع ابراهيم عليه السلام جيل لبنان فضيل له انظر ما أدركت بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرائيل يسمون أرض الشام أرض الموعد ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيباً ليتجسسوا الهم عن أحوال تلك الارض فلما دخلوا تلك الاماكن رأوا أجساما عظيمة قال ابن عادل قال المفسرون فأخذهم أحد أولئك الجبارين وجعلهم فى كهف فأكفه قد جعلها من بساطه وأقى بهم الملك ونثرهم بين يديه وقال تعجب الملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فأخبروه بما شاهدتم ثم انصرف هؤلاء النقباء الى موسى عليه السلام فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكفوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلين منهم وهما يوشع ابن نون بن افرايم بن يوسف فقي موسى وكالب بن يونا فقي موسى وكان من سبط يهوذا فانهما

سهلا الامر وقال الهى بلاد طيبة كثيرة النعم والاقوام وان كانت أجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم
ضعيفة وأما العشرة الباقية من التقباء فانهم أرفعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهروا
الامتناع ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر وليتنا موت في هذه البرية
ولا يدخلنا الله أرضهم فمكثوا نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم ويقولون لا حصايتهم
تعالوا نجعل علينا رؤساء وتنصرف الى مصر فذلك قوله تعالى (فالو يا موسى ان فيها قوما جبارين)
أى عتاة فاهرين لغيرهم ~~مكرهين~~ لغيرهم على ما يريدون (وانال ندخلها) خوفا منهم (حتى
يخرجوا منها) أى بأى وجه كان (فان يخرجوا منها فاناد اخلون لها وأصل الجبار المتعظم المستع
عن القهر يقال فخله جبارا اذا كان طويلا متشعبة عن وصول الايدى اليها وسعى هؤلاء القوم
جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد فلما قال بنو
اسرائيل ما قالوا وهو ابالانصراف الى مصر ختم موسى وهرون عليهم السلام ساجدين وخرق
يوشع وكاب ثيابهم وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله (قال رجلان من الذين يخافون)
أى مخالفة أمر الله تعالى (أنتم الله عليهم) أى بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) أى باب
قرية الجبارين ولا تخشوهم فانارأيتهم وأجسادهم عظيمة بلا قلوب (فاذا دخلوها فانكم
غالبون) أى لان الله تعالى منجز وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) به ومصدقين بوعده
فأراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالجارية وعصوا أمرهما ثم (فالو يا موسى انال ندخلها أبدا)
نفوا دخولهم على التأكيد والتأييد وقوله تعالى (ماداموا فيها) يدل من أبد ابدل البعض
(فاذهب أنت وربك فقاتلا) هم (فاهما فاععدن) عن القتال لا القعود الذى هو ضد القيام
قالوا ذلك اسمته الله بالله ورسوله وعدم مبا لايتهم ما قيل وربك أى هرون لانه أكبر منه وقيل
تقديره اذهب أنت وربك يعينك فلما سمع من قومه ذلك (قال رب انى لأملك الانفسى وأخى)
أى لأملك التصرف ولا ينفذ أمرى الا فى نفسى وأخى لان الانسان لا يملك نفسه فى الحقيقة انما
المراد به التصرف وانى أفعل ما أمرت به وأخى كذلك قاله لشكوى به وحرته الى الله عز وجل
لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان
المذكوران وان كانوا اوقسان لم يثق بهم مما كذبهم تلون قومه وان المراد بأخى من
يواخيه فى الدين فبدخلان فيه وأظهر وجوه الاعراب فى أخى أنه منصوب عطفا على نفسى
والمعنى ولأملك الا أخى مع ملكى نفسى دون غيرنا (فافرق) أى فافصل (بيننا وبين القوم
الفاسقين) بأن تحكم لنا بما نستحقه وبحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتباعد بيننا وبينهم (قال)
تعالى (فانها) أى الارض المقدسة (محزومة عليهم) ان يدخلوها وقوله تعالى (اربعين سنة
يتيمون) أى يتيمرون (فى الارض) اختلف فى العامل فى اربعين فقيل محزومة فيكون التحريم
موقفا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله تعالى التى كتب الله لكم وقيل هو يتيمون أى يسرون
فيها تهمين قال الزجاج والاول خطأ لانه جاء فى التفسير أنها محزومة عليهم ابدافصها يتيمون
أى فيكون التحريم مطلقا قال البغوى لم يرد به تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع وأوحى الله

تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام بي حلفت لاحترم عليهم دخول الارض المقدسة غير
 عبدي يوشع وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي
 تجسسوا فيها سنة ولا تقين جيقهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوها
 فلبثوا أربعين سنة في ستة فرائخ وقيل تسعة فرائخ قال ابن عباس وهم ستمائة ألف مقاتل
 وكانوا يسرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام
 يظلمهم من الشمس وعود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
 من الحجر الذي يحملون فاذا ولد لاحدهم مولود كان عليه ثوب مثل الظفر في رأى العين يطول
 بطوله ويتسع بقدره الله والله أعلم بما يحكي من ذلك (فان قيل) كيف ينزل المن والسلوى
 في حال العقوبة (أجيب) بأنه سبب البقاء وهو أبقى للعقوبة فهو كاقامة الحد ودعم بقاء الخطاب
 واختلاف اهل كان موسى وهرون عليهم ما السلام فيهم أولا قال البغوي الاصح انهما كانا فيهم
 الا انه كان ذلك راحة لهما وزيادة في درجاتهما وعقوبة لهما وهو أبلغ في الاجابة أن يشاهدوا
 في حال العقوبة فلا يصيبهما ما أصابهم ولم يدخل الارض المقدسة أحدهما قال ابن ندخلها بل
 هلكوا في التيه واعما قال الجبارة أولادهم واختلفوا هل مات موسى وهرون في التيه أم لا
 قال البيضاوي الاكثر انهما كانا معهم في التيه وانهما ماتا فيه مات هرون قبل موسى
 وموسى بعده سنة قال عمر بن جعون مات هرون قبل موسى وكانا خراجا الى بعض الكهوف فأتا
 هرون فدفنه موسى وانصرف الى بنى اسرائيل فقالوا قتله لحينا اياه وكان محببا في بنى اسرائيل
 فتمضت موسى الى ربه فأوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى هرون فاني باعته فانطلق بهم الى
 قبره فناداهم هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكن مت قال فعاد الى
 مضجعه وانصرفوا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم بعده سنة وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب أمر ربك فاطم
 موسى عين ملك الموت فعقاها فقال ملك الموت يارب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وقد قفا
 عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحيازة تريد فان كنت تريد الحيازة فضع يدي
 على متني فوافوا وارتد من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم قال ثم قوت قال الا ان من
 قريب قال رب أدنى من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني
 عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاحمر قال وهب خرج موسى ليقضى حاجة
 فزبره من الملائكة يخفرون قبر الميرسيا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخسرة والنضرة
 والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تخفرون هذا القبر فقالوا العبد كرم على ربه فقال
 ان هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله
 تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه
 الى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب وقيل
 ان ملك الموت أتاه بفاحمة من الجنة فشماها فقبض الله روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة

فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع عليه السلام نبيا
فأخبرهم ان الله تعالى قد أمرهم بقتال الجبارة فصدقوه وبايعوه فتوجه بين اسرائيل الى
اربعاء ومعه تابوت المشاق وأحاط بمدينة أريحا خمسة أشهر ونهضوها في الشهر السابع
ودخلوها فقاتلوا الجبارين وهزموهم وجمعوا عليهم وقتلواهم وكانت العصابة من بني اسرائيل
يجمعون على علق الرجل يضر يونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس
تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في
طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقسم حتى ينقسم من أعداء الله قبل دخول
السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وروى الامام أحمد
في مسنده حديثا ان الشمس لم تجس على بشر الا بدوشع ليالي سارا الى بيت المقدس ثم تبع
ملوك الشام فاستباح منهم أحد او اثنين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام
كلها لبني اسرائيل وفروا عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى
يوشع ان فيها غلولا ففرهم فلبيا بعولق فبايعوه فالتصقت يدرجل منهم بيده فقال لهم ما عندك
فاتاه برأس نوري من ذهب مكل باليواقيت والجواهر وكان قد غلبه فجعله في القربان وجعل
الرجل معه خفات الشارقا كت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل ابراهيم وكان
عمره مائة وستة وعشرين سنة وتدبر أمر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة فسبحان
الباقى بعد فناء خلقه * ولما ند موسى عليه السلام على الدعاء عليهم قال تعالى (فلاناس
على القوم الفاسقين) فبين تعالى انهم أحقاء بذلك لنفسهم (وانل عليهم نبا ابني آدم) وهما
هايل وقايل وقوله تعالى (بالحق) صفة مصدر محذوف أي تلاوة متبسة بالحق وقصتهما أن
الله تعالى أوحى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما نوا من الآخرة وكانت حواء تلد لا دم كل بطن
غلاما وبارية وظاهر كلام المؤرخين ان آدم لا يحل له ان يزوج بواحدة من بناته ولا من
بنات أولاده ولهذا الغرض بعضهم بقوله ماتت زوجة رجل فحرم عليه نساء الدنيا وكان جميع
ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطناً أولهم قاييل وثلاثة اقلما وثانيهم هاييل وثلاثة يلودا
وأخروهم عبيد المغيث وثلاثة أم المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه السلام قال ابن
عباس رضي الله عنهم المبعث آدم حتى بلغ ولده وأربعين ألفا فأراد آدم ان ينسج قاييل
يلودا أخت هاييل وينسج هاييل اقلما وكانت أخت قاييل أحسن من أخت هاييل فذكر ذلك
لولده فرضى هاييل وصخط قاييل وقال هي أختي وأنا أحق بها فقال له أبوه انه لا تحل لك فأبى أن
يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قرا قرأنا فابكما تقبل قربانه
فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار يضافا كتبها واذا لم تكن
مقبولة لم تنزل النار وأكله الطير والسباع فخر جال قرا وكان قاييل صاحب زرع فقرب صبرة
من طعام من أروا زرعها وأضمر في نفسه ما أبالي تقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هاييل
صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا

قربانه ما على الجبل ثم دعا آدم قتراب نار من السماء فأكل قربان هابيل ولم تأكل قربان قاييل
كما قال تعالى (أذ قرباناً بقرباناً تقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم تقبل من الآخر) وهو قاييل
لأنه سخط حكم الله ولم يخص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قاييل لرذوبانه
وأضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قاييل له هابيل وهو
في غمّه (قال لاقتلتك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء
وأنتكح أختك الدمية فيحدث الناس أنك خير مني ويفتخروا بك على ولدي (قال) هابيل
وما ذنبى (انما تقبل الله من المتقين) فان قيل كيف كان قول هابيل انما تقبل الله من المتقين
جواباً لقوله لاقتلك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي جعله
على نوعه بالقتل قال له انما أوتيت من قبل نفسك لأنسلاخهما من لباس التقوى لأن قبلي
فلم تلتني ومالك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول
فأجاب به بكلام حليم مختصر جامع لمعان وفيه إشارة إلى أن الحسد ينبغي أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهتد في تحصيل ما صار به المحسود ومحظوظاً لا في إزالة حظ المحسود فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقبيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني أسمع الله يقول انما تقبل الله من
المتقين (الذين) لا م قسم (بسطت) أي مددت (التي يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لاقتلك اني
أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإيم الله ان كان المقتول لأشد
الرجلين ولا يكن منعه التخرج أن يبسط إلى أخيه يده خوفاً من الله عز وجل لأن الدفع لم يقع بعد
أو تخرج بالهوا الأفضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
واغما قال ما أنا بياسط في جواب ابن بساط للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً والتبري عن أن
يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النبي بالباء وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص يفتح الياء من يدي
والباقرن بالسكون واتفق القراء السبعة على بقا صفة الطاء في بسطت وادغام الطاء في التاء
لأن مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة محتلفة فالطاء منطبعة والتاء منفتحة والطاء
مستعيلة والتاء مستعيلة والطاء مجهورة والتاء هموسة ويقال في ذلك ادغام الحرف وإبقاء
الصيغة (انني أريد أن تبوء) أي ترجع (بائي) أي بائم قسلي (وأغلك) الذي ارتكبه من قبل
(فستكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء ما غلك إذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء ما غلي وأغلك وإرادة القتل والعصية لا يتجاوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة إرادة
لكنه لما علم انه يقتله لأجل حاله ووطن نفسه على الاستسلام طلباً للشواب فكانت صار مریداً
لقوله مجازاً وان لم يكن مریداً حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أي الراسخين في وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لي بأحسناني في إتياني حياتك على حياقي وذلك جزاء المحسنين
(فقطعت) قال قتادة فزيت (له نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير يقتل له ابليس وأخذ له
طائرًا ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقاييل نظر إليه فعلمه القتل فوضع قاييل

رأس هابيل بن حجر بن وقيله وهو مستسلم وقيل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي فصار (من الخامس من) بقيله ولم يدوما يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشر ون سنة فحمله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنة حتى أرواح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرمى فتأكله فبعث الله غرابين فاقتلا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حضرا به فصارا ورجليه حتى مكنته ثم ألقاه في الحفرة ووراه وقايل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبعث في الارض ليريه) أي الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل الجاز (كيف يوارى) أي يستر (سواء)
 أي جيفة (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قاييل ذلك (قال يا ويلتي) كلمة
 جزع وتحمسر والاف فيها يدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أو أنا وف والويل
 والويله الهلكة (أعجزت) أي مع ما جعل الله من القوة الساطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع مالى من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاوارى سواء أختي) أي
 لا تهدي الى ما اهتدى اليه وقوله تعالى فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو عجزت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من النادمين) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشئ قال المطلب بن عبد الله بن حنبل لما قتل ابن
 آدم أحاد رجعت الارض بجافها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتله وكان آدم عليه السلام بمكة
 اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحضت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتله اسود جوده وكان أبيض وشرب الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلته
 ولذلك اسود جوده قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض من يوهئ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نائما فآمر ابنه حام عن انا فلم يستره فاسود في الوقت فالسودان من ولده ورأه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه لما أتى
 من مكة الى الهند رثاه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال من قال ان آدم قال شعر افسد كذب ان محمدا
 والانبيا عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء وروى انه رثاه فلم يزل يتقل
 حتى وصل الى يعرب ابن فطان وكان يقول الشعر فنظر الى المرتبة فاذا هي سجع فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعر اوزيد فيه أبيات منها

أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حياقي مستريح

وما لى لأجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

قربانه ما على الجبل ثم دعا آدم فتراب نار من السماء فأكل قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل
كما قال تعالى (أزقربا قربانا فقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يقبل من الآخر) وهو قابيل
لأنه سقط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قابيل ردة قربانه
وأغمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قابيل لهابيل وهو
في غمّه (قال لا قتل لك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورذ قرباني وتمسك أخى الحسناء
وأنتكم أخذت الدمعة فيحدث الناس أنك خير مني ويفتخرون بك على ولدي (قال) هابيل
وما ذني (أنما يقبل الله من المتقين) فان قيل كيف كان قول هابيل أنما يقبل الله من المتقين
جوابا لقوله لا قتل لك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله
على توعده بالقتل قال له أنما أوتيت من قبل نفسك لأنسا لهما من لباس التقوى لأن قبلى
فلم تقتلى وما لك لاتعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول
فأجاب به بكلام حلیم مختصر جامع لمعان وفيه إشارة إلى أن الحسد ينبغي أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهتد في تحصيل ما صار به المحسود ومحظوظا لافي إراة لحظ المحسود فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقبل له ما يبيحك وقد كنت وكنت فقال اني أسمع الله يقول أنما يقبل الله من
المتقين (لئن) لام قسم (بسطت) أي مددت (التي يد لك قتلني ما) أي باسط يدي اليك لا قتل لك اني
أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإيم الله ان كان المقتول لأشد
الرجلين ولكن منعه التخرج أن ييسط إلى أخيه يده خوفا من الله عز وجل لان الدفع لم يبع بعد
أو تخرج بالمأهول الا فضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
وأنما قال ما أنا باسط في جواب التبريت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتبرز من أن
يوصف به وبطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء من يدي
والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقاء صفة الطاء في بسطت وادغام الطاء في التاء
لان مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبعة والتاء منفتحة والطاء
مستعيلة والتاء مستهلة والطاء مجهورة والتاء مهموسة ويقال في ذلك ادغام الحرف وابقاء
الصفة (انني أريد أن تبوء) أي ترجع (بأني) أي بأنم قتلني (وأنك) الذي ارتكبه من قبل
(فتكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء أنك اذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء بأني وأنك واردة القتل والعصية لا تجوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة ارادة
لكنه لما علم انه يقتله لاجل الهوى ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للشواب فكأنه صار مریدا
لقوله مجازا وان لم يكن مریدا حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أي الراسخين في وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لي بأحساني في إيتاؤي حياتك على حياتي وذلك جزاء المحسنين
(فطوقت) قال قتادة فزيت (له نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير يمتثل له ابليس وأخذ له
طائرا ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقابل نظر ابليس فعله القتل فوضع قابيل

رأس هابيل بين حجرين وقتله وهو مستسلم وقيل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي نصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدروا يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشر سنه فحمله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنه حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرمى فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بقباه ووجله حتى مكنته ثم القاه في الحفرة وواراه وقابل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) أي الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز (كيف يوارى) أي يستر (سوءه)
 أي جيعته (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قابيل ذلك (قال يا ويلتي) كلمة
 جزع وتحسروا لان فيه يدل بيا المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أو اناك والويل
 والويله الهلكه (أهجرت) أي مع ما جعل الله من القوة الساطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع ما لي من الجوارح الصالحة لاعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاواري سوءة أختي) أي
 لا هتدي الى ما هتدي اليه وقوله تعالى فأواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو هجرت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من التاديب) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشئ قال المطلب بن عبيد الله بن حنطب لما قتل ابن
 آدم أخاه رجعت الارض بما فيها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتله وكان آدم عليه السلام بمكة
 اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وجفت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض وشربت الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكبلا فقال بل قتلته
 ولذلك اسود جسدي قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض من يومئذ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نائما فراه ابنه حام عريانا فلم يستره فاسود في الوقت فالسودان من ولده ورآه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه صكت بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه لما اتى
 من مكة الى الهند وثابه شعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الملاح

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انه قال ان آدم قال شعر ا فقد كذب ان محمدا
 والانبيا عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء وروى انه وثابه فلم يل ينقل
 حتى وصل الى يعرب ابن خطان وكان يقول الشعر فنظر الى المرتبة فاذا هي صبيح فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فردا المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه أيات منها

أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حيا في مستريح

ومالي لأجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

فالمضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيئا
وتفسيره هبة الله أى انه خلف الله من هابيل عليه الله ساعات الليل والنهار وأعلمه الله عبادة
الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قاييل فقبيل
له اذهب طريقا شريدا فزاعمر عوبالا يأمن من يراه فأخذ يداخته اقلها وهرب بها الى عدن
من أرض اليمن فأتاه ابليس لعنه الله تعالى وقال له انما كنت النار قربان أخيك لانه كان يعبد
النار فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار قال مجاهد
واتخذ أولاد قاييل آلات الهومن البراع والطبول والمزامير والعبدان والطاير
وانهم مكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والقوا - ش حتى أغرقهم الله تعالى بالطوفان
أيام نوح عليه السلام وبقي نسل شيت عليه السلام قال المتاعى في تفسيره والله أعلم بما روى
من ذلك ولا يعمد على مثل هذه الاحاديث وقد أحسن الطبري بقوله أخبر الله تعالى
بقتله ولاخير يقطع العذر بصفة قتله على ما ذكرنا منه في مثله ولا فائدة في طلب الصحيح منه في الدين
اه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلم الا كان على ابن آدم الأول ~~كف~~ كل
من دمها لانه أول من سن القتل (من أجل ذلك) أى الذى فعله قاييل (كنبتا) أى قضينا
(على بن اسرائيل) في التوراة لانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل ولذلك كانوا يقتلون
الأنبياء (انه) أى الشأن (من قتل نفسا) أى من بنى آدم (بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب
الاقصاص (أو) قتلها بغير (فساد) أنام (في الارض) كالشرك والزنا بعد الاحصان وقطع
الطريق وكل ما يبيع اراقه الدم (فكأنما قتل الناس جميعا) أى من حيث هتك حرمة الدماء وسن
القتل وحرارة الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استحلال غضب الله
والعذاب العظيم (ومن أحيأها) أى بسبب من الاسباب كانه أذ من هلكة أو غرق أو دفع من
يزيد أن يقتلها ظلم (فكأنما أحيأ الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث عدم اتهام حرمتها
وصونها قال سليمان بن علي قتل الحسن بأباس عيدا هي لنا أى هذه الآية كما كانت لبني
اسرائيل قال اى الذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دماءنا اه وما
يحسن ابراده هنا ما ينسب لامير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقبل الله الشافعي رحمه
الله تعالى الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوههم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب * يغافرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل أمرى ما كان يحسنه * وللرجال على الافعال أسماء
وضد كل امرى ما كان يجهله * والجاهلون لاهل العلم أعداء
فمن يعلم تعش حيا به أبدا * فالتاس موتى وأهل العلم أحياء
(ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلة بالبينات) أى المعجزات وقرأ أبو عمر وبسكون السين

والباقون بضعة) ثم ان كثير منهم بعد ذلك) أي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيد الأمر وتجديد العهد (في الأرض لمسرفون) أي مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها * وزل في العرين لما قدموا المدينة وهم مرضى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وابعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبو الهاف لما جهوا قتلوا الراعي واستاقوا الأبل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي يحاربون أولياءه ما هم المسلمون جعل محاربتهم محاربة ما تعظما (ويسعون في الأرض فسادا) أي يقطع الطريق (أن يقتلوا) أي أن قتلوا (أو يصلبوا) أي مع ذلك أن قتلوا وأخذوا المال أي والصلب ثلاثا بعد القتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ان اقتصر وأعلى أخذ المال (أو ينقوا من الأرض) أي أن أربعوا ولم يأخذوا شيئا أي ينقوا من بلاد إلى بلد أن رأى الامام ذلك وان رأى حبسهم فله ذلك ولوفى بلدهم هكذا فسر الآية ابن عباس رضي الله عنهما فحمل كلمة أوعلى التنويع لا التحريم كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أو نصارى أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى اذ لم يخبر أحد منهم بين اليهودية والنصرانية (ذلك) أي الجزاء العظيم (لهم خزي) أي ذل واهانة (في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار واحتج أكدر أهل العلم على أن هذه الآية نزلت في قطاع الطريق بقوله تعالى (الا الذين تابوا) أي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى (من قبل أن تقدر واعلمهم) أي فان حقوقه تعالى نسط عنهم كالقطع والصلب وتعمت القتل وبيع القصاص والمال لانه حق آدمي لا يسقط بالتوبة (فاعلموا أن الله غفور) لهم ما أود (رحيم) بهم ولو كانت نزلت في الكفار لكانت توبتهم بالاسلام وهورافع للعقوبة قبل القدرة وبعد هذا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا عقابه بأنطيعوه (وابتغوا إليه الوسيلة) أي اطلبوا ما توسلون به الى ثوابه والرفق منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا اذا تقرب اليه قال السيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذي لب الى الله واصل

وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه لتكون كلمة الله هي العليا (عليكم تفطنون) بالوصول الى الله عز وجل والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم ما في الأرض) من صنوف الاموال وأكده بقوله (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) أي ليحصلوا ثديته لانفسهم (من عذاب يوم القيامة ما تشب لهم) أي لأن المدفوع اليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق (ولهم) بعد ذلك (عذاب أليم) أي مؤلم (يريدون أن يخرجوا) أي أن يكون لهم الخروج في وقت ما اذا رفعهم الله الى أن يكاد أن يلقهم خارجا (من النار) ثم نفي خروجهم على وجه التأكيد فقال (وما هم بخارجين منها) أي ما ينبت لهم خروج اصلا (ولهم) خاصة دون عصاة المؤمنين (عذاب مقيم) أي دائم نارة بالبرد ونارة بالحز ونارة بغيرهما (فان قبل)

قال تعالى لا يدعون فيها ابدا فهو بنا في ما ذكر (أجيب) بأن المراد بالبر في الآية النوم فلا
منافاة وأل في قوله تعالى (والسارق والسارقة) موصولة مبتدأ أي والذي سرق والتي سرت
ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أي بين كل واحد منهما من
الكوع كما بينته السنة كما ثبت أنه لا بد أن يكون المسروق ربع دينار فصاعدا من حوزته من
غير شبهة له فيه وأنه إذا عا د قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم
بعد ذلك يعززه ثم علل تعالى ذلك بقوله (جزاء بما كسبا) أي فعلا من ذلك ثم علل تعالى هذا الجزاء
بقوله (نكالا) أي عقوبة لهما (من الله) وأعاد الاسم الأعظم تعظيما للامر فقال (والله عزيز)
أي غالب على أمره (حكيم) أي بالغ الحكمة والحكمة في خلقه (فن تاب) أي من السراق
(من بعد ظله) أي سرقته (وأصلح) أمره بالتخلص من التبعات والعزم على أن لا يعود إليها
(فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته نقض لأمته تعالى (إن الله غفور رحيم) فلا يعذبه في
الآخرة وأما القطع فلا يسلط عنه بالتوبة عند الكثيرين وإذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند أصحاب العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه
وبالانفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله عز وجل والغرم
حق العبد ولا يمنع أحدهما الآخر وقوله تعالى (ألم تعلم) الاستهزاء للتعقير والخطاب مع النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطابا لكل أحد من الناس (أن
الله له ملك السموات والأرض) أي أن الملك خالص له عن جميع الشوائب (يعذب من يشاء)
يعذبه (ويعفو لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شيء قدير) أي ومنه التعذيب والمغفرة فليس
هو كغيره من الملوكة الذين قد يجزأ عنهم عن تقرب ابنه وتبعية أعداء عدوه (يا أيها الرسول)
أي المبلغ لما أرسل به وقوله تعالى (لا يحزنك) قرأنا نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح
الياء وضم الزاي (الذين يسارعون في الكفر) أي يتعجلون فيه بسرعة بأن يظهره وإذا وجدوا
منه فرصة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا) البيان وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)
متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على
من الذين قالوا وقوله تعالى (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون والضمير
في سماعون للفرقة أول الذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن
اليهود قوم سماعون للكذب الذي أفتره أحمارهم سماع قبول (سماعون) منك (لقوم)
أي لأجل قوم (آخرين) من اليهود (لم يأتوك) أي لم يحضروا مجلسك وتجاوفا عنك تكبرا
وافراطا في البغضاء (يحترقون الكلم) أي الذي في التوراة كآية الرجم (من بعد ما وضعه)
أي التي وضعها الله عليها أي يبدلونه (يقولون) أي الذين يحترقونه لمن رسالهم للنبي صلى الله عليه
وسلم (إن أوتيتهم هذا) أي المحرف أي أفتناكم به محمد صلى الله عليه وسلم (فخذوه) أي فاقتبلوه منه
واعلموا أنه الحق واعملوا به (وإن لم تؤمنوه) أي بأن أفتناكم بخلافه (فاخذروا) أن تقبلوه منه فإنه
الباطل والضلال (روى أن شريفا في خيبر زنا بشر بيفة وكانا محصنين وحدثهما الرجم في التوراة

فكر هو ارجهم ما شرفهم ما قالوا ان هذا الرجل الذي يثرب ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوه ماعدهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمرهم بالجحد والتحميم أى تسويد الوجه من الحجة بالضم والتشديد وهى السواد فأقبلوا وان أمرهم بالرجم فلا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانى والزانية اذا أحصنا ما حدتهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى فقالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم هل تعرفون شابا أمردا يرضع أعور يسكن فذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال هو أى رجل فيكم فقالوا هو أعلم به ودى بقى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى بن عمران فى التوراة قال فأرسلوا اليه فقهوا فأتاهم فقال له التى صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال تجعلونى بينى وبينكم قالوا نعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفعه فوقكم الطور وأنجاكم وأعز آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلله وحرأمه هل تجدون فيه الرجم على من أحسن قال نعم فوثب عليه سذله اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله النبى الاتى العربى الذى بشر به المرسلون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرايين فربما عند باب مسجده وقال اللهم انى أتول من أحيا أمرك اذا ما أتوه فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول الآية وروى أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نقتضهم ويجلدون قال عبد الله ابن سلام كذبتم أن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة ففسروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما بعده ها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يقبض يده عن المرأة المحجرة (فائدة) كانت آية الرجم فى القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها وروى البيهقى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أنه قال فى خطبته ان الله بعث محمدا وأنزل عليه كتابا وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتسولواها ووعبأها الشيخ والشيخة اذا زيا فارجوهما البتة تكالامن الله والله عز ربكم وسيأتى الكلام فى سورة الاحزاب أن هذه الآية كانت فيها (ومر يرد الله فنتنه) أى اضلاله أو فضيحه (فمن تلك) أى ان نستطيع (له من الله شيئا) فى دفعها واذ لم تلك أنت وأنت أقرب الخلق الى الله تعالى فمن تلك (وأولئك) أى البعدا من الهدى (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أى من الكفرة ولو أراد له كان وهذا كما ترى نص على فساد قول المعتزلة بأنه أراد ذلك (لهم فى الدنيا خزي) أى ذل بالفضيحة والخزبة والخوف من المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين

حيث وصف بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايان فان أوصاف الاشراف
 أشرف الاوصاف وقوله تعالى (لَّذِينَ هَادُوا) متعلق بأنزل أو يصفكم أي يحكمون بها في تحاكمهم
 وهو يدل على أن النبيين أنبياء وهم وقوله تعالى (وَالرَّابِّيُونَ) أي الزهاد الذين انسلطوا من الدنيا
 وبالقوافيما يوجب النسبة الى الرب (والاحبار) أي العلماء السالكون طريقة أنبيائهم عطف على
 النبيون (عما) أي بسبب الذي (استحفظوا) أي استودعوه (من كتاب الله) أي استحفظهم الله
 تعالى اياه بأن يحفظوه من التضييع والتخريف أو بأن يحفظ فلا ينسى وقد أخذ الله على العلماء
 حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معا أحدهما ان يحفظ في صدورهم ويدرسوه بالنسبته والثاني
 أن لا يضيعوا أحكامه ولا يملوا شرائعه والراجع الى ما محذوف ومن النبيين والضمير في
 استحفظوا والانبياء والربابين والاحبار جميعا وكذلك الضمير في قوله تعالى (وكانوا عليه شهداء)
 أي رقباء حاضرين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته أصلا وقوله تعالى (فلا تخشوا الناس
 واخشوني) نهي للحكام أن يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم خوفا من سلطان ظالم أو خيفة
 أذية أحد من الاقرباء والاصدقاء وقرأ أبو عمر وبائيات الباء في الوصل دون الوقف والباقيون
 يجذفها وصلوا وقفوا (ولا تشبهوا) أي تستبدلوا (بآبائي) أي بأحكامي التي أنزلتها (تخاف قليلا) أي
 من الرشا وغيرها لتكنوا أو تدلوا كما فعل أهل الكتاب وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك
 هم الكافرون) قال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحده فقد كفر ومن أقربه ولم يحكم
 به فهو ظالم فاسق فعمل الآيات على هذا وهو ظاهر وقال الفضل وقتاده نزلت هذه الآيات
 الثلاث في اليهود ودون من أساء من هذه الامة (وقيل) أولئك هم الكافرون في المسلمين لاتصالها
 بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى (وكتبنا) أي فرضنا (عليهم) أي اليهود
 (فيها) أي التوراة (أن النفس) تقتل (بالنفس) اذا قتلتم (والعين) تقفل (بالعين) أي يعين من فقهاها
 (والأنف) تجدد (بالأنف) أي بأنف من جدد (والاذن) تقطع (بالاذن) أي باذن من قطعها
 (واللسن) تقلع (باللسن) أي بسن من قلعها (والجروح قصاص) أي يقتص فيها اذا أمكن كاليد
 والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم
 فهو مفروض في شرعنا وقرأ الكسائي هذه الالفاظ الخمسة وهي العين بالعين الى آخرها بالرفع على
 انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
 والعين بالعين فان الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول أو مستأنفة ووافق الكسائي ابن
 كثير وأبو عمرو وابن عامر في الجروح فقط والباقيون بالنصب في الجميع وسكن نافع الدال من الاذن
 وقرأ الباقيون برفعها (فمن تصدق به) أي القصاص بأن مكن من نفسه (فهو) أي التصديق
 بالقصاص (كفارة له) أي لما أتاه فلا يعاقب ثانيا في الآخرة وقيل فمن تصدق به من أصحاب
 الحق فالتصدق به كغارة للمصدق يكفر الله تعالى به من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر
 طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ما تهم بدمه عنه دنوبه بقدر ما تصدق به وقيل
 فهو كفارة للحياتي اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) أي

في القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون) أي الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا كمن يعيش
 في الظلام فإن كان تدنيا بالترك كان نهاية للظلم وهو الكفر والالكان عصيانا لآلة الله تعالى أحق
 أن يخشى ويرجى (وقفينا) أي أتبعنا (على آثارهم) أي النبيين الذين يحكمون بالتوراة
 (يعيسى بن مريم) صلى الله عليه وسلم ونسبه تعالى إلى أمه إشارة إلى أنه لا والد له فكذبوا
 لليهود وإلى أنه عبد مروب تكذبا للنصارى (مصدق لما بين يديه) أي قبله مما أتى به موسى
 عليه السلام (من التوراة) وأشار تعالى بقوله (وآتيناه الانجيل) أي أنزلناه عليه كما أنزلنا
 التوراة على موسى عليهما الصلاة والسلام إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها (فيه هدى)
 من الصلاة (ونور) أي بيان للأحكام وقوله تعالى (ومصدقاً) أي الانجيل حال (لما بين يديه)
 أي قبله * ولما كان الذي نزل قبله كثيراً من المراتب قوله (من التوراة) أي لما فيها من الأحكام
 فالاول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثاني صفة لكاتبه أي فهو التوراة والانجيل
 يتصادقون فكل من الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهم الميثاق الفوقي شيء بل هو متفق
 بجميع ما أتى به (وهدى وموعظة للمتقين) أي كل ما فيه يهدون به ويتعظون فترقى قلوبهم
 ويعتبرون به (وليحكم أهل الانجيل) رهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام (بما أنزل الله فيه) أي
 من الأحكام وقرأ جزء بكسر اللام ونصب الميم عطف على معمول آتيناه والباقيون بكسر
 اللام وسكون الميم على الأمر أي فليمنه أهل التوراة عما نسخ منها وليحكم أهل الانجيل الخ
 (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي المختصون بكمال الفسق فإن كان تدنيا كان
 كفراً وإن كان لا تباع الشهوات كان مجرماً معصية لأن الحظوظ والشهوات تحمل على الخروج
 من دائرة الشرع مرتبة بعد أخرى (وأنزلنا اليك) يا محمد خاصة (الكتاب) أي الكامل في جمعه
 لكل ما يطلب منه وهو القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدقاً لما بين يديه) أي
 قبله * ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد عبر تعالى بالمفرد قال (من
 الكتاب) أي الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء من قبل فاللام الأولى في الكتاب للعهد لانه
 عني به القرآن والثانية للجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر
 الكتب أي يحفظها من التغير والتبديل ويشهد لها بالصحة والثبات (فاحكم بينهم) أي بين
 جميع أهل الكتاب إذا تراءفوا اليك (بما أنزل الله) اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم
 المهيمن عليها في إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك (ولا تبسغ
 أرواءهم) فيما خالفه عادلاً (هما جاءك من الحق) بالاضراف عنه إلى ما يشتهونه (لكل جعلنا
 منكم) أيها الأمم (شريعة) أي ديناً موصلاً إلى الحياة الأبدية والشريعة هي الطريقة إلى
 المماثلة بها الدين لانتهاء وصلته إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية (ومنهاج) أي طريقاً واضحاً
 في الدين ناصحاً لما قبله وقد جعلنا شريعتك ناصحة لجميع الشرائع وأمثلة لما قبله على أناسنا
 متعبدين بالشرائع المتقدمة وأن كل رسول غير متعبد بشرع من قبله وهو محمول على الفروع
 وما دل على الاجتماع كآية شرع لكم من الدين محمول على الأصول (ولو شاء الله لجعلكم أمة)

أى جماعة (واحدة) أى متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة (ليلوكم) أى ليصيركم (فما آتاكم) من الشرائع المختلفة ليرزى الوجود المطيع منكم والعاصى (فاتبقوا الخيرات) أى اتدروها اتهازوا للفرصة بغاية الجهد فقل من يسابق شخصاً يخشى العار بسببه وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعاً) أى بالبعث استئناف فيه تعليل للأمر بالاستباق ووعده للمبادرين ووعده للمعصرين (فيلبثكم) أى يحجزكم (بما كنتم فيه تختلفون) أى من أمر الدين ويميز كلامكم بتمله وقوله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والاحكم أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبأن احكم وقرأ أبو عمرو وعاصم وحذرة بكسر نون وأن احكمم والباقون بضمها (ولا تنسج أهواءهم واحذرهم ان) أى ان لا يفتنوك أى يضلوك ويصرفوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) روى أن احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعنا نفنسه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وأما ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن نبني وبين قومنا خمسة فتحاكم فتفضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فأن تولوا) أى عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيهم) أى بالعقوبة فى الدنيا (ببعض ذنوبهم) أى التى أتوها ومنه التولى وبجوارهم على جميعها فى الآخرة (وان كثير من الناس) أى هم وفريقهم (لفاسقون) أى خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أخحكم الجاهلية) أى خاصة مع ان احكامها الارضى بها عاقل لكونهم لم يدع اليها كتاب بل هى مجرد أهواءهم أهل الكتاب (يغفون) أى يريدون بإعراضهم عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد كتابك المجتزئ عن معارضته من وجوب رسالتك الى جميع الخلائق وهذا استفهام انكارى وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من الغيبة الى الخطاب وهو أدل على الغضب والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت فى بني قريظة والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به الجاهلية من النفاصل بين القتلى أى بين ديات بعضهم على بعض (ومن) أى لأحد (أحسن من الله حكماً لقوم) أى عند قوم (يوقنون) به خصوصاً بالذكر لانهم الذين يتدبرون الامور ويتخيّلون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لأحسن حكماً من الله جل وعلا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أى توالوهم وتوادوهم وتعاشرهم وتعاشره الاحباب وقوله تعالى (بعضهم أولياء بعض) فيه ايماء الى علة النهى أى فانهم متفقون على خلافكم توالى بعضهم بعضاً لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضاررتكم (ومن يوالهم منكم) أى ومن والا هم منكم (فانه منهم) أى من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجازاتهم ولأن الموالين كانوا منافقين (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم عموماً الكفار ومن لم يرد الله هدايته لم يقدر أحد أن يهديه (تبيينه) * اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول المتافق وذلك انهم اختصما فقال عبادة ان لى أولياء من

اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من موالاتهم ولا مولى الى الا
الله ورسوله فقال عبد الله لكنى لا أبرأ من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بدلى منهم فأنزل الله
تعالى هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتحذروا
أن تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى أخذ منه أمانا نانى أخاف
أن تدال عليه اليهود وقال الآخر أمانا أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وأخذ منه أمانا
فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عكرمة نزلت فى أبى لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم الى بنى قريظة حين حاصروهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل
اصبعه على حلقه يعنى أنه الذبيح أى يقتلكم فنزلت (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف
اعتقاد كعبد الله بن أبى (يسارعون فيهم) أى فى موالاتهم (يقولون) معتذرين عنها (نخشى)
أى نخشى أن نخاف بالغا (أن نصيبنا دائرة) أى مصيبة تعبط بنا ويدور بها الدهر علينا من جدب
أو غلبة ولا يثبت أمر محمد فلا غيرونا (فعمى الله أن يأتى بالفتح) أى باظهار الدين على الاعداء
(أو أمر من عنده) أى بهتك ستر المنافقين واقتضاهم (فيمضوا) أى هؤلاء المنافقون (على
ما أمرنا فى أنفسهم) أى على ما استبطنوه من الكفر والشك فى أمر الرسول فضلا عما أظهره
عما أشعر به نفاقهم (فادمين) أى ثابت لهم غاية الندم فى الصباح وغيره وقوله تعالى (ويقول
الذين آمنوا) قراءا معاصم وحزمة والكسافى بالرفع على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مر فوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول لماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرأ
بالنصب ابو عمرو وعطفا على يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عمى الله أن يأتى بالفتح ويقول الذين
آمنوا (أهلؤا الذين أقسموا بالله جهدا بما بهم) أى غاية اجتهادهم فيها (أنهم لعلمكم) فى الدين
أى بقوله المؤمنون بعضهم لبعض نجبنا من حال المنافقين وتجبنا بيمان الله تعالى عليهم من
الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله
وان قولنا لننصرنكم (حبطت) أى بطلت (أعمالهم) أى الصالحة (فأصحبوا) أى فصاروا
(خاسرين) الدنيا بالقضيمة والاخرة بالعقاب (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بالايان
(من يرتد) أى يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر وهذا من الكائنات التى أخبر الله تعالى
عنها فى القرآن قبل وقوعها وكان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاثة فى عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاولى بنو مدج وكان رئيسهم ذوالخار بالخاء المهمله قال التفتازانى كان له جار
يقول له قف فمقف وسرفيسير وكانت النساء أى نساء أصحابه يتعطرون بروث حماره وقيل
يعقدون رونق بخرهن فسمى ذوالخار أيضا بالخاء المعجمة وذو رهناء فمقبلة بالواو وعلى الحكاية
وهو العنقى بفتح العين وسكو النون منسوب الى عنس وهو يزيد بن مذحج بن ادد بن كعب العنقى
ويلقب بالاسود كان كاهنا تابعا باليمن واستولى على بلادها وأخرج عمال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه والى
سادات اليمن وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم والنهوض الى حرب الاسود فقتله

فيروز الدبلي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنهما وأقي الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 السماء الليلة التي قتل فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الأسود البارحة قتل رجل
 مبارك قبل ومن هو قال فيروز فسر المسلمون ببشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود
 وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من العدو وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع
 الأول وكان ذلك أول فتح جاء إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه والفرقة الثانية بنو حنيفة
 باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب وكان تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة
 عشر وزعم أنه اشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصيبها إلى ونصها لك
 وبنيته اليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل
 لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله ورسوله
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفى فبعث أبو بكر
 رضي الله عنه خالد بن الوليد في جيش كبير حتى أهلكه الله تعالى على يد وحشي غلام مطعم بن عدي
 الذي قتل حزة بن عبد المطلب ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي
 يقول قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي واسلامي الفرقة
 الثالثة بنو أسد ورئيسهم طلحة بن خويلد وكان طلحة أحد من ارتدوا دعى النبوة في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة
 فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه اليه فهزمهم خالد بن الوليد رضي الله
 عنه بعد قتال شديد وأفلت طلحة فخر على وجهه هارباً نحو الشام ثم أنه أسلم بعد ذلك وحسن
 إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه الأولى فرقة قوم عيينة بن حصن والثانية
 غطفان قوم قز بن سلمة والثالثة بنو سليم قوم النخاعة بن عبد البائل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن
 نويرة والخامسة بعض عجم قوم سجاح بنت المنذر المستنفة التي زوحت نفسها المسيلة الكذاب وفيها
 يقول أبو العلاء المعري أنت سجاج ووالها مسيلة * كذابة في الدنيا وكذاب
 والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد
 وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى
 عنه وهي غسان قوم جبل بن الأيهم تنصروا إلى الشام واليهود رآه مات على رذته وذكر
 طائفة أنه عاد إلى الإسلام وقرأ نافع وابن عامر يرتد دبالين الأولى مكسورة مخففة والثانية
 ساكنة والباقيون بدال مفتوحة مشددة واختلف في القوم في قوله تعالى (فسيقولون) (فسيقولون)
 الله يقوم بهم ويحبونه) قال قتادة بن عثم الأزد لما نزلت الآية قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكانوا من البين وعن أبي
 هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال
 الكلبي هم أحبا من البين ألفان من النعم وخمسة آلاف من كندة ويحيية وثلاثة آلاف من

أفناء أى لم يعلم عنهم قاله الجوهري فجاءه وافي سبيل الله يوم القادسية وقيل هم الانصار
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان رضى الله عنه فقال هذا
وذروه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لثاله رجال من أبناء فارس والراجح الى من محذوف
تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك ومحبة الله تعالى لعباده
أن ينسبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم ومحبة العباد لهم
طاعته واستغفار مرضاته وأن لا يقع لواياهم حجب بخطه وعقابه (أدلة على المؤمنين) أى عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو تقيض
الصعوبة فقد خفي عنه لأن ذلولا لا يجمع على أدلة (فان قيل) هلا قال أدلة للمؤمنين (أجيب)
بأنه تضمن معنى الخنوع والعطف كأنه قال عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وأنهم
مع شرفهم وعلاوة بقيةهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجبتهم وألله مقابلة في قوله تعالى
(أعزة على الكافرين) أى شدد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقوله تعالى (يجاهدون
في سبيل الله) حال من الصبر في أعزة أو صفة أخرى لقوم وقوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم)
يحتمل أن تكون الواو للعال على أنهم يجاهدون وحالهم في الجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم
كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أو اياهم هم اليهود فلا يعملون شيئا
مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون
لومة لائم قط وان يكون للعطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجاهدون بين الجاهدة في سبيل الله
والتصلب في دينه واللومة المزة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم بالفتان (ذلك) اشارة الى
الاصناف المذكورة وقوله تعالى (فضل الله يؤتية من يشاء) أى ينحصره ويوفق له فيبذل الانسان
جهده في طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته (والله واسع) أى كثير الفضل (عليه) أى بمن
هو أهله ونزل لما قال ابن سلام رضى الله عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا وانما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا وانما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتبعية على أن الولاية لله على الاصل
ولرسوله وللمؤمنين على التبعية اذ التقدير انما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولوقيل انما
أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أى متخشعون في صلاتهم وركعاتهم
وقيل يصلون صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أى ومن يتخذهم أولياء
وقيل من يعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمير اظهارا لما شرفهم به ترغيبا لهم في ولايته ونشر يقال لهم بهذا الاسم
فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتقر يضاجع بوالى هؤلاء
بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ونزل في رفاعه بن زيد وسويد
ابن حارث اللذين أظهرهما الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم (يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) أى الذى شرفكم الله به (هزوا) أى مهزوا به (ولعبا)

ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود * واما
خاصص عم بقوله (والكفار) أي من عبدة الاوثان وغيرهم (أولياء) أي فان الفريقين اجتمعوا
على حسدكم وازدراءكم فلا تصح لكم موالاتهم وقرأ أبو عمرو والكسائي بخفض الراء والباقون
بالنصب عطفًا على الذين اتخذوا على أن المنهى عن موالاتهم ليس على الحق وأساسوا من كان
ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله)
أي بترك المناهي (ان كنتم مؤمنين) أي صادقين في ايمانكم فان الايمان حقا يقتضي ذلك
وقوله تعالى (واذا ناديتهم) معطوف على الذين قبله أي ولا تتخذوا الذين اذا ناديتهم أي
دعوتهم (الى الصلاة) بالاذان (اتخذوها) أي الصلاة (هزوا ولعبا) بأن يستهزؤا بها
ويتضاحكوا ويقولوا صاحوا كصياح العير وفي هذا دليل على أن الاذان مشروع للصلاة
المكتوبات روى الطبراني أن نصرانيا بالبادية كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا
رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة تبار وأهله نيام فقطار بشره
في البيت فأحرقه وأهله (ذلك) أي الاتخاذ (بأنهم) أي بسبب انهم (قوم لا يعقلون) أي فان
السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزوه والعقل يمنع منه ونزل المسأل نضر من اليهود النبي صلى
الله عليه وسلم عن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل النبا الآية فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى مانع لم أهل دين أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولادينا شر من دينكم
(قل يا أهل الكتاب هل تقمرون) أي تشكرون (منا) وتعيبون يقال تقم منه كذا أنكروه وانتقم
اذا كفاؤه (الآن آمنّا بالله وما أنزل النبا وما أنزل من قبل) أي الى الانبياء وقوله تعالى
(وان أكثركم فاسقون) عطف على ان آمنّا والمعنى ماتشكرون منا الايماننا ومخالفتكم
في عدم قبول الايمان المعبر عن عدم قبوله بالقسط الا لزم عن عدم القبول وليس هذا مما
يشكر (قل) لهم يا محمد (هل أثبتكم) أي أخبركم (بشر من ذلك) أي الذى تقمونه (مثوبه
عند الله) نصب مثوبه على التمييز أي ثوابا بمعنى جزاء (فان قيل) المثوبة مختصة بالاحسان كما
أن العقوبة مختصة بالشر (أجيب) بأن ذلك على سبيل التكميم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب
أليم وقوله تعالى (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على
حذف مضاف قبل لفظ ذلك أو قبل لفظ من لعنه وتقديره بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو
بشر من ذلك دين من لعنه الله لان الدين المشار اليه غيره مطابق لقوله من لعنه الله في معنى
يشترك فيه لفظ شرف يقدر أهل قبل ذلك أو دين قبل من ليطابق (فان قيل) هذا يقتضي
كون الموصوفين بذلك الدين محكوموا عليهم بالشر ومعالم انه ليس كذلك (أجيب) بأنه
انما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فانهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شرف قيل
لهم هب ان الامر كذلك لكن لعنه الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك والذين لعنهم الله
في هذه الآية هم اليهود أبعدهم الله من رحته وسخط عليهم بكفرهم وانما حكمهم في المعاصي بعد
وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم سم خماز يروهم كفارا أهل

مائدة عيسى وقيل كالأسمخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
 روى أنهم لما نزلت كان المسلمون يعبرون اليهود ويقولون يا أخوة القردة والخنازير فاستكسروا
 رؤسهم وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) عطف على صله من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وقرأ
 جزء بضم باء عبد وكسر تاء الطاغوت على انه اسم جمع لعبد عطف على من والباقون نصب
 الباء من عبد والتاء من الطاغوت والطاغوت الشيطان أو الجبل لانه معبود من دون الله
 ولأن عبادتهم للجلل مماز به لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
 وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما للطاغوت الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى
 * (تنبيه) * روى في منهم معنى من وفيما قبلها الفظها وهم اليهود (أو لئلا) أى الملعونون
 الممسوخون (شتر مكاناً) لأن ما وأهم الذار و جعلت الشمرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة
 ليست في قولك وألئك شر ومكاناً تميز (وأصل عن سواء السبيل) أى طريق الحق وأصل السواء
 الوسط (فان قيل) ذكر شر وأصل يقتضى مشاركة المؤمنين والكفار في الشر والضلال
 وإن الكفار أشرو وأصل مع أن المؤمنين لم يشاركوا الكفار في شئ من ذلك (أجيب) بأن
 مكان هؤلاء فى الآخرة شر وأصل من مكان المؤمنين فى الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال
 الحاصل لهم بالهموم الدنيوية كسماع الأذى وغيره وأن ذلك على سبيل التمثيل والتلصص
 على زعمه الزاماً للباحثة وهذا أولى * ونزل في يهود نافقوا النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا جاؤكم
 قالوا آمنا وقد) أى قالوا ذلك والحال أنهم قد (دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قد خروا)
 من عندكم متلبسين (به) أى الكفر كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما معوا به من تذ كبرك
 بآيات الله ومواظبتك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغيره فى جميع أحوالهم من
 أقوالهم وأفعالهم وفى هذا وعيد لهم (وترى كثير منهم) أى اليهود والمنافقين (يسارعون) أى
 يقعون سريعا (فى الآثم) أى الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الآثم (وأنعدوان) أى الظلم
 وقيل الآثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام كالرشا
 (لبئس ما كانوا يعملون) عملهم هذا (لولا) هلا (بنهاهم) أى يجتهد لهم النهى (الربانيون) أى
 المذهنون للتحلى من الدنيا إلى سبيل الرب (والأحبار) أى العلماء (عن قولهم الآثم) أى الكذب
 (وأكلهم السحت) أى الحرام هذا تخفيض لعلائهم على النهى عن ذلك فان لولا إذا دخل على
 الماضى أفاد التوبيخ وإذا دخل على المضارع المستقبل أفاد التحضيض (لبئس ما كانوا
 يصنعون) ترك نهيهم (فان قيل) لم عبر فى الأول يعملون وفى الثانى يصنعون (أجيب) بأن
 كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب ولذلك ذم بهذا
 خواصهم ولأن ترك الانتكار على المعصية أقم من واقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتقبل
 اليها ولا كذلك ترك الانتكار عليها فكان جديراً بالبلغ الذم فدخل فى الذم كل من كان قادراً على
 النهى عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما أشد آية ترات
 فى القرآن وعن الصحابة ما فى القرآن آية أخوف عندى منها (وقالت اليهود) مما ضيق عليهم

بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر الناس مالا وأخصهم ناحية (يد الله مغلوله) أى
 هو ممسك يقر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن الجذل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك
 مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولو أعطى
 الأقطع الى المنكب عطاء جزيل لقالوا ما أبسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
 وقعتا متعاقبتين للجذل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقولهم بسط اليأس كفيه
 في صدرى فجعلت اليأس الذى هو معنى من المعانى لامن الاعيان كفان (فان قيل) قد تقدم
 أن قوله يد الله مغلوله عبارة عن الجذل فما تفعل في قوله تعالى (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق
 ما تقدمه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالجذل والتكذيب ومن ثم كانوا أبجذل
 خلق الله تعالى وأنكدهم والمطابقة على هذا ظاهرة ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي
 حقيقة يغولون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم كما قال تعالى اذا اغللال
 في أعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون المطابقة حاصلة من حيث لفظ مغلوله وغلت من
 حيث ملاحظة أن الاصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله (ولعنوا) أى أبعدوا
 مطرودين عن الجنة الكريم (بما قالوا) فن لعنهم أنهم مسخووقردة وخنازير ثم رثه الله تعالى
 عليهم بقوله (بل يدها مبسوطتان) مشيرا بالتثنية الى غاية الجود وان غاية ما يذله السهي من ماله
 أن يعطى يديه جمعا (ينفق كيف يشاء) أى هو مختار في انفاقه يضيّق تارة ويوسع أخرى على
 حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقيل القائل هذه المقالة فخاص بن عازوراء فلما
 لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله تعالى فيها (وليزيدن كثيرا منهم) أى عن أراد
 الله فتنته ثم ذكر فاعل الزيادة فقال (ما أنزل البلك من ربك) من القرآن (طغيانا) أى غاديا
 في الجود (وكفرا) بآيات الله فيزدادون على كفرهم وطغيانهم طغيانا وكفرا عما يشعرون من
 القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (وألقينا بينهم العداوة
 والبغضاء الى يوم القيامة) فيكل فرقة منهم تخالف الأخرى فلا توافق قلوبهم ولا تتطابق
 أقوالهم (كلما أوقدوا نار العروب أطفأها الله) أى كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم
 لهم نصر من الله تعالى على أحد وقد أتاها السلام وهم في ملك الجحوس وقيل خالفوا حاكمهم
 التوراة فبعث الله عليهم مجتسما ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس بالفاء الروى ثم أفسدوا فسلط
 الله عليهم الجحوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بيلدة الا وجدت منهم من أذل الناس (ويسعون في الأرض
 فسادا) أى ويجهتدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم
 واثارة الحرب والفتن وهدمك المحارم (والله لا يحب المفسدين) أى فلا يجازيهم الا بشرا (ولو أن
 أهل الكتاب آمنوا) أى بعمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) أى الكفر (لكفروا عنهم
 سيئاتهم) أى التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولا دخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين وفي هذا
 اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رجة الله تعالى

وقصه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى
 وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكافي لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو أنتم أقاموا
 التوراة والانجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدثهما وما قبلهما من نعت محمد صلى الله عليه
 وسلم (وما أنزل اليهم) أي من الكتب المنزلة (من ربهم) لانهم مكلفون بالايمان بجميعها
 فكانتم أنزلت اليهم وقيل هو القرآن وقوله تعالى (لا كما ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم)
 عبارة عن التوسعة أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم من بركات السماء والارض
 وأن تكثر الاشجار المثمرة والزرع المغلة وأن يرزقهم الجنان البانعة الثمار فيجنيحونهم رأس
 الثمر والشجر ويلقطنون ما تناسط على الارض من تحت أرجلهم بين سبحانه وتعالى بذلك
 ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا يقبورا لفيض ولأنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به
 لوسع عليهم وجعل لهم خيرا دارين (منهم أمة) أي جماعة (مقصد) أي عادلة غير غالية
 ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى آمنوا بالنبي صلى الله
 عليه وسلم وقيل منسطة في عداوته (وكثير منهم ساء) أي بس (ما) أي شيا (يعملون) فيه معنى
 التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما سوا عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف وأصحابه والروم روى
 مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من حدثك أن محمدا كتم شيا مما أنزل الله فقد
 كذب وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما أنزل اليك من ربك) أي لا تكتم شيا منه خوفا ان
 تنال بكمروه (وان لم تفعل) أي وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فابلغت رسالته) أي لان كتمان
 بعضها ككتمان كلها أي ولان بعضها ليس بالاولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤذ بعضها فكأنك
 أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلمها وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنه ما ان كتبت آية لم تبلغ رسالتى واختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في عتب
 اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا ألسنا قبلك وجعلوا بيتم زون
 به ويقولون تريد أن نخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه
 وسلم ذلك نزلت هذه الآية وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يسسك
 أحيانا عن حنهم على الجهاد وقيل لما نزلت آية التحجير وهي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك
 فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت وقيل غير ذلك وقرأ نافع وابن عامر وشعبة
 بألف بعد اللام وكسر التاء والباقون بغير ألف ونصب التاء (والله يعصمك من الناس) أي
 يحفظك ويعينك منهم (فان قيل) أليس قد شيع وجهه وكسرت ربا عيته صلى الله عليه وسلم وأوذى
 بضرب من الأذى (أجيب) بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفي هذا تنبيه على
 أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلايا كما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام وقيل نزلت هذه الآية بعد ما شجر رأسه لآن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن
 وروى اسحق بن راهويه في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثنى الله برسالاته
 فضقت بها ذرعا فإوحى الله الى ان لم تبلغ رسالتى عذبك وضمن لي العصمة ففوتت وعن أنس

رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال
انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمتني الله من الناس قال البيضاوي وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما أنزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بازالته إطلاعهم عليه فان من
الأسرار الالهية ما يحرم افشاؤه اهـ قال بعض العارفين ولهذا قال تعالى بلغ ما أنزل اليك
ولم يقل ما تعزفناه اليك واعلم أن المراد من الناس ههنا الكفار بدليل قوله تعالى (إن الله لا يهدي
القوم الكافرين) أي لا يمكنهم معاريدون وروى انه عليه الصلاة والسلام نزل تحت شجرة في
بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأناه أعرابي وهو نائم وأخذ سيفه واختارطه وقال من يمنعك
مني يا محمد قال الله تعالى فرعدت يد الاعرابي وسقط من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتر
دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي دين يعتد به حتى يسمى شيئاً الفساده وبطلانه كما تقول
هـ هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتضعيف شأنه وفي أمثالهـم أقل من لاشئ (حتى تقموا التوراة
والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) أي بأن تعملوا بما فيها ومن أقامتها بالايان بحمد مصلى
الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية بأسرها أمره بالايان عين صدقته المعجزة
ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولها وما ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم
ما أنزل اليك من ربك) أي من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلأناس) أي تحزن
(على القوم الكافرين) ان لم يؤمنوا بك أي لآتهم بهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يخطأهم
وفي المؤمنين مندوحة عنهم لك (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود (والصابئون)
فرقة منهم (والنصارى) وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (فان قيل) برفع الصابئون
وكان حقهم والصابئين (أجيب) بأنه رفع على الاستدعاء وخبره محذوف والنية به التأخير عما
في خبر ان مع اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والافاعلوا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

والشاهد في أنتم فانه مبتدأ حذف خبره والتقدير والافاعلوا أنا وأنتم كذلك (فان قيل) ما فائدة
هذا التقديم والتأخير (أجيب) بأن الصابئين أشد العرب المذكورين في هذه الآية ضلالا
وما هو صابئين الا لأنهم صبوا عن الاديان كلها أي خرجوا فكا أنه قال هؤلاء الفرق الذين
آمنوا أو أتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم ان آمنوا كانوا أيضا كذلك
وقبل منصوب بالفتحة فكما جوز بالفتحة مع الباء في بنين وسنين جوزع الواو كما هنا وقوله تعالى
(من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل رفع بالاستدعاء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ) في الآخرة والغناء لتضمن الابتداع معنى الشرط والجملة خبر ان (فان قيل) كيف قيل
الذين آمنوا من آمن (أجيب) بأن المراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المناقون
أو ان المراد بعن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يتحلى به رية فيه (لقد أخذنا ميثاق
بنى اسرائيل) أي على الايمان بالله ورسوله (وأرسلنا اليهم رسلا) أي ولم نكتف بهذا العهد بل

أرسلنا رسلنا ليدكرهم وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تؤمنون أي بما
يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكليف (فريقا) أي من الرسل (كذبوا) أي كذبهم
بنو إسرائيل من غير قتل كعيسى (وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى وإسماعيل يقتلون موضع
قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضار تلك الحالة الشنيعة للتعجب منها وتبيينها على أن ذلك
ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحاطة على رؤس الأسماء (وحسبوا) أي ظن بنو إسرائيل (أن
لا تمكون) أي توجد (فتنة) أي لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا في الآخرة بل استخفوا بأمرها
فلا تعجب أنت من جراءتهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباءه وقرأ أبو عمر ووجهه والكسائي رفع
الذون تنزيل العساب منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون فتنة والباقيون
بالنصب على أن الحساب على باب (فعموا) أي عن الحق فلم يصروه وهذا العمى هو الذي لا عمى
في الحقيقة سواء وهو انطباع البصائر فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
(وصموا) عنه فلم يسمعهوا أي عوا وصموا بعد موسى ويوشع عليهم السلام والصمم أضمر من العمى
فصاروا كمن لا يهتدى إلى سبيل أصل لأنه لا يبصر له بعين ولا قلب ولا سمع (ثم تاب الله عليهم) يبعث
عيسى بن مريم فرفعوه إلى الحق (ثم عوا وصموا) كآخرة بالكفر بحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى (كثير منهم) يدل من الضمير (والله بصير عما يعملون) أي وإن دق فجأزيم به وفق أعمالهم
(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) وهم اليهودية منهم القائلون بالانحسار (وقال
المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله وبيروا بكم) أي أنى عبد مريم بوب مثلكم فاعبدوا خالق وخالقكم
(أنه من بشرنا بالله) أي بشرنا في العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) أي منعه من دخولها
منما احتقنا فانها دار الموحدين (وما أوهناكم) أي حمل سكاها فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين
من أنصار) أي ومالهم أحد ينصرهم من النار لا بداء ولا بشفاعته ولا بغيرهما فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلوا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يمتثل أن يكون من
كلام الله تعالى بنسبه على أنهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورد وأنتكره وإن كانوا عظمين له بذلك ورافعين من مقداره
وأن يكون من كلام عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد مني فيما تقولون ولا يساعداكم
عليه لاستحالته وبعده عن العقول أو لا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله (لقد كفر
الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية وفيه
اضمار معناه ثالث ثلاثة الآلهة لأنهم يقولون الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد
من هؤلاء فههم ثلاثة آلهة بين هذا قوله تعالى المسيح أنت قلت للناس اتخذوني وأى الهين
من دون الله ومن قال إن الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يردبه الآلهة لم يكفر فإن الله يقول
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بى بكر ما ظنك باثنين
الله ثالثهما ثم قال الله تعالى ردا عليهم (وما من إله إلا الله واحد) أي وما فى الموجودات واجب
مستحق للعبادة من حيث أنه مبدأ جميع الموجودات إلا الله واحد موصوف بالوحدانية ممال

عن الشرك ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينهوا) أى الكفرة بجميع أصنافهم (عما يقولون)
 أى من هاتين المقالتين وما داناها (لنيسن) أى مباشرة من غير حائل (الذين كفروا) أى داوموا
 على الكفر (منهم عذاب أليم) أى مؤلم لم ينقطع عنهم لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى
 (أفلا يتوبون) أى يرجعون بعده هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه ولا أبين من فساده
 (الى الله ويستغفرونه) أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من تلك العقائد والاقوال
 الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتزبه عن الاتحاد والخلول بعده هذا التقرير والتهديد (والله
 غفور) أى بالغ المغفرة يجمع الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (رحيم) أى بالغ الإكرام لمن أقبل
 عليه فيغفر لهم ويخفف عنهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستغفار تعجب من اصرارهم (ما المسيح
 ابن مريم الا رسول قد خلت) أى مضت (من قبله الرسل) أى ليس هو باله كالرسل الذين مضوا
 لم يكونوا آلهة وما من خارقة له الا وقد كان مثلها أو أعجب منها لمن كان قبله فان كان قد أحيا
 الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وان كان قد خلقه
 من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمه صديقه) أى بليفة الصدق في نفسها
 كسائر النساء اللاتي يلازم الصدق او يصدقن الانبياء كما قال تعالى في وصفها وصدقت
 بكلمات ربها وهذه الآيات من أدلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبيه فانه تعالى ذكر
 أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهيتها إشارة الى ما هو الحق في اعتقاد ما لها من
 اعلى الصفات فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه عليها السلام
 الصديقية * (فائدة) * مريم من أزواج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة * ولما بين سبحانه
 وتعالى أقصى ما لها من الكمال بين أن ذلك لا يوجب لها ما لاوهية بقوله (كانا يا كلان
 الطعام) لأن من احتاج الى الاعتدال بالطعام وما يتبعه من الهضم لم يكن الاجساما مركبا من
 عظم ولحم وعروق وأعصاب واخلط وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع ودلف مدبر كغيره من
 الاجسام فكيف يكون الها وخص الاكل بالذكر لانه أصل الحاجات والاله لا يكون محتاجا وقبل
 هذا كناية عن الحدوث لأن من أكل وشرب لابد له من البول والغائط ومن كانت هذه صفته كيف
 يكون الها * ثم لما أوضح الله تعالى لهم الادلة في أمرها حتى ظهر كالشمس بعدهما دعاها فها
 اتبعه التعجب بقوله (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدنا نينا (ثم انظر أنى) أى
 كيف (يؤفكون) أى يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (فان قيل) ما معنى التراخي في قوله
 تعالى ثم انظر (أجيب) بأن معناه التفاوت بين المجيبين أى أن بيان تلك الآيات عجب واعراضهم
 عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله) أى غيره يعنى عليه السلام (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)
 أى لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله تعالى به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال
 ولأن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة والخصب وكل ما يستطيعه الشر
 من المضار والمنافع فبقادر الله تعالى وعيونه وكأنه لا يملك شيئا وهذا دليل قاطع على ان أمر
 عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى أن يكون قادرا

على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته تعالى (فان قيل) اذا كان المراد السيد عيسى فلم عبر عما دون
من مع ان المراد من يعقل (أجيب) بأنه أُنِيَ بما نظر الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة
عنه رأساً وتنبها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فنجعل عن
الالوهية وان المراد كل ما عبد من دون الله تعالى سواء كان عن يعقل أم لا (ولله هو السميع)
لاقوالكم (العليم) بأحوالكم فيجازي عليها ان خير الخيرة وان شرافته والاستفهام للانكار
(قل يا أهل الكتاب) أي عامة (لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (ودينكم) وقوله تعالى (غير الحق)
صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلوى الدين غلوان حق وهو
أن يجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون وغلوا باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الأدلة فيرفقوا عيسى عليه السلام الى أن يتدواله الالهية أو يضعوه ويرتابوا فيه وقيل
الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) في غلوهم وهم أسلافهم الذين
قد ضلوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شريعته (وأضلوا كثيراً) أي من الناس
بقاديتهم في الباطل من التثليث وغيره حتى ظن حقاً (وضلوا) أي بعد مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم (عن سواء السبيل) أي طريق الحق وهو الاسلام والسواء في الاصل الوسط والا هواء
ههنا المذهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحق فالأهوى الذي هو موضع الشر
لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي الهوى لانه يهوى بصاحبه
الى النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواي فقال كل هواي ضلالة
(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) أي لعنهم الله في الزبور على لسان داود
وان أهل ايله لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا
قردهم وخنازير وقوله تعالى (وعيسى بن مريم) عطف على داود أي لعنهم الله في الانجيل على لسان
عيسى بن مريم وهم أصحاب المائدة لما يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
آية ففسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى قال بعض العلماء ان اليهود
كانوا يقضرون باناس من أولاد الانبياء فذكر الله تعالى هذه الآية ليدل على أنهم ملعونون على
أسنة الانبياء (ذلك) أي اللعن المذكور (بما) أي بسبب ما (عصوا وكانوا بعيدين) ثم فسر
المعصية والاعتداء بقوله تعالى (كانوا لا يتناهون) أي لا ينهي بعضهم بعضاً (عن منكر)
أي معاودة منكر (فعلوه) أو عن مثل منكر أو عن منكر ارادوا فعله وتبوءوا له وانما ذكر
لأن التناهي عن منكر قدم في محال (لبئس ما كانوا يفعلون) أي يفعلونه والخصوص بالذم
محذوف أي فعلهم هذا قال بعض المفسرين فياحسرنا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي
عن المنكر وقلة عيبتهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه
من المبانيات في هذا الباب (ترى كثيراً منهم) أي من أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) أي
يتوالون المشركين بغضار رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (لبئس ما قدمنا لهم أنفسهم)
من العمل لمعادهم (أن سخط الله عليهم) أي غضب عليهم (وفي العذاب هم خالدون) أي دائماً

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم) وما أنزل اليه (من عند الله تعالى أعم
من القرآن وغيره بما ناخا صامن غير نفاق) ما اتخذوهم (أي المشركين) أولياءه إذا لايمان يمنع
ذلك (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الايمان وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون
بالله وموسى كأيدهون ما اتخذوا المشركين أولياءه كالم يولاهم المسلمون (لتجدين) يا محمد (أشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم
وانهم ما كهم في اتباع الهوى وفي جعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين دلالة على
شدة عداوتهم لهم بل نية على تقدم قدمهم فيها على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان
بجمل الأهما بقتله (ولتجدن أقر بهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) انما
أسند تسميتهم نصاري اليهم دون تسمية اليهود لانهم الذين سمو أنفسهم نصاري حين قال لهم
عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله الاية ولأنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ناصرة وكلمهم
لم يكونوا أساكين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصاري ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود
يهودا فانها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد يهودا بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة
البحل بقولهم انا همدنا لئلا نأخذهم في دراستهم ثم علل سبحانه وعلل سهولة مأخذ
النصاري وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي
عبادا (وأنتهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة نزلات
في وفد النجاشي القادمين من الحبشة لافي كل النصاري لانهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود
في قتلهم المسلمين وأسراهم وتخريب ديارهم وهدم مساجدهم وحرق مصاحفهم قال أهل التفسير
انتمت قريش أن يقنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم
ويعدونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أباحوا به ولم يقدر على منعهم ولم
يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملأ كاصالحا لا يظلم ولا يظلم
عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله المسلمين فرجا وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو
بالعريية عطية وانما النجاشي اسم المالك كقولهم قمصر وكسرى نجرج اله سراً احدث عشر رجلا
وأربع نسوة من جملة عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا
الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في شهر رجب في السنة
الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن أبي
طالب بن عبد المطلب وتتابع المسلمون اليهما فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين
اثني وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك أرسلوا الى النجاشي بالهدايا
ليردهم اليهم ففهمهم الله تعالى وانصرفوا خائبين وأقام المسلمون هناك بحسن دار وخير
جوارا الى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا دينه في سنة ست من الهجرة ~~كتب~~

لا تمتنعوا أنفسكم بنذر أو عيب أو غير ذلك (طيبات) أى مسئلات (ما أحل الله لكم) كنع
 التحريم أى لا تقولوا حرمناها على أنفسنا ما بلغه منكم فى العزم على تركها تزهدها منكم
 ونقشها (ولا تعتدوا) حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم (إن الله لا يحب المعتدين) أى
 لا يفعل فعل الحب من الأكرام للمفترطين فى الورع بحيث يحرمون ما أحل الله ولا للمفترطين فيه
 الذين يخلون ما حرم أن يفعلوا فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول فالأية ناهية
 عن تحريم ما أحل ويحليل ما حرم داعية إلى القصد بينهما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصف يوم القيامة لأصحابه فبالغ وأشبع فى الكلام فى الأذى فرق الناس وبكوا واجتمع
 عشرة من الصحابة رضى الله عنهم فى بيت عثمان بن مظعون وهم أبو بكر الصديق وعلى بن
 أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة
 والمقداد بن الأسود وسلمان الفاريسى ومعلق بن مقرن وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى
 عنهم ونشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويحبوا ما كبرهم
 ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يشاموا على القراش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقرؤوا
 النساء والطيب ويسبحوا فى الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقت على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ما أردنا إلا الخير
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى لم أرى ذلك ثم قال ان لا تفسخ عليكم حقا فصوموا
 وأطروا وقوموا واناموا فأتى أقوم وأنام وأصوم وأطروا وكل اللحم والدم وأتى النساء فغن
 رغب عن سقى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام يحرمون النساء والطعام
 والطيب والنوم وشهوات الدنيا ما فى لست أمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس
 فى ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتي الصوم ورهبانية هم الجهاد
 اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمرأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان
 واسمعوا واستقم لكم فأما ههنا من كان قبلكم بالشد يد شدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 فأولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فأمر الله تعالى هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف
 نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأمر الله تعالى لا يؤخذكم الله
 باللغو فى أيمانكم الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والقارور
 وكان يحبه الخلاء والعسل وقال المؤمن حلوى يحب الخلاوة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى
 عنه أن رجلا قال له انى حرمت القراش ففلا هذه الآية وقال نعم على فراشك وكفر عن عينك
 وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السمجي وأصحابه فتعدوا على المائدة وعليها الألوان
 من الدجاج والقارور وغير ذلك فاعتزل فرقدنا حمية فسأل الحسن أهو صائم فقالوا لا ولكنه يكره
 هذه الألوان فقال لا فى رقد ترى لعاب الخيل بلباب البربخا الصمى يعيبه مسلم وعنه أنه قيل
 له فلان لا يأكل القارور يقول لا أؤدى شكره قال أفيشرب الماء البارد قال نعم قال أنه جاهل
 إن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى القارور وعنه أن الله تعالى أدب عباده

فأحسن أديهم قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا
 وأطاعوه ولا عزروا قوما ذاهبا عنهم فعصوه وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال أئذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من خصي ولا من
 اختصي ان خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله أئذن لي بالسباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد
 في سبيل الله قال يا رسول الله أئذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمتي الجاهلوس في المساجد لا تظن
 الصلاة وروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت فأخذتني شهوة فحزمت
 اللحم فانزل الله تعالى هذه الآية ولا تعارض بين الخبرين لأن الشيء الواحد قد يكون له أسباب
 جمة بعضها أقرب من بعض وروى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل نهيا شديدا وقال
 تزوجوا الولود والود وفاني مكاتبكم الامم يوم القيامة وكما واما رزقكم الله ولما كان
 الرزق يقع على الحرام قبله بعد القيد بالتبعين بقوله (حلالا طيبا) وهو مفعول كل او مما حال
 منه تقدمت عليه لانه نكرة وقوله تعالى (وانقوا الله) تأكد للتوصية بما أمر الله به
 وزاده تأكيدا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لأن الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما أمر
 به وعما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) هو ما يدوم من المربة لا قصد
 كقول الانسان لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل هو الحلق على
 ما ينظر أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم)
 أي وثقتكم (الأيمان) عليه بأن حلفتم عن قصد روى أن الحسن سئل عن الغواليين وكان عنده
 الفرزدق فقال يا أبا عبد الله عدي عني أحب عندك فقال

ولست بما خوذ بل غوت قوله * اذالم تعد عاقدا العزائم

والمعنى ولكن يؤاخذكم الله بما عقدتم اذ احنتم أو بكت ما عقدتم في ذنوب التقدير بأحد
 الامرين لا علم به وقرأ ورش يؤاخذكم بأبدال الهمة واوا مفتوحة وقرأ ابن ذكوان عاقدتم
 بألف بعد العين وتحفيف القاف والباقون يغير ألف مع تشديد القاف (فكفارتهم) أي اليقين
 اذ احنتم فيه التي تذهب انهم وتزيل أثر بحيث تصيرون كأنكم ما حلفتهم (اطعام عشرة
 مساكين) أي لكل مسكين مد عندنا ونصف صاع عند أبي حنيفة رحمه الله (من أوسط) أي
 أعدل (ما تطعمون أهل بيكم) من برأ وغيره لا من أعلاه ولا من أدناه (أو كسوتهم) بما يسمى كسوة
 كقميص وعمامة وازار وسراويل ومقنعة من صوف وقطن وكفان وحري رول ورجل وان لم
 يجز له لبسه لو قوع اسم الكسوة عليه رديا كان أوجيدا ويجزئ لبدا وفرة واعتبر في البلد لبسهما
 ولا يكفي دفع ما ذكر لمسكين واحد وعليه الشافعي ولا يكفي المكعب والنعل والخف والقلنسوة
 والتبائن وهو سراويل قصيرة لا يبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى كسوة (أو عرير رقية) أي
 مؤمنة كافي كفار في القتل والظهار رجلا للمطلق على المقدم وجوز أبو حنيفة عتق الكافرة
 في كل كفارة الا القتل وخرج بالتصيرين هذه الثلاثة أنه لا يجزئ أن يطعم خمسة ويكسو
 خمسة كما لا يجزئ اعتاق نصف رقبة واطعام خمسة (فمن لم يجد) أي بان عجز عن أحدهما ذكر

(فصيام ثلاثة أيام) أى فكفاره صيام ثلاثة أيام ولا يجب متابعتها (فان قيل) قرئ شاذاً متتابعات والمقراة الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق البغى بالقراءة الشاذة في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيامهما - ما ولا من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حل المطلق على المقيد من جنسه وهو الظهار والقتل (أجيب) بأن آية البغى نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكما فلا يستدل بها بخلاف آية السرقة فانها نسخت تلاوة لاحكاماً وبأن المطلق ههنا متردد بين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان فلم يكن أحد الأصلين في التتابع بأولى من الآخر وبسبب متابعتها وجابن خلاف أبي حنيفة فانه شرط متابعتها * (تنبيه) * المراد بالبحر أن لا يقدر على المال الذى يصرفه في الكفارة كن يجزئ كفايته وكفايته من قرضه مؤنته فقط ولا يجزئ ما يفصل عن ذلك وضابط ذلك أن من جازله أن يأخذ منهم الفقراء والمساكين من الزكاة والكفارات جازله أن يكفر بالصوم لانه فقير في الأخذ فكذا في الاعطاء (ذلك) أى المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلقتن) أى وحلتن (واحفظوا أيمانكم) أى من أن تنكثوا ما لم تكن من فعل برأوا إصلاح بين الناس كما تر في سورة البقرة (كذلك) أى مثل ما بين لكم ما ذكر (بين الله لكم آياته) أى أعلام شريعته (لعلكم تشكرون) أى يحصل منكم شكر يحفظ جميع الحدود والآمرة والنهي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الخمر) أى المسكر الذى خامر العقل سواء فيه كثيره وقليله (والميسر) أى القمار (والانصاب) أى الاضنام (والازلام) أى قدام الاستقسام (رجس) أى خيث مستقدر وانما وحد الخبر للنص على الخمر والاعلام بأن أخبار الثلاثة حذف وقدرت لائتم أهل لان يقال في كل واحدة منها على حدتها كذلك ولا يكتفى عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التفسير عنها تأكيدها الرجسيتها بقوله تعالى (من عمل الشيطان) الذى يزينه (فاجتنبوه) أى الرجس المعبر به عن هذه الاشياء أن تفعلوه (لعلكم تفلحون) أى تظفرون بجميع مطالبكم واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بأنما وقرنهما بالاضنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر خاص وأغالب وأمر بالاجتناب عن عيניהما وجعل الاجتناب سبيبا ربح منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيه من المفساد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم بقوله تعالى (اتقوا الله الشيطان) أى يزين الشر والقمار لكم (أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) أى اذا اتينوهما لما يحصل فيه من الشر والفتن أما العداوة في الخمر فان الشارب اذا سكر عر يد كما فعل الانصارى الذى شج رأس سعد بن أبي وقاص بلحى الجمل وأما العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبق حريته ماسلوب الأهل والمال من تناظرا على حرقائه (وبعدتم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك لان من اشتغل بشرب الخمر والقمار أهملها ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل بأصناف عبد الرحمن بن عوف فقدم رجل منهم يصلى بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد بحذف لا وانما

خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيه - ما من الوبال تنبيه على أنهما المقصودان بالبيان وذكر
 الانصاف والازلام للدلالة على أنهما مثلهم في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب
 الخمر كعابد الوثن ر واه الزارور واه ابن حبان بلفظ مدمم الخمر كعابد الوثن قال ويشبه أن
 يكون فيمن يستحلها وهو كذلك وخص الصلاة بالذكر للأفراد بالاعتظيم والاشعار بأن الصادق
 عنها كالصادق عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث
 على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف بقوله تعالى (فهل أنتم
 منتهون) أي أنا بأن الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعذار قد انقطعت فلنقله
 الاستفهام ومعناه أمر كقوله تعالى فهل أنتم شاكرون (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما
 أمراكم به من اجتناب ذلك (واحدروا) محالفتهم فيما بينهما كم عنه (فان توليتم) أى عن اطاعة
 (فاعلموا) أنما على رسولنا البلاغ المبين أى فلا يضركم توليكم فاعلموا عليه البلاغ البين وقد أدى
 وانما ضررتم أنفسكم * ولما نزل تحريم الخمر قال العصاة رضى الله عنهم يا رسول الله فكيف
 يا خواتنا الذين ما نواؤهم يشربون الخمر وياً كلون الميسر نزل (ليس على الذين آمنوا وعمالوا
 الصالحات) تصديقاً لايمانهم (جناح) أى حرج (فيما طعموا) أى من مال الميسر وشربوا من
 الخمر قبل التحريم (اذا ما آمنوا) أى المحترمات (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أى يتوابعوا على الايمان
 والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد الخمر (وآمنوا) بتوحيده (ثم اتقوا) أى استقروا
 وبتوابعوا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) أى وتحذروا الاعمال الجملية واشتغلوا بها وأن
 التمسك برباعتبار الاوقات الثلاثة الماضى والحال والمستقبل التى تقع فيها الافعال
 المذكورة وباعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
 وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولأجل استعمال الانسان التقوى بينه وبين الله
 ابدل الايمان بالاحسان فى السكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام فى نفسه
 الاحسان من قوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وباعتبار المراتب
 الثلاثة المبدأ والوسط والمنتهى وباعتبار ما يتقرب به فانه ينبغي أن يترك المحترمات توقفاً من العقاب
 والشبهات تحذراً للنفس عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات صوناً لها عن الخسة وتهذيباً لها
 عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) أى يشيهم * ونزل عام الحـ ديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
 الله بالصمد فكانت الوحوش تغشى رجالهم فهموا بأخذها (يا أيها الذين آمنوا السبل عليكم الله)
 أى ليحسبوا لكم (بشيء) يرسله لكم (من الصيد) وانما بعض لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفائدة
 الابتلاء اظهار المطيع من العاصي والا فلا حاجة به الى البلى (تأله أيديكم) أى ما لا يقدر أن
 يفتر من الصيد لصغر وغيره (ورماحكم) أى ما يقدر على القرار لكبر وغيره (ليعلم الله) أى علم
 ظهور فانه تعالى يعلم ما تنقح الصدور (من يخافه بالغيب) أى ليقرب من يخاف عقاب الله وهو
 غائب منتظر فى الآخرة فيجتنب الصيد والمعاصي أنه سبحانه وتعالى يخرج بالامتحان ما كان من
 أفعال العباد فى عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقاً شهودياً كما كان تعلقاً غيبياً

ليقوم بذلك على الفاعل الحجة في مجارى عاد انكم (فمن اعتدى) اى فاصطاد (بعد ذلك) اى الاستلاء بالصيد (قله عذاب اليم) اى ولم وان من لا يملك نفسه في مثل ذلك ولا راعى حكم الله فيه فكشف به فيما تكون فيه النفس أميل اليه وأحرص عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) اى محرمون بذلك اوفى الحرم والتهنى عما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا وأما غير المأكول فيحذر قتله فانه لا حظ للنفس في قتله الا الراحة من أذاه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والقارة والكلب وفى رواية أخرى الحبسة بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ وغنا ذكر القتل دون الذئب والذي كاذل تعميم فان مذبح المحرم مينة (ومن قتله منكم متعمدا) اى فاصد للصيد ذاكر الانحرام ان كان محروما والحرم ان كان فيه عالما بالتحريم وذكر العمد ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اطلاق العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية تزلت فين تعمد اذ روى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطمه أبو قتادة برمحه فقتله فزالت وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالمخطئ وعن سعيد ابن جبيرة لا أرى في المخطئ شيئا بأشراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان وقوله تعالى (فجزاء) منون في قراءة عاصم وحزمة والكسائي وما بعده مرفوع اى فعلية جزاء هو (مثل ما قتل من النعم) اى شبهه في الخلقة لا التساوى في القيمة وقرأ الباقر وغيره في جزاء وخفض لام مثل (يحكمهم به) اى المثل رجلان (ذو عدل منكم) اى لهما فطنة يميزان بها أشبه الاشياء به فيحكم به وقد ذهب الى ايجاب المثل جماعة من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة بالمثل من النعم فحكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة بيذنة وهى لاتساوى بيذنة وعمر في الضبع بكبش وهو لا يساوى كبشا وابن عباس وأبو عبيدة في بقرة الوحش وحماره بيقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكمهم ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانه يشبهها في العيب والحمام كل ما عيب وهذا من الطير كالقواخت والقسمري والذبى قدل ذلك على أنهم ينظرون الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة وقوله (هديا) حال من جزاء وقوله تعالى (بالغ الكبشة) اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان وهو نعت لما قبله وان أضيف الى معرفة لان اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (أو) عليه (كفارة طعام مسكين) في الحرم من غالب قوت البلد ما يساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مئة وقرأ نافع وابن عامر كفارة بغير تنوين وخفض ميم طعام والباقر بالتنوين ورفع ميم طعام اى هى طعام (أو) عليه (عدل) اى مثل (ذلك) اى الطعام (صياما) يصومه في كل موضع يتيسر له عن كل مديوم ماقا وللخير لانه الاصل فيها قال البخاري والقول بأنم للترتيب يحتاج الى دليل وقوله تعالى (لنذوق وبال امره) متعلق بمعدوف اى فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليدوق سوء عاقبة هتك حرمة الاحرام والوبال المكروه والضرب الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لنقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذاً ويلا اى

ثقبلا والطعام الويل الذي ينقل على المعدة ولا يستقر (عفا الله عما سلف) أي من قتل الصيد
 قبل تحريره فلا يؤخذ كمن به (ومن عاد) إلى تعدد شيء من ذلك بعد النهي وقوله تعالى (فنتقم
 الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ويجوز ذلك قوله تعالى
 فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخس ولا رهقاء أي ينتقم الله تعالى منه في الآخرة وإذا تكثر من المحرم
 قتل الصيد تعددت عليه الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه
 تعلقا بظاهر الآية فإنه لم يذكر الكفارة قال لأن الانتقام من العائد يمنع وجوب الكفارة
 (والله) الذي له صفات السكال (عزيز) أي غالب على أمره (ذو انتقام) أي ممن أمر على
 عصيانه • ولما كان هذا عاما في كل صيد بين تعالى أنه خاص بصيد البر فقال (أحل لكم) أيها
 الناس حلالا كنتم أو محررين (صيد البحر) أي ما صيد منه وهو ما لا يعيش إلا في الماء كالسمك
 بخلاف ما يعيش فيه وفي البر عند الشافعي رحمه الله تعالى وذهب قوم إلى أن جميع ما في البحر
 حلال وظاهر الآية حمله وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا يحل منه إلا السمك وقوله تعالى
 (وطعامه) عطف على صيد البحر أي وأحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتا
 قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهو وماؤه الحبل ميتته رواه أبو داود والترمذي
 وغيرهما وصححه وقال قتادة صيده طريه وطعامه مالح وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله وعلى
 هذا فالصيد بمعنى الاصطياد والمعنى أحل لكم اصطياد الصيد وأكل المصيد من النهار والبرك
 وغيرهما من جميع المياه كالبحر وقوله تعالى (منا) مفعول أي أحل لكم (لكم) تنبيه لكم تأكلونه
 طريا (والسبابة) أي المسافر من منكم يترددونه قديما كثر قدم موسى صلى الله عليه وسلم
 في سبيله إلى الخضر الحوت (وحرم عليكم صيد البر) أي اصطياده وأكل ما صيد منه لكم وهو
 ما لا يعيش إلا فيه وما يعيش فيه وفي البحر فإن صيد الحلال حل للحرم أكله لقوله صلى الله عليه وسلم
 لحم الصيد حلال لكم ما لم تطأوه أو يصد لكم (مادهم حرما) أي محرمين وقد ذكر تعالى تحريم
 الصيد على المحرم في ثلاث مواضع من هذه السورة قوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم إلى قوله
 تعالى وإذا حلتم فاصطادوا وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقوله تعالى وحرم عليكم
 صيد البر ما دمتم حرما تشديد على المحرم أنه لا يتعاطى ذلك وأكد ذلك بقوله تعالى (واتقوا الله)
 أي في ذلك الاصطياد وغيره (الذي إليه تحشرون) فإنه مجاز يكم بأعمالكم (جعل الله الكعبة)
 أي صبرها وصلى البيت كعبة لتكعبه أي تزيهه وقال مجاهد سميت كعبة لترفعها والعرب تسمى
 كل بيت مرتفع كعبة وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقوله تعالى (البيت الحرام)
 أي المحترم عطف بيان على جهة المدح لآعلى جهة التوضيح كما نجي الصفة كذلك (قيام للناس)
 أي يقوم به أمر دينهم بالحج أو العمرة إليه وديانهم بأمن داخله وعدم التعرض له وبجي غرات
 كل شيء إليه قال الرازي والمراد ببعض الناس وهم العرب وانما حسن هذا الجواز لأن أهل كل بلد
 إذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فهم لا يريدون إلا أهل بلدتهم فلذلك السبب خوطبوا
 بهذا الخطاب على وفق عاداتهم وقرأ ابن عامر قريبا غير ألف مصدر قام غير معمل والباقيون بالالف

(والشهر الحرام) أى الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وربى أى صبر الأشهر الحرم قياماً للناس بأمنون فيها من القتال (والهدى) أى الذى لم يقد (والقائد) أى الهدى الذى يقد فيه ذبح ويقسم على الفداء ومز الكلام عليه فى أول السورة (ذلك) أى الجعل المذكور وهو الأربعة الأشياء التى جعلها الله قياماً للناس (تعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل على علمه بما فى الوجود وما هو كائن وقوله تعالى (وأن الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومباينة بعد إطلاق وقوله تعالى (اعلموا أن الله شديد العقاب) فيه وعيد لأعدائه عن أنتم محارمه وقوله تعالى (وأن الله غفور) فيه وعد لأوليائه من حافظ عليها (رحيم) بهم وقوله تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمكم الطاعة فلا عذر لكم فى التقريط (والله يعلم ما تبدون) أى تظهر من العمل (وما تكتون) أى تخفون منه فيجازيكم به وقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفي المساواة عند الله تعالى بين الردى من الأشخاص والاعمال والأموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو أعجبك كثرة الخبيث) إذا عبرة بالقلة والكثرة بل بالجودة والرداءة فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير والمطاب لكل معتبر ولذلك قال تعالى (فاتقوا الله) أى فى ترك الخبيث وإن كثرت الحس لنفسه فى المعنى وأثر والطيب وإن قل فى الحس لكثرتة فى المعنى (بأولى الألباب) أى أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفلحون) أى لتكونوا على رجاء من أن تفوزوا بجميع المطالب * ونزل لما كثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا تأمنوا لعن أشياء أن تبد) أى تظهر (لكم نسوكم) أى لما فيها من المشقة فقل سبب نزولها ما فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أنهم لما سألو النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحضروه المسئلة أى بالغوا فى السؤال فغضب وصعد المنبر وقال لا تسألوني اليوم عن شئ إلا ينته لكم وشرع يكثر ذلك وإذا رجل كان إذا لى الرجال يدعى أغير أبه فقال يا رسول الله من أبى فقال حذافة فقال عمر رضى الله تعالى عنه رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت فى الخير والشكر كالיום قط أنه قد صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط فى آخره فنزلت هذه الآية وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله أنا حديث عهد بجاهلية أعف عنا يغف الله عنك فسكن غضبه وللبخارى فى التفسير عن أنس أيضاً قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط قالوا فقلون ما أعلم أنكم قلباً ولا وليكم كثير افغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل من أبى قال فلان فنزلت هذه الآية وللبخارى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمهم زاعم يقول الرجل من أبى ويقول الرجل نضل ناقته أين ناقتى فأنزل الله فيهم هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنه ما أنه صلى الله

عليه وسلم كان يحطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيههم فقال
صلى الله عليه وسلم لأسأل عن شيء إلا وأجيب فقال رجل أين أمأهل في النار وقال آخر من أبي
قال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت هذه الآية وقيل غير ذلك ولا تعارض بين هذه الاخبار
ولو تعذر ردّها الى شيء واحد لما مرّ عند قوله تعالى لا تعمر مواطيات ما أحل الله لكم من أن الأمر
الواحد قد تعدّد أسبابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبشهيل المهمة الثانية مع تحقيق
الاولى والباقيون بتحقيقهما ولما كان يجارقع في وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة
المسؤل عن السؤال خوفاً من عواقبه قال تعالى (وان تسألوا عنها) أي تلك الأشياء التي
توقع مسألتكم عند بادئها (حين ينزل القرآن بتدلكم) المعنى إذا سألتكم عن أشياء في زمنه صلى
الله عليه وسلم ينزل القرآن بآدابها ومتى أبدأها سألتكم فلا تسألوا روى أنه صلى الله عليه وسلم
قال إن الله تعالى قد فرض فرايض فلا تضيعوها وحدد حدوداً فلا تعدوها ثم عقاب عن أشياء
من غير نسيان فلا تبعضوا عنها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبشكيل النون وتخفيف الزاي والباقيون
بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى (عفا الله عنها) استئناف أي عفا الله عما سلف من
مسئلتكم فلا تعودوا الى مسئلتها وصفة أخرى أي عن أشياء عفا الله عنها ولا يكف بها روى أنه
لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراق بن مالك الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أعاد ثلاثاً فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فأتى كوفي ما تركتم
فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه
ما استطعتم وإذا نهىكم عن شيء فاجتنبوه (والله غفور) يعجز الزلات عينا وأترا ويهبطها
بالأكرام (حليم) لا يهيج على العاصي بالعقوبة وقوله تعالى (قد سألهما قوم) الضمير فيه للمسئلة
التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو الأشياء بمحذف الجار وقوله تعالى (من قبلكم) قال
البيضاوي متعلق بسألها وليس صفة لقوم فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للجنة ولا حالاً منها
ولا خبراً عنها قال أبو حيان هذا محله في ظرف الزمان المجزئ من الوصف أما إذا لم يجزئ عنه
فيصح أن يكون صفة للجنة أو حالاً منها وخبراً عنها وقيل وبعد وصفان في الأصل فاذا قلت
جاء زيد قبل عمرو فالعنى جاء في زمان قبل زمان مجيئه أي تقدم عليه ولذا صح وقوعه صلة
للموصول ولو لم يلحظ فيه الوصف ولو كان ظرف زمان مجزئ لم يجز أن يقع صلة قال تعالى والذين
من قبلكم ولا يجوز والذين اليوم وعن سألها قبلهم ثم قد سألهما حال الناقصة وسأل قوم عيسى
المائة (ثم أصبحوا) أي صاروا (بها) أي بسببها (كافرين) حيث لم يأمر وإيماناً أو اجحوداً
وقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ردوا نكاراً لما ابتدعه أهل
المجاهلة روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا تجمعت الناقصة خمسة أبطن آخرها ذكر بحيرة وأذنهم
أي شقوها وتركوا الحمل عليها وتركوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا وقيل انهم
كانوا ينظرون الى خامس ولدها فان كان ذكر انحروه فأكله الرجال والنساء وان كان أنثى يجرؤوا
أذنهم أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنتها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال وإذا

ماتت حلت للرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل منهم يقول ان شئت أوردت غائبى فناقى
 سائبة ثم يسبها فلا تجس عن امرئ ولا ماء ولا تركب ويحعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها
 وقيل كانت السائبة اذا تابعت ثلث عشرة سنة انا ناسبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم
 يشرب لبنها الاضيف فان تجبت بعد ذلك أتى شق أذنهم ثم يحلى سبيها مع أمتهانى الا بل فلم يركب
 ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بأمتهانى فهى البهيرة بنت السائبة وأما الوصيلة
 فمن الغنم كانت اذا ولدت سبعة أبطن نظر فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال
 والنساء وان كانت أنثى تركوها فى الغنم وقيل اذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو
 لأهلهم فان ولدت ذكرا وأبنتى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكرا لأهلهم وكان ابن الانثى
 حراما على النساء فان مات منها أبنتى أكله الرجال والنساء جميعا وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد
 ولده ويقال اذا تجبت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
 ولا يمنع من ماء ولا امرئ واذا مات أكله الرجال والنساء وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا كنتم
 الخزاعى بأكثر رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة فى النار فآرايت من رجل أشبه برجل منكبه ولا به
 منك وذلك انه أول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسب السائبة ووصل
 الوصيلة وحى الحامى ولقد رأيت فى النار يؤذى أهل النار برج قصبة فقال أكنتم ابضرنى
 شبهه يا رسول الله قال لا انك ومن وهو كافر ومعنى ما جعل الله أى ما شرع ذلك ولا أمر بالتجسير
 ولا التسيب ولا غير ذلك (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) فى قولهم ان الله أمرنا
 بها (وأكثرهم لا يعقلون) أن ذلك افترا لانهم قلدوا فيه آباءهم كما قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا
 الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا) أى كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) اذ لا مستند لهم
 سوى ذلك قال الله تعالى (أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون) أى الى الحق والاستفهام
 لا لتكراه أى أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين وقرأ هشام والكسائى قيل
 بضم القاف قبل الياء والباقون بالكسر (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها
 والزوموا صلاحها (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أى لا يضركم الضال اذا كنتم مهتدين ومن
 الاهتداء أن يترك المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا
 فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وروى عن أبى
 بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تفترون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
 عليكم أنفسكم الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك أن يعذبهم الله به عذاب وفى رواية
 لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر اولى سمعتم ان الله عليكم شراركم فبى وموتكم سوء العذاب
 ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم قال أبو عبيدة خاف الصديق رضى الله عنه أن يتأول
 الناس الآية غير متأولها فذهبوا بهم الى ترك الامر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك قال أبو
 ثعلبة الخنسي سألت عن هذا الآية فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف

وتناها عن المنكر حتى اذا رأيت نهامطا عا وهوى متبعها ودينا مؤثرة واجهاب كل ذى رأى رآيه
ورأيت الامر لا بد لك منه فعليك نفسك ودع امر العامة وان وراءكم أيام الصبر فمن صبر فحين
قبض على الجروان وراءكم أياما لا تعامل فيهن مثل أجر خنسين رجل لا يعملون مثل عمله قال ابن
المبارك وزادنى غيره قال يا رسول الله أجر خنسين منهم قال أجر خنسين منكم وعن ابن عباس
رضى الله عنهما أن هذه الآية قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انما اليوم مقبولة ولكن
يوشك أن يأتى زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهى على هذا تسلية لمن
يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط العذر وعنه ليس هذا زمان تأويلها قبل فنى قال اذا حال دونها
السيف والسوط والحبس وروى المؤمن القوى خبرا أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى
كل خيرا حرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت
كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل قدرا لله وما شاء فعل وقيل كان الرجل اذا
أسلم قالوا له سغيت أياما ولا موه فزالت عليكم أنفسكم وعليكم من أسماء الفاعل بمعنى
الزمن وانفسكم ولذلك نصب أنفسكم (الى الله مرجعكم جميعا) الضال والمهتدى (فبينكم
بما كنتم تعملون) فيجازيكم به وفى ذلك وعد ووعد للقربين وتنبه على أن أحد الايواخذ
بذنب أحد غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى فيما أمرتم شهادة بينكم فشهادة مبتدأ
خبره محذوف قيل هذه الآية وما بعدها من أشكل آى القرآن حكوا وعرابا وتفسيرا والمراد
بالشهادة الشهادة بالوصية وقيل المراد بها اليمين بمعنى ما بينكم أن يحلف اثنان قال
القرطبي ورد لفظ الشهادة فى القرآن على أنواع مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فى شهد منكم
الشهر فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو وعسى أقر قال تعالى والملائكة
يشهدون وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من أهلها وبمعنى حلف قال تعالى شهادة أحدكم
أربع شهادات وبمعنى وصى قال تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم (اذا حضر أحدكم الموت) أى
أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وهذا خبر بمعنى الامر أى يشهد واضافة شهادة
لبين على الاتساع وحين يدل من اذا أو ظرف للحضر واثنان فاعل شهادة أو خبر مبتدأ محذوف
أى الشاهدان اثنان وقوله تعالى (أو آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغيب باهل
الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وقد اتفق الاكثرون على انه لا نسخ
فى سورة المائدة وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وانما جازت
فى قول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر (ان أنتم ضريتم) أى سافرتم
فى الارض فاصابكم مصيبة الموت) أى قاربتم الاجل وقوله تعالى (تحبسونهم) أى
توقفونهم وتصبرونهم ماصفة لا آخران (من بعد الصلاة) أى صلاة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت (تقسمان) أى
يحلان (بالله) وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليمين انما تكون اذا كانا من غير نفاق كانا
مسلمين فلا يمين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقةهما فقد نسخ تحليفهما وان كانا الوصيين

فلا تمسروا هذا الحلف شرطاً فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه (ان ارنتم) أى شككم فيما
 أخبر به عن الواقعة ثم ذكر القسم عليه بقوله (لا تشترى به تمناً) أى بهذا الذى ذكرناه تمناً أى لم
 نذكر ليحصل لنا به غرض ذنبى وان كان فى نهاية الحلالة وليس قصدنا به الاقامة الحق (ولو كان)
 أى القسم له (ذا قربى) أى لنا (ولا تكتم شهادة الله) أى التى أمرنا باقامتها (ان اناذا) أى اذ اكتمناها
 (لمن الا) بمن فان هنر) أى اطلع بعد حلفهما (على) أنهما استحقا تمناً) أى فعلا ما يوجب من خيانة
 أو كذب فى الشهادة فان وجد عندهما مثلاً ما اتهم به وادعيا أنهما يتابعان من الميت أو وصى لهما
 به (فأخران) أى فشاهدان آخران (يقومان مقامهما) أى فى توجبهما العيىن عليهما (من الذين
 استحق عليهم) الوصية وهم الورثة على قراءة غير حص بضم التاء وكسر الحاء على البناء للمفعول
 وعلى البناء للفاعل فهو الاوليان ويبدل من آخران (الاوليان) بالميت أى الاقربان اليه وقرأ
 حمزة وشعبة بتشديد الواو وكسر اللام وبسكون الياء ورفع النون على الجمع لأنه مفعلة للذين
 أو بدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم والباقيون بسكون الواو ورفع اللام والياء والت
 بعد الياء وكسر النون على التنبيه على انه بدل من آخران كما مر وأخبر محذوف أى هما الاوليان
 (فيقتسمان) أى هذان الآخران (بالله) ويقولان (لشهادتنا) أى بميثنا (أحق) أى أصدق
 من شهدتهما) أى بميثنهما (وما اعتدينا) أى تجاوزنا الحق فى البين (ان اناذا) أى اذ وقع منا
 اعتداء (لمن الظالمين) أى الواضعين الشئ فى غير موضعه ومعنى الاتيين أن المختصر اذا اراد
 الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطاً فان
 لم يجد هما بان كان فى سفر فأخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع واثبات أقسام على صدق
 ما يقولان بالتغلب فى الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة أو مظنة حلف آخران من اولياء
 الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فان الشاهد لا يخلف ولا تعارض بينه وبين
 الوارث وثبات ان كانا وصيين وورثة البين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
 الوصى بالبين لاماته أو لتغير الدعوى وتخصيص الحلف فى الاتيين بثنائين من أقرب الورثة
 لخصوص الواقعة التى نزلت لهما وهى ما روى أن رجلاً من بنى سهم خرج مع قوم الدارى وعدى
 ابن زيد الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً
 فلما قدموا الشام مرض بديل فدونق ماعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبر بها جهاً أو وصى
 اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذاهما من فضة فيه ثلثمائة منقال منقوشاً
 بالذهب ثم قضى ما حاجتهما وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى أهل الميت ففتشوا فأنصباوا
 الصحيفة فيها نسجتها ما كان معه بغاؤا عجباً وعديا فقالوا له باع ما حبا شياً قال لا لا والواهل
 اتجر تجارة قال لا لا والواهل طال مرضه فأفق على نفسه قال لا لا والواهل فوجدنا فى متاعه صحيفة
 فيها نسجتها ماعه وانفتقدنا منها انا من فضة بمخوها بالذهب ثلثمائة منقال من فضة قال لا ما ندرى
 انما أوصى لثنائين وأمرنا أن ندفعه لكم فدفعناه وما لنا على بالنا فاختصموا الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاجترأ على الكفار وحلفوا فأمر الله تعالى اقبها الذين آمنوا الآية فلما نزلت هذه

وعدى بن زيد هكذا
 فى بعض النسخ كفى
 البضايى والكشاف
 وفى نسخة ابن بداه كما
 فى حاشية العلامة
 الجبل وعبارته وعدى
 ابن بداه بفتح الموحدة
 وتشديد الدال
 المهملة محدود
 مصروف اه

الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعائهما وعديا فاستخلفهما عند المنبر بالله
 الذي لا اله الا هو انهما لم يجتأنا شيئا مما دفع اليهما خلفا على ذلك وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم سيداهما ووجد الا نافي أيديهما فبلغ ذلك بنى سمهم فأوتوهما في ذلك فقالا لانا كذا قد اشتريناه
 منه فقالوا ألم ترعما ان صاحبنا لم يبيع شيئا من متاعه قال لم يكن عندنا شيء وكرهنا ان نقر لكم
 فكفنا ذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترأت فان عثر فقام مجروبا العاص
 والمطلب بن أبي رفاعه السهمان وحلفا وتقدم أن تخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب
 الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها (ذلك) أي الحكم المذكور من رد العين على الورثة
 (أدنى) أي أقرب (أن) أي الى أن (يأتوا) أي الذين شهدوا أولا (بالشهادة) أي الواقعة
 في نفس الامر (على وجهها) أي الذي تحموا له عليه من غير غش ولا خيانة (أو) أي أقرب الى
 أن (يحافوا أن تردا عين بعدا عنهم) أي على الورثة المدعي فيحلفون على خيانتهم وكذبهم
 فيفتضحون ويفرغون فلا يكذبوا وانما جاع الضمير لانه حكمهم الشهود كلهم (واقفوا لله) بترك
 الخيانة والكذب (واسمعوا) ما تسمعون به سمع قبول (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي
 الخارجين من طاعة لا يهديهم الى حجة الى طريق الجنة وقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل)
 أي يوم القيامة منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من منهول واقفوا بديل اشكال (فيقول لهم)
 توبوا القوم منهم كأن سؤال المودة لتوبيع الوائد (ماذا) أي الذي (أجبتهم) به حين دعوتهم الى
 التوحيد (قالوا لا علم لنا) أي لا علم لنا بما أنت تعلم (انك أنت علام الغيوب) فقل ما أجابونا
 وأظهروا لنا وما لم نعلم مما أضمرنا في قلوبهم وقوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر
 نعمتي عليك وعلى والدتك) أي اشكرها منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم يجمع وهو على
 طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
 وتصديده ما ظهر واعلمهم من الآيات فكذبهم طائفة وسوءهم صخرة وغلا آخرون فالتخذوهم
 آلهة وقوله تعالى (اذ أيدتك) أي قوتك ظرف لنعمتي أحوال منه (روح القدس) أي جبريل
 عليه السلام فكان له في الصغر حفظ لم يكن لغيره وقوله تعالى (تسكلم الناس) حال من الكاف
 في أيدتك (في المهد) أي طفلا (وكهلا) أي تكلمهم في الطفولية والكهولة على السواء
 والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهول في كمال العقل والتسكلم به وبه استدلال على انه
 ينزل قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران (واذ علمت الكتاب) أي الخط
 الذي هو مبدأ العلم (والحكمة) أي الفهم لحقائق الاشياء والعمل بما يدعو اليه العلم (والتوراة)
 أي المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم (والانجيل) أي المنزل عليك (واذ خلق من الطين) أي
 هذا الجنس (كهية) أي كصورة (الطين) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (بأذن) أي بأمرى
 (فتنفخ فيها) أي في الصورة المهيأة (فتكون) تلك الصورة التي هيأتها (طيرا بأذن) أي
 بإرادتي وقرأ ما فاع بالبعد الطاء وبعد الالف همزة مكسورة وورش يرقق الراء على أصله
 والباقرن ياء ساكنة بعد الطاء (وتبرئ الاكس والابرص بأذن) وسبق تفسيرهما في سورة آل

عمران (واذ تخرج الموتى) أى من قبورهم احياء (بأذنى واذا كهفت بنى اسرائيل) أى اليهود
 (عنك) أى حين هموا بقتلك وقوله تعالى (اذ جنتهم) ظرف لكهفت (بالينيات) أى
 بالمجترات (فقال الذين كفروا منهم ان) أى ما هذا الذى جنت به (الاصحرميين) أى بين ظاهر
 وقرأ عزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء إشارة الى عيسى عليه السلام
 والباقون بكسر السين وسكون الحاء ولا ألف بعدها إشارة الى ما جاء به (واذا أوحيت) أى
 بالالهام باطننا وبايصال الاوامر على لسانك ظاهرا (الى الحواريين) أى الانصار (ان) أى
 بان (انمواي وبرسولي) عيسى صلى الله عليه وسلم (قالوا امنا) بهما (واشهد باننا مسلمون) أى
 منقادون آمنا بآقايد وقوله تعالى (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر وقيل ظرف لقالوا
 فيكون تنبيه على أن ادعاهم الاخلاص مع قولهم (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ
 الكسائي بالتاء على الخطاب وادغام لام هل فيها على أصله وفتح الباء الموحدة من ربك أى هل
 يستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأل ذلك من غير صارف وقرأ الباقر بالباء على
 الغيبة ورفع الباء أى يوجب ربك اذا سأله (أن ينزل علينا مائدة) وهى الطعام ويقال أيضا
 للخوان اذا كان عليه الطعام والخوان شئ يوضع عليه الطعام لئلا كل هو فى العموم بمنزلة
 السفرة فلما وضع فيه طعام المسافر بالخصوص وقال أهل الكوفة سميت مائدة لانها تخدم بالأكلي
 أى قيل وقال أهل البصرة فاعلة بمعنى مفعولة أى تخدم أى تخدم أى تخدم أى تخدم أى تخدم
 أى مرضية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسكون النون وتخفيف الزاى والباقر بفتح النون وتشديد
 الزاى وقولهم (من السماء) أى لا صنع للادميين فيها التحصن بهما عن تقدمنا من الامم يكن
 بعد عن تحقيق واستحكام معرفة (قال) عيسى عليه الصلاة والسلام مجيبا لهم (اتقوا الله)
 أن تسألوه شيئا لم تسأله الامم من قبلكم (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته تعالى وصحة توفى أو صدقتكم
 فى ادعائكم الايمان فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان (قالوا نريد) أى يسألوننا من أجل (أن
 نأكل منها) تبر كالأكل حاجة وقولهم (وتطمئن) أى تسكن (قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى
 علم الاستدلال بكمال قدرته بيان لما دعاهم الى السؤال وتهدى عذرهم وقولهم (ونعلم) أى نردا عملا
 (أن) مخففة أى انك (قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة وان الله مجيب دعوتنا وقيل ان عيسى عليه
 السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما فاذا أفطروا لا يسألون الله شيئا الا أعطاهم ففعلوا
 وسألوا المائدة وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا فى قولك أنا اذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا ومن الشاهدين العين دون السامعين
 للخبير (قال عيسى بن مريم) لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك وأنهم لا يقطعون عنه فأراد الزامهم
 بالحجة بكالها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) وحقق موضع الانزال بقوله (من السماء تكون)
 هى أو يوم نزولها (لنا عيدا) نعلمه ونشرفه وقال سفيان فصلى فيه وروى أنها نزلت يوم الاحد
 فلذلك اتخذها النصارى عيدا وقيل ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلّى ركعتين
 وطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا الخ وقيل العيد السرور والعائد ولذلك سمي

يوم العيد عيدا وقوله (لا تزلوا آخرنا) بدل من لنا باعادة العامل أى عبد الازل زمانا ولان
 جاء بعدنا وقال ابن عباس يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقوله (وآية) عطف
 على عيدا وقوله (منك) صفة لها أى آية كانت منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا)
 المائدة والشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى من يرزق لانه تعالى خالق الرزق ومعطيه
 بلا غرض (قال الله) تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه السلام (انى منزلها عليكم) أى المائدة
 وقرأتانفع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف
 الزاى (فمن يكفر بعد) أى بعد نزولها (منكم فانى أهدبه عذابا) أى تعذيبا أو ففعولايه على
 السعة والتخفيف (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بدم الباء (أحدا
 من العالمين) أى عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخروا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك
 غيرهم قال عبد الله بن عمر أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب
 المائدة وقوم فرعون واختلف العلماء هل نزلت المائدة أولا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فأت
 الله تعالى الماء وأعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا
 لا نزيدها فلم تنزل وقوله تعالى انى منزلها عليكم أى ان سأتم والصحيح الذى عليه الاكثر أن أنها
 نزلت لقوله تعالى انى منزلها عليكم ولتواتر الاخبار فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واختلفوا فى صفاتها فقال عطاء بن أبى رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة
 لبس عيسى عليه السلام مسها وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآبة فنزلت سفرة حمراء
 بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهى منقضة حتى سقطت
 بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها راحة
 ولا تجعلها عقوبة فقام فتوضأ وصلى وكشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة
 مشوية بلا فلولس أى بلا قشر كالفلوس ولا شوك تسيل دهنا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل
 وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى
 الثانى عسل وعلى الثالث سمع وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون الصفا
 وهو رأس الحواريين يا روح الله أؤمن طعام الدنيا هذا أؤمن طعام الآخرة فقال ليس شيئا مما
 ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شئ اختره الله تعالى بقدرته كوا مما
 سأتم واشكروا عديداً ومن يردكم من فضله فقال يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال معاذ الله
 أن أكل منها ولكن يأكل منها من سأله انخافوا أن يأكلوا منها فعدا أهل الفاقة والمرضى
 وأهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولا تفركم البلاء فأكلوا
 وصدروا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شعبان
 والسمكة كهيتتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون إليها حتى نوارت فلم يأكل
 منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفى ولا فقير الا استغنى ونعم من لم يأكل فلبثت أربعين
 صباحا تنزل ضحاها فاذنزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء

ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء النبي أي زالت الشمس طارت وهم ينظرون في ظلها حتى
تواوت عنهم وكانت تنزل غبار تنزل يوما ولا تنزل يوما كثافة غود وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكثرة
وعشما حيث كانوا كالمق والساوي لبي اسرائيل وقال وهب بن منه أنزل الله تعالى أقرصا
من شعير وجبتا فان كان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فبأكلون حتى أكلوا جميعهم
وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليه اخبز أرز
وبقل وقال قتادة كان عليها تمر من غمار الجنة وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنزل على
المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال كعب الاحبار نزلت منكسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا
وقيل لما نزلت قالوا يا رسول الله لو أرينا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احياي باذن الله
تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعصاها
فسحقوا سحقا منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا من ليلتهم على فراشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكسائات يأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى
عيسى وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطوف بعيسى وجعل
عيسى يدعوهم باسمائهم فيشبهون رؤسهم ويكفون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام
ثم هلكوا وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبز الخبز فأمروا أن لا يخبثوا ولا يدخروا
لغد فخبثوا وادخروا ففسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا وفسدوا
في القيامة فوبخا القوم وانما عبر بالماضي لتعقوب وقومه كقوله تعالى أتى أمر الله (يا عيسى
ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) أي غيره وقال السدي قال الله
هذا القول لعيسى حين رفعه الى السماء لان حرف اذ يكون للماضي وسائر المفسرين على
الاقول وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبشيميل الهمزة الثانية وأدخل ألفا بين ما قالون
وأبو عمرو وورش وابن كثير لم يدخلوا ألفا بينهما والباقيون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما وقرأ
نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص أي بفتح الياء والباقيون بالسكون (فان قيل) ما وجه هذا
السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى عليه السلام لم يقله (أجيب) بأنه ذكر لتوبيخ قومه كما مر
ولتعليم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لا تحرف أفعات كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعلها علما
واستغظا لا لاستغبارا واستغفارا وأيضا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية
فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا
الخطاب ارتعدت فرائصه وفاصلة وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم (قال)
وهو يرعد مجيبا لله (سبحانك) أي أنزهك عن أن يكون لك شريك (ما يـكـون) أي ما ينبغي
(لأن أقول ما ليس لي بحق) خبر ليس ولي للتبيين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الاولى بفتح
الياء والباقيون بالسكون (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما) أخفيه (في نفسي ولا أعلم ما في نفسي)
أي ما أخفيه عنى من الاشياء وقوله في نفسك للمشاكسة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله

(أنت علام الغيوب) تقرير لما قل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك باعتبار منطوق أنك أنت علام الغيوب ومفهوماً لأنه يدل على منطوقه على أنه تعالى لا يعلم الغيب غيره فيكون تقريرا لقوله تعالى ولا أعلم ما في نفسك وقرأ أجزاء وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) وهو (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي فانا وإياهم في العبودية سواء (وكنتم عليهم شهداء) أي رقباء منهم مما يقولون (ما دمت فيهم فلما توفيتني) بالرفع إلى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك إلى والتوفي أخذ الشيء وافيها والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (كنتم أنت الرقيب) أي الحفيظ عليهم أي لأعمالهم (وأنت على كل شيء) من قولي وقولهم وغير ذلك (شاهد) أي مطلع عالم به (أن تعذبهم) أي من أقام على الكفر منهم (فانهم عبادك) وأنت مالكهم تصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وان تغفر لهم) أي لمن آمن منهم (فأنت أنت العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) في صنعه فان عذبت فعذل وان عفوت فتنضل (قال الله تعالى) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم أي في الدنيا كعيسى فان النافع ما كان حال التكليف لاصدقهم في الآخرة وقرأ نافع نصب الميم على انه ظرف لقول وخبر هذا المحذوف والمعنى هذا الذي من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع والباقون بالرفع على الخبر وقيل أراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع المؤمنين إيمانهم وقال قتادة تسكمان يحطبان يوم القيامة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو ما قص الله تعالى وعد الله إبليس وهو قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر فصدق عدو الله يومئذ وكان كاذبا فلم ينفعه صدقه قال ولما كان عيسى صاذاقا في الدنيا والآخرة تنفعه صدقه * ثم بين تعالى ثوابهم فقال (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وأكرم معنى ذلك بقوله تعالى (أبدا) ولما كان ذلك لا يتم إلا برضا الله تعالى قال (رضي الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) ثوابه (ذلك) أي هذا الأمر العلي لا غيره (القور العظيم) وأما الكاذبون في الدنيا فلا ينفعهم صدقهم في ذلك اليوم كالكفار المومنون عند رؤية العذاب (لهم ملك السموات والأرض) أي خزائن المعار والنبات والرزق وغيرها (وما بين) من انس وجن وملك وغيرهم ملكا خلقا وأتى بعبادون من تغليبها غير العاقل (وهو على كل شيء قدير) ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب قال السيوطي ونخص العقل ذاته فليس عليها بقادر وقول البضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشرين سيئة ورفع له عشر درجات بعد ذلك يهودى ونصراني يتنقل في الدنيا حديث موضوع

(سورة الانعام مكية)

روى أنها نزلت بمكة ليلة واحدة ليلا ونزل معها سبعون ألف ملك قد سدقوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتعجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وختر

ساجد أو الزجل يفتح الزاي والجيم القوة قال الباقى وروى من فروع من قرأ سورة الانعام
يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملائكة ونهاره وقاله الكلى عن أبي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنزلت سورة الانعام بركة الاقواله تعالى قل تعالوا أنل ما حترم ربكم عليه كرم الى قوله
تعالى اعلواكم ثم تقرون فهذه الست آيات مدنيات ويروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب
فكتبوه وها من ايلتهم الا الست آياته قال بعض العلماء واختصت هذه السورة بنوحين من
الفضيلة أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة والثاني انها سبعها سبعون ألفا من الملائكة والسبب
فيها أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين
والمهديين وهي مائة وخمسة وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة وعدد
حروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا (بسم الله) الذي تعالت عظمته عن كل
شائبة نقص فكان له كل كمال (الرحمن) الذي عمت نعمته المحسن والمسي فقمر الكل بالتوال
(الرحيم) الذي خص أولياءه بانعام النعمة فهذه اسم بسمحة الايصال (الحمد) هو الوصف بالجبل
ثابت (الله) دخل المراد الاعلام بذلك للايمان به أو الشنا به أوهما احتمالات قال الجلال الهلى
في سورة الكهف أفيد هذا الثالث وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا في أول الفاتحة
وقال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا الى آخر الآية وفي رواية أن آخر آية في التوراة آخر سورة هود وقال ابن عباس
رضي الله عنه ما فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله (الذي خلق السموات والارض) وختم
بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال أهل المعاني لفظ الحمد لله
خير ومعناه الامر أى احمدا والله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ في البيان
من حيث انه جاع الامر من ولو قيل احمدا والله لم يجمع الامر من فكان قوله الحمد لله أبلغ وانما
خص السموات والارض بالذكر لانهم ما أعظم الخلق فبات في العباد لان السماء بغيرهم
ترونها فيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلاق وفيها أيضا العبر والمنافع وجمع السموات
دون الارض وهي مثلها لان طبقاتها مختلفة الذات متفاوتة الاثثار والحركات بالكواكب
في سيرها وحركاتها في السرعة والبطء واستقرار بعضها ببعض عند الحسوف وغيره وغير ذلك
عما هو محجور عند أهله وقدمها لشرها قدرها وعظما وان كانت الارض أشرف من حيث أنها
مسكن الانبياء (وجعل) أى خلق (الظلمات والنور) أى كل ظلمة ونور وجمعها منه لكثرة
أسبابها والاجرام الحاملة لها اذ ما من جرم الا وله ظل وظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو النار ولا تزد الاجرام المتيرة كالنور ككبر لان مرجع كل ناري النار على ما قيل ان
الكواكب اجرام نورانية نارية وان الشهب منفصلة من نار الكواكب فصيح أن النور من
جنس النار وان المراد بالظلمة الضلال وبالنار الهدى والهدى واحد والضلال متعد وقد جمعها
لتقدم الاعدام على الملاكات وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله خلق
أى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواء ثم الذين كفروا بربهم يعدلون بربهم الاوثان

أى يسونم به فى العبادۃ وعلى هذا فيعدلون من العدل وهو التسوية والبالا متعلقة بـ يعدلون
 أى على قوله الحمد لله على معنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه وأنعمه على العباد ثم الذين
 كفر وأبرهم يعدلون فيكفرون نعمته وعلى هذا فيعدلون من العدل والبالا متعلقة بكفروا
 ومعنى ثم استبعاد عدوهم بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) أى ابتداء
 خلقكم منه فإنه المادة الأولى وأن آدم الذى هو أصل البشر خلق منه وأخلق أبائكم فحذف
 المضاف قال السدى بعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها فقالت
 الأرض انى أعوذ بالله منك أن تنقص منى فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ قال يارب عاذت
 بك فبعث ميكائيل عليه السلام فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت عليه السلام فعادت بالله
 منه فقال أنا أعوذ بالله أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض غلظ الحمراء والسوداء والبيضاء
 فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم بعثناهم إلى العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلقهم
 فقال الله تعالى الملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترجعها لاجرم اجعل أرواح
 الخلق من هذا الطين يدك وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه خلق الله تعالى آدم عليه السلام
 من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان جأسمنا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلالا
 كالفضار ثم نفخ فيه من روحه (ثم قضى أجلا) أى أجلاكم عنون عند انتهائه (وأجل مسمى)
 أى مضروب (عنده) أى وهو أجل القيامة وقال الحسن الأول بين وقت الولادة إلى وقت
 الموت والثاني من وقت الموت إلى البعث فإن كان الرجل راتقيا وصولا للرحم زيد له من أجل
 البعث في أجل العمر وإن كان فاجرا فاطعلا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث
 وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وقيل الأول النوم والثاني
 الموت وقيل الأول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي (ثم أنتم) أيها الكفار (تعترون)
 أى تتكبرون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على
 الاعادة أقدر ومعنى ثم استبعادا أيضا كما مر لأن يعتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييم ومعيهم
 وباعنهم (وهو الله) الضمير لله والله خبره وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء من
 وهو والباقون بالضم وقوله تعالى (في السموات وفي الأرض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه
 قيل هو مستحق العبادۃ فيها ومنه قوله تعالى وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله أو هو
 الحروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيها وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله
 (يعلم سركم) أى ما تسرون (وجهركم) أى ما تجهرون به بينكم فى السموات والأرض وقيل
 معناه وهو الله السموات والأرض كقوله تعالى وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله
 (ويعلم ما تكسبون) أى ما تعملون من خير أو شر فيثبت عليه أو يعاقب (فان قيل) الانفعال
 أما أنفعال القلوب وهى السموات بالسر وأما أنفعال الجوارح وهى السموات بالجهر والانفعال
 لا يخرج عن السر والجهر فقوله تعالى ويعلم ما تكسبون يقتضى عطف الشئ على نفسه
 وهو غير جائز (أجيب) بأن المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من أحوال الأنفس

وبالمكسب أعمال الجوارح فهو كـ ما يقال هذا المال كسب فلان أى
 مكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب والالزم عطف النى على نفسه (وماتأنيهم) أى
 الكفار (من آية من آيات ربهم) من الاولى مزينة للاستغراق والثانية للتبعية
 أى ما يظهر لكم دليل قط من الأدلة أو مجزئة من المعجزات أو آية من آيات القرآن
 (الآ كانوا عنها معرضين) أى تاركين لها وبها مكذبين (فقد سدوا بالحق لما جاءهم) أى
 بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (فوف بآياتهم أنباء) أى عواقب
 (ما كانوا يستترون) بنزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة وأعدا ظهور الاسلام
 وارتفاع أمره (ألم يروا) أى في أسفارهم الى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (أهلكنا من
 قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من الناس وجمعه قرون
 وقيل القرن مدة من الزمان قبل انها عشرة أعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثون وقيل أربعون
 وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة لما روى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعد الله بن بشر المازني تعيش قرنا فاعاش مائة سنة وقيل مائة
 وعشرون فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن (مكاهم في الارض) أى جعلنا لهم فيها
 مكانا بالقوة والسعة وقرناهم فيها (ألم تكن لكم) أى ألم نجعل لكم من السعة والقوة فيه
 الثقات عن الغيبة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما عطينا عادا وثمودا وغيرهم من البسطة
 في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) هي المطر
 (عليهم مدرارا) أى متتابعا (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أى تحت مساكنهم
 (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم بسكذبهم الانبياء فلم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا)
 أى أحد ثلثا من بعدهم قرنا آخرين (بدلائمهم) فان قيل (ما فائدة ذكر أنشأنا قرنا آخرين بعدهم
 (أجيب) بأنه ذكر للدلالة على انه تعالى لا ياتعاطيه أن يهلك قرنا ويجزب ببلادهم فانه قادر على
 أن ينشئ مكانهم آخرين يعمرهم ببلادهم فهو قادر على أن يفعل ذلك بكم * ونزل لما قال النضر بن
 الحرث وبعده الله بن أمية ونوفل بن خويلد يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله وبعده
 أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسول الله (ولو نزلنا عليك كتابا) أى مكتوبا
 (في قرطاس) أى رق كما اقترحوه (فأسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لانه أننى للشك (لقال الذين
 كفروا ان) أى ما (هذا الا هم مبين) أى تغشوا وعنادا كما قالوا في انشقاق القمر (وقالوا لولا)
 أى هلا (أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي كقوله تعالى لولا انزل الله
 ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا لجحبت) عاينوه كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) أى
 لحق ادلائهم فان سمع الله تعالى جرت فبين قبلهم أنهم اذا جاءهم مقررهم فلم يؤمنوا به يهلكهم
 (ثم لا ينظرون) أى لا يميلون لتوبة أو معذرة (ولو جعلناه) أى المنزل اليهم (ملكا لجلعناهم)
 أى المالك (رجلا) أى على صورته ليقدر كـ نوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك
 في صورته وانما رآه كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية وقوله تعالى (وللبسنة

عليهم ما يلبسون) جواب محذوف أي ولو أنزلناه وجعلناه رجلاً لبسنا أي خلطنا عليهم يجعلنا
أي رجلاً ما يخلطون على أنفسهم وعلى غيرهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وإنما كان
تلبسنا لأنهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنما هو بشر مثلكم
ولو رأوا الملك رجلاً للجهنم من اللبس منسل ما خلق الضعفاء منهم فيكون اللبس تفضة من الله
وعقوباً لهم على ما ~~يكنون~~ من الخلق في السؤال واللبس على الضعفاء وقوله تعالى
(ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه (خفاق)
قال الربيع بن أنس قتل وقال عطاء بن قنصل وقال الضعفاء خاط (بالذين حضر رانهم) أي من
أولئك الرسل (ما كانوا يستهزئون) وهو العذاب فكذلك يحقق عن استهزأ بلفظ قل اللهم
(سيروا في الأرض) أي أوقعوا السير لا اعتبار فيها ولا تقصروا بأعمالكم وعيكمكم (ثم انظروا
كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب فانكم إذا شاهدتم تلك
الآثار كل لكم الاعتبار بهم (قل) لهم (لن مافي السموات والأرض) خلقتوا ملكاً وهو سؤال
تلك (قل لله) أن لم يقوله لأجواب غيره لأنه المتعين للجواب بالاتفاق إذا لم يكن أن يذكر وغيره
(كتب) أي قضى (على نفسه الرحمة) تفضلاً منه واحساناً للرحمة ثم المدين ومن ذلك الهداية
إلى معرفته والعلم بتوحيده ينصب الأدلة وإنزال الكتب والامهال على الكفرة والعصاة
والمذنبين ولوشاء السلط عليهم المضار وجعل عيشهم من غير المذنب كآثار وبعض انقاذورات
التي تعيش فيها الحيوانات روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده فوق
عرشه أن رجعي غلبت غضبي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده فوق
الجن والإنس والبهايم والحوام فيها يتعاطفون فيها يتراحمون فيها تعطف الوحوش على أولادها
وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه سبي
فاذا امرأته من السبي قد غلبت نديها اذ وجدت صبيها في السبي أخذته والصقته بطنها وأرضعته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن
لا ت طرحه فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم)
استئناف واللام القسم أي والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) أي في يوم القيامة وإلى معي
في أوليجمعنكم في القبر ومبعوثين إلى يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل
البعض فإن من رحمة بعنه أياكم وانعامه عليكم (لأريب) أي لاشك (فيه) أي اليوم أو الجمع
وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) في موضع نصب على الذم أو رفع على الخبر أي وأنتم الذين
خسروا أنفسهم تخيير رأس ما لهم وهو الفطرة الأصلية أو بتدأ أخبره (فهم لا يؤمنون)
(فان قبيل) الفاء تدل على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسارتهم مع أن الأمر على العكس
(أجيب) بأن إبطال العقل بتأجيل الحواس والوهم والأنهماك في التقليد وأغفال النظر أدى بهم
إلى الإصرار على الكفر والاستماع عن الإيمان وقوله تعالى (وله ما سكن) أي حل (في الليل
والنهار) عطف على الله أي له كل شيء من حيوان وغيره لأنه خالقهم ومالكهم وقيل له ما سكن

فبهما أو تحترقا أو كفتي بأحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) أي لكل ما يقال (العليم)
 أي بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى * ونزل لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى دين آياته (قل) لهم (أغبر الله اتخذ وليا) أي ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استغفارهم
 ومعناه الإنكار أي لا اتخذ غير الله وليا (فاطر السموات والأرض) أي خالقهما ابتداء من غير
 سبق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أثنى أعراسان يحصمان
 في بئر يقال أحدهما أني فطرتهما أي ابتدأتها (وهو يطم) أي يرزق (ولا يطم) أي ولا يرزق
 وصف سبحانه وتعالى ذاته بالغنى عن الخلق باحتياجهم إليه لأن من كان من صفته أن يطم
 الخلق لا احتياجهم إليه ولا يطم لاستغنائه عنهم وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا (قل اني أمرت
 أن أكون أول من أسلم) لله من هذه الأمة لأن النبي سابق أخته في الدين والدين وضع الله
 سائق لذوى العقول السليمة بسبب اختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات (ولا تكون من
 المشركين) أي وقيل لي يا محمد لا تكون من المشركين أي في عدادهم باتباعهم في شيء من
 أغراضهم وهذا التأكيد لقطع أطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سؤالهم أن يكون على
 دين آياته وقوله تعالى (قل اني أخاف ان عصيت ربي) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) مبالغة
 أخرى في قطع أطماعهم وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى (من يصرف
 عنه) العذاب (يومئذ) أي يوم القيامة قرأه أبو بكر وحزرة والكسائي يفتح الياء **كسر** الراء
 على الباء للفاعل والضمير لله تعالى والمفعول محذوف وقرأه الباقون بضم الياء وفتح الراء
 على الباء للمفعول فالضمير للعذاب (فقد رجه) ربه تعالى أي أراد به الخير (وذلك) أي
 الصبر أو الرحمة (الفوز للمين) أي النجاة الظاهرة (وان يمسك الله بصر) أي يبلاء كرمض
 وفقر والضرر اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكره وغير ذلك مما هو في معناه (فلا كاشف)
 أي لا رافع (له الأوه) لا غيره (وان يمسك بخير) أي بصحة وغنى والخير اسم جامع لكل ما ينال
 الإنسان من لذة وفرح وسرور وغير ذلك (فهو على كل شيء قدير) من الخير والضرر وهذه الآية
 وإن كانت خطبا للنبي صلى الله عليه وسلم فهي عامة لكل أحد والمعنى (وان يمسك الله بصر)
 أي الإنسان فلا كاشف لذلك الضرر الأوه (وان يمسك بخير) أي الإنسان فهو على كل شيء
 قدير من رفع الضرر وإيصال الخير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال أهدى للنبي
 صلى الله عليه وسلم بقله أهداه له كسري فركبها مجبل من شعر ثم أردفني خلقه فسارني مليانم
 التفت إلى فقال لي يا غلام فقلت ليبيك يا رسول الله قال أهلك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ
 الله يحفظه ما أمك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت
 على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضرك بشئ
 لم يضرك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف وفي رواية واعلم أن الضرر مع
 الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وإن يغلب العسر يسرا وفي رواية فقد مضى
 القدر بما هو كائن فلو سجد الخلق ان ينفعوك بما يقضى لآل الله لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن

يضر ولو يعلم يكتب الله عليك ما قدروا عليه (وهو القاهر) أي القادر الذي لا يعجز شيء
مستعلياً (فرق عبادة) فهم مقهورون تحت قدرته وكل من قهر شيئاً فهو مستعل عليه بالقهر
والغلبة (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) يواطئهم كطواهرهم ويزل لما قالت خريش للنبي
صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك
من قومك (أي تشي) يني وبينكم (أكبر شهادة) تميز بحول عن المبتدأ (قل الله) أكبر
شهادة أن لم نقولوه لأجواب غيره ثم ابتدأ (شهادتي وبينكم) أي هو شهادتي وبينكم
ويحتمل أن يكون الله شهيداً للجواب لأنه تعالى إذا كان هو الشهيد كان أكبر شئ شهادة
(وأوحى إلى هذا القرآن لا تدركم) يا أهل مكة (به) أي القرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة وقوله تعالى (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين أي لا تدركم به يا أهل مكة ومن بلغه من
الأنس والجن إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تم للموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وأنه لا يؤخذ بهم من لم يبلغه قال مجاهد كعب القرطبي من بلغه القرآن فكان حماراً
النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى كسرى وقبصر وكل جبار يدعهم إلى الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
بلغوا عني ولو آية وحدوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من
النار وفي رواية تضر الله عبد اسمع مقالتي لحفظها ووعاها وأذاها قرب مبلغ أوعى من سامع
وفي رواية قريب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وقال مقاتل من بلغه
القرآن من الجن والأنس فهو نذير له وقوله تعالى (أنشكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
استفهام إنكارى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا آلهة غيري أنكم
أيها المشركون تشهدون أن مع آلهة أخرى وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها
(قل) لهم (لأشهد) بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أبجد ذلك وأنكره (قل إنما هو اله
واحد) لا شريك له وبذلك أشهد (وأنى يرى مما تشركون) معهم من الأصنام وفي الآية دليل على
إثبات التوحيد ونفى الشريك لأن كلمة إنما تنفي المحصر فنبت بذلك إيجاب التوحيد والتبري
من كل معبود سوى الله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل وهم علماء اليهود
والنصارى (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته (كإعترفون أبناءهم) من بين
الصبيان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال عمر رضي
الله تعالى عنه إن الله تعالى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة هذه الآية فكيف
هذا فقال عبد الله بن سلام قد عرفته حين رأيته كأعرف ابني ولأننا شئنا معرفته بمكة مد صلى الله
عليه وسلم من ابني فقال له عمر كيف ذلك فقال أشهد أنه ربه ولله حقا ولا أدري ما صنعت النساء
(الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) بل لما سبق لهم من
القضاء بالشقاء (ومن) أي لأحد (أظلم من اقترى على الله كذباً) كقولهم الملائكة نبات الله

واتخذ الله ودا (أو كذب بآياته) الاتي بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات (أنه) أي
 الشأن (لا يطلع الظالمون) أي لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل
 (و) أذكر (يوم نحشرهم جميعا) أي أهل الكتاب والمشركون وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم
 القيامة (ثم نقول) نوبحا (للذين أشركوا) أي عواشيا من دوتنا الها وعبدوه من الاصنام
 أو عزيرا أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء
 لله تعالى وأضافها إلى ضميرهم لتسميتهم لها بذلك وقوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) معناه كنتم
 تزعمونهم شركاء وانها تشفع لكم عند الله فحذف المفعولان (ثم لم تكن فتنتهم) أي معذرتهم
 (الآن قالوا) أي قولهم (والله بنا ما كنا مشركين) فبعض على أنفواهم وتشهد جوارحهم
 عليهم بالشرك وقرأ جزء والكسافي يكن بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص فتنهم بضم التاء والباقون بالنصب وقرأ جزء والكسافي
 ربنا نصب الباء على النداء أو المدح والباقون بالكسر قال الله تعالى (انظر) بالجمد
 (كيف كذبوا على أنفسهم) باعتذارهم الباطل وتبريرهم من الاصنام والشرك الذي
 كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم (وضل) أي
 غاب عنهم ما كانوا يفترون) أي يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك
 ككفي في ذلك اليوم (فان قيل) كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور
 وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (أجيب) بأن المتكذب ينطق بما ينفعه وبما
 لا ينفعه من غير تمييز بين ما حيرة ودعشة الا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ناظمون
 وقد آمنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا ليعرض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم (ومنهم
 من يستمع السيل) حين تلاوا القرآن روى انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
 وأبو جهل وأضراهم يستمعون القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والذي جعلها بينه وبين
 الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه فيقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم
 عن القرون الماضية وكان النضر كثيرا الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو
 سفيان اني لا أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلالا تنقر بشي من هذا فأمر الله تعالى
 ومنهم من يستمع اليك (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن) أي كراهة ان (يفقهوه)
 أي يفهموا القرآن (و) جعلنا (في آذانهم وقرا) أي صمما فلا يسمعونهم صامع قبول ووجه
 اسناد الفعل الى ذاته تعالى وهو قوله تعالى وجعلنا الدلالة على أنه أمر نابت فيهم لا يزول عنهم
 كأهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا ورق ومن
 يبننا وينك حجاب (وان يروا كل آية) أي معجزة من المعجزات الدالة على صدقك (لا يؤمنوا بها)
 فطرط غنادهم واستفهاما للتعليل فيهم (حتى اذا جاء أوليهم فادلوا) أي بلغ تكذيبهم الآيات
 الى انهم جاءوا ليجادلوا نك ونك وحتى هي التي تقع بعدها الجدل لاعمل لها والجلالة اذا
 وجوابها وهو (يقول الذين كفروا ان) أي ما (هذا الا ساطير) أي كاذيب (الاولين) أي

أحاديثهم من الامم الماضية واخبارهم وأقاصيصهم وما سطر وجمع في كتبوا والاساطير جمع
 أسطورة بالضم قال البخاري عن ابن عباس وهي الترهات (وهم يهنون) الناس (عنه) أي
 اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (ويثأون) أي يتباعدون عنه فلا يؤمنون به قال
 محمد بن الحنفية والسدي والفضال ترات في كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل في أبي طالب
 كان يهسي الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمتصون وينأى عن الايمان به أي يبعد
 حتى روى انه اجتمع له رؤس المشركين وقالوا اخذنا من أحسن أصحابنا وجهاً وادفع
 اليه بالجمد فقال أبو طالب ما أنصفوني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأرني ولدكم وروى انه صلى
 الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولا ان تعيرني قريش لأقررت بهما عينك ولكن أذب عنك
 ما حيت وروى انهم اجتمعوا الى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوا فقال
 والله ان يصلوا اليك يجتمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
 فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذلك وقرمته عيوننا
 ودعوتني وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أميننا
 وعرضت ديننا لامحالة انه * من خير أديان البرية ديننا
 لولا الملامة أوحذا رمية * لوجدتني سمعا بذلك مديننا

(وان) أي ما (يكون) بالنأي عنه (الأنفسهم) لأن ضرره عليهم (وما يشعرون) أن ضرره
 لا يتعداهم الى غيرهم وقوله تعالى (ولو ترى) يا محمد (أذوقوا) أي عرضوا (على النار)
 جوابه محذوف أي لو تراهم حين يقفون على النار فيعرفون مقدار عذابها رأيت أمر أشبهها
 (فقالوا) أي الكفار (يا) التنبيه (ليستأذروا) أي الى الدنيا (ولا تكذبوا) أي رشاؤكم تكون من
 المؤمنين) فتدرون أن ردوا الى الدنيا ولا يكذبوا آيات ربهم وقرأ حفص وحزرة بنصب الباء من
 يكذب على جواب التقى والباقيون بالرفع على الاستئناف وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة بفتح
 النون من تكون على جواب التقى والباقيون بالضم على العطف وقوله تعالى (بل يدلهم) أي
 ظهر لهم (ما كانوا يخفون من قبل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التقى والمعنى أنهم
 ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك خيرا لاعتزامهم على انهم لو ردوا
 لا آمنوا كما قال تعالى (ولو ردوا) الى الدنيا أي لو فرض ذلك بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما
 نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) في قولهم لو ردونا الى الدنيا لم تكذب بآيات
 ربنا وكتمان المؤمنين (وقالوا ان) أي ما (هي الاحياء الدنيا وما نحن بجمعين) كما كانوا
 يقولون قبل معارضة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لم يقوم
 كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحياء ساوكتي به دليلا على كذبهم (ولو ترى) يا محمد
 (أذوقوا) أي عرضوا (على ربهم) لأريت أمر أعظيما (قال) لهم على لسان الملائكة (ويضا
 اليس هذا) البعث والحساب (بالحق) وقوله تعالى (قالوا بلى وربنا) اقرارهم وكذب اليمين
 لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب) أي الذي كنتم به توهدون (عما كنتم

تكفرون) اى بسبب كفركم ووجودكم البعث (قد خسرو الذين كذبوا بآباء الله) اى بالبعث
 واستمر تكذيبهم (حتى اذا جاءتهم الساعة) اى القيامة (بغثة) اى فجأة ومميت القيامة ساعة
 لانها تقبأ الناس بغثة فى ساعة لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى وقيل لسرعة الحساب فيها لان
 حساب الخلاق يوم القيامة يكون فى ساعة واحدة وأقل من ذلك (قالوا يا حشرتنا) اى يادامتنا
 والحسرة التلهف على الشئ القاتل وشدته التالم ونداءها يحجازى هذا أو أنك فاحضرى (على ما
 قرطنا) اى قصرنا (فيها) اى الحياة الدنيا جى بعضيها وان لم يجز لها ذكر لكونها معلومة لانها
 موضع التفريط فى الاعمال الصالحة ويجوز أن يكون للساعة على معنى قصرنا فى شأنها
 والايان بها كما تقول قرطت فى فلان ومنه قرطت فى جنب الله وقوله تعالى (وهم يحملون
 أوزارهم) اى أثقالهم وأثامهم (على ظهورهم) غميل لاسهقة اثمهم أصارا لا تمام وقال السدى
 وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفنى
 فيقول لا فيقول أنا علمك الصالح فاركبنى فقد طال ما ركبك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر
 المتقين الى الرحمن وفداً اى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأتنته ريحاً فيقول هل
 تعرفنى فيقول لا فيقول أنا علمك الخبيث طال ما ركبك فى الدنيا واليوم أركبك فهو مة فى قوله
 تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الأساء) اى ينس (ما يزرون) اى ما يحملون حملهم
 ذلك وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا اى وما
 أعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقة وقيل معناه
 ان أمر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فأنما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة (وللدار
 الآخرة) اى الجنة واللام فيه لام القسم (خير) اى من الدنيا وأفضل لان الدنيا سريرة الزوال
 والانقطاع (للذين يتقون) اى الشرك وقيل للهو واللعب (أفلا يعقلون) اى ان الآخرة
 خير من الدنيا فيعملوا لها وقرأ ابن عامر ولداً يتخفيف الدال وجزا التام من الآخرة والباقون
 ولداً يرتشد يد الدال ورفع التام وقرأ نافع وابن عامر وحفص قتلون على الخطاب والباقون
 بالياء على الغيبة (قد) للتحقيق (نعلم انه) اى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) من التكذيب وقرأ
 نافع يضم الياء وكسر الزاى والباقون يفتح الياء وضم الزاى (فانهم لا يكذبونك) اى يقولهم
 ولكن يجحدون بألسنتهم أو أنهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق (ولكن
 الظالمين بايات الله يجحدون) اى يكذبون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا أنه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون قال السدى
 التقي الاخمس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الاخمس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن
 محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمداً
 لصادق ما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
 فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن علي بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه ان أباهم لقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان لا تركبك ولما كان كذب الذى جئت به فأنزلت

ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء لتضمن الجحود معنى
 التكذيب وقرأ نافع والكسائي يكذبونك بككون الكاف وتخفيف الذا من كذبه
 اذا وجده كاذباً ونسبه للكذب والباء قون بفتح الكاف وتشديد الذا من التكذيب وهو أن
 ينسبه الى الكذب وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذبه مطلقاً وانما هو من قولك لفلانك
 ما أهانوك ولكنهم أهانوني (فصبروا على ما كذبوا) أي على تكذيبهم لهم (وأوذوا) أي وصبروا
 على ايذاهم لهم (حتى اتاهم نصرنا) باهلاك من كذبهم فتأس بهم واصبر حتى يأتيك النصر
 باهلاك من كذبك وفي ذلك ايمان بعد النصر للصابرين (ولامبدل لكلمات الله) أي لمواعيد
 من قوله تعالى ولقد سبقت لكلنا العبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي من
 قصصهم وما كابدوا من قومهم مما يسكن به قلبك قبل من مزيدة وقيل لتبعه بعض ويدل لقوله
 تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (وإن كان كبر) أي عظم وشق
 (عليك اعراضهم) عنك وعن الايمان بما حثت به (فإن استطعت أن تنبئ) أي تطلب بجهدك
 وغاية طاقتك (تفقا) أي منفذا (في الارض) تنفذ فيه الى ما عسا لك تقدر الى الاتهاء اليه
 (أو سلفي السماء) أي جهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه (فتأتيهم بآية) أي مما اقترحوه
 عليك فافعل لتشهد انهم لم يزدادون عند آياتك من الاعراض كما أخبرناك الله تعالى
 شاء ضلال بعضهم والمقصود بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وأنه لو قدر
 أن يتكاثف النزول الى تحت الارض أو فوق السماء فبآياتهم بما يؤمنون به لفعل (ولو شاء الله)
 هدايتهم (لجمعهم على الهدى) أي لو فقههم له ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا واعتزلوا ولو شاء
 الله بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
 وجرى على هذا الزمخشري في كشافه والمعنى أن اسناد مشيئة الجمع الى الله تعالى ظاهر في أنه هو
 المهدي والمضل والمعتزل لما قالوا انه يفعل العبد احتاجوا الى التأويل (فلا تكون من
 الجاهلين) أي لا يستند تحمرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين
 الذين لا صبر لهم وانما هم عن هذه الحالة وغلط عليه الخطاب تبعمده عن هذه الحالة (انما
 يستجيب) دعاء الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى وألقي السمع
 وهو شهيد وهم المؤمنون الذين فتح الله تعالى لهم أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون
 له ويتبعونه دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (الموتى) أي الكفار لشبههم بهم في عدم
 السماع (يبعثهم الله) في الآخرة (ثم اليه يرجعون) أي يردون فيجازيهم بأعمالهم (وقالوا) أي
 رؤساء قريش (ولولا) أي هلا (نزل عليه آية) مما اقترحوا (من ربه) المحسن اليه كالناقة
 والعصا والمائدة وآية تضطرهم الى الايمان كنق الجبل أو آية ان يجدوها هلكوا (قل) لهم
 (إن الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان أو آية ان يجدوها هلكوا
 لا يجهز شئ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها

ولهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون وتشديد الزاي والمعنى واحد (ومامن دابة في الارض) أى تدب على وجهها
(ولاطائر يطير بجناحيه) في الهواء وهو بالتماين السماء والارض وهو المراد هنا وأما الهوى
بالقصر فهو الهوى النفس وليس مراداً وإنما قال بجناحيه مع أن الطيران لا يكون إلا بهما قطعاً لهاز
السرعة ونحوها كما تقول كتبت يدي ونظرت بعيني (الأمم أمثالكم) أى محفوظة أحوالها
مقدرة أرزاقها وأجالها قال العلماء جميع ما خلق الله تعالى لا يخرج عن هاتين الحالتين حتى ما
في الجحول لا سيرة في الماء ائمان يكون دينياً وطيراً ناجحاً وانما خص ما في الارض بالذكر
ما في السماء وإن كان ما في السماء مخلوقاً لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد
واختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقال مجاهد أصناف مصنفه تعرف بأسمائها مثل بنى آدم
يعرفون بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة
وقال ابن قتيبة أعم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوفى المماليك وقال عطاء أمثالكم في
التوحيد والعرفة وقيل غير ذلك والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية (ما قرطنا) أى ما تركنا أو ما أغفلنا
(في الكتاب) أى اللوح المحفوظ (من شيء) فلم نكتبه فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من
الخليل والذوق ولم يمل فيه أمر حيوان وقيل المراد بالكتاب القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج
اليه من أمر الدين مفصلاً ومجملًا ومن مزيدة وثى في موضع المصدر لا المفعول به فإن قرط
لا يتعدى بنفسه وقد عدى بى الى الكتاب (ثم الى ربه يحشرون) قال ابن عباس والضحاك
حشرها موتها وقال أبوهريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة الدواب والطير وكل شيء
فيأخذ للجهنم من القرناء ثم يقول كوفى تراباً فينذى تنى الكافر ويقول يا ليتنى كنت تراباً
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد
للسادة الجاهل من القرناء (والذين كذبوا بآياتنا) أى القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول
(وبكم) عن النطق بالحق (في الظلمات) أى في ضلالات الكفر (من يشأ الله) اضلاله (يضلله
ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) هو دين الاسلام وهو دليل واضح لاهل السنة
على المعتزلة في قولهم انهم مامن العبد كما مر (قل) يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى (أرايتكم)
استفهام تعجب والكاف حرف خطاب أى أخبرونى (ان أناكم عذاب الله) أى في الدنيا كما أنى
من قبلكم من الفرق أو الخلف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أمتكم
الساعة) أى القيامة المشتقة على العذاب (أغير الله دعون) فى كشف العذاب عنكم
(ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجواب الاستفهام محذوف أى فادعوه وهو تنكبتم لهم
(بل اياه تدعون) أى تخصونه بال دعاء كما حكي الله تعالى ذلك عنهم فى موضع كما فى قوله تعالى واذا
مس الانسان الضر دعا نا جنته أو فاعداً وقائماً الآية (فيكشف ما تدعون اليه) أى ما تدعون
الى كشفه (ان شاء) كشفه فى الدنيا فنفض لا عليكم كما هو عادته معكم فى وقت شدائدكم ولكم

لا يشاء كشفه في الآخرة لانه لا يبدل القول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء (وتسبون) اي
 تتركون في تلك الاوقات دائما (مانشركون) معهم من الاصنام فلا تدعونهم العلمكم انهم الانصر
 ولا تنفع (ولقد ارسلنا) رسلا (الى امم من قبلك) أي قبلك ومن مزيدة فكذبوهم
 (فاخذناهم بالبايساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي الامراض والابجاع وهم اصنافا ثايب
 لا مذكر لهم (العلمهم ينصرعون) أي يتدللون ويتوبون عن ذنوبهم فيؤمنون (فلولا) أي فهلا
 (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا (قصرعوا) أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست
 قلوبهم) فلم نلن للايمان (وزين لهم الشيطان) أي بما أدخل عليهم من باب الشهوات (ما كانوا
 يعقلون) من المعاصي فأصرروا عليها (فلانسوا) أي تركوا (ما ذكروا) أي وعظوا واثقوا
 (به) وانما كان القسيان بمعنى التلذذ التارك للشيء معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي
 (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) أي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلفة عنهم فنقلناهم
 من الشدة الى الرخاء استدرأ جالهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف (حقا اذا
 فرحوا بما آتوا) أي فرح بطار (أخذناهم) بالعذاب (بغثة) أي جفأة (فاذا هم مبلسون) أي
 مستحسرون آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بأن استوفوا
 (والحمد لله رب العالمين) أي على نصر الرسل واهلاك الكافرين والعصاة فان اهلكهم من حيث
 انه تخليص لاهل الارض من شوم عقابهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمدهم عليها (قل) أي
 لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان أخذ الله سمعكم) أي أصمكم (وأبصاركم) أي أعماكم
 (وختم) أي طبع (على قلوبكم) أي بأن يغطي عليها ما يزل به عقابكم وفهمكم فلا تعرفون شيئا
 (من أمر الله بأحكامكم) أي بذلك أو بما أخذ منكم وختم عليه لان الضمير في به يعود على
 معنى الفعل أو بما أخذ هذه المذكورات ويجوز أن يعود الى السمع الذي ذكره أو لا يندرج
 غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه قالها راجعة الى الله تعالى ورضاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يندرج في رضا الله تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
 فيه غيره أي انظر يا محمد (كيف نصرف) أي نين لهم الآيات أي العلامات الدالة على التوحيد
 والنبوة ونكرها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
 بالتبسيه والتذكير بأحوال المنتقمين (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عنهم فلا يؤمنون (قل)
 لهم (أرايتم) أي أخبروني (لن آتاكم عذاب الله بغثة) أي جفأة (أو جهرة) أي معانية تروى
 عند نزوله وقال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا (هل يهلك) أي ما يهلك به هلاك سحق وتعذيب
 (الاقوم الظالمون) أي المنتمون لآلهم ظلموا أنفسهم بالشرك (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومذبرين) من كفر بالنار أي ليس في ارسالهم أن يأثروا الناس
 بما يقتربون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والنذارة (فن آمن) أي هم (وأصلح) أي
 عملهم (فلا تخوف عليهم) أي من العذاب (ولا هم يحزنون) في الآخرة بفوات الثواب (والذين
 كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب) أي يصيبهم (بما كانوا يفتشون) أي بسبب خروجهم عن

الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى خزانة الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمره الله
 تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونبيرا ولا أقول لكم عندى خزانة الله جمع خزانة وهى اسم
 للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ اسرازه بحيث لاتناله الايدى خزانة رزقه أو مقدوره
 فاعطىكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله
 فاطلب منه أن يوسع علينا ويغنى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيدى (ولا) أقول لكم انى (أعلم
 الغيب) أى فأخبركم بما مضى وما هوآت وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بما لنا ومضانا فى المستقبل
 حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بذلك (ولا أقول
 لكم انى ملك) وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج
 النساء فأجابهم بذلك لأن الملك لا يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدونه أى
 لا أقول لكم شيئا من ذلك فتسكرون ويتجددون (فان قيل) قد يستدل به ذاعلى أن الملائكة
 أفضل من الانبياء لأن معنى الكلام لا دعى منزلة أقوى من منزلى ولولا أن الملائكة أفضل لم
 يصح ذلك (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تواضعا لله تعالى واعترافا بالعبودية
 حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى فى المسيح وبأن المراد بما قاله نبي قدرته عن أفعال
 لا يقوى عليها الا الملائكة وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الانبياء (ان أتبع الاما يوحى الى)
 تبرا صلى الله عليه وسلم من دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة مع الرسالة التى هى أعلى
 بحالات البشرية الاستبعادهم دعواهم وجزمهم على فساد مدعاه وظاهر هذا لا يقبل على أنه
 صلى الله عليه وسلم لما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامر الله ونواهيه انما كانت
 يوحى ولكن المرجح أنه يجتهد (قل) لهم (هل يستوى الاعمى والبصير) أى هل يكونون سوا من
 ضغير ميزبه فان قالوا نعم كبروا الحس وإن قالوا لا قيل فى تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير
 ومن أعرض فهو الاعمى وقيل المراد بالاول الكافر والثانى المؤمن وقيل الضال والمهتدى
 وقيل الجاهل والعالم (أفلا تذكرون) فى أنهم لا يستويان فتؤمنوا (وأندر) أى خوف
 اذا انذار اعلام مع تخويف (به) أى القرآن وقوله تعالى (الذين يخافون أن يحشروا الى
 ربهم) اما قوم داخلون فى الاسلام ومقررون بالبعث الا أنهم مفرطون فى العمل واما أهل
 الكتاب لانهم مقررون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا
 بهديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجح أن ينصع فيهم الانذار دون المتتردين منهم
 وقوله تعالى (ليس لهم من دونه) أى خبر الله تعالى (ولى) أى ينصهرهم (ولاشيخ) أى بشفع
 لهم من حال من ضغير يحشرون بمعنى يضافون أن يحشروا وغير منصورين ولا مشغوعا لهم ولا بد
 من هذه الحلال لأن كلامهم محشور فان الخوف هو الحشر على هذه الحالة (فان قيل) اذا فسر
 ما ذكر بالموثنيين كان مشكلا لانه قد ثبت بصريح النقل شفاعته صلى الله عليه وسلم للمذنبين
 من أمته وكذلك شفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض (أجيب) بأن الشفاعة
 لاتمكن الا بالذن الله تعالى كما حال منذ الذى يشفع عنده الا بانه واذا كانت الشفاعة لاتمكن

الا باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى يؤذن لهم بالسب فاعة فاذا اذن فيها
 كان للمؤمنين ولي وشفيع (عليهم يتقون) الله باقلاهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعد ما امر الله تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام بانذار غير
 المتقين لينتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روى أن رؤساءهم قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبيد يعنون الفقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
 وخباب وسلمان واضرابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثنا فقال عليه
 الصلاة والسلام ما نابطار المؤمن فقالوا فاقهم عنا اذا اجئنا فاذا اقمنا فاقعدهم معك ان شئت
 قال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون
 قالوا فاكذب بذلك كذابا فدعا بالصحيفة وبعل رضى الله تعالى عنه فنزلت فرعى بالصحيفة واعتذر
 عمر رضى الله تعالى عنه من مقاله قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بقدم معنا ونودمنه حتى عس ركبتنا ركبته فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزل واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى
 أمرنى ان أصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وقال الكلبى قالوا له
 اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا فعل قالوا فاجعل واحدا واقبل علينا ولهم ظهر ك فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم معبد لبايعنا محمدا فانزل الله تعالى
 هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى
 عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وذلك أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال ناس من الاشراف اذا صلينا فآخر هؤلاء فليصلوا اخلفنا فنزلت هذه الآية وقوله تعالى
 (يريدون وجهه) حال من يدعون أى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيهها
 على انه ملاك الامر (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ليس
 عليك حساب في اختبار باطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير
 مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يمتد اهم اليك كما أن حسابك
 لا يمتدك اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى (فان قيل) هلا اكتفى بقوله ما عليك من
 حسابهم من شئ وعن وما من حسابك عليهم من شئ (أجيب) بأن الجملتين جعلتا بمنزلة جملة واحدة
 وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يفيد هذا المعنى
 الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تأواخذنا أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين
 والمعنى لا تأواخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهلك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
 فيه وقوله تعالى (فقطردهم) أى قنعهدهم جواب النفي وقوله تعالى (فتكفون من الظالمين)
 جواب النهى وهو ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة واحة الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بهذه الآية فقلوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه
 لاجل أشراف قريش عاتبه الله تعالى به على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك قدح في العصمة وقوله

تعالى فطردهم فتكون من المظالمين (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم به لاجل استخفاف بهم وإنما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهم ولا الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعله الله تعالى أن تقرب هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فطردهم منه وأدناهم والظلم في اللغة وضع الشيء في غير محله أى فلاتهم بطردهم عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الفضل والاولى لامن باب ترك الواجبات (وكذلك قلنا) أى ابتلينا (بعضهم ببعض) أى الشريف بالوضيع والغنى بالفقر بأن قدمناه بالسبق للايمان (ليقولوا) أى الشرفاء والاغنياء (أهؤلاء) الفقراء (من الله عليهم من بيننا) بالهداية أى لو كان ما هم عليه هدى ماسبقونا اليه ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء قال الله تعالى (أليس الله باعلم بالشاكرين) أى بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وعن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) وقوله تعالى (قل) لهم (سلام عليكم) امان أن يكون أمرا يتبليغ سلام الله تعالى اليهم واما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطيبيا لقلوبهم (كتب) أى قضى (ربكم على نفسه الرحمة) روى أنهم انزلت في الذين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم فوصفهم الله تعالى بالايان بالقرآن واتباع الحجة بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويشهرهم بسعة رحمة وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بأنهم الجاهلون لفضلي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطردهم ويعز ولا يذل ويشمر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقال عطاء نزلت في الخلفاء الاربع وجماعة من الصحابة وقيل الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل للمجاهدين الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت وقال ما أردت الا الخير فنزلت وقيل ان قوماجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا صنادقو باعظاما فليرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوءا) أى سوء كان ملتبسا (بجهالة) أى عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما انه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدى الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفسه والجهل لأن من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنهم قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تكن جاهلا

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفية وقيل انها نزلت في عروضى الله تعالى عنه حين أشار باجابه الكفرة الى مأساؤه ولم يعلم أنها مفسدة وقرانافع وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة على انه بدل من الرحمة والباقون بالكسر على انه ضمير الشأن (ثم تاب) أى رجع (من بعده) أى من بعد ارتكابه ذلك السوء (وأصلح) عمله (فانه) أى الله (غفور له) (رحيم) به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير أن الغفورة والباقون بالكسر (وكذلك) أى ومثل ذلك التفصيل الواضح وهو تفصيل أحوال الطوائف الاربع الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من في آية والذين كذبوا بآياتنا والثانية

المرجو واسلامهم وهم من في آية وأندريه الذين يحافون أن يحشروا الى ربهم والسائلة
 المطيعون وهم من في آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والرابعة اذا دخلون
 في الاسلام ~~لكنهم~~ لا يحفظون حدوده وهم من في آية واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
 (فصل الآيات) أي نين آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والآخرين
 (ولتستبين سبيل) أي طريق (المجرمين) قرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بالياء بعد اللام على
 التذكير أي وليظهر وينضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار والباقون بالتاء
 على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وليظهر لك الحق بالحمد وتبين لك سبيلهم فتعامل
 كلامهم بما يحق له وقرأ نافع سبيل ينصب اللام والباقون بالرفع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
 (التي نهيت أن أعبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الاصنام التي يعبدونها
 أو ما تدعونها آلهة أي تسبونها لان الجادات أخس من ان تدعى وقوله تعالى (قل لا أتبع
 أهواءكم) تأكيذا لقطع أطعاهم وبأن لم يدا ضلالتهم وأن ما هم عليه هوى وليس يهدي (قد
 ضللت اذا) أي ان اتبع أهواءكم فأنا ضال (وما أنا من المهتدين) أي وما أنا من المهتدين في شيء
 أي لانكم كذلك (قل اني على بينة) أي بيان (من ربي) أي معرفة وانه لا معبود سواه (و) قد
 (كذبت به) أي برى حيث أشركتم به غيره (ما عذنى ما تستعجلون به) أي العذاب الذي
 استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان) أي ما (الحكم) في ذلك وغيره
 (الآلهة) فهو فصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب متى شاء (بقص الحق) قرأ نافع وابن
 كثير وعاصم بضم القاف وصاد مهمل مشددة مع الرفع ومعناه يقول الحولان كل ما أخبر به فهو
 حق والباقون بسكون القاف وضاد مجبة مخففة مع الكسر أي انه تعالى يقضى القضاء الحق
 (وهو خير الفاصلين) أي الحاكمين (قل) لهم (لو أن عذنى) أي في قدرتي وممكنتي
 (ما تستعجلون به) أي من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) أي لاتفصل ما بيني وبينكم بأن
 أهللكم عاجلا بما تستعجلون به من العذاب غضبا لى ولكنه عند الله تعالى (والله أعلم
 بالظالمين) أي ما تستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه (وعنده) سبحانه وتعالى
 (مفاتيح الغيب) أي خزائنه جمع مفتاح يفتح الميم وهو الخزن أو ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
 من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح بالكسر وهو المفتاح (لا يعلم الا هو) وهي الخمسة التي في قوله ان
 الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم
 فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلق به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل
 وقوعها (ويعلم ما) يحدث (فى البر والبحر) قدم البر لان الانسان أكثر ملائسة له بما فيه من
 القرى والمدن والمقاو وزوال الجبال والحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك وأخر البحر لان احاطة
 العقل بأحواله أقل وقال مجاهد البر المقاو وزوال القفار والبحر القرى والامصار التي على الانهار
 وقوله تعالى (وما نسقطن ورقه) أي ورقه من يد (الا يعلمها) مباغلة في احاطة علمه تعالى
 بالجزئيات وقوله تعالى (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقه

واختلف في الحبة فقيل هي من هذا الحب المعروف تكون في بطن الارض قبل ان تنبت وقيل هي الحبة التي تنبت في العذرة التي في أسفل الارض واختلف في معنى الرطب واليابس فقال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الخى وباليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة (فان قيل) جميع هذه الاشياء داخلة تحت قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو قل افرد هذه الاشياء بالذكر (أجيب) بأنه تعالى ذكرها أولا مجمله ثم فصل بعضها من ذلك الاجمال ليدل بها على غيرها وقوله تعالى (الافى كانه مبین) فيه قولان أحدهما انه علم الله الذي لا يغير ولا يدل والثاني انه اللوح المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض فهو على الاول بدل من الاستثناء الاول بدل الكل وعلى الثاني بدل الاشتمال (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أى يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالتهار ثم يبعثكم) أى يوقظكم برزأرواحكم (فيه) أى النهار (فان قيل) لم يخص الليل بالنوم والنهار بالكسب مع ان ذلك يقع في غير هذا (أجيب) بأن ذلك جرى على الغالب (ليقبضى أجل مسمى) أى ليبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت والبعث (ثم نبشكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) لان من قهر شيئا وقلبه فهو مستعل عليه اما قهره للمعدوم فبالتمسك وبن والابجاد واما قهره للموجود فبالافناء والافساد ينقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم أخرى ويقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات وصنوف المكائ (ويرسل عليكم) من ملائكته (حفظة) أى تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتون وعن أبي حاتم السخني في أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء تلقظه من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة ~~تكتب~~ لفظ النقطة فقال أبو حاتم وهذا أينما يكتب (فان قيل) الله تعالى غنى عن كتابة الملائكة فما فائدة (أجيب) بأن فم الأطفال للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة موكون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الشهداء في مواقف القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (وهم لا يعرفون) أى لا يعصرون فيما يؤمرون وقيل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي الموت كالماندة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت عليه الارواح بدعوها فتستغيب له (فان قيل) قال الله تعالى في آية أخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وفي أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هاتوفته رسلنا فكيف الجمع (أجيب) بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقة وتولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات وقال

مجاهد ما من أهل بيت شعر ولا مدرا لا وملك الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقرأ أجزءة بعد
 فاهنوقته بألف عمالة على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وسكن السين من رسلنا أبو عمرو
 ورفعهما الباقيون (ثم ردوا) أي الخلق (إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه (مولاهم) أي سيدهم
 ومدير أمورهم كلها (الحق) أي الثابت والولاية وكل ولاية غير ولايته تعالى عدم (الاله الحكم)
 أي القضاء النافذ فيهم فلا حكم عليه (وهو أسرع الخاسين) يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف
 نهار من أيام الدنيا الحديث بذلك لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد فيحاسب خلقه بنفسه
 لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (قل) يا محمد لا هل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)
 أي من الخسف في البر والغرق في البحر أو من شدة أذهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتها في
 الهول وبطلان الابصار ف قيل لليوم الشديد يوم مظلم ولغيره يوم ذوكوا كب وقيل جملة على
 الحقيقة أولى وظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف
 الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
 السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من
 الوقوع في المهالك والقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع
 الانسان فيها الا الى الله تعالى لأنه هو القادر على كشف الكرب وإزالة الشدائد وهو المراد من
 قوله (تدعونه نضرعا) أي علانية (وخفية) أي سرا أو قوله تعالى (لئن) اللام لام القسم
 على ارادة القول أي يقولون والله لئن (أنجيتنا من هذه) أي الظلمات والشدائد (لنكونن من
 الشاكرين) لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها لمن أنعم بها أي
 فكون من المؤمنين وقرأ عاصم وحزرة الكسائي أنجنا بجذف التاء وألف بعد الجيم بدل الباء
 لبوا فن قوله تعالى تدعونه وأما الهاجزة والكسائي والباقيون بالتاء بعد الباء (قل الله ينجيكم
 منها ومن كل كرب) أي غم سوى ذلك (ثم أنتم تشركون) أي تعودون إلى شركه الأصنام معه التي
 لا تنفع ولا تنفع ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيه على ان من
 أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبد (قل) لهم (هو القادر على أن يعث) في كل وقت يريد
 (عليكم) في كل حالة (عذابا من فوقكم) بإرسال الصيحة والحجارة والريح والطوفان كالفعل يقوم
 نوح وعاد وقرود وقوم لوط وأصحاب القبل (أو من تحت أرجلكم) بالفرق أو الخسف كالفعل
 بفرعون وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة أو من تحت
 أرجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم أي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي
 من أسفل منكم (أو يلبسكم) أي يخلطكم (شيعا) أي فرقا وينش فكم الأحوال المختلفة بقتل
 بعضهم بعضا روى لما زلت هذه الآية قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم قال
 صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك ومن تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا (ويذيق
 بعضكم بأم بعض) أي بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو أيسر وفي رواية
 أنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي طويلا أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وأساءته أن لا يهلك

أتمنى بالسنيين فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعنيما وفي رواية أن صلى الله عليه وسلم
سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ومنعته واحدة سأل أن لا يسلم على أمته عدوا من غيرهم يظهر
عليهم فأعطاه ذلك وسأل أن لا يهلكهم بالسنيين فأعطاه ذلك وسأل أن لا يجعل بأس بعضهم على
بعض فتعني ذلك (انظر) يا محمد (كيف نصرف) أي نين لهم (الآيات) الدالة على قدرتنا
(لعلهم يفقهون) أي يعلمون أن ما هم عليه باطل فيرجعوا عنه (وكذب به) أي القرآن أو
العذاب (فومل) أي الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمر الله ويسروا بساكنة فإن القبيلة
إذا ساد أحدهم عزت به فإن عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما إذا كان من بيت الشرف ومعدن
السيادة وإذا سفل أحدها اهتت به غاية الاختتام وستر عيوبه مما أمكنها فإن عاره لاحق
لرافه ومن عظيم التوبيخ لهم ودق التقرير لهم وزاد ذلك بقوله (وهو) أي والحال أنه (الحق)
أي الثابت الذي لا يضره التكذيب به ولا يمكن نفيه (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) أي حفظ
وكل إلى أموركم فأجازيكم أو أضلهم من التكذيب إنما أنا نذير والله الحفيظ (لكل نبي) أي
خبر آخركم به من هذه الأخبار (مستقر) أي وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف
تعلمون) صحة ذلك عند وقوعه أما في الدنيا وأما في الآخرة وفي ذلك تهديد لهم (وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا) أي القرآن بالاستهزاء والتكذيب (فاعرض عنهم) أي فاتركهم ولا
تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يكون خوضهم في غير الآيات والاستهزاء بها
وذكر الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون
أردع وألغيه أي وإذا رأيت أيها الإنسان (وإنما فيه ادغمان) أن النمرطية في ما الزيادة
(ينسبك الشيطان) أي ففعلت معهم ثم نذرت (فلا تقعد بعد الذكري) أي التذكير لهذا النبي
(مع القوم الظالمين) أظهرهم وضع الاختصار فقه ما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض
وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم لكما تقوموا بالقرآن لم نستطع أن نجلس بالسجدة ونطوف
فنزول (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) أي الخائفين (من شيء) أي شيء مما يحاسبون
عليه إذا جالسوهم من مزيد لنا كبد (ولكن) عليهم (ذكرى) أي تذكرة لهم ووعظ وتغنيهم من
الخوض وغيره من القبائح ويظهر أكرامهم وقال سعيد بن جبير ومقاتل هذه الآية منسوخة
بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله
الآية وذهب الجهور إلى أنها محكمة لا نسخ فيها لأنها خير والخبر لا بدخلة النسخ ولأنه إنما أباح
لهم القعود معهم بشرط التذكرة والموعظة (لعلهم يتقون) الخوض في الآيات (وذرا الذين
اتخذوا دينهم) أي الذي كافوه (لعبا ولهو) باستهزائهم به (وغرتهم الحياة الدنيا) أي خدعتهم
وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق أي فاتركهم ولا تنال بسكذبتهم واستهزائهم
وهذا يقتضي الاعراض عنهم وهو قبل الأمر بالقتال ثم نسخ ذلك الاعراض بالآية السيف
(وذكر) أي وعظ (به) أي القرآن الناس (أن) أي كراهة (أن) (تسل نفس) أي تسل إلى الهلاك
(بما كسبت) أي بسبب ما عملت وأصل الإبدال والبسل المنع ومنه أمد بابل لأن قريسته

قوله منسوخة بالآية
الح: كذا في النسخ
ولينظر ٥١

لا تغفل منه واليبادل الشجاع لامتقاعه من قرنه وهذا بسبب عليك أى حرام ليس لها من دون
 الله أى غيره (ولى) أى ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وأن تعدل) أى تلك النفس لاجل
 التوصل الى الفكاك (كل عدل) أى وان تفسد كل فداء والعدل القديس لانها تعادل المقدى
 (لا يؤخذ منها) ما تغدى به (أولئك) أى الذين عملوا هذه الاعمال البعيدة عن الخير (الذين
 أبسلوا) أى سلوا الى العذاب (بما كسبوا) أى بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائفة
 (لهم شراب من حميم) أى ماء هو فى غاية الحرارة (و) لهم (عذاب أليم) أى مؤلم (بما) أى بسبب
 ما كانوا يكفرون) أى هم بين ما يغفل يتجرى فى بطونهم وناشره فى أبدانهم بسبب كفرهم
 (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائهم (أندعو) أى نعبد (من دون الله)
 أى غيره (ما لا يتقنا) أى بعبادته (ولا يضرنا) أى بتركها وهم الاصنام (وزد على أعقابنا)
 أى نرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) تعالى الى التوحيد ودين الاسلام (كاذبي استهوت)
 أى أضلهم (الشياطين فى الارض) حالة كونه (حيران) ناهضالا لايه تدى لوجه ولا يدري
 كيف يسلك وقرأه بعد الوافى استهوت بأف محالة على التدكير والباطون بالناء على
 التأنيث ورقق ورش راحيان بخلاف عنه (له) أى المستهوى (أحجاب) أى رفة (يدعونه
 الى الهدى) أى الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر يقولون له (اثننا)
 فلا يحجبهم فيه لك والاستغهام للانكار وجه التشبيه للعالم من ضمه رزق وهذا مثل ضربه الله
 تعالى لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ومن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى
 يضر وينفع يقول مثلهم كما كمثل رجل فى رفته ضل به الغيلان والشياطين عن الطريق
 المستقيم فجعل أحجابه من أهل رفته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل
 الغيلان يدعونه اليهم فبقى حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب
 أصحابه اهتدى وسلم (قل) لهم (إن هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه
 ضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) أى بأن نخلص العبادة له لانه المستحق للعبادة لا غيره
 وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلاة واتقوا) عطف على لنسلم أى للاسلام ولا إقامة الصلاة لأن
 فيه ما يقرب الى الله وروى أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه الى عبادة الأوثان فنزلت (فان
 قيل) اذا كان هذا واردا فى شأن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكيف قبل الرسول صلى الله
 عليه وسلم قل أندعو (أجيب) بأن ذلك اظهار للاتحاد الذى كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين
 المؤمنين خصوصاً الصديق رضى الله تعالى عنه (وهو الذى اليه) الى أى غيره بعد بعثكم من
 الموت (نحشرون) يوم القيامة فيجزى بكم بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والارض)
 على عظمهما (بالحق) أى بسبب إقامة الحق وقيل خلقهما بكلامه الحق الذى هو قوله
 تعالى كن وهو دل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق بمخلوق (و) اذكر
 (يوم يقول) الله للخلق (كن فيكون) أى فهو يكون وهو يوم القيامة يقول بمخلوق قوما
 أحياء (قوله) تعالى (الحق) أى الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) أى

نة الثانية من اسرافيل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر سبحانه وتعالى عن ملكه يومئذ
 كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ فان كان
 الملك من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم فاعتزوا أن
 الله الواحد القهار وأنه لا منازع له تعالى فيه وعلموا أن الذي كانوا يدعونونه من الملك في
 ما غرو وباطل * (تنبيه) * اختلفت العلماء في الصور المذكورة في الآية فقال قوم هو قرن
 فيه وهو لغة أهل اليمن وقال مجاهد الصور قرن كهية البوق ويدل على صحة هذا القول
 رى أن أعرايا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروى أنه
 الله عليه وسلم قال كيف أنتم وقد اتقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واضنى سمعه
 وأن يومر فينفخ فكان ذلك نقل على الصحابة فقالوا احك كيف نعمل يا رسول الله أو كيف
 قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقال أبو عبيدة الصور جع صورة
 نفخ فيها احياؤها والاول أصح لما مر في الحديث ولا جماع أهل السنة أن المراد بالصور هو
 بن الذي ينفخ فيه اسرافيل فتعطين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب
 هادة) أى ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه تعالى شئ (وهو الحكيم) أى في جميع أفعاله
 بر خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها بكل ما يعملونه من خير أو شر (واذ قال ابراهيم
 آزر) اختلف العلماء في لفظة آزر فقال مجاهد آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارح ضبطه
 بهم بالخاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن آزر
 في التوراة تارح فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل
 ن لرجل واحد فيقول أن يكون اسمه آزر وتارح لقب له وبالعكس فالتسماء آزر
 كان عند النساين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أب ابراهيم من كوثي
 قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم
 وانما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شياً أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماً له
 لقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم وقيل معناه واذا قال ابراهيم لبيه يا عابد آزر فخذف
 ف وأقيم المضاف اليه مقامه والاول أصح لأن آزر اسم أبي ابراهيم لأن الله تعالى سماه به
 ج البخاري في افراده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
 ز يوم القيامة على وجهه أى آزر قرة وغبرة الحديث سماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر
 ولم يقل أباه تارح كما نقل عن النساين والمؤرخين فثبت بهذا أن اسمه الاصلى آزر ولا تارح
 كان أهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون الهة النجوم في السماء والاصنام
 رض فيجعلون لكل نجم صنما فاذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم
 مع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم منكر عليهم منبها لهم على ظهور فساد ما هو من تكببه
 (ذ) أى أنكلف نفسك إلى خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى بان تجعل (أصناماً للهة)
 بسدها وتضع لها ولا تنفع فيها ولا ضرر (إني أراهم قوم من) أى في اتفاقكم على هذا

(في ضلال) أي بعد عن الصراط المستقيم (مبين) أي ظاهر جذاً يديه العقل مع مخالفته
 لكل نبي تنباه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الياء
 والباقون بالسكون (وكذلك) أي ومن هذا التبصير العظيم الشأن (تري إبراهيم) أي تبصر
 وهي حكاية حال ماضية (ملكوت السموات والأرض) أي عجائبها وابدانهم وملكوتهم وأعظم
 الملك والتأني فيه للمبالغة كالأربوب والرجوت من الرغبة والرهبة والرجة وقال
 ابن عباس خلق السموات والأرض وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة يعني آيات السموات والأرض
 وذلك أنه أقيم على حفرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكروبي ومافي السموات
 من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا معناه أريناه
 مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظراً أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب
 وروى عن سلمان وزعمه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض
 أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك
 وتعالى يا إبراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فأمنأ ما من عبدى على ثلاث
 خلال أماناً يتوب إلى فأتوب عليه وأماناً أخرجه منه نسمة تعبدني وأماناً يبعث إلى فإن
 شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته وفي رواية فإن تولى فإن جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت
 السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وقيل إن
 هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك إلا بالعقل فأريناه ذلك ليستدل به
 على توحيدنا (وليكون من المؤمنين) واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال
 الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا يفتأ عن شبهة فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سبباً
 لحصول اليقين والطمانينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من
 المؤمنين حتى له الأمر سره وعلايقه فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلق فلما جعل يلعن أصحاب
 الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرقه الله تعالى كما كان قبل ذلك (فلما جن عليه
 الليل) أي دخل فيه (رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل) أي غاب (قال لأحب الأولين) وذلك
 أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان النمرود أول من وضع التاج على
 رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومضجون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام
 يغرب دين أهل الأرض ويكون هلاكاً وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
 في كتب الانبياء وقال السدي ان النمرود رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوئ الشمس
 والقمر حتى لم يبق لهم ما ضؤ ففزع من ذلك فزعاشيداً ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا
 هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكاً وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه
 فأمر بدمج كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل
 عشرة رجل امرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا
 طهرت حبلى بينهم فارجع آثر فوجد امرأته قد طهرت فواقعها فحملت بآرامهم قال محمد بن

اسحق بعث غمروا الى كل امرأه حبلى بقربه يحبسها عنده الاما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم
 يجعلها لانها كانت صغيرة لم يعرف الحبل يطنها وقال السدي خرج غمروا بالرجال الى العسكر
 ونهاهم عن النساء خوفا من ذلك ثم بدت له حاجة الى المدينة ولم يأمن عليها أحد من قومه
 الا آزر فبعث اليه وأقسم عليه أن لا يذنومن أهله فقال آزر أنا نأشع على ديني من ذلك فأوصاه
 بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت على أهلي فنظرت اليهم فلما نظرت الى أم
 ابراهيم لم تتألم حتى واقعتها فحملت بابراهيم قال ابن عباس لما جلت أم ابراهيم به قال الكهات
 لغمروا ان الغلام الذي أخبرناك عنه قد جعلته أمة الليلة فأمر غمروا بذيخ الغلمان قال محمد بن اسحق
 لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت اسلا الى مغارة وكانت قرية منها فولدت فيها ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها
 وكانت تحتل اليه فتظن ما فعل فتجده يص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا
 ومن اصبع عرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها
 فقالت ولدت غلاما مات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة
 فلم يمكث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لاته اخرجني فأخرجته عشاء فنظروا
 ونفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي
 اله غيره ثم نظروا في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل
 قال لأحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) أي مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي) فأتبعه بصره
 (فلما أفل قال ان لم يذني ربي لا كون من القوم الضالين) وقيل انه كان في السرب سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قال بعض أهل التفسير فلما شب ابراهيم وهو
 في السرب قال لاته من ربي قالت أنا قال فن ربي قالت ابوك قال فن ربي أبي قالت اسكت
 فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت الغلام الذي كان تحدث أنه يغرب دين أهل الارض فانه ابنك
 ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه فقال له ابراهيم يا أبتاه من ربي قال أنتك قال فن ربي أبي قال أنا
 قال فن ربي قال غمروا قال فن ربي غمروا طمعه وقال اسكت فلما أخرج من السرب وجن عليه
 الليل رأى المشتري قد طاع وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر القمر فيها فرأى
 الكوكب فقال ذلك وهـل ذلك جاري ظاهره أم مؤول جري بعضهم على الاول وقال كان
 ابراهيم مسترشدا بالبال والتوحيد حتى وفقه الله تعالى فلم يضره ذلك وأيضا كان ذلك في طفوليته
 قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا ولا صم الشافي اذ لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه
 وقت من الاوقات الا وهـل الله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه يرى ثم قال في تأويله
 أوجه أحدها وهو الاصح ان ابراهيم ذكر ذلك على وجه الاحتجاج عليهم بقوله هذا ربي أي في
 زعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال تعالى ذاك أنت العزير الكريم أي عند نفسك
 وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك أي في زعمك فلما أفل قال لأحب الآفلين
 فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاج يقتضي الامكان والحدوث وينافي الألوهية فلم

ينصبح فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغاً قال لهم هذا ربي فلما أقبل أي غاب قال اتن لم يمدني ربي أي
يشبني على الهدى لانه لم يكن مهتدياً والانبيا لم يزلوا يسألون الله تعالى الثبات على الايمان
وكان ابراهيم عليه السلام يقول واجنبي وبني أن تعبد الاصنام (فلما رأى الشمس بازغة) أي
عند طلوع النهار (قال لهم) هذا ربي هذا أكبر (أي من الكواكب والقمر ولم يقل هذه مع
أن الشمس مؤنثة لانه أراد هذا الطالع أو رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه أضواء من
النجم والقمر وأذكره لتذكيره خبره) فلما أفلت أي غربت وقويت عليهم الخفة فلم يرجعوا
(قال يا قوم اني برى عما تشركون) أي بالله من الاصنام والاجرام المهدنة المحتاجة الى محدث
التي تجعلونهم شركاء لنا فلما أفلت الوجه الثاني من التأويل أنه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره أهذا ربي كقوله تعالى أفأنت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون وذكره على وجه
التوبيخ منكر الفلهم والوجه الثالث انه أراد أن يستدرجهم بهذا القول ويعترفهم خطأهم
وجهلهم ومثل هذا مثل من ورد على قوم يعبدون صنماً فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا
في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشا وروه في أمره فقال الراى أن ندعو
هذا الصنم حتى ينكشف عنا ما أصابنا فاجتمعوا حوله ينضربون فلما تبين لهم أنه لا ينفق
ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله تعالى فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يجنون قاسوا (فان قيل)
لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (أجيب) بأن الاحتجاج
بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ولما ظهر خلاف قومه واستمزوا في شركهم وقالوا
لهم من تعبد أنت أظهر لهم ما هو عليه من الحق بقوله (اني وجهت وجهي) أي أخلصت
قصدى وصرفت عبادتي (لذي فطر السموات والارض) أي خلقهما وأبدعهما وهو الله تعالى
(حنيفاً) أي ما تلى الى الدين القويم عن كل دين يخالفه وأصل الحنيف الميل وهو عن طريق
الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة ببصلاته (وما آمن
المشركين) تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه أي وما آمنتمكم ولا أعد في عدادكم بشئ أقاربكم
به (وحاجه قومه) أي خاصموه في التوحيد وهددوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان لم يرجع عن
الكلام فيها (قال لهم) أتتجاجوني أي أتجادلونني (في الله) أي في وحدانيته وقرأ نافع وابن
عاصم بفتحيف النون وهي نون الرفع عند النجاة ونون الوقاية عند الفراء والباقون بالتشديد
وقد أي والحال انه قد (هداني) الى توحيدده ومعرفة (ولا أخاف ما تشركون به)
شأ وذلك ان ابراهيم لما رجع الى أهله وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذبايح أي
ذبايح غرود وضعه أزرأ الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فيذهب
بها ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها
الى من رفض رؤسها وقال اشترى استنزاه بقومه وما هم عليه حتى فشا استنزاه بها في قومه
وأهل قريته فقالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بتجمل أو جنون بعيبك اياها فقال
انما يكون الخوف من بذر على النفع والضر وهو قوله تعالى (الآن يشاء ربي شئاً) وهذا

استثناء منقطع معناه لكن ان شاء ربى شيا من المكروه يصيبني فيكون لانه قادر على التسفع
والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته واما يوم عمره ما يكرهه
فلو اصابه مكرهه نسبوه الى الاصنام فتفي هذه الشبهة بذلك (وسمع ربى كل شئ عيلا) أى احاط
علمه بكل شئ من معلومه (أفلاتنكرون) أى يقع منكم تذكر فتتروا بين الحق والباطل والقادر
والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) به أى الاصنام وهى لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
(ولا تخافون) أنتم (أنكم أشركتم بالله) وهو تعالى حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه
اشركتم المصنوع مع الصانع ونسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع (ما لم ينزل به)
أى بعبادته (عليكم سلطانا) أى حجة وبرهانا وهو القادر على كل شئ (فأى الفريقين) أى حزب
الله وحزب ما أشركتم ولم يقل فأينا تسميها اللهم معنى (أحق بالامن) أهم الموحدون أو المشركون
(ان كنتم تعلمون) من الاحق أى ان كان لكم علم فأخبروني عما أسألكم عنه والاحق بذلك هم
الموحدون فاتبعوهم قال تعالى فاضيا بينهما (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا
ايمانهم بشرك روى انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فأنا لم نلظم
نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعو الى ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (لهم الامن) أى من العذاب المؤبد (وهم مهتدون)
وقوله تعالى (ولئك مبتدأ ويبذلهم) (تجننا) وهى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله تعالى
فلما حج علمه اللبيل الى قوله وهم مهتدون أو من قوله تعالى اتخا جوفى اليه والخبر (أتبناها
ابراهيم) أى أرشدناه لها حجة (على قومه) ثم انه سبحانه وتعالى لما تفصل على خليفه صلى الله
عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأعاصم
وحزقوا الكسائي بتدوين التاء والباقون بغير تدوين (ان ربك حكيم) فى صنعه فيرفع من يشاء
ويخفض من يشاء (عليم) بخلفه فهو القاعال لما يريد (ووهبنا له) أى ابراهيم (اسحق) أى ابنا له
(يعقوب) أى ابنا لاسحق فهو ابن ابنه (كلا) منهما ومن أيهما (هدينا) الى سبيل الرشاد
ووقفناه الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا) (من قبل) أى قبل ابراهيم (ومن ذريته)
أى نوح لا ابراهيم لانه تعالى ذكر فى جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير
لابراهيم ويكون ذلك من باب التغليب فان التغليب سائغ شائع فى انساب العرب (داود) وهو
ابن ايشاهديناه وكان من آتاه الله الملك والنبوة (وسليمان) هو ابن داود وهما اللذان بنيانيت
المقدس بأمر الله تعالى داود بجنطه وتأسيسه وسليمان بكلمه وتشيدده (وأيوب) هو ابن أموص
ابن رزاح بن روم بن عيصون اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
(فان قبل) لم قدم أيوب على يوسف مع ان يوسف أقرب منه (أجيب) بأنه قدمه للمناسبة بينه وبين
سليمان لان كلا منهما ما تبلى بأخذ كل ما يده ثم رده الله تعالى اليه (وموسى) هو ابن عمران
ابن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى أكبر منه بسنة صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (وكذلك) كاجزنا ابراهيم على توحيدده ومبهره على أنى قومه

بأن رفقا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء (نحزي الحسنين) على أحسانهم (وذكرنا) هو ابن أذن
 ابن بركا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بغير همز والباقون بالهمز (وبحجي) هو ابن زكرياء
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والباس) قال ابن مسعود هو أدريس وله اسمان مثل يعقوب
 واسرائيل قال البغوي والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وأدريس جذأ في نوح
 وهو الباس ابن ياسين بن فحاص بن العيزار بن هرون بن عمران (كل) منهم (من الصالحين) أي
 الكاملين في الصلاح وهو الاثنان بما ينبغي والتعزز عما لا ينبغي (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وأما
 آخر ذكره أي هنا لأنه ذكر اسحق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخر ذكر
 اسمعيل إلى هنا (واليسع) هو أخطوب بن العجوز وقرأ حزة والكسائي بتشديد اللام وسكون
 الباء والباقون سكون اللام وفتح الباء (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو بن هاران أخي ابراهيم
 (وكل) منهم (فضلنا على العالمين) أي بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من
 الخلق من أنس ومالك ويستدل بهذه الآية من يقول أن الانبياء أفضل من الملائكة وقوله تعالى
 (ومن آباءهم وذرياتهم وأخوانهم) عطف على كلاً ونوحا ومن للتبعيض أي وفضلنا بعض آباءهم
 وبعض ذرياتهم وأخوانهم لأن آباءهم كانوا مشركين وعيسى وبحجي لم يكن لهما ولد وكان
 في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى (واجتنبناهم) أي اختبرناهم عطف على
 فضلنا وأهدينا (وأهديناهم) أي وأرشدناهم (الصراط مستقيم) هو الدين الحق (ذلك) أي
 الذي هدوا إليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) سواء كان له أب يعلمه أو كان له من يحمله
 على الضلال أم لا فهو سبحانه وتعالى هو المفضل بالهداية (ولو أشركوا) أي ولو فرض أشركوا
 هؤلاء الانبياء بعد علو درجتهم وفضلهم (لحبط عنهم) أي لفسد وسط (ما كانوا يعلمون)
 أي لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أي أولئك
 الذين سميناهم من الانبياء وهم عثانية عشر نبيا أعطيناهم الكتاب فالمراد بالكتاب الحفص
 (والحكم) أي العمل المتقن بالعلم (والنبوة) أي وشرقناهم بالنبوة والرسالة (فان يكفر بها) أي
 بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم (فقد وكننا بها) أي وفقنا للايمان بها
 والقيام بحقوقها (وقال يسوا بها كافرين) كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد به ويحافظ
 عليه واختلف في ذلك القوم فقال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقال الحسن وقادة هم
 الانبياء الثمانية عشر تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله تعالى
 (أولئك الذين هدى الله فبهم راھم اقتده) وقال عطاء الطرادى هم الملائكة ونظر فيه لأن اسم
 القوم لا يطلق الا على بنى آدم وقيل هم القرس وقيل هم المهاجرون والانصار واستظهر وقال
 ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أم نبيا أم محاسبا أم تابعيا والمراد بهم
 ما وافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانهم ليست هدى مضافا
 الى الكل ولا يمكن التامس بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم متبذرع من
 قبله واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء عليهم الصلاة

قوله ابن العجوز
 كذا في النسخ والذي
 في حاشية الجمل ابن
 العجوز اه

والسلام قال وبيانه ان جميع الخصال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب
احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق
وبيعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود سليمان من أصحاب الشكر على
النعمة كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء كما قال تعالى
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الخاتمين أي الصبر والشكر وكان
موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من
أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واحسان ثم
ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع لهم جميع الخصال المحمودة
والتفرقة فنبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من الخصال
التي كانت متفرقة في جميعهم اه وقرأ حزمة والكسائي بحذف الهاء في الوصل وحركة الهاء
بحركة مختلصة ابن عامر ومدة على الهاء ابن ذكوان بخلاف عنه وسكن الهاء الباقون في الوصل
وأما في الوقف فجميع القراء يشتون الهاء ويسكنونها (قل) يا محمد لاهل مكة (لا أسألكم عليه)
أي القرآن أو التبليغ (أجرا) أي لا أطلب على ذلك جعللا (ان هو) أي القرآن أو التبليغ
(الاذكري) أي عظة (للعالمين) أي الانس والجن (وما قدرنا) أي اليهود (الله حق قدره) أي
ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمتهم (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه
في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء) قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالمث
ابن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم يخاضعون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله تعالى
يفض الخيرا للمعين وكان حبرا سمينا والخير بالفتح والكسر وهو أفصح العالم بتعابير الكلام والعلم
وتحسينه قاله الجوهري فعضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه وبذلك
ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني فترعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي
نزلت في فخص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قالت
اليهود يا محمد أنزل الله تعالى عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا
قال الله تعالى (قل) لهم (من أنزل الكتاب) أي التوراة (الذي جاء به موسى) أي الذي أنتم
ترعون التمسك بشريعة حال تكون الكتاب (نورا) أي ذا نور أي ضياء من ظلمة الضلالة
(وهدي) أي زاهد في الناس أي يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن
يبدل ويغير (يجعلونه قراطيس) أي يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) أي يظهرون
ما يحبون اظهاره منها (ويحقون كثيرا) أي مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالباء في المواضع الثلاثة على النغية جلا على قالوا وما قدرنا
والباقيون بالتاء على الخطأ وبضم ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها

بآباء بعض اتعجبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتمونه وقوله تعالى (وعلمتم)
 أى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آبائكم) خطاب لليهود أى علمتم
 زيادة على ما في التوراة وبيان ما التمس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم وظهرت أن
 هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يحتفلون يذكروهم النعمة فيما علمهم
 على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الخطاب لمن آمن من قريش وقوله تعالى (قل الله أنزله
 راجع الى قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى أى فان أجابوا بأن الله أنزله فذاك
 والافضل أنت الله أنزله اذ لا جواب غيره (ثم ذرهم) أى اتركهم (في خوضهم) أى باطلهم
 (يلعبون) أى يستمزون ويسخرون وفيه وعبدوتهم بيد المشركين وقال بعضهم هذا منسوخ
 بآية السيف (وهذا) أى القرآن (كتاب أنزلناه مارك) أى كثير الخير والبركة دائم النفع يشير
 المؤمنين بالنواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبت
 الخير (مصدق الذي بين يديه) أى قبله من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء لانها
 مشتملة على التوحيد والتعزية لله تعالى وعلى البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا
 لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى (ولنذر) قرأه شعبة بالياء على الغيبة أى لينذر الكتاب
 والباقيون بالياء على الخطاب أى ولنذرا بمحمد (أم القرى) أى أهل مكة وسيت أم القرى لانها
 قبله أهل القرى ومحجهم ونجتههم وأعظم القرى شأنا وبعض المجاورين
 فمن يلقى في بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحلى ومنسأبي
 وقيل لأن الارض رحبت من تحتها وأولها مكان أول بيت وضع للناس (ومن حولها) أى جميع
 البلاد والقرى التي حولها شرا وغبيا (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) لأن من صدق
 بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
 والضمير يحتملهم ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة في قوله تعالى (وهم على صلاتهم
 يحافظون) لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت لطفاته في المحافظة على
 أخواتها (ومن) أى لأحد (أعلم ممن افترى) أى اخلق (على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبيا
 كسيلة الكذاب والاسود العنسي وأخلق عليه أحكاما كعروب بن لحي ومتابعيه (أوقال أوحى
 الى ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزات في مسيلة الكذاب من بني حنيفة وكان يسجع
 ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله تعالى أوحى اليه وكان قد أرسل الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدان أن مسيلة نبي قالانم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما وعن أبي هريرة رضى
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم إذا وثبت خرائن الارض فوضع
 في يدي سواران من ذهب فكبيرا على وأهملاني فأوحى الله تعالى الى أن اتعصهما فنتعصهما فإطارا
 فأولتم ما للكذابين الذين أنابا بينهما صاحب صنعا وصاحب البمامة مسيلة الكذاب وفي لفظ
 الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كأن في يدي سوارين فأولتمهما

كذا بين بخروجان بعدى يقال لاحدهما مسيلة صاحب الائمة والعنسي صاحب منعهما وقوله
 صلى الله عليه وسلم فأتى الله الى أن اتفهم بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفثت
 الذابة برجلها ويروى بالحاء المعجمة من النفث وهو قريب من الاول فاما مسيلة الكذاب
 فانه ادعى النبوة في الائمة وبعده قوم من بني حنيفة وقتل في خلافة أبي بكر قتله وحشي قاتل
 حزة رضي الله تعالى عنهم ما كان يقول قتل خير الناس يعني حزة وقتل شر الناس يعني مسيلة
 الكذاب قتل الاول وهو كافر وقتل الثاني وهو مسلم وأما الاسود العنسي بالنون ويقال له
 ذو الجار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل في حادثة صلى الله
 عليه وسلم قبل موته بيومين وأخبر صلى الله عليه وسلم أمه بانه بقتله فبوز الدليل فقال صلى
 الله عليه وسلم فاز فبروز بقتل الاسود العنسي (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) قال السدي
 نزلت في عمه الله بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى
 عليه صلى الله عليه وسلم جميعا بصيرا كتب عليا حكيميا واذا أملى عليه عليا حكيميا كتب
 غفورا رحيميا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فحبب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم اكتمها هكذا نزلت فشق عبد الله بن أبي سرح وقال لمن كان محمدا صادقا فقد
 أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام
 فأسلم قبل فتح مكة حين نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة الظهران وقال ابن عباس ومن قال
 سأزل مثل ما أنزل الله يريد المستترين وهو جواب لقولهم لولنا لقلنا مثل هذا قال العلماء
 وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص
 السبب لا يمنع عموم الحكم (ولوزي) يا محمد (اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
 أي ولوزي الظالمين المذكورين (في غمرات) أي شدا (الموت) من غمر الماء اذا غشيه فاستعير
 للشدة الغالبة (والملائكة باسطوا أيديهم) أي قبض أو واحهم كالتقاضى المأزوم لغريمه
 لا يضارقه أو بالعذاب أو الضرب يضربون وجوههم وأديبارهم يقولون لهم تعنيا (أخرجوا
 أنفسكم) السالبة قبضها (فان قيل) انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فافائدة هذا
 (أجيب) بأنهم يقولون لهم أخرجوها كرها لان المؤمن يجب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل
 يقولون لهم خلاصا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توحيها لهم
 لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم يحزون عذاب
 الهون) أي الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) أي كادعاء الولد والشر بك انه تعالى
 ودعوى النبوة والجماع كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) أي تستكبرون عن الايمان بها وجواب
 لو محذوف تقديره ما أتت أمر اظليعا (و) يقال لهم اذا بعثوا الحساب والحسراء (لقد جنتونا
 فردا) أي منفردين عن الاهل والمال والولد سائر ما أترقموه من الدنيا أو عن الاهوان
 والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فردوا لانك لا تأييد ككسالى في هذا تقرير

قوله وروى الخهرو
 الذي اقصر عليه
 الزرقاني في شرح
 المواهب والذى
 في الصبح نفثت
 الناقة برجلها
 ضربت اه

وتوحيج لهم لانهم صرفوا اهمهم في الدنيا الى تحصيل المال والولادة والجاه واقتوا اعمارهم
 في عبادة الاصنام فلم يبق عنهم ذلك شيا يوم القيامة فبقوا افرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا
 (كما خلقناكم اول مرة) أى حفاة عراة غرلا روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها
 قرأت هذه الآية فقالت يا رسول الله واسوأنا أن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم
 الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر
 الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال وروى عنها أنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا أى غير محتونين وفي رواية زيادة على ذلك بهما قال الجوهري
 وغيره أى ليس معهم شئ قالت عائشة رضى الله عنها فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى
 بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر أشد أن بهمهم ذلك (وتركتم ما خولناكم) أى
 ما نهضنا به عليكم في الدنيا فاشغلتهم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) أى في الدنيا فما أغنى عنكم
 ما كنتم منه تستكثرون (و) يقال لهم توحيجا (ما نرى معكم شفعاكم) أى الاصنام (الدين زعمتم
 أنهم فيكم) أى في استحقاق عبادتكم (شركاء) أى لله وقوله تعالى (لقد تقطع بينكم) قرأه نافع
 وحفص والكسائي نصب النون أى لقد تقطع ما بينكم من الوصل والباقرن بالرفع أى لقد تقطع
 وصلكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل (وصل) أى ذهب (عنكم ما كنتم
 تزعمون) أى من أنهم اشفعوا لكم وأن لا بعث ولا جزاء (أن الله فائق) أى شاق (الحب) أى عن
 النبات (والنوى) أى عن النخل وقيل المراد الشق الذى فى الخنطة والنواة والحب جمع
 الحبة وهوا سم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع
 نواة وهى كل ما لم يكن جبا كالقر والمشمس وغيرهما وقال الضحاك فائق الحب والنوى يعنى خالق
 الحب والنوى (يخرج الحى من الميت) أى كالانسان من النطفة والطائر من البيضة
 (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر (تنبيه) مخرج
 معطوف على فائق كما قاله الزمخشري ويصح عطفيه على يخرج لأن عطف الاسم المشابه للفعل
 على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم الشبه بالفعل كقوله تعالى ان المصدقين
 والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا فاقرضوا معطوف على المصدقين لشبهه بالفعل لكونه
 اسم فاعل ومخرج شبيه بالفعل لكونه اسم فاعل وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بتشديد
 الهمزة والباقرن بالتخفيف (ذلكم) الهى والمميت هو (الله) الذى يحق له العبادة (فائق) أى
 فكيف (توفكون) أى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وقوله
 تعالى (فائق الاصباح) مصدر يعنى الصبح أى شاق عموما الصبح وهو اول ما يبدو من النهار
 عن ظلمة الليل أو شاق ظلمة الاصبح وهو الغيش الذى عليه فى آخر الليل (وجاعل الليل سكا) أى
 يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن عباس اذ كل ذى روح يسكن فيه لأن الانسان قد اتعب
 نفسه فاحتاج الى زمان يستريح فيه ليسكن فيه عن الحركة وذلك هو الليل وقرأ عاصم وحزرة
 والكسائي بنصب العين واللام ولا أنف قبل العين على الماضى جلا على معنى المعطوف عليه

فان قال قبيلى فلو والباقيون بكسر العين ورفع اللام وا ف قبل العين وقوله تعالى (والشمس
 والقمر) منصوبان باضمار فعل دل عليه جاءل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حساباً) أى
 حساباً باللا وفات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدراً أى يجريان بحسبان كفى آية الرحمن وقوله
 تعالى (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكمال علمه وهو
 المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزيز إشارة الى كمال قدرته والعليم إشارة الى كمال علمه (وهو
 الذى جعل) أى خلق (لكم النجوم) لتهدوا به فى ظلمات البر والبحر أى فى ظلمات الليل فى البر
 والبحر واضافتها اليهم للملازمة وفى مشتبهات الطرق ومماها ظلمات على الاستعارة وهو
 افراد بعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم ومن منافعها أنها زينة السماء كما قال تعالى
 ولقد زينا السماء الدنيا بصابع ومنها رمى الشياطين كما قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين
 (قد فصلنا) أى بينا (الآيات) أى الدالات على قدرتنا وتوحيدنا (لقوم يعلمون) أى يتدبرون
 فانهم المستفهمون به (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم (من نفس واحدة) أى من آدم عليه الصلاة
 والسلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهى من
 نبات آدم فثبت ان جميع البشر من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) أى فستقر فى الرحم
 ومستودع فى القبر أى أن يبعث أو فستقر فى أرحام الائمةات ومستودع فى أصلاب الآباء قال
 سعيد بن جبيرة قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال أمانه ما كان مستودعاً فى بطنك
 فسيخرجه الله عز وجل أو مستقر فى الرحم ومستودع فوق الارض قال تعالى ونقر فى الارحام
 ما نشاء أو فستقر على وجه الارض ومستودع عند الله فى الآخرة أو فستقر فى القبر ومستودع
 فى الدنيا وكان الحسن يقول يا ابن آدم أنت وديعة فى أهلك يوشك ان تلحق بصاحبك أو فستقر فى
 القبر ومستودع فى الجنة أو النار قال تعالى فى صفة الجنة حسنت مستقر أو فى صفة النار
 وساءت مستقر أو فى آية كثيرة وأبو عمر وبكر القاف على اسم الفاعل والمستودع ففعل أى ففعلكم
 قارونكم مستودع لان الاستقرار من الله تعالى دون الاستبداع لان الاستقرار فى الاصلاب
 أو فوق الارض لاصنع للعبد فيه بخلاف الاستبداع فى الارحام أو تحت الارض والباقيون
 بالنصب (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أى يفهمون ما يقال لهم ذكر النجوم يعلمون
 لان أمرها ظاهر وذكرا مخفية بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة ونصر يفهمون
 أحوال مختلفة فحق فامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء
 ماء) أى مطرا وهو من السحاب أو من جانب السماء وقيل ان الله تعالى ينزل من السماء الى
 السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا به) أى بالماء وفى ذلك التفات حيث لم يقل
 فأخرج على وفق أنزل (نبات كل شئ) أى شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات فالسبب
 واحد وهو الماء والمسيب صنوف متفرقة كما قال تعالى تسقى بماء واحد وتفضل بعضه على
 بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) أى من النبات أو الماء (خضرا) أى شياً أخضر يقال أخضر
 وخضرمثل أعور وعور والآخر هو جميع البقول والزرع والبقول الرطبة (تخرج منه)

أى الخضر (حمامة راكبا) أى يركب بعضه بعضا كسنايل الحنطة والشعير والارز والذرة وقوله
 تعالى (ومن الخلل) خير مقدم ويدل منه (من طلعاها) وهو أول ما يخرج منها والمبتدأ (قنوان)
 أى عراجين (دانية) أى قريبة من تناول يتناولها النائم والقاعد أو قريب بعضها من بعض
 وانما اقصر على ذكرها عن مقابلها وهى البعده لدلائلها عليها كقوله تعالى سرايسل تضيكم الخثر
 أى والبرد واكتفى بذكر أحدهما وحكمة تخصيص دانية بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله تعالى
 (وجنات) عطف على نبات كل شئ أى وأخرجنا به بساين (من أعذاب) وقوله تعالى (والزيتون
 والرمان) عطف أيضا على نبات أى وأخرجنا به شجر الزيتون والرمان (مشبهها وغيره متشابه) قال
 قتادة عندها مشبهها ورقها مختلفا غيرها لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشبهها
 فى النظر مختلفا فى الطعم والله سبحانه ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع
 وقدم الزرع على سائر الاشجار لأن الزرع غذاء وغار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على
 الفواكه وقدم الخلل على غيرها لأن غرها يجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس
 فى غيرها من الاشجار قال بعضهم وليس لنا شئ من الشجر يحتاج الى ذكر غير الخلل أى فى تطيب
 غيرها وذكر العنب عقب الخلل لانه من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقب الزيتون لما فيه من
 البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان لما فيه من المنافع أيضا (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبار
 (الى غمره) قرأ حزقيا الكسائى بضم الشاء والميم والباقون بالنصب وهو جمع غرة كشجرة وشجر
 وخشبة وخشب (اذا غمر) أى حين يبدو من أكامه ضعيفا قليل النفع وأوعده (و) انظروا الى
 (ينعه) أى الى ادراكه اذا أدرك وحان قطفه كيف يصير ذائقه ولذة والمعى انظروا نظرا استدلال
 واعتبرا وكيف أخرج الله هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وقوله تعالى
 (ان فى ذلكم لآيات) أى دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره فان حدوث الاجناس
 المختلفة والانواع المختلفة من أصل واحد وتقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم
 تفاصيلها ويرج ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله نذبه بعارضه
 أرضيه بانه وخص المؤمنين بالذكر بقوله (لقوم يؤمنون) لانهم المستفعدون بها بخلاف
 الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) أى
 الشياطين لانهم أطاعوهم فى عبادة الاوثان فجعلوا شركاء لله (فان قيل) الله مفعول ثان لجعلوا
 وشركاء مفعول أول ويدل منه الجن فافائدة التقديم (أجيب) بأن فائدته استعظام أن يخذله
 شريك من جن أو انس أو ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركاء وقيل المراد بالجن الملائكة
 بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله ومما هم جنالاجناسهم تحقير الشأنهم وقال الكلبي
 نزلت فى الزادقة أنبتوا الشركاء لابلis فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام
 وابلis خلق الطلعة والسماع والحيات والعقارب فيقولون هو شريك الله فى تدبير هذا العالم
 فما كان من خبر فى الله وما كان من شرف فى ابلis تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى
 (وخلقهم) حال بتقدير قد والضمير اما أن يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف

يكون شرك الله عز وجل محمدنا مخلوقا وأما أن يعود إلى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى
وجها لله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا
لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى خالق لجميع ما في الكون فاستمع أن يكون لله
شريك في ملكه (وخرقوا) قرأه نافع بتشديد الراء والباقون بالتخفيف أى اختلفوا (له بنين
وبنات بغير علم) وهو قول أهل الكنايين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق
الآفلن وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة غريبة كانت العرب تقولها
كان الرجل إذا كذب كذبه في نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله (سبحانه) تنزيها له
(وتعالى عما يصفون) بأن له شركا كأولاد (بديع السموات والارض) أى مبتدعها
من غير سبق مثال ورفع بديع على الخبر والمبتدأ المحذوف أى هو بديع وأعلى الابتداء والخبر
(أنى يكون له ولد) أى من أين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد لأن الولد لا يكون
الامن صاحبة أنى (وخلق كل شئ) أى من شأنه أن يخلق (وهو بكل شئ عليم) لا تقتضى عليه خافية
وفى الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مبدع السموات والارض وهى أجسام
عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة اكبر منها مخلوقة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لاستقرارها
وطول مدتها ومخترع الاجسام لا يكون جسمها حتى يكون والدا الثاني أن الولادة لا تكون
الامن ذكر وأنثى مجانسين وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة
والثالث أنه ما من شئ الا هو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد
اغما يطلبه المحتاج وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
وقوله تعالى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) اخبار مترادفة ويجوز أن يكون
البعض في غير الله تعالى بدلا أو صفة لأن الله تعالى أقول وليس صفة والبعض خبر وقوله تعالى
(فاعبدوه) سبب عن مضمون ذلك فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على
كل شئ وكيل) أى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والالجال رقيب على
الاعمال فيعازى عليها (لا تدرى الابصار) جمع بصرو وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث
انها محله والادراك الحاطة بكنه الشئ وحقيقته ونمطك بظاهر هذه الآية قوم من أهل البدع
وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد ممن خلقه وان
رؤيته مستحيلة عقلا لأن الله تعالى أخبر أن الابصار لا تدرى وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا
فرق بين قولك أدركته يصبرى ورأيت بهصرى فثبت بذلك ان لا تدرى الابصار بمعنى انزاه
الابصار وهذا يقيد العموم ويذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى
الجنة واستدلوا المذهبهم بأشياء من الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من السلف فى
الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين
يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رضى الله
تعالى عنه يجب قوما بالمعصية وهى الكفرة ثبت أن قوما يرونه بالطاعة وهى الاعيان وقال مالك

قوله وهى اجسام
عظيمة من جنس الخ
عبارة المتساوى
وهى مع أنها من
جنس ما يوصف
بالولادة متبرأة عنها
لا استمرارها الخ اه

رضى الله تعالى عنه لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله تعالى الكفار بالجلاب وطال
 تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة مفسرة بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة
 ومن السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
 لا تضامون في رؤيته فان استمتعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
 فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومنها أن ناسا قالوا يا رسول الله
 هل نرى ربنا يوم القيامة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر
 أى هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك وعن أبي رزين
 العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أكننا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
 وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فآية
 أعظم انما هو خلق من خلق الله أى القمر فآية أعظم وأجل وأحجج أهل السنة أيضا على جواز
 رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول كليم الله موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليك اذ لا يسأل
 نبي ما لا يجوز أو يستع وقد علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه
 فسوف ترانى واستقر الجبل جائزا والمعاق على الجائز جائزا وأما قول المتسكين بظاهر الآية
 وإن الإدراك بمعنى الرؤية فممنوع لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية
 المعانية وقد تكون المعانية بلا إدراك قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام قال أصحاب
 موسى اننا لم ندركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم فبنى موسى
 عليه السلام الإدراك مع ثبوت الرؤية فآية الله تعالى يصح أن يرى من غير إدراك ولا احاطة
 كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به قال تعالى ولا يحيطون به علما فبنى الاحاطة مع ثبوت العلم قال
 سعيد بن المسيب لا يحيط به الابصار وقال عطاء قلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وظاهر
 هذا التسوية بين الإدراك والرؤية وبذلك على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
 الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد يوم القيامة ويكون هذا جمعا بين الاثنين (وهو يدركه
 الابصار) أى براها أو يحيط بها علما فلا يخفى عليه شئ ولا يفوته شئ (وهو اللطيف الخبير) قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري اللطيف الرفيق بعباده
 وقبل اللطيف الموصل الشئ بالرفق والمين وقيل اللطيف الذى ينشئ العباد ذنوبهم ثم لا يحجبوا
 (فقد جاءكم بصائر) جمع بصيرة أى جميع (من ربكم) تبصرون به الهدى من الضلالة والحق
 من الباطل (فمن أبصر) أى عمل بالادلة (فلنفسه) أى خاصة ابصاره لانه خلصها من الضلال
 الى الهدى (ومن همى) أى لم يهتد بالادلة (فعلينا) أى خاصة عما لانه يضل فلا يضر الانفسه
 (وما نأل عليكم بحفظ) أى رقيب لأعمالكم وانما تأمنذروا الله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ
 أعمالكم ويحازيكم عليها (وكذلك) أى كائنا ما ذكر (نصرف) أى نبين (الآيات) من حال

الى حال في المعاني المتوقعة سالكن من وجوه البراهين بحياة موت القوى ويجز القدر ليعتبروا
(وليقولوا) اعتذرا عند ظهور عجزهم (دارست) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفاءين الدال والراء
أي إذا كنت أهل الكتاب والباقيون بغير الفاء أي درست كتب الماضين وبحثت بها منها وقرأ
ابن عامر بفتح السين وسكون التاء من الدروس أي هذه الآيات التي تتلوها علينا دجة قد
درست وانحمت كقولهم أساطير الاولين وقبل اللام فيه لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا
دارست أي قرأت على غيرك وقبل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
لكون لهم عدوا وحرنا (وابنيسه) أي الآيات وذكر الضمير لانها في معنى القرآن كأنه قيل
وكذلك نصرف القرآن أو القرآن وان لم يجز له ذكر لكونه معلوماً والى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيدا (لقوم يعلمون) فانهم المستفيعون به وقوله تعالى (اتبع) خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم أي اتبع يا محمد (ما أوحى اليك) أي القرآن فالزم العمل به ثم أكد مدحه بقوله
(من ربك) أي المحسن اليك بهذا البيان وقوله تعالى (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب
الاتباع لما في كلمة التوحيد من القسك بجعل الله والاعتصام به والاعراض عما سواه وقول
البيضاوي أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفرد في الألوهية مبنية على جواز تأكيدها بحالة
الفعلية بالاسمية وهو نادر (وأعرض عن المشركين) ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت الي رأيهم
ومن جعله منسوخاً بآية السيف حل الاعراض على ما يعم السكف عنهم (ولو شاء الله)
إيمانهم وعدم اشراكهم (ما أشركوا) وهذا نص صريح في أن شركهم كان بعشيرة الله تعالى
خلافاً للمعتزلة في قولهم لم يرد الله من أحد الكفر والشرك والآية رد عليهم (وما جعلناك
عليهم حفيظاً) أي رقيباً فيجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي فيجزيهم على الإيمان
وهذا قبل الأمر بالقتال (ولا تسبوا الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) وهي الاصنام
أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح (فيسبوا الله عدواً) أي اعتداء وظلماً
(بغير علم) أي جهلاً منهم بالله وبما يجب أن يذكر به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن
في آلهتهم فقالوا للثنتين عن سب آلهتنا أولهن سبعون الهك فنزلت وقال السدي لما حضرت
أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخلن على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه
فأنافه فبهي أن يقتله بعد موته فنقول العرب كان يمنعه عنه فلما مات قتله فانطلق أبو سفيان وأبو
جهل وأبي بن خلف ومعهم جماعة الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإننا نحمدك
قد إذانا وآلهتنا فذهب أن تدعوه وقتله عن ذكر آلهتنا وتدعه والهه فطلبه وقال هو لا قومك
ونحوه حكى يقولون زيداً أن تدعنا وآلهتنا وتدعك والهك وقد أنصفك قومك فأقبل منهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم أرايتم أن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة أن تكلمتم بها لم تكلم
العرب ودانت لكم بها الهجهم فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكمها وعشرة أمثالها فهاهي قال
قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول
غيرها فقالوا لتكفن من سب آلهتنا ولتشتكك ومن يأمرك فقلت وقيل كان المسلمون يسبونهم

انهمو الغلاب يكون سبهم سبب السبب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية رابحة
وجبتر كما فان ما يؤدى الى الشر تتر (كذلك) أى كإزينا له ولا ما هم عليه من عبادة
الاولمان وطاعة الشيطان بالحرمان والخلدان (زينا لكل أمة عملهم) أى من الخير والشر
بأحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه وتوقفا وتخيلا وفي هذه الآية دليل على تصديق
القدرة والمعتلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفرو رت فيه فهو الفاعل لما يريد
لا يستل نعمان يفعل (ثم الى يومهم من جمعهم) فى الآخرة (فبينهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا
فيما تر بهم به (واقسموا) أى كفار مكة (بالله جهداً بيمانهم) أى غاية اجتهدهم فيها (الذين جاءتهم
آية) أى بما اقترحوه (ابو من فيها) روى أن قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان معه عصا
بضرب بها الحجر فيقتبر منه الماء اثنتى عشرة فينا وقضربنا ان عيسى كان يحيى الموتى فأتنا من
الآيات حتى نصدقك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تعجبون قالوا تجعل لنا
الصفاد ذهباً وتبعث لنا بعض أمواتنا حتى نساله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة
يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون أتصدقوننى قالوا نعم
والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم
حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفاد ذهباً فجاءه جبريل عليه
السلام فقال يا رسول الله لك ما شئت ان شئت أصبح ذهباً ولكن ان لم يصدقوا بعد ينهم الله وان
شئت تركتهم حتى يتوب فأتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب فأتهم فنزلت قال الله
تعالى (قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) أى
وما يدريكم أيها المسلمون بيمانهم اذا جاءت فاتهم كانوا يمتنون بحجى الآية طمعاً فى ايمانهم أى
أنهم لا يدرون ذلك (انها اذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق فى حلى وقرأ أبو عمر وبسكون الراء وروى
عن الدورى اختلاس الضم وكسر الهمزة من انها ابن كثير وأبو عمرو على الاندواء والام
الكلام عند قوله تعالى وما يشعركم والباقون بالفتح فهى بمعنى لعل وهو شائع فى كلام العرب
انت السوق أنك تشتري لنا شئاً بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

اعاذل ما يدريك أن منيق * الى ساعة فى اليوم أوفى ضحى غد

أى لعل منيق وقرأ ابن عامر وحجزة لا تؤمنون بالتأنيط بالالكفار والباقون بالياء على الفية
(وقلب أفندتهم) أى ونحو قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه (وقلب) (أبصارهم) عن الحق
فلا يسمروه فلا يؤمنون لأن الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على
الكفر (كلام يؤمنوا به) أى بما أنزل من الآيات (أول مرة) أى التى جاء بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل الشقاق القمر وغيره من المجهزات الباهرات وقيل مججزات موسى
 وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى ولم يكفر واجماً وفى موسى من قبل وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المرة الاولى دار الدنيا أى لوردوا من الآخرة الى الدنيا فقلب
أفندتهم وأبصارهم عن الايمان كالم يؤمنوا فى الدنيا قبل مجازاتهم كما قال تعالى ولوردوا لعادوا

لما نحن واعنه (ونذرهم) أي نذرهم (في طغيانهم) أي ضلالهم (بعمهون) أي يترددون مضطربين
 لانهم هم هداية المتقين (ولو انزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموت) كما اقترحوا (وحشرنا) أي
 جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهروا
 بصدقك والباقون بضم القاف والباء جمع قبيل أي فوجا فوجا (ما كانوا يؤمنوا) لما سبق في علم
 الله وقوله تعالى (الآن يشاء الله) استثناء منقطع أي لكن ان شاء الله ايمانهم فيؤمنون أو
 استثناء من أعم الاحوال أي لا يؤمنون في حال الاحال مشيئة الله تعالى ايمانهم (ولكن أكثرهم
 يجهلون) أي انهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
 أسند الجهل إلى أكثرهم لأن بعضهم معاندهم مع ان مطلق الجهل بعمهم فيشمل المعاندين ولكن
 أكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيقسمون نزول الآية طمعا في ايمانهم (وكذلك) أي ومثل
 ما جعلنا لك أعداء من كفار الانس والجن (جعلنا لكل شيء) أي عن كان قبلك (عدوا) ويبدل
 منه (شياطين) أي مرادة (الانس والجن) وفي هذا دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بفعل الله تعالى وخلقه (يوحى) أي يوسوس (بعضهم) أي الشياطين من النوعين
 (إلى بعض زخرف القول) أي يوهوهم من الباطل (غرورا) أي لاجل أن يغروهم بذلك (ولو شاء
 ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أي هذا الذي أنبأ بك به من عداوتهم وما تفرع عليها في هذا دليل ايضا
 فذرهم) أي اترك الكفرة على أي حالة اتفقت (وما يفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم
 وهذا قبل الامر بالقتال وقوله تعالى (واتصني) عطف على غرورا ان جعل الله أي وتقبل ميلا
 قويا (إليه) أي الزخرف الباطل (أفئدة) أي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس
 في طبعهم الايمان بها الاغيب واهم لبلادهم واقفون مع وهمهم ولذلك استوات عليهم الدنيا
 التي هي من أصل الغرور ومتعلق بمخدوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل شيء عداوا والمعزلة
 لما اضطرروا فيه قالوا اللام لاه العاقبة وهو قول الزخشي في كشفه ان اللام للصيرورة
 (وليرويه) أي الزخرف الباطل لانفسهم (وليقتروا) أي يكتسبوا (ما هم مقترون) من
 الاثم فيعاقبوا عليها ونزل لما قال مشركوا قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
 وبينك حكاما أحبار اليهود وان شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من
 أمرك (أنفيرا لله) أي قل لهم يا محمد أفغبر الله (ابنقى) أي أطلب (حكما) أي قاضيا بيني وبينكم
 (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) أي الاكمل المجز وهو هذا القرآن الذي هو تبيان لكل شيء
 (مفضلا) أي مينا فيه الحق من الباطل (والذين اتيناهم الكتاب) أي المعهود انزلهم
 التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) لما عندهم به من البشارة في كتبهم
 ولما آمن موافقتهم في ذكر الاحكام المحسنة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه
 ترقى القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به على ما في كتبهم من التفصيل بما يفهم
 المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية وانما وصف جمعهم بالعلم
 لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبدة

الله بن سلام وأصحابه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون
 وتخفيف الزاي (فلان ~~ككون~~) يا محمد (من المعتبرين) أى الشاكرين فى أن علماء أهل الكتاب
 يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل فلا تكون فى شك عما قصصنا فيكون من
 باب التحريض فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان فى الظاهر للنبي صلى
 الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره أى فلا تكون أى بها الإنسان السامع لهذا القرآن فى شك أنه
 منزل من عند الله لمخالفته من الإعجاز الذى لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى (وبت كلمات
 ربك) أى بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده وقرأ عاصم وحجزة والكسائي بغير ألف
 بين الميم والناو والباقون بالالف (صدقا) فى الأخبار والمواعيد لا يقدر أحد أن يمدى فى شئ منها
 خدشا بخلاف ما عن مطابقة الواقع (وعدلا) أى فى الأقضية والأحكام ونصهم ما على التمييز
 ويحتمل الحال والمفعول له (لا يبدل لكلماته) بنقض أو خاف بل كل ما أخبر به فهو كائن
 لا محالة رضى من رضى ويخط من يخط وقيل المراد بالكلمات القرآن لا يبدل له لا يزيد فيه
 المغيرون ولا ينقصون (وهو السميع) لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل (وإن قطع أكثر من فى
 الأرض يضلوه عن سبيل الله) أى دينه وأكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة وقيل الأرض
 مكة وذلك أن المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى كل المسئلة فقالوا للمسلمين
 انكم تزعمون انكم تعبدون الله فكيف تأكلون ما قتلتم ولأننا نكون ما قتل ربكم فزلت
 وقيل لا قطعهم فى اعتقاداتهم الفاسدة فأنك إن قطعهم يضلوه عن سبيل الله أى يضلوا عن
 طريق الحق ومنهج الصدق ثم علل ذلك بقوله (إن) أى لانهم ما (يتبعون) فى مجادلتهم لك
 (الالطون) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق (وإن) أى ما (هم إلا يحرضون) أى يكذبون على
 الله عز وجل ليعيا نسبون إليه كالتخاذل ولد جعل عبادة الأوثان وصله إليه وتحميل المسئلة
 وتحريم الباطن ونحو ذلك (إن بلك هو) أى لا غيره (أعلم) أى عالم (من يضل عن سبيله وهو) أى
 لا غيره (أعلم) أى عالم (بالمهتدين) فيجازى كل منهم بما يستحقه وقوله تعالى (فكلا وما عاد كراسم الله
 عليه) مسبب عن انكار اتباع المهتدين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كانوا
 مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولأن كلاهما ذكر عليه اسم غيره تعالى وأما حنف أنفه (إن كنتم
 بآياته مؤمنين) أى إن كنتم محققين الإيمان فكلاهما ذكر اسم الله عليه فإن الإيمان يقتضى
 استباحة ما أحله الله تعالى واجتناب ما حرمه (ومالككم) أى أى عرض لكم فى (إن لائما كلا
 مما ذكر اسم الله عليه) من الذبايح (وقد فصل) أى بين (لكم ما حرم عليكم) أى مما يحرم فى آية
 حرمت عليكم الميتة تفصيلا ووضح البيان ظاهر البرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
 بضم الفاء وكسر الصاد والباقون بفحهما وقرأ نافع وحفص بفتح الحاء والراء والباقون بضم
 الحاء وكسر الراء (الما اضطررتم إليه) أى مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة (وإن
 كثيرا من الذين يجادلونكم فى كل المسئلة ويحصبون عليكم فى ذلك بقولهم كيف تأكلون ما قتلتم
 ولأننا نكون ما قتل ربكم (ليضلوا بأهوائهم) أى بما تهوى أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرأ

عاصم وحزرة والكسافي بضم الياء والباقون بقصهما (بغير علم) يعتقدونه في ذلك وقيل المراد بذلك
 عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه أول من بجر البصائر وسب السواب وأباح الميتة وغير
 دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق إلى الباطل
 والحرام إلى الحلال (وذرُوا) أي اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) أي ما علمتم به وما أسررت به من
 الذنوب كلها وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه أفعال القلوب فيدخل فيه
 الحسد والكبر والحب واردة الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهر الاثم الزناة في الحواشيت
 وباطنه المرأة يخذها الرجل صدقة فيأتيها سرا (إن الذين يكسبون الاثم) في الدنيا بارتكاب
 المعاصي (سيجزون) في الآخرة (عما كانوا يفترون) أي يكسبون ونظاير هذا النص يدل على
 عقاب المذنب ومذهب أهل السنة انه اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا
 عنه بفضل الله اما اذا تاب من الذنب توبه صحيحة لم يعاقب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له
 (ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من
 الخنثى وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف
 أهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله تعالى عليهم اذ ذهب قوم إلى تحريمها سواء تركت
 التسمية عمدا أم نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم إلى حلها
 مطلقا ويرى ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي وأجد وذهب قوم إلى أنه ان ترك التسمية
 عامدا لم تحل أو ناسيا محلت وهو مذهب مالك ومن قال بالاباحة مطلقا قال المراد من الآية
 الميتات وما لا يحل على غير اسم الله بدليل قوله تعالى (وإنه أنفق) أي ما ذكر عليه اسم غير الله كما
 قال تعالى في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما إلى قوله أو فسقا أهل أغير الله به والضهير
 لما ويجوز أن يكون للكل الذي دل عليه لانا كلوا واحتجوا أيضا بإباحتها بما روى
 البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قالوا يا رسول الله إن هنا أقواما حديث
 عهد هم شرك يأتوننا لطمعان فلا ندري أيذرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله
 وكلا فلو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في جودها مانعا من أكلها كالشك في أصل
 الذبيح (وإن الشياطين ليوحون) أي يوسوسون (إلى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم)
 في تحليل الميتة بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتل الله وهذا يؤيد
 التأويل بالميتة (وإن أظعنوهم) أي باستحلال ما حرم (أنكم لمشركون) أي مثلهم
 في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا محارما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل
 الله فهو مشرك (أو من كان ميتا) أي بالكفر (فأحييناه) أي بالايمان وانما جعل الكفر
 موتا لانه جعل الايمان حياة لأن الحق صاحب بصيرة يتدى به إلى رشده ولما كان الايمان يهدي
 إلى الفوز العظيم والحياة الأبدية يشبه بالحياة وقرأنا نافع بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
 (وجعلناه نوراً يمتدح به في الناس) أي بتبصيره بالحق من غيره وهو الايمان وقال قتادة هو كتاب
 الله القرآن يئنه من الله مع المؤمنين به يعمل وبها يأخذون بها ينهون (كن مثله) أي كن هو

(في الظلمات) قتل فائدة (ليس بخارج منها) وهو الكافر أي ليس مثله نزلت هذه الآية في حجة ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل روى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرث فاخير حجة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قصصه ويده قوس وحجة لم يؤمن بعد فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يقول يا أبا يعلى ماترى ما جاء به سفة عقولنا وسفة آلهتنا وخالف آباءنا فقال حجة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقيل في عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر وأبي جحول (كذلك) أي كانوا من المؤمنين إيمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي من المكفرو والمعاصي قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى زينا لهم أعمالهم وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ورد بالآية المذكورة (وكذلك) أي كما جعلنا فساق أهل مكة أكابرها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) أي عظماءها وأكابر جمع أكبر كافر وأفاضل وأسود وأسود ذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضغائنهم كما قال في قصة نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وجعل فساقهم أكابرهم (ليكفروا فيها) بالصدقة الإيمان وذلك أنهم أجلسوا على طرف مكة أربع نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم إياكم وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب فكان هذا مكبرهم (وما يكفرون الا بأنفسهم) لأن وبالله يصح بهم (وما يشعرون) أي ومالهم نوع شعور بذلك (وأذا جاءتهم) أي أهل مكة (آية) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا) لن نؤمن به (حق نؤذي مثل ما أوفى رسل الله) أي من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بهامتك لأنك أكبر منك سناً وأكبر منك مالاً فنزلت وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحني بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كدريسي رهان قالوا امتاني يوحى اليه والله لا نرضى الا أن يأتينا وحى كما يأتيه وقوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يختص الله بها من يشاء من عباده فيجيب رسالته من علم أنه يعلم لها وحيت مفعول به لفعل محذوف دل عليه أعلم لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها هو ولا يسوا أهلها لها وقرأ ابن كثير وحفص بنب التاء ورفع الهاء ولا ألب قبل التاء على التوحيد والباقون بكسر التاء والهاء وألف قبل التاء على الجمع (سبب الذين أجمعوا) يقولهم ذلك (مغار) أي ذل وهو ان (عند الله) يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب) أي مع الصغار (شديد) أي في الدنيا بالقتل والاسروفي الآخرة بالنار (بما) أي بسبب ما كانوا يكفرون من صدقهم الناس عن الإيمان وطلبهم ما لا يستحقونه (فمن رداً الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله وما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن يشرح له قلبه وينفسح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الآية إلى

دار الخلود والتجاف عن دار القرورو والاستعداد للموت قبل لقي الموت (ومن يرد) أى الله
 (أن يفضله يجعل صدره ضيقاً) أى عن قبول الإيمان حتى لا يدخله وقرأ ابن كثير بسكون الياء
 والباقون بتشديد هاء مع الكسر وقوله تعالى (حرجاً) قرأه نافع وأبو بكر بكسر الزاء أى شديد
 الضيق والباقون بالغتج وصفاً للمصدر وفى الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله وأرادته
 حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر (كأنما يصعد فى السماء) أى يشق عليه الإيمان كما يشق عليه
 صعود السماء شبه ما لفته فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه وقرأ ابن كثير بسكون الصاد
 وتخفيف العين من غير ألف بعد الصاد وقرأ شعبة بتشديد الصاد وتخفيف العين وألف بعد الصاد
 بمعنى تصاعد (كذلك) أى مثل ما جعل الله الرجس على من أراضل الله من أهل هذا الزمان
 (يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الشيطان أى يسلمه (على الذين لا يؤمنون) وقال الزجاج
 الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب (وهذا) أى الدين الذى أنت عليه يا محمد (صراط) أى
 طريق (بلى مستقيماً) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للبعلة والعامل فيها معنى الإشارة
 (قد فصلنا) أى بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الأصل فى الذال أى يعطون
 فيعلمون أن القادر على كل شئ هو الله عز وجل وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وقدره
 وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لأنهم المتشفعون
 (لهم) أى المتدكرين (دار السلام) هى الجنة وأضافها لنفسه فى قول جميع المفسرين فإن
 السلام كما قال الحسن هو الله تعالى تشريفاً لها وتقديراً فيها سلام أو أراد بهادار السلامة
 (عند ربهم) أى ذخيرة لهم عنده لا يعلم كتبها غيره (وهو وليهم) أى المتكفل بتولى أمورهم
 ولا يكلمهم إلى أحد سواه (بما) أى بسبب ما (كانوا يعملون) من الأعمال الصالحة التى كانوا
 يتقربون بها إليه فى الدنيا (و) اذكر يا محمد (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعاً) أى لا تترك عنهم
 أحداً أو قرأه حفص بالياء والباقون بالنون وقوله تعالى (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره
 ويقال لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى من أضلالهم وأغوائهم حتى صاروا أكثرهم اتباعكم (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم
 (من الانس ربنا استمتع بعضهم بعضاً) أى استمتع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة
 الانس لهم (وبلفنا اجلنا الذى أجلت لنا) أى أن ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين ووقت
 محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
 للحساب فى القيامة (قال) الله تعالى على لسان الملائكة لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من
 الجن والانس (التارمواكم) أى ماوأكم (خالدين فيها) أى إلى ما لا آخر له فان الجزاء
 من جنس العمل (الامأشاه الله) أى من الاوقات التى يتقلون فيها من النار إلى الزمهرير فقد
 روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعارون ويطلبون
 الرزاق الجحيم وقيل الامأشاه الله قبل الدخول بدرجة بعثهم ووقوفهم للحساب وقال ابن عباس
 الاستثناء يرجع إلى قوم سبق في علم الله انهم يسلمون فيضربون من النار قال البغوى فابغى من

على هذا التأويل (إن ربك حكيم) في صنعه (عليم) بعواقب أمور خلقه وما هم صائرون إليه
 (وكذلك) أي كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (فولي) من الولاية (بعض الظالمين
 بعضاً) أي على بعض روى عن ابن عباس في تفسيرها هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً
 ولي أمرهم خیارهم وإذا أراد بقوم شراً ولي أمرهم شرارهم (بما) أي بسبب ما (كانوا
 يكسبون) من الكفر والمعاصي (بامعشر الجن والانس) أي بأممكم رسل منكم) أي من مجموعكم
 وهم الانس إذا رسل منهم خاصة ولكن لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صح ذلك ونظيره قوله
 تعالى يخرج منهم اللؤلؤ والمرجان فان ذلك يخرج من الملح دون العذب أو ان رسل الجن نذرهم
 الذين يسمعون كلام الرسول فيبلغون قومهم كما قال تعالى وإذا صرفنا إليك نعماً من الجن الآية
 ونعلق بظاهر الآية قوم فقالوا بعثت الى كل من الثقلين رسل من جنسهم (يقصون عليكم آياتي)
 أي يخبرون بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحدي وتصديقي رسلتي (وسيدونكم لقاء
 يومكم هذا) أي ويحدرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة (فالواشاهدنا
 على أنفسنا) أي اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذرهم لقاء يومهم هذا
 وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال
 الله تعالى (وعزتهم الحياة الدنيا) أي إنما كان ذلك بسبب أنهم غرّتهم الحياة الدنيا وما والاها
 (وتهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا (فان قيل) كيف أقروا على أنفسهم
 بالكفر في هذه الآية وتوجدوا في آية أخرى وهي قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (أجيب)
 بتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاوّل فيقرون في بعضها ويحسدون في بعض آخر
 (فان قيل) لم تكرر شهادتهم على أنفسهم (أجيب) بأن الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون
 وكيف يعترفون والثانية لهم على سوء نظرهم وخطار أيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية
 واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى
 الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير السامعين عن مثل حالهم (ذلك)
 أي ارسال الرسل (أن) أي لاجل أن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أي بسبب ظلم ارتكبهوه
 (وأهلها غافلون) أي لم يتنبهوا برسول بين لهم (واكل) أي من العاملين بطاعة أو معصية (درجات)
 أي جزاء (بما عملوا) أي من خير وشر ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر وانما سميت درجات
 لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج (ومار بك بغافل عما تعملون) أي عن شيء
 يعمل له أحد من الفريقين بل هو عالم بكل شيء من ذلك وبما يستحقه العامل من ثواب أو عقاب وقرأ
 ابن عباس بالناء على تغليب الخطاب على الغيبة والباقون بالياء على الغيبة (وربك الغني) أي الغني
 المطلق عن كل عابد وعبادته فليعمل العامل لنفع نفسه أو ضررها (ذو الرحمة) أي التجاوز عن
 خلقه من رحمة ارسال الرسل وتأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون (ان بشأ
 يدعبيكم يا أهل مكة بالهلاك ففيه وعيد وتهديد لهم) (وتستخف من بعدكم) أي بعد اهلاككم
 (ما يشاء) أي خلقاً غيركم أمثل وأطوع منكم (كما أنشأكم من ذرية) أي نسل (قوم)

آخرين) اذهبهم لم يكونوا على مثل صفيتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ولكنه أبقاكم
 رحمة بكم (انما نودعون) من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للعاص يوم القيامة
 (لا ت) لاحالة (وما أنتم بمجزين) أي فأتين عذابنا (قل) يا محمد لقومك من كفار قريش
 (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي حالكم التي أنتم عليها (إني عامل) على حالي التي أنا عليها
 والمعنى انتموا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والتمديد
 بصيغة الامر مبالغة في الوعيد (فسوف تعلمون) غدا في القيامة (من) موصولة لمفعول العلم
 (تكون لعاقبة الدار) أي العاقبة المحجوزة في الدار الآخرة لأنهم أم أنتم (انه لا يفلح) أي
 بسعد (الظالمون) أي الكافرون (وجعلوا) أي كفار مكة (لله بما ذروا) أي خلق (من الحزن) أي
 الزرع (والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعهم وهذا شركائنا) وذلك أن المشركين كانوا يجعلون
 لله من حروثهم وانعامهم وغارهم وسائر أموالهم نصيبا وللانعام نصيبا فجاءوا الله صرفوه الى
 الضيفان والمساكين وجعلوه للانعام أنفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء من نصيب
 الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انقص شيء مما
 جعلوه لله يسألوا به واذا هلك شيء مما جعلوه للانعام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى (فما
 كان لشركائهم) أي ما جعلوه لهم من الحزن والانعام (فلا يصل الى الله) أي بلهنته فلا
 يعطونه للمساكين ولا يتفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفي قوله تعالى
 مما ذرأ تنبيهه على فراطحها لهم فانهم أشركوا مع الخالق تعالى في خلقه جبارا لا يشترط على شيء
 ثم رجوعه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزعهم تنبيهه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم
 الله تعالى به وقرأ الكسائي برفع الزاى والباقون بالنصب (سأه) أي بشر (ما يحكمون) حكمهم
 هذا (وكذلك) أي ومثل ما زين لجميع المشركين نصيب أموالهم والكفر بربهم شركائهم
 (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) أي بالوادخشة الاملاق (شركائهم) من الجن
 أو من السندنة أي الخدمة وقرأ غير ابن عامر بفتح الزاى والياء ونصب لام قتل وكسر دال
 اولادهم وشركائهم بالواو مضبوطة الهمة زنة على أنه فاعل وقرأ ابن عامر بضم الزاى وكسر الياء
 ورفع لام قتل ونصب دال اولادهم وشركائهم بالياء مكسورة الهمة باضافة القتل اليه مفعولا
 بينهم ما يفتوه قال البضاوي تعالى يخشون في موضع في العربية معدود من ضرورة
 الشعر اه وقد أنكر جماعة على الزخشري في ذلك بأن القراءة المذكورة صحيحة متواترة
 وتركيها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في نقلها قال التفناني وهذا على عادته
 يطن في متواتر القراءات السبع ويسند الخطأ تارة اليهم كما هنا وتارة الى الرواية عنهم وكلاهما
 خطأ لأن القراءات متواترة وكذا الروايات عنهم وأطال في بيان ذلك وقال ابن مالك في كافيته
 اضافة المصدر الى الفاعل مفعولا بينهم ما يفتوه المصدر جازية في الاخبار اذا لم يحد ورفها مع ان
 الفاعل يجوز من عامله فلا يضر فله اضافة القتل الى الشركاء لا منهم (ليردوهم) أي
 ليسكوهم بذلك الفعل الذي أمرهم به والارداء في اللغة الاهلاك وقال ابن عباس ليردوهم

قوله مع أن الفاعل
 الخفية تأمل

في النار (وليلبسوا) أي وليضطربوا (عليهم دينهم) قال ابن عباس ليس دخلوا عليهم الشك في دينهم
وكأنوا على دين إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاصنام وزينوها لهم
(ولو شاء الله) عصمة هؤلاء من ذلك الصنيع الذي زين لهم (ما فعلوه) فجميع الأشياء بعينته
وارادته (قد رهم) أي اتركهم يا محمد (وما يفترون) أي وما يخترعون من الكذب على الله فان الله
لهم بالمرصاد وفي ذلك تهديد لهم كما مر (وقالوا) أي المشركون معها وجهلا (هذه) إشارة إلى
قطعة من أموالهم عينوها لآلهم (أنعام وحرن حجر) أي حرام محجور عليه لا يصل أحد إليه
وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأن حكمه حكم الاسماء غير الصفات
(لا يطعمها) أي لا يأكل منها (الامن نشاء) أي من خدمة الاوثان والرجال دون النساء
(برعهم) أي لاجبة لهم فيه (وانعام حرمت ظهورها) أي فلا يركبونها كالبحار والسواحب
والحواري (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) أي عند ذبحها وانما كانوا يذكرون عليها اسم
الاصنام وقيل لا يجعون عليها ولا يركبونها الفعل خبر لأن العادة لما جرت به كالله على الخبير
ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ونسبوا ما فعلوه إلى الله تعالى (اقتراء عليه) أي اختلافا وكذبانه
أمرهم بها (سيجزيم) أي بوعده صادق لا خلف فيه (بما) أي بسبب ما كانوا يفترون وقالوا ما في
بطون هذه الانعام أي أجنة البعائر والسواحب وقوله تعالى (خالصة) حلال (لذكورنا) أي
خاصة بهم دون الاناث كما قال تعالى (ومحرم على أزواجنا) أي النساء وحذف الهاء من محرم
أما جلا على اللفظ وتحققا لأن المراد بخاصة المبالغة (وأن يكن) أي ما في بطونها (مينة فهم
فيه شركاء) أي الذكور والاثان فيه سواء أي أن ما ولد منها حيا فهو لذكور دون الاناث وما ولد
منها ميتا كله الذكور والاثان جميعا وقرأ ابن عامر وشعبة بالتأنيث في تكن والباقون بالتذكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر مينة بالرفع على أن تكن تامة والباقون بالنصب على أنها ناقصة
(سيجزيم) الله (وصفهم) أي سيكافئهم على وصفهم بالكذب على الله تعالى بالتحليل والتحرير
(أنه) أي الله (حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها) أي جهلا
(بغير علم) زنا في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يذنبون البنات أحياء مخافة
السبي والفقر وكان يوثقون ذلك بسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه
بأن الله هو رازق أولادهم لأن الجهل كان غالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا هو واجبة وسبب هذا الخسران أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله تعالى به على الوالد
فإذا نسب إلى إزالة هذه النعمة وإبطالها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة أما
خسارته في الدنيا فقد سبق في نقص عدده وإزالة ما أنعم الله تعالى به عليه وأما خسارته في الآخرة
فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
(وحرما ما رزقهم الله) وتفضل به عليهم رجة لهم من تلك الانعام والغلات بغير شرع ولا نفع
يوجه (اقتراء) أي تعمدوا الكذب (على الله) وهذا أيضا من أعظم الجهالة لأن الحرمة على
الله والكذب عليه من أعظم الذنوب والكبار ولهذا قال تعالى (لقد ضلوا) أي في فعلهم عن

قوله أو بتحقيقا لأن
المراد الخ لا يعنى
مانيه وعبارة
الكشاف وأنت
خالصة للعمل على
المعنى لأن ما في
معنى الاجنحة وذكر
محرم للعمل على
اللفظ ونظيره ومنهم
من يستعيب الكذب حتى
إذا خرجوا من
عندك ويجوز أن
تكون التاء للمبالغة
مثلها في رابطة
الشعر وأن تكون
مصدرا ووقع موقع
الخالص كالعاقبة
أي ذو خالصة وبدل
عليه قراءة من قرأ
خالصة بالنصب على
أن قوله لذكورنا
هو الخبر وخالصة
مصدر مؤكد ولا
يجوز أن يكون حالا
متقدمة لأن المحرود
لا يتقدم عليه حاله
وقرأ ابن عباس
خالصة على الإضافة
وفي مصحف عبد الله
خالص اهـ

الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) أى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال اذا سر لنا أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا ولادهم سفها الى قوله وما كانوا مهتدين وروى عن مهدي بن ميمون أنه قال سمعت ابا رجاء العطاردي يقول كنا بعد الحجر فاذا وجدنا حجر أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر واذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل السنة فلان دع رحما فيه حديد ولا سم ما فيه حديد الانزعناه فالتقىنا فى رجب (وهو الذى أنشأ) أى خلق (جنات) أى بساكن (معروشات) أى مبسوطات على الارض كالطبخ والقنا (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال الضحالك كلاًهما فى الكرم خاصة لأن منه ما يعرض بأن يبقى على وجه الارض منبسطة ومنه ما لم يعرض بأن يرتفع على ساق وقيل المعروشات ما عرشه الناس فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير المعروشات هو ما أنبتته الله تعالى فى البرارى والجبال من كرم أو نخيل (و) أنشأ (النخل والزروع مختلفاً) كلاً أى غره وجهه فى الهيئة والطعم منها الخلو والحامض والجيد والردى والغنى بالزروع والباقي مقيس عليه وألنخل والزروع داخل فى حكمه لكونه معطوفاً عليه وألجمع مع على تقدير كل ذلك أكل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء وقرأ نافع وابن كثير يجزم الكاف والباقون بالرفع (والزيتون والرمان متشابهاً) أى ورقيهما (وغير متشابه) أى فى طعمهما وقيل متشابهين فى المنظر مختلفين فى الطعم * ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى (كاو من غره) أى كل واحد من ذلك (إذا أنغر) أى ولوقيل نضجه وهذا أمر اباحة وأما قوله تعالى (وأنواحقه يوم حصاده) فالأمر فيه للوجوب والاية مبدية والحق هو الزكاة المفروضة والأمر باتباعها يوم الحصاد دليلهم به حينئذ حتى لا يؤخروا عن أول وقت يمكن فيه الاتباع وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتسقيط وقيل الاية مكينة والزكاة انما فرضت بالمدينة فالحق ما كان يصدر به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخته افتراض العشر ونصف العشر وقرأ جزة والكسائي برفع الناء والميم من غره والباقون بنصبها وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح حاء حصاده والباقون بكسرها ومعناها واحد (ولانسرفوا) أى باعطا كلكه فلا يبقى لعمالكم شئ روى أن ثابت بن قيس صرم خمسائة فغلة وقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شأ فترت (أنه لا يحب المسرفين) أى المتجاوزين ما حذلهم وفى ذلك وعيد وزجر عن الاسراف فى كل شئ قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله تعالى وقال لو كان أبو قيس ذهباً لرجل أففق فى طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً ولو أففق درهم واحد أو مائة فى معصية كل مسرفاً وقوله تعالى (ومن الانعام) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام (جولة) أى صالحة للعمل عليها كالابل الكبار والبغال (وفرشاً) أى لنعلم للعمل كالابل الصغار والجمال والغنم سميت فرشاً لانها كالفرش للارض لدونها منها وقيل هو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كاو اعماركم الله) أى

مما أحله لكم من هذه الانعام والحارث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طرائقه في التحليل
والقهر يم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية وقرأ قبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم
الطاء والباقون بالسكون (أنه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي بين العداوة وقوله تعالى
(غاية أرواح) أي أصناف بدل من جملة وفرشوا الروح لغة الفرد إذا كان معه آخر من
جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال لآل زوج
وللاثنى زوج (من الضأن) زوجين (اثنين) أي ذكر وأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم
والذكر ضأن والآنثى ضائعة والجمع ضوائن (ومن المعز) زوجين (اثنين) أي ذكر وأنثى وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين والباقون بالسكون والمعز والمعزى جمع لا واحد لهم من
لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم وقال البغوي جمع المعاز معز وجمع المعازة مواعر (قل)
يا محمد إن حرم ذكر كوا الانعام نارة وإنها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو إناثا ومختلطة
نارة ونسبوا ذلك لله تعالى (الذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
(أما) أي أم حرم ما (استقلت) أي انضمت (عليه أرحام الاثنين) ذكرًا كان أو أنثى (يتوفى) أي
أخبروني (يعلم) عن كيفية ذلك بأمر معلوم من جهة الله تعالى على غير محرم ما حرمتم (إن كنتم
صادقين) فدعواكم والاستفهام للانكار والمعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل
الذكورة فجميع الذكور حرام وإن كان من قبل الإثنية فجميع الإناث حرام ومن قبل اشتغال
الرحم فالزوجان حرام فمن أين التخصيص * (تنبيه) * اتفق القراء على أن في همزة الوصل وهي
التي بين همزة الاستفهام واللام التعريف وجهين وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها
مبدلة والتسهيل هو أن تقصر هامسها (ومن الأبل اثنين) ذكرًا وأنثى (ومن البقر اثنين) كذلك
(قل) يا محمد لهؤلاء الذين اخفقوا جهلا وسفها (الذكرين حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
(أما) أي أم حرم ما (استقلت) أي انضمت (عليه أرحام) الاثنين ذكرًا كان أو أنثى (أم كنتم)
أي بل أكنتم (شهداء) أي حاضرين (أذوصاكم الله بهذا) أي حين وصاكم بهذا التحريم
إذا أنتم لا تؤمنون بي فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا بالمشاهدة والسمع فكيف
تثبتون هذه الأحكام وتسمونها إلى الله تعالى * ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا سند لهم في
ذلك قال تعالى (فن) أي لأحد (أظلم من أقرى) أي نعمد (على الله كذبًا) كعمر بن لحي فإنه
أول من يجر الجحائر وسبب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل
من كان على طريقته أو ابتدأ شأله بأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك إلى الله تعالى لأن القطع عام
فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد (ليضل)
الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يرشد ولا يوفق من كذب عليه وأضاف
إليه ما لم يشرع لعباده * ولما بين سبحانه وتعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من
التحريم والتحليل من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموا ممن المعلومات أتبعه
بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحى سماوي وشرع نبوي فقال

قوله والمعز والمعزى
جمع لا واحد له الخ
الذي في حاشية زاده
أن معز بفتح العين
وسكونها لقضبان
في جمع ما عر وقد
تقدم أن فاعلا
يجمع نارة على فعل
كأجر وتجر وعلى
فعل أخرى فحو
خادم وخدم ويجمع
أبنا على معزى هـ

تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الجهلة الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم (لا أجد في ما أوحى
 إلي محرماً) أي طعماً محرماً ما حرمتموه * (فائدة) * في ما أوحى إلي في مقطوعة من ما في الرسم
 (على طاعم) أي طاعم كان من ذكر أو أنثى (يطعمه) أي يتناول له أكل أو شرباً أو دواءً وغير ذلك
 (الآن يكون) أي ذلك الطعام (مبسة) وهي كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية وقرأ ابن كثير
 وابن عامر وحجة ~~تكون~~ بالتأنيث والباقون بالتذكير ورفع مبسة ابن عامر على أن كان هي
 التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى (أو دماً مسفوحاً) عطف على أن مع ما في حيزه أي
 الوجود مبسة أو دماً مسفوحاً أي مصبوحاً كالدم في العروق لا كالكدو الطحال (أو لحم خنزير
 فأنه) أي الخنزير (رجس) أي نجس فالخنزير يعود على المضاف إليه لأن اللحم دخل في قوله مبسة
 وحينئذ في الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ثم
 اني رأيت البقاعى في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى (أو فسقاً أهل غير الله به) أي ذبح على
 اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل * (تنبيه) * ظاهر الآية أن المحرمات
 محصورة في هذه الاربعة وأنه لا يحرم شيء من سائر الأطعمة والحلويات وغيرها وهي الميتة
 والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة
 وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بوحى وثبت أن
 الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة أشياء وقال تعالى في سورة البقرة أنما حرم عليكم
 الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وأنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدينة
 مطابقة للآية المذكورة في الحكم ولكن الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص
 بهذه فقط بل المحترم ما كان بنص كتاب أو سنة وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم
 الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع أو مخالب من الطيور وورد النهي عن أكل الهر وأكل غنمه
 ويحرم أيضاً كل ما أمر بقتله كالدابة والغراب الأبقع وأنهى عن قتله كالهدد والخفاش وما
 لانص فيه بتحريم أو تحليل أو تبديل على أحدهما كالأمر بالقتل وأنهى عنه ان استطابته عرب
 ذوو يسار وطباع سليمة حال رفاهية حل وان استخبنوه فلا يحل فان اختلفوا في استطابته اتبع
 الأكثر فان استوا فقرش لانهم قطب العرب وفيهم الفتوة فان اختلفت أو لم تحكم بشيء اعتبر
 الاشبه به من الحيوانات فان استوى الشبهان أو لم يوجد ما يشبهه خلال لهذه الآية وما جهل
 اسمه عمل بتسمية العرب له مما هو حلال أو حرام * ولما حرم الله تعالى هذه الاشياء أباح أكلها
 عند الاضطرار بقوله تعالى (فمن اضطر) أي حصل له جوع خفي منه التلف (غير باغ) أي على
 مضطر مثله (ولا عاد) أي ولا متجاوز قدر الضرورة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والنكسافي
 بضم النون في الوصل والباقون بالكسر (فان ربك غفور) لا يؤاخذ بالآكل (رحيم) به حيث
 أباح له ذلك (وعلى الذين هادوا) أي اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام
 وهو ايه اشتقاقهم هادوا أي مالوا الامم من عبادة الجبل وامم دين موسى عليه السلام أو من
 هادوا ذرابع من خبر إلى شر ومن شر إلى خير لكثرة اتقاهم عن مذاهم وقيل لانهم يتهودون أي

يُحَرِّمُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَةِ وَقِيلَ مَعْرَبٌ مِنْ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ثُمَّ نَسَبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ
يَهُودِيٌّ ثُمَّ حَذَفَ الْيَاءَ فِي الْجَمْعِ فَقِيلَ يَهُودٌ (حَرَّمْنَا) أَيْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ عَلَيْهِمْ (كُلُّ ذِي ظَفَرٍ) أَيْ
مَا هُوَ كَالصَّبْعِ لِلْأَذَى مِنْ دَابَّةٍ أَوْ طَيْرٍ وَكَانَ بَعْضُ ذَوَاتِ الظُّفْرِ حَلَالًا لَهُمْ فَلَمَّا ظَلَمُوا أَحْرَمَ عَلَيْهِمْ
فَمُ الْكَرِيمِ كُلُّ ذِي ظَفَرٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فَيُظَلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَحْرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ
(وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ) أَيْ الَّتِي هِيَ ذَوَاتُ الْأُظْلَافِ (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) أَيْ الصَّنْفَيْنِ وَالْمُرَادُ
شُحْمُ الْجُوفِ وَهُوَ الثَّرَوِبُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ هُوَ شُحْمٌ قَدِ غَشِيَ الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ رَقِيقٌ ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْ
الشُّحُومِ مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ (أَلَا مَا حِلَّتْ لَكُمْ طَهُورُهَا) أَيْ الْأَمْعَاءُ عُلِقَ بِالطَّهْرِ وَالْجَنْبِ مِنْ دَاخِلِ بَطُونِهَا
(أَوَ الْحَوَايَا) أَيْ مَا حِلَّتْ لَهُ الْحَوَايَا وَهِيَ الْأَمْعَاءُ الَّتِي هِيَ مَعَاطِفُهُ مَلَوْنَةٌ بِجَمْعِ حَوِيَّةٍ قَوْزُهَا فَعَالٌ
كَسْفِينَةٌ وَسَفَانٌ وَقِيلَ جَمْعُ حَوِيَّةٍ أَوْ حَوَايَا كَقَصَاعَةٍ فَهُوَ فَوَاعِلٌ (أَوْ مَا اخْتَلَفَ) أَيْ مِنَ الشُّحُومِ
(بِعَظْمٍ) مِثْلُ شُحْمِ الْإِلَهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمْ رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَامُ الْفَتْحِ وَهُوَ
عَمَّةٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَرَمَ سَبْعَ أَلْهُوَ الْمَيْسَةِ وَالْخَزِيرِ وَالْإِصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ
الْمَيْسَةِ فَأَمَّا تَطْلُبُ بِهَا السُّفْنُ وَيَدْنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيُسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ أَيْ يَحْتَمِلُهَا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتِلَ اللَّهِ الْيَهُودَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا أَجْلَاهُ أَيْ أَذْيُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ وَكَأَوَّاهُ (ذَلِكَ) أَيْ الْحَرِيمُ الْعَظِيمُ وَهُوَ تَحْرِيمُ الطَّيِّبَاتِ
(حَرَّمَ نَاهِيَهُمْ) بِهِ (يَنْعِيهِمْ) أَيْ بِسَبَبِ مَجَاوِزَتِهِمْ الْحُدُودَ (وَأَنَّا لَصَادِقُونَ) أَيْ فِي الْأَخْبَارِ عَامِرُنَا
عَلَيْهِمْ وَعَنْ يَنْعِيهِمْ (فَأَن كَذِبُولَهُ) أَيْ الْيَهُودِيَّاءُ مُحَمَّدِيًّا أَخْبَرْنَا بِهِ عَنْهُمْ (فَقِيلَ) لَهُمْ (رَبِّكُمْ ذُورَجَةٌ
وَاسِعَةٌ) أَيْ بِأَخِيرِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ فَلَمْ يَعْجَلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي ذَلِكَ تَلَطُّقًا بِعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ
(وَلَا يَرْبَأُ سَهَةً) أَيْ عِقَابُهُ (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ وَقَبْلَ ذُورَجَةٍ وَاسِعَةٍ لِلْمُطِيعِينَ
وَذُوبِاسٍ شَدِيدٍ لِلْعَجْرَمِينَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) أَخْبَارُ عَنْ مَسْتَقْبَلِ وَقُوعِ مَجْزَعِهِ
يَدُلُّ عَلَى عَجَازِهِ وَلَمَّا لَزِمَهُمْ الْحُجَّةُ وَتَيَقَّنُوا بِإِطْلَاقِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يَحْرَمْهُ
اللَّهُ قَالُوا (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا قَوْلَهُمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكْنَا حُجَّةً لَهُمْ عَلَى أَقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَقَالُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ فَادْرَيْ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ
حَتَّى لَا تَفْعَلَهُ فَلَوْلَا أَنَّهُ رَضِيَ مَا نَحْنُ فِيهِ وَارَادَهُ مَنَاوَأُ مَرْنَاهُ لِحَالِ بَيْنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
تَكْذِيبًا لَهُمْ (كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَيْ مِنْ كُنَا أَلَامِ الْمَاضِيَةِ (حَتَّى ذَا قُوا أَبَاسَنَا)
أَيْ عَذَابُنَا وَيَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْقَدَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُونَ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا كَذَبَهُمْ
اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَأَجَابَ أَهْلُ السَّنَةِ بِأَنَّ التَّكْذِيبَ لَيْسَ
فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا بَلْ ذَلِكَ الْقَوْلُ صَدَقَ وَلَكِنْ فِي قَوْلِهِمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مَا نَاهِيَهُ وَرَضِيَ
مَا نَحْنُ عَلَيْهِ كَمَا أَخْبَرَتِ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا نَاطِلِيهَا آبَاؤُنَا
وَاللَّهُ أَمْرُنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَيْسَ بِاللَّهِ لَيْسَ بِاللَّهِ لَيْسَ بِاللَّهِ
التَّكْذِيبُ وَرَدَّ فِيمَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِالتَّشْدِيدِ
وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللَّهِ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا لَقَالَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ

قبلهم بالتخفيف وكان ينسبهم الى الكذب لالى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكروا
هذه المقالة تعظيماً واحلاً لالله تعالى ومعرفة منهم لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ولو شاء الله
ما أشركوا وقال تعالى وما كانوا يؤمنوا الا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكن المشركين
قالوا تكذبا وتحريراً وضا وجسد لا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرسون وقد علم من ذلك ان امر
الله تعالى بعزل عن مشيئته وارادته فانه مر يد لجميع الكائنات غيراً مر بجميع ما يريد وعلى
العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذراً للاحد (قل) يا محمد
لهؤلاء المشركين القائلين ماذا كره (هل عندكم) أي الجاهل (من علم) أي من أمر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم من تحريم ما حرمت وإن الله راض بشرككم (فقرجوه لنا) أي
فتظهروه لنا وتبينوه لنا كما بينا لكم خطأكم (ان) أي ما (تتبعون) في ذلك (الا الظن) أي فيما
أنتم عليه ولا علم عندكم (وان أنتم الا تخرسون) أي وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون
على الله تعالى الباطل (قل) لهم حين يحزوا عن اظهار الحق (فحق الحق البالغة) أي التامة على
خلقه بانزال الكتب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لاجحة لاحد عصى الله وأشرك به على
الله ولكن الله الحق البالغة على عباده (فلو شاء) الله هدايتكم (أهداكم أجعين) ولكنه لم يشأ ذلك
بل شاء هداية بعض وضلال بعض آخر فوقع ذلك على الوجه الذي شاء لا يستل عما يفعل (قل)
لهم (هل) أي أحضروا (شهداء) هم الذين شهدون لكم (ان الله حرم هذا) أي ما تقدم من
تحريمهم الاشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به وهم اسم فعل لا يتصرف يستوي فيه
الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث عند الجازين وعند بني تميم فعل مؤنث وبني وجمعه
(فان شهدوا) أي فان تجروا على الشهادة كذبا (فلا تشهد معهم) أي فاطركمهم ولا تسلم لهم
فانهم على ضلال وليست شهادتهم مستندة الى الهوى (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا)
انما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحق
لا يكون الا معسداً قاهياً (ولا تتبع أهواء) الذين لا يؤمنون بالآخرة التي هي دار الجزاء فانهم
لوجوزوها ما اجتروا على ذلك (وهم برهم يعدلون) أي بشركون فيجعلون له عديلاً (قل) لهم
(تعالوا) أي اقبلوا على (أتل) أي أقرأ (ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) وذلك أنهم
سألوا وقالوا أي الذي حرم الله فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم ذلك (فان قبل) ما معنى قوله
تعالى حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك (أجيب) بأن موضع أن
رفع أي هو أن لا تشركوا وقيل نصب واختلفوا في وجهه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا
صله كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم
ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيئاً على وجه الاغراء وقال الزجاج يجوز أن يكون هذا محجولاً على
المعنى أي أتل عليكم تحريم الشرك وجاز أن يكون على معنى أو صيغكم أن لا تشركوا (وبالو الذين
احساناً) أي فأحسنواهم احساناً ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهم بالمبالغة والدلالة

على أن ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) أي من
أجل فقر تحافونه والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية
فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم وقوله تعالى (نحن نرزقكم واباهم) منع لموجبة ما كانوا
يفعلونه لاجله واحتجاج عليهم لأن الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام
بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله (ولا تقر بوا القواحسن) أي سائر المعاصي
(ما ظهر منها وما بطن) أي علانياتها وسرها وقبل المراد الزنا علانيته وسرها وكان أهل الجاهلية
يستقبهون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية
وأجاب الأول بأن السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح بالقتل لشدة
أمره بالتخصيص بعد التعميم فقال (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) عليكم قتلها (الابالحق)
وهي التي أبيع قتلها بردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم أو نحو ذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا بحدى ثلاث
التيب الزاني والنفس بالنفس والتارل لدينه المذارق للجماعة وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى
ما ذكره مفسلا (وصاكم به) أي أمركم به وأوجه عليكم (اعلمكم تعقلون) أي تدبرون
ما في هذه التكليف من الفوائد والمذايق فان كمال العقل هو التدبر (ولا تقر بوا مال البنييم)
أي بنوع من أنواع عمل فيه أو غيره (الاباتي) أي بالخصة التي (هي أحسن) بماله تحفظه
وتمينه وتفسيره وبسبب ذلك (حتى يبلغ أشده) وهو من يبلغ به أو ان حصول عقله عادة وهو
البالوغ بالسن أو الاحتملام أو عقل يحصل به رشده وقيل الاشد من الثمانين عشر الى ثلاثين سنة
وقيل الى أربعين وقيل الى ستين (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي العدل من غير
تفریط ولا إفراط (لا تكف نفسا الا وسعها) أي طاعتها في ايفاء الكيل والميزان لم يكف اعطى
أكثر مما وجب عليه ولا يكف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عليه بل
أمر كل واحد منهم بما يجاسه مما لا حرج عليه فيه وذلك عطف الامر به ان ايفاء الحق
عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراء الوسع معفو عنه (واذا قلتم) أي في حكمكم أو شهادة أو غير
ذلك (فاعدوا) فيه بالصدق (ولو كان) المقول له أو عليه (ذاقربى) أي من ذوى قرابتكم
(وبعهد الله أوفوا) أي ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلكم) أي
الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم) بالعمل (به لعلكم تذكرون) أي تتعظون فتأخذون
بما أمرتكم به وقرأ حفص وجزء والكسائي بخفيف الذال والباقون بالتشديد (وان هذا)
الذي وصيتكم به (صراطي مستقيما) والاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأمرها في
اثبات التوحيد والنسبة وبيان الشريعة وقرأ ابن عامر بخفيف النون والباقون بالتشديد
وكسر الهمزة جزء والكسائي على الاستئناف ونحوها الباقون على تقدير اللام وفتح اليا من
صراطي ابن عامر وسكنها الباقون وتقدم مذهب قبل في الصراطين ومذهب خاف
في اشعام الصاد (فاتبعوه) أي بغير غيبة جهلهم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير

(ولاتبعوا السبل) أى الطرق المخالفة لدين الاسلام (فتفرق) فيه حذف احدى التامين أى
 فقيل (بكم) أى هذه الطرق المضلة (عن سبيله) أى طريقه التى ارتضاها لعباده وبها أوصى
 (ذلكم) أى الامر العظيم من اتباعه (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق
 روى انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطا وما عن يمينه وعن شماله
 وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
 (ثم أتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فان قيل) ثم للترتيب وايضا موسى الكتاب كان قبل مجي
 القرآن (أجيب) بأن ثم ترتيب الاخبار أى ثم أخبركم انا ايها موسى الكتاب فدخل ثم للترتيب
 المنبر لنا خيرا لنزول وقوله تعالى (تماما) حال أى لم ينقص الكتاب عما يملهم شيئا (على) الوجه
 (الذى أحسن) أى أتى بالاحسان فأثبت الحسن وجعله بما بين من الشرع وما جى طوافه
 أهل الارض به من الاهلاك العام روى ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد نزول التوراة
 وقيل عاما على المحسنين من قوم موسى فيكون الذى يعنى من أى على من أحسن من قومه وكان
 فيهم محسن ومسيى وقيل الذى أحسن هو موسى عليه السلام أى انما لانعمة عليه لاحسانه
 بالعبادة أو الذى يعنى ما أى ما أحسن وقوله تعالى (وتصلا) عطف على تمام أى وياتا (لكل شئ)
 أى يحتاج اليه فى الدين (وهدى) أى فيه هدى من الضلالة (ورجى) أى انزله عليهم رحمة لهم
 (اعلمهم) أى بنى اسرائيل (ببقا ربهم) أى بالبعث والجزاء (يوهون) أى ليكون حالهم بعد
 انزال الكتاب لما يرون من حسن شرائعه ونفاعة كلامه وجلالة أمره حال من يرجون ويجدد
 الايمان فى كل وقت ببقا ربه وليذكر ما أنعم به عليهم من اراحهم من مصر من العبودية
 والرف (وهذا) أى القرآن (كتاب) أى عظيم (أنزلناه) اليكم أى بلسانكم بحجة عليكم (مبارك)
 أى كثير الخير والنفع والبركة (فاتبعوه) أى اتبعوا ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام
 (واتقوا) الكفر (لعلكم ترجون) أى بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ثم بين تعالى المراد من
 انزاله فقال (أن) أى كراهة ان (تقولوا انما أنزل الكتاب) أى التوراة والانجيل (على طائفتين
 من قبلنا) أى اليهود والنصارى (وان كان) أى وقد كان وان هى الخفنة من الثقل ولذا
 دخلت اللام الفارقة بينهما وبين النافية فى خبر كان أى وانه كان (عن دراستهم) قراءة تهم لكتابهم
 قراءة مردودة (لغافلين) أى لانعرف حقيقة ما ولا ثبت عندنا حقيقتها ولا هى بلساننا (أو تقولوا)
 أى أيها العرب لم تكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الاعلى
 المكتوب اليه فلم يتبعوه (لأننا) أهلنا لما أهلوا له حتى (أنزل علينا الكتاب) أى جنسه (لأننا)
 أهدي منهم) أى لما لتاسمنا الاستعداد بوفور العقل وحسنة الاذنان واستقامة الافكار
 واعتدال الاحزجة والاذعان للحق (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى القرآن فيه بيان وحجة واضحة
 تعرفونها على لسان رجل منكم تعرفون انه أولاكم بذلك (وهدى) من الضلالة لمن تدبره
 (ورجى) أى وهو رجى ونعمة أنعم بها عليكم فماتوا فيه واعملوا به (فن) أى لأحد (أظلم عن
 كذب) بآيات الله وصدق (أى أعرض عنها) فضل وأضل (سبحرى الذين يصدفون

عن آياتنا ولا يتوبون (سوء العذاب) أي شدته (عما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم
(همل متطرون) أي ما ينظر هؤلاء المكذبون (الآن تأتيهم الملائكة) أي ليقبض أرواحهم
أو بالعذاب وقرأ جزء والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث (أو يأتي ربك)
أي أمره بالعذاب (أو يأتي بعض آيات) أي علامات (ربك) الدالة على الساعة كطلوع الشمس
من مغربها وعن حذيفة والبراء بن عازب كانت إذا كر الساعة أظلم علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما نذاكرون قاننا كانت إذا كر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ومأجوج ونزل عيسى ونار تخرج من عدن (يوم يأتي
بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين (لا يقع نفسا إيمانهم
تسكن آمنتم من قبل) صفة نفسا (أو) نفسا لم تسكن (سبب في إيمانها خيرا) أي
طاعة لا ينفعها توبتها قال صلى الله عليه وسلم يدا الله مبسوطان لئلا ليتوب بالثواب ولمس
النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل ان تطلع
الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا ميرة عرضه
سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن
فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنتم من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها (قل
انتظروا) بعض هذه الاشياء (انما تنظرون) ذلك وحيف قلنا القوز عليكم ولكم الويل (ان
الذين فرقوا دينهم) أي بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض واقفروا فيه قال صلى الله عليه
وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه وفي بعض الروايات قالوا من
هم يارسل الله قال ما أبا عليه وأصحابي وقرأ جزء بضعف الراوي ألف قبلها والباقون تشديدها
ولألف (وكاوا شيئا) أي فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقادة كاهل
الكتاب فانهم ابتدعوا في دينهم بدعا وصلتهم الى تكفير بعضهم بعضا فآمنوا ببعض الانبياء
وكفروا ببعض وكالجوس الذين فرقوا دينهم باعقاد ان الاله اشان النور والظلمة وعبدوا
الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم قسما توسل به في زعمهم اليه وقيل هم أهل البدع وأصحاب
الاهواء من هذه الامة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم
وكاوا شيئا هم أهل البدع وأصحاب الاهواء من هذه الامة وعن العرياض بن سارية قال صلى
بنارسل الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ورجلت منها القلوب
فقال قائل يارسل الله كأنهم موعظة مودع فإوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
وان كان عبدا حبسا فان من يعيش منكم فسيروا اخلا فاكثرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الامم وفاق كل محدثة بدعة وكل

بدعة ضلالة وروى ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى محمد صلى الله عليه وسلم
 وشرا الامور محمد ثاتها (است منهم في شيء) أي من السؤال عنهم فلا تعرض لهم (انما امرهم
 الى الله) يتولى جزاءهم (ثم يثيبهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف
 (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله تعالى (ومن جاء
 بالسيئة فلا يجزيه الا مثلهما) أي جزاءها قاضية للعدل (وهم لا يظلمون) أي بقص الثواب وزيادة
 العقاب وما ذكر في اضعاف الحسنات هو أقل مما عدى من الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم
 اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف
 وكل سيئة يعملها تكتب بثلثها حتى يلقى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فله سيئة مثلها وأغفر ومن تقرب مني
 شهرا تقربت منه ذراعا ومن لقيني بقرب أهلى الارض خطيئة لا يشركني شيئا لقيته بثلثها
 مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا
 تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكبها بثلثها وان تركها من أجلها فاكبها بحسنة
 وان عملها فاكبها بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الآية
 في غير الصدقات من الحسنات فأما الصدقات فانها تضاعف سبعمائة ضعف (قل) يا محمد هؤلاء
 المشركين من قومك (اننى هداني الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من
 الخلق وقرأ نافع وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بالسكون وقوله تعالى (دينا) بدل من محمل الى
 صراط مستقيم والمعنى وهذا فى صراطا كقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما (قيما)
 أى مستقيما وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح القاف وكسر الباء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح الباء المحذوفة على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما فاعل لاعلال فعله كالقيام
 وقوله تعالى (مله ابراهيم) عطف بيان لديننا اذ الله تبارك وتعالى كسر الدين وان فرق بينهم ما بان الملة
 لا تضاف الا الى النبي الذى تستند اليه والدين لا تختص اضافته بذلك وقوله تعالى (حنيفا)
 حال من ابراهيم أى ما تلامن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من حج أو اختن حنيفا
 تنبيه على انه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان) ابراهيم صلى الله
 عليه وسلم (من المشركين) رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فأخبر الله تعالى
 ان ابراهيم لم يكن من المشركين (قل) يا محمد (ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى من حج وغيره
 (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة وأطاعات الحياة
 والخبرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع ومحيى
 يسكون الباء بخلاف عن ورش اجراء الوصل مجرى الوقف والباقون بالفتح وفتح الباء من مماتى
 نافع وسكنها الباقون (لله رب العالمين لا شريك له) فى ذلك (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمرت)
 وأنا أول المسلمين) أى من هذه الامة لأن اسلام كل نبي مقدم على اسلام أمته وقرأ نافع بعد أنا
 قبل الهمزة المفتوحة وقالون بالمد والقصر لانها عندهم من منفصل والباقون بلا مد أصلا (قل)

يا محمد لهؤلاء الكفار من قولك (أغبر الله أنبي) أي أطلب رباً أي الها فاشركه في عبادتي
وهذا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أي منكراً أنبي رباً غيره
(وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له ربوية غيره كما قال تعالى قل
أفغبر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (ولا تكسب كل نفس) ذنباً (الاعلمها) أي أتم الحاني
عليه لا على غيره وقوله تعالى (ولا تزرن) أي ولا تحمل نفس (وأزرة) أي أتمه (وزرن) نفس (أخرى)
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولتعمل خطايانا (ثم إلى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا فيبين الرشد من الغي والمحق من المبطل (وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض) جمع خليفة لأن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الأمم
أو يخلف بعضهم بعضاً فيها أو هم خلفاء الله تعالى في أرضه على كونه أو بصرفون فيها (ورفع
بعضكم فوق بعض درجات) أي في الشرف والرزق (ليبأوكم) أي ليختبركم (في ما آتاكم) أي
اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي * (فائدة) * في تكذيب مقطوعة عن ما (أن ربك سريع
العقاب) لمن عصاه لأن ما هو أقرّب أولاً لأنه يسرع إذا أراد (وإنه لغفور) لاهل مؤمنين
(رحيم) بهم وصف الله تعالى العقاب ولم يصفه إلى نفسه ووصف تعالى ذاته بالمغفرة وضم إليه
الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيهاً على أنه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها فاستألف الله العظيم أن يسأله عن ما يغفر
ولا تناو ولا يؤخذ ناسوا أفعالنا وإن يفعل ذلك بالديننا وأقاربنا وأحبابنا وأصحابنا وجميع
المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(سورة الاحزاب مكية)

الايمان آيات من قوله تعالى واسئلهم عن القرية الى قوله تعالى واذا تقننا الجبل وهي محكمة
كلها وقيل الاقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وعدد آياتها مائتان وخمس آيات وكلها
ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً وحرفها أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الواحد الذي لا يقدر أحد قدره (الرحمن) الذي عمّ بنعمة البيان من أوجب عليهم
شكركه (الرحيم) الذي خص أهل وده فاجتنبوا نهيدوا امتثلوا أمره (المص) سبق الكلام على
معاني الحروف المنقطعة في أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ محذوف تقديره
هو وهذا أو خبر المص والمراد بالكتاب السورة أو القرآن وقوله تعالى (أنزل السك) صفة
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن في صدوركم حرج) أي ضيق (منه) أي لا يضيق
صدركم بالأبلاغ وتأدية ما أرسلت به مخافة أن تكذب لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له
وأعراضهم عنه وإذا هم وكان يضيق صدره من الأذى ولا ينسبط له فأمنه الله ونهه عن
المبالاة بهم وقيل الحرج الشك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وسمى الشك
حرجاً لأن الشك يضيق الصدر كما أن التيقن منشرح الصدر وقوله تعالى (تصدرون) متعلق بأنزل

أي للأنذار به (وذكرى) أي ونذرة (للمؤمنين) به وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل
 من أمكن انذاره ونذره من العقلاء قال بعض المفسرين وهذا من المؤخر الذي معناه
 التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لنذره وذكرى للمؤمنين فلا يسكن في صدره حرج منه ويدل
 لهذا انعلق لتسدر بانزل وقوله تعالى (اتبعولما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن والسنة لقوله
 تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى وحى ولقوله تعالى وما أنا كم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا أي قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وذروا ما أنتم عليه من
 الشرك (ولا تتبعوا من دونه) أي ولا تتخذوا من دون الله أي غيره (أولياء) تطيعونهم من
 شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قلبلا
 ماتذكرون) أي تعظون وقرأ ابن عامر ياء قبل التاء وتخفيف الذال وقرأ أحدص وحجرة
 والكسائي بخفيف الذال ولا ياء قبل التاء والباقون بتشديد الذال ولا ياء قبل التاء (وكم من
 قرية أهلكناها) أي أهلكنا أهلها وقيل لا يحتاج الى تقدير صاف لان القرية تهلك كما يهلك
 أهلها وانما يقدر في خفاء لاجل قوله تعالى أو هم قائلون وكم خبرية مفعول أهلكنا وهي للتكثير
 والاهلاك على حقيقته أو يقتدر اننا أهلكنا لقوله تعالى (خاءها) أي أهلها (أسنا) أي عذابنا
 فان مجيء الباس قبل الاهلاك تشدرا لارادة وقيل الاهلاك الانذالان وعلى هذا فلا حاجة الى
 تقدير (يأنا) أي وقت الاستمكان في السوت ليلا كما جاء قوم لوط عليه السلام (أو هم قائلون)
 أي نأثمون وقت القائلة وهي نصف النهار وأستريحون من غير نوم كما أهلكنا قوم شعيب عليه
 السلام أي مرة جاءه ليل لاومرة نهوا وانما خص هذين الوقتين لانهم ما وقت دعة واستراحة
 فيكون مجيء العذاب فيهما أقطع وفي هذا وعيد وتخويف للكفار كانه قبل لا تفتروا بأبواب
 الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فاكان دعواهم) أي قولهم (اذ جاءهم
 بأسنا) أي عذابنا (الآن قالوا) أي الاقوالهم (انا كنا ظالمين) أي فيما كنا عليه حيث لم تتبع ما أنزل
 اليان من ربنا وذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فلنستل الذين أوسل اليهم) أي المرسل اليهم وهم
 الامم يسألهم الله تعالى عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنستل المرسلين) أي عما اجيبوا به كما
 قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم وقيل نسأل المرسلين عن الابلاغ والمراد من هذا
 السؤال توبيخ الكفرة وتقرعهم والمنق في قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
 الاستعلام الاول في وقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) أي
 الرسل والمرسل اليهم (بعلم) تخبرهم عن علم بما فعلوه باطنا وظاهرا وبما قالوه سرا وعلانية
 (وما كنا غائبين) عنهم فيخبرني علنا شي من أحوالهم وأقوالهم (والوزن) أي اصناف الاعمال
 بميزان لسان وكفتان يتقار بها الخلائق اظهارا للعدل وقطع للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم
 فتعرف بها ألسنتهم وتنهدها اجوارهم ويؤيده ما روي ان رجلا يوقى به الى الميزان فينشر
 عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل من البصر فيخرج له بطاقة فيها كل ما كذب الهادة فتوضع
 البطاقات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت البطاقات وثابت البطاقة والبطاقة رقعة صغيرة

تجعل في طي الثوب يكتب فيها غنمه وقيل توزن الاعمال روى عن ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وقيل توزن
الاشخاص لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اباقى الرجل العظيم السنين يوم القيامة
فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقوله تعالى (يومئذ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة
خبر المبتدأ الذى هو الوزن وقوله تعالى (الحق) أى العدل السوى صفته (فن نقلت موازينه)
أى رجعت على ما يعهد في الدنيا بصنائف الاعمال أو حسناته أو بئس على الاقوال الماضية وعن
الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يرجح وينقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يحق (فان قيل) الميزان واحد فواجه الجمع (أجيب) بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد
وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما يجمعه لأن الميزان يشقل على الكفتين واللسان
والساهون ولا يمت الوزن الا بذلك كله وقيل جميع لاختلاف الموازنات وتعدد الجمع فهو جمع
موزون أو ميزان (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت) أى طاشت
(موازينه) أى السيات أى بسبيها (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى تصيبيرها الى النار
(بما كانوا ياتون بظلمون) أى يمجحون (ولقد مكناهم) يابى آدم (في الأرض) أى في
مسكنها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة أى اسبابا يعيشون بها
أيام حياتكم من أنواع التجارات والصنائع والمساكن والمشارب وذلك بفضل الله تعالى
وانعامه على عبده وكره الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع
هذا الافضال على عبده وانعامه عليهم لا يقومون بشكرها كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا
ما تشكرون) أى على ما صنعت لكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون
لأن الانسان قديكر نعمة الله فيشكروه عليها فلا يخاف في بعض الاوقات من الشكر على النعم
وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها (ولقد
خلقناكم) أى اباكم آدم (ثم صورناكم) أى اباكم آدم والمراد يعنى خلقنا اباكم آدم طينًا غير
مصور ثم صورناه فسنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم وقيل خلقناكم في
اصلاب الرجال ثم صورناكم في أوجام النساء (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (فان قيل)
ثم للترتيب والترخي وهى ظاهرة على القول الاول فواجهه على الثانى (أجيب) بأنها تكون
معنى الواو أى وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية بالانحناء (فسجدوا) أى الملائكة
كلهم لآدم (الا بليس) أبابطين كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين) أى من سجد (قال)
الله تعالى لابلis (ما منعك أن تسجد) أى ان تسجد (اذا أمرتك) فلا زائدة لتأكيد
في قوله تعالى لا أقسم أى أقسم وقوله تعالى وحرام على قرية أن يهلكوها أنهم لا يرجعون أى
يرجعون ثم ان جل ما منعك على ما حلك لم تكن زائدة (قال) ابليس مجيبا له تعالى (أنا خير منه)
(فان قيل) كيف يكون قوله أنا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول معنى كذا
(أجيب) بأنه خير اب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله مأثورا بالسجود

للملئكة كانه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن
يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أو لا وعلى الخبرية بقوله تعالى
(خلقتني من نار) فهي أغلب أجزائي وهي مشرقة مضيئة عابسة غالبة (وخلقتني من طين) أي
خو أغلب أجزائه وهو كدر مظلم ساقل مغلوب فكل منهما مركب من العناصر الاربعة فالإضافة
الى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من قاس ابليس فأخطأ في
قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس الا بالقاموس
وانما خطأ ابليس لانه رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار
اليه بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه
عليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهي ملاك ولذلك
أمر الملائكة بالسجود للميتين لهم انه أعلم منهم وإن له خواص ليست لغيره وقال محمد بن جرير
ظن الحديث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن المتفضل ما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين
عن النار بوجوه منها أن جوهر الطين الرزاق والوفاء والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد
السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته الاجتناب والمنزلة والهداية
ومن جوهر النار الخفة واللبس والحدة والارتفاع وهو الداعي لابليس بعد الشقاوة
التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع
الاشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الانسجار والنبات لا تكون
الا مع الطين والنار سبب الهلاك (فان قيل) لم سأله الله تعالى عن المانع من السجود وهو عالم
بما منعه (أجيب) بأنه للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره واقضاره بأصله وازدراؤه أصل
آدم عليه الصلاة والسلام (قال) الله تعالى لابليس (فاهبط منها) أي من الجنة وقيل من السماء
الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل التهقير والهوان والاستخفاف
(فما يكون) أي فاصبح (لأن تكبر فيها) عن أمرى لأن الجنة أو السماء مكان الخاشع
المطيع لأمر الله تعالى وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة والسماء وانه تعالى انما طرد
ابليس لتكبره لا لجرده المعصية قال صلى الله عليه وسلم كبروا اليه من تواضعه ورفع الله ومن
تكبروا وضعه الله وعن عمر رضي الله عنه من تواضع رفع الله حكمته ومن تكبر وعلا طوره وضعه
الله الى الارض (فاخرج منها) (الكن الصاغر) أي الكفرة الأذلاء المهانين والصغار الذل
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له
ملك الارض فأخرجه الله منها الى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خافا
كهيمة السارق مشيل شيخ عليه اطمار دنة يروغ فيها حتى يخرج منها (قال) ابليس عند ذلك
(أنظرن) أي أخرى ولا تخفن ولا تعجل عقوبتي (الى يوم يعثون) أي الناس وهو النخعة
الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة ابليس الحديث لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه
لا سبيل لاحد من الخلق الى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود

فلم يجب الى ما سألت بل أجابه الله تعالى بقوله (قال انك من المنظرين) لاني ذلك الوقت بل الى
الوقت المعلوم كما بينه تعالى في سورة الحجر بقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وذلك هو النسخة الاولى التي عوت فيها الخلق (فان قيل) لم أجيب الى الاظهار وانما استنظر لفسد
عباده وبغورهم (أجيب) بأنه أجابه لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفتهم من عظيم الثواب
وحكمة ما خلق الله تعالى من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس
من الشهوات ليجتحن بها عباده (قال) أي ابليس (فبما أغويتني) أي فباغوا نكالي والباء للقسم
أي اقسم باغوا نك وجوابه (لا قعدن لهم) أي لبي آدم (صراطك المستقيم) أي على الطريق
الموصل اليك وانما اقسم بالانواع لانه كان تكليفاً والمكلف من أحسن افعال الله تعالى لكونه
تعالى السعادة لا بد فكان جديراً لان يقسم به ويجوز أن تتعلق الباء بفعل القسم المحذوف
تقديره فبما أغويتني اقسم بالله لا قعدن أي فاستب اغوا نك اقسم (ثم لا يتنهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لثلاثيحول بين
العبد وبين رجة ربه وقيل لم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعنه انه قال من بين أيديهم
من قبل الآخرة فيضربهم أن لا يبعث ولا الجنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا فيضربهم أن لا
يؤمنهم أي من قبل حسناتهم أي فيبطوهم عنها وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم أي فيزين لهم
المعاصي ويدعوهم اليها وانما عذري الفـعل الى الاولين يعرف الابتداء لانه منهم ما توجه اليهم
والى الآخرين بحرف الجواز فان الآتي منهم ما كان يعرف عنهم المارة على عروضهم ونظيره
قوله جلست عن يمينه وعن شمين مامن صباح الاقعدى الشيطان على أربع مراد من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أمان من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فأقرأ وأني
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وأمان خلقي فيخوفني الضيعة على من خلقي فأقرأ
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأمان قبل يميني فبأيتني من قبل النساء فأقرأ
والعاقبة للمتقين وأمان قبل شمالي فبأيتني من قبل السموات فأقرأ وحبل بينهم وبين
ما يشتهون ولا تجدوا كثرهم شاكرين) أي مطيعين (فان قيل) كيف علم الخبيث ذلك (أجيب)
بأنه انما قال ذلك لثنا القول تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعديداً
وهو الشيطان والنفس والهوى وبمبدأ الخير واحداً وهو الملك الملهـم وقيل سمع ذلك من
الملائكة (قال) الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه بسبب عصيانه
ومخالفته (اخرج منها) أي الجنة أو السماء كما مر فانه لا ينبغي أن تسكن فيها (مذموماً) أي
محقوراً ومحقوراً (مذموراً) أي مبعداً طرداً عن الرحمة وقوله تعالى (لمن تبعك منهم) أي من
الناس اللام فيه موطئة للقسم وجوابه (لا ملأ من جهم مثكم أجمعين) وهو سادس جواب
الشرط وهو من تبعك أي لا ملأ من جهم مثلك بذويتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على
الغائب (ويا آدم) أي وقلنا يا آدم (اسكن) فهذه القصة معطوفة على قوله تعالى قلنا للملائكة

وقوله تعالى (أنت) تأكيد للضعف في السكن ليعطف عليهم (ويزوجك) أي جواهر المذوذ لذبت بعد
 أن أهبط منها ابليس وآخر جهه وطرد من الجنة (الجنة فكلان حيث شئتما) من قمار الجنة
 أي من أي مكان شئتما (فان قيل) قال تعالى في سورة البقرة وكذلك بالواو وهنا بالقاء فيها الفرق
 أنجب الفخر الرازي بأن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فافهم
 من القاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة
 ذكر الجنس وهنا ذكر النوع (ولا تقر باهذه الشجرة) أي بالاكل منها مشيرا إلى شجرة بعينها
 أو نوعها وهي الخنطة وقيل شجرة الكرم وقيل غيرها (فتشكروا من الظالمين) أي بالاكل
 منها أي قصيرا به لك من الذين ظلموا أنفسهم وتكبروا بحمل الجزم عطفًا على تقرير ما انصب
 على جواب التوبيخ (فوسوس لهما الشيطان) أي ابليس بما يمكنه الله تعالى منه من أنه يجري
 من الإنسان مجرى الدم ويأتي به في سر ما يميل به قلبه إلى ما يريد وهو أحر وأذل من أن يكون له
 فعل وانما الكل بيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي جعله آله لمراده منه ومنهم فان من يهدي الله
 فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ثم بين على الوسوسة بقوله تعالى (ليبدى) أي
 ليظهر (لهم ما وروى) أي ستر وغلطي (عنه) جامن سواتهما أي عوراتهم ما وكأنا لا يرانيهم من
 أنفسهم ولا أحد دهم من الآخر وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوجة
 من غير حاجة فيجب منتهين في الطباع فالتب عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه صلى الله عليه
 وسلم ولا رأي من أي الفرج (وقال) أي ابليس لا دم وجواهر (ماها كاربكاهن هذه الشجرة)
 أي عن الاكل منها (الآن) أي كراهة ان (تفكروا لمالكين) أي في عدم المشهورة وفي القدوة
 على الطبران والتشكيل وغير ذلك من خواصهم (أو تكونوا من الخالدين) أي الذين لا يموتون
 ولا يهجر جون من الجنة أصلا كما في آية أخرى هل لئلك على شجرة الخلد وملاك لا يلى
 (وقامهما) أي أقسم لهما بالله على ذلك وأخرجه على زنة المفاضلة للمبالغة وقيل أقسم الله
 بالقبول وقيل أقسم عليه بل الله أنه لهما المن المناهضين فاقسم لهما (أفألكا من المناهضين)
 فجعل ذلك مقابلة وقال فتادة حلف لهما بالله حين خدعهما ولو قد يمدح المؤمن بالله تعالى فقال
 اني خلقت قبلكما وأنا أعلم فاتبعاني أرسد كما وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف وان الاغلب
 أن كل خلاف كاذب وأنه لا يحلف الا عند ظنه ان سامعه لا يدهقه ولا يقن ذلك الا وهو معتاد
 للكذب وقال بعض العلماء من خادعنا الله خدعناه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه ما أنه
 كان اذا رأى من عبده طاعة وحسين صلاة أعقبه وكان عبده يفعلون ذلك طلب المأثم
 فقيل لهماهم يمدحونك فقال من خدعنا بالله اخذ مثله وابليس لعنه الله تعالى أول من حلف
 بالله تعالى كاذبا فلما حلف ظن آدم ان أحد الا يحلف بالله تعالى كاذبا فاعتز به (فدلاهما بغرور)
 أي خدعهما يقال ما زال يدلي الغبلان بالغرور ويعني ما زال يخدعه ويكلمه بنزخ القول
 الباطل وقيل حدهما من منزلة الطاعة إلى حالة العصية والغرور اظهرا المنع مع ابطال الجنس
 (فلما ذاقا الشجرة) أي كلاً من غرها وفي ذلك دليل على نهما تناولا ابليس من ذلك قصدا إلى

معرفة طعمه اذ الذوق يدل على الاكل اليسير وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قبل
 ازدرادهما أخذتهما العقوبة والعقوبة هي قوله تعالى (بدت) أي ظهرت (لهما أسوأتهما)
 أي عوراهما وتجاخت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من سوء
 صاحبه بأن رأى قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وكانا لا يريان ذلك وسعى كل منهما سوءاً لأن
 انكشفه يسوء صاحبه قال وهب كان لباسهما من النور يحول بينهما وبين النظر وقال قتادة
 كان نظرا البسم الله من الظفر لئلا فلما وقع في الذنب بدت لهما أسوأتهما فاستصبا (وطفقا)
 أي أقبلوا وجهلا (بخصفان) أي يلزقان (عليهما من ورق الجنة) أي من ورق التين قال
 البغوي حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليسترا أسوأتهما وروى عن أبي
 ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طولا كاللثة فخله سهوق أشمر
 شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوءاته وكان لا يراها فأنطلق هاربا إلى الجنة فعرضت له
 شجرة من شجر الجنة فخبسته بشعره فقال لها الرسلني ففانت استبرس لك فناداه الله عز وجل
 يا آدم أمي تفر فقال لا يارب ولكفي استحييتك (وناداهما) أي خاطبهما (أيهما) يقول (ألم أنهما)
 عن تلك الشجرة) أي عن الأكل من غيرها (وأقل لكان الشيطان لكما عدو بين) أي بين
 العداوة لكما وقد بان لكما عدوته بترك السجود لغتنا وحسد اوف ذلك عتاب على مخالفة النهي
 وتوبيخ على الاعتراض بقول العدو ودليل على أن مطلق النهي للتعريم قال محمد بن قيس لما أكل
 آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني وقال
 لحواء لم أطعمت آدم قالت أمرتني الحية وقال للحية لم أمرتنيها قالت أمرني ابليس قال الله تعالى
 أما أنت يا حواء فكأدمنت الشجرة فتدمن في كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتشدين
 على وجهك ويسندخ رأسك من قلبك وأما أنت يا ابليس فلعون مدحور وفي رواية لابن عباس
 انه قال لحواء فاني أعطيتما أن لا تحمل الاكراه ولا تضع الاكراه (قالا ربنا ظننا أنفسنا) أي
 ضررنا بما جئنا به من طاعة وعدونا وعدوك فان لم تقب علينا نسقم عاصين (وان لم تغفر لنا)
 أي تقصموا علينا عنا وأثرا (وترجنا) أي فتعلل درجتنا (لنكونن من الخاسرين) في الارض
 فأعربت الآية أنهم فاضلوا إلى الانصاف والاعتراف بذنبيهما وان كان انما هو خلاف الاولى
 لانه بطريق التيسار كما في سورة طه قال قتادة قال آدم أرأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال
 أدخل الجنة وأما ابليس فلم يسأل التوبة وسأل النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سأل له وقال
 الضحاك في قوله تعالى قالا ربنا ظننا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه تعالى
 وقد استدلل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية بورد بأن
 درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعروف بالله تعالى في اعلى الدرجات ولا يمكن يؤخذون
 بما لم يؤخذ به غيرهم وانهم ربما عوتروا بأمور صدرت منهم على سبيل التأويل فهم بسبب ذلك
 خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة إلى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة إلى كمال طاعتهم لانها
 ذنوب صكك ذنوب غيرهم ومعاصي كصالح غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم

وعجزة وواظنهم بالوصى السماوى والذكر القدسى وعجزة طواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله تعالى ذنوب بالنسبة الى احوالهم فقالوا ذلك على عادة المقرئين فى استعظام المسكين من البسائط وتعمير العظيم من الحسنات وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة ومن جملة ذلك ان آدم انما اكل من الشجرة قبل النبوة (قال) الله تعالى (اهبطوا) أى آدم وحواء بما اشتملوا عليه من ذرئتكما وبذلك قوله تعالى فى سورة طه اهبطا بصغير التثنية (بعضكم) أى بعض الذرية (لبعض عدو) أى من ظلم بعضهم بعضا وقبل يعود الضمير لآدم وحواء وبابليس وقبل لآدم وحواء وبابليس والحية وعلى هذين فالعداوة ثابتة بين آدم وبابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وبابليس (ولكم فى الارض) أى جنسها (مستقر) أى موضع استقرار (و) لكم فيها (متاع) أى تمتع (الى حين) أى انقضاء آجالكم وقيل الى انقطاع الدنيا وعن ثابت البنانى رحمه الله تعالى لما هبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكتك ربي فانما أصابني الذى أصابني منك فلما نوى غسله الملائكة بسرديب عمامة سودر ورترا وحطته وكففته فى وزن الثياب وحفره والحدوه بسرديب بأرض الهند وقالوا لبيته هذه فسكنكم من بعده (قال) الله تعالى (فيا) أى الارض (هيهون) أى تعيشون أيام حياتكم (وفيهاتموفون) أى وفيها وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) أى يوم القيامة تخرجون للنشر والجزاء وقرأ ابن ذكوان وحجزة والكسائى بفتح التاء ضم الراء والباقون بضم التاء وفتح الراء (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أى خلقنا لكم تبديرات سماوية وأسباب نازلة من مطر ونحوه وتظليده قوله تعالى وأنزلنا لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد وقبل كل بركات الارض مندوبة الى السماء (يوارى) أى يستر (سواكم) أى عوراتكم روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عمرة ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله تعالى فيها وكان الرجال يطوفون بالثار والنساء يطوفون بالليل عمرة قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول اليوم سيدوبعضه أوكله * وما بد منه فلا أحله

فنزلات قال البضاوى ولعله سبحانه ذكر قصة آدم تقدمه انكشاف العورة أقول سواء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) أى ولباسا تتجملون به والريش للثامر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعمل للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا حوزينته وقال تعالى واكمم فيها جال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال وقال ابن عباس وريشا أى مالا يقال تريش الرجل تقول ولما ذكر سبحانه وتعالى اللباس الحسى وقسمه الى ساتر ومزين أتبعه اللباس المعنوى فقال (ولباس التقوى) قال ابن عباس هو العمل الصالح ثم زاد الله تعالى فى تعظيم المعنوى بقوله (ذلك خير) أى ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب لكونه أهم للباسين لان نزعه يكشف العورة الحسية

والمعنوية فلو تجمل الانسان بأحسن الملابس وهو غير متقى كان كلبه سوات ولو كان متقيا وليس عليه الإخريقة ثوب نواري عورته كان في غاية الجمال والكمال وأنشدوا في المعنى
إذا أنت لم تلبس لباسا من التقى * عربت وإن وارى القميص قميص
وقال قتادة لباس التقوى هو الإيمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان
ابن عفان رضي الله عنه هو السمى الحسن وقال ابن الزبير هو خشية الله تعالى والعمل الصالح
يشمل هذه الامور كلها وقرأ نافع وابن عامر والكسائي نصب الحسين عطفه على لباسه والباقيون
بالرفع على الاستدعاء والخبر ذلك خير (ذلك) أى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على
فضله ورجيته (لعلهم يدركون) فيعرفون نعمة الله فيبتغون ويتورعون عن القبائح وهذه الآية
واردت على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهار الامانة فيما
خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة اظهار اواشعار بان
الستر باب عظيم من ابواب التقوى (يا بني آدم) أى الذى خلقته يدي ونفخت فيه من روحي
ثم أسكنته جنقا وارتلته منها الى دار محنتي (لا يفتنكم) أى بضلكم (الشيطان) أى البعيد
المهترق بالذنوب أى لا تتبعوه فتفتنوا فبمعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار
(كلما أخرج أبوكم من الجنة) بفتنة بعد ان كانا ساكنا وعمكافيا ووطنها وقد علمنا ان الدفع
أسهل من الرفع وقوله تعالى (يزرع عنهم لباسهما) حال من أخرجكم أو من فاعل أخرجه وأغيا
أضاف نزع اللباس الى الشيطان وإن لم يباشر ذلك لأن نزع لباسهم بسبب وسوسة الشيطان
وفروده فاستداليه واختلقوا في اللباس الذى نزع عنهم فقال ابن عباس وقتادة كان لباسهما
الظفر فلما أصابا المصيبة نزع عنهما وبقيت الاظفار نزع وزينة ومنافع وقال وهب بن
عنه كان نورايحول بينهما وبين النظر وتقدم بعض ذلك وقال مجاهد كان لباسهم ما التقوى
وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة قال بعض المفسرين وهذا أقرب لأن اطلاق اللباس يطلق
عليه وان النزع لا يكون إلا بعد اللبس اه وتقدم الكلام على قوله (ليدينهم ما سواتهم) أى
الشيطان (راكم هو وقبيله) أى جنوده وقال ابن عباس قبيله ولده وقال أبو زيد نسله وانما أعاد
الكتابة في قوله هو ليعسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضها
بعضا (من حيث لا ترونهم) أى للطائفة أجسامهم أو عدم ألوانهم وعن ابن عباس انه قال
أن الله تعالى جعلهم مجرورين من ابن آدم يجرى الدم وجعل صدور بني آدم مباحا كن لهم الامن
عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يؤسوس فى صدور الناس فيهم يرون بني آدم وبنو آدم
لا يرونهم وعن مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة تبرى ولا ترى وتخرج من تحت الثرى ويعود
شجنا فقى وعن ابن دياربان عدوايرك ولا تراه لشديد المؤنة الامن عصمه الله تعالى ومنع
الرؤية اذا كانوا على خلقهم الاصلية ولا فقدين واعندنا شكلهم بصورة حيوان أو طير أو غير
ذلك فالتلجج قوة التشكىل وهذا أمر شائع ذائع وقد روى ابليس على صورة شيخ وعقل لسكير
من العباد على صورة حية بل قال شيخنا القاضي ذكر ياوالحق جواز رؤيتهم حتى من تلك الجهة

كما هو ظاهر الاحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون هم الذين في بعض
 الاحيان لبعض الناس دون بعض (انا جعلنا الشياطين اولياء) أي اهل انا وقرناء (الذين
 لا يؤمنون) لما بينهم من التناسب في الطباع (واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت
 حرة فهو اعنه (قالوا) معللين لارتكابهم اياها بأمر من أحدهما فقولهم (وجدنا عليها) أي
 الفاحشة (آباءنا) فافتدينا بهم والشأن قولهم (والله أمرنا بها) افتراء عليه سبحانه وتعالى
 فأعرض الله تعالى عن الاول لظهور فسادهم ورد عن الثاني بقوله (قل) لهم يا محمد ان الله لا يأمر
 بالفسشاء لان عادته سبحانه وتعالى يرت على الامر بحسب الحسن الافعال والحث على مكارم الخصال
 (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انه قاله فانكم لم تسمعوا كلام الله من غير واسطة ولا أخذتموه
 عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده وهو استقحام انكم اري يتضمن النهي عن
 الافتراء على الله وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبإبدال الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقيون
 بالتحقيق (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يقولون ذلك (أمر ربى بالقسط) أي بالعدل وهو الوسيط من
 كلام المتجاني عن طرفي الافراط والتفريط وقال ابن عباس بلا اله الا الله (وأقيموا) أي وقل
 لهم أقيموا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أي اخلصوا له وجوهكم (فان قيل) قل أمر ربى خبر
 وأقيموا وجوهكم أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز (أجيب) بأن فيه اشعارا وحذفا فتقديره
 قل أمر ربى بالقسط وقل أقيموا كما تقدم تقديره فخذ قل للدلالة الكلام عليه وقيل معنى
 الآية وجهوا وجوهكم حينما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقيل معناه صلوا في أي مسجد
 حضركم الصلاة ولا تؤخروا حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) أي اعبدهم (مخلصين له
 الدين) أي الطاعة ولا تشركوا به شيئا فان اله مصيركم و (كأيدكم) أي كما أنشأكم ابتداء
 (تعودون) أي بعيدكم احياء يوم القيامة حال كونكم فريقين (فريقا هدى) أي خلق الهداية
 في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية (وفريقا حق) أي ثبت ووجب (عليهم الضلالة) أي عتقني
 القضاء السابق وقيل ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي
 خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم كافرا ومؤمنا وقيل
 يعنون على ما كانوا عليه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث كل عبد على ما مات عليه المؤمن
 على ايمانه والكافر على كفره وقيل من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار اليها وان عمل
 أهل السعادة كما أن ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ الله
 خلقه على السعادة صار اليها وان عمل أهل الشقاوة كما أن السحرة كانوا يعملون عمل أهل
 الشقاوة فصاروا الى السعادة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليعمل فيما يرى الناس
 يعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانه ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وانه من أهل
 الجنة وانما الامل بالنحو انهم واتصاب فريقا بقل نفسهم ما بعده أي وخذل فريقا وقوله تعالى
 (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) أي دونه لتعليل لخذلانهم وتحقيق لاضلالهم
 (ويحسبون) أي يظنون (انهم) مع ضلالهم (مؤمنون) أي على هداية وحق وفيه دليل على ان

الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاد في الكفر سواء (يا أيها آدم خذوا زينتكم) أي ما يسترا العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة (عند كل مسجد) أي كلما صليتم أو طعمتم وكانوا يطوفون عراة وعن طأوس رحمه الله لم يأمرهم بالحري والدياب وانما أحدهم كان بطوف عريانا ويضع يديه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتفعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذننا فيها وقيل تفاولا يستعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشطوقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنو عامر في أيام مجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا لا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعري في الطواف أو بإفراط الطعام أو الشرب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما نذت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأه خصلتان سرف ومخيلة وروى أن الرشيد كان له طيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له لقد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله تعالى واكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء في الطب فقال جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المصدية بيت الداء والحية وأمس كل دواء فاعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم بل انيوس طبيا (أنه لا يجب المسرفين) أي لا يرضى فعلهم في الآية الوعيد الشديد على الاسراف (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة من الذين يطوفون بالبيت عراة (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) من الثياب كل ما يتجمل به فيدخل تحته أنواع الملبوس والحلي ولولا النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحري للرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص في تحريمه على الرجال دون النساء (و) قل أيضا لهؤلاء الجاهلة الذين كانوا لا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم من حرم (الطيبات من الرزق) التي أخرج لعباده وخلقه الهنم فيدخل تحت ذلك كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه وقد دللت الآية على أن الاصل في الملابس وأنواع التجملات والمطاعم الاباحة الا ما ورد النص بخلافه لأن الاستغناء في من للانكار (قل هي) أي الزينة والطيبات (للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بالاصالة والكفرة وان شاركهم فيها اتبع ولذا لم يقل تعالى للذين آمنوا وغيرهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وقرأنا فرفع التاء على أنها خبر بعد خبر والباقيون بالفتح على الحال (كذلك) أي مثل هذا التفصيل البديع (تفصل الآيات) أي نيين احكامها وغير بعض المشتبهات من بعض (اقوم يعلمون) أي يتدبرون فانهم المتفقهون بها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات من الرزق وغير ذلك مما أحل الله تعالى (انما حرم رب القوا حرام) أي الكبائر والكبيرة ما توعد عليها فيقولون أو غضب بخصوصها في الكتاب والسنة غالباً كالزنا جامع فاحشة (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها وقرأ حجة يسكون الياء والباقيون بقفها

(و) حرم (الأنثى) أى الصغار وهى ماعدا الكبار كالنظر الى بدن أجنبية (و) حرم (البغى) على الناس أى الظلم أو الكبر وأفرده بالذ كرمع انه من الكبار للمبالغة وقوله تعالى (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكده معنى (و) حرم (أن تشر كوا بالله ما لم ينزل به) أى بالاشراك (سوطانا) أى حجة وفى ذلك تم حكم بالمشركين وتنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والباقون بالتشديد (و) حرم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فى تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) أى وقت معلوم وفى ذلك وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالام الماضيه (فأذا جاء أجلهم) أى حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) ساعة علمه وانما ذكرت الساعة وان كان دونها كذلك لانها أكل اسم للاوقات فى العرف وذلك حين سألوا نزول العذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون والبرى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وورش وقنبل سهلا الثانية وابدلاها حروف مد والباقون بالتحقيق فيها (يا بنى آدم انا) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (يا بنيكم) رسل منكم (أى من نوعكم من عند ربكم) (يقصون عليكم آياتي) أى يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي وجواب الشرط قوله تعالى (فمن أتى) الشرك ومخالفة رسلي (واصلح) عمله الذى أمرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلاخوف عليهم) حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) أى يتجدد لهم فى وقت ما حزن على شئ فاتهم لأن الله يعطيهم ما تقر به أعينهم (والذين كذبوا بآياتنا) أى حمدوها وكذبوا رسلنا (واستكبروا) أى تكبروا (عنها) أى عن الايمان بها لأن كل مكذب وكافر متكبر قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستهزئون (أو لئن) هؤلاء البعداء البغضاء (أصحاب النار هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا وادخال الفاء فى خبر المبتدأ الاول دون خبر الثانى للمبالغة فى الوعد والمساخطة فى الوعيد (فمن) أى لا أحد (أظلم) من افترى على الله كذبا) أى بنسبة الشرك والولد اليه أو قال عليه ما لم يقله (أو كذب بآياته) أى القرآن (أو لئن) (يألهم) أى يصيبهم (نصيبهم) أى حظهم (من الكتاب) أى مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم) أى هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب (رسلنا) أى ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) بقبض أرواحهم عند استكمال أعمالهم وأرزاقهم وقوله تعالى (قالوا) جواب اذا أى قال الرسل لهم تكتبيتاوتوا ويخاوتقربعا (أين ما كنتم تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى غيره ادعوهم ليدفعوا عنكم ما منزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة أى اذا جاءتهم ملائكة العذاب يتوفونهم أى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار (قالوا) أى الكفار يحجبون للرسل (قلوا) أى غابوا (عنا) وتر كونا عند حاجتنا اليهم فسلم بنفعونا (وشهدوا على أنفسهم) أى بالغوا فى الاعتراف عند الموت أو عند معاناة العذاب (انهم كانوا كافرين) أى جاhezين وحذائية الله تعالى (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة (ادخلوا فى آثم) أى فى جملة جماعات وقرق آثم بعضها بعضا (قد خلت) أى مضت

وسألت (من قبلكم من الجن والإنس) أى كفار الامم الماضية من القريتين وقوله تعالى
 (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) أى جماعة النار (لعلنا أختما) أى القى ضلت
 بالاعتقاد بها (حتى اذا أذركوا) أى تلاحقوا واستقروا (فيها) أى النار (جميعا قالت أحرأهم)
 أى منزلة أودخولواهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجلهم وهم المتبعون اذا الخطاب مع امة تعالى
 لامهم (ربنا هؤلاء) أى الاولون (أضلونا) أى لانهم أول من سن الضلال وقرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمر وبدا بالهمزة الثانية ياء فى الوصل والباقيون بالتحقيق (فأتهم) أى أذفهم
 بسبب ذلك (هذا باضعا) أى يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا وأضلوا ومن سن سنة
 سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ومنه لا تنقل نفس ظملا الا كان على ابن آدم
 الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم (من النار قال) الله
 تعالى (الكل) أى منكم ومنهم (ضعف) أى عذاب مضاعف أما القادة فكفرهم وتضليلهم
 واما الاتباع فكفرهم وتقليد لهم (ولكن لا تعلمون) أى ما هذا الله تعالى لكل فريق من
 العذاب وقرأ أشعبة يعلون بالياء على الغيبة والباقيون بالتاء على الخطاب (وقالت أولاهم) أى
 فى الكفر وهم القادة (لاحرأهم) أى الاتباع (فما كان لكم علمنا من فضل) أى لانكم لم تكفروا
 بسببنا فقد جاءكم الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفركم فحق وأنتم سواء قال الله
 تعالى لهم (قد وقوا العذاب بما) أى بسبب ما (كنتم تكذبون) أى من الكفر والاعمال الخبيثة
 (أن الذين كذبوا بآياتنا) أى بدلائل التوحيد فلم يصدقوا ولم يتبعوا رسل (واستكبروا عنها) أى
 وتكبروا عن الايمان بهم والالتقاد لها والعمل بعقضاها (لا تفتح لهم أبواب السماء) ليعود
 أعمالهم ولا دعائهم ولا لارواحهم ولا تنزل البركات عليهم لانها طاهرة عن الارجاس الحسية
 والمعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الابواب دونها
 ثم أقيمت من هنالك الى سبعين جفلا المؤمن فيفتح له ويصعد روحه الى السماء السابعة كما ورد
 فى حديث وقرأ أبو عمر ووحدة والكسائى بسكون الغاء وتخفيف التاء بعدها لأن أبا عمرو
 يقرأ بالتاء على التانيث وحزوة والكسائى بالياء على التذكير وقرأ الباقيون بالتانيث وفتح
 الغاء وتشديد التاء بعدها (ولا يدخلون الجنة) أى القى هى أطهر المنازل وأشرفها (حتى) يكون
 ما لا يكون بان (يلج) أى يدخل (الجل) على كبره (فى سم الخطايا) أى ثقب الابرة وهو غير ممكن
 فكذا دخولهم الجنة فهو تعليق على محال وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال
 زوج الناقة استجبها لالاسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف (وكذلك) أى ومثل
 ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو ان دخولهم الجنة محال عادة (فيجزي المجرمين) أى الكافرين
 لانه تقدم من صفتهم انه م كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة
 الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين تعالى أن الكفار لا يدخلون الجنة
 أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد الله لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) أى
 فراش وأصل المهاد المهاد الذى يتعد عليه ويضطجع عليه كالبساط (ومن فوقهم غواش)

أى أعطية من النار يجمع غاشية والتووين فيه عوض عن الباء التى هى حرف علة وقيل عن
 حركاتها (وكذلك تجزى القائلين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالقائلين أخرى اشعاراً بأنهم
 يتكذبونهم الايات انصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
 مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الاجرام وقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
 مبتداً وقوله تعالى (لا تكلف نفساً الا وسعها) أى طاقتهما من العمل اعتراض بينه وبين خبره
 وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وانما حسن وقوع ذلك بين المبتدا والخبر لانه من
 جنس هذا الكلام لان الله تعالى لما ذكر علمهم الصالح دل ذلك على أن ذلك العمل من وسعهم
 وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومجدها ومولى
 اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وأتبع الوعيد بالوعيد على عاقبته فقال تعالى
 (وزعنا ما فى صدورهم من غل) أى غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا فى كان فى قلبه على أخيه
 غل فى الدنيا زرع فسلفت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن على رضى
 الله عنه انى لا رجوان أكون أنا وعثمان وطهارة والزبير منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده
 لا أحدهم أهدى بمنزلة فى الجنة منه بمنزلة كان فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة
 اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها مشيرة فى أصل ساقها عينان فشرىوا من احداهما فترى
 ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الآخر فترى عليهم بنصرة النعيم
 فلا يشعروا بعبادها أبداً وقيل ان درجات الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض
 أهل الجنة أعلى من بعض فأخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزعاه من
 قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالبة (فجبرى من تحتهم الانهار)
 أى من تحت قصورهم زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى ان المؤمنين
 اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه ونفضل علينا به رحمة
 منه واحساناً وصرف عنا عذاب جهنم بفضلهم وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا ان
 هدانا الله) أى لولا هداية الله وفوقه واللام لتوسكيد النى وجواب لولا محسنه ودل
 عليه قوله تعالى وما كنا لنهتدى وتقديره لولا هداية الله لنا وجوده فلتقينا وما كنا مهتدين وقرأ
 ابن عامر بجذف الواو قبل ما والباقون بالواو واذا دخل أهل النعيم الجنة ورأوا ما أعد الله
 تعالى لهم من النعيم قالوا (لقد جاءت رسلنا بالحق) فاهدونا بنا برشادهم يقولون ذلك سروراً
 واعتباطاً بما نالوا وتذذوا بالتكلم به وتبجها بأن ما علموه يقيناً فى الدنيا صار لهم عين اليقين
 فى الآخرة وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام
 (وفودوا) أذارواهم من بعيداً وبعد دخولها والمنادى هو الله تعالى أو الملائكة نادون بأمر
 الله تعالى (أن تاتكم الجنة) التى كانت الرسل وعدتكم بها فى الدنيا وروى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحبوا فلا تقوتوا أبدا
 وان لكم ان تحبوا فلا تنقموا أبدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا
 فلا تناسوا أبدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلصقكم الجنة (أورثقوها) أى أعطيقوها
 (بما كنتم تعملون) أى بسبب أعمالكم الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا
 لكم على الاعمال الصالحة ولا يعارض هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يدخل
 الجنة أحد بعمله انما يدخلونهم ابرمة الله تعالى فان الداء فى الحديث للعوض وهى الدخلة على
 الاغنام نحو شريت الفرس بألف فلا تكون الجنة مشتراة بعمله فكون عمله غنما لها
 أو ان دخول الجنة برمة الله واقسام الدرجات بالاعمال أو أن العمل الصالح لن يناله المؤمن
 ولن يبلغه الا برمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرمة كان دخول الجنة فى
 الحقيقة برمة الله وجعلها الله تعالى ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى
 دار الدنيا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل
 فى النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من الجنة والمؤمن يرث الكافر منزله من النار وان فى
 المواضع الخمسة التى فيها المنادة والتأذين هى المنخفضة أو المنخفضة لان المنادة والتأذين من
 القول وقرأنا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الناء عند التاء والباءقون بالادغام
 (ونادى أصحاب أى أهل الجنة أصحاب) أى أهل النار أى تقول أهل الجنة يا أهل النار
 (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) أى فى الدنيا على اسان الرسل من الثواب على الايمان به وبرسوله
 وطاعته (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) أى من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى قال
 أهل النار محبين لاهل الجنة (نعم) وجدنا ذلك حقا وهذا النداء انما يكون بعد ان يقرأ أهل
 الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (فان قيل) الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يصح
 أن يقع هذا النداء (أجيب) بأن الله قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد
 كالقريب (فان قيل) هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض البعض
 (أجيب) بأن ظاهر الآية العموم ويحتمل أن كل واحد من أهل الجنة ينادى من كان يعرف
 من الكفار فى دار الدنيا والله أعلم بحقيقة ذلك وقرأ الكسائى بكسر العين والباءقون بالفتح
 وهم الغتان (فأذن مؤذن) أى وهو اسرافيل صاحب الصور كما قاله ابن عباس وقيل واحد
 من الملائكة وأصل الاذن فى اللغة الاسلام والمعنى نادى نادى (بينهم) أى الفريقين
 أجمعهم (أن لعنت الله على الظالمين) وقرأ البرزى وابن عامر وجرى والكسائى بتشديد أن
 ونصب التاء والباءقون بتخفيف أن ورفع التاء ثم فسر الظالمين منهم بقوله تعالى (الذين يصدون
 عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويغفونها) أى يطلعون السبيل
 (عوجا) أى معوجة قال ابن عباس يصلون لغفر الله ويعظمون ماله يعظمه الله والعوج بكسر
 العين فى الدين والامر وكل مالم يكن قائما وبالفتح فى كل ما كان قائما كالخياط والريح (وهم
 بالآخرة كافرون) أى يكون الآخرة واقعة جاحدون مذكرونها (ويهمها) أى أهل الجنة

وأهل النار (حجاب) لقوله تعالى فضرِب بينهم بسوراً وبين الجنة والنار ليبتنع وصول أثر
احدهما إلى الأخرى (وعلى الاعراف) وهو سور الجنة جمع عرف وهو المكان المرتفع ومنه
عرف الدين لا ارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدي سمي ذلك السور اعرافاً لأن أصحابه
يعرفون الناس أي أهل الجنة والنار (رجال) أي طائفة من الموحدين استوت حسنتهم
وسبب آتتهم كما في الحديث فقهرت بهم سيئاتهم عن الجنة ونجاوزت بهم حسناتهم عن النار
فوقوا هذا حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته وهم
آخر من يدخل الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن
كانت حسنة أكثر من سيئة واحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أكثر من حسنة
بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلطون ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تحف بمقال حبة أو ترج قال ومن
استوت حسنته وسبب آتته كان من أصحاب الاعراف وقبلهم قوم خرجوا إلى الفز بغير إذن
آبائهم فقتلوا فأتهم من النار بقتلهم في سبيل الله وحسبوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم
آخر من يدخل الجنة وقبلهم الذين ماتوا في الفترة ولم يولدوا بينهم وقبلهم أطفال
المشركين (يعرفون) أي أصحاب الاعراف (كلاً) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) أي
بعلاماتهم وهي بياض الوجوه للؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم أدم موضعهم عال
(ونادوا) أي نادى أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) إذا نظروا إليهم سلماً
عليهم (لم يدخلوها) أي أصحاب الاعراف الجنة (وهم بطمعون) في دخولها قال الحسن
لم يطمعهم إلا الكرامة يريد ما بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك اذطلع عليهم ربك
فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهوا
علماء وعلى هذا انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل التزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم
وحكى ابن الأثير أنهم أنبياء وعلى هذا انما جلسهم على ذلك العلى تمييزاً لهم على أهل
القيامة واظهاراً لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة وانتار ومطلعين على
أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مخنف هم ملائكة يرون في
صورة الرجال والاقوال الاول تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات
وان كانوا يدخلون الجنة بدرجة الله والاقوال الاخيرة تدل على أنهم أفضل من أهل الجنة لانهم
أعلى منهم منزلة وأفضل (واذا صرقت أبصارهم) أي أصحاب الاعراف (تلقاه) أي جهة
أصحاب النار فنظروا إليهم وإلى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تبعنا مع
القوم الظالمين) أي الكافرين في النار قال ابن عباس ان أصحاب الاعراف إذا نظروا إلى
أصحاب النار وما هم فيه نصرعوا إلى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم وقرأ قالون وأبو عمرو
والبري بإسقاط الهمزة الأولى وأبدلها ورس وقيل حرف مد وسهلاها والباقيون بالتحقيق
(ونادى أصحاب الاعراف رجالاً) أي كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم)

أَيُّ بِسْمِ أَهْلِ النَّارِ (قَالُوا) أَيُّ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفُوهُمْ فِي النَّارِ (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَهَنَّمُ) أَيُّ مَا كُنْتُمْ تَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا أَوْ كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَاجْتِمَاعُكُمْ فِيهَا (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أَيُّ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ تَكْبَرُكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ شَيْئاً قَالَ السُّكُتِيُّ يَنَادُونَهُمْ عَلَى السُّورِ يَا وَلِيدَ بْنِ الْمُغِيرَةِ يَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ يَا فُلَانًا وَيَا فُلَانًا ثُمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَرَوْنَ فِيهَا الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ مَنْ كَانُوا يَسْتَمِرُّونَ بِهِمْ مِثْلَ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَخَبِيبٍ وَمُصَيبٍ وَبِلَالٍ وَأَشْبَاهِهِمْ فَيَقُولُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ (أَهْوَلَاءُ) لَفْظٌ اسْتَفْهَامٌ أَيُّ أَهْوَلَاءِ الضُّعَفَاءِ (الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ) أَيُّ حَلْفَتِهِمُ بِاللَّهِ (لَا يَنَالُهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) أَيُّ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَقَدْ قَبِلَ لَهُمْ (أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وَقِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ إِذَا قَالُوا أَهْلُ النَّارِ مَا قَالُوا قَالَ لَهُمْ أَهْلُ النَّارِ إِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءُ فَمَا أَنْتُمْ لَمْ تَدْخُلُوا هَافِيَةً فِيهِمْ وَنَهْمٌ بِذَلِكَ وَيَقْعُونَ أَنْهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ حَبَسُوا أَهْلَ الْأَعْرَافِ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَهَذَا ظَاهِرٌ عَلَى الْأَقْوَالِ الْأُولَى وَقَرَأَ أَبُو جَهْرٍ وَعَاصِمٌ وَجَزَّةٌ بِكَسَرَتَيْنِ رَحْمَةً فِي الْوَصْلِ وَابْنُ ذَكْوَانَ يُوْجِهُنِ الضَّمَّ وَالْكَسْرَ وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ (وَإِذْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَقْبَضُوا عَمَلَهُمْ مِنَ الْمَاءِ) أَيُّ مَبْصُوهٌ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ النَّارِ (أَوْ عَمَارَ رَزَقَكُمْ اللَّهُ) أَيُّ مَنْ سَارَ الْأَشْرِبَةَ لِيَلَاغُ الْأَفَاضَةَ لِأَنَّ الْأَفَاضَةَ مِنَ اللَّحْمَةِ لِلْمَاءِ وَسَارَ الْمَائِعَاتِ فَعَمَلَتِ الْأَفَاضَةَ عَلَى أَفَاضَةِ جَمِيعِ الْمَائِعَاتِ وَأَمِنْ سَارَ الْمَشْرُوبِ وَالْمَاءِ كَوَلٍ بَعْضُهُمْ أَقْبَضُوا أَلْقَوْا كَقَوْلِهِ

عَلَفْتَهَا بِنَاوٍ وَمَا بَارِدَا * حَقٌّ غَدَتْ هَمَالَةٌ عَيْنَاهَا

أَيُّ فَائِضَةٌ عَيْنَاهَا (قَالُوا) أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَجْعَلِينَ لَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ حَزَمَهُمَا) أَيُّ مَنَعَهُمَا (عَلَى الْكَافِرِينَ) أَيُّ مَنَعَهُمْ طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا كَمَا يَنْبَغُ الْمَكْفَفَ مَا يَحْزَمُ عَلَيْهِ وَيَحْظَرُ كَقَوْلِهِ * سَرَامٌ عَلَى هَيْفٍ أَنْ تَطْعَمَ الْكَرَا * وَقِيلَ لِمَا كَانَتْ شَهْوَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي لَذَّةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَعَذِيبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِشِدَّةِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَسَأَلُوا مَا كَانُوا يَتَقَادَرُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَلَبِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَأَجِيبُوا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَزَمَ طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِقَوْلِهِ (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) وَهُوَ مَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَحْرِيمِ الْجَعْبَةِ وَالتَّصَدِيقَةِ حَوْلَ الْبَيْتِ وَسَائِرِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقِيلَ كَانُوا إِذَا دَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ يَهْزَوْنَ دَعَاهُمْ وَهَزَوَاتِهِ وَاللَّهُ وَهُوَ يَصْرِفُ اللَّهُمَّ بِمَا لَيْحَسُنَ أَنْ يَصْرِفَ لَهُوَاللَّعِبَ طَلَبَ الْقُرْحِ بِمَا لَيْحَسُنَ أَنْ يَطْلُبَ بِهِ (وَعَزَّيْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أَيُّ وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ وَالذَّمَّةِ وَشَغْلَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْ الْإِخْذِ بِنَصِيحِهِمْ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمْ الْمُنِيَّةُ وَهَمٌّ عَلَى ذَلِكَ وَالْفَرَّةُ غَفْلَةٌ فِي الْقِظَّةِ وَهُوَ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ وَحَسَنِ الْعَيْشِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ وَقِيلَ الْجَاهِدُ وَنِيلَ الشَّهْوَاتِ فَذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ صَارَ مَحْجُوبًا عَنِ الدِّينِ وَطَلَبِ الْخُلَاصِ لِأَنَّهُ غَرِقَ فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَلِمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ قَالَ (فَالْيَوْمَ) أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (تَنَسَّاهُمْ) أَيُّ تَرَكَهُمْ فِي النَّارِ وَفَرَضَ

عنهم فلا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم (كانسوا القاء يومهم هذا) أى كثر كوا العمل للقاء
 يومهم هذا كفعّل الناس فلم يحطريبالهم ولم يهتموا بهم قوله وأعرضوا عن الإيمان فقابل الله تعالى
 جزاء نسيانهم بالنسيان على الجاز لان الله تعالى لا يفسى شيأ نهو وكقوله تعالى وجزأ سبعة سبعة
 مثلها (وما كانوا يأتينا بمجدون) أى وما كانوا منكرين أنهم امن عند الله تعالى (ولقد
 جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى قرآن أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه) أى بينا معانيه
 من العقائد والاحكام والمواظف مفصلة (على علم) أى عالين بوجه تفصيله وقوله تعالى (هدى
 وترجمة لقوم يؤمنون) أى به حال من منصوب فصلناه كأن على علم حال من مرفوعه (هل
 ينظرون) أى ما ينظرون (الاتأويل) أى الاعاقبة أمره وما يؤل اليه من تين صدقه وظهور صحة
 ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (يقول الذين
 نسوه من قبل) أى تركوه ترك الناس (قد جاءت رسلنا بالحق) أى قد تبين لهم واعترفوا يوم
 القيامة بأن ما جاءت به الرسل من الإيمان والحشر والنشر والبعث والثواب والعقاب حق حين
 لا ينفعهم ذلك الاعتراف * ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فنبشعوا لنا)
 اليوم (أورد) أى أو هل نرد الى الدنيا وقولهم (فمفعول غير الذى كان يعمل) فيما فنبديل الكفر
 بالإيمان والتوحيد والمعاصى بالطاعة والالابة جواب الاستعظام الثانى (قد خسروا أنفسهم)
 أى اذ صاروا الى الهلاك لانهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا
 لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم (وضل) أى ذهب (عنهم
 ما كانوا يفكرون) أى من دعوى الشريك فلم ينفعهم (إن ربكم) أى سيدكم ومولاكم ومصليكم
 أموركم وموصل الخيرات اليكم ودافع المكارء عنكم هو (الله الذى خلق السموات
 والارض) أى ابتدعهم ما وأنشأ خلقهم ما على غير مثال سبق (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا
 وقيل من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة (فان قيل) اليوم من أيام الدنيا عبارة عن مقدار من
 الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن اذ ذلك الشمس ولا قرولا سما (أجيب)
 بأن معنى ذلك فى مقدار ستة أيام فهو وكقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكره وعشيا أى على مقادير
 البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار قال سعيد بن جببر كان الله عز وجل قادرا
 على خلق السموات والارض فى لحة ولحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليم الخلقه الثبوت والتأنى
 فى الامور وقد جاء فى الحديث التأتى من الله والمجلة من الشيطان واختلف العلماء فى اليوم
 الذى ابتدأ الله خلق الاشياء فيه فقيل هو يوم السبت لخبر مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
 أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
 الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء ووثب فيها
 الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار
 وفيما بين العصر الى الليل وقيل يوم الاحد لقول بعضهم سمي يوم الاثنين لانه تالى الايام
 والخميس لانه خامس الايام قال الاسنوى والصواب الاول للخبر المذكور (ثم استوى على

العرش) أى استوى أمره وقال أهل السنة الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب
 الايمان به ونكل فيه العلم الى الله تعالى والمعنى أن له سبحانه وتعالى استواء على العرش على الوجه
 الذى عنده منزعه عن الاستقرار والتمكن وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى الرحمن على
 العرش استوى فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
 معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الاضلالاً ثم أمر به فأخرج وروى
 عن سفیان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التى
 جاءت في الصفات المتشابهة أمرها كما جاءت أقرؤها بلا كيف واجماع السلف منعقد على أن
 لا يزيدوا على قراءة الآية والعرش في اللغة السرير قال كعب ان السموات في العرش
 كالقنديل معلق بين السماء والارض وقال الطائي العرش يا قوتة جبراء وشذ قوم فقالوا
 العرش بمعنى الملك وهذا عدول عن الحقيقة الى التجويع مخالفة الأثر لم يسعه واقله تعالى
 وكان عرشه على الماء أنراه كان الملك على الماء وكيف يكون الملك يا قوتة جبراء وبعضهم يقول
 استوى بمعنى استولى ويحجج بقول الشاعر

قد استوى بشرى على العراق * من غير سيف ودم مهران

وقال آخر هما استويا بفضلهما جميعا * على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند أهل اللغة قال ابن الاعراب لا يعرف استولى فلان على كذا الا اذا كان
 بعيداً منه غير متمكن منه ثم تمكن منه والله تعالى لم يزل مستولياً على الاشياء والبيتان قال ابن
 فارس اللغوى لا يعرف فائلهما ولو صح لاجتة فهم الماينما من استيلاءه من لم يكن مستولياً فعوذ
 بالله من تعطيل المحدثه وتشبيه الجسمة وقبل هو ما علا فأظلم ومنه عرش الكرم (يعنى الليل
 النهار) أى يغطمه ولم يذكر عكسه اما للعلم به واما لان اللفظ يحتملها ما بان يكون المعنى بأنه يطق
 الليل بالنهار والنهار بالليل وقرأ شعبة وحزرة والكسائي بفتح الغين وتشديد الشين والباقون
 بسكون الغين وتخفيف انشبن (يطلبه) أى يطلب كل منهما الاخر طلباً (حنبثاً) أى سر يعافه
 صفة مصدر محذوف ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل بمعنى حاثاً أو المفعول بمعنى المحموش
 (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) أى مذلات لما يراد منهن من طلوع وأفول وسير على
 حسب ارادة المدبر لقن (بأمره) أى بقضائه وتصريفه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
 والخبر والباقون بالنصب عطف على السموات ومسخرات منصوب بالكسرة (ألا له الخلق)
 جميعاً (والامر) كانه فانه الموجد والمتصرف في ذلك وفي هذا رد على من يقول ان الشمس والقمر
 واليكواكب تخلق له الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الامر والنهى الذى يفعل
 ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خاقه عليه واستخضع سفيان بن عيينة من هذا ان
 كلام الله تعالى ليس بخلق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر رأى
 ان جعل الامر وهو كلامه من جملة ما خلقه فهو وكفر لان الخلق لا يقوم الا بخلق (شارك الله رب
 العالمين) أى تعالى بالوحدانية وقهظم بالتفرد في الربوبية قال البيضاوى بتحقيق الآية والله

أعلم أن الكفرة كانوا مختفين أربابا فيبين الله تعالى لهم أن المستحق للرؤية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابعد الافلاك ثم زرعها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعدها إلى إيجاد الاجرام السفلية فخلق جسماتها بالصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متغايرة الآثار والافعال وأشار إليه بقوله تعالى خلق الارض في يومين أي ما في جهة السفلى في يومين ثم أنشأ أنواع الموالي الثلاثة أي وهي النبات والحيوان والمعدن بتركيب موادها أولها وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم علمت له عالم الملكات عهدا إلى تدبيره كالمملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فذكر الامر من السماء إلى الارض بتركيب الافلاك وتسميتها بالكواكب وتكوين المسالك والالام ثم صرح بما هو نتيجة ذلك فقال أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم أن يدعوه مثلهن مخلصين بقوله تعالى (ادعوا ربكم) لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه سبحانه وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايسالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرته والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعاً) أي ادعوا ربكم تذلاً واستكفاً وهو اظهار الذل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخضع (وخفية) أي سرافى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لاتدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم قال أبو موسى وأنا خلقه أقول لاحول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله وقال الحسن بن دحوة السري والجر سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجهدون في الدعاء لا يسمع لهم صوت ان كان الاهمسا بينهم وبين ربه وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية فان الله تعالى أثنى على ذكر باعبيه الصلاة والسلام فقال اذا نادى ربه نداً خفياً وعن الحسن أيضاً ان الله يعلم التضرع والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل بقدره أن يفعلوه في السر فيكون عملاً أبداً (انه) تعالى (لا يحب المعتدين) أي المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره منه به على أن الداعي ينبغي له أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة

والسلام والصعود الى السماء روى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك العسر
 الايض عن عيبي الجنة اذ دخلتها فقال يا بني أسأل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الآفة قوم يعتدون في الطهور والدعاء
 وقيل أراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جرير من الاعتداء رفع الصوت والتدعاء بالدعاء
 والصياح وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم
 اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
 ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض) أي بالشرك والمعاصي (بعد اصلاحها)
 أي يبعث الرسل وشرع الاحكام وقيل لا تفسدوا في الارض فيسلك الله المطر ويهلك الحرث
 بما صيبكم وعلى هذا المعنى قوله تعالى بعد اصلاحها أي بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر
 والنخيب (وادمه خوفاً) منه ومن عذابه (وطمعا) أي فيما عنده من مغفرته ونوابه وقال
 ابن جرير يخرج خوف العدل وطمع الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) أي المطيعين وفي
 ذلك ترجيح الطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها
 الى الله تعالى وقال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل
 ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وقيل
 ذكره للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره حيث يجب التأنيث في الاول فيقال
 فيه فلانة قريبة مني ويجوز في الثاني فيقال فلانة قريبة وقريب مني في المكان وكون الرحمة
 قريباً من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار من الدنيا واقبال على
 الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي
 الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان * (فائدة) * رحمة الله تعالى بالانسان
 الجورفة فوقه عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأما الهاء الكسائي
 في الوقف وقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي
 خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائي بالتوحيد
 والباقون بالجمع (نشر ايدي رحمة) أي متفرقة قدام المطر الذي هو من أجل النعم وأحسنها
 أثرها وقراءتهم بالباء الموحدة وسكون الشين أي مبشراً وحجزة والكسائي بالتون مفتوحة
 وسكون الشين على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعل مطلق فان الارسال
 والنشر متقاربان وابن عامر بالتون مضومة وسكون الشين تخفيفاً والباقون بضم النون
 والشين جمع نشور بمعنى ناشر (حتى اذا قلت) أي حلت الرياح (سحاباً نقلاً) أي بالمطر يقال
 أفل فلان الشيء اذا حله واشتتاق الافلال من القلة فان من يرفع شيئاً يراه قليلاً (سقاء) أي
 السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ وفيه التفات عن الغيبة ولوجل على المعنى كالنقل لانه
 كما لو جل على اللفظ قليل ثقيل والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه
 ماء معي سحاباً لان سحابة في الهواء قال السدي ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح فتأتي

بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرج منه ثم تنشره فتبسطه
 في السماء كما يشاء ثم تنفخ له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك (البلد
 ميت) لا نبات فيه أي لا حياؤه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بتخفيف الياء والباقون بالتشديد
 (فانزله) أي بالبلد أو السحاب (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا
 لاخراج الثمرات (من كل الثمرات) أي من كل أنواعها قال الأزهرى قال الليث بن سعد رحمه
 الله تعالى البلد هو كل موضع من الارض عامرا وغير عامر حال أو مسكون والطائفة منها بلدة
 والجمع بلاد (كذلك) أي مثل هذا الاخراج (فخرج الموق) أي حيا من قبورهم بعد فناءهم ودرس
 آثارهم (لعلكم تذكرون) أي لكي تعبروا وتذكروا والخطاب للمكرى البعث يقول انكم
 شاهدتم الانتحار وهي من هرة مورقة ممتدة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتم هدايا سبية
 حارية من تلك الاوراق والثمار ثم ان الله أحياها مرة أخرى فالتفاد على حياها بعد موتها
 قادر على أن يحيي الاجساد بعد موتها قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا مات
 الناس كلهم في النفخة الاولى أرسل الله تعالى عليهم مطرا اكنى الرجال من ماء تحت العرش
 فينبثون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم
 نومة فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم
 فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال
 والباقون بالتشديد (والبلد الطيب) أي والارض الكريمة القرية السهلة السمجة (يخرج نباته
 باذن ربه) أي بمشيئته وتسببه وعبره عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانها وقعت
 في مقابلة (والذي خبث) أي والبلد الذي خبث أرضه فهي سجة (لا يخرج) نباته (الأنكداد)
 أي عسرا بمشقة وكلفة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فنبه المؤمن
 بالارض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلبه بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها
 أخرجت أنواع الازهار والاعمار فكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به واتقعه وظهر به منه
 الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحيدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السجة
 التي لا ينفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينفع به ولا يصدق ولا يزيده
 الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينفع بها في الآخرة وقبل
 هو مثل ضربه الله تعالى لآدم وذرية كلهم منهم طيب ومنهم خبيث (كذلك) أي كما بينا ما ذكر
 (نصرف) أي نبين (الآيات) الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة (لقوم
 يتكبرون) نعمة الله تعالى فينتفكرون فيها ويعتبرون بها وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم
 الذين ينتفعون بسماع القرآن ولما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته الدالة
 على توحيده وربوبيته وأقام الدلة القاطعة على محبة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أممهم فقال (لقد) جواب قدس محذوف تقديره
 والله لقد (أرسلنا نوحا) عليه السلام (الى قومه) ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة

التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن الملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن مائه سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلقوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوتيه على قومه بالهلاك وقيل لما رجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مرتكب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني أو أحببت الكلب وفي ذكر القصص نسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت للخسار والهلاك في الدنيا والآخرة والعذاب الاليم فمن كذب محمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوامن قبلهم من الامم المكذبة وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحد من علماء زمانه وقد أتى بعث هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم يتكره عليه أحد فعلم بذلك أنه انما أتى من عند الله وأنه أوحى اليه بذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم (فقال) نوح حال ارساله لقومه (يا قوم اعبدوا الله) أي اعمدوه وحده لقوله تعالى (مالك من آله غيره) فإنه الذي يستحق العبادة لا غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء على أنه صفة لاله والباقون برفعهما على البدل من محله (أني أخاف عليكم) ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى وتاباع أمره وطاعته (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أي يوم نزول الطوفان واهلاكهم فيه وقال أخاف على الشك وان كان يقينامن حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون (قال الملا من قومه) أي الاشراف منهم فانهم يعلون العيون منظرنا (انالترالك في ضلال) أي خطأ وزوال عن الحق (مبين) أي بين (قال) نوح محبب اليهم (يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي شيء مما تظنون من الضلال (فان قيل) لم يقل ليس بي ضلال كما قالوا (أجيب) بأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كما لو قيل ألك ثم نقلت مالى ثم فقتد بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وقوله تعالى (ولكني رسول من رب العالمين) استدرالك باعتبار ما يلزمه وهو كونه كأنه قال ولكن على هدى في الغاية لأن رسول الله (أبلغكم رسالات ربي وأنصحكم) والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه ويقال نصحتة ونصحت له كما يقال شكرته وشكرته وفي زيادة الامم مبالغة ودلالة على محاض النصيحة وانما وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبها لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فتقصده للنفعين جميعا ولا نصيحة لأحده من نصيحة الله ورسوله وقيل حقيقة النصع تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه وقال بعض المفسرين والفرق بين ابلاغ نصيحة الرسالة وبين النصيحة

هو أن تبليغ الرسالة أن يعلمهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذروهم عقابه إن عصوه وقرأ أبو عمر ويسكون الباء ويخفيف اللام من الإبلاغ كقوله تعالى لقد أبلاغتكم رسالاتي وقرأ الباقون بفتح الباء وتشديد اللام من التبليغ كقوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحوال قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقوله تعالى (أو عجبت) الهمزة للأنكار والواو للعطف على محذوف أي كذبتم وعجبت (إن جاءكم) أي من أن جاءكم (ذكر) أي موعظة (من ربكم على رجل) أي على لسان رجل (منكم) أي من جنسكم أو من جملتكم تعرفون نسبه وذلك أنهم كانوا يحبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما معناه ما هذا في آياتنا الأولى يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لازلنا نزل ملائكة (ليذكركم) أي لأجل أن يذكركم عاقبة الكفر والمعاصي (واتقوا) أي ولاجل أن تتقوا الله (وأعلمكم ترجون) بالتقوى أن وجدت منكم لأن المقصود من إرسال الرسل الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة وفائدة حرف الترجى التبيين على أن التقوى غير موجبة والرحمة من الله تعالى محض تفضيل وإن المتقى ينبغي أن لا يعتقد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه) أي نوحاً (فأنجيناه والذين آمنوا به) من الغرق وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقبل تسعة نبوة الثلاثة سام وحام ويافت وستة من آمن به وقوله تعالى (في الفلك) متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقرزوا معه في الفلك وأصحبه في الفلك أو بأنجيناه أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (أنهم كانوا قوماً عاصين) أي عصى القلوب عن الحق غير مستبصرين يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم

(والى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى (أخاهم هوداً) أي أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن صالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلاف في سبب الاخوة من أين حصلت على وجهين الأول قال الزجاج أنه كان من بني آدم ومن جنسهم لأن الملائكة وبكى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عادوا وحدا من جنسهم من البشر ليكون القهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم يبعث إليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والوجه الثاني أن أخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضر موت (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدود ولا تجعلوا معه الها آخر (مالكم من اله غيره) (فان قبيل) لم يحذف العاطف من قوله قال ولم يقل فقال كما في قصة نوح (أجيب) بأن هذا على تقدير سؤال

سائل قال فما حالهم هود فقيل قال يا قوم وقيل ان نوحا كان مواظبا على دعوته فومه غير
متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة
في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غيره (أفلا تتقون)
الله أي أفلا تتخافون عقابه فتؤمنون ولما كانت هذه القصة معطوفة على قصة نوح وقد علم ما حل
بهم من الفرق حسن قوله هنا أفلا تتقون أي أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن
قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (قال الملا الذين كفروا من قومه انالترك في سفاهة) أي في حق وجهاله وضلاله عن
الصواب (فان قيل) لم قال قوم نوح انالترك في ضلال مبين وقوم هود انالترك في سفاهة
(أجيب) بأن نوحا لم يخوف قومه بالطوفان وطق في عمل السفينة في أرض ليس فيها من الماء
شيء قال له قومه انالترك في ضلال مبين حيث تعب في اصلاح سفينة في هذه الأرض واما هود
عليه السلام لما ريف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قوله العقل قابله وعمله
فقالوا انالترك في سفاهة (وانا ننظنک من الکاذبین) أي في ادعائك انک رسول من رب العالمین
(قال) هود لهؤلاء الملا الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) أي ليس الامر كما تزعمون
ان بي سفاهة (ولکنی رسول من رب العالمین أبلغکم رسالات ربی) أي أودى اليکم ما أرسلني
به من أوامره ونواهيهِ وشرائعهِ وتكاليفهِ (وأنا لکم ناصح) أي فيما أمرکم به من عبادة الله
تعالى (أمين) أي مأمون على تبليغ الرسالة وأداء النصص والامین الثقة على ما ائتمن عليه
(فان قيل) لم قال نوح وأفصح لکم بصيغة الفعل وقال هود وأنا لکم ناصح بصيغة اسم الفاعل
(أجيب) بأن صيغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة وكان نوح يدعو قومه ليللا
ونها را كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب اني دعوت قومي ليللا ونهارا فلما كان ذلك من عادته
ذکره بصيغة الفعل فقال وأنصح لکم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون
وقت فلهاذا قال وأنا لکم ناصح أمين (فان قيل) مدح الذات بأعظم صفات المدح غير لائق
بالعلاء (أجيب) بأنه فعل هو وذلك لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرده عليهم
في قولهم وانا ننظنک من الکاذبین فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما أرسل به من
عند الله وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أوعجبتم ان
جاءکم ذکر من ربکم على رجل منکم لينذركم) سبق تفسيره * (تنبيه) في اجابة الانبياء
الکفرة عن کلماتهم المحققة بما أجابوا والاعراض عن مقالتهم کمال النصص والسفاهة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح (واذ کروا) نعمة الله علیکم (اذ جعلکم
خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلفتهم في الارض أو جعلکم ملوکا في الارض فان شداد بن
عادمین ملک مع مورة الارض من رمل عاج وهو موضع بالبادية بهار مل الى شجر عمان وهو بفتح
الشين المجبة وكسر ها وبالهاء المهله ساحل البحر بين عمان وعدن (وزادکم فی الخلق بسطة)
أي طولا وقوة قال الجلال الهلي في سورة الفجر كان طول الطویل منهم أربع مائة ذراع وقامة

القصيرتين ذراعاً وقال أبو حمزة الجاني سبعون ذراعاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانون
 ذراعاً وقال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً أخرج ابن عساکر عن وهب بن ذراعهم
 أي على الأقوال كلها وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان بين الرجل أي بعد
 مؤنة نفرخ فيها الصباغ وكذا ما خرهم وقرأ نافع والبرقي وشعبة والكلبي بالصاد
 وأبو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسین وأما ابن ذكوان وخلاّد فقرا بالسين والصاد
 (فأذكروا آل الله) أي أنعمه أي اعلموا بما يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا
 ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (لعلمكم تفعلون) أي تفوزون بالنعيم المقيم في الآخرة (قالوا)
 أي قوم هود مجيبين له (اجتنتنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 أي من الاصنام استبعاد الاختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم
 ومعنى المجيء في اجتنتنا امالات هودا كان معتزلاً عن قومه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم
 بجراة قبل البعثة فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم أو يريدون به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون
 ان الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكأنهم قالوا اجتنتنا من السماء كما يجيء الملك أو ان المقصود
 على الجواز كما تقول ذهب يشتقي ولا يراد حقيقة الذهاب (فأتانا بعبادتنا) أي من العذاب
 (ان كنت من الصادقين) أي في قولك اني رسول الله (قال) هود مجيباً لهم (قد وقع عليكم) أي
 نزل عليكم (من ربكم وحس) عقاب (وغضب) أي سخط (أعجلوني في أسعائهم يسموها) أي
 وضعوها (أنتم وآباؤكم) أي من عند أنفسكم والاستفهام للانكار عليهم لانهم هموا
 الاصنام بالآلهة فعبدها من دون الله (ما نزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) أي حجة
 وبرهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وانما الواسطة كانت استحقاقها بجملة
 تعالى أما بانزال آية أو نصب دليل (فأنظروا) أي نزل العذاب بسبب تكذيبكم لي (اني معكم
 من المنتظرين) ذلك فأرسل عليهم الريح العقيم (فأنجيناه) أي هودا (والذين معه) أي من
 المؤمنين (برحمة منا وقطعنا أبرار الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم وقوله تعالى (وما كانوا
 مؤمنين) عطف على كذبوا وروى ان قوم هود كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم
 هوداً فكذبوا وازدادوا عصوا فأمسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدوا وكان
 الناس حينئذ مسلمين وكافروهم اذ انزل بهم بلا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى
 الفرج فجهزوا الى الحرم قبل بن عزروهم ثدبن سعد في سبعين من أعيانهم وكان بمكة اذ ذلك
 العمالة أولاد علق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
 أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيم الجرادتان
 فمئنان له وكان اسم احدهما وردة والآخرى جرادة فتسببتهما جرادة في فمه فغلب والقينة
 الأمة مغنية أو غير مغنية فلما رأى ذهلهم باللهو عما بعثوا له أمرهم ذلك واستحى ان يكلمهم
 فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقين فقالا قل شعرا فنغمهم به ولا يدرون
 من قاله فلم القيتين معاوية الأبا قبل ويحك قم فنهيم * والهيئة الصوت الخفي أي أخفي

الدعاء * لعل الله يتخنا غماما * والغمام هنا المطر

فيستقي أرض عاد ان عادا * قد اسوا الايينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

فلما اغتتابه ازعجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم
فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم هرون بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولا يمكن
ان اطعمكم بانيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم واظهر اسلامه فقالوا المعاوية احبس عناءهم ثدا
لا يقدم من معانمكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كتب تسقيهم فانشا الله تعالى سبحات ثلاثا يضاء وجرا وسودا ثم ناداهم ناد من السماء يا قيل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانهم اكرما فخرجت على عاد من واد لهم
يقال له المغيب فاستبشروا به وقالوا هذا عارض عطرنا نجاءهم منها ربح عقيم فاهلكتمهم ونجا
هود ومن معه من المؤمنين واتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا وروى ان النبي من الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اذا هلك قومه هاجر والصالحون معه الى مكة يعبدون الله
تعالى فيها حتى يموتوا وروى عن علي رضي الله تعالى عنه ان قبر هود بحضرموت في كتيب احر
وقال عبد الرحمن بن سابط بن الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح
وشعيب واسماعيل في تلك البقعة (والى غود) أى وأرسلنا الى غود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر وهو غود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سموه لقلته
ما منهم من النمد وهو الماء القليل وكان مسكنهم الحجر وهو بكسر الحاء موضع بين الحجاز
والشام الى وادي القرى واتفق القراء السبعة هنا على عدم صرف غود مراد به القبيلة وقرئ
مصر ووافي غير هذه السورة بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وهو انه اسم لا يهيم الا كبرا وللما
القليل (أخاهم صالحا) أى أخاهم في النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسع
ابن عبيد بن حافر بن غود (قال) لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من الغيرة) أى فلا يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم من ربكم) أى معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتى وصدق ما أقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى ثم فسر تلك البيعة بقوله
(هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على صدقى أو آية نصبت على الحال عاملها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل كانه قال أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجهة عليه الايمان
خاصة وهم غود لانهم عابثوها وسائر الناس أخبروا وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم
خصوصا وانما أضيقتم الى الله تعالى تعظيما لها وتحييما شأنها كما يقال بيت الله ولا نجاهات
من عند الله تعالى بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها) أى اتركوها
(تأكل في أرض الله) أى العشب فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات انباتكم
(ولا تمسوها بسوء) أى شئ من أنواع الاذى لا بعقر ولا بغيره وقوله (فأخذكم عذاب أليم)
أى بسبب أذاها جواب انتهى (واذكروا اذ جعلكم خلقا في الارض) (من بعد عاد) أى

اِنَّ اللهَ تعالى اَهْلَكَ عَادًا وَاَجْعَلَكُمْ تَحْلِفُونَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَتَعْمُرُونَهَا (وَبَوَّأَكُمْ) اَيُّ اسْكَنْتَكُمْ
 وَاتَزَلَّكُمْ (فِي الْاَرْضِ) اَيُّ اَرْضِ الْحَجَرِ (تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهولِهَا اقْصُورًا) اَيُّ يَبْنُونَ الْقُصُورَ مِنْ
 سَهولَةِ الْاَرْضِ لِانَّ الْقُصُورَ نِجَاحٌ مِنَ اللَّيْلِ وَالْاَجْزَاءُ الْمُتَّخِذُ مِنَ الْعَالِيَنِ السَّهْلُ الْمُنِ غَالِبًا
 (وَتَخْتُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا) اَيُّ وَتَقْبُونَ فِي الْجِبَالِ الْبُيُوتَ وَكَانُوا فِي الصَّيْفِ يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الطِّينِ
 وَفِي الشِّتَاءِ بُيُوتَ الْجِبَالِ وَقَرَأُوا وَرَشُوا وَبَوَّعُوا وَحَفَّصَ بَضْمَ الْبَاءِ وَالْبَاقُونَ بِخَفْضِهَا (فَازْكُرُوا
 اَلَا اللهَ) اَيُّ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهَ عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا فَانَكُمْ مِنْ مَنَعْمُونَ مَرْفُوعُونَ بِمَا كُنْ
 فِي الصَّيْفِ وَمَا كُنْ فِي الشِّتَاءِ (وَلَا تَعْتُوا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ) وَالْعَتَا أَشَدُّ الْقَسَادِ وَقَالَ
 قَتَادَةُ مَعْنَاهُ لَا تَسْبِرُوا مُفْسِدِينَ فِي الْاَرْضِ وَقِيلَ أَرَادَهُ النَّهْيَ عَنْ عَقْرِ النَّاقَةِ (قَالَ الْمَلَأَ)
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) اَيُّ تَكْبَرُوا عَنْ الْإِيمَانِ بِهِ (لِلَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا) اَيُّ الَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا مِنْهُمْ
 وَاسْتَبْدَلُوا لَهُمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) بِدَلٍّ مِنَ الَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا بِدَلِّ الْكُلِّ اِنْ كَانَ
 الضَّعِيفُ لِقَوْمِهِ وَبَدَلَ الْبَعْضُ اِنْ كَانَ لِلَّذِينَ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَقَالَ الْمَلَأَ بِالْوَاوِ وَالْبَاقُونَ بِالْوَاوِ
 (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّلَ مِنْ رَبِّهِ) اَيُّ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ الْبِنَاوَالِيَكُمْ فَالْوَاوَالِكُ عَلَى الْاسْتِغْنَاءِ
 (قَالُوا) اَيُّ الضَّعْفَاءِ (أَنَابَا أَرْسَلَ بِهِ) اَيُّ صَالِحٍ مِنَ الدِّينِ وَالْهَدَى (وَمُؤْمِنُونَ) اَيُّ مُصَدِّقُونَ
 وَأَنَابَا دَلُّوا عَنِ الْجَوَابِ السَّوَى الَّذِي هُوَ نَعْمَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ أَرْسَالَ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يَشْكُ فِيهِ عَاقِلٌ
 أَوْ يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ (قَالَ الْمَلَأَ) (الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) عَنْ أَمْرِ اللهَ تَعَالَى وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ صَالِحٍ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَنَابَا الَّذِي آمَنَ بِهِ كَافِرُونَ) اَيُّ جَاهِدُونَ مُتَكَبِّرُونَ (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) اَيُّ عَقَرُهَا
 قَدْ أَرَادَ مَرَّهُمْ فَاسْتَدَّ الْعَقْرَ الْيَهُمُ وَالْعَقْرُ قَطْعُ عُرْقٍ أَوْ قُبُوبِ الْبَعِيرِ ثُمَّ جَعَلَ التَّحَرُّقَ فَانَهُ قَتَلَهَا بِالسَّيْفِ
 فَانَ نَاحِرَ الْبَعِيرِ يَعْقِرُهُ ثُمَّ يَنْحَرُهُ (وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) اَيُّ تَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْهُ وَكَذَّبُوا
 نَبِيَّهُمْ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَادِيَنَا تَعْدُنَا) اَيُّ مِنْ الْعَذَابِ (إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)
 اَيُّ اِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهَ فَانَ اللهَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَنَابَا قَالُوا ذَلِكَ لَانَّهُمْ كَانُوا
 مُكَذِّبِينَ فِي كُلِّ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ (فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ) اَيُّ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنَ الْاَرْضِ
 وَالصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِينَ) اَيُّ بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مَسْتِينَ رَوَى اِنْ عَادَا مَا
 أَهْلَكَ عَمْرَتُ غُودَ بِلَادِهِمْ وَخَلَقُوا فِي الْاَرْضِ وَكثُرُوا وَعَمَرُوا أَعْمَارًا طَوِيلًا حَتَّى اِنْ الرَّجُلُ كَانَ
 بَيْنَ الْبَيْتِ الْحَكِيمِ فِيهِمْ دَمٌ فِي حَيَاتِهِ فَيَخْتُونَ الْبُيُوتَ مِنَ الْجِبَالِ وَكَانُوا فِي سَعَةِ وَرَخَاءٍ مِنَ الْعَيْشِ
 فَعَمُوا وَافْسَدُوا فِي الْاَرْضِ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
 أَشْرَافِهِمْ غَلَامًا شَابًا قَدَعَاهُمْ إِلَى اللهَ تَعَالَى حَتَّى كَبُرَ لِقَبِيْعِهِ الْأَقْلِيلُ سَتَضَعُفُونَ فَلَا أَلْحَ عَلَيْهِمْ
 صَالِحٌ بِالْإِعْلَانِ وَالتَّبْلِيغِ وَأَكْثَرُ عَلَيْهِمُ التَّخْذِيرُ وَالتَّخْوِيفُ سَأَلُوهُ آيَةً فَضَلَّ لَهُمْ اَيُّ آيَةِ تَرْيَدُونَ
 فَقَالُوا تَخْرِجْ مَعْنَا إِلَى عِبْدِنَا فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ لَهُمْ فِي السَّنَةِ قَدْ عَوَّاهُكُ وَنَدَعُوا أَلْهَمْنَا فَانَ
 اسْتَجِيبَ لَكَ اِتِّعْنَاكَ وَإِنْ اسْتَجِيبَ لَنَا اتِّعْنَا قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ نَعْمَ فَخَرَّ حَوَابًا وَثَانَهُمْ إِلَى عِبْدِهِمْ
 وَخَرَجَ صَالِحٌ مَعَهُمْ وَدَعَا أَوْلَادَهُمْ وَسَأَلُوهُا اسْتِجَابَةً فَلَمْ تَجِبْهُمْ ثُمَّ قَالَ سَبِّحُوا جَنْدَ عَن بَنِي عَمْرٍو
 وَأَشَارُوا إِلَى حَفْرَةٍ مَنفُودَةٍ فِي نَاحِيَةِ الْجَبَلِ يُقَالُ لَهَا الْكُتَابَةُ أَخْرَجَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الْحَفْرَةِ نَاقَةً

مختبره جوفاء وبراء والمختبره هي التي شاكلت البخت والجوفاء ذات الجوف والوبراء ذات
 الوبراء فعلت ذلك صدقنا ذلك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت تؤمنن ولتصدقن فقالوا نعم
 فصل ودعاريه فتمحضت الصخرة أي تحركت للولادة فمخض السجج بولدها فأنصت أي
 انشقت عن ناقة عشراء وهي التي مر عليها من يوم أرسل عليها الفصل عشرة أشهر جوفاء وبراء
 كما وصقوا الأيعلم ما بين جذبيها إلا الله تعالى عظماء وعظماؤهم يتظرون ثم نجبت ولدا مثلها
 في العظم فأمن به جندح ورهط من قومه وأراد أشراف غود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم
 ذؤاب بن عمرو بن أسد والخباب صاحباً أو ثائهم ورباب بن صمعر كاهنهم وكانوا من أشراف غود
 فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكشفت الناقة مع
 ولدها ترى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعه
 حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفجع وهو بتقديم الحاء المهملة مثل التفصح وهو أن تفرج بين رجلها
 فيصلبون ما شاؤا حتى تعلى أو يأنهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف أي تقيم زمن الصيف
 يظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتوا أي تقيم زمن الشتاء يبطنه فتهرب مواشيهم
 إلى ظهره فتشق ذلك عليهم ويزين عقرها لهم امرأتان عنيزة بنت غنم وصدقة بنت المختار ولما
 أضرت به من مواشيها ما كانتا كثيرتي المواشي فعقروها وأقسموا لهما فرفق سقيا وهو بضع
 السين والقاف ولدها الذي كرجبلا اسمه قارة فرغانا لا وكان صالح عليه السلام قال لهم أدر كوا
 الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانجبت وهو يشديد الجيم أي انتجبت
 الصخرة بعد رغانه فدخلها فقال لهم صالح تصبصون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
 حمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه
 فأبغاهم الله تعالى إلى أرض فلباين فلما كان اليوم الرابع واشتد الغصبي فخطوا بالصبر
 وتكفوا بالانقطاع فأتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم وهلكوا وسبأ إلى هذه القصة
 زيادة أن شاء الله تعالى في سورة النمل ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالبحر
 في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من ماءها ولا تدخلوا على
 هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم اهلي
 أندر من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح عليه السلام أندر من أشقى
 الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال فأتك (فتولى) أي أعرض صالح عنهم وفي هذا التولى
 قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا وبدل عليه قوله تعالى فأصبحوا في دارهم
 جاثين فتولى عنهم والقاء التعقيب فدل على أنه حصل هذا التولى بعد جدوهم وهو موتهم
 والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحباء قبل هلاكهم وبدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء
 وعلى هذا القول فيقول أن في الآية تقدما وتأخيرا تقدمة ربه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا

في دارهم جاعين (وأجيب) من جهة الاول بأنه خاطبهم بعد هلاكهم بقرى ما وتوب بها كما خاطب
 نينا صلى الله عليه وسلم الكفار من قتل بدر حين ألقوا القلب فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيحين وفيه قتال عمار رسول الله تكلم أمواتا فاد
 جية واقفال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقبل انما خاطبهم صالح عليه السلام
 بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينجز وعاء من مثل تلك الطريقة وروى أن عقربهم
 الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرين من
 المسلمين وهو يسكني فالتفت فرأى الدخان اطاعا فعلم أنهم قد هلكوا وكذا ألقا وخمسة اعداء
 وروى أنه وجسع عن معه من المسلمين فسكنوا اديارهم (٢) وقال قوم من أهل العلم في صالح بمكة
 وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (ولو طأ) أي وأسلمنا لوط برهاران بن
 تارخ ابن أخي ابراهيم (اذ قال لقومه) أي وقت قوله لهم وقيل معناه واذكر لوطا ويبدل منه
 اذ قال لقومه وهم أهل سدوم قال التفتنا زاني هو بفتح السين قرية قوم لوط والذال المعجمة
 في رواية الازهرى ددن غيره اه ومو به صاحب القاموس وغلط الجوهري في قوله انها
 مهجلة وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم
 عليه السلام ارض فلسطين وأزل لوطا الأردن وهو بضم الهمزة والدال وتشديد النون نهر
 وكورة باعلى الشام فأرسله الله تعالى الى ارض سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن
 فعلهم الفجيع وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) أي أتفعلون الفاحشة الخبيثة التي هي غاية
 الفجيع وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في اديارهم كما سيأتي (ما سبقكم بهامن أحد من العالمين)
 أي ما فعلها أحد قبلكم والباء للتعدي ومن الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستعراق
 والثناء للتعريض والجله استئناف مقترن للانكار ونجهم أولاياتان الفاحشة ثم باختراعها
 فانه أسوأ قال عمرو بن دينار ما نذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط ثم بين
 الفاحشة بقوله (أتأتون الذكرا) أي في اديارهم (ثموة من دون النساء) أي ان اديار
 الرجال أشهى عندكم من فروج النساء وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولاياتين وبن النون
 على الخبر وشهوة تمام مفعول له وتمام صدر في موضع الحال وفي التقيد بها وصفهم بالبهيمة
 الصرفة وتنبه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له الى المباعدة طلب الولد
 وبقاء النوع لا قضاء الوطر وقرأ ابن كثير بهم مرتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
 مسهلة ولا مديتهم ما وأبو عمرو وكذلك لأنه يمد بين الهمزتين وهشام بن عتيق الهمزتين
 بينهما مائة والباقيون بتحقيقهما من غير مديتهما وقوله (بل أنتم) أي أيا القوم (قوم مسرفون)
 أي مجاوزون الحلال الى الحرام اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة التي توجب
 ارتكاب القبايح وتدعو الى اتباع الشهوات وانما ذمهم الله تعالى وعيبرهم ونجهم بهذا
 الفعل الخبيث لأن الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمارة الدنيا
 وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن ووضع النسي في غير محله

(٢) قوله وقال قوم
 الخ الذي في حاشية
 الجبل وعاش صالح
 مائتي سنة وثمانين سنة
 اه فليحذر

الذي خلق له فقد أسرف وجاوز واعتدى لأن وضع الشيء في غير محله الذي وضع له أسراف
لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة تلك الشهوة المركبة في الإنسان
وروى أن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تعالى لأن بلادهم أخصبت بالزرع والثمار
وانتبعها أهل البلدان فقتل لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شاب ثم دعا إلى نفسه فكان
أول من نكح في دبره وقال محمد بن الحنفى كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم
الناس فأذوهم فعرض لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ وقال لهم إن فعلتم بهم كذا
وكذا أنجوتهم فلأخ عليهم قصدهم فأصابوا غلباً ناحساً فاستخشوا واستخدمكم ذلك فيهم
(وما كان جواب قومه) له حين ويختمهم على فمهم القبيح وارتكابهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث (الآن قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريبتكم) أى
ما جاوراً بما يكون جواراً عما يكلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وقصص أمرها ولكنهم
جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بنصيحة وكلامه من الأمر بأخراجه ومن معه من المؤمنين من قريبتهم
فخبرهم به وبما سمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم (أنهم أناس يتطهرون) أى يتزهدون عن
فعلكم وعن أدبار الرجال بخبرية بهم وبطهيراتهم من الفواحش واقتداراً بما كانوا فيه من
الفاذورات كما تقول الفسقة لبعض الصالحين أذو عظمهم بعدوا عنا هذا المتكشفاً وأريحونا
من هذا المتزهد (فأجيبناه) أى لوطاً (وأهله) أى من آمن به وقوله تعالى (الامر أنه) استثناء
من أهله فإنها كانت تسر الكفر ومالية لاهل سدوم (كانت من الغابرين) أى من الذين
غيروا أى بقوا في ديارهم فهلكوا وروى أنها التفتت فأصابها حجارة فماتت وإنما قال تعالى
من الغابرين لم يقل من الغابرات لأنها هلكت مع الرجال فقلب الذكور على الإناث (وأمرتنا
عليهم مطراً) أى نوعاً من المطر عجيباً وهو ميمى بقوله تعالى وأمرتنا عليهم بحجارة من سجيل
قد سمعت بالكبريت والنفار يقال مطرت السماء وأمرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب
أمرت وفي الرحمة مطر وقيل خفف بالمقيمين منهم وأمرت الحجارة على مسافرهم (فالتفتوا) أى
أبها الإنسان (كيف كان عاقبة المجرمين) روى أن تاجر منهم كان في الحرم فوقف الحجر أربعين
يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وقال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل
جناحه تحت مذاثر قوم لوط فاقطعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا
بالحجارة كما قال تعالى فجعلنا عالم أسفلها وأمرتنا عليها بحجارة من سجيل (والى مدین) أى
وأرسلنا إلى ولد مدین بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام (أخاهم) فى النسب لافى الدين
(شعیباً) بن مکیل بن یثعر بن مدین وكان يقال له خطیب الانبیاء لحسن مرآة جمعة قومه علیه
السلام وكان قومه أهل کفر وینحس للمکیال والمیزان (قال) أى شعیب علیه السلام
(یا قوم اعبدوا الله ما لکم من غیره قد جاء تکمینة) أى معجزة تدل على صدق ما جئت به
(من ربکم) أوجب علیکم الايمان بى والاخذ بما أمرکم به (فان قيل) ما كانت معجزته اذ لم تذكر
له معجزة (أجیب) بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله قد جاء تکمینة من ربکم ولانه

لا بل تدعى النبوة من مهجزة تشبه له وتصدقه والالم تصح دعواه وكان مستبشاً لانيبا غير أن مهجزة
 لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات سيناصلي الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب
 عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روى من محاربة عصا موسى الثنين حين دفع اليه الغنم
 وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولاده والدرع يوزن القمرد وهي الغنم
 التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع
 وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزة
 لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو إلهاماً وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل أراد
 بالبيئة الموعظة وهي قوله تعالى (فأوفوا الكيل والميزان) أي أغوهما (ولا تبغوا) أي تنقصوا
 (الناس أشياءهم) فتنقصوا الكيل والوزن يقال بنحس فلان الكيل والوزن إذا نقصه
 وطغفه (فان قيل) هلا قال الميكال والميزان كما في سورة هود (أجيب) بأنه أراد بالكيل آلة
 الكيل وهو الميكال أو يسمي ما يكال به بالكيل أو أريدوا وفوا ككيل الميكال ووزن الميزان
 وإنما قال أشياءهم لأنهم كانوا ينجسون الناس كل شيء في مبيعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً
 الامكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) أي بالكفر والمعاصي (بعد
 اصلاحها) أي بعدما أصلح أمرها وأهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع (ذلكم) أي الذي
 ذكرت لكم وأمر تكلم به من الايمان ووفاء الكيل والميزان وترك المطامع والخس (خير لكم) أي
 مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما أقول لكم ومعنى خير لكم
 أي في الانسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاعكم اذا عرفوا
 منكم الامانة والتسوية (ولا تفتقدوا بكل صراط) أي طريق من طرق الدين (توعدون) أي
 تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات
 فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي يريدونه كذاب فلا يفتسكم عن دينكم وقيل كانوا
 يقطعون الطريق على الناس أو يفسدون لاخذ المكس منهم وقوله تعالى (وتصدقون) أي
 تصرفون الناس (عن سبيل الله) أي دينه (من آمن به) دليل على أن المراد بالطريق سبيل الحق
 (فان قيل) صراط الحق واحد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
 فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (أجيب) بأن صراط الحق وان كان واحداً لكنه
 يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة وكانوا اذا رأوا واحداً يشرع في شيء منها
 أو عدوه وصدوه (وتبغونها) أي تطلبون الطريق (عوجاً) أي تصفونها للناس بأنها سبيل
 معوجة عن الحق غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون ذلك تهكيبهم
 وانهم يطلبون لها ما هو محال فان طريق الحق لا يعوج (واذكروا) نعمة الله عليكم وآمنوا به
 (اذ كنتم ثقلان فكثركم) أي كثر عددكم بعد القلة أو كثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد
 الضعف قيل ان مد بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليها السلام فولدت فرجى الله تعالى في نسلها
 بالبركة والنماء فكثروا ونموا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم يتكذبونهم

رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به أى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بى وصدقت رسالتى وفرقة كذبت وصحمت برسالتى (فاصبروا) أى فترصروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفرقتين فيعز المؤمنين أى المصدقين وينصرهم ويملك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وفى هذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) أى لاحتف فى حكمه ولا معقب له لانه تعالى منزوع الجور والميل فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة (قال الملا) أى الجماعة (الذين استكبروا) أى تكبروا (من قومه) عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب عليه الصلاة والسلام) لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعبدون) أى ترجعون (فى ملتنا) أى لابتدئ من أحد الامرين اما اخرجك ومن اتبعك على دينك من بلدنا أو عودكم فى الكفر (فان قل) شعيب لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه (أجيب) بأن اتباع شعيب كانوا على ملته أو تلك الكفار فخطبوا شعيبا واتباعه جبهه فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود فى حقهم على سبيل المجاز وجرى معهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع فلا يستلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة الى حالة متأنفة كما قال القائل

فان تكن الايام تحسن مزة * الى فقد عادت لهن ذنوب

راد فقد صارت لهن ذنوب ولم ير دان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان (قال) لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكارى (أولو كما كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وقيل لانعود فيها وان اكرهونا وجبرتنا على الدخول فيها لا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نحن انا الله منها) والجواب عن هذا مثل ما أجيب به عن الاول وهو ان نقول ان الله نجي قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا انظم نفسه فى جملتهم وان كان بريأ مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب (وما يكون انسان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) أى الا ان يشاء خذلائنا وارادنا نحن نذيعضى قضاء الله فينا ونفقد حكمه علينا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة الله تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعلق على ما لا يكون (وسمع ربنا كل شئ علمنا) أى وسع علمه كل شئ فلا يخفى عليه شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ولما ليس شعيب من ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال (ربنا افترح) أى اقض وافصل واحكم (بيننا وبين قومنا بالحق) أى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وانت خير الحاكمين) وقال الملا الذين كفروا من قومه) أى قال جماعة من اشراف قوم شعيب عن كفره لا آخرين منهم (اننا اتبعنا شعيبا) أى على دينه وتركتم دينكم وما أنتم عليه (انكم اذا لخاسرون) أى مغبونون

فتوات ما يحصل لكم بالجنس والتطفيف أو لاستبدال ضلالتهم بهداكم وجواب القسم
الذي وطأته اللام في لثني اتبعتم شعيباً وجواب الشرط قوله انكم اذا خداسرون فهو سادس مد
الحيواين (فأخذتهم الرحمة) أي الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أي مدينهم (جانحين)
أي باركين على الركبتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل
عليهم حرّاً شديداً فأخذوا بنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الأسراب ليتبرّدوا فيها
فوجدوها أشد حرّاً من الظاهر فخرجوا إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فيها ريح طيبة
باردة فأظلمت وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم بعضاً بم بعضاً حتى اجتمعوا تحت
السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم ألهمهم الله عليهم ناراً ورجمتهم بالارض فاحترقوا كما
يحترق الجراد وصاروا رماداً وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم ساط عليهم الحر
سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فاذا تحتها أنهار وعيون فأتاهم وأخبرهم فاجتمعوا
تحتهم كما هم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى
شعيباً إلى أصحاب الابكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الابكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين
فأخذتهم الصيحة صاعجهم جبريل عليه السلام فهلكوا جميعاً قال أبو عبد الله البجلي كان
أبو جاد وهوز وحطى وكلن وسعفس وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن
شعيب يوم الظلة كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تزنيته وبنيته

كلن قد هذركنى * هلكه وسط الهله

سيد القوم أناء الله * حنق نار تحت ظله

جعلت ناراً عليهم * دارهم كالمضجعه

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره (كان) مخففة واسمها محذوف أي كانوا
(لم يبقوا) أي لم يبقوا ونزلوا (فيها) أي في ديارهم يوم ما من الدهر يقال غيت بالمكان أي أقت به
والغنى المنازل التي بها أهلها واحدها غنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل كانوا يعيشوا فيها متعجين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى
الذي هو ضد الفقر قال الشاعر

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى * وكل سقانا بكاسيم ما الدهر

فما زادنا بغياعلى ذى قرابة * غنى ولا أزرى بأحسابنا الفقر

قال الزجاج معنى غنيا غننا والتصعلك الفقر يقال للفقر مملوك (الذين كذبوا شعيباً)
كانوا هم الخماسين أي دينا ودينادون الذين اتبعوه فانهم الرابحون في الدارين وأكذلك
بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق (فتولى) أي أعرض شعيب (عنهم) أي عن
قومه (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونهت لكم) أي قال ذلك لما يقن نزول
الهداب بهم تأسفوا حرّاً عليهم لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان ثم أنكر

على نفسه فقال (فكيف أسي) أي أحرز (على قوم كافرين) لأنهم لبسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بسبب كفرهم وقيل قال ذلك اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والأندار وبذلك وسعي في النصح فلم يصدقوا قولي فكيف أحرز عليهم وقوله تعالى (وما أرسلنا في قبْرِ من نبي) فيه اضمحار وحذف تقديره فكذبوه (الآن أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وقبل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء سوء الحال (لعلهم يضرعون) أي فعلنا بهم ذلك لكي يضرعوا ويتوبوا والتضرع التذلل والخضوع والانقياد لامر الله (ثم بذلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة كقوله تعالى ويلوناهم بالحسنات والسيئات فأخبر الله تعالى بهذه الآية أنه يأخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله تعالى (حتى عفوا) أي كثروا وغفوا في أنفسهم وأموالهم يقال عفوا الشعر إذا كثروا طال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأغفوا للعي أي وفروها وأكثروا شعرها (وقالوا) كفرا للنعمة (قدمس آباءنا الضراء والسرراء) وهذه عادة الدهر قديما وحديثا ولا آباءنا ولم يكن ماسستنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكفونا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسرراء قال الله تعالى (فأخذناهم بَغْة) أي خِافَةً أي بما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) أي ينزل العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة وغيرها من القصص وعبدالمن سمعها ينزع رجما هو عليه من الذنوب ويرجع إلى الله تعالى ويزداد الذين آمنوا إيمانا (ولولأنا أهل القرى) أي المكذبين (آمنوا) بالله ورسوله (واقفوا) أي الشرك والمعاصي (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أي لا يتناهم بالخير من كل جهة وقيل بركات السماء المطر وبركات الأرض النبات والثمار والانعام وجميع ما فيها من الخيرات وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه وانعامه على عباده وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباء قون بالتخفيف (ولكن كذبوا) أي فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فآمنوا ولكن كذبوا الرسل (فأخذناهم) أي عاقبناهم بأنواع العذاب (بما) أي بسبب ما (كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي وقوله تعالى (أفأمن أهل القرى) عطف على قوله تعالى فأخذناهم بغة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بيانا) أي ليلا وقوله تعالى (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز والمستتر في بيانا (أو أمن أهل القرى) هو استقهاهم يعني الانكار وقبه وعيد وزجر وتهديد والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بسكون الواو والباء قون بفتح الواو (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهار الآن الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) أي وهم ساهون لاهون غافلون عابرون أديهم وقوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله تعالى أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد بالنعمة في الدنيا وأخذ من حيث لا يحتسب (فلا يأمن

مكر الله الالقوم الخاسرون) أى انه لا يأمن استدراجهم بالتم وأخذهم بغتة الا من خسر
 في آخره وهلاك مع الهالكين فعلى العاقل أن يكون في خوف من الله تعالى كالحارب الذى
 يخاف من عدوه المتكمن البيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى ان ابنته قالت
 له ما لى أرى الناس ينامون ولا زالت تنام فقال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات وأدقوله تعالى
 أن يأتينهم بأسنا يا نارا ولم يهد) أى يبين (للذين يرون الارض) أن يسكنونها (من بعد) هلاك
 (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورنوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم) بالعذاب
 (بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم والهمزة للتوبيخ وأن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهدى أى ولم يهد
 للذين يخلفون من خلافتهم في ديارهم ويرنون أرضهم هذا الشأن وهو أن لو نشاء أصبناهم
 بذنوبهم أى بسببها كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين منهم كما أهلكنا المورثين وانما عدى
 فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بادل الهمزة
 الثانية واوا فى الوصل والباقيون بتحقيقهما وقوله تعالى (ونطبع) أى نختم (على قلوبهم)
 معطوف على ما دل عليه أول يهد كأنه قيل ويفعلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم وأولى يرون
 الارض أو يكون منقطعاً بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة أى لا يقبلونها
 ومنه سمع الله لمن حده قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول

أى يقبله ويستجيبه (تلك القرى) أى القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى
 قرى قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا محمد (من أنبأها) أى تخبرك عنها
 وعن أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا اليهم لعلهم آمنوا بربهم ورسولنا والذين
 آمنوا معهم على أعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم
 وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد
 جاءتهم) أى أهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
 صدقهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالانظهار والباقيون بالادغام وأمال حمزة وابن
 ذكوان الالف وسكن السين أبو عمرو ورفعها الباقيون (فما كانوا يؤمنوا) أى عند مجيئهم بها
 (بما كذبوا) أى كفروا به (من قبل) أى قبل مجيئ الرسل بل استمروا على الكفر واللام لتأكيد
 النفي والدلالة على أنهم ماصحوا للايمان لما فاتهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
 (كذلك) أى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم بطبع الله على قلوب الكافرين
 الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم) أى لأكثر الناس على الاطلاق
 أو لأكثر الامم الخالية والقرى الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك وأكد الاستغراف فقال (من
 عهد) أى من وفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق والاية على الاول
 اعتراض وعلى الثانى من تحمة الكلام السابق (وان) مخففة أى واننا (وجدنا) أى فى علمنا فى عالم
 الشهادة (أكثرهم لقاسقين) أى خارجين عن دائرة العهد طبق ما كان فعله منهم فى عالم انبياء

وما أمرناه في عالم الشهادة الا لنقسم عليهم به الحجة على ما يعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم
ومدارك عقولهم (ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المذكورين وهم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب عليهم الصلاة والسلام والامم المهلكين (موسى) عليه السلام (يا أيها نبينا) أي بحجبتنا
الداخلية على صدقه كاليد والعصا (الي فرعون) هو علم جنس الملوك مصر ككسرى الملوك فارس
وقمصر الملوك الروم والنجاشي الملوك الحبشة وكان اسم فرعون موسى قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان وكان ملك القبط (وملائه) أي عظماء قومه وخصمهم بالذكر لانهم اذا اذعنوا
أذن من دونهم فكانهم المقصودون والارسال اليهم ارسال الى الكل (فقلوا) أي كفروا
(بها) أي بسبب رؤيتها خوفا على رياستهم وعملكهم الفانية أن تخرج من أيديهم (فانظروا) أي
المخاطب بعين البصيرة (كيف كان عاقبة المفسدين) أي آخر أمرهم أي كيف فعلنا بهم وكيف
أهلكناهم (وقال موسى) لما دخل على فرعون (يا فرعون) خاطبه بما يحججه امتثال الامر الله تعالى
له أن يلين في خطابه وذلك لأن فرعون كان لقب مدح لمن ملك مصر (الذي رسول) أي مرسل اليك
والى قومك ثم بين مرسله بقوله تعالى (من رب العالمين) أي الاله الذي خلق الخلق وهو سيدهم
ومالكهم وقوله تعالى (حقيق على أن لا أقول على الله الاحق) جواب لتكذيب فرعون اياه
في دعوى الرسالة وانما لم يذكر دلالة قوله تعالى فقلوا بها والحق هو الثابت الدائم والحقيق
مبالغة فيه وكان المعنى أنا ثابت مستقر على أن لا أقول على الله الاحق قرأ فافع على بالتشديد
فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدهما والباقيون بالسكون وعلى هذا تكون على بمعنى الباء أو بضم
حقيق بمعنى حريص وأن لا مقطوعة في الرسم أي النون من لام الالف (قد جئتكم بينة) أي
مبصرة (من ربكم) على صدق فيما ادعى من الرسالة وهي العصا واليد البيضاء ثم أن موسى عليه
السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم قوله (فأرسل معي بنى اسرائيل) أي خلفهم
حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في
الاعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما (قال) فرعون لعنه الله مجيبا موسى عليه
السلام (ان كنت جئت بآية) أي علامة على صحة رسالتك (فأت بها ان كنت من الصادقين
أي في عدد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواي عندي وثبت) (فأتني عصا فاذا هي) أي
العصا (تعبان مبيت) أي ظاهرا مره لاشك فيه أنه تعبان والتعبان الذكر العظيم من الحيات
فان قيل أليس قال الله تعالى في موضع كأنها جاني والجاني الحية الصغيرة (أجيب) بانها كانت
كالجاني في الخفة والحركة وهي في جنسها حية عظيمة روي أنه لما ألقاها صارن حية
عظيمة صفرا مشقرا فاغرة فاها بين لحيها غائون ذراعا وارتفعت عن الارض بتدريج
وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سورا القصر وتوجهت نحو
فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث قبل أخذه البطن في ذلك اليوم
أربع مائة مائة وقد قيل انه كان يأكل الموز حتى لا يتغوط وجلت على الناس فانهم سزموا
وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك الله

الذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا
كما كانت ثم قال هل معك آية أخرى قال نعم (ونزع يده) أي أخرجها من جيبه وقبيل من تحت
ابطله بعد أن أراه أباه محترقة أدما كما كانت وهي عنده (فأذا هي بيضاء) (والناظرين) لها
شعاع غلب شعاع الشمس قال ابن عباس كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض له لمعان
مثل لمعان البرق فخر وأعلى وجوههم ثم ردها إلى جيبه فأذا هي كما كانت ولما كان البياض
المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى من غير سوء أي من غير برص
(فان قيل) ثم يعلق قوله تعالى الناظرين (أجيب) بأنه يتعلق بقوله تعالى يضاء والمعنى فإذا هي
بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضا عيبيا خارجا عن العادة يجتمع
الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للحجائب (فان قيل) أحد هذين الأمرين إما العصا وإما
اليد كان كافيا فائدة الجمع بينهما (أجيب) بأن كثرة الدلائل توجب القوة في اليقين وزوال
الشك وقول بعض المفسرين المراد بالثعبان وباليد البيضاء شي واحد وهو أن حجة موسى عليه
السلام كانت قوية ظاهرة فاهرة من حيث أنها أبطلت أقوال المخالفين وأظهرت فسادها كانت
كالثعبان العظيم الذي يتلف جميع المبتلين ومن أنها كانت ظاهرة في نفسها وصفت باليد
البيضاء كما يقال في العرف للفلان يد بيضاء في العلم الفلاني أي قوة كاملة ومربية ظاهرة
مردودا دجل هاتين المجزئتين على هذا الوجه يجري مجرى دفع التواتر وتكذيب الله ورسوله
ولما أتى بالبيان وأقام واضح البرهان (قال الملا) أي الأكابر (من قوم فرعون أن هذا) أي
موسى (لساحر عليم) أي عالم بالسحر ما هرفبه قد أخذ بأعين الناس وبربهم الشيء بخلاف ما هو
عليه حتى يجعل اليهم أن العصا صارت حية وأن آدم أبيض كما أراههم يده بيضاء وهو آدم اللون
وانما قالوا ذلك لأن السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان (فان قيل) فقد أخبر الله تعالى في هذه
السورة أن هذا الكلام من قول الملا فرعون وقال في سورة الشعراء وقال أي فرعون للملا
حوله أن هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما (أجيب) عن ذلك بجوابين الأول لا يمنع أن يكون
قوله فرعون أولاهم أنهم قالوا بعده فأخبر الله عنهم هنا وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء الثاني
أن فرعون قال هذا القول ثم أن الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم أنهم بلغوه إلى العائمة
فأخبر الله تعالى هنا عن الملا وأخبر هنا عن فرعون (يريد) أي موسى (أن يخرجكم) أي القبط
(من أرضكم) أي أرض مصر (فإذا تأمرون) أي أي شيء تشيرون أن نفعل به فقوله فإذا
تأمرون من قول فرعون وإن لم يذكره وقبيل من قول الملا وتم كلام فرعون عند قوله يريد أن
يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين له فإذا تأمرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على
عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فتأمرون أن نفعل به والقول الأول أصح لسباق
الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (فألو أرجنه) أي موسى (وأخاه) هرون عليه السلام أي
أخاه هرون وأخاه هرون عليه السلام أي أخاه هرون وأخاه هرون عليه السلام أي أخاه هرون
أخاه هرون وأخاه هرون عليه السلام أي أخاه هرون وأخاه هرون عليه السلام أي أخاه هرون

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر همزة ساكنة والباقون بغير همز (وأرسل في المدائن) جمع
 مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به أي مدائن صعيد مصر (حاشرين) أي أرسل
 رجالا من أعوانهم الشرط بضم الشين وفتح الراء طائفة من أعوان الولاة يحشرون الديك
 السحرة من جميع مدائن الصعيد وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد فإن غلبهم موسى
 صدقناه واتبعناه وإن غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله تعالى (يأولئك) أي الشرط (بكل ساحر عليم)
 أي ما هر بصناعته والباء بمحتمل أن تكون بمعنى مع ويحتمل أن تكون باء التعدية وقرأ جزة
 والكسائي بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف الحاء
 مكسورة وألف قبلها ولا ألف بعدها ولم يختلفوا في سورة الشعراء أنه سحار قيل الساحر الذي
 يعلم السحر ولا يعلم والسحار من بديم السحر روى أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته
 في العصا ما رأى قال أنا لاقاتل موسى الابن هو أقوى منه فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل
 وبعث بهم إلى مدينة يقال لها القراميط فاعلمونهم السحر فعلمواهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى
 موعدا ثم بعث إلى السحرة الذين أرسلهم فحاثوا ومعلمهم معهم فقال فرعون للعلم ما صنعت
 فقال علمهم سحرا لا تطمئنه أهل الأرض الآن يأتي أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم بعث
 فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتى به وهذا يدل على أن السحرة كانوا كثيرين
 في ذلك الزمان وهو يدل على صحة ما يقوله المتكلمون وهو أنه تعالى يجعل معجزة كل نبي من
 جنس ما كان غالبيا على أهل ذلك الزمان فلما كان السحر غالبيا على أهل زمان موسى كانت معجزته
 شبيهة بالسحر وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة ولما كان الطب غالبيا على أهل زمان عيسى
 عليه السلام كانت معجزته من جنس الطب ولما كانت الفصاحة غالبية على أهل زمان محمد صلى
 الله عليه وسلم كانت معجزته من جنس الفصاحة واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون
 فمن مقل ومن مكثر وليس في الآية ما يدل على المقدار والكيفية والعدد ولذلك اختلف في
 عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين إنسانا من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني
 إسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل ينوى بلدة يونس عليه
 السلام وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن إسحق
 كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال
 مقاتل كان رئيس السحرة شععون وقال ابن جرير كان رئيسهم يوحنا (وباء السحرة فرعون)
 أي بعد ما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا أئن لنا لاجرا) أي جعلنا وعطاء مكرمته (إن كنا نحن
 الغالبين) لموسى (فإن قيل) هلا قيل فقالوا بالفاء (أجيب) بأنه على تقدير سائل سأل ما قالوا إذا
 جاءوا فأجيب بقوله أئن لنا لاجرا إن كنا نحن الغالبين وقرأ ابن كثير وحفص همزة مكسورة وفون
 مشددة بعدها على الخبر والباقون همزة تنوين وسهل الثانية أبو عمرو وأدخل ألفا بينهما والباقون
 بفتحهما ما وأدخل بينهما ألفا هشام والباقون بغير ألف بينهما (قال) لهم فرعون (نعم) أي لكم
 الاجر والعطاء وقرأ الكسائي بكسر العين والباقون بالفتح وقوله تعالى (وأنكم لمن المقربين)

عطف على محذوف ستمسدة الجواب كأنه قيل جوابا لقولهم أثن لنا لاجرا إن لكم اجرا وانك
لمن المقر بين أراد اني لا اقتصر انكم على الثواب بل أزيدكم عليه وذلك الزيادة اني أجمعكم من
المقر بين عندي قال الكبيتي تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي والآية تدل
على ان كل المخلوق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا والاملا احتاج الى الاستعانة
بالسحرة في دفع موسى وتدل أيضا على أن كل السحرة ما كانوا قادرين على قلب الاعيان والا
لما احتاجوا الى طلب الاجر والمال من فرعون لانهم لو قدر روعي قلب الاعيان لقلبو التراب
ذهبوا ولقلوا ملك فرعون الى أنفسهم وبلعوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود
من هذه الآيات تنبيه الانسان لهذه الدقائق وأن لا يغتر بكلمات أهل الاباطيل والا كاذب
(قالوا) أي السحرة (يا موسى ائمان تلقى) أي عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) أي عصينا
وحبا للافراوع مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء
فغوضهم الله تعالى حيث تأذوا مع نبيه عليه السلام ان من عليهم بالايان والهداية ولما راعوا
الادب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم (قال) لهم موسى (أقوا) انتم فقط هم على نفسه
في الالتقاء (فان قيل) كيف جازلنبي الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمر بالالقاء وقد علم أنه
سحر وفعل السحر حرام أذكر (أجيب) عن ذلك بأجوبة أحدها أنه معناه ان كنتم محقين
في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الثاني أن القوم انما جازوا الالتقاء تلك الجبال والعصى وعلم موسى
عليه السلام انه لا بد وأن يفعلوا ذلك ووقع التصير في التقديم والتأخير فعند ذلك أذن لهم في
التقديم اذ راء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما وعده الله تعالى من التأييد والتقوية وأن
المعجزة لا يعلها سحر أبدا الثالث انه عليه السلام كان يريد ابطال ما أتوا به من السحر وابطاله
ما كان يمكن الابتداء بهم فأذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن الاقدام على ابطاله فلهذا المعنى
أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) حباهم وعصيم (سحروا) أي صرفوا (أعين الناس) عر
ادر الحقيقة ما فعلوه من التوبة والتضيل وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل الشر وبين
معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي هو فعل الله تعالى وذلك لان السحر ليس فيه قلب
الاعيان وانما فيه صرف أعين الناس عن ادراك ذلك الشيء بسبب التوقيهات والمعجزة قلب
ذلك الشيء حقيقة كقلب عصا موسى عليه السلام فاذا هي حمة تسمى (واسترهبوهم) أي
أرهبوهم والسين زائدة قاله المبرد وقال الزجاج استعدوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك
بأن بعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب (وجاؤا) أي
السحرة (يسحر عظيم) روى ان السحرة قالوا قد علمنا سحر الاطيقه سحرة أهل الارض الآن
يكون أمر من السماء فانه لا طاقه لنا به وذلك انهم ألقوا حبلا غلاظا وخشبا طولا فاذا هي
حباب تسمى كأنها الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلقوا تلك الجبال
بالرشق وجعلوا داخل تلك العصى رزقا ليعصى وألقوها على الارض فلما أثر الرشق في
فخر كتبوا التوبيخ بها على بعض حتى تخجل للناس انهم احيايت تحرك وتلقوا باختيارها

ويقال ان الارض كان سعتها ميسلا في ميل فصارت كلها احيات وافاعي ففرغ الناس من ذلك
واوحس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه
كان على ثقة بيقين من الله تعالى أنهم لم يقبلوه وهو غالبيهم وكان عالما بأن ما أتوا به على وجه
المعارضة لمجزئه فهو من باب السحر والتخيل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف
لموسى عليه السلام وانما كان خوفه لاجل فرغ الناس واضطرابهم عمارا ومن أمر تلك
الحيات بخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور مجزئه وحقته فلذلك أوحس في نفسه
خيفة موسى (وأوحسنا الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حمة عظيمة قد سدت الافق
قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاهما غمانين
ذراعا (فاذا هي تلفت) بحذف احدى التامين من الاصل أى يتلفع (ما بانفكون) أى
ما يزودونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه روى انه ابتلع كل ما أتوا به من
السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيم واحد واحد حتى ابتلت الكل ثم أقبلت على الذين
حضره وذلك الجمع ففرغوا ووقع الزحام عليهم فمات منهم بسبب ذلك الزحام خمسة وعشرون
ألقا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة
ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس في قدرة البشر وقوتهم فمعه عند
ذلك خروا وسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) أى فظهر الحق الذى
جاءه موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أى من السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما صنع
موسى سحر البقيت جبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علوا ذلك من أمر الله
تعالى وقدرته وقرأ حفص تلفظ بسكون اللام وتحفيف القاف والباقون بفتح اللام وتشديد
القاف وشدد التاء البرى (فقبلوا) أى فرغوا وجوعه (هناك) أى عند ذلك الامر العظيم
العالى الرتبة (واقبلوا صاغرين) أى رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين (والأني السحرة
ساجدين) أى ان الله تعالى الههم ذلك وجههم عليه حتى يشكسروا فرعون بالذين أرادهم
كسر موسى وينقلب الامر عليه قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا
برب العالمين) قال فرعون اياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى) فقال اياي تعنون لاني انا الذى
ريت موسى فلما قالوا (وهرون) زالت الشبهة وعرف الكل انه لم كفر وايعرعون وآمنوا بالله
السماء قال مقاتل قال موسى اكبر السحرة أنؤمن بى ان غلبتك فقال لا تبين بسحر
لا يقبله سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وفرعون ينظر اليهم سما ويسمع كلامهم هذا قوله ان هذا
لا كرم كرموه في المدينة ويقال ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت جعلت لفمائه
بعير فلما ابتلعها عصا موسى عليه السلام كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن هذا
السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا وصدقوا (فان قيل) كان يجب ان يأتوا بالامان
قبل السجود فافائدة تقديم السجود على الايمان (أجيب) بأن الله تعالى لما قذف في قلوبهم
الايمان والمعرفة خروا وسجدوا لله تعالى شكريا على ما هداهم اليه والهمهم من الايمان بالله

تعالى وتصديق رسوله ثم أظهر وأبعد ذلك إيمانهم قال قتادة كانوا أول النهار كفاراً بهرة
 وفي آخره شهادة برة وعن الحسن نرى من ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا
 وكذا وهو لاء الكفار نشؤ في الكفر بذلوا أنفسهم لله تعالى (قال فرعون) للسحرة منكم
 عليهم موجهاً لهم بقوله (آمنتم) أي صدقتم (به) أي موسى أو بالله تعالى والاستفهام فيه
 للأنكار والتوبيخ (فائدة) هنالك ثلاث همزات جميع القراء يبدل الثالثة ألفاً وحقق الثانية
 شعبة وحزرة والكسائي وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأما حفص فإنه أسقط
 الأولى وأبدلها قبل في الوصل وأو (قبل أن أذن لكم) أي قبل أن أمركم بذلك وأذن لكم
 فيه (أن هذا المكر مكره) أي أن هذا الصنيع لحيلة احتملها أنت وموسى (في الدنيا) أي
 مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع وذلك أن فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن
 فرعون أن موسى وكبير السحرة قد واطوا عليه وعلى أهل مصر ليس متولوا على مصر كما قال
 (أخرجوا منها أهلها) أي القبط وتخلص لكم ولبنى إسرائيل وقوله تعالى (فسوف تعلمون)
 فيه وعيد وتهديد أي فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسرد ذلك الوعيد بقوله (لا قطع من أيديكم
 وأرجلكم من خلاف) أي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل
 قال الكلبي لا قطع من أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى (ثم لا صلبنكم) أي أعاقبكم عدة
 أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى تقاطر صلبكم وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين) أي
 لأتزل منكم أحد أنفضي حالكم وتكيداً لا مثالكم قال ابن عباس أول من صلب وقطع الأيدي
 والرجل فرعون أي أنه أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه
 محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لشرط رجته (قالوا) أي السحرة مجيبين لفرعون حين
 وعدهم بما ذكر (أنا إلى ربنا) بعد موتنا على أي وجه كان (مقلبون) أي راجعون إليه في
 الآخرة (وما ننقم) أي نذكر (مننا) أي في فعلك ذلك بنا ونعيب علينا (الآن آمننا) أي الأماهو
 أصل المفارقة لها وهو الإيمان (بآيات وبنما جاءتنا) لم تأخر عن معرفة الصدق وهذا موجب
 الإكرام لا الانتقام ثم فزعوا إلى الله تعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) عند ما وعدهم
 فرعون به أي أصعب علينا صبراً كاملاً تاماً ولهذا أتى بلفظ التكثير أي صبراً وأي صبر عظيم
 (ونوفنا سليمين) أي واقضنا على دين الإسلام وهو دين خليلك عليه السلام قال ابن عباس كانوا
 في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الطبري أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم
 وقال غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون (تنبيه) في الآية فوائد
 الأولى قولهم أفرغ علينا صبراً كدل من قولهم أنزل علينا صبراً لأن أفرغ الأماهو صبراً فيه
 بالكسبية فكانهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر لبعضه الثانية أن قولهم صبراً مذكور بصيغة
 التكثير وذلك يدل على تمام الكمال أي صبراً تاماً كاملاً الثالثة أن ذكر الصبر من قبلهم ومن
 أعماهم ثم أنهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل على أن فعل العبد لا يحصل الا بخلق الله تعالى
 وقضائه الرابعة استحج القاضي بهذه الآية على أن الإيمان والإسلام واحد فقال أنهم قالوا ولا

آمنابايات ربنا ثم قالوا ثانيا وتوفنا مسلمين فوجب أن يكون ذلك الايمان هو ذلك الاسلام وذلك
 يدل على أن أحدهما هو الآخر واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يعترض لموسى
 لأنه كان كمال رأى موسى عليه السلام خافة أشد الخوف فلهذا السبب لم يعترض له إلا أن القوم
 لم يعرفوا ذلك فقالوا له أنذر موسى وقومه كما حكي الله تعالى ذلك عنهم بقوله تعالى (وقال الملا)
 أي الاشراف (من قوم فرعون) له (أنذر) أي تترك (موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا
 في الارض) أي أرض مصر وأرادوا باقتساد فيها أنهم يأمر ونههم بمخالفة فرعون وهو قولهم
 (ويذرنا وأهناك) أي معبوداتك أي فلا يعبدك ولا يعبد ما قال ابن عباس كان لفرعون
 بقرة حسنة يعبدها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري
 عجلا وقال السدي كان فرعون اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم
 ووب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى (فان قيل) ان فرعون ان لم يكن كامل
 العقل لم يجزى حكمة الله تعالى ارسال الرسل اليه وان كان عاقلا لم يجز ان يعتقد في نفسه كونه
 خالق السموات والارض لان فساد معلوم بالضرورة (أجب) بأن الاقرب أن يكون دهر يا
 منكر الوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا السفل هو الكواكب واتخذ اصناما على
 صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه المطاع المخدوم في
 الارض ولهذا قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملئحين قالوا له أنذر موسى وقومه
 (سمنل ابناءهم) أي المولودين (وتسحي نساءهم) أي تتركهم أحباء كما كنا تفعل من قبل ليعلم
 أفاعي ما كنا عليه من القهر والقلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
 ملكك على يده وقرأ نافع وابن كثير بفتح النون ومكون القاف وضم التاء مخففة والباقون
 بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة (وانافوهم قاهرون) أي غالبون وهم مهقرون
 تحت أيدينا ولا أثر لعلبة موسى لناني هذه المناظرة فأعادوا عليهم القتل فشكت بنو اسرائيل
 لموسى فأمرهم بالصبر كما قال تعالى (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل (استعينوا بالله
 واصبروا) أي استعينوا بالله على فرعون وقومه فها نزل بكم من البلاء فان الله تعالى هو الكافي
 لكم واصبروا على ما نالككم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض) أي أرض مصر
 وان كانت الارض كلها (لله) تعالى لان الكلام فيها (ورثها من يشاء من عباده) وفي هذا
 تسلية لهم وتقرير الامر بالاستعانة بالله عز وجل والتثبت في الامر وقوله تعالى (والعاقبة) أي
 المحمودة (المتقين) لان الله تعالى وعدهم بالنصر وتذكير لما وعدهم به من اهلاك القبط وتوريثهم
 ديارهم وتحقيق له ولما سمع بنو اسرائيل ما قال فرعون من توعداهم بالقتل مرة ثانية (قالوا)
 لموسى (أؤذيتمنا قبل أن تأتينا) أي بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد
 فرعون وقومه وكان يأخذ منهم الجزية وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار
 ويمنعهم من التعرف والتسليم ويقتل أبناءهم ويسحي نساءهم فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له
 ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار بلا أجر وادأن يعيد القتل

عليهم فقالوا أؤذي من قبل أن تأتينا (ومن بعد ما جئتنا) أي بالرسالة (فان قبل) ظاهر هذا الكلام يوهم أن بني إسرائيل كرهوا مجي موسى بالرسالة وذلك كثير (أجيب) عن هذا الإيهام بأن موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا أن ذلك يكون على الفور فلما رأوا أن المشقة قد زادت عليهم قالوا ذلك أي فتي يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى عليه السلام مجيبا لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أي فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم قال البيضاوي ولعله أي بفعل الطمع أي بعسى أعدم جزئهم بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روى ابن مضر أنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام ثم سبب عن الاستخلاف قوله تعالى مذكر لهم محذر من سطوانة تعالى (فينظر) أي وأنتم خلفاءه كنون (كيف تعملون) أي يعملكم معاملته المختبر وهو في الازل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عادته روى عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدة رغياف وأورغياف فطلب زيادة لعمر فلم يجد فقرا عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون) أي فرعون وقومه (بالسنين) أي بالقطط والجوع سنة بعد سنة فإن السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (ونقص من الثمرات) أي بالعاهات قال قتادة أما السنين فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمّل النخلة الاثمرة (لعلهم يذكرون) أي يتعظون فيؤمنون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لأن الشدة تترق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى من الخيرات والدليل على ذلك قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه وقوله تعالى وإذا مسه الضر فذودعائريض وقال سعيد بن جبيرة عاش فرعون أربعين سنة لم يرمكروها في نفسه ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حصى لما ادعى الربوبية ثم بين سبحانه وتعالى أنهم عند نزول تلك المنع عنهم يقسمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال (فإذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس العشب والخصب والثمار والموائش والسعة في الرزق والعافية والسلامة (قالوا لها هدم) أي نحن مستحقون على العادة التي جرت من كثر نعمتنا وسعة أرزاقنا ولم نعلموا أنه من الله تعالى فيشكروه على انعامه (وإن نصبهم سيئة) أي لخط وجذب ومرض وبلاء أو أيا ما يكرهونه في أنفسهم (يطيروا) أي يشاموا وأصله يطيروا (بحسبي ومن معه) من المؤمنين ويقولون ما أصابنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم في الغباوة والقساوة فإن الشدائد تترق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماس سبعا بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عند هاتعتوا وانتهاكا في البغي وانما عترف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثر وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم التصدي لها بالاتباع (الا انما

طأرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عنده تعالى وهو حكمه ومشيتته أو بسبب شؤمهم عند الله تعالى وهو أعمالهم المكتوبة عنده فأنهم التى ساقط اليهم ما يسوءهم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى أن ما يصيبهم من الله تعالى وذلك لأن أكثر الخلق يصدقون الحوادث الى الاسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره والحق أن الكل من الله تعالى لأن كل موجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته وهذا الطريق يكون الكل من الله تعالى فاستفاده الى غير الله تعالى يكون جهلا بكلال الله تعالى (وقالوا) أى فرعون وقومه القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتينا به) وقوله تعالى (من آية) أى من عند ربك بيان لمهما وانما هو آية على زعم موسى للاعتقاد هم ولذلك قالوا (لنحرقنا بها) أى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فان نحن لك بمؤمنين) أى بصديقين * (تنبيه) * اختلف فى أصل مهمما فقبل أم لهما ما الأولى ما الشرطية والثانية ما الزائدة ضمت اليها للتأكيد ثم قبلت ألفها هاء استعقالات التكرير المتجانسين فصارت مهمما هاء قول الخليل والبصريين وقبل أصلهما هاء التى يعنى اكفف وما الجزائية كأنهم قالوا اكفف ما تأتينا به من آية لنحرقنا بها فهو كذا وكذا هاء قول الكسائي فهى مركبة على هذين القولين والمعقد الذى جرى عليه ابن هشام وغيره انما بسيطة لأن دعوى التركيب لم يقم عليها دليل ووزنه فاعلى وأنها للالحاق والتأنيث والضمير ان فى وبها راجعان لهما لأن أحدهما ذكر باعتبار اللفظ والثانى أنث باعتبار المعنى لأنه فى معنى الآية وشعوه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليفة * واذ خالها تخنى على الناس تعلم

قال فى الكشف وهذه الكلمة فى عدد ادالكلمات التى يحترقها من لايدله فى علم العربية فضعها فى غير موضعها وبحسب انها بمعنى متى ما ويقول مهمما جئتني أعطيتك قال ابن عباس أن القوم لما قالوا مهما تأتينا به من آية من ربك فهى عندنا من باب السحر ونحن لانؤمن بها البتة وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا فعمد ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) وقال سعيد بن جبيل لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغنوبا أبى هو وقومه الا الإقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله تعالى عليهم الايات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من العجزات اليد والعاصف لم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتاوان قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقوى عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله تعالى عليهم المطر من السماء ويوت بنى اسرائيل ويوت القبط مشتبكة محتلطة فامتلا ثيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى يوت بنى اسرائيل شئ وركب ذلك الماء على ارضهم فلم يقدر وان يحرثوا ولا يعملوا شئ أو دام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قرا ولا يستطيع الخروج من دابره فصرخوا الى فرعون واستغاثوا به فأرسل الى موسى عليه

السلام فقال اكشف عنا العذاب فقد صار بحرا واحدا فان كشف هذا العذاب آمنابك فأزال
 الله تعالى عنهم المطر وأرسل الرياح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا
 الذي بزعنا منه خيرا لنا الكلام نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى اسرائيل وقيل المراد
 بالظوفان الجدرى وهو بضم الجيم وفتح الدال ويقطعه ما قروح في البدن تنظف وتنضغ وقيل
 هو الموتان وهو بضم الميم موت في المشامية وقيل هو الطاعون فنكثوا العهد (و) لم يؤمنوا
 وأقاموا شهرافى عاقبة فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر
 حتى كان يأكل الابواب وسقوف البيوت وسامير الابواب من الحديد وابتنى الجراد بالجورع
 فسكانت لانتشيع ولم يصب بنى اسرائيل شئ من ذلك وعظم الامر عليهم حتى صارت عند طيرانها
 تغطي الشمس ووقع بعضها على بعض فى الارض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا
 ربك لننكشف عننا الرجاء لئلا نؤمن لك فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام
 فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفى الخبر مكتوب على
 صدر كل جراد جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام برز الى القضاء وأشار بعصاه نحو
 المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وقيل أرسل الله تعالى ريحا فاحتل الجراد
 فألقاه فى البحر وكان قبدي من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما يكفيننا فمحن بتاركى ديننا
 (و) لم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عاقبة وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم (القمل)
 واختلفوا فى القمل فعن ابن عباس انه السوم الذى يخرج من الحنطة وعن قتادة انه أولاد
 الجراد قبل نبات أجنحتهم وعن عكرمة انه الجنان وهو ضرب من القراد وعن عطاء القمل المعروف
 فأكل ما أبقاه الجراد وطس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيصهه وكان أحدهم
 يأكل طعاما فبقي قلا وكان أحدهم يخرج عشرة أجرة الى الرحا فلا يرد منها الا شيا يسيرا وعن
 سعد بن جببر كان الى جنهم كتيب أعفر فضر به موسى عليه السلام بعصاه فصارت قلا فأخذت
 ابشارهم وأشعارهم وأشفا رعيونهم وحواجهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى ومنعهم النوم
 واقرا رصا حوا وصرخواهم وفرغوا الى موسى عليه السلام وقالوا اننا تور فادع لنا ربك
 يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ورفع القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
 الى السبت فنكثوا وعادوا الى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم
 جعل الرمل دواب (و) لم يؤمنوا فدعا موسى عليه السلام عليهم بعد ما أقاموا شهرافى عاقبة
 فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فامتلات منها يوتهم وأطعمتهم وآيتهم فلا يكشف
 أحدهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس فى الضفادع
 الى رقبته ويهم أن يتكلم فينب الضفدع فى فيه وكان ينب فى قدورهم فيفسد عليهم طعامهم
 ويغطي نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فبركبه الضفدع فيكون عليه ركما حتى لا يستطيع أن
 ينصرف الى شقه الا سخر ويقع فاه الى أكلة فيسبق الضفدع أكله الى فيه ولا يجن عينا ولا
 يفيق قدرا الا امتلات ضفادع وعن ابن عباس أن الضفادع كانت برية فلما أرسلها الله تعالى

الى آل فرعون سمعت فأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القدر وهو ثقلي وفي التناير وهو تنفور
فأناهم الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء فلقوا منها آذى شديدا فشكوا الى موسى عليه السلام
وقالوا ارجئنا هذه المدة فإني الآن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذهم وهم وموائيقهم
ثم دعاه ففكشف عنهم الضيق بأن أماتهم وأرسل الله المطر والريح فاحتملوا الى البحر
بما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم فكثروا العهد (و) لم يؤمنوا وعادوا الكفر
وأعمالهم الخبيثة فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرافى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الدم)
فصارت مياههم كلها دما فماتت سبعة قرون من بني إسرائيل ولا نهر الا وبعدوه دما عبيطا أحمر فشكوا الى
فرعون وقالوا ليس لنا شراب فقال انه يحمر كم فقالوا من أين يحمرنا ونحن لا نجحد في أو عيتنا
شيأ من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون لعنه الله تعالى يجمع بين القبطي والاسرائيلي على
الأناء الواحدة فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقولون انما اجمعت في هذا
فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتى للمرأة من بني
اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائتك فتصب لها من قربتها فيعود في
الأناء دما حتى كانت تقول اجعلني في فيك ثم يجبه في في فتأخذ في فيها ماء وإذا اجمعت في فيها
صار دما وما اعتري فرعون العطش حتى أنه كان ليضطر الى مضغ الشجار الرطبة فاذا مضغها صار
ماء وهذا ما فكثروا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم فأقوا موسى وشكوا اليه
ما يلقونه وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك بني اسرائيل
فدعا موسى عليه السلام ربه ففكشف عنهم وقيل الدم الذي سلط عليهم هو الرعاف وقوله تعالى
(آيات) نصب على الحال (مفصلات) أى مبنات لا تشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
ونعمته عليهم أو مفصلات لا تمصن أحوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل
واحدة اسبوعا كما مررت الاشارة الى ذلك وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب
الشهرة وأمنوا به عشرين سنة يرهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان فلم
يؤمنوا (وكانوا) أى فرعون وقومه (قومًا مجرمين) أى كافرين (ولما وقع عليهم الرجز)
أى نزل بهم العذاب وهو ما ذكره الله تعالى من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبيرة الرجز
الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون فلبث به
من القبطي يوم واحد سبعون ألفا وثر كوا غصير مد فوين قال الامام الرازي والقول الاقول
أقوى لأن لفظ الرجز مفرد محلى بالالف واللام فينصرف الى المعهود السابق وههنا المعهود
السابق هو الأنواع الخمسة التي تقدم ذكرها وأما غيرها فشكول فيه فحمل القطع على المعلوم أولى
من حمله على المشكول فيه وعن أسامة بن زيد الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل
وعلى من كان قبلهم فاذا سمعته به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا
تخرجوا فرأى انه (قالوا يا موسى ادع انار ربك) ولم يقولوا ربنا كبروا هتوا (بما عهد عندك)
أى بعهد عندك وهو النبوة وسميت عهد الان الله تعالى عهدا أن يعصمكم النبي وهو عهد

أن يستقل بأعبائها أو بالذي عهد الله أن تدعوه فيه فيجيبك كما أجابك به في آياتك والباء اما
 أن تتعلق بقوله ادع لنار بك على وجهين أحدهما أسعفنا الى ما نطلب منك من الدعاء الحق
 ما عندك من عهد الله وكرامته بالعبوة وأدع الله لناسموسلا اليه بعهد عندك وأما ان يكون
 قسما بما يقوله تعالى (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) أي أقسمنا بعهد الله تعالى عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (ولترسلن معك بنى اسرائيل) أي لصدقنك بما جئت
 به ونظن بنى اسرائيل ليذهبوا حيث شاءوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي بدعاء موسى عليه
 السلام (الى أجل هم بالغوه) أي الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فعذبون فيه لا ينفعهم
 ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله وهو وقت اهلا كههم بالفرق في اليم وقوله
 تعالى (اذا هم يشكون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجوا التمسكت من غير توقف وتأمل
 فيه (فان قيل) ان الله تعالى علم من حال هؤلاء انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فالعاقبة في
 نوالها عليهم واطهار الكبر منها (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل
 عما يفعل قال تعالى (فانتقمنا منهم) أي كافأناهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في
 اللغة سلب النعمة بالعذاب لانه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرأت فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن
 كفرهم وبلغوا الاجل الذي أجل لهم اتقم منهم بأن أهلكهم كما قال تعالى (فأغرقناهم
 في اليم) أي في البحر الذي لا يدرك قره وقبل هو لجة البحر وعظم مائه واشتقاقه من التيم لان
 المنفيعين به يقصدونه قال الازهرى ويقع اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك
 قوله تعالى فاذنغبه في اليم والمراد بيل مصر وهو عذب واغرقهم (بأثم) أي بسبب أنهم
 (كذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وصدق رسولنا (وكلوا عنها) أي الآيات (عافلين) أي
 لا يدبرونها وقيل الضمير في عنها يرجع للنقمة التي دل عليهم اقوله تعالى انتقمنا أي وكأنواع
 النقمة قبل حلولها عافلين (فان قيل) الغفلة ليست من فعل الانسان ولا تحصل باختياره فكيف
 جاء الوعيد على الغفلة (أجيب) بأن المراد بالغفلة هنا الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات
 اليها فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالعافلين عنها (فان قيل) ليس قد ضموا الى التكذيب
 والغفلة معاصي كثيرة فكيف يكون الانتقام بهذين دون غيرها (أجيب) بأنه ليس في بيان انه
 تعالى اتقم منهم بهذين دلالة على نفي ما عداهما حال الرأى والآية تدل على أن الواجب
 في الآيات النظر فيها فلذلك ذمهم بأنهم غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم
 ولما بين تعالى اهلاك القوم بالفرق على وجهه العقوبة بين تعالى ما فعله بالقومين من العظيمة
 وهو انه تعالى أودعهم أرضهم وديارهم فقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)
 أي بالاستعباد وبيع الابناء وأخذ الجزية والاعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشافى الارض
 ومغارها) أي أرض الشام وهي من المغارات الى بحر صرف الموضوع الذي ترجوا منه من البحر
 وغرق فيه مفرعون وآله كما نقله البقاعي في المائدة عن القولة وقيل المراد بجله الارض لانه
 خرج من جلته بنى اسرائيل داود وسليمان عليهما السلام وقد سلكا الارض ويدل للاول قوله

تعالى (التي باركنا فيها) أي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق بالأبرار الشأم (وتمت قلت
ربك الحسن على بني اسرائيل) أي مضت عليهم واستقرت من قولهم تم عليه الامر اذا قضى وهي
قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الخ والحسن تأنيب الاحسن صفة
للكلمة ومعنى تمت عليهم انجاز الوعد الذي تعدوا به لاهل الارض وانما
كان الانجاز تاما للكلام لان الوعد بالشئ يفي كالشئ المعلق فاذا حصل الموعد به فقد تم ذلك
الوعد وكل * (فائدة) * رمت كلمة بالتاء المجرودة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو
والكسائي ووقف الباقون بالتاء وانما حصل لهم ما ذكر (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وحسبك
به ما تعالى الصبر وداعلى أن من قابل البلا بالجزع وكلمه الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر
واتظار النصر من الله تعالى له الفرج (ودمنا) أي اهلكنا قال اللب الدمار اهلاك التام
(ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون)
أي من الجنان وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هلمان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء
والباقون بالجر وهذا آخر ما قص الله تعالى من بنافرعون والقبض وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم
ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص بنبي اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون
واستعبادهم ومعانيهم الآيات العظام بقوله تعالى (وجاورنا بني اسرائيل البحر) أي قطعناه
بهم روى أن جوارهم كان يوم عاشوراء وأن موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى على
انجائهم واهلاك عدوهم ومع الذم التي أنعم الله تعالى بها عليهم لم يراعوا حق رعايتها كما حكى الله
تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (فأثروا على قوم) أي مزوا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) أي
يقيمون على عبادتها قال ابن جرير كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قبل كانوا قوما
من ظلم وكانوا زولا بالرقعة وقبل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة
والكسائي بكسر المكاف والباقون بالضم (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لانه كان مع موسى
السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل وهو قولهم
(ياموسى) سموه كما ترى باسمه جفاء وغلظة (اجعل لنا الهة) أي صنما نعتكف عليه وهذا
يدل على غاية جهلهم وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات
الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهى الآيات التي نالت على قوم فرعون حتى
أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وهو عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى فغفلهم جهلهم
الى أن قالوا النبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الهة (كألهم الهة) وفي ذلك تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة تذكر لحال الانسان وانه ظالم جهول
كذود الامن عصمه الله وقبيل من عبادى الشكور (قال) موسى رداعليهم (أنكم قوم
تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده بعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات العظمى
والمعجزة الكبرى لانه جهل أعظم مما رأى منهم وأشنع (ان هؤلاء) أي النجوم (متبرأ هالك
مدمر ما هم فيه) أي ان الله تعالى يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطهم أصنامهم ويحاهلها

رضا (وباطل) أى مضجع (ما كانوا يعملون) من عبادتهم وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى لان الاشتغال بعبادة غير الله يزيل معرفة الله تعالى من القلب والمقصود من العبادة رسوخ معرفة الله تعالى في القلب فكان هذا ضد الغرض ونقيضا للمطلوب (قال) موسى عليه السلام محببهم على سبيل الاتكاري عليهم والتعجب (أغير الله أبعيكم الهام) وأصله أبعي لكم أى أطلب لكم معبودا (وهو) أى والحال أنه هو وحده (فضلكم على العالمين) اذا لا اله ليس شيأ يطلب ويلتقى ويتخذ الاله هو الذى يكون قادرا على الانعام بالايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم فهذا الموجود هو الاله الذى يجب على الخلق عبادته فكيف يجوز العدول عن عبادته الى عبادة غيره وفي تفصيلهم على العالمين قولان الاول أنه تعالى فضلهم على عالمي زمانهم الا ما يخصه العقل من الانبياء والملائكة والثاني أنه تعالى خصهم تلك الآيات القاهرة ولم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر اخصال مثله رجل يعلم علما واحدا وأخبر يعلم علوما كثيرة روى ذلك اعلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك العلم في الحقيقة (واذا أنجيكم من آل فرعون) أى واذا ذكرنا صنعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عسقلان في التوفيق والتون والباقيون بآياتهم وقوله تعالى (يسومونكم) أى يكافونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أى أشد استئناف لبيان ما أنجاهم أحوال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهم ما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون) أى يستبقون (نساءكم) بدل من يسومونكم سوء العذاب (وفي ذلكم) أى الانجاء أو العذاب (بلاء) أى نعمة أو محنة (من ربكم عظيم) أى أفلا تتعظون وتقتنون عقالكم (روا عبدنا موسى ثلاثين ليلة) زكاهم عند انتهائهم بأن يصوم أيامها روى أن موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامر بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة فصامه فلما تمت أنكر خلافه فقتل فقتل فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمره الله تعالى بعشرة أخرى ليكاهم الله بخلافه كما قال تعالى (وأعمننا هابن عشر) أى من ذى الحجة (فتم ميعات ربه) أى وقت وعده بشكيبه اياه (أربعين ليلة) وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ولقد أجل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هنا وقرأ أبو عمرو وعبدنا غيره ألف قبل العين والباقيون بألف (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فتم ميعات ربه أربعين ليلة مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشر تكون أربعين (أجيب) بأنه تعالى انما قال أربعين ليلة ازالة لتوهم أن ذلك العشر من الثلاثين لانه يحتمل أعمننا بعشر من الثلاثين كما أنه كان عشرين ثم أتمه بعشر فصارت ثلاثين فأزال هذا الابهام * (تبيينه) * الفرق بين الميعات والوقت أن الميعات ما قدر فيه عمل من الأعمال والوقت للشئ قدره مدة تدركه لا وقوله تعالى أربعين نصب على الحال أى تم بالقاهرة هذا العدد وليلة نصب على التمييز (وقال موسى لآخيه) وقوله (هرون) عطف بيان لآخيه أى قال له عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلقني) أى كن

خيلفتي (في قومي وأصلح) أي ما يجب أن يصلح من أمورهم أو حسن مصلحهم (ولا تتبع سبيل
المفسدين) أي ومن دعاك منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (فإن قيل) إن هرون كان شريك
موسى عليه السلام في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه فإن شريك الإنسان أعلى حالاً من
خليفته وورث الإنسان من منصبه الأعلى إلى الأدنى يكون اهانة له (أجيب) بأن الأمر وإن كان
كما ذكر الآن موسى عليه السلام كان هو الأصل في تلك النبوة (فإن قيل) لما كان هرون نبياً
والنبي لا يفعل إلا الإصلاح فكيف وصي إليه بالإصلاح (أجيب) بأن المقصود من هذا الأمر
التأكيد كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي الوقت الذي وعدناه
للكلام فيه (وكله ربه) دلالة الآية الكريمة على أنه تعالى كلم موسى عليه السلام والناس
مخضعون في كلام الله تعالى قال الزمخشري في كشفه وكله ربه من غير واسطة كما يكلم الملك
وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح اه وهذا
مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لأن ذلك الجرم كالشجرة لا يقول أنا الله لا اله إلا أنا
فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب بعض الحنابلة والحشوية إلى أن
كلام الله تعالى حروف وأصوات منقطعة وأنه قديم قال الامام الرازي وهذا القول أخسر من
أن يلتفت إليه العاقل والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى صفة مغفارة
لهذه الحروف والأصوات وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية قالوا كما أنه لا يعدر رؤية
ذاته مع أن ذاته ليست جسمًا ولا عرضاً كذلك لا يعدر سماع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً
ولا صوتاً وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن
سماع كلامه تعالى القديم ليس من جنس كلام المحدثين وهل كان سبحانه وتعالى كلم موسى
وحده أو مع أقوام آخرين ظاهر الآية يدل للأول لأن قوله تعالى وكله ربه يدل على تخصيص
موسى عليه السلام بهذا التشریف والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم عن غيره وقال
القاضي بل السبعون المختارون سمعوا أيضاً كلام الله تعالى قال لأن الغرض بإحضارهم أن
يخبروا قوم موسى عليه السلام بما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم إلا عند سماع الكل
وأيضاً فإن تكليم الله تعالى موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام
فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره • ولما سمع عليه السلام كلام ربه اشتاق إلى رؤيته سبحانه
وتعالى (قال رب أرني أنظر إليك) قال في الكشف ثانياً مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر إليك (فإن قيل) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك (أجيب) بأن معنى
أرني نفسك أبعثني ممتكناً من رؤيتك بأن تجلي لي فأنظر إليك وأراك وفي هذا دليل على أن
رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستقبل من الأنبياء محال خصوصاً ما يقتضي الجهل بالله
تعالى ولذلك رده بأن (قال) له (لن تراني) دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلى تنبيه على أنه
قاصر عن رؤيته لتوقفه على بعدى الرائي لم يوجد فيه بعد وجه السؤال لتبكيته قومه الذين
قالوا أرنا الله جهمرة كما قاله الزمخشري أشد خطاً أذلو كانت الرؤية بمنعته لوجب أن يجهاهم

ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال بالحواب وهو قوله تعالى لن
 تراني على استحالتها أستدخنا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أنه لا يراه أبدا
 وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالة فان أهل البدع والخوارج والمعتزلة
 وبعض المرجئة قالوا لن تكون لتأيد النفي وهو خطأ لانهم لو كانت للتأيد لزم التناقض بذكر
 اليوم في قوله تعالى فلن أكلم اليوم انسياء لزم التكرار بذكر أي في قوله تعالى ولن يمتنوه أبدا
 ولن يجتمع مع ما هو لانهاء الغاية نحو قوله تعالى فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أي وأما تأيد
 النفي في قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا فلا امر خارجي لامن مقتضيات لن ولا تقتضي تأكيد النفي
 أيضا خلافا لما للخمري في كشافه بل قولك لن أقوم محتمل لان ترديده انك لا تقوم أبدا وانك
 لا تقوم في بعض الأزمنة المستقبلية وهو موافق لقولك لا أقوم في عدم افادة التأكيد وقوله
 تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) استدوا الذي يريد أن يبين به أنه
 لا يطبق الرؤية وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على جوازها لان استقرار الجبل عند
 البصلي ممكن بان يجعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق على الممكن ممكن وتراني في الحرفين
 الياء ثابتة وقفا ووصلا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون والباقون بالضم قال وهب
 ابن منبه ومحمد بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والرعد
 والبرق حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى
 ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى عليه السلام فترت به ملائكة السماء الدنيا كثيران
 البقر تنبع أفواهمهم بالتسبيح والتقدیس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم مرت به
 ملائكة السماء الثانية كأمثال الاسود لهم جلب بالتسبيح والتقدیس ففرع عمارأي وممع
 واتخذت كل شعرة في جسده ورأسه ثم قال لقد نمت على مسئلتی فهل ينجي من مكافى الذي
 أنافه ثم قال له رئيس الملائكة يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به
 ملائكة السماء الثالثة كأمثال النور لهم قصف ورجف وجلب شديد وأفواهم تنبع
 بالتسبيح والتقدیس كلج الجيوش العظيمة ألوانهم كلهب النار ففرع موسى عليه السلام
 واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك
 عليه ثم مرت به ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار
 وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقدیس لا يقر بهم شيء من الذين مروا
 به قبلهم فاصطكت ركبته وأرعب قلبه واشتد بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران
 اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به ملائكة السماء الخامسة لهم سبعة ألوان فلم
 يستطع موسى أن يتبعهم بصروهم لم يمشي ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه
 وكبر بكاؤه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم مرت به
 ملائكة السماء السادسة وفي يد كل واحد منهم مثل النحلة الطويلة نوراً اشتد ضوءاً من
 الشمس ولبايهم كلهب النار اذا سجدوا وقعدوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات

كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبا يعقوب في رأس كل ملك منهم أربعة
أوجه فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يكي ويقول يا رب اذكرني ولاتنس عبيدك
لأدري أنفعلت مما أنافيه أم لا إن خرجت احترقت وإن مكنت احترقت فقال له رأس الملائكة
قد أوشك يا ابن عمران أن يشد خوفك ويخلع قلبك فاصبر لنذي سألت ثم أمر الله تعالى أن
يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع نور الجبل من عظمة الله تعالى
ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبا يعقوب بشدة
أصواتهم فارح الجبل واندك ذلك قوله تعالى (فلما تجلجلى ربه) أى أظهر من نوره قدر نصف أهله
الخنصر كما في حديث صحيحه الحاكم (للجبل) أى جبل زبير فيخ الزاى والاضافة فيه بيانية لقول
الجوهري الزبير اسم للجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (جعلته ذكاً) أى
مدكروا مفتتنا وحكى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب
نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً مستويا بالارض والملك والدق اخوان وقال ابن عباس
جعل له ترابا وقال سفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال الكلبي
كسر جبال الصغار قال البغوي ووقع في بعض التفسير صارا لعظمته سنة أجبل وقعت ثلاثة
بالمدينة أحدها ورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وشير وحرا وقرأ حمزة والكسائي
بأنف بعد الكاف وهمزة مفتوحة من غير تنوين وصلوا ووقفا أى مستويا ومنه ناقة ذكاه للتي
لا سنام لها والباقون بالتنوين بعد الكاف والوقف على ألف التنوين (وخر) أى وقع (موسى
صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى غشية كال موت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو
مغشى عليه ففعلوا بذكرونه بأرجلهم ويقولون له يا ابن النساء الحبيص أطعمت في رؤيتك
العزة (فلما أفاق) من غشيته (قال) تعظيما لما رأى (سبحانك) أى قزيبها لك من النقائص كلها
(تبت اليك) أى من الجرامة والاقدام على السؤال بغير إذن وقيل لما كانت الرؤية مختصة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنعها قال سبحانه تبت اليك من سؤالي ما ليس لي وقيل لما سأل
الرؤية ونعها قال تبت اليك من هذا السؤال وحسنات الأبرار سياست المقربين (وأنا أقول
المؤمنين) أى في زمانى وقيل أنا أقول من آمن أنك لا ترى في الدنيا أى لكل الأنبياء والأقاروبة
ثابتة لدينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء على الصحيح وللزخنى ههنا كشفه على
مذهبه القاسد في عدم الرؤية مطلقا وأولات فلحذر (قال باموسى انى اصطفتك) أى
اخترتك (على الناس) أى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نياهم سلا كان مامورا
باتباعه ولم يكن كليا ولا صاحب شرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح ياء انى والباقون بالسكون
وقوله تعالى (برسالاتى) أى بأسفار التوراة قرأ نافع وابن كثير بغير ألف بعد اللام على
التوحيد والباقون بالالف بعد اللام على الجمع (وبكلامى) أى وبكلامي اياك (لقد ما أتيتك) أى
ما أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) لأنعى لأن موسى عليه السلام لما منع الرؤية عقد
الله تعالى عليه وجوه نعمه العظيمة التى له عليه وأمره أن يشغل بشكرها كأنه قال له ان كنت

منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والاشتغال بشكرها انما يكون
بالقيام بلوازمها واعمالا والمقصود تسليط موسى عليه السلام عن منع الرؤية قال الامام
الرازي وهذا أيضا أحد ما يدل على أن الرؤية جائزة على الله تعالى اذ لو كانت ممنوعة في نفسها
لما كان الى ذكر هذا القدر حاجة وروى ان موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه
لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت
له زوجته أنا لم أر من منذ كلكت ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت
يدها على وجهها وخزت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذال ان لم
تتزوجي بعدى لان المرأة لا تخرأ زوجها (وكتبت له) أي اوصي (في الاواح) أي الواح التوراة
قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول الاواح اثنا عشرة ذراعا وجاه في الحديث
خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده والمراد بيده قدرته وقيل
كانت من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل من حجر صفاة لئلا ينال الله تعالى لموسى
فقطها بيده وأما كيفية الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر
واسقط من نهر النور وقال وهب سمع موسى صرا القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول
يوم من ذى القعدة وقيل ان موسى ختر صغتنا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر وكانت
الواحد عشرة على طول موسى وقيل كانت تسعة وقيل سبعة وقال مقاتل وكتبت له في الواح
كنقش الخاتم وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعبريقرأ بالزمنها في سنة
ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام أي لم يحفظها وبقراءها عن
ظهر قلب الاهولاء الاربعة قال الامام الرازي وليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك
الواحد وعلى كيفية تلك الكتابة فان ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوى وجب القول به
والاوجب السكوت عنه وأما قوله تعالى (من كل شيء) فلا شبهة أنه ليس على العموم بل عما
يحتاج اليه موسى عليه السلام وقومه من أمر الدين وقوله تعالى (موعظة وتفصيلا) أي تبينا
(لكل شيء) يدل من الجار والمجرور قبله أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام وقوله
تعالى (تخذهما) على اضممار القول عطف على كتبنا أو بدلا من قوله نخذ ما أتيتك والها
للواحد أو لكل شيء فانه يعنى الاشياء أو الرسالة وعن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام
نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هي خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا
الاعور والجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد بن موسى قال يارب اني أجد أمة هم الخادمون
رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرأ قالوا ان فعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
يارب اني أجد أمة يأكلون كفاتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم
المستجابون والمستجاب لهم الشافعون والمشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال

يارب انى أجدهم اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبطوا ديا حمد الله الصعيد لهم
 طهور والارض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم
 بالماء حيث لا يجدون الماء غز محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
 يارب انى أجدهم اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت له
 عشر أمثالها الى سبعة مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب انى أجدهم أمة
 مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب اصطفتيهم ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات فلا أجدهم احد الامر حوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب انى أجدهم أمة
 مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة
 أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم الا من برئ من الحسنة مثل ما
 برئ الخمر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه
 الله محمد داوأمته قال يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه اى اصطفتك الخ فرضى
 موسى كل الرضا ومعنى (بقوة) اى بجدة وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) اى بأحسن ما
 فيها (فان قيل) ظاهر هذا يقتضى أن فيها ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وذلك
 متناقض (وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول أن تلك التكليف منها ما هو حسن ومنها ما هو
 أحسن كالاعتقاد والعفو والاعتصام والصبر ففرهم أن يحملوا أنفسهم بما هو أدخل في الحسن
 وأكبر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقوله تعالى الذين
 يستمعون القول فينبهون أحسنه هذا ما أجاب به في الكشف وتبعه البيضاوى والامام الرازى
 لكن قال التفازرانى هذا ينافى ما تقررن أن المكتوب على بنى اسرائيل هو القصص قطعاً
 والجواب بأنه مثال للحسن والاحسن لا لكونه في التوراة بعيد جداً (فان قيل) يلزم عليه أيضاً
 منع الاخذ بالحسن وذلك يقتدح في كونه حسناً (أجيب) عن هذا بأن الاخذ بالحسن الثانى على
 سبيل التدب فلا يقتدح في منع الاخذ بالحسن الثانى ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
 والمباح وأحسن هؤلاء الثلاثة الواجب الثالث أن المراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقاً
 لا بالاضافة وهو المأمورية كقولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو في حره ابلغ من الشتاء في برده
 فكذا هنا المأمورية أبلغ في الحسن من المنهى عنه في القبح (سأريكم دار الفاسقين)
 أى دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أقفرت منهم ودمروا الفسقة منهم لتعتبروا فلا تفسقوا
 مثل فسقهم فينكل بكم مثل ما نكل بهم وقيل منازل هاد وعود والقرون الذين أهل بهم
 الله لفسقهم في تمزك عليها في أسفاركم وقيل المراد دارهم في الآخرة وهى جهنم (سأصرف
 عن آياتي) المنصوبات في الآفاق والافئس كخلق السموات والارض وما بينهما (الذين
 يتكبرون في الارض) أى أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا
 يعتبرون بها وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقوله تعالى (بغير الحق) صلة يتكبرون
 بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فان اظهرا الكبر على الغير قد يكون بالحق فان المعنى أن يتكبر

على المبطل وفي الكلام المشهور والتكبر على المتكبر صدقة (وان يروا كل آية) أى منزلة أو معجزة
(لا يؤمنوا بها) أى اعتادهم وتكبرهم (وان يروا سبيلا) أى طريق (الرشد) أى الهدى الذى جاء
من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) أى طريقا يسلكونه بقصد منهم ونظر ونعمد بل ان يسلكوه فغن
غير قصد وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين (وان
يروا سبيلا الفنى) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد لسلكه (ذلك)
أى هذا الصرف العظيم الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرسالة (بانهم)
أى بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) أى الدالة على وحدانيتنا (وكانوا عنها غافلين) أى كان
دأبهم ودينهم معاملتهم ايانا بالاعراض عنها حتى كانوا مغفلين عنها فلا يفكرون فيها
ولا يعتبرون بها غفلة وانهم ما كافوا بآياتهم عنها من شهوراتهم وعن الفضيل بن عياض ذكرنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدينار ع عنها هبة الاسلام واذتر كوا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت عليهم بركة الوحى (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة)
أى وكذبوا بآياتهم الدار الاخرة التى هى موعد الثواب فهو من اضافة المصدر الى المفعول
به ويجوز أن يكون من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الدار الاخرة
(حبطت) أى بطلت (أعمالهم) أى ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة ورحم وصدقة فلا ثواب لهم
لعدم شرطه (هل) أى ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) أى من التكذيب والمعاصى
(واتخذ قوم موسى من بعده) أى بعد ذهابه الى المناجاة (من حلهم) أى الذى استعاروه من
القط بسبب عرش فبقى عندهم (فان قيل) كيف قال من حلهم وكان معهم معارا (أجيب) بأنه
لما أهلك الله تعالى قوم فرعون بقيت تلك الاموال فى أيديهم وصارت ملكا لهم كسائر املاكهم
بدليل قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوما آخرين وقرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء والباقون بضمها (بهم) أى
صاغه لهم منه السامرى وقوله تعالى (جسدا) بدل منه أى صار جسدا ذا لحم ودم (لخوار)
أى صوت البقر روى أن السامرى لما صاغ الجمل ألقى فيه قبضة من تراب أثر فرس جبريل
عليه السلام يوم قطع الجوف صار حيا له خوار وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح
جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به أولان المراد اتخاذهم اياه
الها وقيل انه ما خارا لمرته واحدة وقيل انه كان يحور كثيرا فاذا خار تصدوا له واذا سكنت
رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك قال السدى كان يحور ويمشى
وقوله تعالى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تفرع على فرض ضلالهم وافرطهم بالنظر
لان هذا الجمل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك
كان جامدا أو حيا نانا قصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح أن يعبد * ثم وصفهم الله تعالى
بالظلم بقوله (اتخذوه) أى الجمل الها (وكانوا ظالمين) أى واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن
اتخاذ الجمل بدعا منهم ولا أول منا كبرهم واختلقوا هل كل قوم موسى عبدا والجمل أو بهضمهم

قال الحسن كلهم عبدوا الجبل غير هرون واحج عليه وجهين الاول عموم هذه الآية والثاني قول موسى عليه السلام في هذه القصة رب اغفر لي ولاخي قال خص نفسه وأخاه بالدعاء وذلك يدل على أن من كان مغفرا لهما ما كان أهلا للدعاء ولو بقوا على الإيمان ما كان الأمر كذلك وقال غيره بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على إيمانه وإن ذلك الكفر انما وقع في قوم مخصوصين والدليل عليه قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ولما سقط في أيديهم) أي ولما قدموا على عبادة الجبل تقول العرب لكل نادى على أمر قد سقط في يده وذلك لأن من شأن من اشتد منه على أمر أن بعض يده ثم يضرب فخذه فتصير يده ساقة لئلا يسقط عبادة عن النزول من أعلى إلى أسفل (ورأى) أي علموا (أنهم قد ضلوا) عن الطريق الواضح باتخاذ الجبل (قالوا) توبه ورجوعا إلى الله تعالى كما قال أبوهم آدم عليه السلام (لئن لم يرجعنا ربنا) الذي لم يقطع قط إحسانه عنا فكيف غضبه ويدم إحسانه (ويغفر لنا) أي يمحو ذنوبنا عنا وأثر الثلاثين من المستقبل (لنكونن من الخاسرين) أي فينتقم منا ذنوبنا وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه من الذنوب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى في إقالة عثرته وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام إليهم كما قال تعالى (ولما رجع موسى) أي من مناجاته (إلى قومه غضبان) أي من جهتهم (أسفا) أي لأن الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الأسف الحزن والاسف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب وقرأ جزء والكسائي بالخطاب في رجوعنا ويغفر لنا ونصب ربنا والباقيون بالغيبة ورفع الباء (قال) موسى لهم (بسم الله خلتقوني من بعدى) أي بئس الفعل فعلمكم بعد فراقي أياكم وهذا الخطاب يمحتمل أن يكون لعبدة الجبل من السامري وأتباعه أي بسم الله خلتقوني حيث عبدتم الجبل وتركتم عبادة الله تعالى وأن يكون لهرون والمؤمنين أي بسم الله خلتقوني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم (فائدة) انفقوا على وصل بسم الله في الرسم (أجهلتم أمر ربكم) أي أتركتموه غير تامة كأنه ضمن بجبل مع في سبق فعدى تعديته أو أجهلتم أمر ربكم الذي وعده من الأربعين وقد رتم موته وغيرتم بعدى كما غيرت الأسم بعد أن بنياهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم الجبل وقال هذا الهكم والله موسى أن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما لبليالها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (والألقى الألواح) أي ألواح التوراة أى طرحها من شدة الغضب وفطر الضجر أى عند استماعه حديث الجبل حجة للدين وكان في نفسه حديثا شديدا الغضب روى أن التوراة كانت سبعة أسابيع في سبعة ألواح فلما ألغها انكسرت فرفع ستة أسبعا أي ستة أسابيع ما فيها لاسعة أسبعا نفسها القول بعد وأخذ الألواح وكان فيها تفصيل كل شيء سبق فرفع ما كان من أخبار القريب وبقى ما فيه المواعظ والأحكام والحلال

والحرام قال الرازي ولقائل أن يقول ليس في القرآن أنه ألقي الألواح فأتاها بحيث
 تكسرت فهذا ليس في القرآن وأنه جراءة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء (وأخذ
 برأس أخيه) أي بشعر رأسه بينه وشعر لحية بشماله (بحره) أي أخاه (اليه) غضبا وكان هرون
 عليه السلام أكبر من موسى ثلاث سنوات وأحب إلى بني إسرائيل من موسى
 لأنه كان البز منه جانباً (قال) هرون عند ذلك (ابن أم) قراءة ابن عامر وشعبة والكسائي
 بكسر الميم وأصله يا ابن أي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كاللنادي المضاف إلى الياء
 والباقون بالنصب زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بخمسة عشر (فان قيل) هرون وموسى
 من أب وأم فلماذا ناداه بالأم فقط (أجيب) بأنه أعزها لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها
 ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقه البرقة عليه والطاعون في عصمة
 الانبياء يقولون أخذ برأس أخيه يجره على سبيل الإهانة والاستخفاف والمذنبون لعصمة الانبياء
 قالوا جر رأس أخيه ليساره ويستكشف منه كذبة تلك الواقعة (فان قيل) فلماذا قال يا ابن أم
 (إن القوم) الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أي اني قد بذلت وسعي في كفهم فاستذلوني
 وقهروني (وكادوا) أي قاربوا (يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) أي فلا تفعل بي ما يشمتون بي
 لأجله وأصل الشمتة الفرح بيلة من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان إذا سر بكموه
 نزل به أي لا تسر الأعداء بما تنال مني من مكروه فكيف فعل بأخيه ذلك (أجيب) بأن هرون
 إنما حال ذلك خوفاً من أن يتوه جهال بني إسرائيل أن موسى غضبان عليه كما هو غضبان على
 عبدة العجل أي فلا تفعل بي ما تشمت به أعدائي فهم أعداؤك فإن القوم يحملون هذا الفعل
 الذي تفعله بي على الإهانة لا على الاحكام (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي الذين عبدوا
 العجل مع رافقي منهم بالموأخذة أو بنسبة التقصير وما اعتذر له أخوه وذكر شماته الأعداء
 (قال رب اغفر لي) أي ما جعلني عليه مما صنعت بأخي (ولأخي) أي اغفر له ما فرط في كفهم عن
 عبادة العجل إن كان وقع منه تغريط وضعه إلى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشماته عنه
 (وأدخلنا في رحمتك) بزيادة الانعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على
 أنفسنا قال الله تعالى (إن الذين اتخذوا العجل) أي الها يعبدونه من دون الله تعالى فهذا هو
 المفعول الثاني من مفعولي اتخذوا (سينالهم غضب) أي عقوبة (من ربهم وذلة في الحياة الدنيا)
 وهي خروجهم من دارهم وللمفسرين في هذه الآية طريقتان الأولى أن المراد بالذين اتخذوا
 العجل الذين باشرُوا عبادة العجل (فان قيل) أولئك تاب الله عليهم بسبب أن قتلوا أنفسهم
 في معرض التوبة على ذلك الذنب وإذا تاب الله عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة (أجيب)
 بأن ذلك الغضب إنما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضباً عليهم والمراد
 بالذلة هو استسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلال والخطأ وقيل خروجهم
 من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب (فان قيل) السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف
 تكون الماضي (أجيب) بأن هذا إنما هو خبر عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين

أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله تعالى في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من
 ربهم وذلة فـكان هذا الكلام سابقا لوقته وهو القتل الذي أمرهم الله تعالى به بعد ذلك
 والطريق الثاني أن المراد بالذين اتخذوا العجل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
 فوصف اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ العجل وان كان ما فعل ذلك
 الآباء وهم لانهم رضوا بفسادهم ولان العرب تغير الابناء بقبايح أفعال الآباء كما يفعل ذلك في المناقب
 يقولون للآباء ما فعلتم كذا وكذا وانما فعله من مضى من آباءهم ثم حكم عليهم بأنهم سبنا لهم
 غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى في صفتهم ضربت عليهم الذلة
 والمسكنة (وكذلك) أي كما جزيناهاهم (بخزى المفترين) أي كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله
 في الآخرة والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه
 الآية لأن المبتدع مفتر في دين الله (والذين علوا السيات) أي علوا الاعمال السيئة ويدخل
 في ذلك كل ذنب حقي الكفر (ثم تابوا) أي رجعوا عنهم الى الله تعالى (من بعدها) أي من بعد
 أعمالهم السيئة (وآمنوا) أي وصدقوا بالله تعالى بأنه لا اله غيره وأنه يقبل توبة التائب ويغفر
 الذنوب وان عظمت (ان ربك) أي يا محمد أياها الانسان التائب (من بعدها) أي التوبة
 (لغفور) أي استور عليهم محامدا لما كان منهم (رحيم) بهم أي منيع عليهم بالجنة وفي الآية دليل على
 أن السيات بأسرها صغبرها وكبرها مشتركة في التوبة وأن الله تعالى يغفرها جميعا بفضل
 ورحمته فان عفوه وكرمه أعظم وأجل وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للذين تابوا
 وتقدير الآية أن من أتى بجميع السيات ثم تاب الى الله تعالى وأخلص التوبة فان الله
 يغفرها له ويقبل توبته (ولما سكنت) أي سكن (عن موسى الغضب) أي باهتذا رهرون
 وتوبتهم فعند ذلك سكن غضبه وهو الوقت الذي قال رب اغفر لي ولاني وفي هذا الكلام
 استعارة ان استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق واستعارة تصر يحية أو تخيلية
 في السكوت عن طغ غضب موسى وسكون هيجانه وغليانه وقال عكرمة ان المعنى سكنت
 موسى عن الغضب فقلب كما قالوا أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة
 (أخذ الألواح) أي وكاداعلاخيه منها بذلك على زوال غضبه عليه فكذلك أخذ الألواح التي
 ألقاها منها على زوال غضبه قال الامام الرازي وظاهر هذا يدل على ان شيئا منها لم يتكسر ولم
 يطل وان الذي قيل من أن ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس الامر كذلك اه ومررت
 الاشارة الى ما يدل على الجمع بين ما هنا وبين ما مر (وفي نسختها) أي ما نسخ فيها من كتب والنسخ
 عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخ كتاب من كتاب حرقا جوف فقد نسخ ذلك الكتاب فهو
 نقلا ما في الاصل الى الفرع لان الألواح نسخت من اللوح المحفوظ والنسخة فعل بمعنى مفعولة
 كالخطبة وقيل ان موسى عليه السلام لما أتى الألواح قد تكسرت صام أربعين يوما فردت
 عليه في لوحين وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينيه بعدما ألقاها بكون
 المعنى وفي نسختها أي المكتوب فيها (هدى) أي يان للحق (ورحمته) أي ارشاد الى الصلاح

والخبر وقال ابن عباس هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (الذين هم لربهم يرهبون) أى
يخافون (فان قيل) التقدير الذين يرهبون ربهم فما الفائدة في اللام في قوله لربهم (أجيب)
بأوجه الأول أن تأخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً فدخلت اللام للتقوية ونظيره قوله
تعالى ان كنتم للربوا تعبرون الثاني انها لام الاجل والمعنى للذين هم لاجل ربهم يرهبون لارياة
ولاسعة الثالث انه قد يراد حرف الجر في المفعول وان كان الفعل متعدياً كقولك قرأت السورة
وقرأت بالسورة (واختار موسى قومه) أى من قومه خذف الحارز وأوصل الفعل اليه فنصب
يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا وأنشد واقول الفرزدق

ومنا الذي اختبر الرجال سماعة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

قال أبو علي والاصل في هذا الباب ان في الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر
ثم ينسج فيه حذف حرف الجر فيتعدى الى المفعول الثاني من ذلك قولك اخترت من الرجال زيدا
ثم ينسج فيقال اخترت الرجال زيدا واستغفر الله من ذنبي واستغفر الله ذنبي قال الشاعر

استغفر الله ذنبا است محصيه * ويقال أمرت زيدا بالخير وأمرت زيدا الخير قال الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * قال الرازي وعندى فيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير
واختار موسى قومه لميقاتنا وأراد بقومه المهتبرين منهم اطلاقاً فالاسم الخير على ما هو المقصود منه
وقوله (سبعين رجلاً لميقاتنا) عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا حاجة الى ما ذكر من التكاليف

(فلما أخذتهم الرجفة) وروى ان الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلاً من بني اسرائيل فاختر

من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليخلف منكم رجلاً فنشأوا فقال ان قد أخرج من خرج

فقد كالب ويوشع وذهب معه الباقون روى أنه لم يصب الاستين شيئاً فإوحى الله تعالى اليه أن

يختار من الشبان عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخاً وقيل كانوا ابنا مائة العشرين ولم

ينهاؤوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصفاء أمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويظهروا

ويظهروا ثيابهم ثم خرج الى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل

فلما دام موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه

وقال للقوم ادنوا وكان موسى عليه السلام اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد

من بني آدم أن ينظر اليه ف ضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وقعوا واحداً

فسمعوه يكلم موسى بأمره وينهاؤه وافتل فلما فرغ من أمره ونهيه وانكشف عن موسى

الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان تؤمن لك حتى نرى اية جهره فأخذتهم الساعة وهي الرجفة

فأتوا جميعاً فقام موسى ناشد ربه ويدعوه (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أى من قبل

خروجهم الى الميقات (واياي) معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتمون اذا رجعت

اليهم وما هم معي وعنى بذلك انك قدرت على اهلاكم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكم

وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحت عليهم بالانقاذ منهما فان ترحت عليهم مرة أخرى لم يعد

من عبي احسانك وقال وهب لم تكن تلك الرجفة مونا ولا سكن القوم لما رأوا تلك الويسية

أخذتهم الرجفة حتى كادت أن تسين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رجعهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا ويكاً وناشد به فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم وذلك قوله تعالى قال أى موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل أى من قبل عبادة العجل وإياى يقتل الصباغى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى عبدة العجل وظن موسى أنهم عوقبوا بالتحاذير إسرائيل العجل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استهفاهم استعطاف أى لتهلكا وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعظم من أن يأخذ بحرية الجاني غيره وقيل بما فعل السفهاء من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك فاه بعضهم (أنهى) أى ماهى (الافتتنك) قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الافتتنك أى اختبارك وابتهلاكك وهذا أنا كيد لقوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأن معناه لتهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختباراً منك وابتهلاكاً لمن لم يمتثل لها فاقوما افتتنوا بأن أوجدت فى العجل خواراً فزاغوا به وأجمعهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية هديت قوماً ففهمتهم حتى نبذوا على دينك ذلك معنى قوله (فضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ولما أثبت ان الكل يهده تعالى استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الاصلح فقال (أنت) أى وحدك (ولينا) أى نعمة قد أن لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك وأنت لا تنفع لك فى شئ من الامرين ولا ضرر لك بالكل بالنسبة اليك على حد سواء ونحن على بصيرة من أن أفعالنا لا تعمل بالاعراض وعقولنا غيا بفعولنا واتمامنا متايسرنا ونحن فى حضرتك قد انقطع عنا السك وحططنا رحال افتقارنا اليك (فاغفر لنا) أى اغفر لنا (وارحمنا) أى اشغلنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) أى لان غيرك يتجاوز عن الذنب طلباً للثناء وللثواب أو دفعا للصفة الخسيسة وهى صفة الحقود ونحوه وأنت منزّه عن ذلك فغفر السيئة وبدلها حسنة (واكتب) أى أو جب وأثبت وأقسم (لنا) أى فى مدة احيائنا (لنا) فى هذه الدنيا أى الحاضرة والدنية (حسنة) أى حسن معيشة ونوفيق طاعة (وفى الآخرة) أى واكتب لنا فى الحياة الآخرة حسنة وهى الجنة ثم علل ذلك بقوله (أنا هدانا) أى بتنا (اليك) أى عمال بليق يجنبك وأصل الهدى الرجوع برفق والهدى جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

يارا كذب الذنب هدهد * واما بعد كانك هدهد

قال بعضهم وبه سميت الهمود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم بعد نسخها (قال) الله تعالى لموسى (عذابى أصيب به من أشاء) من خلقى أذنب وألم يذنب لا اعتراض على (ورحمى وسعت) عمت وشملت (كل شئ) من خلقى فى الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمتى وهذا معنى حديث أبى هريرة فى العيصين ان رجلى سبقت غضبى وفى رواية غلبت غضبى وأما فى الآخرة فقال تعالى (قساً كتبها للذين يتقون) الله ويؤتون الزكاة) وخصها بالذكر انفعها المتعدى ولانها كانت أشق عليهم قال قتادة لما نزل ورحمى وسعت

كل شيء قال ابليس أنا من ذلك الشيء فقال تعالى فما كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولا تكفرون بشيء منها فأبى ابليس منها واتخذها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقى ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهما الله تعالى بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وانما هما رسولاً بأضاقته الى الله عز وجل لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه لم رسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ونبأ لانه رفيع الدرجة عند الله ثم وصفه بالأمي وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ وهي صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب والعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون أي الخط والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك قال أهل التحقيق وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه الاول أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبدل الفاظه ولا تغيير مكانه والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها فلا بد وأن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير ثم انه عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان يكتب ولا يقرأ يسألوا كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك معجزة واليه الإشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الثاني انه لو كان يحسن الخط والقراءة لكان متهماً في أنه ربما طالع كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى به هذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتعلم من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطون الثالث تعلم الخط شيء سهل فان أقل الناس ذكاه وفضته يتعلمون الخط بأدنى سعي فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم ثم انه تعالى آتاه علوم الاولين والاخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل اليه أحد من الخلق ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارية مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجارية مجرى المعجزات وهذا الاتباع نازع يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه صلى الله عليه وسلم ونارة يخرج من القوة الى الفعل كن خلق زمان دعوته فمن علم الله تعالى منه انه لا يتبعه اذا أدركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيئه ريب ولا يتعلل في أمره به بل ذلك اتبعه (الذي يجدونه) أي علمه بني اسرائيل (مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل) باسمه ونعته وأصنامهم كقوا ذلك وبدلوه وغيره حسداً منهم له وخوفاً على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يحافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان وعن عطام بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهم فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزنا للايمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن به قو ويغفر وإن يقبضه الله تعالى حتى

يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينهم بأبصارهم لئلا يغفلوا انتهى
(شرح قريب أفاضله) القطب السبي الخلق والغليظ الحافي القاسي والسحاب بالسين والصاد الكبير
الصباح والاعوجاج ضد الاستقامة والملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شيء
يتقنه كانه في غلاف وقوله تعالى (يا مرهم بالمعروف) قال الزجاج يجوز ان يكون استئنافا
وجوز ان يكون المعنى يبيدونه مكتوبا عندهم انه يا مرهم بالمعروف قال الرازي ومجامع
المعروف في قوله عليه الصلاة والسلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلقه وذلك لان
الموجود اما واجب الوجود لذاته واما ممكن لذاته اما الواجب لذاته فهو الله تعالى ولا معروف
أشرف ممن تعظيمه واظهار العبودية واظهار الخضوع على باب عزته والاعتراف
بكونه موصوفا بصفات الكمال مبرا عن النقائص والآفات منزها عن الاضداد والانداد واما
الممكن لذاته فان لم يكن حيوانا فلا سبيل الى اتصال الخير اليه لان الانتفاع مشروط بالحياة
ومع ذلك فانه يجب النظر الى كماله بعين التعظيم من حيث انه سبحانه لوقفة لله ومن حيث ان كل
ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليل لظاهره وبرهان باهر اعلى توحيده وتنزيهه فانه يجب
النظر اليه بعين الاحترام ومن حيث ان الله سبحانه وتعالى في كل ذرة من ذرات المخلوقات
اسرار راجعية وحكا خفية فيجب النظر اليه بعين الاحترام وأما ان كان ذلك المخلوق من جنس
الحيوان فانه يجب الشفقة عليه بأقصى ما يقدر الانسان عليه ويدخل فيه بر الوالدين وصلة
الارحام وبث المعروف فثبت ان قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله كلمة جامعة لجميع جهات الامر بالمعروف (وينهاهم عن المنكر) وهو ضد الامور
المذكورة وقال عطاء يا مرهم بالمعروف بخلق الانداد وبمكارم الاخلاق وبصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر أي عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم العليات) أي ما حرم عليهم في
شرعهم كالشعوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير والربا والرثوة (ويضع عنهم
أصرهم) أي ثقلهم الذي كان يعمل عليهم وقرأ ابن عاصم يفتح الهمزة الممدودة والصاد وألف بعد
الصاد على الجمع والباقيون بكسر الهمزة وسكون الصاد ولا ألف بعده على التوحيد (والاغلال
التي كانت عليهم) أي ويضع الانتقال والشدائد التي كانت عليهم من الدين والشرعية وذلك مثل
قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقروض النجاسة من البدن والنوب بالمقراض
وبغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبت بالاغلال التي تجتمع اليد الى العنق كما
ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الانتقال
في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله وبطل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السميلة (فالذين آمنوا به) أي بمحمد صلى الله عليه
وسلم (وعزوه) أي وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والتصيرة وتعزير النبي صلى الله عليه
وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه)
أي القرآن سمى نورا لانه يستنير قلب المؤمن فيخرج من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء

الدين والعلم وقيل الهدى والبيان والرسالة وقيل الحق الذى يانه فى القلوب كبيان النور
 (فان قيل) كيف يمكن جعل النور هنا على القرآن والقرآن ما أنزل مع محمد صلى الله عليه
 وسلم وانما أنزل مع جبريل عليه السلام (أجيب) بان معناه انه أنزل مع نبوته لان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال (ولئك هم المفلحون) أى
 الفائزون بالمطلوب فى الدنيا والآخرة ولما تم ما نظمته تعالى فى أثناء هذه القصص من جواهر
 أوصاف هذا النبي الكريم حنا على الايمان وايمانا به على وجه يعلم منه انه رسول الله الى كل
 مكاف تقدم زمانه أو تأخر قال تعالى (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين بل والى الملائكة قاله السبكي
 والبقاعي وغيرهما وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وان خالف فى ذلك بعضهم وأما
 سائر الرسل فيبعثون الى أقوامهم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت خصالا يعطهن أحد
 قبلى أرسلت الى الأحمر والأسود وجعلت فى الأرض طيبة مسجدا وطهورا ونصرت على
 عدوى بأربع وعشرين سنة شهروا طعمت الغنية دون من قبلى وقبلى لى سل نعمة واخبات
 شفاعتى لامتى (فان قيل) كان آدم عليه السلام مبعوثا الى جميع أولاده ونوح عليه السلام لما
 خرج من السفينة كان مبعوثا الى الذين كانوا معه مع ان جميع الناس فى ذلك الزمان ما كانوا
 الا ذلك القوم (أجيب) بأن ذلك لم يكن اعموم رسالتهم ما بل العصر المذكور فليس ذلك من
 باب عموم الرسالة وقوله (جميعا) حال من اليكم أى ان الكل يشترط عليهم الايمان بى والاتباع لى
 وقد طار الخبر بنشر بعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل فى كل نفق ولم يبق الله اهل
 مدبر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بحر ولا برقى مشارق الأرض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا
 به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائل عنهم يوم القيامة وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله
 عنه حين رفع اليه الذراع فنش منها فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وعن جابر رضى الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قادم اذا وفدوا
 وأنا خطيبهم اذا انتصوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا يسوا والحمد لله يومئذ
 يبدى وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر عن أبى بن كعب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وعن ابن
 عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وناحيب الله ولا فخر وناحله لواء
 الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا
 أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبدى لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ
 آدم فمن سواه الا تحت لوائى والنفر ادعا العظمة والكبر والشرف أى لا أقول تعجبا ولكن شكرا
 ويحمد ثابا النعمة وما اجتمع بهم فى مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعدده اجتمع بهم ليلة الاسراء
 فى بيت المقدس فعلى بهم اماما ثم اجتمع بهم فى السماء فصلى بجميع أهل السما ما ماوا وأملونهم

الجميع الاكبر والكرب الاعظم فيحصل الكل عليه وما احال بعض الاكابر على بعض الاعلامهم بأن الختام يكون به ليكون أظهر للاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لان الحمل على الحمل على الشيء محيل على ذلك والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى كافة الخلق فظهر سر هذه الآية الذين يتبعون الرسول قال البقاعي ولما دل بالاضافة الى اسم الذات ما يدل على جميع الصفات على عموم دعونه وشمول رسالته حتى للجن والملائكة أي بذلك بقوله (الذي له ملك السموات والارض) فيكون محله جزأ على الوصف وان حمل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا لانه متعلق بالمناف اليه فهو كلمة تقدم عليه قال الزمخشري والاحسن أن يكون محله نصبا باضمار اعني وهذا الذي يسمى النص على المدح قال البيضاوي أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) أي فالكل منقادون لأمره خاضعون له ثم علل ذلك بقوله (بحجتي ويميت) أي له اتان الصفات مختص بهما ومن كان كذلك كان منقادا عما ذكر قال البقاعي واذا راجعت ما يأتي ان شاء الله تعالى في أول الفرقان مع ماضى في أوائل الانعام لم يبق عندك شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة اه وقد مرت الإشارة الى ذلك ولما أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله تعالى جميع خلقه بالايان به وبرسوله بقوله (فا منوا بالله ورسوله) وذلك أن الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم بالايان برسوله ثم وصفه تعالى بقوله (النبي الامي) وتقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووجبه وقال قتادة المراد بكلماته القرآن وقال مجاهد عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان ولم يكن من نطفة تنحى ولهذا يسمى كلمة الله وقيل هو الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن (واتبعوه) أي واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه (لعلكم تهتدون) أي لكن تهتدوا وترشدوا جعل تعالى رجاء الاهتداء أثر الايمان والاتباع تنبيه على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو يعد في خطيئة الضلالة (ومن قوم موسى) أي من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهتدون بالحق) أي يهتدون الناس محقين أو بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعدلون) أي يتحكمون والمراد بتلك الأمة النابتون على الايمان القائلون بالحق من أهل زمان موسى عليه السلام اتبع ذكر المرتابين الكافرين من بني اسرائيل بدكر اضدادهم كما هو عادة القرآن تنبيه على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل مسقر وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (واعترض) بأنهم كانوا قليلين في العدد وللفظ الأمة يقتضى الكثرة (وأجيب) بأنهم لما كانوا مختلطين في الدين جاز اطلاق لفظ الأمة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففزع الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم

هناك خفاه مسلمون يستقبلون قبلنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب
 به ليله الاسراء فحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون
 قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فاتموا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا
 ان من أدرك منكم أحدا فليقر آمني عليه السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليه وسلم
 السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بحكمة ولم تكن فريضة نزلت غير الصلاة والزكاة
 وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستبشرون فأمرهم أن يحجموا ويتركوا السبت ولا يتظالموا ولا
 يتجاسدوا ولا يصل اليهم من أحد ولا ينامهم أحد قال بعض المحققين هذا القول ضعيف وان
 كان البغوي صحيحه لوجوه الاقول كونه أقرأهم عشر سور وقد نزل عليه أكثر من ذلك وكان فرض
 الزكاة بالمدينة فكيف بأمرهم بها قبل فرضها الثاني كون جبريل ذهب اليهم به ليلة الاسراء
 لم يرد ذلك نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث الثالث ان أحد منهم لا يصل اليه ولا يصل
 اليهم من أحد فن الذي أوصل خبرهم اليه ثبت بذلك بطلان هذا القول (فان قيل) ان يأجوج
 ومأجوج قد وصل خبرهم اليه ولم يصل خبرنا اليهم (أجيب) بالمتعفن أين يعرف أنه لم يصل
 خبرنا اليهم ثم قال فاختار في تفسير هذه الآية انها ما أن تكون قد نزلت في قوم كانوا متمسكين
 بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن أسلم
 من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وقطعناهم)
 أي فرقنا بين امرايل وقوله تعالى (انتي عشرة) حال وتأنيده جملا على الامة (اسباطا) بدل
 منه ولذلك جمع قبائل والاسباط اولاد الولد وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
 يعقوب عليه السلام (أعما) بدل بعد بدل وأنتع لاسباطا أي وقطعناهم أعما لان كل سبط كان
 أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤم الاخرى لا تكاد تألف
 (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) أي حين استسقاه في التيه (ان اضرب بعصا الحجر
 فانبعثت) أي انفجرت والمعنى واحد وهو الانفجاح بسعة وكثرة يقال بعثت الماء فانبعث
 أي فجرته فانفجر قاله الجوهري وعلى هذا التقرير فلا تباين بين الانبجاس المذكور هنا وبين
 الانفجار المذكور في سورة البقرة وقال آخرون الانبجاس خروج الماء بقلته والانفجار
 خروجه بكثرة وطريق الجمع أن الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وهذا الفرق مروى
 عن جرير بن العلاء (فان قيل) هلا قيل فضر به فانبعثت (أجيب) بانه انما حذف ذلك للايحاء
 على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته (منه)
 أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) أي بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط منهم
 (مشر بهم) أي لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) أي في التيه ليقيمهم من
 حر الشمس (وأنزّلنا عليهم المن) الترخييل (والسوى) أي الطير الساعى بتخفيف اليم والقصر
 جعل الله تعالى ذلك طعاما لهم في التيه وقيل المن الخبز والسوى الاطعم وقال ابن عباس
 السوى طائر يشبه السمان وخاصيته ان أكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت

الرعد كأن الخفاف يفتله البرد فليهمه الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون
 فيها مطر ولا رعد إلى انقضاء أو ان المطر والرعد فيخرج من الجزائر ويتشرف في الارض
 (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) مما لم تعالجوه نوع معالجة وقوله تعالى
 (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فيه حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام
 عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فامتنعوا من ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على
 طعام واحد وسألوه غير ذلك لأن المكلف إذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصيا
 بفعل ذلك فلهذا قال تعالى وما ظلمونا أي بفعل شئ مما قالوا به الاحسان بالكفران ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون بخالفهم ما أمروا به وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (وإذا
 قيل لهم) أي وإذا كرر يا محمد لقومك اذ قيل لبي اسرائيل (أسكنوا هذه القرية) أي بيت
 المقدس (وكلوا منها) أي من القرية (حيث شئتم وقولوا) أمرنا (حطة وادخلوا الباب) أي باب
 القرية (بهدا) أي سجودا نخفاء وقوله تعالى (نفقر لكم) قرأنا فاع وابن عامر بضم الناء وفتح
 الفاء على التانيث والباقون بنون مفتوحة وكسر الفاء وقوله تعالى (خطاياكم) قرأنا فاع بكسر
 الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة وبعد الهمزة تاء مضمومة على الجمع وابن عامر كذلك
 إلا أنه يقصر الهمزة على التوحيد وأبو عمرو يفتح الخاء والطاء وبعد الاء ألف بعد هاء ياء وبعد
 الياء الفاء على وزن قضاياكم والباقون بكسر الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة بعدها
 تاء مكسورة (سنزيد المحسنين) أي بالطاعة ثوابا (فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم)
 فقلوا حجة في شريعة ودخلوا رخصون على أسئلتهم أي ادبارهم (فأرسلنا عليهم رجلاً) أي هذا
 (من السماء) كانوا يظلمون) وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن ألقاها هذه
 الآية بخالف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه الأول انه قال هناك وادخلناهم
 هذه القرية وهنا قال وادخل لهم اسكنوا هذه القرية والثاني انه قال هناك فكلوا بالافاء وقال
 هنا وكلوا بالواو والثالث انه قال هناك رعدا واسقطه هنا والرابع انه قال هناك وادخلوا
 الباب مسجد او قولوا حطة وقال هنا على التقديم والتأخير والخامس انه قال هناك نفقر لكم
 خطاياكم وقال هنا نفقر لكم خطاياكم والسادس انه قال هناك وسنزيد المحسنين وهنا
 حذف الواو والسابع انه قال هناك فانزلنا على الذين ظلموا وقال هنا فإرسلنا عليهم الثامن انه
 قال هناك بما كانوا يفسقون وقال هنا بما كانوا يظلمون ولانما فاء بين هذه الالفاظ المختلفة
 اما الأول وهو انه قال هناك ادخلوا هذه القرية وقال هنا اسكنوا فلام نافاة بينهما لأن كل
 ساكن في موضع فلا يمتن الدخول فيه وأما الثاني وهو قوله هناك فكلوا بالفاء وقال هنا وكلوا
 بالواو فالفرق بينهما أن الدخول حالة مقتضية لاد كل عقب الدخول فحسن دخول الفاء
 التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استقرار حسن دخول الواو عقب السكنى
 فيكون الاكل حاصل لا شأوا فظهر الفرق وأما الثالث وهو انه ذكر هناك رعدا واسقطه
 هنا فلأن الاكل عقب الدخول والأكل مع السكنى والاستقرار ليس كذلك فحسن

دخول لفظ رغدا هناك لدون هنا وأما الرابع وهو قوله هناك ادخلوا الباب سجدا وقولوا
 حطة وقال تعالى التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله
 تعالى وإظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير وأما
 الخامس وهو أنه قال هناك خطاياكم وقال هنا خطاياكم فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء
 كانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الاتيان بهذا الدعاء والتضرع وأما السادس وهو
 قوله تعالى هناك وستزيد بالواو وقال هنا بمحذوها فالغائبة في حذف الواو أنه تعالى وعد
 بشيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لأنه استئناف
 مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران فقبل أنه سيزيد المحسنين وأما السابع وهو
 الفرق بين أنزلنا وبين أرسلنا فلان الأنزال لا يشعر بالكثرة والارسل يشعر بها فكانه تعالى
 بدأ بأنزال العذاب القليل ثم جعله كثيرا وهو نظير ما تقدم من الفرق بين أنجيبت وأنصبرت
 وأما الثامن وهو الفرق بين قوله تعالى يفسقون وبين قوله تعالى يظلمون فلأنهم لما ظلموا أنفسهم
 فيما غيروا وبدلوا فسدوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم
 ظلموا أنفسهم وبكونهم فاسقين لأنهم خرجوا عن طاعة الله فالغائبة في ذكر هذين الوصفين
 التنبية على حصول هذين الأمرين هذا المختص كلام الرازي رحمه الله تعالى ثم قال وتقام العلم
 بذلك عند الله تعالى (وأسألهم) أي أسأل بالمحمد هؤلاء اليهود الذين هم جبرائيل سؤال توبيخ
 وتقريع (عن القرية) أي عن خبرها وما وقع بأهلها لأسؤال استغفام لأنه صلى الله عليه وسلم
 كان قد علم حال هذه القرية بوحى من الله تعالى إليه وأخبره آياه بها المهم وإنما المقصد من هذا
 السؤال تقرير اعتداء اليهود وأقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وإن اصرارهم على الكفر
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنكارهم نبوته ومجهزانه ليس بشئ قد حدث الآن في زمانه بل
 اصرارهم على الكفر كان حاصل في قديم الزمان وفي الأخبار بهذه القصة مجيزة للنبي صلى الله
 عليه وسلم لأنه كان أميلا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبرهم بما جرى
 لأسلافهم في قديم الزمان وأنهم بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى مسخروا قرده واختلّفوا في هذه
 القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قرية يقال لها ابلة بين مدين والطور على شاطئ البحر
 وقال الزهري هي طبرية الشام وقيل مدين والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبي عمرو بن
 العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (التي كانت
 حاضرة البحر) أي مجاورة بحر القلزم على شاطئه والحضور فيقبض الغيبة كقوله تعالى ذلك
 لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام (أذ) أي حين (يعدون) أي يعددون (في السبت) أي
 يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وقد نهوا عنه وقوله تعالى (أذنأنا بهم حينئذ) أي
 ليعدون (يؤمهم يومئذ شرعا) أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع وقال الفضالة متتابعة وعن
 الحسن بن بشر ع على أبوابهم كانوا الكباش البيض والحيتان السوداء أكثر ما تسبى من
 العرب المطوت في معنى السمكة والسبت مصدر سببت اليهود إذا عظمت سببتا بترك الصيد

والاشتغال بالعبادة فغناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم
 أمر السبت يدل عليه قوله تعالى (ويوم لا يبغنون) أي لا يعظمون السبت أي سائر الأيام
 (لأننا نهم) أي الحيتان ابتلا من الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك البلاء الشديد (يلوهم
 بما) أي بسبب ما كانوا يفسقون وقوله تعالى (واذ) معطوف على اذ قبله (قالت أمة) أي
 جماعة (منهم) أي من أهل القرية لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم)
 في الدنيا بعد ذاب من عنده لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يعظون بالمواعظ (أو معذبهم عذابا
 شديدا) في الآخرة لقادهم في العصيان (قالوا) أي الواعظون موغضتا (معدرة) نعمذربها
 (إلى ربكم) أي لئلا ينسب إلى تعصيف ترك النهي فإن النهي من المنكر يجب وأن علم الناهي
 أن من تركه لا يقطع عن معصيته وقيل إذا علم الناهي حال المنهي وإن النهي لا يؤثر فيه سقط
 النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العيب ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين
 على المأصرا والجلادين المرتين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك
 ولم يكن الأسبيل للتهلبي بك (وألهم يقون) أي وجاز عندنا أن ينفعوا بالمواعظ فبقي قول الله
 ويتروكوا ما هم فيه من الصلابة إذا لم يأمل يحصل الإيهال (فلما نسوا) أي تركوا ترك
 الناسي (مأذروا) أي وعظوا (به) ولم يرجعوا (أنجيئنا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين
 ظلوا) أي بالاعتداء ومخالفة أمر الله تعالى (بعذاب ينس) أي شديد (بما) أي بسبب ما كانوا
 يفسقون) روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسمع الله تعالى يقول أنجيئنا
 الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلوا بعذاب ينس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكنة
 وجعل يسى قال عكرمة فقلت جعلني الله تعالى فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم
 عليه قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيئهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبته قولي
 ورضي به وأمر لي بريد بن قالسنيما وقال نجت الساكنة وقال عمار بن زيان نجت الطائفتان
 الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معدرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان
 وهذا قول الحسن (فإن قيل) إن ترك الوعظ معصية والنهي أيضا عنه معصية فوجب دخول
 هؤلاء التاركين للوعظ الناهين عنه تحت قوله تعالى وأخذنا الذين ظلوا بعذاب ينس ولهذا
 قال ابن زيد نجت الناهية وهلك الفرقتان (أجيب) بأن هذا غير لازم لأن النهي عن المنكر
 إنما يجب على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقي (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن
 عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان أي فلما تكبروا
 عن ترك ما نهوا عنه وتعدوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلوا ما حرم الله تعالى
 عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (قلنا لهم) كونهوا قردة خاسئين أي صاغرين
 فكانوا كقوله تعالى إنما قلنا للشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهذا يقتضي أن الله
 تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فعضهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا
 وتفصيلا للأولى وروى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا

يوم السبت فابتلوا به وحرم الله عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيتهم يوم السبت شرعا أيضا هانا كأنهم الخناض لا يرى الماء من كثرتهم أو يوم لا يستبشرون لأتيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم بالبلى فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاحتذوا حياضا نسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره يبيع السمك فقتلعه في تنوره فقال اني أرى الله سيُعذبك فلما ليرى عذاب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رآوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملهوا وابعوا وكانوا نحو امان سبعين ألفا فصار أهل القرية اثلاثا ثلثهم وأكلوا ونحو امان اثني عشر ألفا وثلثهم فالتوا لئلا يفتنوا قوموا وثلثهم أصحاب الخطيئة فلما لم يبقوا قال المساكين انالنا كنكم فمعهما القرية بمجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحدا فقالوا ان للناس شأنا فاعلوا الجدار فغظروا فاذا هم قردة ففتحو الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون أنسابهم من القردة فجعل القردة بأقرب نسيبه فيشتم سيابه ويكي فيقول ألم تنهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير واختلقوا في ان الذين مسحوا اهل بقوا قردة وهل هذه القردة من نسلهم أو هل كانوا وانقطع نسلهم لادلالة في الآية على شئ من ذلك وعن الحسن أكلوا والله وأخضعوا كلة أكلها أهلها أثقلها خزنا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة وعن جابر بن العبد وبين رزقه حجاب فان صبر خرج اليه والاحتك الحجاب ولم يزل الا ما قدر له قال الرجل يخشى هاهنا والله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم وإيكن الله تعالى جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقوله تعالى (وَأَذِمْ عَلَىٰ وَاسْأَلْهُمْ أَيَّٰذُكُمُ) (أي اعلم ربك) وأجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أوجب بجوابه وهو (لبعثن عليهم) أي اليهود (اليوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي بالآهانة والذل وأخذ الجزية منهم فبعث الله تعالى عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباههم وضرب عليهم الجزية وكانوا يؤذونها الى الجوس الى أن بعث الله تعالى نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم فضرهم اعليهم ولا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر حتى ينزل عيسى بن مريم فانه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام (فان قيل) انه يجهكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته أخذ الجزية أو الاسلام (أوجب) بأن شريعته بذلك مغية ينزل عيسى عليه السلام وقوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) أي لمن أقام على الكفر كهنية الدليل على انه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مسقرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وانه لغفور) أي لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (رحيم) بهم وقطعناهم) أي فرقناهم (في الارض أعمى) أي فرقا بحيث لا يكاد يحصى وقطر منهم تبة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وأعمالهم قول فان أحوال وقوله تعالى (منهم الصالحون) صفة أولئك الذين آمنوا

بالمدينة ونظروا هدم (ومتهم) أي أناس (دون ذلك) أي مخطون عن الصلاح فهم كفرتهم
 وقسمتهم (وبلوناهم) أي اختبرناهم جميعا الصالح وغيره (بالحسنة) أي بالحبس والعاقبة
 (والسيئات) أي بالجوهر والشدة (اعلمهم يرجعون) أي كي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا إليه
 قال أهل المعاني وكل واحد من الحسنة والسيئة تدفعوا إلى الطاعة أما النعم فلاجل
 الترغيب وأما النقم فلاجل التهيب (تخاف من بعدهم) أي هؤلاء الذين وصفناهم (خلف)
 والخلف القرن الذي يلي من بعده وهو بسكون اللام شائع في الشر ويقصها في الخير
 يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف وسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال
 حسنان بن ثابت

لنا التقدم إلا ولي الدين وخلفنا • لا ولنا في طاعة الله تابع

وقال لبيد في الذم

ذهب الذين يعاش في أكتافهم • وبقيت في خلف بجلد الأجر

فترك اللام والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والمراد به الذين كانوا في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) أي التوراة من أملائهم يقرؤونها ويقفون
 على ما فيها (يأخذون عرض هذا الأدنى) أي هذا الشيء الثاني الأدنى أي الدنيا وما يتبع به
 فيها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتهقير والأدنى أمان الدنيا جمع في القرب لانه عاجل قريب
 وألمح دون المال وسقوطها وقلتها والعرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض
 حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدينار
 وجميعه عروض والمعنى أنهم يأخذون حطام الدنيا وهو الشيء الثاني الخسيس الحقير لأن الدنيا
 بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فالله ودوروا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل
 بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا في الأحكام ويعلمون أنه حرام (و) مع أقدامهم على هذا الذنب
 العظيم وأصرارهم عليه (يقولون سيفقر لنا) أي لا يؤاخذهم الله تعالى بذلك فيقتدون على الله
 الأمانى الباطلة وعن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى لأن اليهود كانوا
 يقرمون على الذنوب ويقولون سيفقر لنا وهذا هو التي بعينه وقوله تعالى (وإن يأتيهم عرض
 منه يأخذوه) الواو فيه للحال أي يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون إلى مثل فعلهم غير
 تائبين وليس في التوراة عهد المغفرة مع الأصرار وقوله تعالى (ألم يؤخذ) استنفهم تقرير
 عليهم ميثاق الكتاب) أي التوراة والإضافة بمعنى في (ان لا يقولوا على الله الإلحاق) أي
 الملاحم شأنه وليس من المعاصم إثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق
 الكتاب وقوله تعالى (ودرسوا ما فيه) أي ما في ذلك الميثاق الذي في الكتاب أو الكتاب بتقرير
 القراءة اللفظ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير أو على وثروا ألم يؤخذ اعتراض
 (والدار الآخرة خير) أي وما في الدار الآخرة عما أعد الله خيرا للذين يتقون) الله ويصافون

عقابه (أفلا يعقلون) أي حين أخذوا ما يشقهم ويفني بدل ما بعدهم ويسبق أن الدار الآخرة
خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب ويكون المراد الإعلام بتناهي الغضب
والباقون بالياء على الغيبة (والذين يسكنون بالكتاب) يقال مكنت بالشئ وتمسكت به
وأمكنك به وكنسك بالكتاب العمل بما فيه وإحلال حلاله وتحريم حرامه وإقامة حدوده
والتمسك بأحكامه وقرأ شعبة بسكون الميم وتخفيف السين والباقون بفتح الميم وتشديد
السين (وأقاموا الصلاة) أي وداوموا على إقامتها في سواقيتها وانما أفردوا بالذكر وان
كانت الصلاة داخلية في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانهم أعظم العبادات بعد
الايمان بالله تعالى وهذه الآية نزلت في الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبدة الله بن سلام
وأصحابه وقوله تعالى (أفلا انضيم أجزالمصدين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع
المضمر أي أجزهم (وآذ) أي أذكركم بما جردا (تقنا) أي رفعنا (الجل فوقهم) أي من أصله
(كانه ظلة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كأنه سقفة من الظلة كل ما أظلك من سقف
بيت أو حجاب أو جناح حائط والجعل ظلل وظلال (وظنوا) أي ايقنوا (أنه واقع بهم) أي أساقط
عليهم بوعده الله بوقوعه ان لم يقبلوا أحكام التوراة روى أنهم لم يقبلوا أحكام التوراة لعظمها
وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عشرين فرسخا فركضوا فرسوخ وقيل
لهم ان قبلوها عافيا والايقن عليكم فلما نظروا الى الجبل خز كل واحد منهم ساجدا على
حاجبه وهو ينظر بعينه الى النبي خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى به وديا سجدا اعلى حاجبه
الابسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقوله تعالى (خذوا) هو على
اضمار القول أي قلنا لهم خذوا أو قائلين خذوا (ما آتيناكم) أي من الكتاب وقوله تعالى
(بقوة) أي بمجد وعزم على تحمل مشاقه حال من واخذوا (وآذكروا ما فيه) أي بأعماله
ولا تتركوه كالنسي (لعلكم تتقون) أي فضايع الاعمال ورذائل الاخلاق (وآذ) أي واذكر
يا محمد حين (أخذ ربك من نوح آدم) وقوله تعالى (من ظهورهم) بدل اشغال بمقابلته باعادة
الجار كما قاله السيبوطي أو بدل بعض كما قاله البيضاوي (فدرياتهم) أي بأن أخرج بعضهم من
صلب بعض نسل بعد نسل كنعوا ما يتوالدون كالذر ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب
فيهم عقلا عر فوا به كما جعل للبيال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى يا جبال أو بي معه والطير
كما جعل تعالى للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا الشجرة حين سمعت لامره
وانقاد وكذا النمل حين قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر
بأن بعد الياء وكسر التاء على الجمع والباقون بغير ألف وفتح التاء على التوحيد (وأشدهم على
أنفسهم) قال (أأستبرئكم قالوا بلى) أنت ربنا وعن مسلم بن يسار الجهني أنه قال ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سئل عنهم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال
خلقتم هؤلاء الجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء

الى النار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عبي كل انسان ويصا من نور وعرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال ذريتك فوأي رجال منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال يا رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زد من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتفق عمر آدم الا أربعين سنة جاءه ملك الموت فقال آدم وألم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنيك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فذريت ذريته وخطي فخطت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أبصر آدم في ذريته قوما لهم نور فقال يا رب من هم فقال الانبياء ورأي واحد هو أشهدهم نورا فقال يا رب من هو قال داود قال فكم عمره قال ستون سنة قال آدم هو قليل وكان عمر آدم اثنتي عشرة سنة فقال يا رب زد من عمري أربعين سنة فلما تم عمر آدم ثمانمائة وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقي من أجلي أربعون سنة فقال ألت قد وهبتها من ابنيك داود فقال ما كنت لأجعل لاحد من أجلي شيئا فعند ذلك كتب لكل نفس أجلها وعن مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم النبي فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر تحرك ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحق وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا تأبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وراحام النساء وقال تعالى فيهن نفث العهد الأول وما وجدنا لأكفرهم من عهد وقال بعض المنسرين ان أهل السعادة أقروا طوعا وقالوا بلى وأهل الشقاوة قالوا بقتة وكرها وذلك معنى قوله تعالى وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واختلافوا في موضع الميثاق فقال ابن عباس رضي الله عنهما يطن نعمان وهو وادى جنب عرفة وعنه أيضا أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه السلام وقال الكلبي بين مكة والطائف (فان قيل) ما معنى قوله تعالى واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأغاث أخرجهم من ظهورهم (أجيب) بأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهورهم وبعض على مايتوالدون فالأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهور آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخروا من ظهوره فأنخرج من ظهورهم مخرج من ظهوره وقوله (شهدنا) أي على أنفسنا بذلك وإنما شهدهم على أنفسهم كراهة (أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (خافلين) أي لعدم الأدلة فلذلك أشركا وقوله تعالى (أو يقولوا) أي

لوم ترسل اليهم الرسل عطف على أن يقولوا وقرأ أبو عمرو وبالباء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب (أنا أشرك أباؤنا من قبل) أي قبل أن نوجد (وكذا ذرية من بعدهم) أي فلم نعرف لنا
مربيا غيرهم فكنا لهم تبعافضلنا اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منبه فيتسبب عن ذلك
انكارهم في قولهم (أفهل كتابنا فعل المبطلون) أي من آباءنا قال أبو حيان والمعنى أن الكفرة
لوم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكرا بما نعتن العهد من توحيد الله وعبادته لكأن
لهم حجتان أحدهما كذا غافلين والآخرى كذا على أسلافنا فكيف والذنب انما هو لمن طرقت لنا
وأصله انتهى (فان قيل) كيف يكون ذكر الميثاق عليهم حجة فانهم لما أخرجوا من ظهر آدم
ركب فيهم العقل وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا إلى صلبه بطل ما ركب فيهم قوادنا وسين
لذلك الميثاق (أجيب) بأن التذكير به على لسان صاحب الميزة قائم مقام ذكره في النفوس
وبذلك قامت الحجة عليهم يوم القيامة لأخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق في الدنيا في أنكره
كان معاندا نافضا للعهد ولزمهم الحجة ولا تقط الحجة بنسيانهم وعدم حفظهم بعد أخبار
الصادق صاحب الشريعة والمجيزات الباهرات والمقصود من إيراد هذا الكلام هنا إلزام اليهود
مقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم من التقليد وجعلهم على النظر والاستدلال كما قال تعالى (وكذلك) أي
ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع (تفصيل الآيات) أي كلها ثلاثا يوافقها ما لا يليق
بجنا بنا جهلا لعدم الدليل (ولعلمهم يرجعون) أي عن التقليد واتباع الباطل (واتل) أي يا محمد
(عليهم) أي اليهود (بنا) أي خبر (الذي آتينا آياتنا فانسى منها) أي خرج بكفره كما تخرج
الحية من جلدها وهو يعلم بن باعورا من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين سئل أن يدعو
على موسى وأهدى إليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فأثمه الشيطان)
أي لحقه وأدركه وصبره لنفسه تابع في معصية الله تعالى فخالف أمر ربه وأطاع الشيطان
وهو (في مكان من الغاوين) أي من الضالين الهالكين وقصته على ما ذكره ابن عباس رضي الله
عنهما وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض
الشام أتى قوم يلزم وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير
وانه قد جاء بخرجننا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وأنت رجل محاب الدعوة فأخرج
فادع الله تعالى أن يردهم عنا فقال وبلغكم بني الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف
أدعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون وإنى أن فعلت هذا ذهبت دنياي وأخرى فراجعوه
وألجوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فو امر في الدعاء
عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد و امرت ربي وإنى نهيته ان ادعوا عليهم
فأهدوا إليه هدية فقبلها وأرجعوه فقال حتى أوامر ربي فو امر في يومه ربي فقال قد
وأمرت ربي فسلم بأمر ربي بشئ فقالوا لوكروه وبك ان تدعوا عليهم لتهاك كما نهاك في المرة الأولى
فلما رزوا بضرب عيون اليه حتى قنوه فافتن فركب انانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر

بنى اسرائيل يقال له حسب ان فلما صار على اناته غير بعيد ربضت فتزل عنها وضرب بها فقامت
 فركبها فلم تسره به كثيرا حتى ربضت فضر بها فاذا ن الله تعالى لها في الكلام وانطقها الله بكلمته
 بحجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي ويحك
 أتذهب الى نبي الله والمؤمنين فقد دعوا عليهم فلم ينزجوا فغلى الله تعالى سيدل الاتان فانطلقت به
 حتى أشرف على جبل حسب ان فجعل يدعو عليهم فلا يدعوا بشرا الا صرف الله تعالى به لسانه
 الى قومه ولا يدعوا لقومه بخيرا الا صرف الله تعالى به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعم
 أنت ترى ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه
 فانذع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب الآن منى الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر
 والحيلة فسا مكراكم واحنا احلوا النساء وزيهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى
 عسكر بنى اسرائيل يبعثن فيه ومروهن ان لا تمتنع امرأة أنفسهن من رجل أرادها فانه ان زنا رجل
 بواحدة فكيف هو ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرن امرأتان من الكنعانيات على رجل من
 عظماء بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يدها حتى أعجبه
 جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال اني لا ظنك أن تقول هذه حرام عليك قال أجل
 هي حرام عليك لا تقرب بها قال فوالله لا نطيعك ثم دخل بها فبقيته فوقع عليها فأرسل الله تعالى
 عليهم الطاعون في الوقت فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار وقيل الآية نزلت في أمية
 ابن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن
 يكون هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وقيل نزلت في منافق أهل
 الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقيل انهم نزلت
 في البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة
 وكان له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لها لك منها واحدة فاستريدين قالت ادع الله
 أن يجعلني أجلا لمرأة في بنى اسرائيل فدعا الله تعالى فصارت أجلا للنساء في بنى اسرائيل
 فلما علمت أنه ليس في بنى اسرائيل أجلا منها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة تباحه
 فذهبت فيها دعواتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار فدعوا لها فصار لها كلبة تباحه
 وقد عبرنا الناس ادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله تعالى فعادت كما كانت
 فذهب فيها الدعوات كلها وقيل غير ذلك ويدل الاقول الاول قوله تعالى (ولوشئنا الرقعة) أي
 منازل الابرار (بها) أي بسبب تلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) أي مال الى الدنيا
 قال البضاوي أو السفالة قال الجوهرى السفالة بالضم نقيض العلو وبالفتح النذالة (وأتبع
 هواه) أي في آمار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علم نفعه بعيشته
 الله تعالى ثم استدركه عنه بفعل العبد تنبيهها على ان المشيئة سبب لقوله الموجب لرفعها وان عدمه
 دليل عدمها دلالة اتقاء المسبب على اتقاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده
 من هذه الاسباب وسياط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك

وكان مقتضى ظاهر الكلام أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلا إلى الأرض
 وتبع هواه بالغة وتنبه على ما حمله عليه وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهذه الآية من
 أشد الآيات على أصحاب العلم وذلك لأنه بعد أن خص هذا الرجل بآياته وعلمه الاسم
 الأعظم وخصه بالدعوات المستجابة لما تبع الهوى انسلك من الدين نصارى درجة الكلب
 وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله تعالى في حقه أكثر فاذا أعرض عن متابعة الهدى
 وأقبل على متابعة الهوى كان بعده عن الله أعظم وإلى الإشارة بقوله من ازداد علما ولم يزد
 هدى فلم يزد من الله الأبعدا (نقله) أي فصفته التي هي مثل في الخسة (كسل الكلب) أي كثره في
 أخس أوصافه وهو (أن تحمل عليه) أي بالطرود والزجر (يلهث) أي يدلغ لسانه (أو) ان تركه
 يلهث) فهو يلهث دائما وساجل عليه بالزجر والطرود وتركه وليس غيره من الحيوان كذلك
 قيل كل شيء يلهث انغياها من اعياء أو عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال والراحة
 لأن الله طبيعة أصابته فيه فكذلك حال من كذب بآيات الله ان وعظته فهو ضال وان تركته
 فهو ضال وكذلك حال المريض على الدين ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينفع فيه
 وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن
 الله طبيعة لازمة للكلب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما الكلب منقطع القواد يلهث ان
 جعل عليه ولم يعمل عليه ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كسل الكلب
 ذليلا دائم الذلة لانه في الحالتين وقيل لمادعاهم على موسى عليه السلام فخرج لسانه فوقع
 على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك) أي المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)
 فم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وبجدها ووجه التقبيل بينهم وبين الكلب اللاهث
 انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا بل هم في ضلال على كل حال (فاقصص القصص)
 أي فاخبر يا محمد قومك بهذه الاخبار التي سبقت بها مواقع الوقائع وأثار الاعيان حتى لم تدع
 في شيء منها لبسا على كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم (لعلهم يتفكرون) أي يتدبرون فيها
 فيؤمنون (ساء) أي بنس (مثلا القوم) أي مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا) أي بعد قيام
 الحجج عليها وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) أي كان ذلك في طبعهم جبلة لهم لا بقدر غير الله
 تعالى على تغييره وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى
 غيرها وقوله تعالى (من يهتد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) تصريح
 بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها
 مستلزمة للاعتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على
 أن المهتدين كواحد لا يتحد طريقتهم بخلاف الضالين والاقصاري في الاخبار عن هدى الله
 بالمهتدي تعظيم لشأن الاعتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
 غيره لكفائه وأنه المستلزم للقول بالعدم الآجلة والعنوان له (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (بلهمن)
 كثير من الجن والانس) أخبر الله تعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين

حقت عليهم الكلمة الازلية بالقوة ومن خلقه الله تعالى للثأر فلا حيلة له في الخلاص منها
 روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من
 الانصار فقالت يا رسول الله طوبى لي بهذا عصافور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال
 أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في اصلاب آباءهم وخلق النار وخلق لها
 أهلاً وهم في اصلاب آباءهم أخرجه مسلم قال النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من
 علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة لأنه ليس مكافأ وتوقف فيه من لا يعتد
 به لهذا الحديث وأجاب العلماء عنه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمهم اناعن المارة الى
 القطع من غير أن يكون عن دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص قوله اعطه فاني لا أراه
 مؤمناً فقال أو مسلماً قال بعضهم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أن أطفال
 المسلمين في الجنة فلما علم ذلك أخبر به قال وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون
 هم في النار تبعاً لآباءهم وتوقف طائفة منهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون
 انهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال
 وأولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 ولا يوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول المرسل حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي
 الآية دليل وبجدة واضحة لمذهب أهل السنة في أن الله تعالى خالق افعال العباد جميعها خيرا
 وشرا لأنه تعالى بين باللفظ الصريح أنه خلق كثير من الجن والانس للثأر ولا مزيد على بيان
 الله تعالى ولأن العاقل لا يجترأ بنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم أن
 لمن يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله تعالى وقالت المعتزلة أن اللزم في
 قوله بلوهم لأم العاقبة واستدلوا بذلك بآيات واشعار في الآيات قوله تعالى فالتقطه آل
 فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وهم ما التقطوه لهذا الغرض ومنها قول موسى ربنا انك آتيت
 فرعون وملائكته زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا انزلوا عن سبيك ومن الاشعار قول بعضهم
 والموت تغذو والوالدات ضالها * كالتحارب الدهر تبني المساكن
 وقال آخر أموالنا لذوي المبرات نجمة * ودورنا للرباب الدهر نبيها
 وقال آخر له ملك يشادى كل يوم * لدوا للموت وابشوا للتحارب
 وقال آخر وأتم شمال فلا تجزى * فلا موت ما تلد الوالدات

وهذا مردود لان المصير الى التأويل انما يحسن اذا ثبت الدليل العقلي على امتناع حمل اللفظ
 على ظاهره فاذا لم يثبت كان المصير الى التأويل في هذا المقام عبثاً فالحق مذهب أهل الحق
 جهلنا الله تعالى وأهل مودتنا منهم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ثم وصف الله تعالى هؤلاء
 الذين أضلهم بقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) أي لا يبصرون
 بها طريق الحق والهدى (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي الآيات والمواعظ سمع تأمل وتذكر

وقال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفتقون بها مصالحهم المتعلقة بالدينا ولهم أعين يبصرون بها المربيات وأذان يسمعون بها الكلمات وهذا الاشك فيه ولما وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكه علم أن المراد من ذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قوله الشاعر

وعوراء الكذام صممت عنها * واني ان أشاء بها سمع

فانه أثبت له سمعاً مع وجود السمع ولم يسلب عنهم هذه المعاني كانت النتيجة (أو لئلا) أي البعداء من المعاني الانسانية (كالانعام) في انهم الاتقهم ولا تعقل ذلك لأن الانسان وسائر الحيوانات مشتركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعلم والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والتمييز بين الخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه كان لا فرق بينه وبين البهائم التي لا تدرك شيئاً ولما كانوا اقترادوا على ذلك فقد نتج هذه الحواس قال تعالى (بل هم أضل) سعيلاً من الانعام لأن الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها فاذا رأت ناراً مضلاً لا تقع فيها واذا رأت كلاً مثلاً دخلت فيه والكافر لا يعرف ذلك ولأن الحيوان لا قدرة له على تحصيل هذه الفضائل والانسان أعطى القدرة على تحصيلها ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخسر حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز عنها ولأن الانعام مطمئنة لله تعالى والكافر غير مطمئع ولأن الانعام تعرف ربها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولأنها تفضل اذا لم يكن معها امر شديداً فاما اذا كان معها امر شديداً فقل أن تفضل وهو لا الكفار قد جاءهم الانبياء وأنزل عليهم الكتب وهم يزادون في الضلالة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (أو لئلا هم الغافلون) قال عطاء عماد الله تعالى لا وليا له من الثواب ولا عذابه من العقاب (ولله الاسماء الحسنى) ذكر ذلك في أربع سور أولها هذه السورة وثانيها في آخر سورة بني اسرائيل في قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وثالثها في أول طه وهو قوله تعالى لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ورابعها في آخر الحشر في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى والحسنى مؤنث الاحسن كالذكر كبرى والصغرى (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الصفات والادعاء شرط منها أن يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعوا بها ومنها أن يستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ومنها أن يخلص اليه في دعائه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحد من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون ان محمد وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعوا اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية والاسماء الحسنى كما في الحديث انه الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط
الغافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي
القيوم الواحد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر
الأول الآخر الظاهر الباطن الوال المتعال البرّ التواب المنتقم العفو الرؤف مالك
المالك ذوالجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع
النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواء الترمذي قال النووي
اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير
هذه التسعة والتسعين وقوله من أحصاها دخل الجنة المراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها
لا الاخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في حديث آخر أسألك بكل اسم سميت به نفسك
أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم
أن الله تعالى أسماهم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل
الجنة قال البخاري من حفظها وهو قول أكثر المحققين ونعضده الرواية الأخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل من أحضر بياله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها وقوله صلى الله عليه
وسلم إن الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا
تظير واختلغوا له الاسم الأعظم الله أو الحي القيوم وهل الاسم عين المسمى أو غيره وفي ذلك
خلاف وقد حقت ذلك في مقدمة على البسمة والمجدة (وذروا) أي اتركوا (الذين يلدون)
أي يعملون عن الحق (في أسمائه) أي حيث اشتقوا منها أسماءه لا إلهتهم كالات من الله والعزى
من العزير ومفات من المغان وقال أهل المعاني الأحادي في أسمائه تعالى هو أن تسميه بآل
يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماءه تعالى كلها توقيفية فيجوز أن
يقال بأجواد ولا يجوز أن يقال يا خنى ويجوز أن يقال بأعالم ولا يجوز أن يقال بأعقل ويجوز
أن يقال بأحكم ولا يجوز أن يقال بأطيب (سيجزون) أي في الدنيا والآخرة (ما كانوا يعملون)
وفي هذا وعيد شديد لمن أضافه في أسمائه تعالى وهذا قبل الأمر بالقتال وقرأ آية يلدون بفتح
الباء والحاء من الحدة والباءون بضم الباء وكسر الحاء من ألحد ولما ذكر سبحانه وتعالى
أنه خلق للنار طائفة ضالين مضلين لم يدين عن الحق ذكر أنه خلق الجنة أمة هادين في الحق
عادلين في الأمر بقوله تعالى (ومن خلقنا أمة) أي جماعة (يهدون بالحق وبه) أي بالحق خاصة
(يعدلون) أي يجعلون الأمور متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص لانا وفقناهم
فكشفنا عن أبنارهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك واستدل بذلك على صحة الإجماع
لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة وأكثر المفسرين أنهم أمة محمد صلى الله عليه

وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله رواء الشيطان وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال وهو يحطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضترهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك اذ لو اخص بهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم وعن الكشي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين (والذين كذبوا بآياتنا) أي القرآن أو غيره من أهل مكة أو غيرهم (سنستدرجهم) أي سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستبعاد والاستزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون وقيل سقزهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما راد بهم لانهم صكوا اذا أتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك عماديا في الفتن والضلالة ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون ان تواتر النعم يقرب من الله تعالى وانما هي خذلان منه وتبعد ففو استدراج الله تعالى في أخذهم الله تعالى أخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (وأملئ لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم ليمتدادوا في الكفر والمعاصي ولا عاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة (ان كيدى) أي أخذى (متين) أي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا) فعملوا (ما يصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنّة) أي جنون وروى أنه صلى الله عليه وسلم معد على الصفا فدعاهم فخذلوا فخذلوا فلان يأتي فلان يحذرهم بأمر الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فزلت ومعنى يهوت يصوت يقال هبت به وهوت به أي صاح فاله الجوهرى وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى منه لانه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الأقوال والأفعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا اتهم مقبلا على الآخرة ونعمها مستغلا بالدعاء الى الله تعالى وانذارهم بأسه ونقمته لئلا ينمرا من غير ملال ولا يجزع فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأ الله تعالى من الجنون بقوله تعالى (ان) أي ما (هو الاذيرمين) أي بين الانذار بحيث لا ينجي على ناظر (أولم ينظروا) أي نظرا اعتبارا واستدلال (في ملكوت السموات والارض) أي ملكهم ما البالغ (وما) أي وفيما خلق الله من شيء أي غيرهما ما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل لهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكتها ومتولى أمرها ليظهر لهم حجة ما يدعوه اليه وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قدا اقترب) أي ذنا (أجلهم) عطف على ملكوت وان محضفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون ولا يصح أن تكون أن مصدرية خلافا للبيضاوي قال التفناني لان المصدرية لا تدخل الافعال غير المتصرفية التي لا مصادر لها والمعنى أول

ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينصحبهم قبل
 مفاجأة الموت ونزول العذاب ففعل أهلهم قد اقترب فمروا على الكفر قبل أن يؤمنوا فيصبروا
 الى النار فيجب على العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز والنعيم
 الدائم (قبأى حديث) أى كتاب (بعده) أى الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
 (يؤمنون) أى يصدقون وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء
 وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعده صلى الله عليه وسلم (فان قيل) قوله تعالى قبأى حديث
 بعده يؤمنون يدل على أن القرآن حادث كما تمسك به بعض المعتزلة (أجيب) من جهة أهل السنة
 بأن ذلك محمول على الالفاظ من الكلمات ولا نزاع فى حدائتها ثم ذكر تعالى على اعراضهم عن
 الايمان بقوله تعالى (من يضل الله فلا هادى له) بوجه من الوجوه اى ان اعراض هؤلاء عن
 الايمان لا ضلال الله اياهم ولوهدها لم آمنوا (ويذرهم) أى يتركهم (في طغيانهم) أى ضلالهم
 وتماديتهم فى الكفر (يعمهمون) أى يترددون متخبرين لايتهدون سبيلا وقرأنا فع و ابن كثير
 وابن عامر ونذرهم بالنون والباقون بالياء وحزم حزة والكسافى الراى قال يبيوه انه عطف على
 محل القاء وما بعده اعم قوله تعالى فلا هادى له لان موضع القاء وما بعده اجزم بل جواب الشرط
 وورعها الباقون استئنافا وهو مقطوع عما قبله ولما بين تعالى التوحيد والنبوة والنضاء والقدر
 أتبعه المعاد لتكمل المطالب الاربعة التى هى أهميات مطالب القرآن مبيها ما اشتمل عليه عامة
 الكلام من تبليدهم فى العمى وتلذذهم فى أشر الشبه بقوله تعالى (يسئلونك) يا محمد سؤال
 استهزاء (عن الساعة) أى عن وقتها واختلفوا فى ذلك السائل فقال ابن عباس ان قوما من
 اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى هى فنزلت هذه
 الآية وقال الحسن وقتادة ان قريشا قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذا كررنا متى الساعة
 والساعة من الاسماء الغالبة كالنجيم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أولان حساب
 الخلق يقضى فيها فى ساعة واحدة فسميت بالساعة لهد السبب أولان على طولها عند الله
 تعالى كساعة واحدة وقوله تعالى (آيات) سؤال استفتهاهم عن الوقت الذى تقوم فيه
 الساعة ومعناه متى (مرساها) قال ابن عباس منتهى امرها والمرسى هنا صدر بمعنى الاراء
 كقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها أى اجرها وارساؤها والاراء الاثبات يقال
 رساير سواذا ثبت قال الله تعالى والجنال أرساها (قل) لهم يا محمد (انما علمها) أى متى تكون
 (عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الساعة الا الله تعالى اسماء الله تعالى بعلمها فلم يطلع
 عليه أحد من خلقه ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 متى الساعة فقال عليه الصلاة والسلام ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال المحققون
 والسبب فى اخفاء الساعة عن العباد أنهم اذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها فيمكن ذلك
 ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال (لا يعلمها) أى يظهرها
 (لوقتها) أى فى وقتها المعين فاللام بمعنى فى وهو أولى من قول البيضاوى انها للثابت (الاهو)

أى لاية - مد على اظهر وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو (نقلت) أى عظمت (في السموات
 والارض) أى نزل أمرها ونفي علمها على أهل السموات والارض وكل شئ خفي فهو نقيل
 شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان
 فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقل على القلوب وقوله تعالى (لاتأنيكم الابقعة) نأ كبد أيضاً
 تقدم وتقرر لكونها بحيث لا تنجي الاجزاء على حين غفلة من الخلق وعن أبي هريرة رضى الله
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
 فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقعه فلا يطعمه ولتقوم
 الساعة والرجل قد رفع الاكولة الى فيه فلا يطعمها ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه
 فلا يسقي فيه اللقعة يفتح اللام وكسرهما الناقاة القرية العهد بالنجاح وقوله يلبط حوضه ويروى
 يلوط حوضه أى يطنه ويصلحه يقال لاط حوطه يلبطه ويلوطه اذا طينه والاكاة بضم الهمزة
 اللقمة وفي رواية ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
 والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه رواده بعذاء الشيطان (يسألونك)
 أى يسأل قومك عن الساعة (كانك حفي عنها) أى عالم بهم من قولهم أحفيت في المسئلة
 اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها وقيل الحفي البار اللطيف ومنه قوله سبحانه وتعالى انه
 كان بي حفيماً أى باراً لطيفاً مجيب دعائى اذا دعونه أى يسألونك كانك بار بهم لطيف
 العشرة معهم وهذا قول الحسن ويؤيده ما روى في تفسيره أن قريشاً قالت لمحمد صلى الله عليه
 وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاذا كررنا معك الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفي عنهم
 أى قضهم لاجل قرابتك بعلوم وقتها وتزوى علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها المصلحة علمها الله
 تعالى في اخبار ربه لكنت مبلغه القريب والغريب من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل
 كانك حفي بالسؤال عنها تحبسه وتؤثره أى انك تذكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى
 استأثر الله تعالى بعلمه ولم يؤنه أحد من خلقه كقوله تعالى (قل) يا محمد (انما علمها عند الله) أى
 استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا هو (فان قيل) قوله تعالى يسألونك عن الساعة
 أيا من ساءها وقوله تعالى ثانياً يسألونك كانك حفي عنها فيه تكرار (أجيب) بأنه لا تكرار لان
 السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والثاني عن كنهه نقل الساعة وشذتها ومهابتها
 فلا يلزم التكرار وقيل ذكر الثاني للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها
 وعلى هذا تكرار العلماء الحذاق في كتبهم لا يحلون المكر من فائدة ومنهم محمد بن الحسن
 صاحب أبى حنيفة رحمه الله تعالى (فان قيل) لم أجاب عن الاول بقوله انما علمها عندى ربي
 وعن الثاني بقوله انما علمها عند الله (أجيب) بأن السؤال الاول لما كان واقعا عن وقت قيام
 الساعة والثاني كان واقعا عن مقدار شذتها ومهابتها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند
 الله لانه أعظم أسماؤه ومهابه وعظمته ثم انه تعالى ختم هذه الآية بقوله (ولكن أكره الناس
 لايعلون) أى لا يعلون السبب الذى من أجله أخفيت معرفة علم وقت قيامها الغيب عن

الخلق وقيل لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وروى أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا تخبرنا بالسعر الرخيصة قبل أن يغلو فنشتريه ونريح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد أن نجذب فنرحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله تعالى (قل) لهم (لا أملان لنفسي نفسي) اجتلاب نفع بأن أريح فيما اشتريه (ولا ضررا) أي ولا أقدر أدفع عن نفسي ضررا نزل بها بأن أرحل الى الارض الخصبة أو من الارض الجدية (الاما شاء الله) من ذلك فليعلمني اياه ويوفقني وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة بني المصطلق عصفت ريح في الطريق ففرت الدواب منها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة بالمدينة وكان فيها غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظر وأين ناقي فقال عبد الله بن أبي المنافق مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولم يعرف أين ناقيه فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (ولو كنت) أي من ذاق (أعلم الغيب) أي جنسه (لا استكثرت) أي وجدت نفسي كثيرا (من الخير وما سئى السوء) أي ولو كنت أعلمه لخالفته الى ما هي عليه من استكثار المنافع ويدخل فيه ما يتصل بالخصب واجتناب المضار حتى لا يمسئى سوء (ان) أي ما (أنا الانذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) أي بصدقون وقيل لقوم يؤمنون متعلق بنذير وبشير لانهم المتفجعون بهما (هو الذي خلقكم) أي ولم تكونوا شيئا (من نفس واحدة) أي خلقها ابتداء من تراب وهي آدم عليه السلام (وجعل منها) أي من جسدها من ضلع من اضلاعها وقيل من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) أي حواء قالوا والحكمة في كونها خلقت منه ان الجنس الى الجنس أميل والجنسية على الضم (ليسكن اليها) أي ليأنس بها ويعطن اليها اطمنئنان الشيء الى جزئه أو جنسه وانما ذكر الضمير في يسكن بعد ان أثبت في قوله تعالى من نفس واحدة ذهبا الى معنى النفس ليناسب تذكر الضمير في قوله تعالى (فلما تغشاها) أي جامعها وثلاثا بهم لواءه نسبة السكون الى الاتى والامر بخلافه ازالة لاستيحاشه فكانت نسبة المؤانسة اليه أولى (حملت حملا خفيفا) أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقي الحوامل غالباً من الاذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة (فترت به) أي فعالجته به أعمالها وقامت وقعدت ولم يعقها عن شيء من ذلك لحقيقته (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها (دعوا الله) أي آدم وحواء عليهما السلام (رهبما) مقسمين (لئن آتينا صالحا) أي ولدنا سويا لا يعيب فيه (لنكونن من الشاكرين) أي نحن وأولادنا على نعمتك علينا وذلك انهم ما جوزا ان يكون غير سوي لقدرة الله تعالى على كل ما يريد لانه الفاعل المختار (فائدة) اتفق القراء على ادغام تاء التانيث الساكنة في الادل (فلما آتاها ما صالحا) أي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بذنا وقوة وعظما فكثروا في الارض وانتشروا في نواحيها ذكورا واناثا (جعلنا) أي النوعان من أولادهما الذكور والاناث لان ما لحاصفة للولد وهو الجنس فيشمل الذكر والانثى

والقليل والكثير فكانه قيل فلما آتاها أولادها حتى الخلقة من الذكور والاناث جعل
النوعان (له شركاء) أي بعضهم أصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك وقيل
جعل أولادها له شركاء (فيما آتاها) أي فيما آتى أولادها فسموه عبد العزى وعبد مناف على
حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون
أي يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) أي الأصنام (فإن قيل) كيف وحدهم خلق ثم جمع فقال وهم
يخلقون (أجيب) بأن لفظ ما يقع على الواحد والاثني والجمع فوحد بحسب ظاهر اللفظ وجمع
باعتبار المعنى (فإن قيل) كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
(أجيب) بأنه لما اعتقد عبادة الأصنام أنها تعقل وتميز وردها هذا الجمع على ما يعتقدونه وقيل
لما حلت حواء آتاهما ابليس في صورة رجل فقال لهما ما يدريك ما في بطنك ولعله همة أو كذب وما
يدريك من أين يخرج نخاف من ذلك وذكرت لآدم فهم آمنه وهو يضم الهاء وتشديد الميم من
الهم وهو هنا الحزن ثم عاد إليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله على أن يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس حارثا في الملائكة ففعلت ولما ولدته
سمته عبد الحرث (فإن قيل) قد قال البيضاوي وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل أن يكون
الخطاب في خاتمتكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها
عربية قريشية فطلبها من الله تعالى الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمي بهم عبد شمس وعبد مناف وعبد
قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما أولا عقابهما المقتدين بهما (أجيب) بأنه
تطرق في ذلك إلى الظاهر والافقار وى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس
وكان لا يعيها لها ولد فقال سمى عبد الحرث فإنه يعيها فسمته فعاش فكان ذلك من وحى
الشیطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب وروى عن ابن عباس
أنه قال كانت حواء تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيرهم الموت فأتاهما
ابليس فقال ان سركما أن يعيها لك ولد فسمياه عبد الحرث فسمياه فعاش وجاء في حديث خديجة
ابليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وهو قول كثير كجهاه وسعيد بن المسيب وهذا كما
قال البغوي ليس اشرا كافى العبادة ولا أن الحرث ربه ما فان آدم كان نياما معصوما من الشرك
ولكن قصد الى أن الحرث كان سبب نجاته الولد وسلامته أمته وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به
أنه مخلوق كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا كما راجل اذ انزل به ضيف يسمى
نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر
وانى لعبد الضيف ما دام ناويا * ولا شيعلى بعد هاتشبه العبد

ونقول للقبير أتعبدك قال الرازى ورأيت بعض الافاضل كتب على عنوان عبده ودود فلان
وقال يوسف عليه السلام اعز بزمصراته بى ولم يرده معبوده كذلك هذا فقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون ابتداء كلام وأريد به اشراك أهل مكة وقرأ نافع وشعبة شركا بكسر
السين وسكون الراء وألف منونة بعد الكاف في الوصل وفي الوقف بغير تنوين أى شركا

والباقون بضم الشين وفتح الراء وبعد الكاف ألف بعد هاء همز مفتوحة (فان قيل) المطاع ابليس فكيف يعبر بالجمع (أجيب) بأن من أطاع ابليس فقد أطاع جميع الشياطين هذا ان حلت هذه الآية على القصة المشهورة اما اذا لم نقل به فلا حاجة الى التأويل (ولا يستطيعون) أى الاصنام (لهم) أى لعابديهم (نصرا) أى لا تقدر على النصر لمن أطاعها وأعبدا ولا تضر من عصاها والمعبود الذى يجب عبادته يكون قادرا على ابطال النفع والضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يلقى بالعاقل أن يعبدها (ولا أنفسهم ينصرون) أى وهى لا تقدر أن تدفع عن نفسها مكر وهما فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها والاستغناء للتوبيخ ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى) أى الى الاسلام (لا يتبعوكم) أى لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية وتروا نافع يسكون التائب وفتح الباء الموحدة والباقون يفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة (سواء عليكم ادعوهم) الى الهدى (أم أنتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالتين لا يؤمنون وقبل الضمير تدعوهم للاصنام أى ان هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها أنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهى وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا الى أصنامهم واذالم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم الى الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال (ان الذين تدعون) أى تعبدون (من دون الله عباد) أى مملوك (أمثالكم) فهى لا تخلط ضرا ولا تنفعا (فان قيل) كيف وصفها بأنهم عباد مع أنها عباد (أجيب) بأن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاحتمت فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم بكنيتها لهم ولو بخلاف ذلك قال (فادعوهم فليستحيوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة ولم يقل فادعوهن فليستحيين وقال ان الذين لم يقل التى وبأن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين لانهم لما انحطوا بصورة الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم أن يكونوا أحباء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما انه لا يستحق بعضكم عبادة بعض فلم جعلتم أنفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة وأربابا ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالكم بقوله تعالى (ألهم أرجل يشون بها أم) أى بل (ألهم أيدى يطشون بها أم) أى بل (ألهم أعين يصرون بها أم) أى بل (ألهم أذان يسمعون بها) وهذا الاستفهام انكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم لانهم اذا لم يلق بالانسان العاقل أن يشغل بعبادة الاخس الادون الارذل ونظير هذا قول ابراهيم الخليل عليه السلام لا يله تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا نفى عنك شيا وقد تعلق بعض الجهال بهذه الآية فى اثبات هذه الاعضاء لله تعالى فقال ان الله تعالى جعل عدم هذه الاعضاء لهذه الاصنام دليلا على عدم الهيتها فلولى تكن هذه الاعضاء موجودة لله لكان عدمها دليلا على عدم الالهية وذلك باطل فوجب القول باثبات هذه الاعضاء لله تعالى (أجيب) بأن المقصود من هذه الآية بيان أن الانسان أفضل وأحسن حالا من الصنم لأن الانسان له رجل

ماشية ويد باطشة وعين باصرة وأذن سامعة والصم رجله غير ماشية ويده غير باطشة وعينه غير
مبصرة وأذنه غير سامعة فكان الانسان أفضل وأكل حلال من الصم فاشتهال الافضل الاكل
بجبال الاخس الاذن جهل فهو - ذاهو المقصود من ذكره - هذا الكلام لا مذهب اليه وهم هؤلاء
الجهال (قل ادعوا) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين ادعوا (شركاءكم) أى الى هلاكى (ثم كيدون)
قال الحسن كانوا يخوفونه صلى الله عليه وسلم بالهتهم فقال الله تعالى له قل لهم ادعوا شركاءكم
ثم كيدون أى ليظهر لكم أنهم لا قدرة لها على ابطال المضار الى توجبه وقرأ أبو عمر وبائبات الباء
وصلوا وقفا وهشام فيها وجهان الانبات والحذف وصلوا وقفا والباقيون يحذفونها وصلوا
وقفا * ثم تهكم عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (فلا تنظرون) أى فاعملوا في كيدي أنتم
وشركاءكم فانكم لا تقدرون على ذلك وعمل عدم قدرتهم على ذلك بقوله (إن ولي الله) الذى
يتولى حفظى ونصرى هو الله (الذى نزل الكتاب) المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة
فى الدين وهو القرآن (وهو) أى الله سبحانه (يتولى الصالحين) أى بنصره وحفظه فلا يضرهم
عداؤهم من عاداهم قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه من عاده
تعالى أن يتولى الصالحين من عبادته فضلا عن أنبيائه وفى هذا مدح للصالحين وأن من تولاه الله
تعالى يحفظه لا يضره شيء وعن عمر بن عبد العزيز أنه ما كان يدخل ولا دة شيئا فقبل له فيه فقال
ولدى ما أن يكون من الصالحين أو من الجهرمين فان كان من الصالحين فويله هو الله تعالى ومن
كان الله تعالى له وليا فلا حاجة له الى مالى وان كان من الجهرمين فقد قال الله تعالى فلن أكون
ظهير للمعبرمين ومن رده الله تعالى لم أكن مشغلا بهما (والذين تدعون من دونه) أى الله
(لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) أى فكيف أبالى بهم (فان قيل) هذه الاشياء قد
صارت مذكورة فى الآيات المتقدمة فى الفائدة فى تكثيرها (أجيب) بأن الاول مذكور على
جهة التقرير وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كأنه قيل
الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون
صالحة للالهية (وان تدعوهم) أى الاصنام (الى الهدى لا يسمعون) دعاءكم (وتراهم) يا محمد
(ينظرون اليك) أى يقابلونك كالناظر (وهم لا يصرون) لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من
يوأجه وقال الحسن المراد بهذا الشركون ومعناه ان تدعواهم المؤمنون المشركين الى الهدى
لا يسمعون دعاءكم لأن آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يصرون
أى يصائر فقههم * ولما بين تعالى أن الله هو الذى يتولاه وان الاصنام وعابديها لا يقدر
على الايداء والاضرار بين ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم فى معاملته الناس بقوله
تعالى (خذ العفو) أى اقبل الميسور من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل
قبول الاعتذار ويدخل فى ذلك ترك التشديد فى كل ما يتعلق بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضا
التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والغلظة قال تعالى ولو كنت قظا غليظ القلب
لا تقضوا من حولك وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تشفروا وقال

الشاعر خذ العفو مني تستدعي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل ما هذا قال لأدري حتى
أسأل ثم رجع فقال إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن ظلك (وأمر بالعرف) أي بالمعروف قال عطاء بلا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أي
فلا تقابلهم بالسفه وذلك مثل قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك سلام المتاركة
وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه
الآية وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متعصبا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسبئة السبئة ولكن يعفو ويصفح وعن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعفني بكم أرم الاخلاق وتعام بحسن
الافعال * قال أبو يزيد لما نزل قوله تعالى وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف يارب والغضب فقول (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ينزغك من
الشيطان نزغ) أي وسوسة وقوله تعالى (فاستعذ) أي فاستجد (بالله) جواب الشرط
وجواب الامر محذوف أي يدفعه عنك * (تنبيه) * احتج الطائون في عصية الانبياء بهذه
الآية وقالوا لولا أنه يجوز من النبي الاقدام على المعصية والذنب لم يحتج الى الاستعاذة
(وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول ان معنى هذا الكلام ان حصل في قلبك نزغ فاستعذ بالله
كما أنه تعالى قال لن أشركك لعبطن علك ولم يدل ذلك على أنه أشرك الثاني على تقدير أنه
لوحصل وسوسة من الشيطان لكن الله تعالى قد عصم قلب نبيه صلى الله عليه وسلم من قبولها
وشبابها في قلبه وانما القادح لو قبل صلى الله عليه وسلم وسوسة والآية لا تدل على ذلك وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان الا ومعته شيطان وفي رواية ما منكم من أحد الا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا ويا لك يا رسول قال وياي الا أن الله تعالى
أعاني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وفي رواية لكنه أسلم بعون الله فلقد أتاني فأخذت بحلقه
ولو لدعوه سليمان لاصبح في المسجد طريحا قال النووي يروي بفتح الميم وضمها فن ضمها معناه
فأسلم أنا من شره وقتته ومن فتحها فال معناه ان الثرين أسلم أي صار مسلما فلا يأمرني الا بخير
الثالث أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره أي واما ينزغك أي الانسان من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (انه سميع) للتول
(عليه) بالفعل وفي الآية دليل على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد الا اذا حضر في القلب العلم
بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى قال اذ كر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واستحضر معنى
الاستعاذة بقلبك وقلبك فاني عليم بما في ضميرك وفي الحقيقة القول الثاني بدون المعارف
القلبية هديم الفائدة والاثر (ان الذين اتقوا اذا مسهم) أي أصابهم (طيف) أي شئ لم تبهم
(من الشيطان تذكروا) عقاب الله وتوابه (فاذا هم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو والكسائي يماسا كنه بعد الطاء والباقون بألف بعد الطاء بعده هاهمة

مكسورة (واخوانهم) أى واخوان الشياطين من الكفار (يعدونهم) أى يعدهم الشياطين
(فى الغنى) أى يريدونهم فى الضلالة بالتزيين والحمل عليها (ثم لا يقصرون) أى لا يكفون عن الضلالة
ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر
وعرف ذلك فزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستتر فى ضلاله لا يتذكر ولا يعوى (وإذا لم تأتهم)
أى أهل مكة (بآية) أى بما اقترحوها كقولهم لنؤمن لك حتى تغير لنا من الارض ينبوعا
(قالوا لا اجتنبها) أى هلا نقول انهم عند نفسك كسائر ما تنفرونه فانهم كانوا يقولون ان هذا
الافك مفترى تقول العرب اجبت الكلام اختلقته واقبلته وأنشأته من عندك وهلا طلبتها
من ربك منزلة عليك مقترحة قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألو الايات
(انما أسع ما يوحى الى من دنى) أى ليس لى ان أقترح على ربي فى أمر من الامور انما انظر الوحي
فكل شئ أكرمنى به قلته والافا الواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الايتان بلك
المعجزات التى اقترحوها لا يقدح فى القرض لان ظهور القرآن على وفق دعوا معجزة بالغة باهرة
فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب
التعنت فذكر فى وصف القرآن ألفاظا ثلاثة أولها قوله (هذا بصائر من ربكم) أى هذا القرآن
فيه حجة وبرهان وأصل البصائر الابصار وهو ظاهر والشئ حق يصبره الانسان ولما كان القرآن
سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة فهو من باب
تسمية السبب باسم المسبب وثانيها (وهدى) أى وهو هدى وثالثها (رجعة) أى وهو رجعة (لقوم
يؤمنون) فان قيل ما الفرق بين هذه المراتب الثلاث (أجيب) بأنهم متفاوتون فى درجات
العلوم فبهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كل شأدهوهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم
أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق القسم الاول وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى
وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رجعة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وأنصتوا) أى عن الكلام (لعلكم ترجعون) أى لى يرجعكم بكم بآياتكم ما أمرتم به من أوامره
واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فذهب قوم الى أنها نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها
فأمروا بالاستماع لقراءة الامام والانصات وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم كانوا يتكلمون
فى الصلاة بجوامعهم فأمروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت فى ترك
الجهل بالقراءة خلف الامام وروى زيد بن أسلم عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع
الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون
اصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود أنه سمع ناسا يقرؤن مع
الامام فلما انصرفوا قال اما أن لكم أن تنفقوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم
الله وهذا قول الحسن والزهرى ان الآية نزلت فى القرآن فى الصلاة وقال سعيد بن جبيل بن خطاء
ومجاهدان الآية نزلت فى الخطبة أمروا بالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد

العزيز الانصات لكل واعظ وقيل معناه واذا اتل عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له
 وأنصتوا وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تتجاوزوه قال البغوي والاقول أو لاها وهو أنها
 في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة قال البيضاوي وظاهر اللفظ يقتضي
 وجوب ما حدث بقراء القرآن مطلقا وعمامة العلماء على استحباب ما خارج الصلاة واحتج به من
 لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف اهـ أي مردود بخبر الصحابين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها
 بفاتحة الكتاب وقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) عام في الازكار من القراءة والدعاء وغيرهما
 والمراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة الله تعالى جل جلاله لأن الذكر باللسان إذا
 كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لأن الفائدة الذكروا للقلب واشعاره عظمة
 المذكور تعالى قال الرازي سميت به من الأكارب من أصحاب القلوب كان إذا أودأن يأمر
 واحد من المريدين بالخلو والذكر أمره أربعين يوما بالخلو والتصفية ثم عند استكمال هذه
 المدّة حصول التصفية الكاملة يقرأ عليه الأسماء التسعة والتسعين ويقول للمريد اعتبر
 حال قلبك عند سماع هذه الأسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوى تأثره وعظم تشوقه
 فاعلم أن الله تعالى انما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم
 بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب اهـ وقيل ذلك أمر للمأموم بالقراءة سرا
 بعد فراغ الإمام من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (تضرعا) أي تذلا
 (وخيفة) أي خوفا منه * (فائدة) انما قال تعالى واذكر ربك ولم يقل واذكر الهك ولا غير ممن
 الأسماء وانما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا وأضاف نفسه اليه وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة
 والتقريب والفضل والاحسان والمقصود منه أن يصير العبد فرحا مسرورا مبهتجا عند سماع
 هذا الاسم لأن لفظ الرب مشعر بالترية والفضل وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد أقسام انعام
 الله تعالى عليه وبالحققة لا يصل عقله الى أقل أقسامه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
 فعند انكشاف هذا المقام في القلب يتقوى الرجاء فاذا سمع بعد ذلك قوله تضرعا وخيفة عظم
 الخوف وحينئذ يحصل في القلب موجبات الرجاء وموجبات الخوف وعنده يكمل الايمان كما
 قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وهذا جرى عليه بعضهم في حالة
 الصحة فيكون الخوف والرجاء مستويان والذي جرى عليه الغزالي وهو التحقيق أنه ان قوى
 رجاءه يتقوى جانب الخوف والعكس بالعكس وأما حال المرض فيكون جانب الرجاء أرجح وعن
 أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
 تجدك قال أرجو الله يا رسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
 في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف (ودون الجهر من القول)
 أي ومثلكما كلاما فوق السر ودون الجهر أي قصدا بينهما فإنه أدخل في الخشوع والاخلاص
 (بالقدوة) جمع غداة وقيل انه مصدر (والأصال) جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر الى الغروب
 وانما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو آخر الموت الى

البقطة التي هي كالحياة فاستحب له أن يستقبل حالة الاتهام من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكريات أن يكون أول أعماله ذكر الله تعالى وأما وقت الاتصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب الذكر لأنهم حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى (ولا تكن من الضالين) عن ذكر الله وقيل إنما خص بالذكر لأن الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة واستحب للعباد أن يذكر الله تعالى فيهما ليكون في جميع أوقاته مستغلاً بما يقربه إلى الله تعالى من صلاة وذكر وقيل إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب فاستحب له الذكر فيهما ليكون ابتداء عمله بالذكر وختامه بالذكر (إن الذين عند ربك) أي الملائكة المقربين بالفضل والكرامة (لا يستكبرون) أي لا يتكبرون (عن عبادته) لأنهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه (ويسجدون) أي وينزهونه عن جمع النقائص ويقولون سبحان الله ربنا (وله يسجدون) أي ويخضعون له بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وفي هذا إشارة إلى أن الأعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فأعمال القلوب هي تنزيه الله تعالى عن كل ما سواه وهو الاعتقاد القلبي بعبادته بقوله ويسجدون وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم وعن معدان قال سألت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حدثني حديثاً يفتخى الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وعن عبد الله بن عروة رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وتسجد معه حتى ما يجذب بعضنا موضعاً لمكان جبهة في غير وقت صلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار والحديث الذي ذكره البيضاوي تعالى مختصراً وهو من قراءة سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترًا وكان آدم شقيعاً له يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الانفال مدنية﴾

وقيل الا واذ يكره الذين كفروا الايات السبع فكية وهي خمس أو سبع وسبعون آية وألف وخمسة وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفاً

(بسم الله) الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم جميع خلقه بنعمه المتواترة (الرحيم) الذي خص من أراد من عبادته بما يرضيه فكان حامده وشاكره (يستأنسون) بأشرف الخلق يا محمد (عن الانفال) أي الغنائم لمن هي وكيف مصرفها وانما سميت الغنيمة

قتلا لانها عطية من الله تعالى وفضل منه كما يسمى به ما بشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة
 على سهمه (قل) يا محمد لهم (الانفال لله والرسول) يحولها حيث شاؤا وكثر المفسرين ان سبب
 نزولها اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم فقال الشبان هي لنا لا بابشرنا القتال وقال
 الشيوخ كآردا لكم ولوانكسفتهم لغنتم البنا فزت وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لمن كان له غناء وهو بفتح الغين المحجمة والمد النفع أن ينقله فصار شباينهم حتى قتلوا سبعين
 وأسر واسبعين ثم طلبوا انقلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
 الرايات كآردا أي عونا لكم وفيه تمايزون البنا فزت فقصمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بينهم على السواء وراه الحاكم في المستدرکة وعن عباد بن الصامت نزلت فينا معاشر أصحاب
 بدر حين اختلافنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا فزعه الله من أيدينا فجعله رسوله صلى الله عليه
 وسلم فقصم بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واصلاح ذات البين وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه قال لما كان يوم بدر وقتل
 أخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه وأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واستوهبته منه فقال هذا ليس لي ولالك اطرحه في القبض وهو يفتحين ما قبض من الغنائم
 فطرحته وبني ما لي به الا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سبلي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
 الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي اذهب
 لخذته وقيل انه نزلت فيما يصل من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو
 للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء واختلفوا هل هذه الآية منسوخة أولا فقال مجاهد
 وعكرمة هي منسوخة بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول الآية فكانت
 الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم فقسمها الله تعالى بالخمس وقال بعضهم هي ناهية من وجه
 ومنسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرايع انبيائهم
 وأباحها الله تعالى بهذه الآية لهذه الامة وجعلها ناهية لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس
 وقال عبد الله بن زيد بن أسلم هي ناهية غير منسوخة وعنى الآية قل الانفال لله وللرسول
 يرضيها حيث أمر الله تعالى وقدين الله تعالى مصارفها في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان
 لله خمسة الآية (فان قيل) ماعنى الجمع بين ذكر الله والرسول (أجيب) بأن معناه أن حكم
 الغنيمة مختص بالله ورسوله بما أمر الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول صلى الله
 عليه وسلم أمر الله تعالى فيها وليس الامر في قسمها مقروضا الى رأى أحد (فأتقوا الله) بطاعته
 واتركوا محالته واتركوا الخاصة والمنازعة في الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) أي وأصلحوا
 الحال فيما بينكم بالمودة وترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطعوا الله ورسوله)
 فيما يأمركم به وينهاكم عنه (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الايمان بقضية ذلك (انما للمؤمنون)
 أي الكاملون في الايمان (الذين اذا ذكر الله) أي وعبدوه (وجلّت) أي خافت وخضعت وورقت
 (قلوبهم) أي أن المؤمن انما يكون مؤمنا كاملا اذا كان خائفا من الله تعالى وتطيره قوله

تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون (فان قيل)
 انه تعالى قال هنا وجلت قلوبهم وفي آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما
 (أجيب) بأنه لا منافاة بينهما لأن الوجه هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من اليقين
 وشرح الصدر بعرفة التوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد اجتمع في آية واحدة وهي قوله
 تعالى فقتلهم منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند رجاء ثواب
 الله وقال أهل التعقيب الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الحلال
 والعظيمة وهو خوف الخواص لانه تعالى غنى بذاته عن كل الموجودات ومساواة من المخلوقات
 محتاجون اليه والمحتاج اذا حضر عند الملك الغنى هابه وخافه وليست تلك الهيبة من العقاب
 بل مجرد علمه بكونه غنيا عنه وكونه محتاجا اليه . يوجب تلك المهابة وذلك الخوف وأما العصاة
 فيخافون عقابه والمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر معرفته (واذا ثبت عليهم آياته
 زادتهم ايمانا) أى تصديقا وقينا لأن زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه
 الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت عنده الدلائل
 أكثر وأقوى كان أنيد ايمانا لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزيل الشك ويقوى اليقين
 فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لو وزن
 ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند
 الله ولما كانت التكليف متوالية في زمنه صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف كانوا
 يزدادون تصديقا واثارا ومن المعلوم أن من صدق انسا في شيئين كان أكثر من يصدق في شئ
 واحد فقوله تعالى واذا ثبت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أو
 باقرا جديدة فكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق (فان قيل) ان تلك الآيات لا توجب الزيادة
 وانما الموجب هو سماعها أو معرفتها (أجيب) بأن ذلك هو المراد من الآية واختلاف أهل
 الايمان يقبل الزيادة والنقصان أولا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا
 يقبل الزيادة ولا النقصان والذين قالوا انه مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل قالوا يقبل
 الزيادة والنقصان واحتجوا بهذه الآية من وجهين الاول أن قوله تعالى زادتهم ايمانا يدل على
 أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
 قبل النقص الوجه الثانى انه تعالى ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال
 بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخله في معنى الايمان
 وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون
 شعبا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعب من الايمان
 فى الحديث دليل على أن للايمان أدنى وأعلى فيكون قابلا للزيادة والنقص وقال عمر بن
 حبيب ان للايمان زيادة ونقصا فيقبل له فإما زيادة وما نقصانه فقال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك
 زيادته واذا سهرنا وغفلنا فذلك نقصانه ~~وكتب~~ عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان

للإيمان فرائض وشروط وحدودا وسنن فان استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها
 لم يستكمل الايمان * ثم وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بصفة أخرى ثالثة وهي الانكسار عليه
 بقوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون جميع أمورهم اليه لا يرجون غيره ولا يخافون
 سواه لأن المؤمن اذا كان واقفا بوعده الله تعالى ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره
 وهذا الحال مرتبة عالية ودرجة شريفة وهي ان الانسان بحيث يصير لا يفتنى له اعتقاد فى أمر
 من الأمور الا على الله تعالى وهذه الصفات الثلاث مرتبة على أحسن صفات الترتيب فان
 المرتبة الاولى هي الوجل عند ذكر الله والمرتبة الثانية هي الانقياد لمقامات تكاليفه والمرتبة
 الاخيرة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنى بالكلية
 عما سوى الله ثم ان هذه المراتب الثلاث أحوال معتبرة فى القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى
 رعاية أحوال الظاهر فقال (الذين يقيمون الصلاة) أى الذين يؤدونها بحجة وقها (ويعمارون زقاها)
 أى أعطيناهم (يتفقون) فى طاعة الله لأن رأس الطاعات المعبرة فى الظاهر ورؤسها بذل
 النفس فى الصلاة وبذل المال فى مرضاة الله ويدخل فى ذلك صلاة القرض والنفل والزكاة
 والصدقات والاتفاق فى الجهاد والاتفاق على المساجد والقناطر ثم قال تعالى (أولئك) أى
 الموصوفون بهذه الصفات الخمسة (هم المؤمنون - ق) لانهم حققوا ايمانهم بأن ضمو اليه مكارم
 أعمال القلوب من خشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى المعيار عليها
 وهي الصلاة والصدقة وحقا مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقوله هو
 عبد الله حقا أى أحق ذلك حقا * (تنبيه) * اختلف العلماء فى أنه هل للشخص أن يقول أنا مؤمن
 حقا ولا فقال أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء
 الله تعالى ولا يقول أنا مؤمن حقا وقال أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول
 أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول ان شاء الله تعالى واستدل للاول بوجوه الاول أن قوله
 أنا مؤمن ان شاء الله تعالى ليس على سبيل الشك ولكن الشخص اذا قال أنا مؤمن فقد مدح
 نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله تعالى زال ذلك العجب
 وحصل الانكسار له الثانى ان الله تعالى ذكر فى أول الآية ما يدل على الحصر وهو قوله تعالى
 انما المؤمنون هم كذا وكذا وكلمة انما تنقيد الحصر وذكر فى آخر الآية قوله تعالى أولئك هم
 المؤمنون حقا وهذا أيضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الآية على هذا المعنى ثم ان الانسان لا يمكنه
 القطع على نفسه بمحصل هذه الصفات الخمس فكان الاولى له أن يقول ان شاء الله تعالى وهن
 الحسن أن رجلا سأل أم مؤمن أنت فقال الايمان ايمانان فان كنت نسأتنى عن الايمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن بها وان
 كنت نسأتنى عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري
 أنا منهم أم لا وقال سفيان الثورى من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة
 فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه أى كمال الانقطاع أنه من أهل الجنة قطعا فلا ينقطع

أنه مؤمن حقا الثالث أن قوله أنا مؤمن ان شاء الله تعالى للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وأنا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي بأنه لاحق بأهل القبور الرابع أن المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله تعالى فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخامسة الخامسة أن ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع الا ترى أنه تعالى قال لا تدع صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وهو تعالى منزوع عن الشك والريب فثبت أنه تعالى اغنا ذلك تعليمه لعباده فالاولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تقويض الامور الى الله تعالى حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الايمان واستدل الثاني بوجهين الاول أن المتحرك يجوز أن يقول أنا متحرك ولا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذا هذا الثاني أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا فكان قوله ان شاء الله بوجوب الشك فيما قطع الله تعالى لهم به وذلك لا يجوز وأجاب الاول عن قولهم المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله تعالى بالفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا كاذبا الايمان يتوقف حاله على الخامسة والحركة فعل للانسان نفسى فحصل الفرق بينهما وعن قولهم انه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا لحكمهم بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا تلك الاوصاف الخمسة على الحقيقة ونحو ذلك فثبت حينئذ أن الصواب مع أصحاب القول الاول (لهم) أي للموصوفين بتلك الصفات (درجات) أي منازل في الجنة (عند ربهم) بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تفاوت منازلهم في الجنة على قدر أعمالهم قال عطاء درجات الجنة يرتفعون فيها بأعمالهم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في احدا هم لوسعهم (ومغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده (فان قيل) أليس المفضل اذا علم حصول الدرجات لعالية للفاضل وحرمانه منها فانه يتألم قلبه وينقص عينه وذلك يجعل كون الثواب رزقا حسنا (أجيب) بأن استغراق كل أحد في سعادته الحاضرة تمنعه من حصول النظر الى غيره وبالجمله فأحوال الآخرة لاتناسب أحوال الدنيا الا بالاسم وقوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقتضي تشبيه شيء بهذا الخارج واختلاف في تقدير ذلك فقال المبردة قد بره الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى القتال وان كانوا كارهين له قال الرازي وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة في هذا الموضوع وقال عكرمة تقديره فاقول الله واصطوا ذات يمينكم فان ذلك خير لكم كما أن اخراج محمد من بيته خير لكم وان كره فريق منكم وقال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يمجادلونك في الحق والتقدير كما أخرجك

ربك من بينك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم بكرهون القتال ويجادلونك فيه وقبل
الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك ربك وقبل الكاف بمعنى اذ تقديره واذا كر
اذا اخرجك ربك من بينك بالحق (وان فريقا من المؤمنين لا كارهون) الخروج والجملة حال من
كاف اخرجك وقبل كما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحالة في كراهتهم لها مثل اخرجك في حال
كراهتهم وقد كان خبر الهم فكذلك هذه أيضا وذلك ان أباسفيان قدم بعير من الشام في أربعين
واكبا منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة فأخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأجمعهم لقي العير لكثرة المال وقلة العدد فلما سمع
أبوسفيان بعير النبي صلى الله عليه وسلم اليه استأجره ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه الى مكة
وأمره أن يأتي قريشا فيستغفرهم ويخبرهم أن محمدا وأصحابه قد خرجوا العيرهم فخرج ضمضم
سريعا الى مكة وكانت عاتكة أخت العباس بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة ثلاث ليال
رأت رؤيا فالتقت لأخيها العباس اني رأيت عجبارأيت راسكبا أقبل على بعيره حتى وقف
بالابطن ثم صرخ بأعلى صوته ألا انقروا يا آل غدر لما راكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا
عليه ورأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ حفرة من الجبل ثم حلق بها وري أي رمى بها الى
فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الحفرة فقال العباس اكتمها فلا تدكرها
لاحد ثم خرج العباس فاتي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان صديقه فذكرها له
واستكتمه فذكرها الوليد لابي له عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس
فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في رهط من قريش قد وعدت بعتون رؤيا عاتكة فلما
رأني أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل علينا قال فلما فرغت من طوافي
أقبلت حتى جلست معهم فقال أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه القصة فيكم قال
وماذا قال الرؤيا التي رأيت عاتكة قلت وما رأيت قال يا بني عبد المطلب أما رضىتم ان تتبأ رجالكم
حتى تتبأ نسائكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انقروا في ثلاث فنتربص بكم الثلاث فان
يك ما قالت حقا فسيكون وانقض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم اكذب
أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان في اليه كبير أمر الا أني جددت ذلك وأنكرته ان
لا تكون عاتكة رأيت شيئا ثم ففرقنا فلما أصيبت لم تبقى أمرأة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت
أفررتي لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عنده
غيره لشيء مما سمعت قال قلت والله ما كان مني البسه من شيء وايم الله تعالى لا تعرض له فان عاد
لا كفيتمكنه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى ان قد فأتني
منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت قال فوالله اني لامشي نحوه لا تعرضه
ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان أبوجهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد
النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتمه قال قلت ماله لعنه الله كان هذا فرقامني أن أشاتمته قال
فاذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يطن الوادي واقفا على بعيره وقد سول

رحله وشق قبضه وهو يقول يا معشر قريش هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد
 وأصحابه فنأدى أبو جهل فوق الكعبة يأهل مكة النجاء النجاء وهو بالمذلة الاسراع منصوب على
 الاغراء أى الزموا الاسراع على كل صعب وذلول أى أسرعوا مجتمعين ولا تفتقروا لان تحتاروا
 للركوب ذلولاً ودون صعب غيركم أموالكم ان أصابهم محمد لان تفلحوا بعدها أبداً فخرج أبو جهل
 بجميع أهل مكة وهم النفر في المثل لافي العير ولا في النفر في قيل له ان العير أخذت طريق الساحل
 ونجت فارجع بالناس فقال والله لا يكون ذلك أبداً حتى تضر الحزور ونشر الحزور وقيم القينات
 والمعازف يسدر فيتسامع جميع العرب بخبرنا وأن محمد لم يصب العير فاقاد أعضاءه فغنى
 بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومافى السنة ونزل جبريل عليه السلام
 وقال يا محمد ان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم
 وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
 اليكم أم النفر قالوا بل العير أحب اليان لقاء العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم ردد عليهم وقال ان العيرة لعضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله
 عنهما فأحسن الكلام وأمالاه الى المضى الى العدو ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فاقض
 فوالله لو سرت الى عدن أبين وهى مدينة معروفة باليمن وأبين يوزن أبيض اسم رجل من حجر عدن
 بها أى أقام ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المتقصد ابن عمرو يا رسول الله امض لما
 أمر الله فانامعك حيمماً أحببت لا تقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
 اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم
 قالوا له حين يابعموه على العقبة انابراً من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الى ديارنا فأت
 فى ذمامنا غنمك مما تمنع منه ابناؤنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف ان تكون
 الانصار لا ترى عليهم نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لك انك تريدنا
 يا رسول الله قال أجل قال قد أنصبتك وصدقتك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك
 على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالله الذى بعثك
 بالحق نبياً لو اسئمت من هذا البحر غنمته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
 ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك من مائة مقربة
 عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد رضى الله عنه
 قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم ان الله وعدهم
 الى مصارع القوم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن
 أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريدنا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا
 مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عرفو الذى بعثه

بالحق نبيا ما أخطأ الحد ودالتى حدته رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على
 بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم
 ما وعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر كيف تكلم أجساد الأرواح
 فيها فقال ما أنتم اسمع لما أقول لهم منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا وروى أنه قيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر علمك بالعباديس دونها شيئا فناداه العباس وهو في
 وثاقه أي قيده وكان العباس حينئذ أسورا مقيدا لا يتكلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال
 لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكأنك الكراهة من بعضهم لقوله تعالى
 وإن فرى بقاء من المؤمنين لكارهون (يحجاد لوليك في الحق) أي القتال (بعد ما تبين) أنك لا تصنع شيئا
 إلا بأمر ربك (كما تباسبون إلى الموت وهم يتظرون) إليه أي يكرهون القتال كراهة من
 من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وذلك أن المؤمنين لما يقبضوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم
 يعلمنا أن تأتي العدو فتستبدلناهم - وإنما خرجنا لطلب العباد ذروى أنهم كانوا راجلة وما كان
 فيهم إلا فارسان وفيه إيماء إلى أن مجادلهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم (وإذ) أي وإذ كراذ
 (بعدكم الله إحدى الطائفتين) أي العبراء والنضير وأحدى ثانی مقعولى بعدكم وقد أبدل منها
 (أنهم ألكم) بدل اشتمال (وتؤذون) أي يزيدون (أن غير ذات الشوكه) أي القوة والشدة
 والسلاح وهى العبر (تكون لكم) لقلة عددها وعددها اذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا بخلاف
 النضير لكثرة عددهم وعددهم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء فى التاء بخلاف عنه (ويريد الله أن
 يحق الحق) أي يظهره (بكلماته) أي بآياته المنزل في محاربة ذات الشوكه وبما أمر الملائكة
 من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم فى قلب بدر (ويقطع دابر الكافرين)
 أي يستأصلهم والمعنى أنكم تزيدون أن تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكرها والله يريد أعلو الدين
 وإظهار الحق وما يحصل لكم من فوز الدارين (ليحق الحق) أي يثبت الاسلام (ويبطل الباطل)
 أي يجمع الكفر (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك (فان قيل) قوله تعالى ليحق الحق
 بعد قوله أن يحق الحق يشبه التكرار (أجيب) بأن المعنيين متباينان وذلك أن الاول
 لبيان المراد وما بينه وبين مراده من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حل الرسول على
 اختيار ذات الشوكه على غيرها ونصره عليها (إذ) أي وإذ كراذ (تستغيثون ربكم) واستغاثتم
 أنتم - لم أعلموا أن لا يحصى عن القتال أخذوا يقولون ربنا انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث
 المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى
 أصحابه وهم ثلثمائة أي وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتني
 اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض كما زال كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر
 رضى الله تعالى عنه فألقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك منا شدة ربك
 فإنه سينجز لك ما وعدك وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار زال إذ عند التاء
 والباقون بالادغام (فاستجاب لكم أنى) أي بأنى تخذف الجارة وسط عليه استحباب فنصب محله

(عنه) ثم بألف من الملائكة مرفعين) أي متتابعين يردف بعضهم بعضاً وقرأ نافع بفتح الدال وقيل بالفتح والكسر والباقون بالكسر وعددهم بالالف أو لاثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف كما في آل عمران فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وميكائيل عليه السلام على الميسرة وفيها علي رضي الله تعالى عنه في صور الرجال عليهم عثمان بن عفان ويزيد بن أبي سفيان قد أذنابهم أبين أكافهم فقاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين وروى أن أبا جهل قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لأنهم وروى أن رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في طلب رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك وقد ختر مستلقياً وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يوم بدر سبعين وأسر واسمعيين وعن أبي داود المازني تبع رجل من المشركين لأضرب به يوم بدر فوق رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سبني وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال لقتلوا يوم بدر وأن أحدنا ليسر بسيفه إلى المشرك فتقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وقيل أنهم لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويشتون المؤمنين والخلق واحد كافي أهل الدنيا كلهم فأن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد عود وقوم صالح عليه السلام بصيحة واحدة وقيل يدل على هذا قوله تعالى (وما جعله الله إلا بشري) أي وما جعله إلا رداً فبالملائكة إلا بشري أيكم (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجع اقلتكم وذلكتكم والعصم أنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواها لما تقدم (وما النصر إلا من عند الله) أي لا من عند غيره وأما أعداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها فهي وسائط لا تأثر لها فلا تحسبوا أن النصر منها ولا تأتوا سوا منه ببقدها وفي ذلك تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل إلا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فإن الله تعالى بيده النصر والاعانة (إن الله عزيز) أي أنه تعالى قوي متباعد لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يهزم كل شيء ويغلبه (حكيم) في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده (إذ) أي واذا كراذ (نقشاً) أي النعاس وهو النوم الخفيف (أمنة) أي أمناً مما حصل لكم من الخوف من عدوكم (منه) أي من الله تعالى لأنهم لما خافوا على أنفسهم كثرة عددهم وعددهم وقله المسايين وقله عددهم وعطشوا وعطاش شديدوا إلى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم كان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيها بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله إليهم وقدره وأعلى دفعه عنهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما النعاس في القتال أمنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وقرأ نافع بضم الياء وكسر الشين محففة وابن كثير وأبو عمر وفتح الياء والشين مع التخصيف فيهما والباقون بضم الياء وكسر الشين مشددة ورفع الشين من النعاس ابن كثير وأبو عمر ونصبها

الباقون على أن الله تعالى هو القاعل (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) أي من الاحداث والجنابات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقيون يفتح الذون وتشديد الزاي وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعقر تسوخ فيه الاقدام وجوافر الدواب فناموا فاحتمل أكثرهم وكان المشركون قد سبقوهم على ما بدر فزفروا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان أو قال لهم المنافقون تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محمد بن فكيكف ترجون أن تظهر رواعي عدوكم وما يتظرون بكم الآن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيةكم الى مكة فخر نواحرنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله تعالى مطرا أسال منه الوادى فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الدواب وملوا الاسقية وطفئوا الغبار وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر وزالت عنهم وسوسة الشيطان كما قال تعالى (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسة الشيطان التي ألقاها في قلوبكم وقيل الجنابة لانها من تخيله (فان قبيل) يلزم على هذا التكرار فان هذا تقدم في قوله تعالى ليظهركم به (وأجيب) عنه بأن المراد من قوله تعالى ليظهركم به حصول الطهارة الشرعية ومن قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان ان الرجز هو عين المني فانه شيء مستغيب وطابت أنفسهم كما قال تعالى (وليربط) أي يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام كما قال تعالى (ويثبت به الاقدام) أي أن تسوخ في الرمل والضمير في به للماء ويجوز كما قال الزمخشري أن يكون للربط لان القلب اذا تمكنت فيه الصبر والجراة ثبتت الاقدام في مواطن القتال وقوله تعالى (اذ يوحى ربك) متعلق بثبت أو بدل من اذ يبعثكم (الى الملائكة) أي الذين أمتهبهم المسلمين وقوله تعالى (انني) أي بأنني (معكم) أي بالعون والنصرة مفعول يوحى (فتمتوا الذين آمنوا) أي قوا وقلوبهم بأن تقاتلوا المشركين معهم وقيل بالتبشير والاعانة فكان الملك يشي في صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا فان الله تعالى ناصركم عليهم فانكم تعدونه وهؤلاء لا يعدونه وقيل بالقائه الالهام في قلوبهم كما أن للشيطان قوة في القواوسوسة في قلب ابن آدم بالشرو يسمى ما يلقيه الشيطان وسوسة وما يلقيه الملك الهام ثم بين تعالى المعية بقوله تعالى (سألقى في قلوب الذين كفروا والرعب) أي الخوف فلا يكون لهم ثبات وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألقي الخوف في قلوب المشركين وقرأ ابن عامر والكسائي برفع العين والباقيون بالسكون وقوله تعالى (فاضربوا) خطاب للمؤمنين وللملائكة (فوق الاعناق) أي أعاليها التي هي المذايح والمفاصل والرؤس فانها فوق الاعناق وقيل المراد الاعناق وفوق صلبة أو بمعنى على أي اضربوا على الاعناق (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف والبنان جمع بنانة وهي أطراف الاصابع من اليسدين والرجلين وقال ابن

الامارى كانت الملائكة لاتعلم كيف تقايل بنى آدم فعلمهم الله تعالى فقبل انما خست الرأس
 والبنان بالذكر لان الرأس أعلى الجسد وأشرف الاعضاء والبنان أضعف الاعضاء فمدخل
 في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وبه هلاك الانسان وبضرب البنان
 وبه تبطل حركته عن القتال لان البنان يتمكن من مسك السيف والسلاح وحمله والضرب
 به فاذا قطع بنانه تعطل ذلك كله (ذلك) أى التسليط العظيم الذى وقع من القتل والاسير يوم بدر
 والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أول كل أحد (بأنهم) أى الذين تلبسوا بالكفر (شاقوا الله)
 الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى خالفوه ما فى الاوامر والنواهي والمشاقة المخالفة
 وأصلها الجبانة صكانهم صاروا فى شق وجانب غير الذى يرضاه (ومن يشاقق الله ورسوله
 فإن الله شديد العقاب) له فإن الذى أصابهم فى ذلك اليوم من الامر والقتل شئ قليل فى جنب
 ما أعد الله تعالى لهم من العقاب يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم) خطاب للكفرة على
 طريق الانذارات من الغيبة فى شاقوا أى ذلكم الذى يجعل لكم يسر من القتل والامر
 (فدوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) آجلا فى الآخرة (عذاب النار) ووضع الظاهر فيه موضع
 المضمر للدلالة على أن الكفر سبب للعاجل والآجل (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
 زحفا) أى مجتنبين صكانهم لكن كثرتهم ينحرفون أى يدبون ديبا من زحف الصبي اذا دب على
 استه قايلا قليلا يسمى به وجمع على زحوف واتصاه على الحال وهو مصدر موصوف به كالعدل
 والرضا ولذلك لم يجمع (فلا تولوهم لادبار) أى منهزمين منهم وان كنتم أقل منهم (ومن يولهم
 يومئذ) أى يوم لقائهم (دبره) أى يجعل ظهره اليهم منهزما (الاستعفاف) أى منعظا (لقتال) بأن
 يهزم أنه منهزم خداعا ثم يكر عليهم وهو باب من مكاييد الحرب (أو تمهيرا) منضما وصائرا (الى فتنة)
 أى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفتنة التى هو فيها على القرب يستجدها ومنهم من لا يعتبر
 القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم الكفارون وفى رواية
 الكرارون أى المتعاطفون الى الحرب وأنافتكم وانهمز رجل من القادسية فأقى المدينة الى
 عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر أنا فئتكم
 (فقتلناه) أى رجع (بغضب من الله وما أواجهنهم وبئس المصير) أى المرجع هى وعن ابن عباس
 ان الفرار من الزحف من أكبر الكبائر هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الا أن
 خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا وقبل هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام
 يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فله مجاهد ولما انصرف المسلمون من قتال بدر كان
 الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى (فلم تقتلوهم) أى
 بقوتكم (ولكن الله قتلهم) أى بنصره اياكم بأن هزمهم لكم قال البيضاوى تبعا للزحف شرى
 والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان اقتحرتهم يقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اه ورده
 ابن هشام بأن الجواب المنفى لم لاندخل عليه الفاء واختلاف فى سبب نزول قوله تعالى

(وما رميت) يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) على ثلاثة أقوال الأول وهو قول أكثر المفسرين
 نزلت في يوم بدر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نذب إلى قتال بدر نزلوا بدرا ووردت
 عليهم رواد قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الجحاح وأبو يسار غلام لبني العاصي بن ساعد
 فأبواهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما أين قريش فقالا لهم وراء هذا الكتيب
 الذي بالعدوة القصوى الكتيب العققل وهو الكتيب العظيم المتداخل الرمل قاله
 الجوهري فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم فالأكثر قال ما عدتهم فالأندري
 قال كم ينحرون كل يوم فالأيوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
 ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش فالاعتبة بن ربيعة وشيبة
 ابن ربيعة وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام وعدا جماعة أخرى فقال صلى الله عليه
 وسلم هذه مكة قد ألفت اليكم أفلاذكدها فلما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة
 والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فأناها
 جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقي الجمعان قال لعلي رضي الله
 عنه أعطني قبضة من حصاء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهدت الوجوه أي فحقت فلم يبق
 مشرك إلا دخل في عينيه وفمه ومنغره فأنهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم والمعنى
 أن الرمية التي رميتها بلغ أثرها إلى ما لا يبلغه أثر البشر لكونها كانت برمي الله حيث أثرت ذلك
 الأثر العظيم لأن كفا من الحصاء لا يعلو عيون الجيش الكثير برمية البشر فأثبت الرمية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل
 الله تعالى فكان الله تعالى هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانهم لم توجد من الرسول صلى الله
 عليه وسلم أصلا القول الثاني أنها نزلت يوم خيبر روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو
 على باب خيبر فرمى سهمها فأقبل السهم حتى قتل لبابة بن أبي الحقيق وهو على فرسه فنزلت
 القول الثالث أنها نزلت في يوم أحد في قتل أبي بن خلف وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعظم رميم وقتله وقال يا محمد من يحيي هذه وهي رميم فقال صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم عييت
 ثم يحييت ثم يدخلك النار فأمرهم بدرفلما اقتدى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن عندي
 فرسا أعلفها كل يوم فرما من ذرة أقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك
 إن شاء الله تعالى فلما كان يوم أحد أقبل أبي بكر رضي الله عنه على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأخروا
 ورماء بحرية كسر ضلع من أضلاعه فأتى بعض الطريق فنزلت والاصم الأول والأدخل في
 أثناء القصة كلاما أجنيا عنها وذلك لا يليق وقال الرازي لا يعد أن يدخل تحتها سائر الوقائع
 لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ولكن الله قتلهم
 ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع الهاء من اسم الله فيهما والباقون بفتح النون مشددة
 ونصب الهاء وقوله تعالى (وليبلى المؤمنين منهن بلا حسنا) معطوف على قوله تعالى ولكن الله

ربي أي ولينهم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغلبة ثم حتم الله تعالى هذه الآية بقوله تعالى (إن الله
 جميع) لا قوالكم (عليهم) بأحوال قلوبكم وهذا جرى مجرى التهذيب والترهيب لكسلا يغتر العبد
 بطواه الأمور ويعلم أن الخالق تعالى يطلع على مافي القهار والقلوب وقوله تعالى (ذلكم)
 إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وقوله تعالى (وإن الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على ذلكم أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهم كيد الكافرين وإبطال
 حيلهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب الدال
 وقرأ حفص بسكون الواو وتخفيف الهاء وعدم تنوين النون وخفض الدال والباقون بسكون
 الواو وتخفيف الهاء مع تنوين النون ونصب الدال وقوله تعالى (إن تستقصوا فسدجاءكم الفتح)
 أكثر المفسرين على أنه خطاب للكفار روى أن أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم إنا كنا
 أقطع للرحم وأخبر فاهلكه الغداة وقال السدي أن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا
 باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلی الجندين وأهدى القبيلتين وأكرم الحزبين بأفضل
 الدين فأرسل الله تعالى هذه الآية أي أن تستنصر والاهدى القبيلتين ونسبة قصوا فسدجاءكم
 النصر والفضاء به لآل من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وقيل خطاب للمؤمنين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين وكثرة عددهم
 وعددهم استغاث بالله تعالى وطب ما وعده الله تعالى به من إحدى الطائفتين وتضرع إلى الله
 تعالى وكذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال تعالى أن تستقصوا أي أن تطلبوا النصر الذي
 تقدم به الوعد فسدجاءكم الفتح أي حصل ما وعدتم فاشكروا الله تعالى والزمو الطاعة قال
 القاضي عياض وهذا القول أولى لأن قوله تعالى فسدجاءكم الفتح لا يليق إلا بالمؤمنين اه وقال
 البيضاوي أنه خطاب لاهل مكة عن سبيل التهمك اه وبذلك قوله تعالى (وإن تنتهوا) أي
 عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) أي تضمنه سلامة الدارين
 وخير المتأخرين (وإن تعودوا) أي لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) أي لنصرته عليكم
 (ولن تغني) أي تدفع (عنكم فتكم) أي جماعتكم (شيئاً) لأن الله تعالى على الكافرين
 فيخذلهم (ولو كثرت) فتكم (وإن الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر
 وحفص بفتح الهمزة على ولأن الله تعالى والباقون بالكسر على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا)
 أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) أي تعزوا (عنه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة
 أمره فإن المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذ كر طاعة الله للتوطئة
 والتبسيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل
 الضمير للجهاد وأنتم تسمعون أي القرآن والمواظع سمعوا فهم ونصديق (ولا تكونوا كالذين
 قالوا سمعنا) أي بالسنتهم (وهم لا يسمعون) سمعاً يتفعون به وهذه صفة المنافقين (إن شر
 الدواب عند الله) أي أن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عنده (السم) عن سماع
 الحق (البكم) عن النطق بالحق فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) أمر الله وسماعهم دواب لقلة

الثناء بهم بعقولهم كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل قال ابن عباس هم نغم من بنى
عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب
اللواء ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسطي بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيراً) أى سعادة
كتب لهم أو اتقاعاً بالآيات (لا سمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) على سبيل الفرض وقد علم
أن لا خير فيهم (لتولوا) عنه ولم يتنفعوا به وارتدوا عن التصديق والقبول (وهم معرضون)
إعنادهم وبجودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أحى انما قصيا فإنه كان شيخاً مباركاً شهد لك بالنبوة فذو من بك فقال الله تعالى ولو أسمعهم كلام
قصي لتولوا وهم معرضون (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) أى أجبوا وها بالطاعة
ووحده الضمير في قوله تعالى (إذا دعاكم) لأن دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
وسلم روى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فجعل في صلاته
ثم جاء فقال له صلى الله عليه وسلم ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تجد فيما أوحى إلى
استجبوا لله وللرسول ويؤخذ من ذلك أن اجابته صلى الله عليه وسلم بالقول لا تقطع الصلاة
وهو كذلك بل ولا بالافعل الكثير كما قاله بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث أيضاً ولا كان اجتناء
غرة الطاعة في غاية القرب منه به على ذلك باللام دون إلى فقال (لما يحييكم) من العسوم الدينية
فإنها حياة القلوب والجهد موتها قال أبو الطيب

لا تنجب الجاهل حليته * فذا لميت وثوبه كفن

أروما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد وقال السدي هو الايمان لان الكافر
ميت فيجب ايا الايمان وقال ابن ابي عمير هو الجهاد أعزكم الله تعالى به بعد الذل وقال العتيبي هو
التمهدة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى أنه
يمسه فتقونه الفرصة التي هو واحد لها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه
وعمله وردده سليماً كما برده الله تعالى فاعنه واخذ الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
وقال الضحالي يحول بين المرء المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة وقال السدي يحول بين المرء
وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر الا باذنه وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل
ولا يدري ما يعمل وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به
فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبعين من أصابع الله يتقلبها كيف يشاء (وأنه) أى واعلموا
أنه تعالى (اليه تحشرون) لا إلى غيره فلا تتركوا مهمات معطين فيها زيكم بأعمالكم وفي هذا
تشديد في العمل وتحذير عن الكسل والعفلة (واتقوا فتنة) أى ذنبا قيل هو اقترار المنكرين
أظهرهم وقيل اقتراف الكرامة وقيل فتنة عذابا وقوله تعالى (لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة)
جواب الامر والمعنى ان أصابكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعميكم كما يحكي ان
علما بنى اسرا قيل لم ينهوا عن المنكر فعمهم الله تعالى بالعذاب (فان قيل) كيف جاز ان تدخل

التون المؤكدة في جواب الامر (أجيب) بأن فيه معنى النهي قوله أنزل عن الدابة
 لا تطرح ولا تطرح نفسك وكوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان
 (واعلموا أن الله شديد العقاب) لم خالفه (واذكروا) بامعاشر المهاجرين (أذ أنتم) في أوائل
 الاسلام (قليل) أي عددكم (مستضعفون) أي لا منسعة لتكم (في الارض) أي أرض مكة
 واطلاقها لأنها أعظمها كأنها هي الارض كلها أولان حالهم كان في بقية البلاد كما لهم فيها
 أو قرييما من ذلك ولهذا عبر بالناس في قوله تعالى (تحافون أن يخطفكم الناس) أي تأخذكم
 الكفار بسرعة كما تخطف الجوارح الصيد (فأولكم) إلى المدينة أو جعل لكم مأوى
 تحصنون فيه على أعدائكم (وأيدكم) أي قواكم (ينصرون) أي بامداد الملائكة يوم بدر وعظاهرة
 الانصار (ورزقكم من الطيبات) أي اغناكم أحلها لكم ولم يحلها الا حد قبلكم (لعلكم
 تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) أي بأن تفهموا وخلاف
 ما تظهرون روى انه صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فأتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم
 بأذرعات وأربحانم الشام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على
 حكم سعد بن معاذ فأتوا وقالوا أرسل النيا بلباية واسمه رفاعه أو مر وان ابن عبد المذرو كان
 مناصحنا لهم لان ماله وعياله عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا يا أبا لباية
 ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لباية بيده إلى حلقه انه الذبح أي حكم سعد هو
 القتل فلا تفعلوا فقال أبو لباية والله ما زال قد ماى من مكانها حتى علمت اني قد خنت الله
 ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة نفسه على سارية من
 سوارى المسجد وقال والله لا أدوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال ألم أوجاني لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب
 الله تعالى عليه فكثرت أيام لا يدوق طعاما ولا شرابا حتى خرم غشيا عليه ثم تاب الله عليه
 فتقبل له فكتب عليه ان يغفر له فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هو الذي يحلني فجاء فغلبه بيده فقال ان من غمنا نوبتي ان أهب رارقومي التي أصبت فيها الذنب
 وأنت أغفر من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فنزلت هذه الآية
 وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن جابر بن عبد الله ان أباسقمان خرج
 من مكة فعمل النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب رجل من
 المنافقين اليه ان محمد يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقيل معنى لا تخونوا الله بأن لا تعطلوا فرائضه
 ورسوله بأن لا تستنابوا وأصل الخون النقص كما ان أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد
 الامانة لضمينه اياه وقوله تعالى (وتخونوا أماناتكم) أي ما اتفتم عليه من الدين وغيره محذور
 بالعطف على الاول أي ولا تخونوا أروصوب بأن مضمر بعد الواو: على جواب النهي أي
 لا تجتمع عوابين الخياطين قوله * لانه عن خلق وتأتى منه له * (وأنتم تعلمون)

أنكم تحنونون أي وأنتم علماء مـ بزور الحسن من القبيح (واعلموا أنما أمواكم وأولادكم
 فتنة) أي محنة من الله تعالى ليلوكم فيهم فلا يحصواكم جهنم على الخيانة **ك**أي لبابة
 لانه يشغل القلب بالدنيا ويصيره حجابا عن خدمة المولى ثم انه تعالى نبه بقوله تعالى (وان الله
 عنده أجر عظيم) على ان سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لانها أعظم في الشرف
 وأعظم في القوة وأعظم في المدة لانها تبقى بئنا لانها لا يلهيها فهذا هو المراد من وصف الله الاجر
 الذي عنده بالعظم قال الرازي ويمكن أن يتسكن بهذه الآية في بيان ان الاشتغال بالتوافل
 أفضل من الاشتغال بالنكاح لان الاشتغال بالتوافل يفيد الاجر العظيم عند الله والاشتغال
 بالنكاح يفيد الولد ويوجب الحاجة الى المال وذلك فتنة ومعلوم ان ما يقضي الى الاجر العظيم
 عند الله هو خير مما يقضي الى الفتنة اه لكن محله في غير المحتاج الى النكاح الواحد أهبة
 والا فالنكاح حينئذ أفضل وأولى من التخلي للعبادة * ولما حذر الله تعالى عن الفتنة بالاموال
 والاولاد رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الاموال والاولاد بقوله
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي بالامانة وغيرها (بجعل لكم فرقا) أي هداية في
 قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يسترها ما دمتم على التقوى
 (ويغفر لكم) أي يمحو ما كان منكم غير صالح عنه وأثرا وقيل السيمات الصغائر والذنوب
 البكائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في أهل بدر وقد غفر الله تعالى لهم وقوله تعالى
 (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على ان ما وعد له لهم على التقوى بفضل منه واحسان وانه ليس
 مما توجب به تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمله * ولما ذكر سبحانه وتعالى المؤمنين
 بنعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل الى آخره عطف عليه قوله تعالى (واذ يكرهون
 الذين كفروا) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين
 عنه وهذه السورة مدنية وهذا المكر كان بمكة ولكن الله تعالى ذكره بالمدينة مكر قريش به
 حين كان بمكة ليس كنعمة الله تعالى عليه في نجاة من مكرهم واستيلائه عليهم وكان ذلك
 المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين ان قريشا أسلمت الانصار وباعوه فارقوا
 ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعت رؤسأهم كآبي جهل وعنه وشيبة
 ابني ربيعة وآبي سفيان وهشام بن عمرو وطبيعة بن عدى والنضر بن الحرث وآبي الجعري
 ابن هشام في دار الندوة ومشاورين في أمره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس لعنه الله
 تعالى في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن
 أحضركم ولن تعدوا مني رأيا ونجما قالوا ادخل فدخل فقال أبو الجعري رأي ان تحبوه
 في بيت ونسدت ابواب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرا به منها وتربصوا برب المنون
 حتى يهلك مثل ما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عبيد الله الجعدي وقال بش الرأى رأيت
 والله لئن حبستوه في بيت ليا تنيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم قالوا صدق الشيخ

النجدي فقال هشام بن عمرو رأي ان تحملوه على جبل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم
 ما صنع واسترحم فقال النجدي بنس الرأي تعمدون الى رجل قد افسد سيفه اكم فخرجوه
 الى غيركم فيفسدهم ثم تروا الى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه
 والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم ويخرجكم من بلادكم قالوا
 صدق والله الشيخ النجدي فقال أبو جهل لعنه الله تعالى والله لا نشيرن عليكم برأي لا رأى غيره
 اني أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل
 واحد فيمترق دمهم في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كما هم فاذا طلبوا العقل
 عقلناه واسترحنا فقال ابليس الملعون صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا القول ما قال لا رأى
 غيره فنفرتوا على قول أبي جهل مجمعين على قتله فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله
 تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علما رضى الله عنه
 فقام في مضجعه وقال له اتشح ببردق فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه
 وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل يثر التراب على رؤسهم
 وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله تعالى فهم لا يصرون ومضى الى الغار وهو أبو
 بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التي كانت بمكة عنده وكانت الودائع تودع عنده
 لصدقه واماته وبات المشركون يحرسون عليا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون
 انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا بادروا اليه فأرأوا عليا فقلوا له أين صاحبك
 فقال لأدري فاقصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار وأعلى بابة نسج العنكبوت فقالوا
 لو دخلنا لم تكن تنسج العنكبوت على بابك فحكيت فيه ثلاثا ثم قدم المدينة وأبطل الله مكرهم
 وهذا معنى قوله تعالى واذ يكرهك الذين كفروا (لَيْسَتُكَ) أي يوثقونك ويحبسونك (أو يقتلونك)
 كما هم قتل رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويكفرون) بك (ويكفر الله) أي يرد مكرهم عليهم
 بتدبير امره بأن أوحى اليك ما دبروه وأمر لبنا بالخروج الى المدينة وأخرجهم الى بدر وقل
 المسلمين في أعينهم حتى حلوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) أي أعلمهم به فلا يتقدم مكرهم دون
 مكره قال البيضاوي واسناد أمثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه
 من إيهام الذم اه واعترض عليه بأنه لا يتعين في مثل ذلك المشاكلة بل يجوز ان يكون ذلك
 استعارة لان إطلاق المكر على إخفاء الله تعالى ما وعد من استوجبه ان جعل باعتبار أن
 صورته تشبه صورة المكر فاستعارة أو باعتبار الوقوع في حجة مكر العبد فشاكلة وعلى هذا
 لا يحتاج كما قال الطيبي الى وقوعه في حجة مكر العبد قال ومنه قول علي رضي الله عنه
 من وسع الله تعالى عليه في دنياه ولم يعلم انه مكربه فهو مخدوع في عقله (وإذا تلى عليهم آياتنا)
 أي القرآن (قالوا) أي هؤلاء الذين اتهموا في أمره صلى الله عليه وسلم (قد سمعنا لو نشاء
 لقلنا مثل هذا) وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو اضطاعوا ذلك لقلعوه والافسادهم

لو كانوا استطعين وقرعهم بالهجز عشرين ثم فارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع
انفتهم وفرط استسكافهم أن يغلبروا خصوصا في باب البيان وقيل قاتله النضر بن الحرث
المقتول صبر الاله كان يأبى الحيرة تجبر فيستري كتب أخبار العجم ويحدث بها أهل مكة واسناده
الى الجميع اسنادا مفعلا لرئيس القوم اليهم فكانه كان فاضيههم وقد أمره المقداد يوم بدر فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيري يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله
وما لي ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك
فقال ذاك الذي أردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فأشدت أخته

ما كان ضرر لو مننت وربما * من الفتي وهو المغيظ المحنق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمنت عليه (أن) أي ما (هذا) أي
القرآن (الأساطير الأولين) أي أخبار الامم الماضية وأسماء قومهم وما سطر الأولون في كتبهم
والاساطير جمع أسطورة وهي المكتوبة من قولهم سطر أي كتبت وقيل أساطير جمع أسطور
وأساطير جمع سطر (وإذا قالوا اللهم ان كان هذا) أي الذي يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل
(من عندك) فأمر عليا بحجارة من السماء أو اتنا بعدذاب أليم) أي مؤلم على انكاره غير الحجارة قاله
النضر وغيره استنزاه وإيها ما أنه على بصيرة وجرم يطلانه وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال
لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما قالوا ان كان هذا هو الحق فأهدنا اليه (فان قيل) قد
حكى الله تعالى هذه المقالة عن الكفار وهي من حسن نظم القرآن فقد حصلت المعارضة
في هذا القدر وأيضا حكى عنهم أنهم قالوا في سورة بنى اسرائيل وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الآية وذلك أيضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن
وذلك يدل على حصول المعارضة (أجيب) بأن الاتيان بهذا القدر لا يكفي في حصول المعارضة
لانه كلام قليل لا تظهر فيه وجوه المعارضة والفصاحة والبلاغة لأن أقل ما وقع به التحدى سورة
أو قدرها قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم) أي بما سألوه (وأنت فيهم) أي لأن العذاب اذا
نزل عم ولم يعذب أمة إلا بعد خروجه نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)
أي وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المستضعفين وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه كان في هذه الأمة أمانان أما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة فاللفظ وان كان
عاما إلا أن المراد بعضهم كما يقال قدم أهل البلدة الفلانية على القتال والمراد بعضهم (ومالهم
أن لا يعذبهم الله) بالسيف بعد خروجه والمستضعفين فتق تعالى في الآية أنه لا يعذبهم مادام
الرسول والمؤمنون فيهم وذكر في هذه الآية أنه يعذبهم اذا خرجوا من بينهم وقال الحسن الآية
الأولى منسوخة بهذه ورد بأن الاخبار لا يدخلها التسخ واختلفوا في هذا العذاب فقال بعضهم
لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقبل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب

الآخرة والعذاب الذي نفي عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لاجله يعذبهم فقال (وهم
 يصدون) أي يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به وذلك
 عام الحديبية ونبه تعالى على أنهم يصدونهم لادعائهم أنهم أولياؤه فكانوا يقولون نحن ولاة البيت
 والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ثم بين تعالى بطلان هذه الدعوى بقوله تعالى (وما كانوا
 أولياءه) كما زعموا (إن) أي ما (أولياؤه الا المتقون) أي الذين يعجزون عن المنكرات الذين
 لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أن لا ولاية لهم
 عليه وكأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند وأراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
 (وما كان صلاتهم عند البيت) أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الأمكاه)
 أي مصفرا (وتصدية) أي تصفيقا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون
 ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في
 الطواف ويسهزون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون ويحلقون عليه طوافه
 وصلاته فالمكاه جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال مقاتل كان النبي صلى الله
 عليه وسلم إذا دخل المسجد الحرام قام رجلا ن عن يمينه ورجلا ن عن يساره يصفران ويصفقان
 ليحيطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته (فدفعوا العذاب) أي عذاب القتل والأسر
 بيد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة (بما) أي بسبب ما (كنتم تكفرون) اعتقادا وعملًا
 ولما ذكر تعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاه والتصدية ذكر عقبه عبادتهم المالية التي
 لا جدوى لها في الآخرة بقوله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم) في حرب النبي صلى
 الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله) أي لمصرفوا عن دين الله تعالى نزلت في المطعمين يوم بدر
 وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قريش وكان
 يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر أو في أبي سفيان استأجر يوم أحد الفين من العرب سوى
 من استجاش أي اتخذ جديشا واتفق عليهم أربعين أوقية والواقية اثنان وأربعون مثقالا أو في
 أصحاب العير فانه لما أصيب قريش يدر قبل لهم أعينوا به ذالمال على حرب محمد لعلنا ندرل
 ثأرا نفعلوا (فسيذفقونها ثم تكون) أي عاقبة الامر (عليهم حسرة) أي ندامة لفواتها
 وفوات ما قصدوه (ثم يقلبون) أي آخر الامر وان كان الحرب بينهم مجالا قبل ذلك كما اتفق لهم
 في بدر فانه لم أنفقوا مع الكثرة والنوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك بل كان وبالاعليم فانه
 كان سببا لجرأتهم حتى قدموا غما كان في الحقيقة الاقوة للمؤمنين (والذين صدقوا)
 أي ثبتوا على الكفر (الى جهنم يحشرون) أي يساقون اليها يوم القيامة فهم في خزي في الدنيا
 والآخرة (فان قيل) لم يقل تعالى والى جهنم يحشرون (أجيب) بأنه اسلم منهم جماعة
 كابي سفيان بن حرب والحريث بن هشام وحكيم بن حزام بل ذكر ان الذين ثبتوا على الكفر
 يكونون كذلك (ليميز الله الخبيث) أي الفريق الكافر (من الطيب) أي من الفريق
 المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعا) أي يجمعه متراكبا بعضه على بعض

كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أى لفرط أودحامهم وقيل لجزم المال الخبيث الذى
 أنفق الكافر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذى أنفق المؤمن فى جهاد
 الكفار كاتفاق أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما فى نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فتركه جميعا
 (فيعمله فى جهنم) فى جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى به أجباهاهم وجنوبهم وظهورهم
 الآية واللام على هذا متعلقة بتكون من قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وعلى القول
 المتعلقة بصيرون أو يغلبون وقرا العيزر زة والكسافى بضم الباء الاولى وفتح الميم وتشديد
 الباء الثانية مع الكسر والباقون بفتح الباء الاولى وكسر الميم وسكون الباء الثانية
 وقوله تعالى (أولئك) إشارة الى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران
 لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم * ولما بين تعالى ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية
 أرشدهم الى طريق الصواب فقال (قل) يا محمد (لذين كفروا) كاذبي سفيان وأصحابه
 (ان ياتوا بغفرلهم ما قد سلف) أى قل لاجلهم هذا القول وهو ان ياتوا عن الكفر وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم بغفرلهم ما قد سلف من ذلك ولو كان بمعنى خاطبهم به لقل ان تنهوا
 بغفرلكم (وان يعودوا) أى الى الكفر وعادة النبي صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنة
 الاولين) أى باهلاك أعدائه ونصر أتباعه وأوليائه واجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله
 واختلفوا هل الكافر الاصلى مخاطب بفروع الشريعة وهل يسقط عن المرتد ما مضى
 فى حال ردة كالكافر الاصلى كما هو ظاهر الآية وهل الردة تحبط ما مضى من العبادات قبلها
 ذهب أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه مخاطب بدليل قوله تعالى ما سلككم
 فى سقر قالوا لنك من المصلين الآية وأن المرتد لا تصح عنه العبادات الفاتية فى الردة
 تغليظا عليه وأن الردة لا تحبط ما مضى وقد تقدم الكلام على ذلك فى المائة وعن يحيى بن معاذ
 أنه قال نوحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجوان لا يعجز عن هدم ما بعد دمه من ذنب * ولما
 بين تعالى أن هؤلاء الكفار انفتحو عن كفرهم حصل لهم الغفران وان عادوا فهم متوبون
 سنة الاولين أتبعه بالامر بقتالهم اذا صرروا فقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى شرك
 كما قاله ابن عباس وقال الربيع حتى لا يفتن أحدكم عن دينه لأن المؤمنين كانوا يفتنون عن دين
 الله فى مبداء الدعوة فافتن من المسلمين بعضهم وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا
 الى الحبشة وقتنة ثانية وهو أنه لما بيعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة
 نواصرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم فأصاب المؤمنين جهد شديد فأمر الله تعالى
 بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة (ويكون الدين كله) خالصا لله تعالى وحده لا يعبد غيره (فان
 انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) أى فيحاسبهم به (وان تولوا) عن الايمان
 (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم ومتولى أموركم (نعم المولى) هو فانه لا يضيع من تولاه (ونعم
 النصير) أى الناصر فلا يغلب من ينصره فم كان فى حاية هذا المولى وفى حفظه وكفايته كان
 آمنا من الآفات مصونا عن المصاغات (واعلموا أنما غنمتم) أى أخذتم من الكفار الحربين

محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أي يوم بدو فاته فرق به
 بين الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم
 الجمعة تسعة عشر وأربعين من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
 وبضعة عشر رجلا والمشركون مائتا ألف والتسعمائة نهزم الله تعالى المشركين وقتل
 منهم سبعون وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير
 والذليل على العزيز كما فعل ذلك بكم ذلك اليوم وقوله تعالى (أذ أنتم بالعدوة الدنيا) أي القري
 من المدينة بدل من يوم الفرقان أو من يوم التقي الجمعان أو منصوب بأذ كروا مقذرا والعدوة
 الدنيا سما إلى المدينة (وهي بالعدوة القصوى) أي البعدى من المدينة وهي مما يلي مكة وكان
 المسامح أو كان استظها والمشركين من هذا الوجه أشد والقصى تأنيث الأقصى وكان
 قباسه قلب الواو كالدينا والعليا ولكن لم تقلب تفرقة بين الاسم والصفة فانها تنقلب في الاسم
 دون الصفة على الأكثر وقيل بالعكس وعلى الأول التصوى وإن كان صفة للعدوة في الآية
 كالدينا لكن غلب عليها الاسمية لترك الوصف بها في أكثر الاستعمالات كما قاله ابن جني فالتصوى
 بالواو على القولين شاذ بانظر إلى اسميتها في الأول وإلى وصفيتها في الثاني ومثال الصفة
 النخالصة حلوى تأنيث الاحلى فهي بالواو ومقبسة على الأول شاذة على الثاني ومثال الاسم
 الخالص حرزى اسم مكان فهو بالواو وشاذ على الأول مقبوس على الثاني وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بالعدوة وهي شط الوادي بكسر العين فبهما والباقون بضم العين فيهما وأما الدنيا والقصوى
 فأما هما جزء والكسائي محضة وأبو عمرو وبين وبين وورش بالفتح وبين اللفظين (والركب) أي
 العير التي خرجوها التي يقودها أبوسفیان (أسفل منكم) أي أسفل منكم على ساحل البحر
 على ثلاثة أميال من بدر وأسفل نصب على الظرفية معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع
 المحل لأنه خبر المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم والنفس للقتال (لاختلفتم في الميعاد) وذلك أن المسلمين
 خرجوا يأخذوا العير راغبين في الخروج وخروج الكفار مرعوبين مما بلغهم من تعرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم فيمنعوهما من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد فلتهم وكثرة
 عدوهم (ولكن) جمع الله تعالى بينهم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقض الله أمره) كان
 مقعولا في عمله وهو ندمر وألبائه وأعز دينه وأعداء كلمته وقهر أعدائه وقوله تعالى (لهم لث
 من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) بدل من البقية أو متعلق بقوله مقعولا واستعبر
 الهلال والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالطة
 شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي
 يجب الدخول فيه والتسليم به فإن وقعت بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان
 مكابرا لنفسه مغالطالها وقرأ نافع والبرز وشعبة يامين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة
 والباقون ياء واحدة مشددة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وان الله لسميع عليم) أي يسمع دعائكم

يعلم حاجتكم وضعفكم لا تخفى عليه خافية (اذ) أى واذا ~~كبر~~ يا محمد نعمة الله عليكم اذ
 ربهكم الله (أى المشركين) (في منامكم) أى نومكم (قليلًا) فأخبرت أصحابك فسرّوا وقالوا ربنا
 نبى صلى الله عليه وسلم حق وصار ذلك سبيل الجراهتهم على عدوّهم وقوة لقلوبهم (فان قيل) روي
 كثير قليلًا غلط فكيف يجوز على الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 لا يستل عما يفعل أو أنه تعالى أراه بعضهم دون بعض فحكم صلى الله عليه وسلم على أولئك الذين
 آهم بأنهم قليلون وقال الحسن إن هذه الآراء كانت في البقعة قال والمراد من المنام العين التي
 في موضع النوم (ولوا راى ~~كهم~~ كثير الفلستم) أى ولوا راى كهم كثير الذي ذكرته للقوم ولو سمعوا
 لك لفتلوا أى جبنوا (ولمنازعتم) أى اختلفتم (في الامر) أى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين
 فرار والقتال (واكن الله سلم) أى سلمكم من الفشل والتنازع فيما بينكم وقيل سلمكم من
 هزيمة والقتل (انه) تعالى (عليه) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما في القلوب من الجراءة
 الجبن والجزع وغير ذلك (واذير بكموهم) أيها المؤمنون (اذ التقيتم في أعينكم قليلًا) أى إن
 ته تعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم التقوا في القتال لئلا ~~ك~~ في البقعة ما رآه
 نبى صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبره أصحابه وتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتردأ دبراهتهم
 لا يجبنوا عن قتالهم قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أترأهم سبعين
 ال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم ~~كنتم~~ قال ألفا والضميران مفعولان لا يرى وقليلًا
 مال من الثانى (ويقللهم في أعينهم) أى ويقللهم بأعين المؤمنين في أعينهم أى المشركين لئلا
 يربوا واذا استقلوا عدد المسلمين ليس بالقوى في الاستعداد والتماهب لقتالهم فيكون ذلك
 بياظهور المؤمنين قال السدى قال ناس من المشركين إن العير قد انصرفت فأرجعه وانقل
 بوجهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم انما محمد وأصحابه أكلة
 زور يعنى جمع آكل أى قليل يشبعهم جزور واحد يضرب مثلاً في القلة والامر الذى
 يعاب به ثم قال فلا تقتلوهم وأربطوهم بالحبال أراد بقوله ذلك القدرة والقوة (فان قيل) كيف
 كن يقلل الكثير وتكثر القليل (أجيب) بأن ذلك ممكن في قدرة الله تعالى وإن الله تعالى على
 ايشاء وقدر ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات
 لا يتكرر ذلك وأن الله تعالى يستر عنهم بعضه بسائر أو يحدث في أعينهم ما يستقلون له الكثير كما
 حدث في عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين قبل لبعضهم إن الاحول يرى الواحد اثنين وكان
 بن يديه ذلك قال غالى لأرى هذين الديكيتين أربعة وهذا قبل التهام القتال فلما التهم أراهم اياهم
 مثلهم كما في آل عمران (ليقض الله أمراً كان مفعولاً) أى في علمه وهو علاء كلمة الاسلام ونصر أهله
 فان قيل) قد تقدم ذلك في الآية المتقدمة فكان ذكره هنا محض تكرر (أجيب) بأن المقصود
 من ذكره في الآية المتقدمة هو أنه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلاء المؤمنين على الكافرين
 إلى وجه يكون معجزة دالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره هنا ليس هو
 لك المعنى بل المقصود أنه تعالى ذكرنا أنه قلل عدد المؤمنين في أعين الكفار فيبين تعالى أنه

انما فعل ذلك اجبر ذلك سببا لا يبالغ الكفار في تحميل الاستعداد او الحذر فليس بذلك سببا
 لا تكسارهم (والى الله ترجع الامور) كلها فلا ينقض الامايريد انفاذه فلا تجرى الامور على
 ما ينظره العباد وفي هذا تنبيه على أن امور الدنيا غير مقصودة واعمال المراد منها ما يصلح أن يكون
 زاد اليوم العباد * وماذا ذكر تعالى أنواع نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
 يوم يدركهم اذا التقوا بالقلة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الادب بقوله تعالى (يا ايها
 الذين آمنوا اذا قضيت) أي قاتلتم لان اللقاء بسبب القتال غالب (فتة) أي جماعة كافتة (فانتموا)
 لقتالهم كما ينتم في بدر ولا تقعدوا أنفسكم بفرا هذا هو النوع الاول (واذكروا الله كثيرا)
 بقولكم وأستغفركم قال ابن عباس أمر الله تعالى أولياءه بذكره في أشد أحوالهم تنبيه على أن
 الانسان لا يجوز له أن يحول قلبه وإسائه عن ذكر الله ولو أن رجلا أقبل من المشرق الى المغرب
 على أن ينفق الاموال قضاء والا تحرم من المغرب الى المشرق بضرب بسيفه في سبيل الله لكان
 المذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالصبر والتفكير لان ذلك لا يحصل
 الا بمعونة الله تعالى (لعلكم تفطنون) أي تفكرون بمرادكم من النصر والتبوت (فان قبل) هذه
 الآية توجب الثبات على كل حال وذلك يومهم أنهم ساءوا لآية التعريف والتحيز (أجيب)
 بأن المراد من الثبات الجدي في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التعريف
 والنصيحة ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله ورسوله) في سائر ما يأمران به لان الجهاد
 لا ينفك الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا) أي تختلفوا فيما بينكم (فتفسلوا) أي
 تفتنبوا (وتذهب ريحكم) أي قوتكم ودولتكم والريح مستعارة للدولة شبهها في نفوذ أثرها
 بالريح ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء وأطلق اسم المشبه به على المشبه وقبل المراد بها
 الحقيقة لانه لم يكن قانصر الا بريح يبعثها الله تعالى وفي حديث الشيخين نصرت بالصبا
 وأهلكك عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه
 أبو داود (واصبروا) أي عند لقاء العدو ولا تنهزموا عنه (إن الله مع الصابرين) بالصبر
 والمعونة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية
 فاذا التقيتهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السدوف ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم
 منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ولا تكونوا كالذين
 خرجوا من ديارهم) أي لينصروا غيرهم ولم يرجعوا بعد فجاتهم (باصرا) أي غرأوطفيا في النعمة
 وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فانصرفوا في المغامرة على الاقران
 وكاثر بها أبناء الزمان وأنفسهم في غير طاعة الرحمن فذلك هو الطرفي النعمة وان صرفها في
 طاعة الله واستقامت ضامته فذلك شكرها (ورثاء الناس) أي لينصروا عليهم بالشفاعة والسماحة
 وذلك أنهم لما بلغوا الجنة وأنعمهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبو جهل
 لا والله حتى تقدم يدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم فيها سوق في كل عام

ونشرب بها الخمر ونعزف علينا القينات والعزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها
 مما يضرب به قاله ابن الاثير وغيره والقينات الجواري ونظم به لمن حضر نائم العرب فذلك
 بطرهم وريأؤهم الناس باللعاسهم فوافقوا فقتلوا المشايمة كان الخمر زاحات عليهم النوايح
 مكان القينات فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم أن يكونوا
 أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) أي
 وينعون الناس الدخول في دين الله (والله بما نعملون محيط) لا يخفى عليه شيء لأنه محيط بأعمال
 العباد كلها فيجازيهم بأعمالهم (وإذ) أي واذكروا أي المؤمنين نعمة الله عليكم إذ (زين لهم)
 أي المشركين (الشیطان) أي ابليس (أعمالهم) الخبيثة بأن تشجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا
 الخروج من أعدائهم عن بكرين الحرب جاء ابليس وجند من الشياطين معه راية فقتل لهم
 في صورة سراقه بن مالك بن جشم الشاعر الكفاي وكان من أشرفهم (وقال) غار الله-م
 في أنفسهم (لأغلب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) أي يجبر لكم من كنفاته (فلما
 ترامت الفتان) أي التي الفريشان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله
 ابليس أنهم لا طاعة لهم بهم (تكس على عقبيه) قال الضحاك ولي مدبراً وقال النضر بن سميل
 رجع القهقري على قضاء هاربا (وقال أني برى منكم) قال الكلبي لما التي الجمعان كان ابليس
 في صف المشركين على صورة سراقه بن مالك وهو أخ ذبيد الحرب بن هشام فكس عدو الله
 ابليس على عقبيه فقال له الحرب إلى أين أتخذ ذلكنا في هذه الحالة فقال له عدو الله ابليس
 (إني أرى ما لا ترون) ودفع في صدر الحرب وانطلق فانهزم وقال الحسن رأى ابليس جبريل
 بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اللجام يقول الفرس ماركب قال قتادة قال ابليس أني
 أرى ما لا ترون وصدق وقال (إني أخاف الله) وكذب واقه ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له
 ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وذلك من عادة عدو الله ابليس لعنه الله لمن أطاعه إذا التقى الحق
 والباطل أسلمهم وقبر أمهم وقال عطاء خاف ابليس أن يهلكه الله تعالى فحين يهلك وقيل
 أخاف الله عليكم وقيل أنه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة تنزل من السماء خاف أن
 يكون الوقت الذي أنظر إليه قد حضر فقال ما قال أشفاها على نفسه * ولما انهزموا وبلغوا مكة
 قالوا هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمةكم فلما أسلموا علموا
 أنه الشيطان وقوله تعالى (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلام ابليس أي أني أخاف
 الله لأنه شديد العقاب وأن يكون مستأنفا أي والله شديد العقاب لمن خالفه وكفر به (فان قيل)
 كيف يدرك ابليس أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا
 (أجيب) بأن الله تعالى أعطاه قوة وأقدره على فعل ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على
 أن يتشكوا بصورة البشر لكن النفس الباطنية لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما روى ابليس يومافه أمه فمروا ولا حرج ولا أحقر ولا أعظم
 منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان

من يوم بدر (اذ) أى واذا كراذ (يقول المنافقون) أى من أهل المدينة والمنافق هو من يظهر
الاسلام ويخفى الكفر كما أن المرائى هو من يظهر الطاعة ويخفى المعصية (والذين فى قلوبهم
مرض) أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقع الاسلام فى قلوبهم
ولم يتمكن فلما خرج قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غزوهؤلاء) المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع
قاتلهم يقاتلون الجمع الكثير توهموا أنهم ينصرون بسببه فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن
المغيرة وعدي بن أمية بن خلف الجمحي والعاص بن أمية بن الجراح قال تعالى فى جوابهم (ومن
يتوكل على الله) أى يتوكل به يغلب (فإن الله عزيز) أى غالب على أمره (حكيم) أى فى صنعه يفضل
بحكمته البالغة ما يستبعد العقل ويهجز عن ادراكه ولما شرح تعالى أحوال هؤلاء
الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذى يصل اليهم فى ذلك الوقت بقوله تعالى (ولوترى)
أى عاينت وشاهدت يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ببعض أرواحهم عند الموت
(يضربون وجوههم وأدبارهم) أى ظهرهم وأستاههم قال البيضاوى ولعل المراد
تعميم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا
عذاب الحريق) أى النار قال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا
وجوههم بالسيف واذا أولوا ضربوا أدبارهم فلا جرم قابلهم الله بنسله فى وقت نزع الروح
وجواب لو محذوف والتقدير رأيت منظرها ثلاثا وأمر افطعها وعقابا شديدا والملائكة
مرفوع بالفعول ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون فى قوله يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر (ذلك) أى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق
(بما) أى بسبب ما (قدمت) أى كسبت (أيديكم) من الكفر والمعاصى وانما عبر بالأيدي دون
غيرها لأن أكثر الافعال تراول بها والتعقيق أن الانسان جوهر واحد وهو القلب وال
وهو الدراك وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصى وهذه الاعضاء آلات له وأدوات
فى القلب فأنضيف الفعل فى الظاهر الى الآلة وهو فى الحقيقة مضاف الى جوهر ذات
الانسان (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام لتكثير
لاجل العبيد أى أنه جمعنى ذى ظلم (كذاب) أى دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب (آل
فرعون) وهو عادتهم وعلمهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه فجوزى هؤلاء بالقتل والأسير يوم
بدر كما جوزى آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان
دأب فى كذا أى دام عليه وسميت العادة دأبا لأن الانسان مداوم على عادته مواظب
عليها (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون وقوله تعالى (كفروا بآيات الله)
تفسير لدأب آل فرعون (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء
(إن الله قوى) أى على ما يريد فيفتقم عن كفر وكذب رساله (شديد العقاب) عن كفر
وكذب رساله وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما قبلهم من العقاب (بأن) أى

بسبب ان (الله لم يغير انعمه أنعمها على قوم) أي مبدلها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 أي بأن يتدولوا ما بهم من الحال الى حال أسوأ منه (فان قيل) فما كان من تغيير آل فرعون
 ومشركي مكة حتى غير الله تعالى نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مستحسنة
 (أجيب) بأنه تعالى كما يغير الحال المرضية الى المستحسنة يغير الحال المستحسنة الى المخطئة
 منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كفرة عبدة أو ثبات فلما بعث اليهم بالآيات
 البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه وغيروا حالهم الى أسوأ مما كانت
 عليه فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع) لما يقولون
 (علم) بما يفعلون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
 بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالتسلف وبعضهم بالجحالة وبعضهم بالريح
 وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأعزقنا آل فرعون) أي هو وقومه
 (فان قيل) ما فائدة تكرير هذه الآية مرة ثانية (أجيب) بأن فيها فوائد منها أن الكلام الثاني
 يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الكلام الاول فيه ذكر أخذهم وفي الثاني ذكر
 اغراقهم وذلك تفصيل ومنها أنه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية
 أنهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الثانية اشارة الى أنهم كذبوا بها مع بخودهم لها وأفرغهم بها
 ومنها أن تكرير هذه القصة للتأكيد ولما يسطر به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
 وبيان ما أخذ به آل فرعون ومنها أن الاولى لسياسة الكفر والثانية لسياسة التغيير والنقمة
 بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) أي من الفرق المكذبة أو من غرق القبط وقتل قريش (كانوا
 ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي وغيرهم بالاضلال واضعين الآيات في غير موضعها وهم
 يظنون بأنفسهم العدل ولما وصف تعالى كل الكفار بقوله تعالى وكل كانوا ظالمين أفرغ بعضهم
 بجزية في الشر والفساد فقال (ان شر الدواب عند الله) في حكمه وعلمه (الذين كفروا) أي أصروا
 على الكفر (فهم لا يؤمنون) أي لا يتوقع منهم إيمان وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم ثم
 ينقضون عهدهم في كل سرّة) بدل البعض من الذين كفروا وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوا أي يساعدوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح
 وقالوا نسنا وأخطأنا ثم عاهدتهم فنكثوا وما لؤا معهم يوم الخندق وانطلق **كعب بن**
الاشرف الى أهل مكة يخالفهم وانما جعلهم الله تعالى شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
 الكفار المصرون منهم وشر المصيرين الناكثون **العهود** (وهم لا يتقون) الله في حذرهم
 (فاما) فيه ادغام ان الشرطية في ما الزائدة (تققنهم) أي تجعدن هؤلاء الذين نقضوا العهد
 وظفرت بهم (في الحرب فشرد) قال ابن عباس فنسكل (بهم) أي بهؤلاء الذين نقضوا العهد
 (من خلفهم) أي من وراءهم من أهل مكة واليمن وغيرهما فيخافون أن يفعل بهم كفعول هؤلاء
 وقال عطاء أنخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم (لعلهم) أي الذين خلفهم (يذكرون) أي يتعظون
 بهم (واما تخافن) أي تعين يا محمد (من قوم) عاهدتهم (خيانة) في العهد بامارات تلوح لك

كما ظهر من قريظة والنضير (قائلاً) أي اطرح عهدهم (اليوم) وقوله تعالى (على سواء) حال
 أي مستويًا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لتلايه مولدًا بالعدا إذا نصبت
 الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) أي في نقض العهد أو غيره روي أن معاوية
 كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء
 رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر فوافاه لا عدرا فاذا هو عمر بن
 عتبة فأرسل اليه معاوية يسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه
 وبين قوم عهد فلا ينبذ عقده ولا يحلها حتى ينقض أمدها أو ينذ اليهم على سواء فرجع معاوية
 قال الرازي حاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمره بقتل من نقض العهد على أن يفتح الوجه
 وأمره أن يتقاعد على أقصى الوجوه من كل ما يوجب نكث العهد ونقضه قال أهل العلم إذا ظهرت
 آثار نقض العهد من عادهم الامام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض أمّا أن يظهر ظهورا
 محتملا أو ظهورا مقطوعا به فإن كان الأول وجب الاعلام عليه على ما هو مذكور في هذه الآية
 وذلك أن قريظة وعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأشقيان ومن معهم من المشركين
 إلى مظاهرتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بفصل النبي صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به
 وبأصحابه فهنا يجب على الامام أن ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما إذا ظهر نقض
 العهد ظهورا مقطوعا به فهنا لا حاجة إلى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا
 وحش النبي صلى الله عليه وسلم عرا الظهران وذلك على أربعة فرائض من مكة ولما بين تعالى
 ما يفعله صلى الله عليه وسلم في حق من يجهده في الحرب ويحكم منه وذكر أيضا ما يجب أن يفعله
 فيمن ظهر منه نقض العهد بين أيضا حال من فاته في يوم بدر وغيره لكي لا تبقى حسرة في قلبه فقد
 كان فيهم من بلغ في أذية النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما بقوله تعالى (ولا تحسبن الذين
 كفروا سيقوا) أي خلصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يهجزون) الله أي لا يفوتونه بهذا
 السبق في الانتقام منهم أما في الدنيا بالقتل وأما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسليية للنبي صلى
 الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم يتقم منه فأعلمه الله تعالى انهم لا يهجزونه وقرأ ابن عامر
 وجزء وحقق يحسبن بالياء على الغيبة على أن الفعل للذين كفروا والباقيون بالتاء على الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشردن من صدره نقض
 العهد إلى من خاف منه النقص وانفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قصدوا الكفار بلا
 آلة ولا عدة أمرهم في هذه الآية بالأعداد لولا الكفار بقوله تعالى (وأعدوا لهم) أي لفتا لهم
 (ما استطعتم من قوة) الأعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المداينة وقول الأول
 الرمي وقد جاءت مفسرة به عن النبي صلى الله عليه وسلم لم فيما رواه عتبة بن عامر قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم الا ان القوة الرمي ثلاثا
 أخرجه مسلم وعن أبي أسيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين

قوله فرجع معاوية
 في نسبته عما قبله
 تأمل اه مصححه

حة فمنا قرش وصفوا لنا اذا كبسوك فعليكم بالنبل وفي رواية ليس من الله وهو الاثلاثة
 تأديب الرجل فرسه وملاعبة أهله ورميه بقوسه أى نبه فانهم من الحق ومن ترك الرى بعد
 ما علمه رغبة عنه فانهم نعمة تركها أو كفرها أخرجه الترمذى والثانى انها الحصون والثالث
 انها جميع الاسلحة والآلات التى تكون لكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم وقوله تعالى
 (ومن رباط الخيل) مصدريعى جسدتها فى سبيل الله سواء كانت ذكورا أو أناثا وقال عكرمة
 المراد الاثا وروى عن خالد بن الوليد انه قال لا يركب فى القتال الا الاثا لنفسه صم لها وعن
 ابى محمير انه قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصغوف وأنات الخيل عند
 البسات والغاوات وقيل ربط الفحول أولى لانها أقوى على الكثرة والفرز يدل للأول ما روى
 عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله
 ايماناً بالله ونصدقه باقوعده فان شبعه ووربه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة يعفى حسنة
 وعن عروة البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم
 القيامة الاجر والمغنم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرق قال ما نزل على فيها الا هذه
 الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ترجمون)
 أى تخوفون (به) أى تلك القوة وبذلك الرباط (عدوا لله وعدوكم) أى الكفار من أهل مكة
 وغيرهم وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون لمستمحون لجميع
 الاسلحة والآلات الحرب واعداد الخيل مبروطة لجهادها فمعدون دخول دار الاسلام
 بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار فى الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين (و) ترجمون (آخرين من
 دونهم) أى غيرهم وهم المنافقون لقوله تعالى (لأنهم لم يؤمنوا) لانهم معكم يقولون بأنهم مالىس
 فى قلوبهم (الله يعلمهم) أى انهم منافقون (فان قيل) المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب
 ما ذكره الارباب (أجيب) بأن المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان
 ذلك مما يخوفهم ويقطع طمعهم من أن يصيروا غالبين فيصلمهم ذلك على أن يتركوا الكفر من
 قلوبهم ويواطئهم ويصبروا ويخضعوا فى الايمان وقيل هم اليهود وقيل الفرس (وما تنفقوا من
 شئ) وان قل (فى سبيل الله) أى طاعته جهادا كان أو غيره (يوفى اليكم) قال ابن عباس أجره
 أى لا يضيع فى الآخرة أجره ويجهل الله عوضه فى الدنيا (وانتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من
 الثواب ولما دل ابن عباس عن هذا التفسير تلا قوله تعالى آت أكلها ولم تظلم منه شيئا ولما بين
 تعالى ما يرب به العدو من القوة والاستظهار بين جواز العلم بقوله تعالى (وان جنحوا)
 أى مالوا (للسلم) أى الصلح (فاجتمع) أى غل (لها) وعاهدهم وتأنيت الضمير فى لها لجل السلم مع انه
 مذكر على فنده وهو الحرب قال الشاعر

السلم تأخذ منها ما رزيت به * والحرب يكفيك من انفسها جرح

فأنتم ضمير السلم فى تأخذ منها على فنده وهو الحرب وعن ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله
 تعالى فاقبلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله تعالى فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم

وقال غيرهما الصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
أو سلم وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا الى الهدنة أبداً وهذا ظاهر وقرأ أشعبة بكسر السين
والباقون بالفتح (وتوكل على الله) أى فوض أمرك اليه فبما عقدته معهم ليكون عونك في
جميع أحوالك (انه هو السميع) لا قوا لهم فهو يسمع كل ما يروونه في ذلك وفي غيره كما يسمعه
علانية (العاين) بنيتهم فهو يعلم كل ما أخفوه كما انه يعلم كل ما أعلنوه (وان يريدوا) أى الكفار
(أن يحددوا لك) أى باظهار الصلح ليدعوا لك (فان حسبك) أى كافيك (الله هو الذى أيدك
بنصره) فى سائر أيامك فان أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته الى وقت وفاته كان أمراً
الهيما وتديراً علويما وكان لكسب الخلق فيه مدخل (و) أيدك (بالمؤمنين) أى الانصار (فان
قبل) فإذا كان الله تعالى مؤيداً بنصره فأى حاجة مع نصرته تعالى الى المؤمنين (أجيب) بأن
التأييد ليس الا من الله تعالى داعماً لكنه على قسمين أحدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب
معلومة مع مادة والثاني ما يحصل بذلك فالأول هو المراد من قوله تعالى أيدك بنصره والثاني هو
المراد من قوله تعالى وبالمؤمنين والله تعالى هو سبب الاسباب وهو الذى أقامهم بنصره ثم بين
تعالى كيف أيدهم بالمؤمنين بقوله تعالى (وألف) أى جمع (بين قلوبهم) وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث الى قوم أنفقتهم شديدة وجميعهم عظيمة حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمه واحدة
فانلت عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أباه وأخاه
وابنه واقفوا على الطاعة وصاروا انصاراً داعاة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها
بالحبة القوية بمجالاته وعلماها الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لوانفقت ما فى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أى
تناهت عداوتهم الى حد لوانفقت فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم تقدر على
الالفة والصلاح بينهم (ولكن الله ألفت بينهم) بقدرته البالغة فانه تعالى المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء (انه) أى الله تعالى (عزير) أى غالب على أمره لا يعصى عليه ما يريد (حسبك)
لا يخرج شئ عن حكمته وقيل الآية نزلت فى الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع
ما أهلك ساداتهم ورؤسائهم فأنساهم الله تعالى ذلك وألف بين قلوبهم بالاسلام حتى تصادقوا
وصاروا انصاراً وما ذلك الا باطراف صنعه وبريق قدرته (بأيهما النبي حسبك) أى كافيك
(الله) (فان قيل) هذا مكرر (أجيب) بأنه تعالى لما وعده بالنصر عند محاربة الاعداء
وعده بالنصر والظفر فى هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات فلا يلزم حصول التكرار لان
المعنى فى الآية الاولى ان ارادوا خداعك كفالك الله تعالى أمرهم والمعنى فى هذه الآية عام
فى كل ما يحتاج اليه فى الدين وقوله تعالى (ومن اتبعك من المؤمنين) اما فى محل نصب على
المفعول معه كقول الشاعر **فحسبك والضمالك سيف مهند** يروى الضمك بالضم على انه
مفعول معه والمعنى كفالك وكفى اتباعك المؤمنين الله ناصر أو رفع عطا على اسم الله تعالى
أى كفالك الله وكفى المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن سعد بن

جبراً أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فقيم الله تعالى
 به الأربعين فنزلت هذه الآية (يا أيها النبي حرض المؤمنين أي حثهم على القتال) للكفار
 والتخريض في اللغة كالتخصيص وهو الخلق على الشيء (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
 مائتين) منهم (وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) وهذا خبر بمعنى الأمر
 أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألف قتال عشرة أمثالكم * (تنبيه) * تقييد ذلك
 بالصبر يدل على أنه تعالى ما أوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابراً قادراً على ذلك وإنما
 يحصل هذا الشرط عند حصول أشياء منها أن يكون شديد الأعضاء قوياً بجلدها ومنه أن يكون
 قوى القلب شديد البأس شجاعاً غير جبان ومنه أن يكون غير متحرف لقتال أو متصلياً في فتنة
 فإن الله تعالى استثنى هاتين الحالتين في الآيات المتقدمة فعند حصول هذه الشروط كان يجب
 على الواحد أن يثبت للعشرة (فإن قيل) حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة
 فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة (أجيب) بأن هذا إنما ورد على وفق الواقعة
 فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص
 عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذين العددين
 وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء على التثنية والباقون بالياء على التذكير (بأنهم) أي
 بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أي جهلهم بالله تعالى واليوم الآخر فلا يقاتلوا لطلب ثواب
 وخوف عقاب إنما يقاتلون حية فاذا صدقتهم في القتال لا يثبتون معكم وكان هذا يوم بدر
 فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المسلمين قتال عشرة من الكافرين فنقلت على المؤمنين
 قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف بهذه الآية صاح المهاجرون وقالوا يا رب نحن جباة
 وعدونا شباة ونحن في غربة وعدونا في أهلهم ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا وعدونا ليس
 كذلك فسخنهم الله تعالى بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم) أيها المؤمنون (وعلم أن فيكم
 ضعفاً) أي في قتال الواحد للعشرة (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وإن يكن
 منكم ألف يغلبوا ألفين) منهم (بإذن الله) أي بإرادته تعالى فرقوا من العشرة إلى اثنين فإذا كان
 المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز أن يقرؤا وقال عكرمة إنما أمر الرجل أن يصبر
 لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله تعالى عنهم وقال ابن
 عباس رضي الله عنهم ما أجاز رجل فر من ثلاثة فلم يعرف أن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين)
 بالنصر والمؤنة فكيف لا يغلبون قال سفيان بن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر مثل ذلك ونزل لما أخذوا القدماء أسرى بدر (ما كان) أي ما صبح وما استقام (لنبي أن
 تكون له أسرى) قرأ أبو عمرو وبالتاء على التثنية والباقون بالياء على التذكير (حتى يرضى في
 الأرض) أي يصكر قتل الكفار ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقبل حربه ويعز الإسلام
 ويستولى أهلها لأن الملك والدولة إنما تقوى وتثبت بالقتل قال الشاعر
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

روى انه صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر سبعين أسيراً فيهم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
 وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضي الله عنه قومك وأهلك استبقهم
 أحسن الله تعالى أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه
 كذبوك وأخرجوك فقد همهم وأضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن
 القداً يمكن علياً من عقيل وحزرة من العباس ومكثي من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم وقال
 عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرهم عليهم نارا فقال له
 العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلجمهم ثم دخل فقال ناس يأخذ
 يقول أبي بكر وقال ناس يأخذ يقول عمر وقال ناس يأخذ يقول ابن رواحة ثم خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد
 قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال من تعني فانه مني
 ومن ههنا فأنك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم
 ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرعني الأرض من الكافرين دياراً ومثل موسى حيث قال
 ربنا اطمس على أموالهم ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبي بكر روى انه صلى الله
 عليه وسلم قال لعمر يا أبا حفص وكان ذلك أول ما تكلم أنا مرني أن أقتل العباس فجعل عمر
 يقول ويل لعمر شركته أمه ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة ولا يغلق أحد منهم الأبواب وأضرب
 عنق فقال ابن مسعود الأسهيلي بن يضاء فاني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم واشتد خوفه فإرا يتقي يوم أخوف من أن تقع على الحجارة من السماء من
 ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسهيلي بن يضاء ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم للقوم ان شئتم قتلوهم وإن شئتم فادبوهم واستمدهم تكبر بعدتهم فقالوا بل
 نأخذ الفداء فاستمدهم وأبأ أحد وكان فدا الأسارى عشرين أوقية والأوقية أربعون درهماً
 فيكون مجموع ذلك ألفاً وستين درهماً وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف
 قال عمر رضي الله عنه فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضي الله عنه يبكان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء يبكي أنت وصاحبك
 فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجده بكاء بكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي بحلى
 أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أذى من هذه الشجرة للشجرة قريبة منه
 (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذ فداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا
 عرضاً لانها لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بضـ لاف منافع الآخرة (والله يريد
 لكم) (الآخرة) أي ثوابها بقهركم المشركين ونصركم الدين (والله عزيز) لا يهزم ولا يغلب
 (حكيم) أي لا يصد عنه فعله الا وهو في غاية الاتقان قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون
 يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى في الأمرى فاما منابعد ما فداء فجعل
 الله تعالى نبيه والمؤمنين في أمر الاسرى بالخيار وإن شأوا قتلوهم وإن شأوا فادبوه وإن شأوا

أحقوهم أي فهذه الآية تسبعت تلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حرام على
الأنبياء والامم وكانوا إذا أسبأوا فمخا جعأوه للقرآن وكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما
كان يوم بدر أسرع المؤمنون وأخذوا الفداء فنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) أي لولا
قبض الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم (المسك) أي لنا لكم (فبما أخذتم) أي من
الفداء (عذاب عظيم) وقال الحسن ومجاهد لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحد ممن شهد
بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد إلا أحب الغنائم إلا عمر
ابن الخطاب فإنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسرى وسعد بن معاذ قال يا رسول
الله كان الأنجاش في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب ما نجأتم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ روى لما نزلت هذه الآية كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم أن يأخذوا من الفداء فزلت (فكلوا مما غنمتم) أي من
الفداء فإنه من جملة الغنائم (حلالا طيبا) فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وقال صلى
الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لم تحل
الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل لنا الغنائم ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا (فان قيل)
ما معنى الغنائم في قوله تعالى فكلوا (أجيب) بأنها سبيية والسبب محذوف تقديره أجيبت لكم
الغنائم فكلوا ويغوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة وحلالا حال من
المغزوم أو صفة للمصدر رأى أكلا حلالا وفائدته إراحته ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاناة ولذلك وصفه بقوله طيبا (واتقوا الله) في مخالفة (إن الله غفور) غفر ذنوبكم (رحيم)
أباح لكم ما أخذتم وقوله تعالى واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله تعالى إن الله غفور
رحيم إشارة إلى الحالة الماضية ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من الأسارى وبق
عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استمالة لهم فقال عز من قائل (يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الأسارى) قرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف والباء قون بفتح
الهمزة وسكون السين ولا ألف بعدها وإمال الالب بعد الراء أبو عمرو وحزرة والكسائي محضة
وورش بين بين (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي خلوص إيمان وصحة نية (بؤتكم خيرا مما أخذ
منكم) من الفداء قال ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث كان
العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجهما ليطعم الناس فكان أحد
العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تطفه النوبة حتى أسرف فقال العباس كنت مسلما
الأنهم الزموني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك وما ظاهرا أمرنا
فقد كان علينا قال العباس وكنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذلك الذهب لي فقال
أما نرى خرجت به تستعين به علينا فلا قال فكافى فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية
وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أنكشف قريباً فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإني ما دفعته إليّ الأم الفضلى وقت خروجك من مكة وقاتلها ما أدري ما يصيبني فإن

حدثني حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي
قال أخبرني به ربي فقال العباس أنا أشهد أنك صادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله
واقه لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فاما اذ
أخبرتني بذلك فلاريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك الى الآن عشررون عبدوا وان أذناهم
ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زعزيم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر
المغفرة من ربي وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين فثانوا ان يلقاوه فغضوا
لصلاة الظهور وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ما يخدمه ما قدر على جملة وكان يقول
هذا خير مما أخذتني وأنا مأرجو المغفرة من ربكم يعني الدعوة بقوله تعالى (ويغفر لكم والله غفور
رحيم) واختلف المفسرون في أن الآية نزلت في العباس خاصة أو في جملة الاسارى قال بعضهم
انها نزلت في الكل قال الرازي وهذا أولى لأن ظاهر الآية يقتضي العموم من ستة أوجه أحدها
قوله تعالى قل لن في أيديكم وثانيها قوله تعالى من الاسرى وثالثها قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا واربعا قوله تعالى يؤتكم خيرا وخامسا قوله تعالى مما أخذ منكم وسادسا قوله تعالى ويغفر
لكم فدللت هذه الالفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخصيص أقصى ما في الباب أن يقال
سبب نزول هذه الآية هو العباس الآن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وان يريدوا)
أي الاسارى (خيانتك) أي بما أظهره من القول (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعهد (من قبل) أي قبل بدر (فأمكن منهم) يدر قتلوا واسرا فليست وقعوا مثل ذلك ان
عادوا (والله عليم) بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق وخيانة (حكيم) أي بالغ الحكمة
فهو يتقن كل ما يريد فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم بالحالة وكذا فعل تعالى في
ابن عزة الجمعي فانه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه بغير شيء فقره وعياله وعاهده على
أنه لا يظهر عليه أحد منهم خان فظفر به في غزوة جراء الاسد عقب يوم أحد أسيرا فاعتذله وسأله
العفو عنه فقال لا لا بلدغ المؤمن مجروا حدمرتين وأمر به فضربت عنقه (ان الذين آمنوا) أي
بالله ورسوله (وهاجروا) أي وأوقعوا الهجرة من بلاد الشرك لذهابهم المهاجرون الا قولون هجروا
أوطانهم وعشائرهم وأحبابهم حباقة تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (وجاهدوا) أي
وأوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر (بأموالهم) وكانوا في غاية العز في أول
الامر (وأ أنفسهم) بأقدامهم على القتال مع شدة الاعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام
النفس أي بانفاقهم لها في الجهاد ونضييع بعضها بالهجرة من الديار والخيال وغيرها وأخر
قوله تعالى (في سبيل الله) لذلك وفي سببية أي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد ويسهل المرور
فيه من غير فاطح (والذين آووا) أي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فأسكنوهم في ديارهم وقسموا لهم من أموالهم وعرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم
ليتزوجوهن (ونصروا) أي الله ورسوله والمؤمنين وهم الانصار رضي الله عنهم حازوا هذين
الوصفين الشرعيين فكانوا في الذروة من هذين الجنسيتين ولكن المهاجرون الا قولون أعلى منهم

ليسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل ولجلهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم
 على فرقة الاهل والاوطان وأشار تعالى الى القسمين بإداة البعد لعلو مقامهم فقال (أولئك) أى
 العالو الرتبة (بعضهم أولى ببعض) أى دون أقرابهم من الكفار قال ابن عباس في الميراث فكأنوا
 يتوارثون بالمهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام وكان من آمن
ولم يهاجر لارث من قريسه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث
 كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (والذين
 آمنوا ولم يهاجروا) أى آمنوا وأقاموا بكمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) أى فلا ارث بينكم
 وبينهم ولا نصيب لهم في الفعجة (حتى يهاجروا) أى الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) أى
 ولم يهاجروا (فعليكم النصر) أى فيجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الاعلى قوم ينسبكم
 وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير) في ذلك
 ترغيب في العمل بما حث عليه من الايمان والهجرة وغير ذلك مما تقدم من ترهيب من العمل
 باضدادها وفي البصير إشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا ومشوبا فافقه مزيدا على
 الاخلاص (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أى في النصر لان كفار قريش كانوا معادين
 لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا وفي الميراث فبرث بعضهم
 بعضا ولا ارث بينكم وبينهم (الانفعلو) أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض
 حتى في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) أى تحصل (قننه) أى عظيمة (في الارض)
 بضغف الايمان وقوة الكفر (وفساد كبير) في الدين ولما تقدمت أنواع المؤمنين المهاجروا والانصار
 والقاعد وذكر أحكام موالاتهم أخذ بين نفاوتهم في الفضل بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى بالله
 ورسوله وما أتى به (وهاجروا) في الله تعالى من يعادى نبيه صلى الله عليه وسلم سابقين (وجاهدوا
 في سبيل الله) بما تقدم من المال والنفس وغيرهما فبذلوا الجهد في اذلال الكفار ولم يذكر آلة
 الجهاد لانها مع تقدم ذكرها لازمة (والذين أووا) أى من هاجر اليهم (ونصروا) أى حزب الله
 (أولئك هم المؤمنون) أى الكاملون في الايمان (حقا) أى لانهم حققوا ايمانهم بتصديق
 مقتضاء من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ثم وعدهم الموعد الكريم بقوله تعالى
 (لهم مغفرة) أى لزلاتهم وهفواتهم لان مبنى الاذى على العجز اللازم عند التقصير وان اجتهد
 ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تركبتهم بالرجة بقوله تعالى (ورزق)
 أى من الغنائم وغيرها في الدنيا والاخرة (كريم) أى لاتبعة ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامر من
 من يستلحق بهم ويتسم بسمتهم بقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد) أى بعد السابقين الى الايمان
 والهجرة (وهاجروا) أى لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم من هاجر بعد
 المدينة قال وهي الهجرة الثانية (وجاهدوا معكم) أى من تجاهدونه من حزب الشيطان
 (فأولئك منكم) أى من جملتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم مالكم وعليهم ما عليكم من
 الموارث والمغانم وغيرها لان الوصف الجامع هو المدار الاحكام وان تأخرت رتبته عنكم بما

أفهمته اداة البعد (وأولوا الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالمهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية فبين الله تعالى بين ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهم اذلك التوارث وقوله تعالى (في كتاب الله) أي في حكمه في اللوح المحفوظ أو القرآن وتسل أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى به ذمه على توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الشافعي رضي الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي ينه في سورة النساء فصارت هذه السورة مقدمة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء في قصة التوارث واعطاء أهل الفروض وفروضهم وما ينق فلا تعصبات فوجب أن يكون المراد من هذا هو ذلك فقط فلا يعتد الى توريث ذوى الارحام ثم قال تعالى في ختم السورة (ان الله بكل شيء عليم) أي ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمه وصواب وصلاح وليس فيها شيء من العيب والباطل لأن العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب وتظهر ان الملازمة لما قالوا أن يجعل فيها من ينسخها ويغسل الدماء قال الله تعالى بحسب الهم اني أعلم ما لا تعلمون أي كما علمتم يكونى عالم بكل المعلومات فاعلموا أن حكمي يكون منزها عن الغلط فكذلك اذننا وقول البيضاوي في بعض النسخ تبعا للزحشرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبرائة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برى من النفاق وأعطى عشر حسنات بعد ذلك مناقق ومناققة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا حديث موضوع

(سورة التوبة مدنية)

الا لا يتين من قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم وهي آخرا نزلت وآياتها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون حرفا ولها عدة أسماء التوبة براءة المشقة البهوت المبعثرة المنقورة المثرة الحافرة الخزية القاضية المذكرة المشردة المدممة سورة العذاب وانما سميت بذلك لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين وانارتها والخفر عنها وما يحزبهم ويفضهم ويشكاهم ويشردهم ويدمدم عليهم ولم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي ان البسملة أمان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء انها آخر سورة نزلت وقبل كان صلى الله عليه وسلم اذ انزل عليه سورة وآية بين موضعها قوفها ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتسامتها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة تبذرها فضمت اليها قال القاضي يبعد أن يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الانفال لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل ولوجوزنا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوجهي بل وزنا مثل في سائر السور في آياتها سورة الواحدة وذلك يخرجها عن كونه

حجة بل الصحيح انه عليه الصلاة والسلام أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحيا وانه عليه الصلاة والسلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا والقول بأن قصتها تشابه قصتها وناسبها فضمت اليها النعائيم اذ اقلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل أنفسهم لهذه العلة وقيل ان العصاة رضى الله عنهمم اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأن كلتيهما نزلت في القتال ومجموعهما هو السورة السابعة من الطوال وهي سبع وما بعد هذا المؤن لانهم اجمعوا ثمان وسف آيات فهم ما نزلت سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من العصاة في هذا تركوا بينهما فرجة تنبيهها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعض أصحاب الامام الشافعي رضى الله عنه اعدل الله لما علم من بعض الناس انهم ينافرون في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن أمر أن لا يكتب ههنا لبدل ذلك على كونها آية من كل سورة فانها لما لم تكن آية من هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة وقيل غير ذلك والصحيح من هذه الاقوال ما ذهب اليه القاضي من أن القرآن مرتب من قبل الله ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل وانه صلى الله عليه وسلم حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا وانما ذكرت هذه الاقوال تنهي عن الاذهان وقوله تعالى (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة وقوله تعالى (من الله ورسوله) من ابتدائية متصلة بمحذوف تقديره واصله من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ تخصيصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم) أى أوقعتم العهد بينكم وبينهم (من المشركين) أى وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فكيف علمتم المعاهدة باذنهم ما فافعلوا النقص بفعالها وادل سياق الكلام وما حواه من بديع النظام ان العهد انما هو لاجل المؤمنين واما الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فغنيان عن ذلك اما الله فبالفعل المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذى اخذناه للرسل لانه ما فعل ذلك الا هو قاد على نصره بسبب وبغيره بسبب روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون يتقضون يهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ونقض العهد بما يذكركم قوله تعالى (فسجوا) أى سيجوا ائذين أيها المشركون (في الارض أربعة أشهر) لاية هرض لكم فيها ولا أمان لكم بعدها وكان ابتداء هذه الاشهر يوم الحج الاكبر وانقضاؤها الى عشرين من ربيع الآخر وقال الأزهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لانهم انزلت في شوال وقيل في ذى الحجة والحرم وصفه وشهر ربيع الاول وعشرين من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذى الحجة والحرم منها قال البغوي والاول هو الاصول وعليه الاكثرون اه وقيل العشر من ذى القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للتسعة الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذى الحجة

وكان نزولها في سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه على موسم الحج سنة تسع ثم اتبعه علياً رضي الله عنه
 راكباً العضباء ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأها على أهل الموسم فقبل له ولبعثت به إلى
 أبي بكر فقال لا يؤذى عني إلا رجل مني فلما دنا على من أبي بكر سمع أبوبكر الرغاء فوقف وقال هذا
 رغاء ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل العضباء المشقوقاة الأذن ولم تكن ناقدة صلى الله
 عليه وسلم كذلك ولكن كان ذلك علماً عليها والرغاء بالمد صوت ذوات الخف قاله الجوهري فلما لحقه
 قال أميراً ومأموراً وروى أن أبابكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد
 لا يبلغن رسالتك إلا رجلاً منك فأرسل علياً رضي الله عنه فرجع أبو بكر رضي الله عنه وقال
 يا رسول الله أثنى نزل قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآسى فلما كان قبل التروية
 يوم خطب أبو بكر وحدهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال أيها الناس اني
 رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا أقرا عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد
 ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع آيات أن أخبر وناذى بها أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
 ولا يظوف به عربان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا
 عند ذلك أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراى ظهورنا وان ليس بيننا وبينه عهد الاطعن
 بالرمح وضرب بالسيف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (فان قيل) قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة لان يؤذوا عنه كثيراً ولم يكونوا من هجرته (أجيب) بأن
 هذا ليس على العموم بل مخصوص باليهود لان العرب عادتهم أن لا يتولى العهد ونقضه على
 القبيلة إلا رجل من الأقارب فلو نولاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف
 ما يعرف فينا من نقض العهد فربما لم يقولوا فلم يخف عليهم ثم تنولته علياً ذلك ويدل على ذلك
 ان في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الرجل من أهلي وقيل لما خص أبابكر بتولية
 الموسم خص علياً بهذا التبليغ تطبيعا للقلوب ورعاية للعبوات وقيل قرأ أبابكر على الموسم وبعث
 علياً خليفة لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون ذلك جارية بحجرتي تنبيه على علي
 امامة أبي بكر (فان قيل) ما وجه اطلاق أكثر العلماء على جواز مقاتله المشركين في الأشهر الحرم
 وقد صانها الله تعالى عن ذلك (أجيب) بأنهم قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبى قتال المشركين
 فيها (واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين)
 أى مذلهم في الدنيا بالقتل والأسرى والآخرة بالعذاب (وآذان) أى اعلام واقع (من الله
 ورسوله الى الناس) اذا الآذان في اللغة الاعلام ومنه الآذان للصلاة فانه اعلام بوقتها وارتفاعها
 كارتفاع براءة على الوجهين (فان قيل) لم علقت البراءة بالذين عاهدوا ومن المشركين
 وعلقت الآذان بالناس (أجيب) بأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناس كثير منهم واما الآذان
 فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث
 (يوم الحج الأكبر) أى يوم عيد النحر لان فيه معظم أفعاله من طواف وغزو وحلق ورمى بجمع

فيه ولان الاعلام كان فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في حجة الوداع فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر وروى ان علياً رضي الله عنه خرج يوم النحر على بقلعة بيضاء يريد الجبانة فخافه رجل فأخذ بطعام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال يومكم هذا نخل سبيلها وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقيل أيام منى كلها لأن اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقوله يوم صفين ويوم الجمل لأن الحرب دامت في هذه الأيام ويطلق عليهم ايوم واحد وقيل هو الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليمود وعيد النصر وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الاصغر وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل وصف بذلك موافقته حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وقيل وصف بذلك لاجتماع اعياد الملل في ذلك اليوم وقيل لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين وقوله تعالى (ان الله يرى من المشركين) أي من عهودهم فيه حذف تقديره وأذان من الله ورسوله بأن الله يرى من المشركين وانما حذف الجار لالة الكلام عليه وقوله تعالى (ورسوله) مرفوع على انه مبتدأ حذف خبره أي ورسوله كذلك وحكى ان اعراباً يجمع رجلاً يقرأ ورسوله بالحرف فقال ان كان الله يرى من رسوله فأنا منه يرى قلبه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ امر عمر بتعليم العربية وحكى أيضاً ان اعراباً قدم في زمن عمر فقال من يقرئني مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل برأفة فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالحرف فقال الاعرابي أو قد يرى الله من رسوله ان يكن الله يرى من رسوله فأنا يرى من الله فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه فساءله فأخبره الاعرابي بذلك فقال عمر لمس هكذا يا اعرابي فقال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالرفع فقال وأنا واقعة أبرأ مما يرى الله ورسوله منه فأمر عمر ان لا يقرأ القرآن الاعمال باللغة وأمر أبا الاسود الدؤلي فوضع النحر (فان تبتم) أي من الكفر والغدر (فهو) أي ذلك الامر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي من الإقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) أي اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير مهجزي الله) وذلك وعيد عظيم واعلام بأن الله تعالى قادر على انزال أشد العذاب بهم كما قال تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) أي مؤلم وهو القتل والاسرى في الدنيا والنار في الآخرة ولفظ البشارة هنا ورد على سبيل الاخبار وعلى سبيل الاستهزاء كما يقال محبتهم الضرب واکرامهم الشتم وقوله تعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كانتهم أي الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا كما قال تعالى (ثم لم ينقضوكم شيئاً) أي من عهودكم التي عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) أي ولم يعاونوا (عليكم أحداً) من عدوكم (فأنتموا

إليهم عهدهم إلى قوتهم) أي إلى انقضائهم ولا تجزؤهم بحجوى الناكثين وقوله تعالى (إن الله يحب
 المتقين) تعليل وتبسيه على أن أعوام عهدهم من باب التقوى (فإذا انسحل) أي انقضى وخرج
 (الاشهر الحرم) التي حرم الله تعالى عليهم فيها قتالهم وضربت لأجل لسايتهم والتعريف مثله
 في فارسنا إلى فرعون رسولاً فصلى فرعون الرسول والمراد به كونه حراماً أن الله تعالى حرم
 القتل والقتال فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فالبيضاوي وهذا يخل
 بالنظم أي نظم الآية إذ نظمها يقتضى نوال الاشهر المذكورة (فأقتلوا المشركين) أي الناكثين
 الذين ضرب بهم لهم هذا الاجل احساناً وكرماً (حيث وجدتموهم) أي في حل أو حرم أو في شهر
 حرام أو غيره (وخذوهم) أي بالامر (واحصروهم) أي بالحبس عن ايمان المسجد الحرام
 والتصرف في بلاد الاسلام في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى الاسلام أو القتل (واقعدوا
 لهم) أي لاجلهم خاصة فان ذلك من أفضل العبادات (كل من صد) أي طريق يسلكونه
 ثلاثين طراً في البلاد واتصاب كل على الطريقة كقوله لا قعدن لهم صراطك المستقيم
 وقيل بنزع الخافض قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن
 المشركين والصد على أذى الاعداء (فان تابوا) أي عن الكفر بالايان (وأقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) قصد يقال توبتهم وایمانهم فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلق
 (تخلوا سيبلهم) أي فدعواهم ولا تعترضوا لهم بشئ من ذلك وفي هذه الآية دليل على أن تأدية
 الصلاة وما نزع الزكاة لا يخل سيبله لانه ان كان جاحداً للوجوب ما فهو مرتد ولا يقتل بترك
 الصلاة وأخذت منه الزكاة قهراً وقول على ذلك كما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال لما
 توفي النبي صلى الله عليه وسلم واحتلف أبو بكر كفرن من كفر من العرب قال عمر لا يكرهني الله
 تعالى عنهما كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقة
 وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال
 والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عقالاً كانوا
 يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت
 أن الله شرع صدر رأى يكر إلى القتال فعرفت انه الحق (إن الله غفور) أي يبلّغ المحول الذنوب
 التي تاب صاحبها عنها (رحيم) به (وان أحد من المشركين) أي الذين أمرت بقتالهم (استجارلكم)
 أي طلب أن تعامله في الأكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السباحة (فأجره) أي
 فأمنه ودافع عنه من يقصده بسوء (حتى يسمع كلام الله) أي القرآن بسماع التلاوة الدالة عليه
 فيعلم بذلك ما يدعى اليه من المحاسن ويتحقق انه ليس من كلام الخلق (ثم) ان أراد الانصراف
 ولم يسلم (أبلغه ما آمنه) أي الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه لينظر في امره ثم بعد ذلك
 يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير عدو ولا خيانة قال الحسن هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة
 • (تبسيه) • أحد من فروع يشعل مضمرة يفسره الظاهر وتقديره وان استجارلكم أحد ولا يجوز أن

يرفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل فلا تدخل على غيره (ذلك) أى الامر بالاجارة للعرض
 المذكور (أنهم) أى بسبب انهم (قوم لا يعلمون) أى لا علم لهم لانهم لا عهد لهم بنقوة ولا رسالة
 ولا كتاب فاذا عملوا أوشك أن يقعهم العلم وقوله سبحانه وتعالى (كيف يكون للمشركين عهد
 عند الله وعند رسوله) استقهم بمعناه الحمد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله
 وهم يقدرون وينقضون العهد (الذين عاهدتم) أى من المشركين (عند المسجد الحرام) يوم
 الحديبية وهم المستنفون قبل (فما استقاموا اليكم) أى أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقموا
 لهم) أى على الوفاء وهو كقوله تعالى فأتوا اليهم عهدهم الى مدتتهم غير انه مطابق وهذا مقيد
 وما تقتضيه الشرطية والمصدرية (إن الله يحب المتقين) أى من اتى يوفى بعهد ملن عاهده وقد
 استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه باعانة بني بكر على خزاعة وقوله تعالى (كيف)
 نكرار الاستبعاد بنات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم
 عهد ثابت (وان) أى والحال انهم مضمرون لكم الغدر والخيانة فهم ان (يظهروا اليكم) أى
 يعلوا امرهم الى أمركم بأن يظهروا بكم بعد العهد والميثاق (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم) أى
 في اذا كم بكل جليل وحقيق (الا) أى قرابة محققة قال حسان

لعمرك ان الله من قريش • كأل السقب من رأل النعام

السقب ولد الناقة والرأل ولد النعامسة والخطاب في لعمرك لاني سفيان أى لا قرابة بينك وبين
 قريش كما لا قرابة بين ولد الناقة وولد النعامسة وقيل الالهة وقيل جبريل (ولادمة) أى عهدا
 بل يؤذوك ما استطاعوا وقوله تعالى (رضونكم بأفواههم) أى بكلامهم كلام مبتدأ في وصف
 حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) أى عن
 الوفاء بخالفة ما فيه امن الاضغان (وأكثرهم فاسقون) أى راسخو الاقدام في الفسق (فان
 قيل) الموصوفون بهذه الصفة كفاروا الكفر أقيح وأخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم
 بالفسق فهم معرض المبالغة في الذم وأيضاً الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله وأكثرهم فائدة
 (أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلاً في دينه فلا ينقض العهد وقد يكون فاسقاً بحيث النفس
 في دينه فينقضه فالمراد بالفسق هنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهدده فلهمذا
 قال وأكثرهم أى ان هؤلاء الكفار الذين من عادتهم نقض العهد أكثرهم فاسقون
 في دينهم وعند اقوامهم وذلك يوجب المبالغة في الذم وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض
 أولئك الكفار قد أسلم وتاب فلهمذا السبب قال وأكثرهم فاسقون حتى يخرج عن هذا الحكم
 أولئك الذين دخلوا في الاسلام (استتروا) أى استبدلوا (بآيات الله) أى القرآن (غنا قليلاً)
 أى عرضاً يسيراً من الدنيا وهو اتباع الاهواء والشهوات مع مصاحبة الكفر وذلك ان أباً
 سفيان بن حرب أطمح لحقاه وترك خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فنقض العهد الذي بينهم
 بسبب تلك الاكلة (قصداً) أى قسب لهم ذلك وأداهم الى ان صدوا (عن سبيله)
 أى منعوا الناس من الدخول في دينه (انهم ساء) أى بش (ما كانوا يعملون) أى عملهم

هذا وما دل عليه قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن الا ولادة) فهو تفسير لا تكسر بر وقيل
 الاقل عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم اوسقيان
 وأطعمهم (وأولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (هم المعتدون) الذين تعدوا وما حذر الله لهم
 في دينه وما وجبه العقد والعهد * ولما بين تعالى حال من لا يرقب في الله الا ولادة وينقض
 العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما حذر الله تعالى له لين ما يصيرون به من أهل دينه بقوله تعالى
 (فان تابوا) أي رجعوا عن الشر إلى الايمان وعن نقض العهد إلى الوفاء به (وأقاموا الصلاة)
 أي المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها (وآتوا الزكاة) المفروضة عليهم طيبة بها
 نفوسهم (فأخوانكم) أي فهم أخوانكم (في الدين) لهم مالكم وعليهم ما عليكم وقوله تعالى
 (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للبحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال
 الثابتين (وان كنتموا) أي نقضوا (ايمانهم) أي عهدوهم (من بعد عهدهم) الذي عاهدوكم
 عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) أي وجابوا
 دينكم الذي أنتم عليه وقد حوافيه (فقاتلوا أئمة الكفر) أي الكفار بأسرهم وانما خاص
 الأئمة منهم بالذكر لانهم هم الذين يحرضون الاتباع منهم على هذه الاعمال الباطلة وقال ابن
 عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحريث بن هشام وأبي جهل وسائر رؤساء قريش وهم الذين
 نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وقرأ نافع وابن كثير
 وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة وحقها الباقون وقول البضاوي والتصريحي
 بالياء لحن تبسيع فيه الكشف التابع للفراء وهو مردود فالجهور من النعاة والقراء على جواز
 قلب الهمزة الثانية حرف لين فبعضهم على جعلها بين بين وبعضهم على قلبها ياء خالصة وقوله
 تعالى (انهم لا ايمان لهم) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة أي لا تصديق لهم ولا دين وليس في ذلك
 دلالة على أن توبة المرتد لا تقبل والباقون بالغض جمع عين أي لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
 ليست بايمان والاماطعنا في دينكم ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذي اذا طعن في الاسلام
 فقد نكث عهده أي ان شرط ذلك عليه كما هو مذهبنا ونعكس أبو حنيفة رحمه الله تعالى به هذا
 على أن عين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى عينهم منعقدة ومعنى هذه
 الآية عنده انهم لم يأمروا بها صارت ايمانهم كأنهم ليست بايمان والدليل على أن عينهم
 منعقدة أن الله تعالى وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ولولم تكن منعقدة
 لما صح وصفها بالنكث وقوله تعالى (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أي لا يمكن غرضكم
 في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظام ان ينتهوا عما هم عليه من الكفر والطعن في
 دينكم والمظاهرة عليكم وهذا في غاية كرم الله تعالى وفضله على الانسان وليس الغرض ايصال
 الازية لهم كما هو طريقة الموحدين * ولما قال تعالى فقاتلوا أئمة الكفر اتبعه بذكر ثلاثة أسباب
 تمسككم على مقاتلتهم كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد فكيف في حال الاجتماع أحدها
 ما ذكره تعالى بقوله (القاتلون قوما نكثوا ايمانهم) أي نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا

عقد الصلح بالحديبية واعانوا بنى بكره على خراعة وهذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من
 قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجر الغيرهم ونالها قوله تعالى (وهو ما أخرج الرسول)
 من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على ما ذكر في قوله تعالى واذا يحكمك الذين كفروا وقيل
 هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو ما أخرجهم من المدينة وهذا من أوكدم ما يجب القتال لأجله
 وثالثها قوله تعالى (وهم يدؤكم) أي بالقتال (أول مرة) أي هم الذين كانت منهم البداية بالمقاتلة لأن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة فجهزهم عنها
 إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فأيضا عنكم من أن تقا تلومهم عنه وان تصد موهم بالشر
 كما صد موهم وبخفهم الله تعالى بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يجب الحاض عليها وتقرر
 ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخرج الرسول والبدا بالقتال من غير موجب
 حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوجب من قرط فيها (أن تحشونهم) أي أتحافونهم أي المؤمنون
 فتتركون قتالهم (فأله أحن أن تحشوه) فقاتلوا أعداء (ان كنتم مؤمنين) أي صدقين بوعده
 الله تعالى ووعده لأن قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الاربه ولا يبالي بن سواء كقوله
 تعالى ولا يخشون أحدا الا الله ولما وجههم الله تعالى على ترك القتال جدد له الامر به بقوله
 تعالى فأتلوهم بعد بهم الله بأيديكم) أي بالقتل والاسر واعتنام الاموال (فان قيل) قد قال الله
 تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف قال تعالى هنا يعذبهم الله بأيديكم (أجيب) بأن
 المراد بالعذاب في الآية الاولى عذاب الاستئصال وبهم هذه الآية القتل والاسر والفرق ان
 عذاب الاستئصال قديمه انتهى إلى غير المذب وأنه في حقه لم يذ الثواب وعذاب القتل مقصور
 على المذب وهذا كالتصريح بأن هذا الفعل وما عطف عليه فعله تعالى وان كان جاريا
 على أيدي العباد كسب الايراد على ذلك أنه لا يقال يعذب الله المؤمنين بأيدي الكافرين لأن ذلك
 انما استنع لشناعة العبادة كما لا يقال يا خالق القاذورات والابوال والعذرات وان كان هو
 الخالق لها (ويجزهم) أي بالذل والفضيحة في الدنيا والعذاب في الآخرة (ونصرهم عليهم)
 أي يكثرهم من قتلهم واذلالهم (ويصف صدور قوم مؤمنين) أي طائفة من المؤمنين وهم
 خراعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسباقدموا مكة فاسلموا فلقوا من
 أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكنون اليه فقال أبشر وافان
 الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) أي كرها وجدها وقد وفى الله تعالى بما وعد والاية من
 المعجزات وقوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء) استئناف أي ان الله تعالى يهدي من يشاء
 إلى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة
 الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله تعالى عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وحسن اسلامهم
 (والله عليهم) أي يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان فهو عليهم بكل شيء فيعلم من يصلح للتوبة ومن
 لا يصلح لها أو يعلم ما في قلوبكم من الاقدام والاجام (حسبكم) أي أحكم جميع أموره
 (أم حسبكم) أي أظننتم (ان تتركوا) فلا تؤمروا بالجهاد ولا تتحذروا لظهور الصادق من

الكاذب والخطاب للمؤمنين حين ~~ذكر~~ بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم جعفى
 همزة الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أى على ظاهره اتقوا به الهبة عليكم فى مجارى
 عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد فى الواقع بالفعل وعبر تعالى بـ لم لدلائلها
 مع استغراق الزمان على أن تين ما بعد هامتوقع كائن قوله تعالى (ولم يتخذوا من دون الله
 زلوا سوله ولا المؤمنين وليجة) عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله
 المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذى وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ورج كالخيلة
 من دخل وهى البطانة من المشركين يتخذونهم يفسون اليهم اسرارهم وقال قتادة هى الخيانة
 وقال عطاء بن الاوليا (والله خير عما تعلمون) من موالاته المشركين وغيرهافيما يزكم عليه
 قال ابن عباس رضى الله عنه لما أسر العباس يوم بدر عبيد المسلمون بالكفر وقطعة الرحمة
 وأغلظ على رضى الله عنه علمه القول فقال العباس ما ليكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون
 محاسنا فقال له على وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم انا لنعمرا المسجد الحرام
 ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونقل العاني يعنى الاسير فانزل الله تعالى رداعلى العباس (ما كان
 للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ما ينبغي للمشركين أن يعمروا ومسجد الله بدخوله
 والقعود فيه وخدمته فاذا دخل يغير اذن مسلم عزز وان دخل باذنه لم يعزركن لا بد من حاجة
 فيستطو للجواز الاذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى
 الله عليه وسلم شد ثغامة من اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر وذهب جماعة الى أن
 المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وترميمه عند خرابه فيقع منه الكافر وقرأ ابن كثير
 وأبو عمرو يسكون السنين ولا ألف بعدها على التوحيد وفى هذا دلالة على أن المراد المسجد
 الحرام والباقيون يفتح السنين وألف بعدها على الجمع وفيه دلالة على أن المراد جميع المساجد
 وقيل المراد على القراءتين المسجد الحرام وانما جمع لانه قبله المساجد وامامها فاعلمه كما مر
 الجميع وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) حال من الواو فى يعمروا أى ما استقام
 لهم أن يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى
 شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهو ركزهم قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن
 كلامهم بالكفر شاهد عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنه ما شاهدتهم على أنفسهم
 بالكفر سجودهم للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف بنباب قد عملنا فيها المعاصي وكلمنا طافوا أسبوعا
 سجدا والاصنام فلم يزدوا ومن الله الابداء وقيل هو قولهم ليس لك لاشريك لك الا شريك
 هو لك تملكه وما ملك وقال السدى شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يستل من
 أتى فيقول نصراني واليهودى يقول يهودى والمشرى يقول مشرك (أو أئتلك حبطة) أى
 بطلت (أعمالهم) أى الاعمال التى عملوها من أعمال البر واقترعوا بها مثل العمارة والحجابة
 والسقاية وفك العتاقة مع الكفر لانأثيرها (وفى النارهم خالدون) بلعلمهم الكفر مكان الاجان

وأصبح أصحابنا بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإيمان لا يبق محمداً في النار
 من وجهين الأول قوله تعالى وفي النار هم خالدون يقيد الحصر أي هم فيها خالدون لا غيرهم ولما
 كان هذا وارداً في حق الكفار ثبت أن الخلود لا يحصل إلا للكافر الثاني أنه تعالى جعل الخلود
 في النار جزاء للكفار عن كفرهم فلو كان هذا الحكم جزاء لغير الكفار لما صح تهديد الكافر به
 وفي الكشف أن الكبيرة تهدم الأعمال وهو جار على مذهبه الفاسد ولما بين تعالى أن الكافر
 ليس له أن يعمر مساجده بين المستحق لعمارتها بقوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن
 بالله اليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش) أحداً (إلا الله) أي انما يتم عمارتها
 لهؤلاء الجماعة بين الكمالات العملية والعلمية (فان قيل) لم يذكّر الإيمان برسوله صلى الله
 عليه وسلم مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان (أجيب) بأنه تعالى لما ذكر الصلاة والصلاة لا تتم
 إلا بالشهد وهو مشتمل على ذكره كان ذلك كافياً ومما علم من أن الإيمان بالله تعالى قرينه وعماحه
 الإيمان به فكان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم مذكوراً بطريق أبلغ وهو طريق الكفاية
 لما مر من مقارنتها وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر وقيل إن المشرّكين كانوا يقولون إن
 محمداً إنما ادّعى رسالة الله طلباً للرياسة والملأ فذلك ترك ذكر النبوة ~~فإنه~~ أنه يقول مطلوب
 من تبليغ الرسالة ليس إلا الإيمان بالمبدأ والمعاد فذكر المقصود الأصلي وحذف ذكر النبوة
 تنبيهاً للكفار على أنه لا مطلوب لهم من الرياسة (فان قيل) كيف قال تعالى ولم يخش إلا الله
 والمؤمن يخاف الظلمة والمفسدين (أجيب) بأن المراد من هذه الخشية الخوف والقوى في
 أبواب الدين وان لا يختار على رضا الله تعالى عنه رضا غيره وتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران
 أحدهما حق الله تعالى والآخر حق نفسه أن يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله تعالى على حق
 نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم ومن عمارة المساجد
 ترميمها وفرشها وتنويرها بالشرح التي لا سرف فيها وإدامة العبادة فيها والذكر ومن الذي
 درس العلم فيها بل هو أجل وأعظمه وصيانتها بمقام بين المساجد لأجله كحديث الديار روى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال باقى في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيعدون حلقات ذكرهم
 الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس الله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل
 الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وفي الكشف أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
 ان يبني في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبدها تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
 فحق على المزور أن يكرم زائره قال شيخ شيخنا ابن حجر لم أجده هكذا في الطبراني عن سلمان رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - نوضا في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر
 الله وحق على المزور أن يكرم زائره وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألقه الله
 تعالى وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس
 رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وجملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك
 المسجد ضوه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد وراح أعد الله تعالى له نزلاً

من الجنة كلما غدا وراح وفي قوله تعالى (فَعَسَى أُولَئِكَ) أى الموصوفون بهذه الصفات
(أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم اطماعهم والارتفاع
بأعمالهم التي قد استعظموها واقتضوا بها وأملوا عاقبتها فإنه تعالى بين أن الذين آمنوا وضعوا
إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضموها إليه الخشية من الله تعالى فهو لا صار حصول الاهتداء
لهم دائر بين اهل وعسى فما بال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ويجزمون بفوزهم
بخير من عند الله ومنع للمؤمنين من أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها وذكر المفسرون
في سبب نزول قوله تعالى (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أقوالا فمن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رجل لأبى أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبى أن لا أعمل
عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى
الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقنيت فيما اختلقت فيه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله
عنه ما قال العباس حين أسري يوم بدر لئن كنتم سيقتمونا بالاسلام وبالهجرة والجهاد لقد كنا نغمر
المسجد الحرام ونسقى الحاج فنزلت وقيل إن المشركين قالوا لليهود نحن علينا سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقال لهم اليهود أنتم أفضل فنزلت وقيل إن عليا
قال للعباس رضى الله عنه ما يا عم ألا تهاجرون إلا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ألسنت في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراى
الأنار لك فأتينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتهم فان لكم فيها خيرا وكان
العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بيده سقاية الحاج وكان يليها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام
وأسلم العباس أمره صلى الله عليه وسلم على ذلك وروى أنه صلى الله عليه وسلم جاء السقاية
فاستسقى فقال العباس رضى الله عنه لانه الفضل يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشرباب من عندها فقال له صلى الله عليه وسلم اسقى قال يا رسول الله يحببون أيدىهم
فيه قال اسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسبقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل
صالح وعن أبي بن عبد الله المزني رضى الله عنه قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه
أعرابي فقال ما لى أبى بنى عكم يسبقون العسل واللبن وأنتم تسبقون النيد أنى حاجة بكم أم من
يجل فقال ابن عباس رضى الله عنهما الحمد لله ما بنا من حاجة ولا نجل أنما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فأتيناه باناء من نيد فشربه وسقى فضله اسامة وقال
أحسنتم وأجلمتم كذا فافصنه وهه فلا يزيد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيد يقر
ينقع فى الماء غدوة وهو حلال فان غلا وجر حرم * (تنبيه) * السقاية والعمارة مصدران من سقى
وعمر كالصيانة والوقاية فلا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كإيمان من آمن بالله (لا يستمرون عند الله) أى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله

وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحجاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عسلا الا مع ايمان به وبين عدم تساويهم بقوله تعالى (والله لا يهدي الامم الظالمين) أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم منهم مكون في الضلال فكيف يساويون الذين عاهدهم الله تعالى ووفقههم الحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوتون بينهم وبين المؤمنين (الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) أى على مرتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات والمراد من ~~كون العبد عند الله بالاستغراق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه قطع العنديه بحسب الجهة والمكان لأن الارواح البشرية اذا تظهرت من دنس الاوصاف البدنية اشرقت بأنوار الجلال وتجلت فيها أضواء عالم الكمال وسرت من العبودية الى العندية وقيل أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام (فان قيل) على هذا كيف قال في وصفهم أعظم درجة مع انه ليس للكافر درجة (أجيب) بأن هذا ورد على حسب ما كانوا يفعلون لانفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره قوله تعالى قل الله خير أم ما يشركون وقوله تعالى أذلك خير من لا أم شجرة الزقوم (وأولئك) من هذه صفتهم (هم الفائزون) أى بسعادة الدنيا والآخرة (يشركهم) أى يخبرهم (ربهم) والشارة الخبر السار الذى يشرح الانسان عند سماعه وتستهش به بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر سبحانه وتعالى الذى يشركهم به بقوله تعالى (برحمة منه ورضوان) فهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله تعالى سبحانه وتعالى على العبد نهاية مقصوده (وجنات) أى ساتين كثيرة الاشجار والثمار (لهم فيها) أى الجنات (نعيم) أى جزاء خالص عن كدر وما (مقيم) أى غير منقطع وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة وحقق الخلود بقوله تعالى (أبدا) ولما ذكر تعالى هذه الاحوال قال (ان الله عنده أجر عظيم) وانهيك بما يصفه الله بالعظم ونخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونة بالعظم والاسم الاعظم فكان أعظم الثواب لأن ايمانهم أعظم الايمان وذكرا المفسرون في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) أقوالا فقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطهمة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ففهم من تعلق به أهله وولده يقولون نشدك الله ان لا نضيع عنافيرك لهم فيقيم عندهم ويدع الهجرة فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا يتفق عليه حتى رخص لهم بعد ذلك قال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا وطفوا بكم أى لا تتخذوهم أولياء يمنعوكم عن الايمان ويصدوكم عن الطاعة لقوله تعالى (ان استجبوا) أى اختاروا (الكفر على الايمان) أى أقاموا عليه تركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم) أى ومن يختار مقام معهم على الهجرة والجهاد (فاولئك هم الظالمون) أى فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله تعالى واختيار الكفار على~~

المؤمنين • ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا
 وذهبت تجارتنا وخربت دوزنا وقطعنا أرحامنا فنزل قوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين قالوا
 هذه المقالة (ان كان آبائكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ
 من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة (وأموال
 قفرة قفوها) أي اكسبتموها (وتجارة تفتنون كسادها) أي عدم نفاقها بفراقكم لها
 (ومساكن ترضونها) أي تستوطنونها راضين بسكناها (أحب اليكم من الله ورسوله) أي
 الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فقعدتم لاجل ذلك عن الهجرة والجهاد أي
 ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد
 في سبيل الله (فتربصوا) أي انتظروا متربين وهو تهديد بليغ (حتى يأق الله بأمره) قال
 مجاهد بفضائه أي عقوبة عاجلة أو آجلة وقال مقاتل بفتح مكة (والله لا يهدي القوم) أي
 لا يخلق الهداية في قلوب (الفاسقين) أي الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع
 تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا
 (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن) أي
 أما كن للحرب (كثيرة) كبدر وقرينة والتضير والمراد بذلك غزواته صلى الله عليه وسلم
 وسراياه وبعوثه وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد
 ابن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في غان منها وأما جميع غزواته وسراياه
 وبعوثه فقيل سبعون وقيل ثمانون (ويوم) أي واذا كروم (حنين) وهو وادي بين مكة والطائف
 أي يوم قتالكم فيه هو اذن وقوله تعالى (اذا عجبتكم كثيرتم) بدل من يوم حنين وكانت
 قصة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقد بقي من شهر رمضان
 أيام وخرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا
 عشرة آلاف وقال قتادة كانوا اثني عشر ألفا عشرة آلاف الذين حضر وافتح مكة وألفان
 انصروا اليهم من الطلقاء وهم الاسراء الذين أخذوا يوم فجع مكة وأطلقوا وبالجملة كانوا
 عددا كثيرا وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم
 من قلة انجبابكم فرتهم فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وقيل
 قائلها أبو بكر رضي الله عنه وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعد جد الانه
 صلى الله عليه وسلم كان في أحواله كاهما متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها
 ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهمز المشركون وتخلوا عن الذراري ثم تنادوا بإجاعة السوداء ذكرها
 لقضائل فتراجعوا وانكشف المسلمون حتى بلغ منهم مائة وثلاثين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس أخذ بالجام بقلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
 وزاهل بهذا شهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تنهائه شجاعته قال البراء بن عازب كانت

هو اذن رماة فلما جعلنا عليهم انكشفوا وكينا على الغنائم واستقبلوا بالسهم فأنكشف
المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس وأبوسفیان قال البراءة والذي
لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط قد رأيته وأبوسفیان أخذ بالركاب
والعباس أخذ بطعام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب فطفق
يركض بفلقته نحو الكفار لا يولى ثم قال للعباس وكان صبينا صبح باعباس فنادى يا عباد الله
يا أصحاب الشجرة وهم أصحاب بيعة الرضوان المذكورون في قوله تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال الطيبي وهم المذكورون في قوله
تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل الذين أنزلت عليهم سورة البقرة فرجعوا
بجماعة واحدة يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة
والسلام هذا حين حى الوطيس أى اشتد الحرب ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من
تراب فرماهم ثم قال اغزموا ورب الكعبة فانتم زموا وروى أنه صلى الله عليه وسلم نزل
عن البغلة ثم أخذ قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم ثم قال شاهدت الوجوه قال
سلسلة بن الاكوع فما خلق الله تعالى منهم انسانا الا مالا عينيه ترابا تلك القبضة فولوا
مدبرين فهزمهم الله تعالى (فلم تكن) أى الكثرة (عنكم شيئا) وضافت عليكم الارض بما
رجعت أى برحبها أى بسعة تالابدون فيها مقرات طعن اليه قفره لكم من شدة الرعب
ولا تابتون فيها كن لا يسعه مكانه (ثم وليتم مدبرين) أى الكفار وظهوركم مدبرين أى
منهزمين والادبار الذهب الى خلف خلاف الاقبال (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى
سكنوا اليها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) أى على الذين آمنوا فرددوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين تقوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنودا) أى ملائكة (لم تزوها) بأعينكم قال سعيد
ابن جبيرة مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل ثمانية آلاف
وقيل ستة عشر ألفا وروى أن رجلا من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباق
والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كانوا كم فهم الا كهية الشامة وما قتلنا الا بأيديهم فأخبروا
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسروسي
العيال وسلب المال (وذلك جزاء الكافرين) أى ما عذب بهم جزاء كفرهم فى الدنيا وروى أنه صلى
الله عليه وسلم لما قسم ما آفاه الله عليه يوم حنين فى الناس وفى الموافقة قالوهم لم يعط الانصار شيئا
فكأنهم وجدوا اذ لم يصهم ما أصاب الناس فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاشر
الانصار الم أجدكم ضاللا فهداكم الله بي وكنتم منفرقين فالفكم الله بي وعالفة غناصكم
اللهنى كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن قال ما يمنعكم أن تتجيوا رسول الله لوشتمت قاتم جنتنا
كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة
لكنت امرأ من الانصار لو سلك الناس واديا وشعبال سلكت وادى الانصار وشعبالهم الانصار

شعار والناس دثار انكم سـ تلتقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الخوض وعن رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس ثمانين بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرب بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال العباس بن مرداس

أتجعل نهي ونهب العبيد عينة والاقرب
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يحقق اليوم لا يرفع

قال فأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم له مائة (ثم يثوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله عفو ورحيم) ففتحوا روعهم وفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرز الناس وقد سبى اهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قبل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا ما ذراريكم ونساءكم وأما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا والحسب ما بعده الانسان من مفاخر أبائه كنوا بذلك من اختيار الذراري والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم في ذل الاسرى يفضي الى الطعن في احسابهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان يده شئ وطأ به نفسه ان يردته فشاؤه أى فليزمن شأنه وأمره ومن لا تطب نفسه ليعطنا وليكن قرضنا علينا أى بمنزلة القرض حتى نصيب شئاً فنقطع مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لأدري لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فلفروا ذلك البيا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذوو نجس لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس وأنهم سـ لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يتجنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كلهم النجاسات بعينها مباحة فى وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رضى الله تعالى من صافح مشركا فوضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين والنجس مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع (فلا يقربوا المسجد الحرام) أى النجاساتهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة والمنع من دخول الحرم قال العلماء وجلة بلاد الاسلام فى حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخل المسجد بحال ذميا كان أو مستأثما اظهر هذه الآية واذ جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام فى الحرم لا يؤذنه فى دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم ويجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثالث من بلاد الاسلام المجاز فيجوز للكافر دخوله بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى

لادع الاسلام فأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجراً ثلاثاً وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز لكافراً أن يقيم فيها بركة أو أمان لكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم لحاجة وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) إشارة إلى العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ونادى على رضى الله عنه ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة وقبل سنة حجة الوداع ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يقرأ على مشركي مكة أقرأ براءة وينذ إليهم عهدهم وإن الله يرى من المشركين ورسوله قال إناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدة لانقطاع السبيل وفقد الجولات وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجمعات وكان المشركون يأبون مكة بالطعام ويتجرون فلما امتنعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وإن خففتم عليه) أي فقرأوا حاجة بانقطاع تجارتهم عتكم (فدوف يغنيكم الله من فضله) أي من عطائه وفضله من وجه آخر وقد أنجز الله تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدراراً فكثرت خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاه ونبأه وجرش وجليبو الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون وبأله التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة قريتان من قرى اليمن وقيد ذلك بقوله تعالى (إن شاء) لانه قطع المال إليه تعالى ولينبه على أنه متفضل في ذلك وإن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (إن الله) أي الذي له الاساطة الكاملة (عليه) أي بوجوه المصالح (حكيم) أي فيما يعطى ويمنع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله تعالى فقال أهل الكتاب كما قال تعالى (فأنا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) (فإن قيل) اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله تعالى عنهم بذلك (أجيب) بأن من اعتقد أن العزيز ابن الله وأن المسيح ابن الله فليس يؤمن بل هو مشرك وبأن من كذب رسولاً من الرسل فليس يؤمن واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله) من انشركوا كل أموال الناس بالباطل وتبديل التوراة والانجيل وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أي الثابت الذي هو ناسخ لسائر الأديان وهو الاسلام كما قال تعالى إن الدين عند الله الاسلام (من الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) وهي الخراج المضروب على رعاياهم في نظير سكاكهم في بلاد الاسلام آمين مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم وقيل من الجزاء بمعنى القضاء قال الله تعالى واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً أي لا تقضى وقوله تعالى (عن يد) حال من الضمير أي متفادين مفهوزين يقال لكل من أعطى شيئاً كرهام من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يعطونهم بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وهل يجوز أن يوكروا مسلماً في دفعها أو لا ينبغي على تفسير الصغار ما ذكر في قوله تعالى (وههم صاغرون)

أى أذل من قاديون لحكم الاسلام ويكنى في الصغار ان يجرى عليهم الحكم بما لا يعقدون
 حله ان يجوز التوكيل على هذا تفسيره ان يجلس الاخذ ويقوم الكافر ويأطى رأسه ويحنى
 ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض الاخذ لحبته ويضرب له زمته وهم مجتمع اللحم بين
 الماضغ والاذن من الجانبين مردود بأن هذه الهيئة باطلة ودعوى سفيتها وأوجوبها أشد بطلاناً
 ولم يقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحداً من الخلفاء الراشدين فعل شيئاً من ذلك وعلى
 تفسيرهما بما ذكره من التوكيد اذا قيل بوجوبه لا باستحبابه (تنبيه) مفهوم الآية يقتضى
 تخصيص الجزية بأهل الكتاب ولكن الحق بهم الجهرس لانه صلى الله عليه وسلم أخذها من
 مجوس هجر وقال سنوابهم سنة أهل الكتاب وكذا من زعم التسليم بعصف ابراهيم وزبور داود
 صلى الله عليه وسلم ومن أحد أبويه كافي والآخر وثى وأولاد من تهوداً وتصرف قبل النسخ
 أو شكا في وقت التهود والتصير كان قبل النسخ أم بعده فلا تعقد ولا لادن تهوداً وتصير
 بعد النسخ في ذلك الدين ولا بعد الاوثان والشمس والملائكة والسامرة والصابئون
 ان خالفوا اليهود والنصارى في أصول دينهم فليس وامنهم والافتنهم وعن مالك تؤخذ الجزية
 من كل كافر الا المرتد وعن أبي حنيفة الا مشركي العرب وأقل الجزية دينار لكل سنة عن كل
 واحد لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن خذ من كل حاكم أى يحتمل ديناراً
 معه ابن حبان والحاكم وتؤخذ من زمن وشيخ هرم وأعمى وراهب وأجير وفقير عجز عن كسب
 فاذا غنت سنة وهو عسر في ذمته حتى يوسر وقال أبو حنيفة على الفقي ثمانية وأربعون درهماً
 وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب ولا بد أن يكون
 المأخوذ منه حرّاً ذكراً غير مريض ومجنون وتلقى افاقة مجنون كثرت فان قل زمن الجنون
 كساعة من شهر فلا أثر لها ولو بلغ ابن ذى ولده طرية ألحق بأمنه وان أعطاه عقده وقبل
 عليه بجزية أبيه ولا يحتاج الى عقده اكتفاء بعقد أبيه ومن مات من عقدته الجزية وأسلم أو
 جن أو هجر عليه بفلس أو سقه بعد سنة بغزته كدين آدمى أو فى أثنائها انقسط وتسقط بالاسلام
 والموت عند أبي حنيفة (وقالت اليهود عذير ابن الله) اختلفوا في قائل هذه المقالة على أقوال
 أحدها قال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسعه فتحاص بن عازوراء
 وهو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء وثانيها قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة وعكرمة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلاماً من مشركهم فذهبا من بن أوفى وشاس
 ابن قيس ومالك بن النضر فقالوا كيف تبسح دينك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم
 ان عزير ابن الله فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذين القولين القائل انما هو بعض
 اليهود الا أن الله تعالى نسب ذلك الى اليهود بشاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على اسم
 الواحد يقال فلان ركب الخيول ولعله لم يركب الا واحداً منها وفلان يجالس السلاطين ولعله لم
 يجالس الا واحداً وثالثها أن هذا المذهب لعله كان ثابته فيهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم
 ولا حجة بانكار اليهود ذلك فان الآية تليق عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على

التكذيب واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 ان اليهود اضعوا التوراة وعلوا بغير الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم
 فتمضت عزير الى الله تعالى وباتل اليه ان يرذ اليه الذي نسخ من صدورهم فيمنها هو يصلي مبتلا
 الى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم
 قد آتاني الله تعالى التوراة وردها الى قلعقوابه يعلمهم ثم مكتوا ما شاء الله تعالى ثم ان التابوت
 أنزل بعد ذلك عنهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير
 فوجدوا مثله فقالوا ما أتى عزير هذا الا أنه ابن الله وقيل لما رفع الله تعالى عنهم التوراة خرج
 عزير وهو غلام يسبح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال اطلب
 العلم فخطه التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لا يجرم منها حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة
 في قلبه وهو غلام الا أنه ابنه وقال الكلبي ان يجتصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ
 التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستغفره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
 المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة فبعث الله تعالى عزير ليجتد لهم التوراة ويكون لهم آية
 بعد ما أماته الله تعالى مائة سنة وأرسل اليه ملكا بانافيه ما فسد فخلت التوراة في صدره فلما
 أتاهم وقال لهم أنا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فأتنا التوراة فكتبها لهم من صدره
 ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا
 معه حتى أخرجوها فاعرضوا بها ما كسبه عزير فلم يجدوه غادر حرقا فقالوا ان الله تعالى لم يذف
 التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقرأ عاصم والكسائي
 عزير بالتسوين والباقون بغير تنوين قال الزجاج الوجه اثبات التنوين فقوله عزير مبتدأ وقوله
 ابن خبره واذا كان كذلك فلا بد من التنوين في حال السعة لان عزيرا ينصرف سواء كان عربيا أم
 بجميا وسبب كونه منصرفا أمران أحدهما أنه اسم خفيف فينصرف وان كان أعجميا كهود
 ولوط والثاني أنه على صيغة التصغير وأن الاسماء الأعجمية لا تنصرف وأما الذين تركوا التنوين
 فلمهم فيه أوجه أحدها أنه أعجمي معرفة فوجب أن لا ينصرف وثانيها قال القراءون
 التنوين ساكنة من عزير والباء من ابن الله ساكنة فحصل ههنا التقاء الساكنين فحذف التنوين
 للتخفيف ورده هذا الوجه بأنه مخالف لما تقر من ان الوجه عند ملاقات التنوين للساكن
 التحريك لا الحذف وثالثها ان الابن وصف والخبر محذوف والتقدير عزير بن الله معبودنا ردة
 هذا أيضا بأنه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدّر لان من أخبر عن ذات موصوفة بصفة
 بأمر من الامور أو أنكر منسكروجه الانكار الى الخبر فكان المقصود بالانكار قوله عزير ابن
 الله معبودنا وحصل تسليم كونه ابن الله وهو هالوم أن ذلك كفر (وقالت النصارى المسيح عيسى ابن
 الله) واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقبل انما قالوا اسمه الان يكون ولد لابلأ وقيل
 ان النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وعشرين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام
 يصلون الى القبلة يصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حروب وكان في اليهود رجل شجاع

يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان الحق مع عيسى
 وقد كفرنا ومصرنا الى النار ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني ساحاتل وأضلهم
 حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقاتل عليه يقال له العقاب فعرقه وأظهر الندامة والتوبة
 ووضع التراب على رأسه وقال للنصارى نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تقصروا وقد ثبت
 وأبتسكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل يتفاهم ~~مكت~~ فيه سنة لا يخرج منه ليللا
 ولأنهم اراحني فعمل الانجيل ثم خرج منه وقال انه نودي ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا
 شأنه فيهم ثم عد الى ثلاث رجال اسم واحد منهم نسطورا والاخر يعقوب والاخر مذكاهم
 نسطورا ان عيسى ومريم والاله ثلاث وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولا جسم ولكنه
 ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الاله لم يزل ولا يزال فلما اشتهر ذلك فيهم دعا كل واحد منهم وقال له
 أنت خالصي فادع الناس لما علمت وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت
 عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم سأدبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى
 المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
 وواحد الى ناحية أخرى وأحكم كل واحد منهم مقاليته ودعا الناس اليها فاتبعوه على ذلك
 طوائف من الناس فتفرقوا واختلوا ووقع القتال فهذا هو السبب في وقوع الكفر
 في طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدى رحمه الله تعالى قال الرازى عقب هذا الحكاية
 والاقرع عندي أن يقال ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف ثم ان القوم لاجل
 عداوة القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبوة الحقيقية والجهل قبلوا ذلك وفسدوا هذا المذهب
 الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة (ذلك قولهم بأفواههم) أى
 لا مستند لهم عليه (فان قيل) كل قول يقال بالقلم فامعنى بأفواههم (أجيب) بأنه قول لا يعضده
 برهان فاهو الالفاظ فهو راب فارغ من معنى تحته كالالفاظ المملة التي لا تدل على معان
 وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالقلم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول
 بالقلم لا غير وأبان راد بالقول المذهب ~~مكت~~ قولهم قول الشافعي رحمه الله تعالى يريدون
 مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم وبينهم بأفواههم لا يقولون به لانه لا حجة معه ولا شبهة
 حتى تؤثر في القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له ولا ولم تكن لهم شبهة في انتفاء
 الولد قال أهل المعاني لم يذكروا الله تعالى قولاً مقروناً بالافواه والاسن الا كان ذلك زوراً
 (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون وقال مجاهد يواظنون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
 كفروا من قبل) أى من قبلهم ولا يتم حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول الذين كفروا
 ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب حرفوا والماء في ان الذين كانوا
 في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم فالكفر
 قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة ثبات الله وقيل الضمير للنصارى
 أى يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرأنا عاصم بكسر
 الهاء وبمدها همزة مضمومة والباقون بضم الهاء ولا همز بعده و قوله تعالى (قاتلهم الله) دعاء

عليهم بالهلاك فان من قاتله الله تعالى هلك أو تعجب من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه فانه الله ما أعجب فعله وقيل لعنهم الله روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنه قال كل شيء في القرآن مثله فهو امن (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل بأن الله تعالى واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالتعجب تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أى اتخذ اليهود أحبارهم أى علماءهم والخبر في الاصل العالم من أى طائفة كان واختص في العرف بعلماء اليهود ومن ولد هرون وكان أبو الهيثم يقول واحدا الاحبار حبر بالفتح وينكر الكسر واتخذ النصارى رهبانهم أى عبادهم أصحاب الصوامع والراهب في الاصل من تمكنت الرهبنة من قلبه فظهر آثارها على وجهه ولباسه واختمت في العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع (أربابا من دون الله) لانهم أطاعوهم في تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى كما تطاع الارباب في أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن وقال ابراهيم الخليل عليه السلام يا آبت لا تعبد الشيطان وعن عدى بن حاتم أنه قال أنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح هذا اللون من عنقك فطرحت ثم انتهت اليه وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية فقلت انالسا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فهاؤنه قلت بلى قال تلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل يدل الدين الاممolk * وأحبار سوء ورهبانها

(فان قيل) انه تعالى كفرهم بسبب ان أطاعوا الاحبار والرهبان فالناسق بطبع الشيطان فوجب الحكم بكفره على ما هو قول الخوارج (أجيب) بأن الناسق وان كان يقبل دعوى الشيطان لأنه لا يظلمه بل يلغنه ويستغيبه وأما هؤلاء فكانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم وقد سالف بعض الجهال في تعظيم شخصه بحيث يميل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الآخرة بعيدا عن الدين قد باق اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون وعن الفضيل رضي الله تعالى عنه ما أبالي أظمت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغبر القبلة (والشيخ بن مريم) أى اتخذوه كذلك ليكونهم جعلوا ابنا فأهملوا للعبادة بذلك مع كونه ابن مريم فهو لا يعلم للالهية بوجه لما ركنه لادنه بين في الجمل والولادة والاكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للعاجزة المنافية للالهية (وما أمروا) أى في التوراة والانجيل (الليعبدوا) أى ليطيعوا على وجه التعبد (لها واحدا) أى لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالمآلة وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة من أمر الله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله تعالى وقوله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية وأستئناف مقول للتوحيد (سبحانه عما يشركون) أى تعالى وتنزه عن أن يكون له

شريك في العباد والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون)
 أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أي شرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته
 وتقديسه عن الولد والقرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (يا قواهم) أي بأقوالهم
 الكاذبة وشركهم وفي تسمية دينه أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم نوراً وهادياً لهم
 انطفاء بأقوالهم تمثيل لحالهم في طلبهم أن يطفئوا نور الله بالكذب بالشرك بحال من يريد أن
 ينقذ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيد ويبلغه الغاية القصوى في الاشراق
 والاضاءة ليطفئه بنفسه ويطمسه (وأي الله) أي لا رضى (الأن يتم نوره) باعلاء التوحيد
 واعزاز الاسلام (فان قيل) كيف جازأبى الله الكذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا
 (أجيب) بأنه أجرى أي مجرى لم يرد الأثرى كيف قبول يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله
 وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره وقوله تعالى (ولو كره الكافرون) محذوف
 الجواب لدلالة ما قبله أي ولو كرهوا غلبته (هو الذي أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
 (بالمهدي) أي القرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً له (ودين الحق) أي دين الاسلام (ليظهره)
 أي ليعليه (على الدين كله) أي جميع الاديان المخالفة له وهذا كالبيان لقوله تعالى ويأبى الله
 إلا أن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون
 للدلالة على أنهم ضمو الكفر بالرسول إلى الشرك بالله تعالى (فان قيل) الاسلام لم يضم غالباً لسائر
 الاديان في أرض الصين والهند والروم وسائر بلاد الكفر (أجيب) عن ذلك بأوجه الأول بأنه
 لا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك
 في جميع مواضعهم فقهرهم اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد
 الشام وما والاها إلى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام
 على كثير من بلادهم مما يلي الهند والترك وكذلك سائر الاديان فثبت ان الذي أخبر الله تعالى عنه
 في هذه الآية قد وقع وحصل فكان ذلك اخباراً عن الغيب فكان مجهزاً الوجه الثاني ما روى
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال هذا وعد من الله تعالى يجعل الاسلام غالباً على
 جميع الاديان وتغام هذا انما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام فإنه لا يبقى أهل دين
 الا دخلوا في الاسلام وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام
 أو أذى الخراج الوجه الثالث أن المراد اظهاره في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فإنه تعالى
 ما أتى فيها أحد من الكفار وقال ابن عباس الهاء في ليظهره إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
 والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها (يا أيها الذين آمنوا ان
 كثير من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي عباد النصارى (ليأتوا) أي يتناولوا
 (أموال الناس بالباطل) كالمساكين والفقراء بالكل لانه معظم المراد من المال وإشارة إلى تحقير
 الاحبار والرهبان بأن يفعلوا ما يتنافى مقامهم الذي أقاموا أنفسهم فيه باظهار الزهد والمباغاة
 في التدبير قال الرازي ولعمري من تأمل أحوال الناس في زماننا وجد هذه الآيات كأنها

ما أنزلت الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعلق
 ساطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعظمة مثل الملائكة المقررين حتى اذا آل
 الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويحمل نهاية الدل والدناءة في تحصيله (ويصدون)
 الناس (عن سبيل الله) أي دينه ولما كان مطلوب الخلق في الدنيا المال والجاه بين تعالى في صفة
 الاحبار والرهبان كونهم مشغوفين بهذين الامرين أما المال فهو المراد بقوله تعالى ليا كاون
 أموال الناس بالباطل وأما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون عن سبيل الله فانهم لو أقرروا بأن
 محمد صلى الله عليه وسلم على الحق لزمنهم متابعته وحينئذ كان يعطل حكمهم وزول
 حرمهم ولاجل الخوف من هذا المحذور كانوا يلقون في المنع من متابعته صلى الله عليه وسلم
 ويالقون في القاء الشبهات وفي استخراج وجوه المكر والخديعة وفي منع الخلق من قبول
 دينه الحق (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يحتمل أن يراد بقوله
 الذين أولئك الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرم الشديد على أخذ أموال
 الناس بقوله تعالى ليا كاون أموال الناس بالباطل ووصفهم بأبواب البخل الشديد والامتناع
 من اخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة
 وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ولا يؤدّون حقه ويكون اقترانهم بالمرتسين من اليهود
 والنصارى تغلظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم بطيب زكاة ماله
 سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وأن يراد كل من كثر المال ولم يخرج منه الحقوق
 الواجبة سواء كان من الاحبار والرهبان أو كان من المسلمين لما روى عن زيد بن وهب قال
 مررت على أبي ذر بالبزفة فقلت ما أنزلت به هذه الارض فقال كتبنا بالشام فقرأت والذين
 يكتزون الذهب الآية فقال معاوية ما هذا فافينا ما هذا الا في أهل الكتاب فقلت انما هيهم
 وفيما فصار ذلك سببا للوحشة بيني وبينه فكتب الى عثمان ان أقبل الى فلما قدمت المدينة
 انخرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي قم فريافقت
 اني والله لن أدع ما كنت أقول وأصل الكثرة في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض
 فهو مكتوز يقال هذا جسم مكتوز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء واختلف علماء الصنابة
 في المراد بهذا الكثرة المذموم على قولين الاول وهو ما عليه الأكثر أنه المال الذي لم تؤد زكاته
 لما روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آناه
 الله ما لا يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان بطوق يوم القيامة ثم يأخذ
 بهلزمته يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كثر لثم تلا ولا تحسبن الذين ينجون بما آناه الله من
 فضله الآية والشجاع الحية والأقرع صفة لطول عمره لأن من طال عمره ترق شعره وذهب وجهه
 صفة أخذت الحيات والزبببان الزائدتان في الشدقين وروى لما نزلت هذه الآية كبر على
 المسلمين فذكر عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا
 لطيبين اصابني من أموالكم وقال ابن عباس في قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين

لا يؤذون زكاة أموالهم قال القاضي عياض تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لاسبيل اليه بل
الواجب أن يقال الكنز هو الذي ما أخرج عنه ما وجب أخراجه ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب
من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج وبين ما يجب أخراجه في الدين والحقوق والانفاق
على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنائيات فيجب في كل هذه الأقسام وأن يكون
دائلا في الوعد والقول الثاني أن المال الكثير إذا جع فهو الكثير المذموم واحتج المذهبون
إلى هذا القول بعموم الآية وجماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية
تبلى الذهب بالفضة قالوا ثلثا فقالوا له أي مال تفضد قال لسانا ذكرنا وقبائنا شاة وزوجة
نعين أحدكم على دينه وقال عليه الصلاة والسلام من ترك صغرا أو بيضاء كوى بها وتوفى
شخص فوجد في منزله دينار فقال صلى الله عليه وسلم كى به وتوفى آخر فوجد في منزله ديناران
فقال كيتان وأجاب القائلون بالقول بأن هذا كان قبل فرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة
فألله أعدل وأكرم أن يجمع عبده ما لا من حيث أذن فيه ويؤذى ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه
وقد روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال كانت قبل أن تنزل
الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال وقال ما بالي لو أني مثل أحد ذهباً أعلم عدده أركبه
وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى
الله عليه وسلم ما أذى ذكاته فليس بكثرة وكان في زمانه صلى الله عليه وسلم جماعة معهم الأموال
كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعدّهم من أكابر الصحابة وما معهم
أحد عن أعرس عن القينة لأن الأعراس اختيار الأفاضل والأدخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناع بما هو موسع لا يذم صاحبه وكونه أدخل في الورع لا موزمها أن كسب المال شاق شديد
وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب فسبى الإنسان طول عمره تارة في طلب التحصيل وأخرى
في طلب الحفظ ثم انه لا يتوقع منها إلا بالقليل ومنها أن كثرة المال والجاء تورث الطغيان كما قال
تعالى إن الأنبياء أبطى أن رآه استغنى فالطغيان يمنع من وصول العبد إلى مقام رضوان
الرحمن ويوقع في الخذلان والخسران ومنها أنه تعالى أوجب الزكاة وذلك سعي في تنقيص
المال ولو كان تكثره فضيلة لما سعى الشرع في تنقيصه (فان قيل) قال عليه الصلاة والسلام
اليد العليا خير من اليد السفلى (أجيب) بأن اليد العليا إنما أفادته عفة الخيرية لأنه لما أعطى
ذلك القليل نسب أنه حصل في ماله ذلك النقصان القليل فحصل له الخيرية وبسبب أنه حصل
للفقير بذلك الزيادة القليلة حصلت له الرجوعية (فان قيل) انه تعالى ذكر شيئين وهما الذنب
والفضة ثم قال ولا ينفقونها فلم أفرد الضمير (أجيب) بأن الضمير راجع إلى المعنى دون اللفظ
لأن كل واحد منهما جله وأفيه وعدة كثيرة وذنائب ودراهم فهو كونه تعالى وإن طافقتان من
المؤمنين اقتتلا أو قيل ذهب به إلى المكتوز وقيل إلى الأموال وقيل التقدير ولا ينفقون
الفضة وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة من حيث أنهم ما عايشتركان في غيبة الأشياء
أو أن ذكر أحدهما يقتضى عن الآخر كقوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها جعل

الضمير للتجارة وقيل التقدير والذهب كذلك كما أن قول القائل **فاني وقبارهم القريب** أي وقبار كذلك (فان قيل) ما السبب في كونه خصهما بالذكر من سائر الاموال (اجيب) بأنهما خصامن دون سائر الاموال لانهما أشرف الاموال وهما الاذان يقصدان بالكثرة ومن كثرنا عنده لم يعد سائر أجناس المال فكان ذكر كثرهما دليل على مساوهما ثم انه تعالى لما ذكر من يكثر الذهب والفضة قال تعالى (ففسرهم) أي أخبرهم (بعذاب أليم) أي مؤلم وعبر بالبشارة على سبيل التحكم (يوم يحصى عليها) أي الكنوز بأن تدخل (في نار جهنم) فيوقد عليها (فتكوى) أي تحرق (بها) أي بهذه الاموال (جباهم وجنوبهم وظهورهم) قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته وسئل أبو بكر الورثاني لم خصت الجباه والجنوب والظهور بالكي قال لان الغنى صاحب الكثرة اذا راى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير جنبه ساء عنه وولى عليه ظهره وقيل المعنى انهم يكونون على الجهات الاربع أمان من مقدمه فعلى الجبهة واما من خلفه فعلى الظهر واما من يمينه ويساره فعلى الجنبين وقيل لان جمعهم واما كهم المال كان الطلب الوجاهة بالغنى والتسم بالطعام الذهبية والملابس البهية وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يورثي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهه وجنبه وظهره كلما بردت عليه أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقوله تعالى (هذا ما كنتم تنتم) على ارادة القول أي قال لهم هذا ما كنتم (لأنتم كنتم) أي لمفعليها وكان عين مضمرها وسبب تعذيبها (فدوقوا ما كنتم تكفرون) أي تغفون حقوق الله تعالى في أموالكم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال انتهت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فتلبت يا رسول الله فالدأبى وأتمى من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال **هكذا وهكذا** من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم (ان عدة الشهور) أي عددها (عند الله اثنا عشر شهرا) وهي المحرم وصفر وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني وجمادى الاول وجمادى الثاني وربيع وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة هذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقبت حجهم واعبادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور اثنا عشر وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دوران الشمس في الفلك دورة واحدة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فيسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية

قوله وأيام هذه
الشهور والحج المذكور
في كتب النسخة
أن السنة الهلالية
ثلاثمائة وأربعة
وخمسون يوما
وخمس يوم وسدسه
وأن السنة الشمسية
ثلاثمائة وخمسة
وستون يوما وربع
يوم الاجزاء من
ثلاثمائة جزء من
اليوم ٨١

فكان جميعهم يقع تارة في وقته وتارة في الحرم وتارة في صفر وتارة في غيره مما من الشهور فأعلم الله تعالى أن عدة الشهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أي في علمه وحكمه (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه أحوال مخلوقاته بأمره على التفصيل وهو أصل المكتب التي أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل فيما أنبته وأوجب من حكمه ورأه حكمة وصوابا (يوم خلق السموات والأرض) أي أن هذا الحكم حكم به وقضاه يومئذ أي السنة اثنا عشر شهرا (منها) أي الأشهر (أربعة حرم) ثلاثة سواء وذو القعدة يفتح القاف وذو الحجة بكسر الحاء على المشهور فمما وبما بذلك لعمري قد هم عن القتال في الأول ولوقوع الحج في الثاني والحرم بتشديد الراء المفتوحة بمعنى بذلك التحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على الابس ودخلته اللام دون غيره من الشهور لانه أولها فعرفوه كأنه قيل هذا الشهر الذي ابتداء أول السنة وواحد فرد وهو رجب ويجمع على أرباب ورباب ورجوب وربجات ويقال له الاصم والاصب وقيل لم يعذب الله أمة في شهر رجب ورد عليه بأن الله تعالى أغرق قوم نوح فيه قاله التعلبي وهذا الترتيب الذي ذكرناه في عدة الأشهر الحرم وجعلها من ستين هو الصواب كما قاله النووي في شرح مسلم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورباب مضى الذي بين جادى وشعبان وعددها الكوفيون من سنة واحدة فقالوا الحرم ورباب وذو القعدة وذو الحجة قال ابن دحية وقطهر فائدة الخلاف فيما إذا نذر صيامها مرة فعلى الأول ينتدى بذى القعدة وعلى الثاني بالحرم ومعنى الحديث أن الأشهر رجعت إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذى الحجة وبطل التسمية التي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذى الحجة وكانت حجة أى بكر رضى الله عنه قبلها في ذى القعدة ومعنى الحرم أن المعصية فيها أشد عقابا والطاعة فيها أكثر ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جدا حتى لولى الرجل قاتل أبيه لم يتعرض له (فان قيل) أجزاء الزمان متشابهة في الحقيقة فما السبب في هذا التمييز (أجيب) بأن هذا المعنى غير متباعد في الشرائع فان أمثله كثيرة ألا ترى أنه تعالى ميز البلد الحرام عن سائر البلاد بزيادة الحرمه وميز يوم الجمعة عن سائر أيام الأسبوع بزيادة الحرمه وميز يوم عرفة عن سائر الأيام بتلك العبادة المخصوصة وميز شهر رمضان عن سائر الشهور بزيادة الحرمه وهو وجوب الصوم وميز بعض ساعات اليوم بوجوب الصلاة فيها وميز بعض الليالي عن سائرها وهي ليلة القدر وميز بعض الأشخاص عن سائر الناس بأعطاء كلهم الرسالة وإذا كانت هذه الأمثلة ظاهرة مشهورة فأى استبعاد في تخصيص بعض الأشهر بزيادة الحرمه (ذلك) أى تحريم الأشهر الأربعة (الدين القسيم) أى المستقيم وهو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب وروثهم منها وقيل المراد بالدين الحساب يقال الكيس من دان نفسه أى حاسبها والقسم معناه المستقيم فتفسير الآية على

هذا التقدير ذلك الحساب المستقيم الصحيح والعدد المستوي وقال الحسن ذلك الدين القديم الذي لا يبدل ولا يغير فالقيم هنا بمعنى القائم الدائم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس عليه (فلا تظلو آفيتها) أي الأشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصي فانها فيها أعظم وزرا لأن الله تعالى خص هذه الشهور بعز ويزيد احترام في أنه أخرى وهو قوله ما إلى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فهذه الأشياء غير جائزة في غير الحج أيضا لأنه تعالى أكد في المنع منها في هذه الأيام تنبيهها على زيادتها في الشرف وقال ابن عباس إن المراد فلا تظلو في الشهور الاثني عشر أنفسكم والمقصود من منع الإنسان من الاقدام على الفساد مطلقا في جميع العبر قال الفراء والاول أولى لأن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة فيهن فاذا جاوز هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه أن جمع القلة يكتفي عنه كما يكتفي عن جماعة مؤنثة ويكتفي عن جمع الكثرة كما يكتفي عن واحدة مؤنثة كما قال حسان

لنا الجففات الغزيلعن في الضحى * وأسيا فذا يقطن من نجدة دما

قال يلعن ويقطن لأن الاسيا والجففات جمع قلة ولو جمع جمع الكثرة لقال تلعب وتقطر هذا في الاختيار ثم يجوز ابراء أحدهما مجرى الآخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

فقال بهن والسيوف جمع كثرة وقيل المراد بالظلم المقاتلة في هذه الأشهر وقيل النسيء الذي كانوا يعملونه فينتلون الحج من الذي أمر الله تعالى بأقامته فيه إلى شيء آخر ويعفرون تكاليف الله تعالى والجهور على أن حرمة المقاتلة في الأشهر الحرم منسوخة وعن عطاء لا يحمل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ويؤيدون لا أول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزاها وازن يمينين في شوال وذى القعدة وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعا في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة) واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة ومن كان معه نصر لا محالة (انما النسيء) أي التأخير لحرمته شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر ورفضوا خصوص الأشهر واعتبروا بمجرده العدد فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون الحرم فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهر ربيع إلى ربيع ثم حرموا في الحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة في ذي القعدة قبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر وأعلمهم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك ثلاثين بدلا في مستأنف الأيام وقد رجع الحرم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى وذلك بعد دهر طويل وروى عن أبي

بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة لنا أى شهر هذا قلنا الله
ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا
قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال
فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا
بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم
هذا وسنتكم ودينكم فبما ألتكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم
رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فاعل بعض من يبلغه أن يكون أو يحى لمن بعض من سمعه
الأهل بلغت الأهل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهدوا ختفوا في أول من نسا
الندى فقال ابن عباس بنو مالك بن كنانة وكان يليه أبو غامدة وجنادة بن عوف بن أمية الكنانى
كان يقوم على جبل بالموسم فينادى ان آلهتكم قد ألت لكم المحرم فأجابه ثم ينادى فى قابل ان
آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فخرموه وقال الكلبى أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال
له نعيم بن ثعلبة وقبل أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سب السواحب وقال فيه النبى
صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجز قصبه فى النار وقوله تعالى (زيادة فى الكفر) معناه انه
تعالى حكي عنهم أنواعا كثيرة من الكفر فلما ضموا تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله
تعالى وهو كفر كان ضم هذا العمل الى تلك الأنواع المتقدمة من الكفر زيادة فى الكفر لان
الكافر كلما أحدث معصية أزداد كفرافزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن كلما أحدث
طاعة أزداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرأ ورش النسي بقلب الهزمية واذا غام
الياء فيها بقيت ياء مضمومة مشددة والباقيون بهمزة مضمومة هذا فى الوصل وأما الوقف
فورش يقف ياء مشددة ساكنة وحزرة كذلك وله فيه الروم والاشمام والباقيون بهمزة ساكنة
(يصل به) أى بهذا التأخير الذى هو النسي (الذين كفروا) قرأ حفص وحزرة والكسائى بضم
الياء وفتح الصاد لقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم والباقيون بفتح الياء وكسر الصاد على معنى
انهم هم الضالون لقوله تعالى (يحلونه) أى يحلون النسي من الاشهر الحرم (عاما) ويحرمون
مكانه شهر آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمة وانما فعلوا ذلك (ليواطوا) أى ليوافقوا
(عدة) أى عدد (ما حرم الله) من الاشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر ولا يقتصون عنها
ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله) بواطاة العدة من غير مراعاة الوقت الذى يحل
اليه الاشهر الحرم (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل حتى
حسبوا هذا القبيح حسنا (وانه لا يمدى القوم الكافرين) أى هداية موصلة الى الاهتداء لما
سبق لهم فى الازل انهم من أهل النار ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة
وحدث على غزوة تبوك وكان ذلك الوقت زمان عسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة ولم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغير حاجى كانت تلك الغزوة غزاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومقاومة جلال للناس أمرهم ليأتوا هبوا أهبة غزاهم

فشق عليهم الخروج وتناقلوا فنزل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله
 أنما قلتم) بادغام التاء في الأصل في المثناة واجتلاب همزة الوصل إذا صلة تناقلتم ومعناه تناطأتم
 وملتم عن الجهاد (إلى الأرض) والقعود فيها والاستقهاهم للتوبيخ قال المحققون وانما تناقل
 الناس من وجوه الأول شدة الزمان في الصنف والقط والثاني بعد المسافة والحاجة إلى
 الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به عادتهم في سائر الغزوات والثالث ادراك الخمار بالمدينة
 في ذلك الوقت والرابع شدة الحزن في ذلك الوقت ثم قال لهم الله تعالى (أرضيتُم بالحياة الدنيا)
 وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فامتنع الحياة الدنيا) جنب منافع الآخرة
 الأقل (أي حقير لأن منافع الدنيا يفقد عن قريب ونعيم الآخرة باق على الدوام فلهذا السبب
 كان منافع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة قليلا وفي الآخرة دليل على وجوب الجهاد في كل حال
 وفي كل وقت لأن الله تعالى نص على أن تناقلهم عن الجهاد أمر منكرف لو لم يكن الجهاد واجبا لما
 عاتبهم الله على التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في قوله تعالى (الآ) أي بادغام نون أن
 الشرطة في لافي الموضوعين (تنفروا) أي تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم
 عذابا أليما) أي مؤلما في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا فيها وأبلا هلا بسبب فطبيع
 كقطع وظهور وعدو وقيل باحتباس المطر عنهم قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما
 غيركم) أي يات بهم بدلكم قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبيرة بنأ فارس وقال أبو
 روق هم أهل اليمن قال الرازي وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية لأن الآية ليس فيها إشعار بها
 بل حمل لذلك المطلق على صورة معينة شاهدها وقال في الكشف بعد ذكره ذلك والظاهر
 مستغن عن التخصيص (ولانضروا) أي لا يقدح تناقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغنى عن كل
 شيء وفي كل أمر وقيل الضمير راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي ولا تضروا لأن الله تعالى
 وعده أن ينصره وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) أي يفقد على التبديل وتغيير
 الأسباب والنصرة بلا عدد كما قال تعالى (الانصروه) أي محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
 (فقد نصره الله) فإنه المتكفل بنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم في اعز أزمته واعلاء كلمته أغنوه
 أولم تعينوه فإنه قد نصره عند قلة الأواباء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد
 والعدد وقد نصره (اذ) أي حين (أخرجه الذين كفروا) من مكة حين مكروا به حيث تشاوروا
 في قتله أو أخرجه أو ثباته في دار الندوة فكان ذلك لأن الله له في الخروج من بينهم حالة كونه
 (نابيا) أي أحدهما أبو بكر رضي الله عنه لثالثهما لم يصيرهما إلا الله تعالى وقوله تعالى
 (اذ) بدل من اذ قبله (هما في الغار) أي غار ثور الذي في أعلى الجبل المواجه للركن اليماني بأسفل
 مكة على مسيرة ساعة منها كما فيه ثلاث ليل ليفترعهما الطلب وذلك قبل أن يصل إلى مكة
 ويعتولاني النصر عليكم وقوله تعالى (اذ) بدل ثان (يقول) صلى الله عليه وسلم (الصاحبة) أي بكر
 الصديق رضي الله عنه وثوقا به غير مترجم من شيء وقد قال له أبو بكر لما رأى أقدام المشركين

لو نظر أحدهم تحت قدميه لا يبصرنا (لا تحزن) والحزن هم غليظ يتوجع برق له القلب وانما كان
خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما لم يوصلا الغار نزل أبو بكر الغاراً ولا يلتصق مافي
الغار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأُمِّي الغار مأوى السباع والبهائم
فان كان فيه شيء كان بي لا بك وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه ثلاثاً يخرج ما يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقرئوا بكي أبو بكر خوفاً على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) فقال له أبو بكر وان الله لمعنا فقال
الرسول صلى الله عليه وسلم نعم فعمل يمسح الدموع عن خده وروى لما طلع المذبركون فوق
الغار واشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان نصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وروى لما دخل الغار بعث الله
تعالى حمامتين باضتا في أسفله والعنكبوت تسبعت عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم
أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحداً ويقولون لودخل هذا الغار تكسر سيف
الحمام وتفسخ نيت العنكبوت (تنبيه) * دلت هذه الآية على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه
من وجوه منها ان الهجرة كانت باذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جماعة من الخالصين وكانوا في النسبة الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب من أبي بكر
رضي الله عنه فلو لان الله تعالى أمره بأن يستحب في تلك الواقعة الصعبة الهائلة والالكان
الظاهر أن لا يحضه بهذه الصعبة وتخصيص الله تعالى له بهذا الشرف دال على منصب عال له
في الدين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولا شك ان المراد من هذه المعية المعية
بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة وقد شرب صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين أبي بكر في هذه
المعية وصفي بها شرفاً ومنها أن قوله لا تحزن نهى عن الحزن مطلقاً والنهي يوجب الدوام
والتكرار وذلك يقتضى أنه لا يحزن أبو بكر رضى الله عنه بعد ذلك البتة قبل الموت وعند
الموت وبعد الموت ومنها طبق الكل على أن أبا بكر هو الذي اشترى الرحلة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى أن عبد الرحمن بن أبي بكر واسمها بنت أبي بكر هما اللذان كانا بأبياتهما
بالطعام وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا بي بكر أنت صاحبني في الغار وصاحبني على الخوض قال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر
رضي الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا تكافئ القرآن وفي سائر
الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعاً لا كافراً واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فأنزل الله
سكينته) أى طمأنينته (عليه) هل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو لابي بكر رضى الله عنه رجع
الثاني لوجوه الاول ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات وأقرب المذكورات المتقدمة
في هذه الآية هو أبو بكر لانه تعالى قال اذ يقول لصاحبه والتقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي
بكر لا تحزن وعلى هذا التقدير فأقرب المذكورات السابقة هو أبو بكر فوجب عود الضمير اليه
والثاني ان الحزن والخوف كانا باصحابين لابي بكر لالرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان أصناً

ساكن القلب فيما وعد الله تعالى أن ينصره على قريش فلما قال لابي بكر لا تحزن صاوا منا
فصرف السكينة لابي بكر ليصير ذلك سبيل روال خوفه أولى من صرفها الى الرسول صلى الله
عليه وسلم مع أنه كان قبل ذلك ساكن النفس قوى القلب الثالث انه لو كان المراد انزال السكينة
على الرسول صلى الله عليه وسلم لوجب أن يقال ان الرسول كان قبل ذلك خائفا ولو كان
خائفا لما مكنته أن يقول لابي بكر لا تحزن ان الله معنا فتي كان خائفا لم يمكنه أن يرسل الخوف
عن قلب غيره ولو كان راجعا الى الرسول لوجب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه
لا تحزن فتكون ذلك مما يدل على فضيلة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنه ما حدث الهجرة على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت لم أعقل أبوي
الا وهما يدبران الدين ولم يترعنا يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بنا طرفي النهار بكرة
وعشية فلما أتى المسالمون قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اني رأيت دار هجرتك مبعثرة
ذات نخيل بين لابتين وهما الحمرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عائشة من كان
هاجر بأرض الحبشة الى المدينة ونجى أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجوت ذلك يا رسول
الله قال نعم فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاف راحلتين كانتا عنده
من ورق الشجر وهو الخبط أربعة أشهر قالت عائشة فيمنافقن جالوس في بيت أبي بكر في حر
الظهيرة قال قاتل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتيها
فقال أبو بكر والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت بخار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال أبو
بكر انما هم أهالك يا رسول الله فقال قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم
قال أبو بكر فخذ احدي راحتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلقن قالت عائشة
فجهزناهما أحب الجاهز ووضعهما لهما مسفرة في جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من
نظاقها فربطت به على فم الجراب فسميت بذلك ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكانا فيه ثلاث ليال بيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر
وهو غلام شاب فبدلج من عندهما بهر فيصبح مع قريش بمكة فكانت فلا يسمع امرأ يكادان
به الا وعا حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يحتلط الظلام وكان يرى عليهم اعا من فهيرة مولى
أبي بكر فمخة من غنم فيرى بها عليهم ما حين تذهب ساعة من العشاء يفعل ذلك كل ليلة من الليالي
الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبلال من بني الدليل هادياعا فبالهداية
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعدا غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما
بعد صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عا من فهيرة والدليل الديلي فأخذهم طريق الساحل
فعلم بهم سراقة بن مالك الديلي وكان كفار قريش جاءه لوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر كل واحد منهم ما نى قتله وأسره دية قال سراقة فتيبعتهم حتى دنوت منهم فغرت قريش فخررت

عنها فقامت وأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا
فخرج النبي كره فركبت فرسي وعصبت الزلام ففرت بي حتى سمعت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخنت يد فرسي في الأرض حتى
بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زحرتها فنهضت فلم تنكأ فخرج يديها فلما استموت قائمة اذلاثر
يديها غبارا ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالزلام فخرج النبي كره فنادي بهم الأمان
فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إن قومك جعلوا منك الدية وأخبرتهم بما يريد الناس
بهم وعرضت عليهم الزاد والمئاع فلم يرزأني ولم يسألاني إلا أن قالوا أخف عنا فسالته أن يكتم لي
كتاب أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا أقبلوا من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر لما بيضا فلما قربا من المدينة وصل الخبر إلى الأنصار فخرجوا مسرعين
فلحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فأخذ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو
ابن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام في بني عمرو بضع عشرة ليلة وأسس
المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته
وصار يمشي معه الناس حتى بركت عند مكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وكان يريد ترأسه لم يمهل فساومهم ما صلى الله عليه وسلم ليتخذوا له مكانا فقالوا بل نهبه لك يا رسول
الله ثم بناه مسجد أو صار صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل اللبن
هذا الجمال لأجل خير * هذا أبر بنا وأطهر

ويقول أيضا إن الأجر أجزا الآخرة * فارحم الأنصار والمهاجرة
قال ابن شهاب لم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بيت شعر نام غير هذا
فاظها روجحه صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله تعالى عنه مما يدل على فضيلته ونضائه ورضي
الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين وفيما ذكرناه كفاية وأما الضمير في قوله تعالى (وأبده) فاقذفوا
أنه للنبي صلى الله عليه وسلم فهو معطوف على قوله تعالى فقد نصره الله (بجئود لم نزوها) أي من
الملائكة الكرام في القار يوم يدروا الأحزاب وحسين وجميع موطن قتاله (وجعل كلمة) أي
دعوة (الذين كفروا) إلى الكفر (السفلى) أي المغلوبة فنجيبهم ورد كيدهم (وكلمة الله)
أي إلى الإسلام (هي العليا) أي الغالبة الظاهرة وقيل كلمة الذين كفروا ما كانوا أقدرها بينهم من
الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم وكلمة الله هي ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى
حقا وصدا (والله عز وجل) في ملكه (حكيم) في أمره وتدبيره لا يمكن أن يتنقض شيء من مراده
فلا يحصى عن نفوذ ما أراده ولما بلغت هذه المواضع من القلوب الواعية مبلعا ماها به
لا قبول أقبل عليها سبحانه وتعالى فقال (انفروا خفافا وثقالا) أي على الصفة التي يحف عليكم
الجهاد فيها وعلى الصفة التي ينقل عليكم وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقدم كثيرة ولهذا

اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال ابن عباس نشاطا وغير نشاطا وقال الحسن شبانا وشيوخا
وقال عطية العوفي ربكنا ومشاة وقال أبو صالح فقراء وأغنياء وقال الحكم بن عيينة مشاغبل
وغير مشاغبل وقال حرة الهمداني أضعاء وأضعاب مرض وعن صفوان بن عمرو وكنت واليا
على حصن فلقيت شيخا كبيرا فمسقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
لقد أعذرك الله اليك فرفع حاجبيه وقال استغفرنا الله خفافا وثقالا ألا أنه من يحبه الله يبتليه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل ابنك عليل صاحب
مرض فقال استغفرنا الله الخفيف والتقييل فان لم يكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلني أن أنفر قال ما أنت إلا خفيف
أو ثقيل فرجع إلى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى ليس
على الأعشى حرج أي فهي منسوخة بذلك وقال ابن عباس نصدت بقوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الآية وقال السدي لما رأت اشتد شأنها على المسلمين فسحقها الله تعالى وأنزل ليس
على الضعفاء ولا على المرضى وقال عطاء الخراساني منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون
لننفروا كافة وقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أمر إيجاب للجهاد
أي ما أمكن لكم بها كلها أو أحدهما على حسب الحال والحاجة (ذلكم) أي هذا الأمر
العظيم (خير لكم) أي خاص بكم ويجوز أن يكون أفعول تفضيل أي عبادة الجهاد بالحق ادخبر
من عبادة الفاعل بغيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يمكن بلوغ درجة المجاهد فقال هل
تستطيع أن تقوم فلا تقتر ونصوم فلا تفطر ثم ختم تعالى الآية بقوله تعالى (إن كنتم تعلمون)
أي ما حصل من انخراط في الآخرة على الجهاد لا يدرك إلا بالتأمل ولا يعرفه إلا المؤمن الذي
عرف بالدليل أن القول بالصيام حتى وإن القول بالثواب والعقاب صدق ونزل في المنافقين
الذين يتخلفون عن غزوة تبوك (لو كان) ما ندعوهم إليه (عرضا) أي متاعا من الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (قريبا) أي سهل المأخذ وقوله تعالى (وسقرا فاصدا)
أي وسطا فحذف اسم كان وهو ما قدرته قال الزجاج لدلالة ما تقدم عليه وانما سمى السقرا فاصدا
لأن المتوسط بين الإفراط والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد لأن
المتوسط بين الكثرة والقلة يقصده كل أحد وقوله تعالى فاصدا أي ذاقصده كقولهم لأن
وتامر (لا تبعوك) أي وافقوك طلبا للجنة (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع
بمشقة (وسيجفون) أي المتخلفون (بالله) إذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) أي
لو كان لنا استطاعة بالبدن أو العدة (لخرجننا) أي في هذه الغزاة (معكم) أي يكون انفسهم أي
بسبب هذه الأيمان الكاذبة كما قال تعالى (والله يعلم أنهم لكاذبون) في ذلك لأنهم كانوا
مستطيعين الخروج (عني الله عنكم) أي عفا الله تعالى عنكم يا محمد ما كان منك
في ذلك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك واختلقوا هل في ذلك
معاتبه النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فقال عرو بن معوية إننا فعلنا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم لم يؤمرهم ما اذنه للمنافقين وأخذوا الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما سمعون وقال
سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ الله تعالى بالعفو قبل أن يعبره وقال القاضي عياض
في الشفا ان هذا أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى شيء فيه عدم معصية
ولاعده الله تعالى معصية عليه بل لم يعده أهل العلم معصية وغلطوا من ذهب الى ذلك وليس عفا
بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب
عليهم قط أى لم يكن يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من
لا يعرف كلام العرب وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وقال السمرقندي
ان معناه عفاك الله وقال الرازي ان ذلك يدل على مبالغة الله في توقيفه وتغليظه كما يقول الرجل
لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضي الله عنك ما صنعت في
أمرى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التعجيد والتعظيم أى كما كانت عادة العرب في
مخاطبتهم لا كبارهم بأن يقولوا أصلى الله الامير والملك ونحو ذلك (حتى يبين لك الذين صدقوا)
أى في اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) أى فيما أظهروا من الايمان باللسان لو لم يؤذن لهم لقتلوا
بلاذن غيرهم راعين ميثاقهم الذى واثقوا عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يوم صدق نزلت براءة
(لا يستأذنك) أى لا يطلب اذنك بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى الذى
يكون فيه الجزاء الثواب والعقاب (ان) أى فى ان (يحاهدوا) وانما حسن هذا الحذف
لظهوره (بأموالهم وأنفسهم) بل يادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه ويعثك عموما عليه فضلا
عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه فان الخلف من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستأذنه
صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فان ربنا نبينا اليه مرة بعد مرة فأى فائدة فى الاستئذان ولنجاهد
معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا يجيبون لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالقتال لقتلوا معهم كما وقع
لعلى رضي الله عنه فى غزوة تبوك لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبيت فى المدينة شق
عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى
(والله عليهم بالمتقين) أى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يا محمد
فى التخلف عن الجهاد معك من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون
لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وآرائك) أى شكك (قلوبهم) فى الدين وانما أضاف
الشك والآرائك الى القلب لانه محل المعرفة والايان فاذا دخله الشك كان ذلك نقاها
(فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم (فى ريمهم يترددون) أى المنافقون يتحيدون لامع الكفار
ولامع المؤمنين * (تنبيه) اختلف علماء الناصح والمنسوخ فى هذه الآيات فقيل انها منسوخة
بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع
بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير

استئذان فاذا عرض لاحدهم عذرا استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفرا
في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير
عذر فعبرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو ومعك
(لاعتدوا له) أي قبل حلوله (عدة) أي قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكرع بحيث يكونون
مكاملين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عدها * ولما كان
قوله تعالى ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو أي تعالى بجرف
الاستدراك فقال تعالى (ولكن كره الله اتباعهم) أي لم يرز خروجهم معك الى الغزو (فنبطهم)
أي حسبهم بالجبن والكسل (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدین) أي مع النمام والصبیان
والمرضى وأهل الاعذار ومعنى قيل لهم أي قدر الله تعالى عليهم ذلك بان ألقى في قلوبهم
العود لما كره الله اتباعهم مع المؤمنين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدین (فان قيل) خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه
وسلم ما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال تعالى ولكن كره الله اتباعهم
فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم
في ترك الخروج (أجيب) بأن خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله تعالى (لو خرجوا فيكم)
أي معكم (ما زادوكم) بخروجهم (الاخبالا) أي فسادا وشرا بتخذيذ المؤمنين وتقدم الكلام
على قوله لم أذنت لهم * (تنبيه) لا يصح أن يكون فيه الاستثناء منقطع الا الاستثناء المنقطع
يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله ما زادوكم خيرا الاخبالا والمستثنى منه
في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقوع الاستثناء من أعم العام كانه قيل ما زادوكم شرا
الاخبالا (ولا وضعوا) أي أسرعوا (خلالكم) أي بينكم فيما يعمل بكم بالنسبة بالنسبة
(يفنونكم الفتنة) أي يطلبون منكم ما تفتنون به وذلك انهم يقولون المؤمنين لقد جمعوا
لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم تنزعون منهم وسيطهرون عليكم ونحو ذلك من
الاحاديث الكاذبة التي تبينهم (وفيمكم) أي والحال ان فيكم (سماعون لهم) أي عيون لهم
يؤدون لهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس أو مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لصف القاب فيعلمون انهم
(فان قيل) كيف يكون في المؤمنين الخالصين من طبع المنافقين (أجيب) بأنهم ربما قالوا قولا
أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعبدوته تهديد
للمنافقين الذين يلقون الفتنة والشبهات بين المؤمنين (اقد استغوا الفتنة) أي الغنى ونصب
الفوائد والسعي في تشييت شملك وتفریق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يومر أحد وحنين
انصرف عن معه وعن ابن جريح وقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم على النبي ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليقفتم كوابه (من قيل) أي قبل غزوة تبوك (وقلبوا الامور) أي ودبروا
للكحيل والمكايد ودبروا الراء بينهم في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرتك

(وتظهر أمر الله) أي غلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) له أي على رغم منهم قد خلوا فيه ظاهرا * ولما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس وكان من المنافقين يا أباهب هل لك في جلاد بن الأصفر يعني الروم تتخذ منهم سراي ووصفاء فقال الجد ابن قيس يا رسول الله لقد علم قومي أنني مغرم بالناس ما أني أخشى أن رأيت نبات بن الأصفر أن لا أصبر عنهم أنذن لي بالقعود ولا تقتني وأعنيك بما لي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له إلا الاتفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى فيه (ومنهم) أي المنافقين (من يقول أنذن لي) أي في القعود في المدينة (ولا تقتني) أي يئس بن الأصفر وقبل لا توقعني في الفتنه وهي الاثم بأن لا تأذن لي فانك إن منعتني من القعود وقعت بغيرا ذلك وقت في الاثم وقبل لا تلقني في الهلاك فان الزمان زمان شدة الحر ولا طاقة لي بها وقبل لا تقتني بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كفل لهم بعدى قال الله تعالى (ألا في الفتنه سقطوا) أي ان الفتنه هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التلطف وظهور النفاق لا ما أخبروا عنه (وان جهنم محيطه بالكافرين) أي جامعة لهم لا محيص لهم عنها يوم القيامة أو هي محيطه بهم الآن لان اسباب الاحاطة بهم فكانهم في وسطها (ان تصبك) يا محمد في بعض الغزوات (حسنة) أي نصره وغنيمة (تسؤهم) أي تحزنهم لما في قلوبهم من الضعف والمرض (وان تصبك مصيبة) أي تسببه وان صغرت في بعض الغزوات كما وقع يوم أحد (يقولوا) أي سرورا وتبجعا بحسن رأيهم (قد أخذنا أمرنا) أي بالجهد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) أي قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) أي سرورون بما نالكم من المصيبة وسلامتهم منها قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبكم من المصائب والمكروه (ان يصيبنا الا ما كتب الله) أي قدره (لنا) في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدرا حدثا يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا ان أراد ما لم يقدر له (هو) أي الله (مولانا) أي ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم لان حقهم أن لا يتوكلوا على غيره فليقعوا ما هو حقهم (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل أي تنتظرون أن يقع (بنا) أيها المنافقون (الاحدى الحسنين) ثنية حسنى تأنيث أحسن أي الاحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر أو الشهادة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الجهاد في سبيل الله اما أن يسلم ويغنى فيحصل له المال واما أن يقتل في سبيل الله فيحصل له الشهادة وهي العاقبة القصوى وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته الا لجهاد في سبيله وتصدق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة (وتحنن تربص بكم) أي احدى السوائين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعدا من عنده) لاسبب لنا فيه كان ينزل عليكم فارع عن السماء كما نزلت على عاد

وغود (أو) بعذاب (بأيدينا) أي بسببنا من قتل ونهب وأسر وغير ذلك (فقرضوا) بئاماذ كرنا
 من عواقبنا (انامعكم مريضون) ما هو عاقبتكم ولا بد أن يلقي كلنا ما يترصه لا يتجاوز (قل)
 يا محمد لهؤلاء المنافقين (أنفقوا طوعاً وكرهاً) أي من غير الزام من الله ورسوله أو لمزمن وسمى
 الزاماً أكرهاً لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاف عليهم كالأكره أو طائعين من غير
 أكره من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يجهلون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه
 أو مكرهين من جهتهم (لن يقبل منكم) أي لا تقبل منكم نفاقكم على أي حال كان
 (فان قيل) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال لن يقبل منكم (أجيب) بأن هذا أمر في معنى الخبر
 كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليدله الرحمن مداوروي أنها زلت في الجذب فيس حين
 تخلف عن غزوة تبرك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني ثم علل
 تعالى سبب منع القبول بقوله تعالى (أنكم) أي لأنكم (كنتم قوماً فاسقين) والمراد بالفسق هنا
 الكفر ويدل عليه قوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي وما
 منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ جزء والكسافي يقبل بالياء على التذكير لأن تأنيث
 النفقات غير حقيقي والباقون بالناء على التأنيث (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أي متهاطلون
 لا يأتونها قطبشاًط (ولا ينفقون) أي تنفقة من واجب وغيره (الآوهم كارهون) أي في حال
 الكراهة وإن ظهر خلاف ذلك وذلك كله لعدم النية الصالحة وهذا لا ينافي طوعاً لأن ذلك
 بحسب الظاهر وهذا بحسب الواقع (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم) أي وإن أنفقوها في سبيل الله
 وجهزوا بها الغزاة فإن ذلك من غير اخلاص منهم ولا حسنة ولا جليل طوية (ولاً أولادهم)
 الذين يعجبون بهم فإن ذلك استدراج ووبال كما قال تعالى (انما يريد الله ليذهبهم بها
 في الحياة الدنيا) وإن كان يترامى أنها الذبذة لأن ذلك من شأن الحياة وتعيذهم فيها بسبب
 ما يكابدون من جمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدة اندوا المصائب (فان قيل)
 هذا لا يختص بالمنافق فما فائدة تخصيصه به (أجيب) بأن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرته وأنه
 يثاب بالمصائب الحاصلة في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً والمنافق لا يعتقد ذلك فيبقى
 ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا (وترهب)
 أي تخرج (أنفسهم) بسببها (وهم) أي والحال انهم (كافرون) أي يمتنون على الكفر فتكون
 عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة وهكذا كل من أراد الله تعالى استدراجه في الغالب كثر
 ما هو ولده فكثيراً عما به عماله وولده وبطوره وكفره نعمة الله تعالى والاعجاب السرور بالشيء
 مع نوع الاقتضائه ومع اعتقاده أنه ليس لغيره ما يساويه وهذه الحال التبدل على استغراق النفس
 بذلك الشيء وانقطاعه عن الله تعالى فإنه لا يعنى في حكم الله تعالى أن يزيل ذلك الشيء عن ذلك
 الإنسان ويجعله لغيره والإنسان متى كان مستذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بذلك الشيء ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات فمخاطع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وكان صلى
 الله عليه وسلم يقول هلك المكثرون وقال أيضاً مالك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت أو لبست

فأبليت أو تصدقت فأبقت وروى من كثر ما له اشتد حسابه ومن أراد من السلطان قربا زادا
 من الله بعدد أو الأخبار الواركة في هذا الباب كثيرة والمقصود منها الزجر عن الاطتاب من الدنيا
 والمنع من التماثل في حبها والافتقار إليها لأن الانسان خلق للآخر لا للدنيا فينبغي أن لا يشتد
 محبه بالدنيا وان لا يميل قلبه إليها فان المسكن الاصل له هو الآخر لا الدنيا * ولما بين
 تعالى كون المنافقين مستحيين لكل مضار الدنيا والآخرة خالين عن جميع منافع الآخرة
 والدنيا عاد الى ذكر فضائحهم وقبائحهم فنها اقدمهم على الايمان الكاذبه كما قال تعالى
 (ويحلفون) أي المنافقون (بالله) للمؤمنين اذا جاؤا معهم (انهم لمنكم) أي على دينكم
 ومنكم (وهم منكم) أي لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون منكم أن تفعلوا
 بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الاسلام تقيه (لويجدون ملجأ) أي حصنا يلجئون اليه وقبل
 لوجود ما هو باهر بوالله وقبل لويجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم اصادوا اليهم
 وفارقوكم (أو مغارات) أي سرايب جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر
 (أو مدخلا) أي موضعا يدخلونه (لولا الله) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه
 الثلاثة مع انها سر الامكنة لدخلوا اليه وتحرزوا فيه (وهم ينجحون) أي يسرعون في دخول
 ذلك المكان اسرا لا يرد وجودهم شيء ومن هذا يقال جمع الفرس وهو فرس جوح وهو الذي
 اذا حبل لا يرد العجم * ثم ذكر تعالى نوعا آخر من قبائح المنافقين وهو طعنهم في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بسبب أخذ الصدقات بقوله تعالى (ومنهم من يلزك) أي يعيبك (في الصدقات)
 قال أبو علي الفارسي ههنا محذوف والتقدير يعيبك في تقسيم الصدقات واختلاف في سبب
 نزول هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذا ناه
 ذو الخويصرة وهو رجل من بني عيم رأس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
 غنائم حنين واستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال يا رسول الله اعدل فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلك ان لم اعدل فمن يعدل قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل
 فقال هو رضي الله عنه يا رسول الله انذني فيه أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه
 فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم بقرآن القرآن لا يجاوز
 زواجرهم يفرقون من الدين كما يفرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له
 الجواظ المنافق ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويرغم انه يعدل فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بألك أما كان موسى راعيا ما كان داود راعيا فلما ذهب قال
 صلى الله عليه وسلم احذروا هذا أصحابه فانهم منافقون وقال ابن زيد قال المنافقون والله
 ما يعطيهم عجمدا الا من أحب ولا يؤثرها الا هواه فترأت وروى أبو بكر الاصم في تفسيره انه صلى
 الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه ما علمك بفلان فقال مالي به علم الا انك تدنيه في المجلس
 وتجزل له العطاء فقال صلى الله عليه وسلم انه منافق اذ ارعبه نفاقه واخاف أن يفسد على
 غيره فقال لو أعطيت فلانا بعض ماله طيبه فقال صلى الله عليه وسلم انه مؤمن أكمل ايمانه وأما

هذا غنا فاق أداريه خوف فسادهم (فإن أعطوا منها) أي من الصدقات (رضوا) أي رضوا عنك في قسمتها (وإن لم يعطوا منها إذا هم يضطون) أي وإن لم تعطهم عابوا عليك وضطوا قال أهل المعاني إن هذه الآية تدل على ركائز أخلاق المنافقين وذم طباغهم وذلك لأنه لشدة شرهم إلى أخذ الصدقات عابوا رسول صلى الله عليه وسلم ونسبوه إلى الجور في القسمة مع أنه كان أبعد خلق الله تعالى عن الميل إلى الدنيا وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم ما آتاه الله تعالى من قليل المال وكثيره وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله تعالى وأما المنافقون فإن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً اضطوا وذلك يدل على أن رضاهم وضغطهم يطلب النصيب لا لاجل الدين وكلمة إذا ألم فاجأه أي وإن لم يعطوا منها فاجأوا السخط (ولو أنهم) أي المنافقين (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أي ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم والصدقات وغيرها وذكر الله تعالى للتعظيم والتبني على أن ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بأمره (وقالوا) أي مع الرضا (حسبنا الله) أي كافينا الله من فضله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) أي من غنمة أو صدقة أخرى ما يكفيننا (إنا إلى الله) أي في أن الله تعالى يقيننا عن الصدقة وغيره من أموال الناس ويوسع علينا من فضله (راغبون) أي عريقون في الرغبة ولذلك تكتفي بما يأتي من قبله كأنما كان رجاوب لو محذوف والتقدير لكان خيرا لهم نقل عن عيسى عليه السلام أنه مرّ بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي جعلكم عليه فقالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم وصر على قوم يشتغلون بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لظاهر ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه فقل أنتم المحققون المحققون ثم بين سبحانه وتعالى مصارف الصدقات تحقيقاً لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل (إنما الصدقات) أي الزكوات مصروفة (للفقراء) والفقير هو الذي لا يجد ما يقع موقعاً من كفايته كأن يحتاج إلى عشرة دراهم وهو لا يجد إلا درهمين أو ثلاثاً مأخوذ من الفقار كأنه أصيب فقاره (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي يجد ما يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه كأن يحتاج إلى عشرة وهو يجد سبعة أو ثمانية مأخوذ من السكون كأن العجز أسكنه والمساكين أعلى من الفقير ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وروى أنه صلى الله عليه وسلم تعود من الفقر وقيل الفقير أعلى لفقره تعالى أو مسكيناً إذا مترتبة العبرة عند الجمهور في عدم كفاية الفقير والمساكين بالعم الغالب بناء على أنه يعطى كفاية ذلك (والعمال على) أي الزكاة فيعطى العامل وإن كان غنياً ويدخل في اسم العامل الساعي وهو الذي يعيشه الامام لا خذ الزكاة والكاتب والحاشر والعريف وهو الذي يعرف أبواب الاستحقاق والحاسب والحافظ للأموال والكيل والوزان والعداد عمال إن ميزوا أنصباة الأصناف لا الميزون لذلك فمن المال وجامعوه فإن أجزتهم على المالك (والموئدة قلوبهم) وهم أضعاف النية في الإسلام فيعطى ليقوى إسلامه أو شريف في قومه يتوقع باعطائه

اسلام غيره او كاف لنا شر من يلبسه من الكفار واماني الزكاة فيعطى حيث اعطاه اهل
 علمنا من بحث جيش وامام مؤمنة الكفار لترغيبهم في الاسلام فلا يعطون من الزكاة ولا من
 غيرها الا لاجماع ولان الله تعالى اعز الاسلام واهله واغنى عن التأليف (وفي الرقاب) وهم
 المكاتبون كتابة صحيحة فيعطون ما يؤدون من النجوم ان يحزوا عن الوفاء ولولم يحمل النجم لان
 قوله تعالى وفي الرقاب كقوله تعالى وفي سبيل الله وهما ليعطى المال للجهادين فيعطى للرقاب
 فلا يشتري به رقاب العتق كما قيل به (والغارمين) وهم من لزمته الديون وهم ثلاثة اضر بدين
 لزمه لمصلحة نفسه ودين لزمه بضمان لا لتسكين فتنة ودين لزمه لتسكينها وهو اصلاح ذات البين
 فمن استدان لمصلحة نفسه اعطى لان استدان في معصية الا ان تاب عنها فيعطى اذا احتاج
 وكان بحيث لو قضى دينه مما معه تمكن فيترك له ما يكفيه ويعطى ما يقضى به بقية دينه ويعطى
 ولو قدر على قضاءه بالكسب وكذا المكاتب ويشترط حلول الدين في اعطائه الغريم وان ضمن
 لا لتسكين فتنة وهو معسر ملتزم بمال على معسر اعطى ما يقضى به دينه واذا قضى به دينه
 لا يرجع على الاصيل وان ضمن باذنه وانما يرجع اذا غرم من عنده ويعطى معسر ملتزم بمال على
 موسر بلاذن من الاصيل لانه اذا غرم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا ضمن باذنه ولا يعطى موسر
 ملتزم بمال على موسر وان ضمن موسر ما على معسر اعطى الاصيل دون الضامن وان غرم لاصلاح
 ذات البين يعطى مع الغنى ولو في غير دم ويعطى المستدين لقدرى نصف وعارة مسجود وبناه
 قنطرة وفك أسير ونحو ذلك من المصالح العامة عند المعز عن النقد (وفي سبيل الله) وهم الغزاة
 المتطوعون أى الذين لا رزق لهم في النى ويعطون ولو أغنياء اعانة لهم على الغزو وتحرم الزكاة
 على الغزاة المورثون ولو كان عاملا فاذا اعدم النى واضطر رزاقى المورثون ليعقبنا شر الكفار
 اعانه الاغنياء لامن الزكاة (وابن السبيل) أى الطريق وهو من ينشئ سفرا مباحا من محل
 الزكاة فيعطى ولو كان كسوبا أو كان مسافرا للترهه ويعطى أيضا المسافر الغريب المحتاج لعمل
 الزكاة وانما يعطيان ان لم يجدامعهما شيئا يكفهما السفرهما وقوله تعالى (فريضة من الله)
 نصب بفعله المقدرا أى فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في الفقراء (والله
 عليم) أى بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويؤلف بين قلوب المسلمين (حكيم) يضع الاشياء
 في مواضعها وانما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى بلام الملك والى الاربعة
 الاخيرة بنى الظرفية للاشارة باطلاق الملك فى الاربعة الاولى وتقييده فى الاخيرة حتى اذا لم يحصل
 الصرف فى مصارفها استرجع بخلافه فى الاولى ويجب تعميم الاصناف الثمانية فى القسم ان
 أمكن بأن قسم الامام ولو ثمانية ووجدوا الظاهر الآية سواء فى ذلك زكاة الفطر وزكاة المال
 وان لم يمكن بأن قسم المالك اذا عامل أو الامام وجد بعضهم كأن جعل عاملا بأجرة من يت
 المال فتعميم من وجد منهم وعلى الامام تعميم احاد كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده اذا
 لا يعذر عليه ذلك وعلى المالك أيضا ان انحصر الاحاد بالبلاد بأن سهل عادة ضبطهم ومعرفة
 عددهم وفى بهم المال فان أخل أحدهما بصنف ضمن وان لم ينحصر أولم يفهم المال ويجب

اعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل
الذي هو للجنس ولا عامل في قسم المالك ويجوز حيث كان أن يكون واحداً ان حصلت به الكفاية
كما يستغنى عنه فيما سطر وتجب التسوية بين الاصناف غير العامل لابن آحاد الصنف إلا أن يقسم
الامام وتساوى الحاجات فتجب التسوية لأن عليه التعميم فعليه التسوية بخلاف المالك اذا لم
ينحصر وأولم يفهم المال ولا يجوز به نقل الرضا من بلد وجوبهم مع وجود المستحقين
فيه الى بلد آخر أو حال الحول والمال يباديه فترت الزكاة بأقرب البلاد اليه أما الامام ولو بناه
فله نقلها ولو امتنع المستحقون من أخذها قوتلوا بشرط أخذ الزكاة من هذه الثمانية حرة
واسلام وأن لا يكون هائياً ولا مطلبياً ولا مولى لهما كما بينته السنة هذا مذهب الشافعي رضي
الله تعالى عنه وقال الرازي وغيره لادلالة الآية على قول الشافعي في أنه لا بد من صرفها
الى جميع الاصناف لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف وأما أن صدقة زيد بعينها
يجب توزيعها على الاصناف كلها فلا مكان قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
الآية يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق وما ذهب اليه الشافعي رضي
الله تعالى عنه قول عكرمة وما ذهب اليه الأئمة الثلاثة من جواز صرفها الى صنف واحد وقول
عمر وحذيفة وابن عباس وجماعة من الأصحاب والتابعين وكل على هدى من ربهم (فان قيل) كيف
وقعت هذه الآية في نضايف ذكر المنافقين ومكايدهم (أجيب) بأنه تعالى ذكر ذلك ليدل
على أن هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً
لا طمأعهم وأشعاراً باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فإلهم ومالها وما
سلطهم على التكلم فيها وبين فاسمها (ومنهم) أي المنافقين (الذين يؤذون النبي) هذا نوع
آخر من جهالات المنافقين وهو أنهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبونه وينقلون
حديثه (ويقولون) اذ أنهم وعن ذلك لئلا يبلغه (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له ويصدق به
بالجارية للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة للسماع كما يسمى الجاسوس عينا
لذلك واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في جماعة من المنافقين كانوا
يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه
ما نقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم أتته فنذكر
ما قلنا ونخلف له فيصدقنا فيما نقول فان محمد أذن أي أذن سامعة يسمع كل ما يقال له ويقبله
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل بن الحرث وكان رجلاً ثاراً للشعر
أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الحلقة وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى
الشيطان فلينظر الى نبيل بن الحرث وكان بين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
ف قيل لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فنحدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم أتته فنخلف له
فيصدقنا فنزلت وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل الأذن من شام صرفة حيث
شاء لا عزمة له ومقصود المنافقين بقوله هم هو أذن ليس له ذكاه ولا بدعور بل هو سليم القلب

أربع الاعتراض بكل ما يسمع فلهذا السبب سموا بأذن وقوله تعالى (قيل) يا محمد لهؤلاء
 المنافقين (أذن خير لكم) تصديق لهم بأنه أذن لكن لا على الوجه الذي ذموه به بل من حيث
 أنه يسمع الخبر ويقبله ثم يفسر تعالى ذلك بقوله تعالى (يؤمن بالله) أي يصدق به لما قام عنده
 من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويصدقهم ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين (فان قيل)
 لم يهدى فعل الايمان بالله الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (أجيب) بأن الايمان المهدى الى
 الله تعالى المراد منه التصديق الذي هو مقتضى الكفر فعدى بالباء والايمان المهدى للمؤمنين
 معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فعدى باللام كما في قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون
 وقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقرأ نافع أذن في الموضع عين بتسكين الذال والباقون بالرفع
 (ورجعة) أي وهو رجعة (للذين آمنوا منكم) أي ان أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
 وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفيقا بكم وترعا عليكم وقرأ أجزه ورجعة
 بالجر عطفًا على خير والباقون بالرفع * ولما بين سبحانه وتعالى كونه سببا للخبرين أن كل من اذاه
 استوجب العذاب الايم بقوله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب آليم) أي مؤلم لانه اذا
 كان يسعى في اصال الخبر والرجعة اليهم مع كونهم في غاية الخشب والخزي ثم انهم مع ذلك يقابلون
 احسانه بالاساءة وخبرائه بالثمر وفلاش انهم يتحققون العذاب الشديد من الله تعالى ثم ذكر
 نوعا آخر من قبائح أفعال المنافقين بقوله تعالى (يخلفون بالله لكم) أيها المؤمنون (ليرضوكم)
 أي اترضوا عنهم واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من
 المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أوايعت ذورن اليهم
 ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم وترضوا عنهم وقال قتادة والسدي اجتمع ناس من
 المنافقين فبهم جلاس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان
 ما يقول محمد حقا فنحن أشرم من الجبر وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فخره
 وقالوا هذه المسألة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وأنتم أشرم من الجبر ثم أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كذب وحلف عامر أنهم كذبة
 فصصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو الله ثم صدق الصادق وكذب الكاذب فنزلت
 (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي بالارضا بالطاعة والوفاء وانما وجد الضمير لانه لا تفاوت
 بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم لتلازمهما ما ذكره قولك احسان زيد واجاله
 نعتي وجبرني أو ان العالم بالاسرار والضمائر هو الله تعالى واخلاص القلب لا يعلمه
 الا الله تعالى ولهذا السبب خص الله تعالى نفسه بالذكر أولان الكلام في اداء الرسول
 وارضائه وأخبر الله وأرسوله بمخدوف وفي كلام البضاوي اشارة الى ان المذكور خبر الاول
 لانه المتبوع وفي كلام سيدي به انه للثاني لكونه أقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدا
 والخبر (ان كانوا) أي هؤلاء المنافقون (مؤمنين) أي معذقين بوعد الله ووعده في الآخرة

(ألم يعلموا) قال أهل المعاني هذا خطاب لمن علم شيئا ثم نسبته وتركه فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولم اطال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله تعالى ألم يعلموا أن من شرائع الدين التي عليهم رسولنا (انه) أي الشأن (من يحداد الله) أي من يخالف الله (ورسوله) وأصل الحداد في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاذ فلان فلانا أي صار في حد غير حدّه كقولك شقه أي صار في شق غير شقه ومعنى يحداد الله أي يصير في حد غير حدّه أولياء الله تعالى بالمخالفة وقوله تعالى (فأن له نار جهنم) أي على حذف الخبر أي خلق أن له نار جهنم لأن القام واقعة في جواب الشرط فتقتضي جملة وفأن له نار جهنم مفردي موضع رفع بالابتداء وقد رخصه مقدمالان أن لا يتدأ بها قال الرازي أو أن معناه فله نار جهنم وإن تكررت للتوكيد واعتراض بأن فيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بأجنبي ثم قال أو جواب من محذوف والتقدير ألم يعلموا أنه من يحداد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم (خالدا فيها) أي دائماً من غير انقضاء كما كانت نيتة المحادة أبداً ثم نبه على عظم هذا الجزاء بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن (الخرى العظيم) أي الهلاك الدائم (يحذر) أي يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أي المؤمنين (سورة تنبيههم) أي تخبرهم (بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من النفاق والحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويستزنون ويخافون القضية بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة هذه السورة كانت تسمى القاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومنايهم قال ابن عباس أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعبر بعضهم ببعض إلا أن أولادهم كانوا مؤمنين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (استنزوا) أمر تهديد (أن الله يخرج) أي مظهر (ما تحذرون) إخراجهم من نفاقكم قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقعدوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتنكوا به إذا علاها ومعه رجل مسلم يخفيهم شأنه وتسكروا له في ليلة مظلمة فأخرج جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم وعمار بن يامر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه واحلهم فضربها حذيفة حتى نجاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد ا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عد هم كلهم فقال حذيفة الانعت اليهم فقتلهم فقال اكره أن تقول العرب لما ظفروا بأحماهم أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله (ولئن) اللام لام القسم (سألتم) أي المنافقين عن استئذانهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (لما قولن) معتذرين (أنما كنا نخوض ونعلب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم قصد ذلك قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والثالث يغمك قبل كانوا يقولون ان محمدا يغلب الروم ويغف

مدانهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد ايرغم انه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة
قرآن وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
الركب على قديعاهم وقال لهم قلم كذا وكذا فقلوا انما كنا نخوض ونلعب أى كنا نتحدث
ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لتقطع الطريق بالحديث واللعب قال الله تعالى (قل) يا محمد
لهؤلاء المنافقين (أبالله) أى بفرائضه وحدوده وأحكامه (وآياته) أى القرآن وسائر ما يدل على
الدين الذى لا يمكن تبديله ولا يخفى على بصير ولا بصيرة (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى عظمت
من عظمته وهو مجتهد فى اصلاحكم ونشر يفكم واعلانكم (كنتم تستهزئون) تويعنا
وتقرعنا على علمى استهزائهم بما يصلح الاستهزاء به والزاما للعبه عليهم ولا يعبأ باعتقادهم الكاذب
ولما كان الاستهزاء بذلك كفرا قال الله تعالى (لا تعتذروا) أى لانه تغلوا باعتذار انكم
الباطلة (قد كفرتم) أى أظهرتم الكفر بقولكم هذا (بعد ايمانكم) أى بعد اظهارة الايمان
(فان قيل) المنافقون لم يكونوا مؤمنين فكيف قال تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم (أجيب)
بأنهم كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر فقد أظهروا
الكفر بعدما أظهروا الايمان كما تقرّر (ان نفع عن طائفة منهمكم) أى باخذائهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعدب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أى مصرين على النفاق
والاستهزاء قال محمد بن اسحق الذى عفا الله عنه رجل واحد وهو مخشى بن حبر الاشجعي يقال
هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى مجابا لهم وكان ينكر بعض ما يسمع والعرب توقع
لفظ الجمع على الواحد فنقول خرج فلان الى مكة على الجمال والله تعالى يقول الذين قال لهم
الناس يعنى نعيم بن مسعود فلما نزلت هذه الآية تأب من نفاقه وقال اللهم انى لأزال أسمع آية
نقرأ نقشر عنها الجلود وتحقق منها القلوب اللهم اجعل وفائى قتلا فى سبيلك لا يقول أحدنا
غسلت أنا كفت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه وقرأ أعاصم
نعم بالنون مفتوحة وضم الفاء وتعذب طائفة بنون مضمومة وكسر الذاو وطائفة بالنصب
والباقون ان يعف بياء مضمومة وتعذب بضم التاء وقع الذاو وطائفة بالرفع ثم بين تعالى نوعا
آخر من أنواع نضائهم وبقائهم والمقصود منه بيان ان اناتهم كذ كورهم فى تلك الاعمال
المنكرة والافعال الخبيثة بقوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة
فى النفاق والبعده عن الايمان كباعض الشئ الواحد كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت
منى أى امرنا واحد لا مباينة فيه (أمرؤن بالترك) أى يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية
وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (ويهنون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أى عن الانفاق
فى كل خمير من زكاة وصدقة وانفاق فى سبيل الله والاصل فى هذا ان الله على عبده ويسطرها
بالعطاء فقبل لمن منع ويحل قد قبض يده فقبض اليه كتابة عن الشئ وقوله تعالى (نسوا الله فانساهم)
لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو جئنا النسيان على الحقيقة لما استحقوا عليه ذم لان النسيان
ليس فى وسع البشر ونسب رفع عن أمقى الخطأ والنسيان وأيضا فهو فى حق الله تعالى محال

فلما بد من التأويل وهو من وجهين الأول معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنزلة المنسى
 فجازاهم بأن صبرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورجته وجاءه هذا على مزاجه الكلام كقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني التسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والثناء على الله تركوا
 الله تعالى ذكرهم بالرحمة والاحسان وانما حسن جعل التسيان كناية عن ترك الذكر لأن من
 نسى شيئا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون
 في الفسق الذي هو التفرّد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلزم عياكبهم
 هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله تعالى به المنافقين حتى بالغ في ذمهم وقدره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما لم أن يقول كرهت كسالت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى
 الا وهم كسالى فاطنك بالنفس * ولما بين سبحانه تعالى كثيرا من أحوال المنافقين والمنافقات
 وانه قسمهم أي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله تعالى كده هذا الوعد وضم المنافقين
 الى الكفار فيه بقوله تعالى (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي الجاهرين في عنادهم
 يقال وعده بالخير وعدا وأوعده بالشر وعيدا (نار جهنم خالدين فيها) أي مقدرين بالخلود ولا شك
 أن النار المحطدة من أعظم العقوبات (هي حسبيهم) أي كافيتهم في العذاب (ولعنهم الله) أي
 ابعدهم مع من أبعدهم من رحمته * ولما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون
 بعده فرج نفي ذلك بقوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع وقوله تعالى (كالذين من
 قبلكم) رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال
 الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمشرك والنهي
 عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة ثم انه تعالى وصف الكفار بأنهم كانوا أشد
 من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا بقوله تعالى (كانوا أشد منك قوة) أي بطش
 ومنعرا (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بجاهلهم) أي قنعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
 الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة واخلاق النصب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير
 وشر كما يقال قسم له (فاستمتع بجاهلهم) أي فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بجاهلهم فهو
 خطاب للعاشرين (كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم) ذم الاولين باستمتاعهم بما أولوا
 من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ
 العاجلة تمهيدا لذكر المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم * ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين
 لاولئك المتقدمين في طلب الدنيا وفي الاعراض عن طلب الآخرة بين حصول المشابهة بين
 الفريقين في تكذيب الانبياء وفي المكر والخديعة بقوله تعالى (وخضتم) أي ودخلتم في الباطل
 والكذب على الله تعالى وتكذيب رسوله والاستنزاه بالمؤمنين (كالذي خاضوا) أي كالذين
 خاضوا أو كالقوج الذي خاضوا هذا كله اذا جعلنا الذي موصولا اسما فان جعلناه موصولا
 حرفيا اول مع صلتته بصدر رأى كنوضهم والقوج الجماعة (فان قبل) أي فائدة في قوله تعالى
 فاستمتعوا بجاهلهم وقوله تعالى كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم مغن عنه كما أغنى

قوله تعالى كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا الخضم كالذي خاضوا (أجيب) بأن فائدة ذلك أن يذم الأولين بما رثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على قبح ظلمه بقولك أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حرم ويعذب من غير موجب وأما وخضم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن تلك المقدمة (وأولئك) أي هؤلاء الاشقياء (حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا) أي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها (والآخرة) أي وفي الدار الآخرة لانهم لم يسعوا لها سعيها فلم تنفعهم أعمالهم في الدارين بل يعاقبون عليها وزاد في التنبيه على بعدهما ما قصدوا الانفسهم من النفع بقوله تعالى (وأولئك هم الخاسرون) أي الذين خسروا الدنيا والآخرة والمعنى أنه كما بطل أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أي المنافقون وتحسرون وفي الالتفات إلى مقام الخطاب إشارة إلى تحذير كل سامع عن مثل هذه المقالة قال بعض كبار التابعين أدرت سبعين من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وذكر أن ما لكارجه الله تعالى دخل المسجد بعد العصر ووجد من لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما رآه مذهباً فقبل له في ذلك فقال خبيت أن أكون من الذين إذا قبل لهم أركعوا لا يركعون وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يتناوب بين المنافقين شهود العتة والصبح لا يستطيعونهما وقال تعالى لا يؤمن الصلوة الا وهم كسالى ينظر المنافق الى ما يسقط فضائل أهل الفضل ويتعاضى عن محاسنهم كما روى أن الله تعالى يغض التارك لحسنة المؤمن الاخذ لحسنته والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوى أهل المساوى فكيف يحاسب أهل المحاسن والمنافق يأخذ من الدين ما يتقنع في الدنيا ولا يأخذ ما يتقنع في العقبى ويجتنب في الدين ما يضر في الدنيا ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا * ويذكر أن رجلاً من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها دنى على موضع طاهر أصلى فيه فقال له الراهب طهر قلبك مما سواه وقم حيث شئت قال المسلم فجلت منه وقوله عز من قائل (ألم يأتهم) فيه رجوع من الخطاب إلى الغيبة أي ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير رأى قد أتاهم (نبأ) أي خبر (الذين من قبلهم) من الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم وكيف أهل كذا هم حين خالفوا أمرنا وعصوا أمرنا * ولما شبه تعالى المنافقين بالكفار المتقين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الانبياء والمبالغة في ايذائهم لرسولهم بين منهم ستة طوائف الاولى (قوم نوح) أهل كوا بالطوفان (و) الثانية (عاد) وهم قوم هود أهل كوا بالريح والثالثة قوم هود وهم قوم صالح أهل كوا بالريحفة (و) الرابعة (قوم ابراهيم) أهل كوا بسلب النعمة وأهلك غر وبيعوضة سلطها الله تعالى على دماغه فقتله (و) الخامسة (أصحاب مدين) وهم قوم شعيب ويقال انهم من ولد مدين بن ابراهيم أهل كوا بعذاب يوم الظلة (و) السادسة (المؤنكات) وهم قوم لوط أي أهلها أهل كوا بأن جعل الله تعالى أعالي أرضهم سائرلها وامطر عليهم حجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشأم

والعراق واليمن وكل ذلك قريب من بلاد الرب فكأنوا يمرّون عليهم ويعرفون أخبارهم
وقوله تعالى (أتتهم وسلهم) راجع الى كل هؤلاء الطوائف (بالبينات) أي المجهزات بالباهرات
والجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم ونالوا أمرنا كما فعلتم أي الكفار
والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم النعمة كما جعلت لهم وقرأ أبو عمرو
يسكون السين والياقون بالرفع (فما كان الله ليظلمهم) بتجمل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) حيث عرضوه للعقاب بالكفر والتكذيب ولما بالغ سبحانه وتعالى في وصف المنافقين
بالاعمال الفاسدة والافعال الخبيثة ثم ذكر عقبه أنواع الوعد في حقهم في الدنيا والآخرة ذكر
بعده صفات المؤمنين بقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في الدين واتفاق
الكلمة والعون والنصرة وهذا في مقابلة قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
(فان قيل) لم قال تعالى في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء
بعض ما الحكمة في ذلك (أجيب) بأنه لما كان اتفاق الاتباع حصل بسبب التقليد لا واثبات
الاكابر بسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة
الخالصة بين المؤمنين يتوفى الله تعالى وهذا لا يقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم
بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الحكمة وقوله تعالى (يا مرون
بالعرف) أي بالابحان بالله ورسوله واتباع أمره المعروف كل ما عرف من الشرع من خير
وطاعة وينهون عن المنكر أي الشرك والمعاصي والمنكر كل ما ينكره الشرع وينهونه الطبع
في مقابلة قوله تعالى في المنافقين يا مرون بالمنكر وينهون عن المعروف (ويقومون الصلاة)
أي المفروضة وتمون أركانهم وشروطها (وبؤثون الزكاة) أي الواجبة عليهم في مقابلة قوله تعالى
في المنافقين ويقضون أيديهم المعبرية عن الجمل وقوله تعالى (ويطيعون الله ورسوله) أي فيما
يأمرهم به في مقابلة قوله تعالى في المنافقين نسوا الله أنفسهم * ولما ذكر تعالى ما وعده المنافقين
من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين من الرحمة المستقبلية وهي ثواب الآخرة بقوله
تعالى (أو لئن) أي المؤمنون والمؤمنات الموصوفون بهذه الصفات (سرحهم الله) بوعده
لاخلف فيه (إن الله عزيز) أي غاب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد (حكيم) أي لا يقدر أحد
على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه * ولما ذكر سبحانه وتعالى الوعد على سبيل الاجمال ذكره
على سبيل التفصيل بقوله تعالى (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)
فذكر في هذه الآية أن الرحمة هي هذه الأنواع المذكورة في هذه الآية أولها قوله تعالى جنات
تجري من تحتها الأنهار فهي لا تزال خضرة ذات بهجة نضرة * ولما كان النعيم لا يكمل الا بالادوام
قال تعالى (خالدين فيها) والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي يجري فيها
الناظر لانه تعالى قال (ومساكن طيبة في جنات عدن) أي اقامة وخلود وهذا هو النوع
الثاني فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخرى البساتين التي
يتبرهون فيها هذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه قد ذكر كلام أصحاب الآثار

في صفة جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقال على الخير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من المثلوث فيه سبعون داراً من ياقوته حرام في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لواناً من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في عداة واحدة ما يأتي على ذلك أجمع وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر أي دار الله تعالى التي أعدها لوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباده وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها قال ابنة من ذهب وابنة من فضة وبلاطها المسك الأزفر وتربته الزعفران وحصاؤها الدر والياقوت فهي النعيم بلا يؤس والخلود بلا موت لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة قال الأزهرى بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس هي قصر في الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنان حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتربح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كتب المسك الأزفر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا النبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن غر في الجنة قبابه على حافتيه وقال الرازي حاصل الكلام إن في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الأخبار والالتفات في هذا القول وقال في الكشف وعدن علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة الجنة قال الأزهرى ما أخذ من قولك عدن بالمكان إذا قام به بعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن جعلنا الله تعالى ومن نعمه من أهلها وأحل علينا رضوانه فانه المقصود الأعظم كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى إلى نيل الوصول والقور بالقاء روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون ليسك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون رأيت شيئاً أفضل من ذلك قال تعالى أحل عليكم رضوانى فلا أضغط عليكم أبداً وهذا هو النوع الثالث وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والياقوت بالكسر (ذلك) أي الرضوان أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذي تستغردونه الدنيا وما فيها وما وصف الله تعالى المنافقين بالصفات الخبيثة وتعدهم بأنواع العقاب وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد لا جرم ذكر عقبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة الطاهرة الطيبة وعدهم بالثواب الرفيع والدرجة العالية ثم هادى إلى شرح أحوال الكفار

والمنافقين بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين (والمنافقين) أي الساترين
كفرهم بظهور الاسلام (فان قيل) الآية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين وهو غير جائز
فان المنافق كما مر من يستركفره ويقربلسانه ومن كان كذلك لم تجز محاربته ومجاهدته
(أجيب) بأن ليس في الآية ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف وباللسان أو بطريق آخر
وانما تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين وكيفية تلك المجاهدة انما تعرف من دليل آخر
وقد دللت الدلائل المقتضية على ان المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف ومع المنافقين
بالجهد والبرهان وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحد ودعوتهم اذا تناطوا أسبابها
قال القاضي وهذا ليس بشئ لأن اقامة الحد ودعوة على من ليس بمنافق فلا يكون لها تعلق
بالتفاق ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق وحسن الخلق قال تعالى (واغلق عليهم)
أي بالانتهاز والمقت في الجهادين لانعامهم بمثل ما علمتهم به من اللين عند استئذانهم في القعود
وهذا بخلاف ما مضى في وعيد المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقون والمناذقات فقدم في
كل سياق الالتفات به (وما واهم) أي مسكنهم في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي
المرجع هي (يخلفون) أي المنافقون (بالله ما قالوا) أي ما ينافون عنهم من السب والمفسرون
ذكر وفي أسباب نزول هذه الآية وجوها الاول روى أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتضامين فقال الجلاس بن سويد بن ثعلبة كان ما يقول
محمد في اخواننا الذين خلفناهم بالمدينة خالفنا من شر من الجيرة فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس أبل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الجار فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله عز وجل ما قاله فرفع عامريده وقال اللهم أنزل على عبدك ونيك نصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فترت فقال الجلاس لقد ذكر الله تعالى التوبة في هذه الآية
ولقد قلت هذا الكلام وصدق عامر ثم تاب وحسنت فوبته الثاني أنها نزلت في عبد الله بن أبي
لما قال لنرجعنا الى المدينة ليخرجننا الاذن وأراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
فسمع زيد بن أرقم ذلك فبلغه النبي صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضى الله عنه بقتل عبد الله بن
أبي الجاهل عبد الله بن أبي وحلف أنه لم يقل الثالث روى قتادة أن رجلا اقتتل احدهما من
جهينة والآخر من غفارة وكانت جهينة حلفا الانصار فظهر الجاهلي على الغفاري فقال عبد الله
ابن أبي لا اوس انصروا أخاكم فوالله ما ملنا ومثل محمد الا كما قال القائل من كذبك يا كلك
فسعى به رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فأنه حلف بالله ما قاله فترت
(ولقد قالوا كلمة الكفر) وهي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي (وكفر وابتدعوا سلامهم) أي وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم
الاسلام (وهو ما جعل ينالوا) أي من قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك ووافي
خمس عشر منهم اذا قسم العقبة أي علاها بالليل فأخذ عمر بن الخطاب بخطام ناقته بقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فيسبحهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبهضة

السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
 هموا يقتل عامر حين ردت على الجلاس وقيل ارادوا أن يترجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقيموا) أي وما أنكر واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
 (الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) فان أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله
 عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنمة وبعد قدومه أخذوا
 الغنائم وفازوا بالاموال ووجدوا الدولة وذلك يوجب أن يكونوا المحبين له مجتهدين في بذل النفس
 والمال لأجله وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اثني عشر ألفاً
 فاستغنى فالمنافقون علواً بصد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم ان تقوموا منه
 وقال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء يقومون منه ولا يعيرون من الله الا الصنيع وهذا
 كقول الشاعر

مانقوا من بني أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا

وكقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سبوا فهم • بين فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيها عيب (فان يتوبوا) أي من كفرهم ونفاههم (يا خير الهم) في العاجل والآجل من
 اصرارهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير فيك للتوبة (وان يتولوا) أي
 يعضوا عن الايمان والتوبة ويصرواعلى النفاق والكفر (بعدهم الله عذاباً أليماً في الدنيا)
 بالقتل والاسر والاذلال (والآخرة) بالعذاب الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم
 في النار (وما لهم في الارض) أي التي لا يعرفون غيرها السفل همهم (من ولي) يحفظهم منه
 (ولا نصير) يمنعهم وأما السما فهم أقل من أن يطعموا منهم في شيء ناصر أو غيره وأغلظ اكباد
 من أن يرتقي فكفرهم الى ما بهما من العجائب مما بهما من الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها
 في شرح أحوال المنافقين ولأنهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على
 التفصيل فيقول تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلزك في الصدقات ومنهم من يقول
 ائذن لي ولا تفتني ومنهم من عاهد الله ان لا يقاتلنا ثم انهم انما هم من قلة لا تصدق) فيه ادغام التاء في الاصل
 في الصاد (وليسكون من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ثعلبة بن حاطب أبطأ عنه
 ما له بالك أم فلقه شدة غلبته بالله وهو واقف ببعض مجالس الانصار لئن آتانا الله من فضله لاصدقن
 ولا تؤذين منه حق الله تعالى والمشمور في سبب نزول هذه الآية ان ثعلبة بن حاطب الانصاري
 قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل
 تؤذي شجرة خبر من كثير لا تطيقه فراجه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في
 رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لاسارت
 ثم أتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق لن يرزقني الله ما لا
 لا عطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا فاتخذ غنماً

فتمت كما تثنى الدود حق كثر وزل بهم واوديا من اودية المدينة واشتغل بها حتى صار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر وصلى في غنمه باقي الصلوات ثم كثر وقت حتى تباعد عن المدينة أيضا فصار لا يشهد الجمعة ولا الجمعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاث فائزات آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليزا لاختذ الصدقة وكتب لهم ما اصناف الصدقة وكيف يأخذون وقال لهم ما رآ ثعلبة وخذا صدقاته فأتياه وسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية أو أخت الجزية انطلقا حتى تفرغتم عودا الى فانطلقا فاستقبلهما الناس بعد فاتهم ثم رجعا الى ثعلبة فقال كفالته الاولى ولم يدفع اليهما شيئا فرجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله تعالى هذه الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني من أن أقبل صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال صلى الله عليه وسلم لقد قلت لك خا أطعتني فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءهم الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاءهم الى عرايا ثم خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان أتاهم فلم يقبلها واهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه (فان قيل) العبد اذا تاب تاب الله عليه فلماذا منع الله تعالى من قبول صدقته (أجيب) بأن الله تعالى لما قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان هذا المقصد وغير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا السبب امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة ثم قال الله تعالى (فلما أتاهم من فضله يجلو به) أي منعوا حتى أتته الى منسبه (وقولوا) عن طاعة الله تعالى (وهم معرضون) أي عن طاعة الله تعالى (فأعقبهم) أي صير عاقبتهم (نفاقا) متمكنا (في قلوبهم الى يوم يلقونه) أي الله يوم القيامة (بما أخلقوا الله ما وعدوه) أي بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصديق والصلاح لان الجزاء من جنس العمل (وبما كانوا يكذبون) أي يجددون الكذب دائما مع الوعد ومنفكا عنه فقد استكملوا النفاق عاهدوا وفقدروا ووعدوا فأخلقوا وحدثوا فكذبوا وقد قال صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اثنى خان (ألم يعلموا) أي المنافقون (ان الله يعلم سرهم)) أي ما أمروا في أنفسهم من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه (ونحوهم) أي ما تناجوا بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها فكيف يجترونها على النفاق الذي الاصل فيه الاستمرار والتناجي فيما بينهم مع علمهم بأن الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وانه يعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر (وان الله علام الغيوب) والعلام مبالغة في العالم والغيب ما كان غائبا عن الخلق

فكيف يمكن الاخفاء عنه وقوله تعالى (الذين) مبتدأ (يلزومون) أي يعيدون (المطوعين) المستغفرين
 (من المؤمنين) أي الراغبين في الايمان (في الصدقات والذين لا يجردون الاجهدهم) أي
 طاقتهم فيأتون به (فيصضرون منهم) أي يستمزون بهم والخبر (بمجر الله منهم) أي جازاهم على
 ضررتهم (ولهم عذاب أليم) على كفرهم وهذا نوع آخر من أعمال المنافقين القبيحة وهو لزهم
 لمن يأتي بالصدقات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وحث على الصدقة
 فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
 مالي غنية آلاف درهم جئت بك بأربعة آلاف درهم فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف
 لعلالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
 تعالى في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ غنى ماله لهما مائة وتسعين ألف
 درهم وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقمان ثم وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء
 أبو عبيد الانصاري بصاع من تمر وقال أخرجت الليلة الماضية نفسي من رجل لا زال الماء الى
 نخله فأخذت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعلالي وأتيتك بالآخر فأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلزهم المنافقون وقالوا لعبد الرحمن وعثمان ما يعطيان الارباء
 والله ورسوله لغبنيان عن صاع أبي عبيد ولكن أحب أن يذكركم فله أعطى من مال الصدقات
 فنزلت وقوله تعالى (استغفروا لهم) يا محمد (أولا تستغفروا لهم) تخيير لاني صلى الله عليه وسلم
 في الاستغفار لهم وتركه قال صلى الله عليه وسلم اني خيرت فاخترته يعني الاستغفار ررواه
 البخاري (ان تستغفروا لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي
 وكان من المخلفين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت
 فقال عليه الصلاة والسلام سأزيد على السبعين وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين
 العدد المخصوص لانه الاصل بلوازان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراهه فبين تعالى أن
 المراد التسعة دون التحديد وانما خص السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر
 السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة رضى الله عنه سبعين تكبيرة
 ولان آحاد السبعين سبع وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع
 والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم سبع وقد اجمع السبعة والسبعين والسبع مائة
 ونحوها في التكميل لا شئ من السبعة على جملة أقسام العدد أي عدة مراتبه الأصلية
 والفرعية مع ذكر أول فروع وفروعه وهي سبعة آحاد عشرات اثنين آحاد ألوف
 عشرات ألوف مئتين ألوف آحاد ألوف الألوف وقوله تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)
 اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لجلل مناولا قصور فيك بل لعدم
 قابليتهم بسبب الكفر الصارف عما (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي المتمردين في كفرهم
 وهو كالنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم إيمانهم عن إيمانهم
 ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان

لنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى بقربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون) عن غزوة تبوك (تقعدهم) أي بقعودهم فهو اسم للمصدر (خلاف رسول الله) هذا نوع آخر من قبائح أعمال المنافقين وهو فرحهم بالعودة وكراهتهم الجهاد والخلف المتروك عن مضى (فان قيل) انهم احتالوا حتى تخلفوا فكانوا مخلصين لا تخلفين (أجيب) بأن من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه مخلف حيث لم ينهض وأقام * (تنبيه) * قوله تعالى خلاف فيه قولان الأول وهو قول الزجاج بمعنى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساروا فأما قال وهو منصوب لأنه مفعول له والمعنى بأن قعدوا وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني قال الاخفش ان خلاف بمعنى خالف ومعناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) تعريض للمؤمنين بعملهم المشاق لوجه الله تعالى بما فعلوا من بذل أنفسهم وأموالهم وإيثارهم ذلك على السكون والراحة وكره ذلك المنافقون وكيف لا يصحكرون وما قيم ما في المؤمنين من باع الإيمان وداعى الايقان (وقالوا) أي قال بعض المنافقين لبعض أو قالوا للمؤمنين تبسطا (لا تنفروا) أي لا تخرجوا الى الجهاد (في الحز) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله تعالى عن هذا بقوله تعالى (قل نارجهم أشد حرًا لو كانوا يفتقون) أي يعلمون أن بعده هذه الدار دار أخرى وان بعده هذه الحياة حياة أخرى وان هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية ما تخلفوا ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساة يوم اربها شبه العاصي

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تنقضها مساة أحقاب

وقوله تعالى (فليضحكوا قليلا) أي في الدنيا (وليتكوا كثيرا) أي في الآخرة ورد بصيغة الامر ومعناه الاخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ودليل ذلك قوله تعالى (جزاء بما كانوا يكسبون) أي أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيث في الدنيا روى أن أهل النفاق سيكون في الآخرة في النار عمر الدنيا لا يرثها لهم دمع ولا يكفون بنوم ففرحهم وضحكهم طول أعمارهم في الدنيا قليل بالنسبة الى الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الثاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل روى عن أنس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطعوا فابتكوا فان أهل النار سيكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرغ العيون حتى لو أن سفنا اجريت فيها لجرئت قال البيضاوي ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كآيتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعت) أي رقت (الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) أي من تخلف بالدين من المنافقين وانما حال الى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بهذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين وأراد بالطائفة المنافقين

منهم) فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد بولك (فقل) يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا
الخروج معك وهم مقيمون على نفاقهم (لن تخرجوا معي أبداً) أى فى سفر من الاسفار ان الله
تعالى قد أغثنى عنكم وأخرجكم الى (ولن تقابلوا معي عدواً) اخبار جمع فى النهى للمبالغة
وقوله تعالى (انكم رضىتم بالقعود أول مرة) لتدليله وكنان اسقاطهم من ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأقل مرة هى الخرجة الى غزوة بولك (فأقعدوا مع الخالفين)
أى المختلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم قال الرازى واعلم ان هذه الآية تدل
على ان الرجل اذا ظهر له من بعض اخوانه مكر وخداع وراة مشقة دافعه مبالغة فى تقرير
موجباته فانه يجب عليه أن يقطع العلاقة بينه وبينه وأن يمتنع من صاحبه * ولما أمر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمنع المنافقين من الخروج معه الى الغزوات افلا لالاهم
أمره بمنع الصلاة على من مات منهم اذلالاهم أيضاً بقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات
أبداً) روى أن ابن أبي راس المنافقين دعا النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فلما
دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم سأله أن يصلى عليه وأدامت يقوم على قبره ثم أرسل للنبي
صلى الله عليه وسلم يطلب منه قصصه فيمكن فيه فأرسل اليه القميص القوفانى
فردّه وطلب الذى يبلى جلده ليعكفن فيه فقال عمر رضى الله عنه لم تعطى قبصك
للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قبصى لا يغنى عنه من الله شيئاً وفى أوثل من الله
أن يدخل فى الاسلام ~~شريحهم~~ هذا السبب فيروى أنه اسلم ألف من الخرج لما روى وطلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات جاء ابنه يعرفه وكان ابنه ههنا
سأله صالحاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول
الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام لى صلى عليه فقام عمر رضى الله عنه بينه وبين
القبلة فترت هذه الآية وأخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لا تصل على أحد منهم مات أبداً قال عمر فجمعت من جرائى على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه وذلك ان الوحي ينزل وفق قوله فى آيات
كثيرة منها آية أخذ القدية من أسارى بدر وقد سبق شرحه ومنها آية تخرج الخمر ومنها آية
تحويل القبلة ومنها آية أمر النساء بالجاب ومنها هذه الآية تصار نزول الوحي على مطابقة
قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له فى الدارين ولهذا قال فى حقه عليه الصلاة والسلام
لولم أبعث لبعثت بأعمر نبياً وانما بينه صلى الله عليه وسلم عن التكفين فى القميص ونهى عن
الصلاة عليه لأن الضئ بالقميص كانت تحل بالكرم وكان الله تعالى أمره أن لا يرد ماء لا
بقوله تعالى وأما السائل فلا تشهر ولا ن ابنه كان بالوصف المتقدم فأكرمه النبي صلى الله عليه
وسلم لمكان ابنه ولان الرحمة والرافة كانت غالبية عليه صلى الله عليه وسلم ولائها كانت مكافأة
لابسائه العباس قصصه حين كان أسرى بيد الروم المراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
ممنوع فى حق الكافر قال الواحدى مات فى موضع جبرانه صفة للذكر كانه قبل

على احد منهم ميت وقوله تعالى أبدا متعلق بقوله ولا تصل والتقدير ولا تصل أبدا على أحد
 منهم منها كيدا أنما وقال البيضاوي مات أبدا يعني الموت على الكافر فان احياء الكافر
 للتعذيب لا الممتع فكان له لم يجبي واختلف في تفسير قوله تعالى (ولا تقوم على قبره) فقال الزجاج
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فخرج ههنا منه قال الكلبي
 لا تقوم لاصلاح مهمات قبره وهو من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وتولاه وقيل
 لا تقوم عند قبره لدفن أو زيارة والاقول أولى لأن النهي للتعريم ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة
 عليه والقيام على قبره بقوله تعالى (أنهم كفروا بالله ورسوله وما تولوا أولهم فاسقون) أي كافرون
 يعني لم يتوبوا قبل موتهم عن كفرهم فنهى بذلك ما قبل ان الفسق أدنى من الكفر فالفائدة في
 وصفهم بعد ذلك بالفسق واجب أيضا بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا
 فوصف الله تعالى المنافق بالفسق بعد ان وصفه بالكفر تنبيهه على ان طريقة النفاق طريقة
 مذمومة عند كل أهل العلم (فان قيل) كيف هم صلى الله عليه وسلم أن يصل على هذا المنافق مع
 قيام الكفر فيه وقيل انه صلى الله عليه (أجيب) بأن التكليف مبني على قوله صلى الله عليه وسلم
 نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فانه كان ظاهره الاسلام فلما علمه الله تعالى بذلك امتنع فلم
 يصل على منافق بعد ذلك ولا قام على قبره حتى قبض (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله
 أن يعذبهم به في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون) سبق ذكر هذه الآية في هذه السورة بعينها
 ولكن حصل بينهم تفاوت في الفاظ أربعة أولها أن في الآية المتقدمة فلا تعجبك بالظاهر ههنا
 بالاول وان الآية الاولى ذكرت بعد قوله تعالى ولا يفتقون الاوهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
 للنفاق وانما ذكره واذلك الانذار لكونهم محبين بكثر تلك الاموال والاولاد فلهذا المعنى نهى
 الله تعالى عن ذلك الانجاب بغاء التعقيب وأما ههنا فلا تعلق لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف
 الواو ثانيه أنه قال تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وههنا كلمة لا تحذوفه
 لأن مثل هذا الترتيب يدل عليه بالادون ثم يترقى الى الاشرف فيقال لا يعجبني أمر الامير ولا أمر
 الوزير وهذا يدل على انه كان انجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق انجابهم باموالهم
 وهذه الآية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم ثالثها أنه تعالى قال ههنا انما يريد
 الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله أن يعذبهم فالفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام
 الله تعالى محال وان ورد حرف التعليل ومعناه انه كقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله
 وما أمروا الا بأن يعبدوا الله وابعاه انه ذكر في الآية الاولى في الحياة الدنيا وههنا أسقط
 لفظ الحياة تنبيهه على ان الحياة الدنيا بلغت في الحسنة مبلغا الى أنها لا تستحق أن تسمى حياة بل
 يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهه على كمال دنائتها قال الرازي فهذه وجوه في
 الفرق بين هذه الالفاظ والعالم بتحقيق القرآن هو الله تعالى (فان قيل) ما الحكمة في
 التكرير (أجيب) بأنه أشد الاشياء جذبا وطلب الخواطر الاشتغال بالدنيا وهي الاموال
 والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى في المطالبية والمرغوبة كما أعاد تعالى

قوله في سورة النساء ان الله لا يغير ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مرتين وقبل انما كرر
هذا المعنى لانه الآية الاولى في قوم منافقين اهم اموال واولاد في وقت نزولها وهذه الآية في
قوم آخرين والكلام الواحد اذا احتج الى ذكره مع اقوام كثيرين في اوقات مختلفة لم يكن ذكره
مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع آخرين وقوله تعالى (واذا انزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة تمامها
وان يراد بعضها أي طائفة من القرآن وقبل المراد بالسورة سورة براءة لان فيها الامر بالايان
والجهاد (ان آمنوا بالله) أي بان آمنوا ويجوز ان تكون أن المقسرة (وجاهدوا مع رسوله) فان
قبل كيف يأمر المؤمنين بالايان فان ذلك يقتضي الامر بتحصيل الحاصل وهو محال (أجيب)
بان معناه الدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل هذا الامر وان كان ظاهره العموم
لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون أي اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله صلى الله
عليه وسلم وانما قدم الامر بالايان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير الايمان لا يقيد بشيء ثم حكي
الله تعالى ان عند نزول هذه السورة ماذا يقولون فقال تعالى (استأذنك أولوا الطول منهم)
قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء
المنافقين وكبرائهم (وقالوا) أي أولوا الطول (ذرتنا نحن مع القاعدتين) أي الذين تعدوا العذر
كل مرضى والزنى وقيل مع النساء والصبيان ثم ذمهم الله تعالى بقوله (رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللاتي يتخلفن في البيوت وقيل الخوالف ادنياء الناس
وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وانما خص أولوا الطول بالذكر لان الذم لهم
لازم لكونهم قادرين على السفر والجهاد وأما من لا مال له ولا قدرة له على السفر فلا يحتاج الى
الاستئذان فان المقسرون كان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف (وطبع) أي وختم
(على قلوبهم) أي هؤلاء المنافقين (فهم لا يفقهون) أي لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز
والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والخذلان ولما شرح الله سبحانه وتعالى حال المنافقين من
القرار عن الجهاد بين حال الرسول والذين آمنوا معه بالاضمة بقوله تعالى (لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي بذلوا المال والنفس في طلب رضا الله تعالى
والقرب اليه وفي قوله تعالى لكن فائدة وهي تقرير أنه وأن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد
توجه اليه من هو خير منهم وأخص نية واعتقادا كقوله تعالى ان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوماً ولما وصفهم الله تعالى بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع
وهو انواع أولها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (وأولئك لهم الخيرات) أي منافع الدارين النصر
والغنية في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الخيرات الخوارق التي لقوله تعالى فيهن
خيرات حسان ثانيها ما ذكره الله تعالى بقوله (وأولئك هم المفلطون) أي القاتلون بالمطالب
المتخلصون من العقاب والعتاب وثالثها ما ذكره بقوله تعالى (أعد الله لهم جنات تجري من
تحتهم الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) هذا بيان ما لهم من الخيرات الآخوية (وجاء
المعذرون) بادعائهم التماس في الاصل في الدال أي المعتذرون بمعنى المعذورين (من الاعراب) الى

النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لعدوهم فأذن لهم واختلف في هؤلاء المذنبين
فقبلهم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالوا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل لهم رهن
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على أهاليها وواشينا فقال صلى الله
عليه وسلم سيقتني الله عنكم وقيل نفر من غفارا اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
بالكذب والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله
تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على
فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح كافي قول لبيد

* ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو التعذر الذي
هو التقصير يقال عذري عذرا اذا قصرت ولم يسالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في
اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى
لما ذكره قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي في ادعاء الایمان من مناقي الاعراب
عن الجحى للاعتذار فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويرى
عن عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تكفوا وعذرا يبطل فهم الذين
عناهم الله تعالى بقوله وجاء المذنبون وتختلف الآخرون لا عذروا ولا شبه عذرا جاء على الله
وهم المراد بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله (سجيب الذين كفروا منهم) أي من
الاعراب أو من المذنبين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالنار وما بين سبحانه وتعالى الوعيد في حق من نوههم العذر مع أنه لا عذر له ذكر أصحاب
الاعتذار الحقيقية وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط بقوله تعالى (ليس على
الضعفاء) كالشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضغينة متخفيا (ولاعلى المرضى) كالزمنى
والعرج والعمى (ولاعلى الذين لا يجدون ما يفتقون) في الجهاد (خرج) أي اثم في التخلف عنه
فمنى سبحانه وتعالى عن هذه الاقسام الثلاثة الحرج فيجوز لهم ان يتخلفوا عن الغزو وليس
في الآية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج لبعين المجاهدين فقد قدر
اما لحفظ متاعهم أو لتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلاً وبالأعليهم كان ذلك
طاعة مقبولة ثم انه سبحانه وتعالى شرط في جواز هذا التأخر عن الغزو بشرط بقوله (اذ انصروا
لله ورسوله) في حال قعودهم بالایمان والطاعة في السر والعلانية وان يحترزوا عن انقواء
الاراجات وعن اثار الفتنة ويسعوا في اصال الخير الى المجاهدين الذين سافروا اما ان يقوموا
باصلاح مهجات سيوتهم واما ان يسعوا الى اصال الاخبار السارة من يوتهم اليهم فان جملة
هذه الامور جارية مجرى الالهانة على الجهاد وقوله تعالى (ما على المحسنين) في موضع ما عليهم
ایمان احسانهم بنصحهم مع هذرهم (من سبيل) أي طريق الى ذمهم وألومهم والمعنى انه سدد
باحسانه طريق العتاب ومن أعظم الاحسان من شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله
مخلصاً من قلبه فان ما عليه من سبيل في نفسه وما له لا باحة الشرع بدليل منفصل اذ العبرة

بهموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الالف بالاحسان ورأس أبواب الاحسان
ورئيسها هو قول لاله الله محمد رسول الله (والله غفور) أى محامد الذنوب (رحيم) أى
يجمع عباده وفى ذلك اشارة الى أن الانسان محل التقصير وان اجتهد فلا يسعه الا العقوبه ولما
ذكر الله سبحانه وتعالى الضعفاء والمرضى والفقراء وبين انه يجوز لهم التخلف عن الجهاد
بشرط ان يكونوا مباحين لله ورسوله وهو كونهم محسنين وانه ليس لاحد عليهم سبيل ذكر قسمي
رابعاً من المذورين بقوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أولوا لكم لهمم) الى الفوز وهم
الباكون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمر
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعليه بن زيد أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا بدرنا
بالخروج أى أسرعنا لحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة نفرو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحكمكم عليه فتولوا وهم سيكون ولذلك سموا البكاكين وقيل هم بنو
مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه وقيل
نزلت في العرياض بن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكره وقوله تعالى (قلت لا أجد
ما أحكمكم عليه) حال من الكاف فى أولك باضمار قد وقوله تعالى (تولوا) جواب اذا (وأعينهم
تفيض) أى تسيل (من الدمع) أى دمعها فان ومن للبيان كقولك أفديك من رجل وهو أبلغ
من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعاً ففاض وقوله تعالى (حرنا) منصوب على
العله (ان لا يجدوا) أى لئلا يجدوا وحمله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حرنا
(ما يفتقون) فى الجهاد ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى فى حق من يعتذر
ولا عذرله (انما السبيل) أى انما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد فى
التخلف عنك والجهاد (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك وقوله تعالى (رضوا
بأن يكونوا مع الخولاف) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة
والضعفة والانتظام فى جملة الخولاف وهم النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم) فلاجل ذلك
الطبع قال الله تعالى (فهم لا يعلمون) أى ما فى الجهاد من منافع الدارين أما فى الدنيا فالقوز
بالغنية والظفر بالعدو وأما فى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع (يعتذرون)
أى هؤلاء المنافقون (البكم) أى فى التخلف (أذا رجعت) من الغزو (اليهم) بالاعذار الباطلة
والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له ويحتمل ان يكون له وللمؤمنين
يرى ان الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من المنافقين كانوا بضعة وثلاثين رجلاً فلما رجع النبى
صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل قال تعالى (قل لهم يا محمد لا تعتذروا) بالمعاذير
الباطلة (لنؤمن لكم) أى ان نصدقكم فيما اعتذرت به وقوله تعالى (قد نبأنا) أى أعلمنا (الله
من أخباركم) أى بعض أحوالكم التى أنتم عليها من الشر والفساد عله لا تتفادى بديهم
لأن الله تعالى اذا أوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام بأحوالهم وما فى دنياهم
من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله علمكم ورسوله) أى

أنتون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم تزدون) أي بالبعث (إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون) أي الله المطلع على مافي ضمائركم من الخبيات والكذب واخلاف الوعد وغير
ذلك من الخبيات التي أنتم عليها فيباينكم عليه (سيجلفون بالله لكم إذا انقلبتم) أي رجعتهم
(إليهم) من تبوء انهم معذورون في التخلف (لتمرضوا عنهم) أي تصفحوا عنهم فلا تعاتبوهم
(فأعرضوا عنهم) أي فدعوههم وما اختاروا لانفسهم من النفاق قال ابن عباس يريد ترك
الكلام والسلام قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا
تكلموهم قال أهل المعاني هؤلاء مطلبو اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكره تعالى
علة الاعراض بقوله (انهم رجس) أي قد زلزلت باطنهم فكما يجب الاحتراز عن الانجاس
الجسمانية يجب الاحتراز عن الارجاس الروحية خوفا من سرابها الى الانسان وحذرا من أن
يميل طبع الانسان الى تلك الاعمال الخبيثة في الدنيا واختلوا فبين زلت فيه هذه الآية فقال ابن
عباس زلت في الجذب قيس ومعقب بن قشير وأصحابهما كانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل زلت في
عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من
النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأنزله تعالى هذه الآية ونزل (يجلفون لكم ترضوا
عنهم) أي يجلف لكم هؤلاء المنافقون ترضوا عنهم يجلفهم فستدبروهم ما كنتم تفعلون بهم
(فان ترضوا عنهم) أي فان وضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا اليكم وقبلتم عذرهم (فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين) لانه تعالى يعلم مافي قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم
والمقصود من الآية عدم الرضاء عنهم والاعتذار بعذرهم بعد الامر بالاعراض عنهم وعدم
الالتفات نحوهم ونزل في سكان البادية (الاعراب) أي أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) أي
من أهل الحضرة لظنهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن أهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة
واستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم وذلك يوجب مزيد البه والتكبر والتخوة والفخر والبطش
عليهم وليسوا بمعت سياسة سائس ولا تأديب مؤدب ولا ضبط ضابط فتشروا كما شاءوا ومن كان
كذلك خرج على أشد الجهات نفاقا ولو قابلت القواكة الجبلية بالقواكة البستانية لعرفت الفرق
بين أهل الحضرة وأهل البادية قال العلماء من أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان له نسب في
العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي وهم ودي ثم تتخلف بآء النسب في الجمع فيقال الجومس واليهود
ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وسواء كان من العرب أم من
مواليهم وجمع الاعرابي على الاعراب والاعرابي اذا قيل له اعرابي فرح والعربي
اذا قيل له باعرابي غضب له فن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم
اعراب والذي يدل على الفرق بينهما أنه صلى الله عليه وسلم قال حب العرب من الايمان وأما
الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية وقيل محو بالاعراب لان أنسنتهم معربة محو

في ضمائرهم ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من الفصاحة والحزالة لا توجد في سائر
 اللسان قال الرازي ورأيت في بعض الكتب عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم في أدبهم
 وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهندي في أوامهم وحكمة اليونان في
 أفئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في أسنتهم وذلك لخلاوة أسنتهم
 وعذوبة عباراتهم ثم حكم الله تعالى على الاعراب بحكم آخر بقوله تعالى (وأجدر) أي أحق
 وأولى (أن) أي بان (لا يعلموا) أحدهما أنزل الله على رسوله من الأحكام والشرائع فرائضها
 وسننها (والله عليم) بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب
 من يتخذ ما يتفق) في سبيل الله تعالى (مغرماً) أي غراماً وخسراً واناو الغرامة ما يفتقه الرجل
 وليس يلزمه لأنه لا يفتق إلا بفتق الاتسمة من المسلمين ورياء لوجه الله تعالى واستعلاء المشوبة عنده وهم
 أسدو غطفان (ويترصد) أي ينتظر (بكم الدوائر) أي دوائر الزمان أن ينقلب عليكم فيموت
 النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون قال الله تعالى (عليهم دائرة السوء) دعاهم عليهم معترض
 قال الفتازاني بين كلامين لا في أثناء كلام ولا في آخره دعاهم عليهم بنصوماد عوايه قال الله تعالى
 وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم أي يدور عليهم البلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله
 عليه وسلم دينه وأصحابه إلا ما يسوءهم ويكيدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم السين والباقون
 بالفتح مصدر اضيف إليه للمبالغة كقولك رجل سوء في نقض قولك رجل صدق (والله سميع)
 لأقوالهم (عليم) بما تخفي ضمائرهم ولما بين سبحانه وتعالى أنه حصل في الاعراب من يتخذ انفاقه
 في سبيل الله مغرماً بين أن يسم قوماً مؤمنين صالحين مجاهدين يتخذ انفاقه في سبيل الله مخفياً
 بقوله تعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كـ بعض جهينة ومزينة فوصفهم
 الله تعالى بوصفين كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر والمقصود التنبية على أنه لا بد في جميع
 الطاعات من تقديم الايمان وفي الجهاد أيضاً كذلك والثاني ما ذكره بقوله تعالى (ويتخذ ما يتفق
 قربات) جمع قربة أي يقربه (عند الله) الذي لا أشرف من القرب عنده (وسيلة الى صلوات)
 أي دعوات (الرسول) صلى الله عليه وسلم لأنه كان يدعو للمصدقين عنده بالخير والبركة
 ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى قال تعالى وصل عليهم أي ادع
 لهم ولما كان ما يتفق سبباً لذلك قيل يتخذ ما يتفق قربات وصلوات الرسول (الانها) أي نفقاتهم
 (قربة لهم) عند الله وهذا شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بحكمة ما اعتقد من كون
 نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول وقد كدت على هذه الشهادة بحرف التنبية وهو قوله
 تعالى الا بحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها ثم زاد في التأكيده فقال تعالى (سيدخلهم الله
 في رحمته) فان دخول السبعين واجب مزيد التأكيده وهذه النعمة هي أقصى مرادهم وقرأ أورش
 قربة برفع الراء والباقون بالسكون والاصل هو الضم والاسكان تخفيف (ان الله غفور) أي
 بلغ السر لقباً نفع من تاب (رحيم) بهم * ولما ذكر تعالى فضائل الاعراب الذين يتخذون ما يتفقون
 قربات عند الله وما أعد لهم من الثواب بين تعالى ان فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها

بقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار) أما من المهاجرين فقال سعيد
ابن المسيب هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل
بيعة الرضوان وقال محمد بن كعب هم جاهل الصعابة وقيل هم الذين أسلوا قبل الهجرة
واختلف في أول الناس اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض
العلماء أول من أسلم بعد خديجة على بن أبي طالب وهذا قول جابر واختلفوا في سنة وقت
اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغاً والاكثر
على انه لم يكن بالغاً وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قول عروة بن الزبير وكان الحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموالى زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لأربعة سابق الخلق الى الاسلام وأما من
الانصار فهم الذين يابغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة
تفرغ العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلاً فهو لأربعة سابق الانصار وقيل المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
وبدل على هذا انه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لهم انهم سابقون فيما ذابقي اللفظ مجلاً
فوجب صرف ذلك اللفظ الى ما قد صاروا به مهاجرين وانصاراً وهذا النصر فوجب
أن يكون المراد منه السابقين الاولين في الهجرة والنصرة ازالة للجمال عن اللفظ وأيضاً فان
الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أعدائه وأووه واسوه وآووا أصحابه واسوههم فلذلك اثني الله تعالى عليهم ومدحهم
(والذين اتبعوهم) أي الفريقين الى يوم القيامة (باحسان) أي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء
من طريقهم وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار ويترحمون عليهم ويدعون لهم
ويذكرون محاسنهم وقيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل
أحد ذهب ما بلغ مائة أحدكم ولا نصفه والمذربع الصاع والصف نصفه والمعنى لو أن أحدنا
عمل مائة مائة عليه من أعمال البر والاتفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر الصغير من عمل
الصعابة واتفاقهم لانهم أنفقوا بذلوا الجهد وفي وقت الحاجة وعن عمران بن حصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري
أذكر بعد قرنين أم ثلاثاً والقرن الامه من الناس يقارن بعضهم بعضاً واختلفوا في مدته من
الزمان من عشرين من اثنين الى عشرين سنة وقيل من مائة الى مائة وهذا هو المشهور وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة ثم جمعهم الله تعالى في الثواب فقال (رضي الله عنهم) فالسابقون مرتفع
بالابتداء وخبره رضى الله عنهم أي يقبل طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم

من نعمه الجليلة في الدنيا والآخرة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) أي هي كثيرة المياه
فكل موضع أردته ينبع منه ماء يجري منه نهر وقرآن كثير يأنه من تحتها ويجزئ التاب بعد الحاء
والباقيون بقدر من وفتح التاء ثم نفي سبحانه الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) وأكدا المراد من
الخلود بقوله تعالى (أبدا) ثم استأنف مدح هذا الذي أعد لهم بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر
العالى الرتبة (الفوز العظيم) ولما شرح تعالى أحوال منافق المدينة ثم ذكر بعده أحوال
منافق الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو مؤمن صالح مخلص ثم بين ان رؤسا المؤمنين من هم
وهم السابقون والمهاجرون والانصار ذكر أن جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق بقوله
تعالى (ومن حولكم) أي أهل بلادكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأثجج وغفار كانوا زلزل حولها وقوله تعالى (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا
التي هو من حولكم ويجوز أن يكون جملة معذوفة على المبتدا والخبر إذا قدرت ومن أهل
المدينة قوم (مردوا على النفاق) على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقول الشاعر
• أنا ابن جلا وطالع الشيا • أي أنا ابن رجل جلا مخذف الموصوف وأقام الصفة مقامه
وقال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة
منافقون مردوا على النفاق أي ثبتوا واستمروا فيه ولم يتوبوا عنه وأصل المرد الملاساة ومنه
صرح حمزد وغلأم أمرد (لا تعلمهم) بأعيانهم أي يحضرون عليك مع فطنتك ونهامتك وصدق
فراستك لقرط توقيهم ما يشكك في أمرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله تعالى (نحن نعلمهم) أي
لا يعلمهم إلا الله تعالى ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يطمنون الكفر في سويداوات فلوهم ابطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظواهر المخلصين من المؤمنين لانتك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على
النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى واختلفوا في نفسه بقوله تعالى (سنعذبهم مرتين) فقال
الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد جماعة من المنافقين فمخهم فمخها هو العذاب
الاول والثاني عذاب القبر (فان قيل) كيف هذا مع قوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم (أجيب)
بأنه تعالى أعلمهم بعد ذلك وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقال ابن زيد
الاول المصائب في الاولاد والثاني عذاب الآخرة وقال ابن عباس الاول إقامة الحدود عليهم
والثاني عذاب القبر وقيل عذبوا بالمواع مرتين وقيل الاول صرب الملائكة وجوههم
وأبصارهم عند قبض أرواحهم والثاني عذاب القبر وقيل الاول اسراق مسجدهم مسجد
الضرار والثاني اسراقهم بنار جهنم كما قال تعالى (ثم يردون) أي في الآخرة (إلى عذاب عظيم)
هو النار وقوله تعالى (وآخرون) أي وقوم آخرون مبتدأ وقوله تعالى (اعترفوا بذنوبهم) (م)
ولم يمتدروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة نفقة والخبر (خطوا وعملا صالحا) أي ووجهادهم
قبل ذلك أو اعترفهم بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر ساء) أي وهو تخلفهم (عسى الله أن يتوب عليهم
إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويفضل عليه نزلت في طائفة من المتخلفين عن غزوة

تبوك واختلف في عددهم فعن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة عشر وروى عنه أنهم كانوا خمسة وقال
سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقيل كانوا ثلاثة تدموا المبالغة بهم ما نزل بالتصديقين وتابوا وقالوا لا يكون
في الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد والاداء فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لننقن أنفسنا بالدارى
فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقها وبعد ذلك فرطوا أنفُسهم
في سوارى المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد على عادته في رجوعه من
سفره فصلى ركعتين فقرأهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا لا يخرجوا أنفسهم حتى يتجملهم وترضى
عنهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين
فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وأطلقتهم وعذرهم فلما
أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسبب ما أخذنا فصدق بهم أعنا وطهرنا
واستغفر لنا فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيء فأرسل الله تعالى
(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من الذنوب وأوجب المال المؤدى الى مثله وتجبرى لهم بحرى
الكفارة هذا قول الحسن كان يقول ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هى
كفارة الذنب الذى صدر ويبدل عليه انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلث أموالهم وتصدق بها وابتقى
لهم الثلثين ولم يأخذ الجميع لأن الله تعالى قال خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالصَّدَقَةُ الواجبة لا يؤخذ
فيها ثلث المال (وتركهم بها) أى وتنبى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم)
أى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم والسنة أن يدعوا أخذ الصدقة لصاحب الصدقة اذا
أخذها وعن الشافعى رضى الله عنه انه كان يقول أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة
أجر الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبذلك فيما أبقيت (ان صلاتك سكن لهم) أى
تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحا قوية مشرقة
صافية باهرة فاذا دعاه صلى الله عليه وسلم لهم وذكرهم بالخير فاضت آثار من قوة روحه الروحانية
على أرواحهم فأشرفت بهذا الباب أرواحهم وصفت أسرارهم واثبتوا من الظلمة الى النور
ومن الجاهلية الى الروحانية فحصل لهم بذلك غاية الطمأنينة وقرأ حفص وحزرة والكشاف
صلائك بغرور وبعد الامم ونصب التمام على التوحيد والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع
لتعدد المدعول لهم وقيل ان هذه الآية كلام مبتدأ المقصود منها الإيجاب أخذ الزكوات من
الاغنياء وعليه أكثر الفقهاء اذا استدعوا هذه الآية في الإيجاب الزكاة قالوا فى الزكاة انها
طهرة (واقه جميع) لا قوا لهم واعترفهم ودعائلك لهم (عليهم) بتمامهم ونياتهم والمساكين سبحانه
عن القوم الذين تقدم ذكرهم أنهم تابوا عن ذنوبهم وأنهم تصدقوا وهالك اليد كرا قوله صلى
الله أن يتوب عليهم وما كان ذلك صريحا في قبول التوبة ذكر به ذلك انه يقبل التوبة وأنه
سبحانه يأخذ الصدقات ترغيبا لمن لم ينب في التوبة وترغيبا لكل العصاة فى الطاعة بقوله تعالى
(أَمْ يَلْمِزُوكَ أَنْ يَأْخُذَ اللَّهُ بِتُوبَةِ الْعَبَادِ) أى يقبل (الصدقات) والضعفاء الملتزمين

عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدق قاتهم وأما لغيرهم والمراد به
 التخصيص عليها والآية وإن وردت بصيغة الاستفهام إلا أن المراد بها التقرير في النفس ومن
 عادة العرب في أفهام المخاطب وإزالة الشك عنه أن يقولوا أأمألت أن من عليك يجب عليك
 خدمته أأمألت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول
 توبتهم وصدق قاتهم ترغيباً في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال
 الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا مرسلاً يكلمون ولا يجالسون فإلهام اليوم فأُنزل
 الله تعالى هذه الآية ترغيباً في التوبة ثم زاد تأكيده بقوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)
 أي وإن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتزريقها
 وأن الله يقبلها من عبده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ما من عبد مؤمن تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا ولا يصعد إلى
 السماء الا الطيب الا يصعها في يد الرحمن عز وجل فيريها له ككبريى أحدكم فلو هو حتى إن اللقمة
 لتأتى يوم القيامة وانها كمثل الجبل العظيم ثم قرأ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
 الصدقات (وقل اعلموا) أي وقل لهم أولئك الناس يا محمد اعلموا ما شئتم (فبشر الله عبيدكم) فانه
 لا يخفى عليه شئ خيراً كان أو شراً فيه ترغيب عظيم للمطيعين وعيد عظيم للمذنبين فكانه قال
 اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (و) يرى أيضاً (رسوله
 والمؤمنون) أعمالكم أمارؤية النبي صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على أعمالكم وأمارؤية
 المؤمنين فبقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين (وستردون الى عالم
 الغيب والشهادة) أي وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شئ
 من أعمال بواطنكم وظواهركم (فبينهم) أي فيجتزكم (بما كنتم تعملون) من خير وشر
 فيجازيكم على أعمالكم واعلم أن الله تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلاثة أقسام أولهم
 المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون
 اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث الذين بقوا موقوفين وهم
 المذكورون في قوله تعالى (وآخرون) أي من المتخلفين (مرجون) أي مؤخرون عن التوبة
 وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بغير همز بين الجيم والواو والباقون بهززة مضمومة بين
 الجيم والواو (لامر الله) أي لحكم الله تعالى فيهم والفرق بين القسم الثاني وبين هذا ان أولئك
 سارعوا الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قال ابن عباس زلت هذه الآية في كعب بن مالك
 ومرة ابن الربيع وهلال بن أمية وستأتى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا
 تخلفوا كسلاً وميلاً الى الراحة لا تفاناً ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف
 أمرهم نحسين ليلة حتى زلت توبتهم بعد (أما بعدهم) بأن يميتهم من غير توبة (وأما يتوب
 عليهم) ان تابوا (فان قبل) كلمة أما وأما لا شك والله تعالى منزوع من ذلك (أجيب) بأن التردد
 بالنسبة للعباد أي لم يكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء فان الله تعالى لا تخفى عليه

خافية وفي هذا دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله اعلم) باحوال عباده (حكيم)
 فيما يفعل بهم * ولما ذكر تعالى اصناف المنافقين وطرائقهم المتخفية قال تعالى (والذين اتخذوا
 مسجدا) قال ابن عباس رضى الله عنه وهم اثناعشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا (ضرارا)
 أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) أى وتقوية للزناق وقال ابن عباس يريدون به
 ضرارا للمؤمنين وكفرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالظهن
 على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام (وتقرى قابين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون بمسجد
 قباء فبنوا مسجدا للضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤذى ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة
 (وارصادا) أى تريبا (لن حارب الله ورسوله) وهو أبو عامر والد أبي حنظلة الذي غسلته الملائكة
 وكان قد زهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاداه
 لانه زالت رياسته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين
 ابراهيم عليه السلام فقال له أبو عامر انا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست علم ا فقال
 أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غربيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماء
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ولم ير يل يقاتله
 الى يوم حنين فلما انهمزمت هوازن خرج الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما
 استطعتم من القوة وال سلاح وابنوا الى مسجد افانى ذاهب الى قصر ملك الروم فأتى بجند من
 الروم فأخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجدا للضرار الى جنب مسجد قباء وانتظر واجي ابى عامر
 ليصلى بهم في ذلك المسجد وقوله تعالى (من قبل) متعلق بجواب أى حارب من قبل أن يبنى مسجد
 الضرار وأما اتخذوا أى اتخذوا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف * ولما وصف تعالى هذا المسجد
 بهذه الصفات الاربعة قال تعالى (وليجلفن ان أردنا الا الحسنى) أى وليجلفن ما أردنا ببنائه
 الا افعلة الحسنى وهى الفرق بالمسلمين فى التوسعة على أهل الضعف والعلو والعجز عن المصير
 الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد بنينا
 مسجد الذى العلة والحاجة واللبلة المظلمة واللبلة الشاتية (والله يشهد انهم لكاذبون) فى
 قولهم * (تنبيه) * قوله تعالى والذى اتخذوا محله نصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين
 الصلاة أرفع على الابتداء والخبر محذوف أى وعن ذكرنا الذين * ولما بنى المنافقون ذلك
 المسجد للاغراض الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك وقالوا
 يا رسول الله بنينا مسجد الذى العلة واللبلة المظلمة واللبلة الشاتية ونحن نحب أن نصلى
 لنا فيه وتدعونا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر فى حال شغل
 واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه * فلما قفل أى رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
 سأله اتيان المسجد نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما معناه لا تصل
 فيه أبدا وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب الى ذلك المسجد فنادى جبريل
 لا تقم فيه أبدا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم ومعن بن عدى وعامر بن

السكن ووحشياً فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا
جميعاً سريراً حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى
أخرجكم بنا من أهل فدخل إلى أهله وأخذ سقاً من النخل فاشعل فيه ناراً ثم خرجوا
يشتمون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فهدموه وأحرقوه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر الراهب
بالشام وحيداً فزيد أغريباً وقيل كل مسجد بني مباحة ورياضة وسعة أو لفرض سوى ابتغاء وجه
الله تعالى أو عمل غير طيب فهو ملحق بمسجد الضرار وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على عمر
رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار
أحدهما صاحبه وقوله تعالى (المسجد) اللام فيه للإبداً وقيل لام التسمي تقديره والله للمسجد
(أسس) أي رضع أساسه وقواعده (على التقوى) أي تقوى الله تعالى (من أول يوم) أي من أول
أيام وجوده لأن من نعم الزمان والمكان أي فأحاطت به التقوى لأنها إذا أحاطت بأقواله أحاطت
بأخروه (أحق) أي أولى (أن) أي بأن (تقوم) أي تصلى (فيه) واختاف في هذا المسجد الذي
أسس على التقوى فقبل هو مسجد المدينة قاله زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري قال أبو سعيد
رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فنقلت يا رسول الله
أي المسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفاً من حصاه فضرب به الأرض ثم قال هو
مسجدكم هذا مسجد المدينة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن أم سلمة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن قوائم منبري هذا روايت في الجنة أي نوابت وقيل هو مسجد قباء
قاله سعيد بن جبيرة وقناة أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهو يوم
الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة ويدل على هذا قوله تعالى (فيه رجال
يحبون أن يظهروا) أي من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لرضا الله تعالى عليهم (والله
يحب المطهرين) أي يشبههم ويرضى عنهم ويدينهم من جناب ادناه المحب حبيبه روى أنها
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فمكت القوم ثم أعادها فقال عرياً رسول الله أنهم
لمؤمنون وأنامهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء فقالوا نعم قال أنصبرون على
البلاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فحاس ثم قال يا معشر الانصار
إن الله عز وجل قد أتى عليكم فاذا الذي تصفون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال
يحبون أن يظهروا وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم
في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن إليكم الثناء في الطهر وفي قصة مسجدكم في
الطهور الذي تظهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا

يقتلون أديارهم من الغائط ففعلنا كما علموا وفي حديث رواء البراءة قالوا اتبع الحجارة بالماء
فقال هؤلاء ففعلكموه وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن
الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يطهروا بالحي المكفرة لذنوبهم فحموا
عن آخرهم (أفن أسس بنيانه) أي بنيان دينه (على تقوى بن الله ورضوان) أي على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) أي طرف
(جرف) أي جانب (هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء وهو الباطل والتناقض
الذي مثله مثل شفا جرف هار أي مشرف على السقوط (فأنهاره) أي سقط مع بنيانه (في نار جهنم)
خسر وهذا اعتقل للبناء على ضد التقوى بما يؤل إليه والاستفهام للتقرير أي الأول خير وهو
مثال مسجد بقاء والثاني مثال مسجد الضرار قال الرازي ولا ترى في العالم مثالا أحسن
مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال وحاصل الكلام أن أحد البناءين قصد بنيانه تقوى
الله تعالى ورضوانه والبناء الثاني قصد بنيانه المعصية والكفر فكان البناء الأول شريفا
واجب الإبقاء وكان الثاني خسيرا واجب الهدم * قيل حفر بقعة في مسجد الضرار
فرؤى الدخان يخرج منها وقرأ نافع وابن عامر أفن أسس بضم الهمزة وكسر السين الأولى
مع التشديد وضم النون قبل الهاء والباقيون بفتح الهمزة والسين مع التشديد أيضا ونصب
النون قبل الهاء وقرأ شعبة رضوان بضم الراء والباقيون بالكسر ورجعت أم هانم مقطوعة
من من والكلام على أسس بنيانه كالكلام على التي قبلها وقرأ ابن عامر وشعبة وحزرة جرف
بسكون الراء والباقيون بالرفع وأما شذافا فلا تغال بخلاف هار فان أبا عمرو وشعبة والكلابي
يترؤنه بالامالة المحضة وابن ذكوان بالفتح والامالة وورش بالامالة بين بين والباقيون بالفتح والله
لا يهدي القوم الظالمين) أي إلى ما فيه صلاح ونجاة (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) أي بناؤهم الذي
بنوه وهو مصدركا لغفران والمراد هنا المبنى وإطلاق لفظ المصداق على المفعول مجاز مشهور
يقال ضرب الأمير ونسج زيد والمراد مضره ومنسوجه وليس يجمع خلافا للواحدى
في تجويزه أن يكون جمع بنيانه لأنه وصف بالمقرد وأخبر عنه بقوله (ربية) أي شيكا (في قلوبهم)
والمعنى أن بناء ذلك البنين صار مباحصول الربية في قلوبهم بفعل نفس ذلك البنين ربية
وانما جعل سببا للربية لأن المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتفريه عظم خوفهم في كل الأوقات وصاروا رتابين في أنهم هل ينزكهم على ما هم
فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال الكلبي صار حيرة وندامة لأنهم ندما على بناءه وقال
السدي لا يزال هدم بنايهم ربية أي حرارة وغيطا في قلوبهم (الآن تنقطع قلوبهم) قطعاً أما
بالسيف وأما بالوت بحيث لا يبقى لهم قابلية الادراك وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا (والله عليم)
بأحوالهم وأحوال عبادهم (حكيم) في الأحوال التي يحكم بها عليهم وعلى غيرهم * ولما تقدم
الانكار على المنافقين عن التفريق سبيل الله في قوله تعالى ما لكم إذ قيل لكم اتقوا في سبيل
الله الآية ثم الحزم بالجهد بالنفس والمال في قوله تعالى اتقوا وخافوا وثقالات الآية ذكر فضيلة
الجهاد وحقيقته بقوله تعالى (إن الله اشترى) أي بعهداً أكيدة وواثقة غليظة شديدة (من)

المؤمنين بالله ورسوله وبما جاء به من عند ربه (أنفسهم) التي تفرد بخلقها (وأموالهم) التي
 تفرد برزقها وهو على كمالها ومنهم من قدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال
 ولذا ذكر البيع تبعه الثمن بقوله تعالى (بأن لهم الجنة) مثل الله تعالى أنابهم على بذلهم
 أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم الله تعالى فأغنى لهم الثمن وعن عمر رض
 الله عنه جعل لهم الصفقتين جميعاً وعن الحسن أنفسهم ناهو خلقها وأموالها ورزقها وروى
 أن الانصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد
 الله بن رواحة اشتراط ربك ولنفسك ما شئت فقال اشتراط ربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً
 ولنفسى أن تمنعوني عما تمنعون به أنفسهم وأموالكم قالوا فاذلنا فقال الله تعالى الجنة قالوا
 ربح البيع لا تغفل ولا تستقبل فتزك ومزاعرا بنى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها
 فقال الاعرابي كلام من قال عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الاعرابي والله يبيع
 من يبيع لا تغفل ولا تستقبل فخرج إلى الفزوة فاستشهد وقال الحسن اسمعوا والله يبيعة رابحة وكفة
 رابحة بايع الله تعالى هم أكل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن الا وقد دخل في هذه البيعة والمراد
 بالاموال انفاقها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهلهم وعيالهم وفي جميع وجوه البر والطاعات
 وقوله تعالى (بقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف بيان ما لاجله الشراء وقيل
 بقاتلون في معنى الامر وقرا حجة والكسائي بتقديم المقتولين على القتاتين لان الواو لا تقتضى
 الترتيب ولان فعل البعض قديم يند إلى الكل أى فيقتل بعضهم ويقا تل الباقي والباقون بتقديم
 القتاتين وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المحدثون ثم أخبر الله
 تعالى بأن هذا الوعد الذى وعد به للعبا هدين في سبيله وعهد ثابت (فى التوراة) كتاب موسى
 عليه السلام (والانجيل) كتاب عيسى عليه السلام (والقرآن) أى قد أثبتة فيهما كما أثبتة
 فى القرآن أى الكتاب الجامع لكل ما قبله (ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى منه سبحانه
 لان الاخلاف لا تقدم عليه الكرام من الناس فكيف يخالفهم الذى له الغنى المطلق وقوله تعالى
 (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة أى فافرحوا غاية الفرح (ببيعكم الذى بايعتم به) فانه
 أوجب لكم عظام المطالب كما قال تعالى (وذلك هو الفوز العظيم) * (تنبيه) * هذه الآية
 مشتملة على أنواع من التأكيد أولها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بكون
 المشتري هو الله تعالى المقدس عن الكذب والخيانة وذلك من أدل الدلائل على تأكيد هذا
 العهد نائها انه تعالى عبر عن ايماله هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق مؤكداً ثالثها
 قوله تعالى وعدا ووعده الله تعالى حق رابعها قوله تعالى عليه وكلمة على للوجوب خامسها قوله
 تعالى حقاً وهو لتأكيد التحقيق سادسها قوله تعالى فى التوراة والانجيل والقرآن وذلك مجرى
 مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة سابعها قوله تعالى
 ومن أوفى بعهده من الله وهو غاية فى التأكيد ثامنها قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به
 تاسعها قوله تعالى وذلك هو الفوز عاشرها قوله تعالى العظيم فثبت

اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيذ والتقرير والتحقيق * ولما ذكر تعالى في هذه الآية انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بين أن أولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسعة الآية أولها قوله تعالى (التائبون) وهو مرفوع على المدح أي هم التائبون يعني المذكورين في قوله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين وقال الزجاج لا يبعد أن يكون قوله التائبون مبتدأ وخبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال والتائبون صبغة عموم محلاة بالالف واللام فتناول التوبة من كل معصية والتوبة انما تحصل عند أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور المعصية ثانياها الندم على ما مضى ثالثها العزم على التلذذ في المستقبل رابعها أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة طالب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منه ارتفاع مدة الناس وتحصيل مدحهم أو إفراض من الأقرض الدينية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم إلى أهلها ان كانت الصفة الثابتة قوله تعالى (العاقدون) أي الذين أخلصوا العبادة لله وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء وقال قتادة قوم أخذوا من أبدانهم في لبسهم ونهارهم الصفة الثالثة قوله تعالى (الجامدون) وهم الذين يتقون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودينياً ويجهلون أظهار ذلك عادة لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء الصفة الرابعة قوله تعالى (الساكنون) واختلاف في المراد منهم فقال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما ذكر في القرآن من السباحة فهو الصوم وقال صلى الله عليه وسلم سباح أمتي الصوم وعن الحسن أن هذا صوم القرض وقيل هم الذين يدعون الصيام قال الأزهري قيل للصائم سائح لأن الذي يسبح في الأرض متعبداً لا زاد معه كل ممسكاً عن الأكل والصائم ممسك عن الأكل فلهذه المشابهة يسمى الصائم سائحاً وقال عطاء السائحون الغزاة في سبيل الله تعالى وروى عن عثمان بن مظعون انه قال يا رسول الله انذن لنا في السباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقال عطاء السائحون هم طلاب العلم والسباحة أمر عظيم في تكميل النفس لانه يلقي أفاضل مختلفين فيستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة وقد يلقي الأكبر من الناس فيستحقق نفسه في مقابلتهم وقد يصل إلى المدرسة الكثيرة فينتفع بها ويتبدأ هذا اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الأحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته وبالجملة فالسباحة لها أثر قوي في الدين الصفة الخامسة والسابعة قوله تعالى (الراكون الساجدون) أي المصلون وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما يجزمان المصلي عن غيره بخلاف حالة القيام والقعود لأنهما حالة المصلي وغيره ولأن القيام أول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غايتها انخفض الركوع والسجود بالذكر دلالة على غاية التواضع والعبودية تبنيها على أن المقصود من الصلاة

نهاية الخشوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة قوله تعالى (الأمرون بالمعروف والناهون
 عن المنكر) أي الأمرون بالإيمان والطاعة والناهون عن الشرك والمعصية ودخول
 الواو في والناهون عن المنكر للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكانه قال
 الجامعون بين الوصفين ولأن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
 وقوله تعالى في صفة الجنة وتفتح أبوابها إذا نادى بالعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة
 هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وقيل
 الموصوفون بهذه الصفات هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعلى هذا يكون قوله
 تعالى الثامن إلى قوله الساجدون مبتدأ أخبرهم الأمرون بالمعروف والناهون عن
 المنكر الصفة التاسعة قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أي لأحكامه بالعدل بها والمقصود
 أن تكاليف الله تعالى كثيرة وهي محصورة في نوعين أحدهما ما يتعلق بالعبادات والثاني
 ما يتعلق بالمعاملات (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر تلك الصفات الثمانية على
 التفصيل ثم ذكر عقوباتها ثم أقسام التكليف على سبيل الاجال في هذه الصفة التاسعة (أجيب)
 بأن التوبة والعبادة والاستغفار بحمد الله والسياسة والكراع والسجود والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر أمور لا ينقل المكلف عنها في أغلب أوقانه فلهذا ذكرها الله
 تعالى على سبيل التفصيل وأما البقية فقد ينقل المكلف عنها في أكثر أوقانه مثل أحكام البيع
 والشراء وأحكام الجنائيات ودخل في هذه الصفة التاسعة رعاية أحوال القلوب بل البحث
 عنها والمبالغة في الكشف عن حقائقها أولى لأن أعمال الجوارح اغتار ادلاجل فحصل
 أعمال القلوب ثم ذكر سبحانه وتعالى عقب هذه الصفات التسعة قوله تعالى (وبشر المؤمنين)
 تنبيها على أن البشارة في قوله تعالى فاستبشروا لم تتناول المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات
 التسعة وحذف تعالى المبشرة للتعظيم فكانه قيل وبشرهم بما يجلب عن احاطة الافهام وتعبير
 الكلام واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
 للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فقال سعيد بن المسيب عن أبيه انه نزل في شأن أبي طالب
 وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء لعمه أبي طالب لما حضرته الوفاة فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحيا لك بهاء عند الله فقال أبو جهل
 وعبد الله بن أمية أترغب عن مله عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
 عليه الى تلك المقاتلة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على مله عبد المطلب وأبي أن يقول لا اله
 الا الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فزل ذلك وعن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه الله قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم
 القيامة قال لولا أن يعزني قريب يشقولون أغماجه على ذلك الجزع لا قررت بهما عنك فأنزل
 الله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية وقال بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى
 قبر أمه آمنه فوقف عليه حتى جئت الشمس وجاء أن يؤذن له يستغفر لها فنزل ما كان للنبي

الآية وقال أبو هريرة زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه آمنه فبكى وأبكى من حوله وقال
 استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته أن أزورها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكروا
 الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفروا لآبائكم استغفروا لآبائكم لا يسهل الله
 تعالى هذه الآية وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رجلا يستغفر لآبويه وهما
 مشركان فقالت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال استغفروا إبراهيم عليه السلام لا يسهل وهو
 مشرك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فتركت هذه الآية لا يوروا الطبراني بسنده عن
 قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قالوا يا نبي الله إن من آباءنا من كان يجسّن الجوار ويصل الرحم
 ويهلك العاني أفلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم والله لا تستغفروا لآبائكم استغفروا إبراهيم
 لا يسهل فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى
 قربي (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي بأن ما نوا على الكفر وقال البضاوي وفيه
 دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار
 إبراهيم عليه السلام لا يسهل الكافر فتقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة
 وعدها إياه) أي وعدها إبراهيم أباه بقوله لا تستغفرك لآبائكم لا يسهل فذلك بالتوفيق للإيمان
 فإنه يجب أي يقطع ويحرم ما قبله وقرأ هشام إبراهيم بالالف بعد الهاء في الموضعين والباقيون
 بالياء فيهما (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر وأوحى الله تعالى إليه أن لن يؤمن
 (تبرأ منه) أي قطع استغفاره (أن إبراهيم لأواه) أي كثير الضرر والدعاء (حليم) أي صبور
 على الأذى والجله لبيان ما حمله على الاستغفار لا يسهل مع صعوبة خلق أبيه عليه (وما كان الله ليضل
 قوما) أي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لأجل ارتكابهم المنهي عنه (بعد أدهامهم)
 للإسلام (حتى بين لهم) ببيان ما في الداء العمى (ما يتقون) أي ما يجب اتقاؤه للنهي عما قبل
 العلم والبيان فلا يسبل عليهم كالأبواخذون بشرب الخمر ولا يبيع الصاع بالصاعين قبل التصريم
 وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وقيل أنه
 في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر وغير ذلك وفي الجمله دليل على أن الغافل غير
 مكلف (إن الله بكل شيء عليم) أي بالغ العلم فيه ويبين لكم ما تأتون وما تنذرون عما توقف
 عليه الهدى وما تركتعالى فأنما تركه رحمة لكم لا يضل ربي ولا ينسى (إن الله له ملك السموات
 والأرض) فلا يخفى عليه شيء فهو خير بكل ما ينفعكم أو يضركم (يحيي ويميت) أي يحيي من
 شاء على الإيمان ويميت عليه ويميت من شاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لا حد عليه
 في حكمه وعبيده (وما لكم) أيها الناس (من دون الله) أي غيره (من ولي) يحفظكم منه
 (ولا نصير) يمنع عنكم ضرره (لقد تاب الله) أي أدام توبته (على النبي والمهاجرين والأنصار)
 واقفتح الله تعالى الكلام بهذا كرتوبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان سبب توبتهم فذكر معهم
 كقوله تعالى فإن الله خسرته والرسول ونحوه وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد
 إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار لقوله تعالى وتوبوا

الى الله جميعا اذا من أحد الاوله مقام بقص دونه ما هو فيه والترك اليه توبة من تلك النقصه
 واطهار فضلها بأنهم اقاموا الصالحين من عبادهم * (فائدة) * اتفق القراء على ادغام
 دال قد في التاء (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في وقت العسرة لم ير ساعة بعينها وكانت
 غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة فكانت عليهم
 عسرة في الظهر والراد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعقبونه
 يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس والشعير المتغير
 وكان النخري يخرجون مامعهم الا القنرات البسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ القنرة
 فلا كها حتى يحد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيصمها ثم يشرب عليها جرة من ماء كذلك حتى تأتي
 على آخرهم ولا يبقى من القنرة الا النواة فضا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم وبقينهم
 رضى الله عنهم وأرضاهم وأجمعين ورضى عناهم أمين وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قبط شديد فبزلنا من زلاتنا ما فيه عاظم شديد حتى
 ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه ويجعل ما بقي على كبده
 وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع فقال أبو بكر
 يا رسول الله ان الله تعالى قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى قال أحب ذلك قال نعم فرفع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجع حتى أغلقت السماء ثم سكبت فلا تأماما معنا ثم ذهبنا
 ننظر فلم نجد هاجا وزت العسكر (من بعدما كاذرتيغ) أي قرب أن تميل (قلوب فريق منهم) أي هم
 بعضهم عند تلك العسرة العظيمة أن يغارق النبي صلى الله عليه وسلم لكنه صبر واحتسب
 ولم يرد الميل عن الدين فلذلك قال الله تعالى (ثم تاب عليهم) لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الامر
 العسير (فان قيل) قد ذكر الله تعالى التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التكرار (أجيب) بأن الله
 تعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه
 بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما شأنهم وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم وقرأ
 حفص وحزرة يريغ بالياء على التذكير لأن تأنيث القلوب غير حقيقي والباقون بالتاء على التأنيث
 وأدغم أبو عمر والدال من كاد في التاء بخلاف عنه (انهم هم رؤوف رحيم) هاتان صفتان لله
 تعالى ومعناها متقاربان فالرأفة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي
 في ابطال المنفعة وقيل احدهما للرحمة السابقة والاخرى لله تقبله وقوله تعالى (وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا) أي عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراة بن الربيع
 معطوف على الآية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
 في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهذه الثلاثة
 كلهم من الانصار وهم المذكورون في قوله تعالى وآخرون هم رجون لامر الله روى عن ابن
 شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من قبله
 حين عي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال سمعت كعب

ابن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب
كان من خبري حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم ~~أ~~كن
قط أقوى ولا أيسر حين تخلف عنه في تلك الغزوة والله ما جئت قبلها را حلتين قط حتى جمعتهما
في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت
تلك الغزوة فأخبرهم بوجهه الذي يريد فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
قطعة فقت اغدوليكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتماذي بي حتى أمر عوا
فهممت أن أرتحل وأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك وكنت اذا خرجت في الناس بعد
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ان لا أرى لي اسوة الا رجلا لا مع موصافي النفاق
أو رجلا من عذرائه تعالى من الضعفاء ولم يذكري رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك
فقال وهو جالس في القوم تبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه بزداه
والنظر في معظمية فقال معاذ بن جبل يسما قلت والله يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه فافلا
حضرني همي وطفقت أذكر الكذب وأقول بما أخرج به من مضطه غدا واستعنت على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلت فادماراح عني الباطل
وعرفت اني لم أخرج بشي أيدافسه ~~ك~~كذب وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان
اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس وجاءه المخلفون يعتذرون اليه
ويخفون له ~~و~~كانوا تسعة وعشرين رجلا فقبل منهم صلى الله عليه وسلم علاقتهم ورايهم
واستغفر لهم ووكّل سرائرهم الى الله تعالى فحنته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضبان ثم قال فحنت
أمنني حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد أتعت ظهرك قلت بلى يا رسول الله والله
لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت ان أخرج من تحتك بعذر ولقد أعطيت جزا ولكنني
والله لقد علمت اني حدثت اليوم حديث كذب ترضى به عني لبوشكن الله أن يضطك علي ولئن
حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر والله
ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد
صدق فقم حتى يقضى الله عليك فقامت وثار رجال من بني سلمة فأتعوني وقالوا لي والله ما علمناك
كنت أذبت ذنبا قبل هذا وقد كان كافيك لذنبك استغفاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لهم
هل أتى هذا مني أحد قالوا نعم رجلان قالوا مثل ما قلت فقبل لهما مثل ما قبل لك فقلت من هما
قالوا امرأتان بن الربيع وهلال بن أمية فذكر والي رجلين صالحين قد شهدا بدر ففهم السوء
فخصيت حين ذكر وهما لي ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من
تخلف عنه فاجتنبنا الناس ولبننا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستسكانا وقعدا
في بيوتهم مما يليك وأما أنا فكنيت أثبت القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلوات مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين وأطوف بالاسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفقتي برّد
 السلام على أم لا ثم صلى قريته آمنه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظرت إلى وإذا التفت
 نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة
 وهو ابن عمي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما ردت على السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك
 الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله
 ورسوله أعلم ففاضت عيناى وبوليت فينبأنا أنا أمشي في سوق المدينة إذا ببطي من أنباط الشام
 من قدم بالطعام يبيعه يقول من يداني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني
 فدفع إلى كتاب من ملك غسان فاذا فيه أما بعد فقد بلغني أن صاحبك جفاك ولم يحبك الله بدار
 هو أن ولا مضيقه فالحق بناؤا سبيك فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاد فيميت به التنوير
 فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسب أمرنا أن نعزل نساءنا ولا نفر بهن فقلت
 لا مرأى الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله تعالى في هذا الأمر قال كعب بخات امرأة
 هلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له إن هلالا شيخ ضعيف ليس له خادم هل تكره
 أن أخدمه فقال أخدمه ولكن لا يقربك قالت والله أنه ما به حركة إلى شيء والله لا يزال يبكي
 منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في امرئك لاذن لك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا استأذن
 فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول إذا استأذنته فيها أو نارجل شاب فلبثت
 بعد ذلك عشر ليال حتى كتبت لنا خسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن ككلا متافا صليت صلاة الفجر صبح خسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فينبأنا أنا
 جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى في قوله (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)
 أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكانا يطمنون إليه (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم
 بالغم والوحشة أى بتأخير قوتهم فلا يسهوا سرور ولا أنس (وظنوا) أى أيقنوا (أن) مخففة
 (لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم) أى وفقهم للتوبة (ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)
 إذ سمعت صوت صارخ أو في جبل سلع ينادى بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت
 ساجدا وعرفت أنه جافرج وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا
 حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يشيروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون ورجل رحل إلى
 فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى إلى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي
 سمعت صوته يشيرونى نزعته لثوبي وكسوته إياهما والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين
 فلبستهما واطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتلقى الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة
 ويقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله بهرول حتى صاحفني وهنأني رضي الله تعالى عنه
 والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها طلحة قال كعب فلما سلمت على

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور بأشهر بخير يوم مَرَّ عليك منذ
 ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق
 على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبه • ولما
 حكى الله بقبول توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل ماضى وهو الخلف عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى بترك
 معاصيه (وكونوا مع الصادقين) أى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم
 أجمعين فى الغزوات ولا تكونوا تخلفين عنها والسين مع المتأقين فى البيوت وقيل كونوا مع
 الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يمتدروا بالاعتذار الباطلة الكاذبة وقيل مع معنى من
 أى وكونوا من الصادقين * (تبيينه) • فى الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ويدل
 عليه أيضاً أشياء منها ما روى عن ابن مسعود أنه قال عليكم بالصدق فإنه يقرب إلى البر والبر
 يقرب إلى الجنة وإن العبد ليصدق فيكتب عند الله تعالى صدقاً وإياكم والكذب فإن الكذب
 يقرب إلى القصور والفجور يقرب إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً
 ألا ترى أنه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت ومنها ما روى أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال انى رجل أريد أن أومن بك ألا أنى أحب الخير والزنا والسرقة والكذب والناس
 يقولون أنك تحرم هذه الأشياء ولا طاعة لى على تركها فان قنعت عنى بترك واحدة منها فقلت
 فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه
 وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسألتى النبي صلى الله عليه وسلم وكذبت فقد نقضت
 العهد وان صدقت أقام على الحد فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاءه ذلك الخاطف فتركه وكذا
 فى السرقة فماد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب
 انشدت أبواب المعاصى على وفات الكل ومنها ما قيل فى قوله تعالى حكاية عن ابليس فعزتك
 لا غوى بينهم أجمعين الاعباد لك منهم المخلصين لأن ابليس اعاد كرهذا الاستثناء أنه لو لم يذكره لصار
 كاذباً فى ادعاءه الكمال فكان أنه استنكف عن الكذب فذكر هذا الاستثناء وإذا كان الكذب
 شيئاً يستنكف منه ابليس لعنه الله فالسالم أولى أن يستنكف منه ومنها قول ابن مسعود
 الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولأن بعد أحدكم أخاه ثم لا ينجزله أقرؤا ان شتمت وكونوا
 مع الصادقين (ما كان) أى ماسح وما ينبغي بوجه من الوجوه (لاهل المدينة) أى دار الهجرة
 ومعدن النضرة (ومن حوله) أى فى جميع نواحي المدينة الشريفة (من الأعراب) أى
 سكان البرارى وهم من زينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وقيل عام فى كل الأعراب لأن اللفظ
 عام وحمله على العموم أولى وقوله تعالى (أن يتخلفوا عن رسول الله) أى عن حكمه وقوله تعالى
 (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى بأن يصونوها عما رضى لنفسه عليه الصلاة والسلام من
 الشدايد ويجوز فيه النصيب والجزم على أن لانهية روى عن أبي خزيمة أنه بلغ بسنانه واستوى
 ونضح وله امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصى وقرت له الرطب والماء البارد فقال

خال طليل ورطب بائع أى ناضج وما بارد وامرأت حسانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الضم والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومز كل ربيع فذكر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا ابراك بزهاء السراب أى بدفعه وهو عبارة عن
 السرعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباحية فكان هو فخرج به رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واستغفر له (ذلك) أى النهى عن الخلف (بأنهم) أى بسبب انهم (لا يصيهم طمأ) أى
 عطش (ولانصب) أى تعب (ولا تحضة) أى مجاعة (فى سبيل الله) أى فى طريق دينه
 (ولا بطون) أى يدوسون وقوله تعالى (موطأ) مصدر أى وطأ ومكان وطأ (يفظ) أى يقضب
 (الكمار) أى وطؤهم له بأجلهم ودوابهم (ولا يبالون من عدوئنا) أى قتلا وأسر أو غنمة
 أو هزئة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الا) أى بكتب لهم به أى بذلك (عن صالح) أى ثواب
 جزيل عند الله تعالى يجازيهم به (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى لا يترك ثوابهم وأظهر
 موضع الاضمار تنبيه على أن الجهاد احسان * (تنبيه) * فى هذه الآية دلالة على أن من
 قصد طاعة الله تعالى كان قبليه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
 عند الله تعالى وكذا القول فى طرف المعصية فان حركته فيها كلها سيئات فإنا أعظم بركة الطاعة
 وما أكثر ذلك المعصية الآن يغفرها الله تعالى * عن أنى عيسى رضى الله تعالى عنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله تعالى على النار
 (ولا ينفقون) فى سبيل الله (نفقة صغيرة) غرة فادونها (ولا كبيرة) أى أكثر منها مثل ما أنفق
 عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون) أى يجاوزون (واديا) أى أرضا
 فى سيرهم مقبلين أو مدبرين (الا) أى بكتب لهم ذلك من الاتفاق وقطع الوادى (ليجزىهم الله
 أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزىهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب
 * (فائدة) * الوادى كل منفرج بين جبال وأكام يكون منفذا للسبيل وهو فى الأصل فاعل من
 ودى إذا سال ومنه الوادى وقد شاع فى استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل فى وادى
 غيرك * (تنبيه) * فى الآية دليل على فضل الجهاد والاتفاق فيه وبطل عليه أشياء منها ما روى عن
 ابن مسعود قال جاء رجل بشاقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لست بها يوم القيامة * مائة ناقة كلها مخطومة ومنها ما روى عن زيد بن خالد أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل
 الله فقد غزا ومنها ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها
 وفى رواية وما فيها ومنها روى عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أى الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه فى سبيل الله قال ثم أى قال ثم رجل فى شعب من
 الشعب يعبد الله تعالى وفى رواية يلقى الله ويدع الناس من شره وقوله تعالى (وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة) فيه احتمالان الاول أنه كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد والثانى أن يكون من

بقية أحكام الجهاد فعلى الأول يقال وما استقام لهم أن يقر واجبة التعوز وطلب علم كما
لا يستقيم لهم أن يتنبطوا جميعا فانه يحل باصر المعاش (قلولا) أى فهلا (تقر من كل فرقة) أى
قبيلة (منهم طائفة) أى جماعة ومكت الباقون (ليتفقوا) أى ليتكفوا التفاهة (فى الدين)
ويتجنبوا مشاق تحصيلها ليعرفوا الحلال من الحرام ويدعوا إلى أوطانهم (وليتذكروا)
قومهم إذا رجعوا إليهم) أى وليجعلوا غاية دينهم ومعظم غرضهم من التفاهة إرشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وأنه ينبغي أن يكون غرض المتكلم فيه أن يستقيم ويقسم لا الترفع على الناس وصرف
وجودهم اليه والتبسط فى البلاد ليدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
فى الدين وفى قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل على أداكم وفى قوله
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله تعالى له طريقا إلى الجنة (لعلمهم
يحذرون) عتاب الله تعالى بامتنال أمره ونهيه وعلى الاحتمال الثانى يقال انه لما نزل
فى المتكلمين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفر وانقطعوا عن التفقه وأمر بأن يقر من كل فرقة
طائفة إلى الجهاد ويمكت الباقون يتدقحون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الا كبر لان
الجسد بالجملة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقوا وليتذكروا والبواقي
الفرق بعد الطوائف السابقة للفرز وفى رجوعوا للطوائف وليتذكروا والباقي قومهم السابقين
إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والى
قبلها بالنهى عن تحلف أحد فيما إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم (بأيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلفظونكم من الكفار) أمر وابتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر صلى الله عليه وسلم أولا
بأنذار عشيرته الأقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب
الطجاز ثم غز الشام وقبيلهم قرينة والنضير وفدك وخيبر وقبيل الروم كانوا يسكنون
الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المنقرض على أهل كل ناحية أن
يقاتلوا من ولهم مالم يضطروا إلى أهل ناحية أخرى (وليجدوا فيكم غلظة) أى شدة وصبر على
القتال والغلظة ضد الرقة أى اغلظوا عليهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة
والحراسة (وإذا ما أنزلت سورة) من القرآن (فهم) أى المنافقين (من يقول) أى لأصحابه
انكارا واستهزاء بالمؤمنين (أيكم زادته هذه) السورة (إيمانا) أى تصديقا قال الله تعالى
(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) بزيادة العلم الحاصل فى تحصيل السورة وانضمام الإيمان بها وبما
فيها إلى إيمانهم (وهم يستبشرون) أى يفرحون بنصرها لانه سبب لزيادة كلهم وارتفاع
دجاتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) أى شاك ونفاق فهو المشك فى الدين مرضا لانه فساد
فى القلب يحتاج إلى علاج كالمرض فى البدن إذا حصل يحتاج إلى علاج (فزادتهم) أى السورة
أى زولها (رجسا إلى رجسهم) أى كفر أباها مضموما إلى الكفر بغيرها (وملأوا) أى هؤلاء
للمنافقين (وهم كافرون) أى وهم جاحدون لما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

قال مجاهد في هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وكان على رضى الله تعالى عنه
 يأخذ بيد الرجل والرجلين من الصباية ويقول تعالوا حتى نزداد إيماناً وقوله تعالى (أولايرون)
 قرأه حمزة بالتاء أى أيها المؤمنون والباقون بالياء على الغيبة أى المنافقون (أنهم يفتنون) أى
 يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالامراض والقطط والحرب (ثم لا يتوبون) من نفاقهم ونقص
 عهدهم إلى الله تعالى (ولاهم يذكرون) أى ولا يتفكرون بما يرون من نصرته صلى الله عليه وسلم
 وتأييده (وإذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المنافقين ونقضهم وقرأها صلى الله عليه وسلم (نظر
 بعضهم إلى بعض) أى تفاخروا وابتاعوا انكارها من خضرة أو غيظاً لما فيها من عيوبهم
 ويريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) أى من المؤمنين إذا قمتم فان لم يرههم أحد قاموا
 وخرجوا من المسجد وان علموا أن أحداً يراهم ثبتوا على تلك الحالة (ثم انصرفوا) على كفرهم
 ونفاقهم وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون وقوله تعالى (صرف الله
 قلوبهم) أى عن الهدى يحتمل الاخبار والدعاء (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)
 أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنسكم عربى مثلكم وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم تعرفون حسبه ونسبه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما ليس قبيلة من
 العرب الا وقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم ولغيره نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه
 شيء من ولادة الجاهلية من زمن آدم عليه السلام وعن الطبراني قال صلى الله عليه وسلم انى
 خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الانكاح كنكاح الاسلام وعن واثله بن الاسقع
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً
 من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي
 بادغام دال قدنى الجسيم والباقون بالاطهار (عزيز) أى شديد شاق (عليه ما عنتم) أى عنيتكم
 وابتأواكم المكره وقيل يشق عليه ضلالتكم (حريص عليكم) أى ان تهتدوا وعلى ابطال الخير
 اليكم (بالؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف) أى شديد الرحمة بالمؤمنين (رحيم) بالمؤمنين
 وقدم الابن وهو الرؤف محافظة على الفواصل وعن الحسن بن الفضل لم يجمع الله تعالى لأحد
 من الانبياء من اسمين من أممائه الا لئيبنا صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفاً رحيماً وقال تعالى
 ان الله بالناس لرؤف رحيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الممزة من رؤف
 والباقون بالقصر (فان تولوا) أى فان أعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله
 ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وناصروا الحرب (فقل حسبى الله) أى يكفينى الله وينصرنى
 عليكم وانما كان كافياً لانه (لا اله الا هو) فلا مكافى له ولا راداً لأمره ولا يقب الحكمة (عليه
 توكلت) أى فلا أرجو الاياه ولا أخاف الامنه لان أمره نافذ في كل شيء (وهو رب العرش) أى
 المكرسى (الاعظم) وخصه بالذكر تشريفا له ولانه من أعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى روى عن
 أبي بن كعب قال أخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر

السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهدا وما رواه البيضاوي رحمه
 الله تعالى تعالى تَعَالَى كَشَافٌ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أُنْزِلَ عَلَى
 الْقُرْآنِ إِلَّا آيَةٌ آيَةٌ وَسِرْفَا سِرْفَا مَا خَلَّاسُورَةٌ بَرَاءَةٌ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ
 أَحَدٌ فَانْهَ مَا أُنْزِلَ عَلَى وَهْمِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَمُخَالَفٌ لِلْمَاضِي عَنْ
 أَبِي مَنْ أَنْ أَخْرَجَ مَا نَزَلَ الْآيَاتَانِ
 أَتَمَّهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى أَعْلَمُ

• (ثم الجزء الأول وبليه الجزء الثاني وأوله سورة يونس) •

